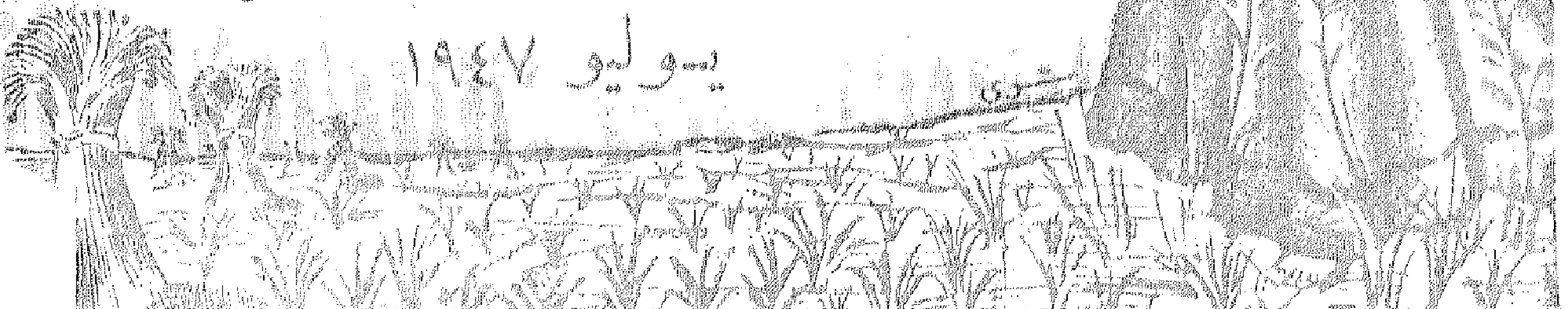
المختار

من

ريدرز دايجست

فى كل مقالة لذة ومتعة





يوليو ١٩٤٧

من آيات العرب — ٣

سر الغنى

« خلف بن تميم قال : قال رجل لإبراهيم بن أدهم : يا أبا إسحاق ، أحب أن تقبل منى هذه الجبة كسوة . قال إبراهيم : إن كنت غنيًا قبلتها منك ، وإن كنت فقيراً لم أقبلها . قال : فإنى غنى . قال : كم عندك ؟ قال : ألفان . قال : فيسرك أن تكون أربعة آلاف ؟ قال : نعم . قال : أنت فقير ، لا أقبلها »

« وقال أبو حازم : إن كنت إنما تريد من الدنيا ما يكفيك ففى أدناها ما يكفيك ، وإن كنت لا ترضى منها بما يكفيك ، فليس فيها شيء يغنيك » [كتاب : عيون الأخبار]

AL-MUKHTAR min READER'S DIGEST — Vol. 8, No. 47, July 1947.

مصر والسودان : النسخة ٣ قروش . الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ، وفى سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً .
العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

مطبعة مصر ش . م . م

السنة الرابعة — المختار من ريدرز دايجست — المجلد ٨ العدد ٤٧
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
يوليو ١٩٤٧

ولادة دون خوف ولا ألم

مختصر كتاب

جرانتلي ديك ريد ، الدكتور في الطب

إنه الرجل الذي ألف هذا الكتاب الممتع ، المثير للجدل ، البيّن النفع للأطباء والناس على السواء ، هو طبيب مولد إنجليزي تخرّج في جامعة كمبردج ، ومارس صناعة الطب في هارلي ستريت ، شارع كبار الأطباء في لندن ، وفي عيادة خاصة في ووكنج إحدى ضواحي لندن الصناعية .

وقضية الولادة دون خوف أو ألم ، هي قضية لم يزل الدكتور جرانتلي ديك ريد يدعو إليها منذ سنين . وقد نشر قبل هذا الكتاب كتاباً آخر في الموضوع ، كاد يودي بعمله حتى قال : « كان الناس يفرّون مني فرار القطط المذعورة » . وقال له زميلٌ من كبار زملائه : « إن كتابك حقٌّ ، ولكنّ أهل صناعتنا لا يسعهم أن يسيغوه » .

أما اليوم ، فترى بعضهم يخالفونه فيما جاء به من تعليل فسيولوجي لألم الولادة ، بيد أن كثيرين من زملائه المولدين يميلون إلى آرائه .

وقد قالت مجلة « اللانست » كبرى الصحف الطبية البريطانية في تقريظ الكتاب : « إنه إرشادٌ حكيمٌ مفرغ في كتاب بسيط رفيق يبهرك في كثير من صفحاته » .

وقال الدكتور هنريكوس ستاندر أستاذ الولادة وأمراض النساء في كلية كورنيل الطبية في نيويورك : « إن ما يدعو إليه الدكتور ريد هو ما يمارسه جميع رؤوس الأطباء في فن الولادة . وخليق بكتابه أن يسدي نفعاً جزيلا بما يذكرنا به من أن الحامل التي تبادر إلى استشارة طبيبها منذ تحمل وتوالى

استشارته ، لن تجد ما يدعو إلى الخوف من الولادة ، وبما يدعو إليه كل طبيب من ضرورة الظفر بثقة الحامل التي تستشـيره . فالنزول على آراء الدكتور ريد لا ينجم عنه خطر ما ، ولكن الضرر خليق أن يلحق الأم ، وبخاصة الطفل ، إذا استعملت المخدّرات، فليس فى المخدّرات ما يُعَدُّ أفضلها فى جميع حالات الولادة ».

وقال الدكتور ألن ف . جوتماكر الأستاذ المساعد للولادة فى جامعة جونز هبكنز : « من الخير الجزيل أن تعالج نفس الحامل كما يعالج بدنها . وأعظم ما أسداه الدكتور ريد هو وصف الموقف الذى ينبغى للطبيب أن يقفه من الحامل وولادتها. فقد قضى بجهده الجاهد على الشكوك والمخاوف » .

ولادة دون  خوف ولا ألم

ترى أتعرف تلك المرأة التى نسيت اسمها منذ زمن طويل، أى أثر عميق تركته فى نفسى ، كلمة جرى بها لسانها عفواً ؟

خضت الوحل والمطر على دراجتى بين الثانيـة والثالثة صباحاً ، حتى أتيت كوخاً صغيراً قرب قنطرة للسكة الحديدية، فتلمست طريقى على درج مظلم حتى بلغت بابا فتحته، فإذا بى فى غرفة مساحتها نحو عشر أقـدام مربعة، فألفيت بركة ماء على الأرض،وكانت النافذة مكسورة ، والمطر ينهمر منها إلى جوف الغرفة، ولم أجد غطاء كافياً على السرير بل وجدت أحد طرفيه قائماً على صندوق . وكانت الشيدة مدثرة بأكياس وثوب قديم أسود ، وكان الضوء فى الغرفة منبعثاً من شمعة واحدة ثبتت فى زجاجة على رف الموقد .

وكانت إحدى جاراتها قد جاءت بطستٍ وإبريق ماء . ولم أجد صابوناً ولا منشفة ، فاستعملت صابونى ومنشفتى . بيـــد أننى مالبثت حتى أحسست أن السكينة واللطف يشيعان فى جو الغرفة برغم ما فيها من آيات الضنك والعسر .

وبعد لأى ولد الطفل دون صراخ ولا جلبة ، ولكن وقع بينى وبين الحامل خلاف يسير ، فقـد حاولت أن أقنعها أن تدعنى أخدّرها بقليل من الكلوروفوم ، فأبت متلطفة ولكنها لم تلن. فسألتها لِمَ تأبى؟ فلم تجب

على سؤالى لساعتها ، بل نقلت بصرها من جارتها العجوز التى كانت تبذل لى معونتها ، إلى النافذة وقد أخذ ضوء الفجر يتسلل منها ، ثم انثنت فجأة إلىّ وقالت على استحياء : « إنها لم تؤلم ، وربُّـك لم يردها أن تكون مؤلمة ، أليس الأمر كذلك يادكتور ؟ »

وقد بقيت أشهراً كثيرة ، كلما رأيت امرأة تعانى أشد الفزع والعذاب من الولادة ، أسمع هذه الكلمة يتردد صداها فى أذنى : « ربُّـك لم يردْها أن تكون مؤلمة » ، حتى بدأت أدرك ، أنا الطبيب المحافظ ، أنه مادام البدن صحيحاً معافى فليس بين وظائفه وظيفة ينبغى أن تؤلم ، وأن الولادة وظيفة عريقة متأصلة فى الأحيـاء ، وقد أرادتها الطبيعة أن تتم بغير ألم .

فَـلِمَ تعذب الولادة بعض النساء ، ولا تعذب غيرهن ؟ وهل ألم الوضع هو الذى يملى على المرأة حالتها العاطفية ، أو هل تكون حالتها العاطفية هى مبعث الألم ؟

وقد قضيت السبعة عشر عاماً الأخيرة من حياتى وأنا أحاول أن أتقصى أسباب الألم فى ولادة النساء المتحضرات ، وأن أقيم الدليـل على أننا نستطيع أن نقضى بعض القضاء على هذه الأسباب . ومن الجلى أن هذا الرأى لا يصدق إلا على الولادة الطبيعية التى تتم بمنجاة من المضاعفات . ولما كان ٩٥ فى المئة من الولادات هى ولادات طبيعية ، فخليق بهذا الرأى أن يكون ذا أثر عظيم .

وعلى قدر ما ارتقى الناس فى سلم الثقافة ، صاروا أشدّ تحكما وإصراراً على القول بأن الولادة محنة يحف بها الألم والخطر . ولا تكاد الفتيات يبلغن مبلغ الشباب حتى يُلقنّ هذه الآراء المقررة الشائعة ، وإذا الذى يستبد بهن من خوف وقلق مما كتب عليهن فى مستقبل أيامهن ، يورثهن توتراً فى نفوسهن وعضلاتهن أيضاً .

تسيطر على حركة الرحم ثلاث طوائف من العضلات : أما الأولى فهى التى تشعر الحامل أن الوضع قد بدأ ، وذلك بانقباضها انقباضاً لا سلطان للإرادة عليه ، فيدفع الجنين شيئاً فشيئاً إلى خارج الرحم . وأما الثانية فهى التى تحمى مدخل الرحم ، وينبغى أن تسترخى فى الوضع الطبيـعى . فإذا ألف عقل المرأة منذ طفولتها ما تثرثر به النساء وما يروى من الأساطير . عدّت انقباض الطائفة الأولى من العضلات « ألماً » ، وإذا بهذا « الألم » الموهوم المتوقع يفضى بها إلى الخوف . وينتهى الخوف إلى توتر فى العضل فيتحول إلى ألم صحيح ، ويطيل زمن الوضع ويلجىء الطبيب إلى تخدير لم يكن له داع فى أول الأمر .

وإذن ، فالخوف والتوتر والألم ، هى

ثلاثة شرور ليست ملازمة للوضع فى نظامه الطبيعى ، ولكن المدنية أقحمتها عليه . وما دام الألم والخوف والتوتر عصبة متلازمة ، ففى الإمكان محو الألم بدفع التوتر وقهر الخوف .

وكل طبيب معالج يعلم أن الإيحاء يبعث الألم. سل الحامل التى جاءها الوضع أين موضع آخر ألم أحست به ، ثم وافقها على أنه كان ألماً شديداً حقاً ، ثم ضع يدك على الرحم ، فتحس أنه قد أخذ ينقبض ، ثم قل لها : « والآن ستبدأين تحسين بالألم ، فجربى أن تخبرينى متى يبلغ أشده . اقبضى على يدى ، أطبقى أسنانك ، احصرى ذهنك فى ألمك ، أطبقى جفونك وتألمى » .

وقول الأم الشاحبة البادية القلق لابنتها وهى تبرح الغرفة : « تشجعى ياحبيبتى » باعث عظيم على الألم .

ومثله قول الطبيب المرح : « هوّنى عليك الآن ، فسأعطيك قدراً كافياً من مخدر آخر حين يشتد الألم ، ولكن ينبغى أن تحتمليه جهد طاقتك »

فإذا أذنت للخوف أن يصطلح هو والألم ، وعززتهما بأقوال تؤثر فى النفس وبالخداع والقسوة ، كان ذلك حسبهما ، وهما عدوان شديدان للولادة ، أن يفسدا الأسلوب الذى ركب فى بدن المرأة لتيسير إخراج الجنين إلى نور الحياة .



تسمع الفتيات أول ما تسمع عن الولادة من صواحبها وأقاربها وسواهن ممن حملن وولدن . وما أكثر النساء اللواتى يسرهن أن يروين ما عانينه من فظائع الولادة ، ثم يهوّلن فيما يروينه كمثل قولهن : « قال طبيبى إن حالتى كانت من أسوأ الحالات التى عالجها »

ولن أنسى ما حييت سيدة متجهّمة كانت تحكم أسرتها بيد من حديد ، وتبسط سلطانها على جيرتها فى قصر زوجها النبيل الوديع . وقد دخلت ذات يوم على عيادتى ، وهى تجر بيدها فتاة بدينة حمراء الوجه فى الرابعة والعشرين من عمرها ، ثم أجلستها فى مقعد قرب مكتبى ، وبسطت قامتها المديدة ، وشدت سترتها كأنها مخنقة . ومطت عنقها لتحررها من ضغط بنيقتها القاسية ، وقالت دون تحية بصوت خفيض متهدج :

« لقد جئت بابنتى إليك ، ولعلها حامل » .

ألقيت نظرة عجلى على يد الفتاة اليسرى ، فاطمأنت نفسى ساعة رأيت خاتم الزواج ، وأما الأم فقد مضت تبين لى أنها لم تألُ جهداً فى شرح الأمر لابنتها ، وأنها ترجو إذا حانت ساعة الوضع أن يكون سلوك الفتاة موسوماً بالشجاعة والصبر ، وفقاً لما أثر من عادات الأسرة وتقاليدها .

أما الابنة فقد أسقطت جنينها بعد شهرين .

وبعد سنتين كانت تعالج من إدمان الخمر . وقد سمعت بعد ذلك أنها طلقت ، أفهناك شك فى أن الخوف كان أصل مصيبتها .

وأنت ترى أن الكتب والأفلام وبرامج الإذاعة والصحف لا تفتأ تعرض على عيون النساء كل ما من شأنه أن يرسخ فى نفوسهن الخوف من آلام المخاض . أفليس من الضرورى إذن أن نتوسل بالتعليم إلى تصوير ما تنطوى عليه الأمومة من سعادة طبيعية حقة ، وينبغى أن تكون الصورة التى ترسخ فى ذهنها ، عما تتوقعه فى حياتها من تجارب الأمومة ، صورة تضم كل ماهو جميل من روائع الحب وثمراته . فإذا تمت لها سكينة النفس والبدن ، وسعها أن تنتظر وهى صابرة مجىء الطفل الذى تجد فى صرخته العذبة التى يستهل بها حياته ، بهجة لا تنفك تذكرها على الأيام ، فتستعيد تلك الموسيق الحلوة فتحيى مرة أخرى فى تلك اللحظة التى جاءت متوجة لحياتها .

وكذلك الحال فى المخاض والولادة . وأنا أؤمن بأنك لا تجد فى الحمل الطبيعى شيئاً ما خليقاً بأن يؤذى صحة المرأة ، أو يفسد عليها سعادتها ، أو يضعف قوبها ما عاشت . فإذا أمكن قهر الخوف بطل الألم . وقد ابتكرت وسائل لقهر الخوف فى نساء كثيرات عولجن فى بحر السنوات العشر أو الخمس عشرة الأخيرة ، فزال عنهن الألم على تفاوت بينهن . وفى وسعى أن أقول إن القول بضرورة معاناة آلام الوضع ، سوف يصبح فى المستقبل غير البعيد ، أثراً من آثار عصر مضى .

ومن المحال أن تتوقَّى الأمهات مخاوف الوضع إذا كن يجهلن الحقيقة . والناس لا يخشون الحقائق ، بل يخشون الأشياء المحفوفة بالشبهات والشكوك .

إن النساء لم يتعلمن قط أصول الحمل والولادة ، فيوم كان العقل البشرى فى بداياته الأولى ، لم تقلقه المخاوف الدخيلة عليه ، فلم يكن ثمة داع يقتضى المرأة أن تتعلم هذه الأصول . فلما كانت العصور الوسطى وانتشرت الآراء الخبيثة عن الولادة ، أهمل أمر إبطالها والرد عليها ، ومنع عن الناس الاطلاع على أسرار الخلق وعجائبه .

ولقد تبينت أن جهل بعض النساء اللواتى عالجتهن بأبسط الحقائق ، بلغ مبلغاً لا يكاد يصدق . وقد عرفت نساء أثقلهن الحمل فكن يعتقدن أن الجنين سيولد من السرة . فلذلك لن أدخر وسعاً فى تعليم النساء حقائق الولادة ، فأرفع لهن الستار عن قصة الحمل والولادة شيئاً فشيئاً شهراً بعد شهر ، بوصف نمو الجنين وصفاً عاما مختصراً . وينبغى أن تنذر الأم قبل ارتكاض الجنين فى أحشائها

أن الاختلاج الضعيف الأول، إنما هو حركة طفلها وهو يحاول أن يروض عضــلاته . وكنت أعطى الحامل سماعتى الطبية فتصغى بها إلى خفقان قلب الجنين .

وسرعان ما لقيت ما يشجعنى على مواصلة السعى ، فقد رأيت نساء كثيرات يدركن الحقيقية بفطرتهن ، وينكرن أن الألم ضربة لازم. ولكن بدا لى أن هذا وحده لا يكفى ، فلم يكن بد من أن أجد وسيلة تقهر أمضى سلاح فى يد العــدو — التوتر . وكذلك نشأت طريقة التدريب على استرخاء البدن . فإذا تم له أن يسترخى استرخاء تاما ، كان من المحال أن يجد الخوف سبيلا إلى نفس صاحبه .

وماذا نقصــد بالاسترخاء ؟ أبدأ فأقول للحامل : « استلقى على هذا المقعد واسكنى واستريحى الراحة كلها ، ثم أعطينى يدك اليمنى ، أعطينى إياها بغــير تحفظ ، أعنى لاتفكرى البتة ماذا أصنع بها ، ولا تحاولى أن تساعدينى فيما أريد أن أفعل ، لأن كل جهد تبذلينهُ لمعونتى يضر أكثر مما ينفع » . فهذه هى الخطوة الأولى، ثم أمسك بالمرفق والمعصم ، وأرفع الذراع قليلا فوق المقعد ، وأقول لها إنى أريدها أن تدع دراعها تسقط كأنها شلو لاحياة فيه . ومن العجب أن ترى عدد كبيراً من الناس لايسعهم أن يدعو أيديهم تسقط على هذا المنوال ، وإنما ينزلونها ببطء ثم يحركون إصبعاً أو يثنون أحــد أصابع القدم . ولا أزال أدربها على هذا حتى أظفر باسترخاء يدها على أتم وجه ، ثم أنتقل إلى طائفة أخرى من العضلات .

وينبغى أن يعد الاسترخاء جزءاً أصيلا فى نظام الولادة الطبيعية ، وينبغى أن يصحبه انصراف العقل انصرافاً تاماً عن كل تفكير فى عمل الرحم . وما أكثر ماقلت لحامل جاءها المخاض : « ليس فى وسعك أن تصنعى شيئاً يعين على الولادة حتى الآن ، فدعى الرحم يؤدِّ عمله دون أن تشغليه بما يعنّ لك من سؤال . فإنك إذا تدخلت فى أمره ساءه ماتصنعين ، فيؤذيك . لاضرورة إلى العجلة فالباب يفتح فى حينه ». وفى كل مرة تقريباً كانت الحامل تجزى بالنجاة من الألم ، إذا هى أخذت بهذه النصيحة .

وقد ترغب الحامل التى جاءها المخاض أن تمسك بيدك ، أو أن تسند رأسها إلى ساعدك، ولكن ليس ثمة شك فى أن ما نطلبه وترغب فيه ، إنما هو أن تستمد القوة من ثقتك بنجاتها من هذه المحنة . وهى محقة حقاً . ففى النفاس تتكشف طباعها الأصيلة : أمن طباعها الصبر أم الجزع ، والشجاعة أم الهلع . ومن النساء من يقول لسان حالها :

« أستطيع وسأفعل » أو « لا أستطيع ولن أقوى على أكثر من هذا » ، فكل امرأة ينبغي أن تعالج على نهج يوافق مزاجها ، ولكنهن جميعاً يشتركن فى شيء واحد ، هو التماس السكينة من قوة من يعينهن على الوضع . ولن تجد حداً تنتهى عنده بسالة امرأة ، إذا بثثت فى نفسها الثقة والإيمان .

بعد سنتين أو أكثر قليلا من ترويض الحوامل على الاسترخاء تأيدت ثقتى بنفعه ، وصار أكثر النساء اللواتى تم وضعهن على أساسه ، ينظرن إلى الولادة نظرة جديدة ، وهذا أهم شأنا فى نظرى . وكثيراً ما رأيتهن يمسكن بجهاز التخدير وهن يعرفن نفعه أتم معرفة ، ولكنهن أبين التخدير ، فقد أصبحن قادرات على أن يفرقن بين العمل الشاق والألم .

ومن البداهة أنه لا ينبغى للمرأة أن تحتمل من العذاب فى سبيل وليدها أكثر مما تطيق ، وينبغى للأطباء المولدين أن يتوسلوا بكل حيلة فتقها العلم لمنع ذلك العذاب . والنساء اللواتى يطلبن التخدير للنجاة من الخوف ، أكثر من اللواتى يطلبنه للنجاة من الألم . فإذا كانت المرأة ممن لا يستبد بها الخوف ، فوجود الألم يدل على شيء غير طبيعى ، ولا بد من علاجه . ولكن إذا كان الوضع طبيعياً وسار كما ينبغى أن يسير ، فقل بين النساء من تحب أن تخدر .

وأنا أستنكر الدعوة إلى تخدير كل امرأة فى المخاض، كما يفعل معظم الأطباء المولدين . فمن الإجرام أن يصر على تخدير وعى امرأة تلد ولادة طبيعية، وتحرص أكثر ما تحرص على أن تشهد جزاء ما بذلت من جهود، وهو جزاء سداه ولحمته سعادة ورضى يجلان عن الوصف . ثم إن العلم لم يكشف مخدراً ملائماً لجميع الأحوال والحالات ، فبعضها يعرقل القوى الطبيعية التى تهيء الوضع ، وغيرها ليس مأمون المغبة على الأم أو الطفل

لقد لقن الأطباء المولدون أن الوضع مؤلم فى جميع الأحوال ، فجعلوا ديدنهم أن يستعملوا بعض المسكنات أو بعض المخدرات، سواء أكان الوضع طبيعياً أم لم يكن ، بل لقد جروا على أن يكذبوا المرأة التى تقول إن الوضع لا يؤلم .

وإنى لأتخيل زمراً من الأطباء فى معاطفهم البيض ، يطلبون الثروة وذيوع الصيت فى بحثهم عن سلاح يدفع عن جميع النساء عدواً لا وجود له فى ٩٥ فى المئة من الحالات. ويغلب أن تكون الشهرة أيسر مقاداً للدواء الذى يفوق غيره فى مشقة أخذه وطول اسمه . ولذلك سرعان ما توارى من ميدان العلاج استنشاق قدر يسير من الغاز المخدر أو الأثير

أو الكلوروفوزم ، وصاروا يحقنون المخدرات تحت الجلد أو فى المعدة أو فى الوريد أو فى العضلات ، أو فى الشرج أو النخاع الشوكى أو أعصاب العجز ، بل فى كل مكان من البدن يمكن أن يحقن فيه. وقد ازداد طول أسماء هذه العقاقير باتساع نطاق استعمالها وغطت شهرتها على الأدوية المألوفة القليلة الحروف.

فإلى متى يدوم هذا العبث، إلى متى؟ ولم لا يحاول بعض أصحاب العقول المتوقدة المتفوقة أن يجربوا طرقاً مأمونة حقا فى منع ألم المخاض ؟ ترى أعقمت عقول العلماء حتى لا ترى شيئاً غير العقاقير والمخدرات ؟ إننا نعلم أن استعمال هذه المواد يفضى أحياناً إلى الموت ، ولما أكثر الأطباء المولدين الذين دونوا ماتلحقه من الأذى بالأم والوليد . وما هو الباعث الذى يحض على البحث عن إكسير يشفى علة يستطاع منعها فى معظم النساء على أيسر سبيل وأهونه ؟ ودعونا نسأل : إلى أى حد تحتمل الأم الألم راضية إذا علمت أن فى نجاتها منه خطراً على تنفس وليدها؟ . .

حقًّا إن التوسُّل بالفكر آمن مغبَّةً من التوسل بعقار خطير . وخير المخدرات وأعظمها أمناً هو العقل المثقف الخاضع لإرادة صاحبه ، ثم يليه الانتفاع باستنشاق مخدِّر خفيف وبالإيحاء فى وقت معاً .

وقد كتب الدكتور جوزيف دەلى من كلية الطب فى جامعة شيكاغو عن الإيحاء فقال: « لقد أكثرت من الانتفاع به ، بل لعلى لم أنقطع عن الانتفاع به ، وإن صدرى ليضيق حين أرى عدد الذين يهملونه من زملائى ، فلا ينتفعون بهذا العلاج القوى المأمون »

وأقول غير متردد إن النتائج التى أسفر عنها توسلى بالإيحاء أول مرة فى حالات الولادة الطبيعية ، قد بهرتنى حتى رحت أشكُّ فى نفسى ، مع علمى بأنى لا أعرف شيئاً عن التنويم المغنطيسى .

ولذلك شاورت رجلا من أكبر الثقات فى هذا الموضوع ، وطلبت منه أن يفحصنى ويمتحن أساليبى ، وقد انجلى الفحص المحكم الدقيق عن إقناعى بأنه ليس ثمة صلة بين التنويم المغنطيسى والانتفاع بالاسترخاء فى التوليد .

ولا تجد بين النساء اللواتى زالت مخاوفهنَّ وأدركن حقائق الوضع ، سوى عدد قليل جداً يحتاج إلى عقار أو إيحاء .

بيد أننى أعود فأقول إننى لا أريد أن أحمل أحداً على الظن بأن الاسترخاء هو السرّ كل السرّ فى الولادة الطبيعية . وهو لن يجدى حقاً إلا إذا أحاطت المرأة بجميع ظواهر الوضع .

وكثيراً ما يقول الأطباء المولدون :

« ولكن وقتي يا سيدي لا يتسع لفعل كل هذا الذي تريد » .

أما جوابي فهو أنه ينبغي لنا أن لا نأذن لشيء كائن ما كان ، أن يسلب امرأة في المخاض عناية الطبيب الذي وضعت فيه ثقتها .

إن الولادة وظيفة طبيعية ، وجزاؤها الأكبر أعظم جداً من كل تضحية تبذل في سبيله ، فهي في حكم قانون الطبيعة كمال الأنوثة في ذلك النظام العظيم الذي سُنّ لتخليد النوع ، وهي الهدف لأقوى العواطف المتأصلة في طبائع البشر .

وقد وصفت نساء كثيرات محنة الولادة فقلن إنها تقترن بسموّ نفسيّ لم يشعرن بمثل قوته من قبل . وطالما شهدت آيات ذلك السموّ ، وأحسست إحساساً قوياً بذلك التحوّل العجيب الذي يطرأ على النساء ساعة يستقبلن أطفالهن ، حتى لأسأل نفسي: لِمَ كان ذلك؟ ليس سبب ذلك رقة الشعور ولا الخلاص من الألم ، ولا الرضى الذي يحس به من أنجز عملا . إنه أعظم من كل ذلك جميعاً . أفكانت مشيئة الله أن يسمو بنفوس الأمهات في تلك اللحظة التي تتم فيها نعمة الحب، تقريباً لهن واصطفاء ؟ أو لعله هو الجزاء الطبيعي للذين يحققون الغرض الأسمى من حياتهم ؟

وكلما أدمت التفكير في هذه الأمور ازددت ثقة بأن الجواب الصحيح عن السؤال الذي وجهته إليّ تلك المرأة التي ولدتها منذ سنين ، هو قولها : « ربُّك لم يردْها أن تكون مؤلمة » .



تعريفات لاذعة

الميزانية: هي وسيلة تكفل لك أن يركبك الهمّ قبل أن تنفق مالك لا بعد أن تنفقه .

السيدة الكبيرة: هي المرأة التي تذكر غيرها دائماً ، ولا تنسى نفسها أبداً .

الزوج: هو رجلٌ يشد أزركِ حين تنزل بك محن ما كانت لتنزل بك لو لم تتزوجيه .

نزوات ممثلة عظيمة

ثادا چان پوردو

مختارات من كتاب "إليانورا دوزى وسيرتها"

فطر ملك ڤرتمبرج مرة أن للملوك والأمراء منزلة خاصة عند الممثلات ، فأرسل ياوره الكبير إلى حجرة دوزى فى المسرح حيث تغير ملابسها، يستأذنها فى أن تستقبل سيده .

فقالت دوزى : « أرجوك أن تعرب عن شكرى لكرم جلالته ، وأن تنبئه بأن عجزى عن استقباله يؤسفنى أشد الأسف » .

ولكن الياور ألح ، فكان رفضها أقوى ، وقالت إنها لا تستقبل فى حجرتها الخاصة سوى أقرب المقربين إليها من أصدقائها ، وأنها لا يسعها أن تبدل ماجرت به عادتها من أجل أحد ولو كان ملكا .

وكان الملك قد عزم على أن يراها ، فتبع الياور وما لبث حتى دق على باب الحجرة .

فقالت دوزى : « من الطارق ؟ »

فقال : « صاحب الجلالة ملك ڤرتمبرج »

فقالت بصوتها الهادىء : « آسفة ، فقد قلت لرسولكم إنه لا يسعنى أن أستقبل جلالتكم . وعلى كل حال فأنا الساعة أبدل ملابسى » .

فقال : « أنتظر » فردت دوزى بأنها لن تخرج من حجرتها مالم يعد الملك أولا إلى مقصورته ، فلم يكن للملك مفر من أن يعود غاضباً إلى مقصورته ، وظل فيها إلى أن انتهت الحفلة .

أما ملك السويد فقد كان أوفر حظاً لأنه عنى بإرسال رسالة مفرغة فى أسلوب السياسى البارع ، قال : « ليس الملك هو الذى يطلب أن تستقبليه ، بل أعظم رعاياك إعجاباً بك » . فاستقبلته لساعتها، وظل يتردد عليها باسم الصداقة لا الملك .

وقد حدث مرة فى بتروجراد أن بيعت جميع تذاكر المسرح ، وأقبل القيصر وأعضاء الأسرة المالكة، واستعد جميع الممثلين للقيام بأدوارهم ، وإذا دوزى تدعو مدير المسرح وتنبئه فى سكينة أنها لن تمثل الليلة .

فصاح بها هلعاً : « ماذا تقولين ! لقد وصل القيصر ، وليس فى وسعى أن أرده ! »

فقالت : « ولم لا تستطيع ؟ فلو فعلت لما وجب عليك أن تعيد إليه ثمن التذاكر ، لأنه لا يدفع ثمن تذاكر الحضور » ووضعت قبعتها على رأسها ومضت إلى الباب وهى تقول : « دبر أمرك ما وسعك التدبير » .

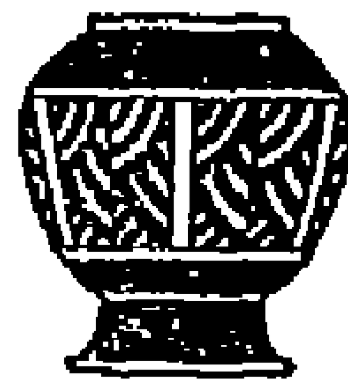
فقال : « رباه . لا حيلة لى ، وكيف أدبره ؟

لامفر لك من أن تمثلى ، ولا يحق لك أن تستسلمى لنزوة طارئة حين يكون أصحاب التيجان فى المسرح » .

فقالت : « أوتظنُّ أيها الأبله أن أصحاب التيجان أهم فى نظرى من سائر الناس ؟ فالتمثيل الليلة غير محبب إلىّ ، ولن أفعل مهما يكن شأن النظارة الذين فى مسرحك » .

كان الملك إدوارد السابع ، يوم كان ولياً للعهد ، مقيماً فى مدينة كان على ساحل الريفيرا ، وكانت فرقة من كبار الممثلين الإيطاليين تمثل فيها وعلى رأسها إليانورا دوزى . وأمّ الأمير المسرح ذات ليلة فسمع مدير الفرقة بذلك ، فهرول إليه يعتذر لأن المسرح رثٌّ فقال الأمير :

« وماذا يضير ؟ إنه يسرنى أن أذهب إلى إصطبل حتى أسمع دوزى الساحرة . فقيمة الصورة الرائعة ليست فى إطارها » .



سر العلاج

كان المرضى المنتظرون فى العيادة منهمكين فى وصف ما يعانون من علل ويتحسرون على أيام الصحة والعافية ، ويواسى بعضهم بعضاً ، فتزداد أوصابهم وطأة عليهم دقيقة بعد دقيقة . على أننا لم نلق بالنا إلى سيدة نحيلة عجوز كانت جالسة هناك ، فإنها لم تنبس بكلمة حتى سألها أحدنا عن علتها ، فترددت قليلا ، ثم ذكرت اسم مرضٍ مستعصٍ لا علاج لهُ .

خيم السكون علينا ، وخيّل إلينا أن متاعبنا ليست شيئاً يذكر حيال مصيبة هذه السيدة . فلما دخلتْ العيادة على الطبيب ، أحسسنا جميعاً أننا صرنا أحسن حالا . فلما جاء دورى وفرغ الطبيب من فحصى ، وصفت له كيف تغيرت حال المرضى بعد الذى كان من كلام السيدة العجوز .

فابتسم الطبيب وقال : « إن أمى تحبُّ أن تجلس هناك وأن تحتال على تحسين حال المرضى بطريقتها هذه ، وكثيراً ما أقول لنفسى : « لعل علاجها أنجع من علاجى » .

[مسز س . ب . جنصن]

أسلوب يتيح لأطفال المدرسة أن يتعلموا دروساً نافعة مجدية خارج دور التعليم



مدرسة في الخلاء

إيمي پورتر

مختصرة من مجلة "كولييرز"

كان الثلج على عمق قدم ساعة دنونا من البحيرة ، فرأينا خلل الأشجار جماعة من الأولاد والبنات في شغل شاغل حول نار مشبوبة في العراء .

فقال الدكتور جورج دونلدسن : «ليس ماترونه نزهة خرج فيها هؤلاء الصغار، إنما هم يحضرون دروساً في العراء لا في داخل الدور»

والدكتور دونلدسن يدير مدرسة عامة هي الأولى من نوعها ـ فما هي سوى مخيم يضرب في الأرض الفضاء فيؤمه الطلبة للدراسة على مدار العام. تفد عليه الجماعة منهم مؤلفة من ستين من أطفال المدارس ومعلميها ، فتقضي فيه أسبوعين ثم تبرحه ، ولا تكاد جماعة تعود أدراجها حتى تقبل أخرى تحل محلها

ومنذ سبتمبر ١٩٤٤ يوم بدأ دونلدسن تنفيذ هذا المنهج ، لم يكد يمر أسبوع دا أن يزور هذا المخيم من يمثل مدرسة المدارس أو نظاماً من نظم التعليم. وقد ع رجال المعارف على إنشاء سبعة مخيمات غراره ، فيكون عملهم الخطوة الأولى سبيل توسيع نطاق التعليم في الخلاء . و أنشأت مدارس المعلمين مخيمات لتدر المعلمين على أساليب تربية الأولاد في الخلا

ويعتقد أهل التربية أن التربية القو وتدريب الناس أفراداً وجماعات على خلا المبادرة إلى الخير ، والإقدام على حمل التبعة ،

والتسامح ، وحسن الأدب ، ومعرفة ثروة الأرض ، والتمتع بجمال الطبيعة ، لهوضرب من التعلم تحصيله فى الخلاء خير من تحصيله بين جدران الدور ، ففى الخلاء يستطيع الطفل أن يتعلم بالنظر واللمس والشم واستعمال عضلاته — وبتعاون الجماعة .

والحاجة إلى هذا الضرب من التجارب المفيدة لاتقتصر على أطفال الأحياء الفقيرة فى المدن الكبيرة . ومدينة « باتل كريك » التى أنشئت فيها هذه المدرسة قائمة فى الريف ، ومع ذلك فقد ظهر من استفتاء تم بين ٣١ من تلاميذها ، أن ٢٨ تلميذاً منهم لم يخرجوا من قبل إلى التنزه فى الغابات .

فلنلق نظرة على جماعة جديدة من الصغار وصلت لساعتها إلى المخيم . فقد جمعهم الدكتور دونلدسن فى ساحة واسعة ، ورحب بهم فقال : « أمامنا أسبوعان ، فنريد أن نستمتع بكل دقيقة من دقائقهما . وثمة أشياء كثيرة نصنعها : من طهى فى الخلاء ، ورحلة إلى منازل الطير ، وتزحلق على الجمد أو الانزلاق على الثلج — وستجدون فى الورشة أدوات بديعة تنتظركم . ونحن فى حاجة إلى إعداد متى مايلزم للصغار الذين يؤمّون هذا المخيم فى الصيف ، فثمة زورقان ينبغى أن يجرا إلى الشاطىء ، أفلا تبذلون لنا معونتكم ؟ »

يتفرق الأطفال جماعات جماعات فى أكشاك ، ويكون لكل جماعة مستشار أو مستشاران فتضع منهجاً لعملها وجدولاً لمواعيده . وعسى أن تجد جماعتين تطلبان شيئاً واحداً فى وقت معاً ، كاستخدام مركبة ذات غطاء للقيام برحلة تستغرق نهاراً وليلة . فيسوى هذا الخلاف وما كان على غراره ، فى اجتماع يسوده النظام . ولست تسمع أحداً من الصغار يجرى على لسانه ألفاظ « الخير العام » « والإنصاف » ولكنهم جميعاً يجرون على مقتضاها .

ولا يوافى اليوم الثانى حتى ترى كل فرد فى شغل شاغل ، فيتولى اثنان أو ثلاثة من الصغار عمل الصراف ، ويقوم أربعة على متجر البقال ، فيبيع الطعام لأية جماعة تنتوى رحلة تستغرق النهار كله ، وتعنى جماعة أخرى برصد حالة الجو فى الصباح ، فقد أنشىء على طرف مرسى البحيرة جهاز يصلح لرصد حالة الجو هناك .

وكل عمل فى المخيم له أبداً غاية . فالأولاد والبنات يختزنون الخشب للنار ، أو يطلون الأكشاك أو المعدات بالدهان ، أو يمهدون طريقاً ويفرشونه بالحصى . والصغار أنفسهم هم الذين يضعون الخطة لعملهم ، ثم ينفذونها ثم يقدرون ماصنعوا ، وهل أجادوا أو لم يجيدوا ، ويحصون على أنفسهم ما أحسنوا فيه وما أساءوا .

والنظام الذى يسيرون عليه هو النظام

الذى تأخذهم به الحياة فيما بعد . فقد عهد ذات يوم إلى أحدهم أن يعدّ بيضاً مقليًّا للفطور ، فأخذ يختال أمام إخوانه ويثب ويطلق النكات ، وأخيراً اندلق البيض على النار .

فلم ينبس المستشار بكلمة ، ولكن الصغار الجياع هجموا عليه ونكلوا به . فإذا أراد أحدهم اليوم أن يخفف من غلوائه ، فحسبه أن يهمس قائلا : « أتذكر البيض ؟ »

وقد ذهبت إحدى الجماعات ذات مرة مع مستشار لتقطع شجرة وتنتفع بحطبها وقوداً ، فشرح لهم صناعة الاحتطاب وتجارة الخشب وما لها من منزلة فى تاريخ تلك الناحية. وفى اليوم التالى بادر الصغار فقطعوا ثلاثة أميال من تلقاء أنفسهم ليشاهدوا مصنعاً ينشر فيه الخشب ، فتعلموا مما رأوا كيف تحول القطعة من جذع الشجرة ألواحاً من الخشب — فبعد ذلك صار للتاريخ والجغرافية شأن أكبر فيما يدرسون ويعملون .

وقد تعلموا على هامش هذه الرحلة، شيئاً من الحساب، وأسباب الوقاية، وتبعة الجماعة ، والخطابة والكتابة . وتعلموا أيضاً شيئاً عن التغذية ، لأن الصغار دبروا أمر طعامهم بأنفسهم مسترشدين بمرشد الطعام فى المخيم، واشتروا الطعام من مخزن المخيم وأعدّوه بأيديهم. وقد عنوا بوصف رحلتهم إلى مصنع الخشب فى الرسائل التى بعثوا بها إلى أهلهم (دون أن يفطن أحد منهم إلى أن ما كتبوه كان أيضاً تمريناً على الإنشاء) .

فإذا ما دب الدفء فى الجو والأرض، قام الصغار فى رحلات لدراسة طبقات الأرض ، أو لصيد السمك، أو زاروا المزارع المجاورة . والمستشار فى رحلة طبقات الأرض لا يحاضر فى علمه ، ولكنه يلتقط حجراً ويضرب به بسكينه حتى يقدح شرراً ، وحسبه هذا حتى تنهال عليه أسئلة الصغار : ماهذا ؟ أتسمح لى بأن أجرب ؟ خير لك يابنى أن تلتمس حجراً مثله . أهذا حجر النار ؟ كلا هذه قطعة من حجر فيه حديد . ولكن ليس فى هذه الناحية صناعة حديد؟ فكيف جاء الحديد إلى هذه الأرض . . ؟ وكذلك يتصل الحديث إلى بحث أنهر الجمد وتأثيرها فى صفة سطح الأرض فى تلك الناحية.

والتسامح بين أجناس الناس جزء أصيل من الحياة فى ذلك المخيم — ولكنك لن تجد أحداً يتحدث عنه. فالصغار على اختلاف أجناسهم وعقائدهم يعملون معاً ، ولا يلتفت أحد منهم إلى هذا الاختلاف أو يعيره أقل عناية . فإذا اتفق — وهذا نادر — أن أفضى الحديث إلى ذكر الأجناس والأديان، دعاهم المستشار إلى اجتماع يقتل فيه الموضوع بحثاً ، ويعرب الذين يختارون لتمثيل جماعتهم إعراباً حراً عن آرائهم .

فلا غرو إذن أن ينشط طلاب المدارس بعد أن يقضوا أسبوعين فى هذا المخيم.

وإعداد الموظفين لإدارة مخيم مدرسى على هذا الغرار من أكبر المشكلات، فهذه فرصة متاحة لمقدم من مقدمى الكشافة، أو لمدرب من مدربى الرياضة. وقد يتطوع للعمل فيه جماعة من الشباب الذين تدربوا على تنظيم الرحلات، أو الذين يحبون الصيد ويحسنونه، ويسرهم أن يدربوا الصغار على أساليبه، وكثير من معلمى المدارس يرغبون فى بذل معونتهم.

ونفقة المخيم ليست بالكبيرة، فقد أدار دونلدسن مخيما فى الصيف فلم يكلفه أكثر من ألف ريال — وذلك يشمل تكاليف المبانى والمعدات، فقال: «ولسنا نصنع شيئاً تعجز عن مثله أية مدرسة من المدارس».



براعة سياسى

قليل من رجال السياسة من يعدُّ نداً لدڤاليرا الزعيم الإرلندى فى الحذق والبراعة وسعة الحيلة، فإذا احتدم الجدال هداه حسن التدبير إلى كسب المعركة مرة بعد مرة وسنة بعد سنة. وقد سألت مرة رجلا من المقربين إليه كيف يتسنى له ذلك، فروى لى القصة التالية.

« أراد قسيسان أحدهما من الجزويت والثانى من الدومنكان أن يدخنا فى أثناء تمشيهما فى حديقة الدير، فاتفق رأيهما على أنه ينبغى لهما أن يسألا الرئيس أن يأذن لهما، فذهبا إليه، وعاد الدومنكانى فألفى الجزويتى يدخن. فغضب وقال: «إن الرئيس قد ردَّ سؤالى، فكيف قبل سؤالك!»

فسأله الجزويتى: «ماذا طلبت؟»

فقال الدومنكانى: «طلبت أن يؤذن لى أن أدخن وأنا أذكر الله».

فقال الجزويتى وهو ينفخ الدخان: «أما أنا فقد طلبتُ أن يؤذن لى أن أذكر الله وأنا أدخن».

وقال صديق دڤاليرا وهو ينفخ الدخان: «وهذه هى طريقة صاحبنا دڤاليرا».

[ج. ب. ماك إيفوى]

فصل خفي من التاريخ

لماذا لم يغزُ الحلفاء أوربة في صَيف ١٩٤٣

مارتن سومرز

مختصرة من مجلة "ذى ستردای ایفننج بوست"

هذه مقالة تميط اللثام عن خطة جريئة وضعت لغزو نرمندى قبل غزوها بسنة كاملة ، وعن قصة مؤتمر البيت الأبيض الذى أرجأ تنفيذها .

ربما كان فى وسعنا أن نقول إن بلاغة تشرشل قد حولت مجرى التاريخ فى ليلة مقمرة من ليالى شهر يونيه ١٩٤٢ حين كان ضيفاً على البيت الأبيض .

كان مستر هارى هوبكنز ، رسول الرئيس روزفلت وموضع ثقته ، قد سافر إلى لندن قبل ذلك بشهرين على رأس بعثة عسكرية من بين أفرادها الجنرال مارشال وبعض معاونيه ، وفى جعبتها تفاصيل خطة حربية ترمى إلى غزو أوربة من المانش فى أوائل شهر يوليو سنة ١٩٤٣ لا سنة ١٩٤٤ ، وتكون مقاطعة نرمندى هى الهدف الأول ، ويحشد لهذا الغزو كل ما لدى الحلفاء من قوة فى وسائل النقل والطيران والمدافع والجند ، ومع التريث فى قتال اليابان حتى يتم النصر على ألمانيا .

وكان الجنرال مارشال يؤمن بأن هذه هى الخطة الوحيدة الكفيلة بإنزال الهزيمة بألمانيا فى أقرب وقت وبأقل نفقة ، ولكن بقى أن يقتنع البريطانيون بهذه الخطة .

وشرح الجنرال مارشال هذه الخطة ببيان كشف عما عرف عنه من وضوح العبارة



كانت خطة تشرشل قديمة معروفة

وبراعتها . ولاقت الخطة معارضة كبيرة ، وبخاصة فى أثناء الجلسات التى عقدت فى دار رئيس الوزارة البريطانية، واشتد الجدال يومئذ . وقد حضر الملك جورج إحدى تلك الجلسات ، وأخيراً وافق البريطانيون على تنفيذ خطة الغزو فى سنة ١٩٤٣ وطار هوبكنز ومارشال عائدين إلى وطنهما .

وبعد أن غادرا بريطانيا وقعت أمور غريبة كما تبين ذلك فيما بعد. فقد وصل اللورد لويس مونتباتن إلى وشنطن فى ٣ يونيو سنة ١٩٤٢ ونزل ضيفاً على البيت الأبيض . ومونتباتن رجل ودود حلو الحديث من أولئك النبلاء الذين يُشتهى السمر معهم ، وكان روزفلت يهوى هذا الطراز من الناس . وشرع اللورد ذات يوم بعد وصوله بقليل ، يتحدث إلى روزفلت خمس ساعات متتالية عن وجوب العدول عن تلك الخطة ، وأعرب عن ارتيابه ومخاوفه وشكوكه فى نجاحها ، كما أدلى بحجج قوية تؤيد رأيه .

وظل اللورد أسبوعين يتابع جهوده فى البيت الأبيض ، ثم لحقه تشرشل يوم ١٨ يونيو ، فارتاح للجو الذى هيأه له مندوبه، وأخذ يندد بخطة الغزو فى سنة ١٩٤٣ ، ويدافع عن خطة أخرى تقوم مقامها ، واستعان بكل مواهبه فى البلاغة والفصاحة للتدليل على أن أول ضربة توجه إلى القلعة الأوربية ينبغى أن لا تتأخر سنة كاملة . وأن الحلفاء ، والبريطانيين خاصة ، لايسعهم الاحتفاظ بحشد كبير من الجند أو إطعامه وهو معطل لاينتفع به ، على حين أن الرأى العام يلح على عمل شىء ، وأن مثل هذا العمل واجب لتقوية الروح المعنوية فى الشعب . إذن فالحل السريع هو توجيه الضربة فى أقرب وقت مستطاع فى منطقة البحر الأبيض المتوسط. فإذا طرد الألمان من شمال إفريقية، وجب احتلال جزيرة صقلية وغزو أوربة عن طريق البلقان .

ولم تكن الخطة التى نصح بها تشرشل إلا خطة قديمة معروفة فى التاريخ الحربى، تم بمقتضاها السيطرة على أوربة بغزوها عن طريق الممر التاريخى الممتد من بلغراد إلى وارسو . واهتم تشرشل ببيان العلل العسكرية التى ترجح تلك الخطة ، ولكن حجته الأولى استندت إلى أسباب سياسية . كانت الحكومة البريطانية قلقة على علاقاتها الحساسة باستراليا ومصر والهند وجنوب إفريقية ، وعلى مدى تحمل سكان الجزائر البريطانية للأهوال التى يلاقونها. فإذا ثبتت

مارتن سومرز هو محرر الشئون الخارجية فى مجلة « ستردای إيفننج بوست » ، وقد اشترك فى الحربين العالميتين ودرج بينهما فى مدارج الصحافة حتى صار له ذكر نابه ومنزلة ملحوظة .

بريطانيا أقدامها على جانبي البحر الأبيض المتوسط ، ووثقت بأن شريان الإمبراطورية قد صار أوفر أمناً مما كان وقت السلم ، فلا جرم أن تقوى عزيمة أستراليا وجنوب إفريقيـة ، وأن تتوثق صلة مصر والهند بالإمبراطورية البريطانية. وأيضاً فإن الحرب إذا بعد ميدانها عن الجزائر البريطانية بحيث يتسنى لأهلها أن يتنفسوا الصعداء قليلا ، أمكنهم عندئذ أن يستعيدوا ما فقدوه من القدرة على المقاومة .

ولم يكن الحديث قد جرى بين تشرشل وروزفلت إلا فى اجتماعات قليلة بعقب طعام العشاء. إلى أن جاءت الليلة التاريخية فى شهر يونيه، ونشط موظفو البيت الأبيض بعـد الساعة العاشرة مساء بدقائق قليلة، وأرسلوا دعوة عاجلة لعقد اجتماع الهيئة العسكرية العليا لبريطانيا والولايات المتحدة ، وألقى تشرشل على أعضائها خطبة طويلة جيّاشة بالقوة عدها بعض الحاضرين أروع خطبة نطق بها لسانه .

وكانت حجج تشرشل هى أن غزو أوربة عن طريق المـانش فى سنة ١٩٤٣ سابق لأوانه ، فإن ألمـانيا لا تزال محتفظة بقوتها كاملة ، وأنه يخشى أن يتكرر فى هذا الغزو نكبة كنكبة دنكرك على نطاق هائل. وعلى كل حال فالحاجة ماسة إلى هجوم كبير قبل سنة ١٩٤٣. وبعدئذ تسامى تشرشل فى خطبته إلى قمة بلاغته وفصاحته ، ليصل إلى إقنـاع الحاضرين بفكرته التى ترمى إلى غزو شمال إفريقية ، ثم عبور البحر الأبيض المتوسط والوصول إلى ممر بلغراد ثم وارسو. وأخذ تشرشل يشير بعصا رفيعة إلى خريطة العالم ، فتتبين مواقع البلقان وإيطاليا وقسم كبير من أوربة وقد احتلتها جيوش الحليفتين الظافرة، تاركة روسيا بمنأى عن الأدرياتيك والبحر الأبيض المتوسط ، بحيث تبقى حبيسة داخل حدودها كما كانت قبل الحرب .

ولما أتم تشرشل خطبته طلب روزفلت إلى الجنرال مارشـال أن يقول كلمته ، فلم يكد ينهض حتى التفت إلى ضابط طويل نحيل وقال إنه هو الذى سـيتكفل ببيان رأى أمريكا فى وجوب القيام بهجوم عام من المانش سنة ١٩٤٣ ، ووجوب الامتناع عن أى عمل حربى آخر قبل ذلك .

ولم يكن هذا الضابط إلا ألبرت كودى ويدماير الذى درس فى الجامعة الحربيـة ببرلين من أغسطس ١٩٣٦ إلى يونيه سنة ١٩٣٨ ، ثم ضمّن ما اكتسبه من هذه الدراسة فى تقرير دقيق مطول استرعى نظر الجنرال مارشال ، فاختاره ليصبح مستشاره الأول فى وضع الخطط الحربية . فكان هو الذى ساعد فى رسم خطة غزو أوربة من

المانش سنة ١٩٤٣ ، ودافع عنها بحرارة في مؤتمر لندن في شهر إبريل السابق — لهذا وثق الجنرال مارشال بأنه لن يتهيب الدفاع عن خطته بكل حماسة .

وشرع ويديماير يدلي بالحجة تتلوها الحجة ويؤيدها بالأسانيد الثابتة للدفاع عن رأيه ، وهو أن الحلفاء لقلة سفنهم لن يقووا على مواصلة الزحف من البحر الأبيض المتوسط إلى وارسو . وأخذ يبين وعورة تلك المناطق وخلوها من أرض تصلح مهابط للطائرات . ثم انتقل إلى ذكر الأسباب الموجبة للمبادرة في سنة ١٩٤٣ بشن هجوم كبير من المانش واجتياز فرنسا وألمانيا والوصول إلى بولندة . وأفرغ ويديماير في سبيل تأييد رأيه كل ما في جعبته من علوم تلقاها في الكلية الحربية ببرلين ، كما استند على دراسته لإمكان قيام الروس بهجوم من جانبهم في الوقت نفسه . وأخذ يتلو من ذاكرته كافة المعلومات التي دأب مكتب المخابرات على جمعها منذ عدة شهور مضت ، وتلا أرقاماً ضخمة ليدلل بها على أن الأمريكيين إذا تريثوا في قتال اليابان ، اجتمعت لهم قوة من السفن والطائرات والمدافع والجند تمكنهم من الهجوم في سنة ١٩٤٣ . واعتقد بعض الذين شهدوا هذه المناقشة في تلك الليلة التاريخية أن قضية ويديماير كانت هي الرابحة .

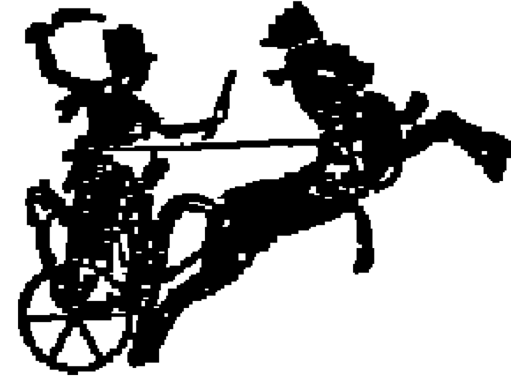
وليس يتسع المجال لذكر النتائج التي أعقبها هذا الاجتماع لأنها طويلة معقدة ، ولكن يكفي أن نذكر نتيجتين كان لهما أثر حاسم : ذلك أن تشرشل نجح بفضل مكانته لدى روزفلت في تغليب رأيه الذي يرمي إلى العدول عن اجتياز المانش سنة ١٩٤٣ ، ولكنه أخفق في تنفيذ عزمه على الهجوم عن طريق بلغراد وارسو ، لأن الخبر ترامى إلى الروس فاشتد اعتراضهم عليه . وأراد تشرشل أن يوفق بين رأي الأمريكيين ورأيه ، فنال موافقة روزفلت على غزو صقلية بعد انتهاء معركة شمال إفريقية .

ويعتقد بعض القادة الحربيين أنه لم يكن هناك داع لمعركة شمال إفريقية وإيطاليا ، وأن يوم النصر الأخير قد تأخر بسبب إخفاق الحلفاء في شن الهجوم من المانش سنة ١٩٤٣ ، دع عنك ما جره ذلك التأخير من خسارة في الأرواح والأموال .

فالمستندات التي بين أيدينا اليوم تدل على أن ألمانيا لم يكن لديها في صيف سنة ١٩٤٣ لصد الغزو سوى عشرين فرقة في فرنسا وهولندة ، ثم أصبح لديها ٥٨ فرقة حينما بدأ الحلفاء غزوهم في سنة ١٩٤٤ . وانتفعت ألمانيا بتأخير الغزو سنة كاملة ، إذ أتاح لها وقتاً كافياً لتحصين السواحل والحصون

الغربية . كما تحقق أيضاً ما قاله بعض رجال الحلفاء عن مقدرة الجيش الروسي على النيل من الجيش الألماني في شتاء سنة ١٩٤٢-١٩٤٣، إذ حوصر الجيش الالماني السادس في ستالنجراد وضاع كله أثناء ذلك الشتاء، ولم يبق لدى ألمانيا تلك القوة التي حسب تشرشل حسابها، ومنعته عن الهجوم على أوربة بطريق المانش في سنة ١٩٤٣

ومهما يكن نصيب القرار الذي صدر في البيت الأبيض في تلك الليلة التاريخية من الخطأ أو الصواب، فإن النتائج أصبحت الآن واضحة، فقد صارت روسيا اليوم في أوربة في مركز أقوى من مركزها لو أن الحلفاء اكتسحوا ألمانيا جميعها ووصلوا إلى وسط أوربة، وأصبحت لهم فيها قدم ثابتة يوم انتهى القتال .



اليد الرفيقة

في ليلة عاصفة من ليالي الشتاء الماضي دخلت سيدة عجوز طائرة من طائرات الركاب، فقالت لي عندما أخبرتها أني الضابط الموكل براحة الركاب، إن هذه الرحلة هي رحلتها الأولى في طائرة . والتفتُّ إلى حالة الجو وقلت في ذات نفسي، ليست الليلة أوفق ليلة لرحلة سيدة عجوز، فقد كان المطر والبرد يسقطان على نوافذ الطائرة كالرصاص المنقذف من مدافع رشاش . وخيل إليّ أن الجزع قد استبدّ بها . فلما درجت الطائرة تمهيداً للتحليق ذهبتُ إليها وجلست على ذراع مقعدها وأخذت يدها الباردة في يدي، فأسلمتني يدها وضغطت بها على يدي .

فلما استوت الطائرة في الجوّ وصار الطيران مأموناً، وقفت حتى أعود إلى مقعدي فقالت : « اسمع يا بني، إذا استبدّ بك الخوف ساعة ندنو من النزول في المطار التالي، فعد إليّ فأمسك يدك حتى يسكن روعك » .

[بلاين هورس]

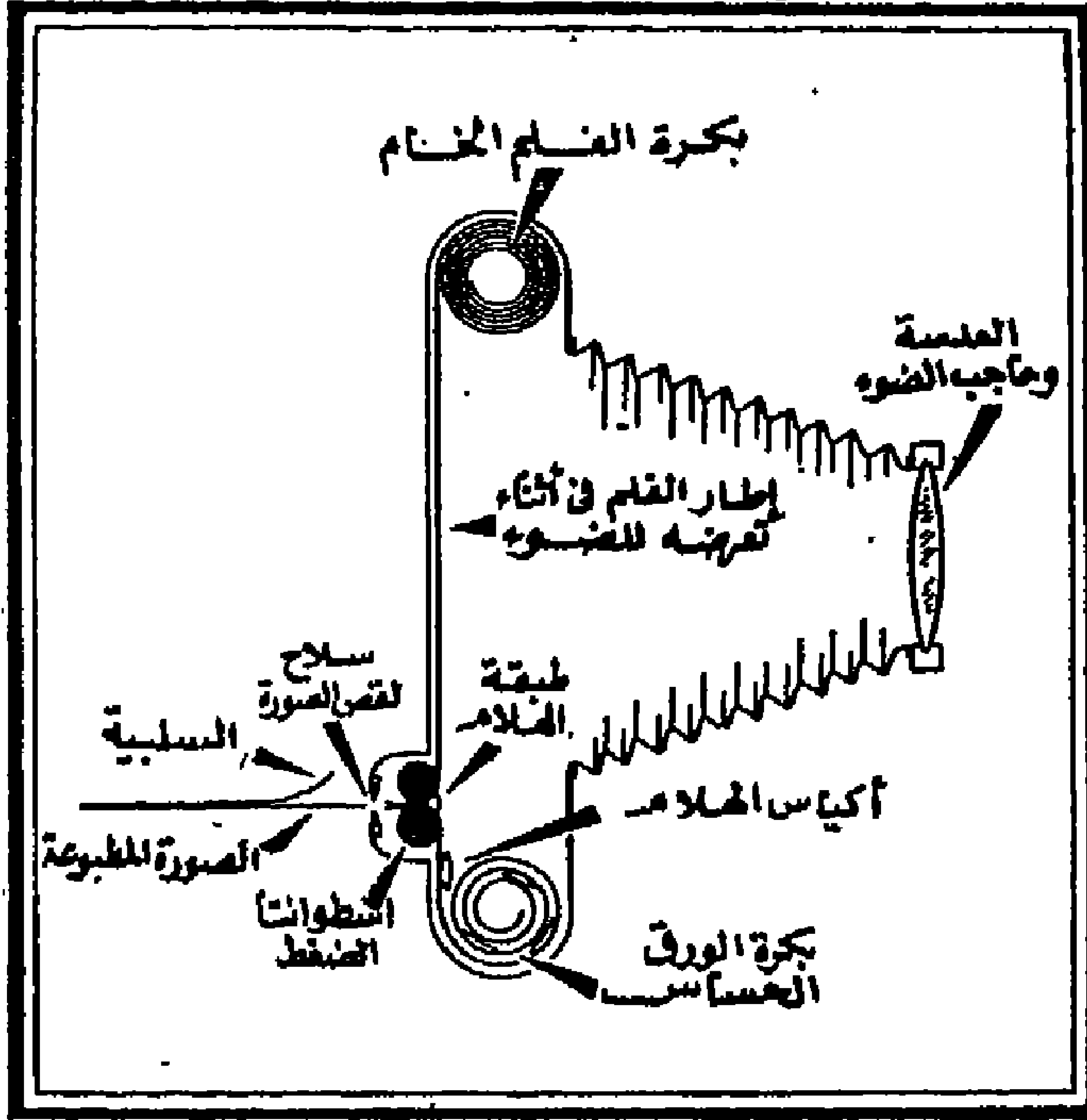
مرحلة من أهم مراحل التقدم فى التصوير الضوئى .

خُذْهــا صُــــوَرًا بلا انتظار

هارلند مانشستر

مختصرة من

مجلة "سيانتفيك أميركان"



منذ سنوات كان أحد العلماء يصوّر ابنتيه الصغيرتين فى الريف ، فتمنىّ لو اخترع أحدهم مصوّرة تتيح لك أن تعرف لساعتك هل نجحت الصورة التى صوّرتها بها أو لم تنجح .

وقد كان ذلك العالم إروين هـ . لاند الذى يعدّ أحد المبتكرين المبدعين فى صناعة أدوات الإبصار . وقد عُنى عناية صادقة بتلك الأمنية التى جالت فى نفسه ، ودأب عليها حتى ابتكر أسلوباً جديداً كلّ الجدة فى التصوير الضوئى يُستغنى فيه عن ضرورة تحميض الفلم وطبع الصور منهُ وعن جميع المعدّات اللازمة لذلك . ففى الأسلوب الجديد يتمّ كل هذا العمل من تلقاء نفسه بسرعة وفى جوف الآلة المصوّرة .

وكانت شركة « بولارويد » التى أنشأها لاند وتولى رئاستها مشغولة يومئذ بأمور أدنى إلى اهتمامها، فقضى لاند شهوراً كثيرة لا يستطيع أن ينفق على أسلوبه الجديد سوى القليل من وقته .

ولكنهُ سرعان ما جعل يصوّر الصور بآلة للتصوير اتخذها لنفسه من أحد أنواع مصوّرات كوداك ، وجعل جزءها الخلفى أوسع مما تراهُ عادة فى هذه الآلات ،

وركب فيه يداً تدار كاليد التي كانوا يحركونها في مقدمة السيّارة لتسيير محرّكها . وكان لاند إذا ما صوّر صورة أدار هـذه اليدَ بضع دورات ، كأنه يلف فلماً على أسطوانته ، ولكنه كان في الواقع يحمض الفلم ويصنع الصورة في وقت معاً ، فلا تنقضي ستون ثانية حتى تكون الصورة التامة بين يديه . فلما خفت وطأة مطالب الحرب في شركة لاند عين جماعة من الخبراء لإتقان المشروع الذي شرعهُ .

وقد أذيع نبأ الأسلوب الجديد في اجتماع « جمعية البصريات » في أمريكا ، فعدّهُ الثقات مرحلةً من أعظم مراحل التقدم في تاريخ التصوير الضـوئي . والأسلوب بسيط من الناحية الميكانيكية ، وفي الوسع الانتفاع به في صنع آلات التصوير مهما تباينت أحجامها وأثمانها — سواء صنعت للهواة أو لرجال الصناعة أو أهل العلم أو الحرب .

ومصوّرة لاند تشبه المصوّرة المألوفة من وجوه كثيرة . فإذا أردت أن تملأها وضعت فيها فلماً من الأفلام الشائعة ولفة من ورق طبع الصور ، فتدخل الفلم والورق بين الأسطوانات . فإذا أخـذت صورة حركت يداً تشدُّ الفلم الذي كشف للضوء وتشد الورق من خلال شقّ ، وقد ألصق بالورق في مواضع بعينها كيس رقيق مصنوع من رقائق المعدن يحتوي على قدر مقدّر من هلام لصّاق . فإذا ما أدرت اليد ضغط أحد هذه الأكياس ، فيخرج منه الهلام وينتشر انتشاراً متساوياً بين الفلم والورق ، فيخرجان من المصوّرة معاً كأنهما شطيرة قوامها قطعتان من الخبز بينهما رقيقة من الزّبد . وساعتئذٍ تقطع الشطيرة بسلاح مسنون مركب في الشقّ .

وهذه الشطيرة التي بين يديك الآن ، هي بمنزلة غرفةٍ مظلمة ، لأن على سطحها الأعلى والأسفل طبقتين لا ينفذ فيهما الضوء ، ثم تنتظر دقيقة فإذا الهلامُ يحمض الفلم ، ويطبع الصورة على الورق ، ثم تسلخ الفلم من الورق . فإذا بين يديك صورة جافة يحيط بها إطار أبيض . وليس لزاماً عليك أن تتعجل العمل إلا إذا أردت ذلك . فلا خطر على الصورة إذا تركت الشطيرة كما هي زمناً طويلا ، لأن الفعل الكيميائي الذي يحدثهُ الهلام ينتهي إلى تمامه ثم يكف من تلقاء نفسه .

وقد صنعت ضروبٌ أخرى من أسلوب لاند تتيح للمصوّر أن يطبع من الفلم الواحد صوراً متعددةً بالطريقة المألوفة بعد أن يتم طبع الصورة الأولى ، بيد أن معظم الهواة يؤثرون في الغالب أن ينبذوا الفلم السلبي بعد طبع الصـــورة الأولى ، وأن

يصوروا صورة جـديدة ، أو أن يصنعوا نسخاً من الصورة الأولى .

وطريقة لاند فى صنع الصور على هذا المنوال تبدو كالسحر ، وتنطوى على انقلاب أصيل فى عمل التصوير الضوئى . ومنذ أن صنع مصوِّرته الأولى تراهُ قد صـور هو وأعوانهُ ٢٠ ألف صورة أو نحو ذلك ، فى داخل البيوت وفى الخلاء ، وقد كانت صور أشخاص أو صـور مشاهد طبيعية فى مختلف الأحوال . وقد عرَّض الصور المطبوعة لضوء قوىّ عسى أن تتغير معالمها أو يحول لونها ، وامتحنها بتعريضها للبرد القارس أو الحرارة الشديدة أو الرطوبة العالية . وقد أسفرت هـذه التجارب عن أن الصـور تصلح لجميع الأغراض التى تتخذ لها كصلاح الصور المصنوعة بالأسلوب المألوف الآن. غير أن لاند يؤثر أن تستعمل مصورته بين درجة الصفر بمقياس سنتجراد ودرجة ٣٨ ، وليس احتياجها إلى ضبط زمن التعريض للضوء أكثر من احتياج المصوِّرات الشائعة . ولكن الفرق هو أنك تستطيع أن تستكشف لساعتك فى مصوِّرة لاند هل ارتكبت خطأ ما فى أخذ الصورة . فإذا عرفت ذلك أخذت صـورة أخرى من فورك .

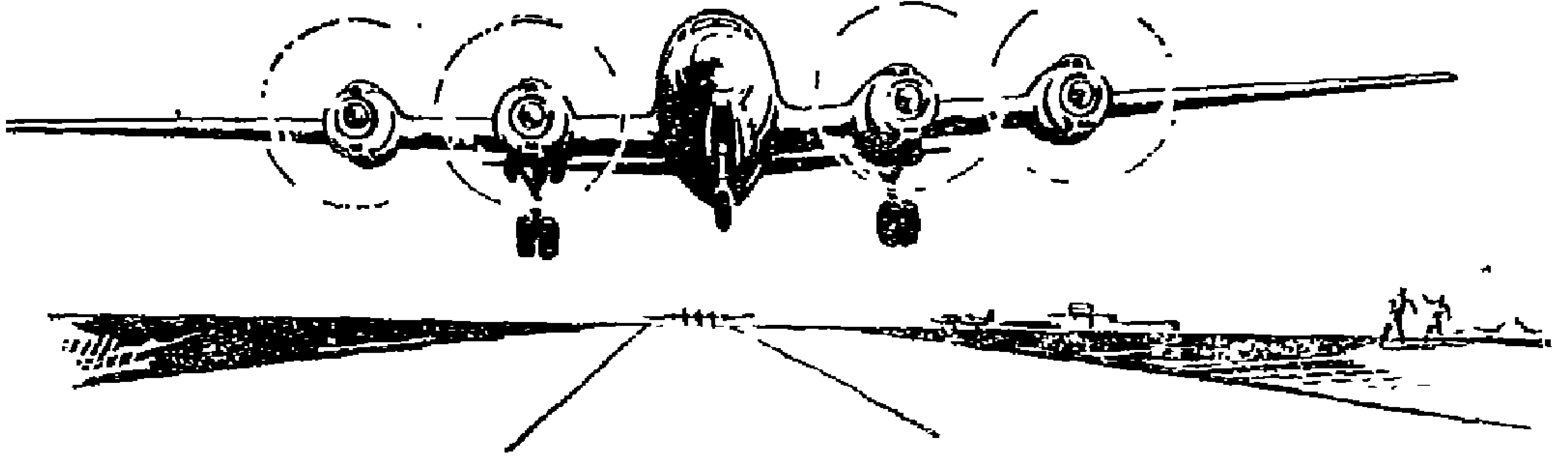
ومن اليسير أن تضيف هذا الأسلوب إلى المصوِّرات الشائعة الغالية ، بأن تزودها بجهاز يلحق بها فى مؤخرتها ، ولكن ذلك عمل يشقُّ فى جميع ضروب المصوِّرات ، فلذلك ينتظر أن تصنع مصورة خاصة تنتفع بهذا الأسلوب الجديد . ولا بد أن يكون ثمن الصورة الجديدة والمواد اللازمة لها أغلى من ضريباتها الشائعـة إلى أن يكثر ما يصنع منها ، فإذا ما بلغنا تلك المرحلة ، صار التصوير فى رأى لاند أقل نفقة مما هو اليوم . وأما ما توفرهُ من الزمن فأمر لهُ قيمة عظيمة عند رجال الحرب والعلم والصناعة ، ويومئذٍ يزيد الإقبال عليها .

وقد خص لاند عنايته بتصوير الصور غير الملونة ، وينتظر أن يذيع أنباء صناعة هذه المصوِّرة الجديدة قبل نهاية السنة . فإذا رمى ببصره إلى المستقبل ، لم ير مانعاً أصيلاً يحول دون تطبيق أسلوبه على وجه يجعل التصوير بالألوان أمراً ممكناً .



يعثر الناس فى الحين بعـد الحين بالحقيقة ، ولكن بعضهم يلمُّ أذيالهُ ويمضى مسرعاً فى طريقه وكأنَّ شيئاً لم يحدث . [ونستن تشرشل]

لن تجد حل هذه المشكلة فى زيادة المعدات المستحدثة
بل فى علاج الناحية الإنســانية



لماذا تتحطم طائرات الركاب

فرنسيس وكاثرين دريك

مختصرة من مجلة "أتلانتيك الشهرية"

فى السنة المنصرمة أصيبت خطــوط الطيران المسجلة فى أمريكا بإحدى عشرة حادثة كبيرة هلك فيها ١٤٩ من الركاب والطيارين . أما الخطوط التى لم تسجل لها مواعيــد معينة فوقعت فيها ثمانى حوادث كبيرة ، هلك فيها تسع وسبعون نسمة ، فترددت أصداء هــذه الحوادث فى أرجاء الأرض وأفزعت الناس ، فضعف إقبالهم على الطيران بالطائرات المنتظمة المواعيد وغير المنتظمة على السواء .

فرنسيس دريك خبير فى شئون الطيران، وقد درس أصول هندسته على هاندلى بيج ، وكان طياراً فى سلاح الطيران البريطانى فى الحرب العالمية الأولى ، وكتب مقالات كثيرة قدر فيها مستقبل القاذفات طويلة المدى ، وطار هو وزوجته فى جو أوربة وأمريكا الجنوبية والمحيط الأطلسى ، ودرس الطائرات وحاملات الطائرات فى المحيط الهادئ فى الحرب العالمية الثانية .

فإذا أخذنا عدد الأميــال التى قطعتها الطائرات الأمريكية أساساً للبحث ، وجدنا الإحصاء يدلُّ على أن سنة ١٩٤٦ كانت خير سنة فى تاريخ خطوط الطيران هذه ، فكل امرىء دخل طائرة من الطائرات المسجلة المواعيد، كان خليقاً أن يصل سالماً إلى غايته دون مكروه يصيبه إلا بنسبة واحــد على ١١٣ ألفاً . وقد طارت هــذه الطائرات ٢٫٤٧٤٫٠٠٠ رحلة ، فلم يحدث لها سوى ثمانى حوادث هلك فيها بعض الركاب ، ولم يهلك أحد من رجال الطائرات نفسها إلا فى ثلاث حوادث وحسب ، ولكن الناس ظلوا يتذكرون عنــاوين الأنباء المروّعة والصور التى نشرت فى الصحف .

أما الأسباب التى أفضت إلى حدوث هذه الحوادث فلم تذكر فى العناوين، ولكنها بدأت

تستبين بعد أشهر من الاستقصاء الرسمى فى تقارير قلما يطلع الناس عليها . والحقيقة أن معظم هذه الحوادث تعود إلى خطأ إنسانى يمكن اجتنابه ، وكثيراً ما كان مردُّ هذا الخطأ إلى الخطة الفاسدة التى تسير عليها إدارة الشركة . وفى وسعنا أن نقطع بأنه لم يكن فى الوسع اجتناب هلاك ٨٤ فى المئة من الذين هلكوا فى الطائرات المسجلة خلال سنة ١٩٤٦ بالاعتماد على أدوات جديدة تجعل الطيران فى مأمن من كل خطر، كمثل أجهزة رادار لتوجيه الطائرات التى تهمّ بالنزول إلى الأرض وما كان على شاكلتها .

ولنضرب على ذلك مثلا مما يكثر حدوثه من اصطدام « طائرة بجبل » ، فهذا الاصطدام وحده كان فى السنة الماضية سبب خمس حوادث كبيرة هلك فيها ١١٠ من الناس .

فى يوم ٣١ يناير ١٩٤٦ كانت طائرة تقل ١٨ راكبا وثلاثة من الطيارين تطير فوق وادٍ يقطع الجبال الصخرية، وكان الليل صافياً والرؤية حسنة ، وكانت الطائرة تسير على الطريق المرسوم وفى المواعيد المحددة لها فى جدول الطيران ، فلم تكد تنقضى عشر دقائق حتى صدمت صفحة جبل إلك وشبت فيها النار، فإذا الصحف فى صباح اليوم التالى تذيع : « طائرة ترتطم بجبل — مقتل ٢١ راكباً » .

وقد أثبت البحث أن الطيار كان « قد انحرف عن الطريق المرسوم ليسلك أخصر طريق »، وطرق الجو لا تخطط استجابة لنزوة من النزوات . وكانت الشركة التى تسيِّر هذه الطائرة قد رسمت خطاً لها فوق هذه الجبال طوله ٨٨ ميلا، فى حين أن الطريق المختصر طوله ٧٩ ميلا، وهى لم تفعل ذلك على ما خُيِّلتْ ، بل فعلته لكى تتجنب طائراتها خطر الاصطدام بجبل إلك . أما الطيار فقد عصى الأوامر الصادرة إليه وانحرف عن الطريق المرسوم متجهاً إلى الغيوم المحيطة بالجبل ، فلما احتوته الغيوم كانت طائرته على ٣٤٠ قدماً دون قمة الجبل فاصطدمت به . ولو تم له ما أراد من اختصار الرحلة، لوفر على نفسه وعلى الركاب أربع دقائق أو أقل !

وعلى غرار هذه الحادثة حوادث أخرى أشهرها ثلاث كان الاصطدام بجبل هو السبب فى تحطم الطائرات وهلاك خمسين من الناس .

وقد ثبت أن هذه الطائرات كانت طائرة على ارتفاع يقل ١٢٠٠ قدم إلى ٣٢٠٠ قدم عن الارتفاع المعين لها فى قواعد الطيران . فهذه القواعد تقرر أن كل طائرة يجب أن تطير على ارتفاع يزيد ألف قدم عن أعلى عقبة تعترض طريقها. ولو حدث فى الطائرة تلف ميكانيكى لكان من المتعذر على الطيار أن يحفظ طائرته على الارتفاع المطلوب. ولكن

خبراء الحكومة قرروا ، بعد بحث دقيق مستفيض، أن هذه الطائرات لم تصب بما يشبه أن يكون تلفاً ميكانيكياً . ومن الأقوال الشائعة في تعليل هذه الحوادث أن تياراً متجهاً إلى الأرض صدم الطائرة ودفعها إلى الهبوط. وقد ثبت أن إحدى هذه الطائرات الثلاث تحطمت وهى على ارتفاع ٤٨٧٠ قدماً ، مع أنه كان ينبغي على طيارها أن يبقيها على ارتفاع ٨٠٠٠ قدم . فلذلك قال الخبراء : « إن وجود تيار يبلغ من القوة مبلغاً يدفع الطائرة نحو الأرض مسافة ٣٢٠٠ قدماً أمر لا يعقل في الأحوال التي كانت تسود جو ذلك المكان في ليلة الحادثة » .

قد يعمد الطيار إلى اختصار زاوية في طريقه المرسوم ، وهذه عادة أكثر شيوعا مما يعترف به رجال الطيران . وكانت طائرات الركاب تحمل جهازاً يدون كل تفصيل من تفصيلات الطريق الذى يسلكه الطيار ، فيراجعه مديرو المطار عند إنجاز الرحلة . وقد استغنى طيارو الطائرات الحربية في أثناء الحرب عن هذه الأجهزة لقلة الأجزاء اللازمة لصيانتها ، ولم تعد شركات الطيران المدنى حتى اليوم إلى الانتفاع بها كما ينبغى .

أما خامسة حوادث الاصطدام بجبل وأفظعها طراً ، فكانت الحادثة التى وقعت في نيوفوندلند يوم ٣ أكتوبر فقتل فيها ٣٩ شخصاً . وفى ليلة الحادثة كان الطيار يدرج بطائرته إلى المدرج رقم ٣٠٠ الذى تستعمله طائرات قيادة النقل ، يوم كان هو من رجالها . وإذا بعامل برج الطيران ، وهو رجل حديث العهد بعمله وقليل التجربة ، يأمره أن يتجه إلى المدرج رقم ٧ ، بيد أن أحوال الريح فى تلك الساعة ، والأرض المرتفعة التى ينبغى للطائرة أن تعبر فوقها بعد الارتفاع فى الجو من ذلك المدرج رقم ٧ ، كانت تقضى على قائد الطائرة أن يطلب مراجعة هذا التوجيه أو تغيير خطته المرسومة للارتفاع فى الجو . ولكن هذا القائد لم يعدل خطته ، ولا طلب الرجوع عن الأمر الصادر إليه. وكان ارتفاع الغيم عن سطح الأرض خمسة آلاف قدم ساعة حلق بطائرته ، وكان مدى الرؤية عشرة أميال ، وكانت الطائرة تسير كالساعة الدقيقة ، ولكن لم تكد تنقضى دقيقتان على ارتفاعه فى الجو ، حتى هوت طائرته محطمة ، فقد اصطدمت بأكمة تواجه طرف المدرج فقتل كل حيٍّ ركبها . أما ما حمله على أن يفعل ما فعل ، فلا يزال سراً يحير جميع زملائه ، وجميع الخبراء الذين تولوا بحث الحادثة بعد وقوعها .

وقد كان « الاصطدام بجبل » سبب هلاك ٧٢ فى المئة من الذين هلكوا فى حوادث وقعت للخطوط الجوية المسجلة

الأمريكية أو الدولية . وقد عجز خبراء الحكومة الذين تولوا بحث هذه الحوادث عن أن يجدوا أقل دليل على ضعف بناء الطائرات أو تعطل المحركات . فإذا أضفت إلى ذلك حادثة وقعت فى ١٨ يناير ١٩٤٦ وكان سببها ناراً شبت لعيب فى أحد أجزاء الطائرة أصلح أمره فيما بعد ، وجدت أن ٨٤ فى المئة من الذين هلكوا ، قد لقوا حتفهم فى حوادث لا تستطيع الأدوات — كأجهزة رادار — أن تمنعها .

أما الحوادث التى كانت هذه الأجهزة خليقة بأن تمنعها فهى أربع حوادث ، وقعت عند استعداد الطائرة للنزول إلى المطار . وقد كانت حادثة شانون فى إرلندة أفظعها . ففى يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٤٦ دخل الركاب فى مطار باريس طائرة جديدة ذات أربعة محركات ، وكانوا جميعاً يتطلعون إلى الاحتفال برأس السنة الجديدة فى نيويورك . وكان على الطائرة أن تنزل فى مطار شانون لتتزود بالوقود ، فلما بلغتها كان الجو رديئاً ، والغيم لا يزيد ارتفاعه عن سطح المطار أكثر من ٤٠٠ قدم ، بل كان بعضه لا يعلو عنه أكثر من ٢٥٠ قدما ، وبرغم هذا عزم الطيار أن ينزل فى المطار بدلا من أن ينحرف لينزل فى مطار برسكوت فى أسكتلندة حيث يتزود بالوقود . وقد كان يعرف هذا وكان له الخيار . وكانت محركاته لا تزال دائرة بأقصى قوتها ، وكان مقياس الارتفاع يدل على أن طائرته لا تزال تعلو ٥٠٠ قدم عن أرض المطار ، وإذا به يفاجأ بأرض إرلندية موحلة سوداء تصدمه من حيث لا يدرى . فصدرت الصحف : « طائرة تصدم الأرض — ١٣ قتلوا » . فلما استقصيت الحادثة ثبت أن رجال المطار الذين يعنون بضبط أجهزة الطائرة قد أهملوا بعض ما عليهم ، فإذا مقياس الارتفاع يسجل ارتفاع ٥٠٠ قدم فى الوقت الذى صدمت الطائرة الأرض .

وقد قتل فى الطائرات التى صدمت الأرض عشرون شخصاً أو ١٣ فى المئة من الذين هلكوا فى السنة الماضية فى طائرات الخطوط المسجلة .

إذن فالحقيقة واضحة وهى أن الأجهزة التى توجه الطائرة حين تدنو من المطار وتعينها على أن تحط سالمة على أرض المطار لازمة ولا مفر منها للطيران فى الضباب الكثيف أو فى الليل الدامس . غير أن نفع هذه الأجهزة محدود النطاق ، فهى لا تصلح فوق الجبال ولا تعين على الدوران حول زاوية ، ولا نفع لها فى بعض العواصف . ولا يزال توجيه الطائرة إلى الهبوط على الأرض غير موثوق به حين يكثر الثلج ،

أى حين تكون الحاجة إليه أشد ماتكون .

وقد قام الدليل على أن طائفة كبيرة من حوادث الطائرات سببها خطأ الرجال الذين يتولون أمر الطائرات ، حتى ليخلق بنا أن نستقصى هذه الناحية من الموضوع .

إن معظم الطيارين والرجال الذين يعنون بالطائرات على الأرض هم أهل حذق وحرص وتقدير للتبعات الواقعة على كواهلهم ، ولكنك لا تزال تجد بينهم فئة قليلة لا تصلح من ناحية المزاج الذى ركب فى طبائعها للقيام بتبعات العمل فى طائرة ركاب ، برغم ما يتصفون به من الحذق والبراعة. فهؤلاء الرجال يهملون التعليمات الصادرة إليهم ، ويرسلون تقارير عن مواقع طائراتهم مبنية على التقدير دون القياس الدقيق ، ويغامرون فى الطيران حين تكون حالة الجو غير مواتية ، ويوفقون فى ٩٩ فى المئة مما يفعلون . بيد أن عدداً قليلا يعد على أصابع اليدين من هؤلاء الرجال كافٍ لأن يصم سمعة شركة قضى ألف من الطيارين الممتازين ورجال المطارات سنين كثيرة فى تعزيزها .

ومن المشكلات التى تعانيها شركات الخطوط الجوية مشكلة الانتفاع بطيارى الحرب . فمعظم هؤلاء من الطيارين الممتازين قد تدربوا على الطيران زمناً طويلا فى أشد الأحوال بلاءً وشدة وتعرضاً للخطر . وقد كانت القاعدة فى تدريبهم أن يصلوا بالطائرة إلى المكان المقصود غير عابئين بشىء — ولا بحياتهم إذا اقتضى الأمر ذلك. أما فى خطوط الطيران المدنى ، فلا بد من عكس الآية في تدريبهم — فينبغى لهم أن يتعلموا ، أن يمتنعوا عن المضى بالطائرة إذا كان المضى بها يعرضها لخطر يمكن اجتنابه .

يدلُّ البحث على وقوع حوادث يضل فيها قوّاد الطائرات طريقهم حين يكون طيرانهم فى جو حسن وعلى طرق معهودة ، أفيكون بعض ضلالهم راجعاً إلى إهمال رجال الإدارة فى شركتهم أن يزوّدوهم بالخرائط المألوفة فى خطوط الطيران، وقلة حرصهم على توصيتهم باستعمالها ؟ من الحقائق المعروفة أن معظم شركات الطيران تستعمل خرائط ورسوماً لاتحتوى ماينفع الطيار، وكثير من الطيارين لايعتمد إلا على خرائط الراديو التى لاتبين الأعلام البارزة على سطح الأرض . وبعض الملاحين يعتمد الإشارات اللاسلكية وحسب، مع أنه يعلم أن هذه الإشارات قد تختلط عليه، أو أن الأبراج التى ترسلها قد تصمت أو تتعطل على حين فجأة .

وقد ثبت أن قواد الطائرات لايلتزمون دائماً النظام الدقيق الذى ينبغى لهم أن يلتزموه حين يقعدون فى مقعد الطيار ، فتراهم يضعفون قدرتهم على البصر حين يقبلون

على المطار وقبيل النزول فيه، بإضاءة الأنوار فى حجرة الطيار ، أو بالاستغراق فى قراءة مجلة أو رواية. وقد يعتمدون على الطيار الآلى أو قد يرفعون أقدامهم إلى لوحة الأجهزة أمامهم فتختفى عنهم بعض الأجهزة . فهؤلاء الرجال خطر على الطيران المدنى وعلى إخوانهم الذين يبذلون غاية الجهد ليجعلوا الطيران في مأمن من الخطر ، وعلى الركاب الآمنين أيضاً فينبغى أن يستأصلوا .

كان الذى يطلب من الرجل ليكون طياراً مجيداً فى أيام الطيران الأولى أن يكون ذا حس خفى يجتمع فيه بشيء من الحذق وشيء من النظرة ، فيعززها فى الحين بعد الحين بنظرات يلقيها على الأرض تحته من مقعده المكشوف . أما اليوم فإن الطيار الممتاز لطائرة نقل ينبغى أن يجتمع له من المزايا قبل أن يولى قيادة طائرة ، ما يندر أن يجتمع فى إنسان غير ممتاز . وحذقه لا يقتصر على معالجة أذرع القيادة والارتفاع والهبوط ، بل ينبغى أن يكون قادراً على أن يدرك معنى طائفة شتى من المعلومات تتوالى على ذهنه من لوحة أمامه عليها ستة وستون جهازاً ، ومن السماعتين على أذنيه . وينبغى له أيضاً أن يكون صاحب نفس لا تطير شعاعاً من الخوف، فيحسن التفكير الهادىء ساعة تتعطل الوسائل الميكانيكية بين يديه ، أو ساعة تفصله عن سائر العالم وهو فى أجواز الفضاء عاصفة من ثلج ، أو نطاق يضربه اضطراب حالة الكهرباء فى الجو فتصير أجهزته اللاسلكية لا تجدى ولا تغنى . ثم ينبغى أن يكون ذا خلق قوى ، يدرك التبعة الواقعة عليه ، وأن يحافظ على القواعد المرعية ، مهما كانت الحال .

ولعل أهم خطوة تتخذ لضمان الأمن فى الطيران هى إنشاء مجلس من كبار الطيارين المرسين لامتحان كل طيار عيِّن لقيادة طائرة فى بحر السنوات الخمس الأخيرة. وقد وضعت الهيئة التى تشرف على الطيران المدنى طائفة من القواعد ، ولكن لابد من طيارين حنكتهم التجارب لتقدير خلق الطيارين ومزاجهم وبراعتهم . ثم ينبغى لشركات الطيران أن تكف عن الطريقة الفاسدة التى تسير عليها ، وهى جعل مرتب الطيار مرتبطاً بعدد الساعات التى قضاها طائرا ، فهى تجعل للطيار مرتباً ثابتاً يضاف إليه أجر يعطى له عن كل رحلة ، فإذا عين الطيار لرحلة ورأى حالة الجو غير مواتية ، أحس بأن إلغاء الرحلة يفقده مبلغاً من المال، فيصير حكمه غير منزه من الهوى .

وفي الوسع أن تتخذ خطوات أخرى تعاون فيها الحكومة بمالها على تهوين مهمة الطيار ، كجعل المدارج أطول وأعرض ،

وتقوية الإضاءة وإنشاء محطات راديو قصيرة الأمواج ، وتبسيط القواعد المرعية .

على أن العـامل الأول فى الكفاح من أجل الأمن فى الطيران،هو إدارة الشركات، فقد عاقت الحرب توسع هـذه الشركات ، فلما وضعت أوزارها أقبلت على التوسع السريع حتى كادت لسرعتها تقضى على صناعة النقل الجوى . فقد أقدمت على ذلك بطائرات لا تكفى ، وبطيارين ومطارات وأساليب لضبط حركة المرور ووسائل للملاحة ، لا غناء فيها جميعاً . وخفضت الأجور ، وزادت عـدد الأميال التى يقطعها الركاب من أربعة ملايين فى سـنة ١٩٤٥ إلى سـبعة ملايين وخمس مليون فى سنة ١٩٤٦ . ومع أنها كانت فى أشد الحاجة إلى معدات كثيرة للقيام بعملها الراهن ، فقـد طلبت أن يؤذن لها بفتح خطوط جديدة .

ولكن أهم من ذلك أن الشركات ألفت نفسها مضطرة أن تزيد مدة بقاء طائراتها فى الجو ، وأن تنقص مدة بقائها على الأرض لتعهدها وصيانتها وإصلاحهـا ، وضمت إلى طياريها عـــدداً وفيراً من الذين لم يحرزوا التدريب الكافى أو التجربة الوافية ، فانحط معدل كفايتهم عن المستوى المطلوب بنحو ٣٠ فى المئة . وظهر أن نصف الموظفين من الذين لم يتدربوا على العمل فى شركة طيران سوى سنة أو أقل .

إن التبعات الواقعة على إدارة كل شركة من شركات الطيران لهى تبعات عظيمة . فالمعدات الجديدة تهيء للطيران فرصاً رائعة تلهم الثقة : طائرات ضخمة ذوات محركات متعـددة ، قادرة على أن تحمل فى جوفها مقادير وافرة من الوقود ، وفيها حجرات أعدت خاصة للطيران على ارتفاع عظيم فوق مستوى العواصف ، وفيها غرف للطيارين مزودة بأحدث الوسائل الكهربية . بيد أن الناس لا يقبلون على الطائرات مهما كان الكلام الذي يقال عنها بليغاً ، إلا إذا أفضى علاج الناحية الإنسانية فى إدارة أمورها إلى خفض معدل الحوادث ، حتى لا يكون أعلى من معدل الحوادث التى تحدث للسفن والقطرات وسيارات الركاب .



سئل أحد الموفقين فى الحياة ، عما يشعر به وقد بلغ ذروة سلم النجاح ، فقال : « أشعر بالغبطة ، ولكن لا يسعنى أن أنسى عدد الناس الذين يسندون السلم حتى لا يهوى إلى الأرض » .

[لستر مايلز]



الحيوانات الضعيفة تسمو إلى ذرى الشجاعة والبطولة حين تلقى صغارها عرضة الخطر.

أبطال الحيوان

جو أوستل سمول
صاحب مجلة "الرياضي الغربي" ومحررها

مختصرة من مجلة "الرياضي الغربي"

أعظم ما يفتنك فى الحيوان ، ضروب الشجاعة العجيبة التى تتجلى فى ضعافها حيال أقويائها . وقد قضيت سنوات كثيرة فى الخلاء ، شهدت فيها آيات تجلُّ عن التصديق ، ثم سمعت من أقرانى قصصاً رائعة تحرك النفوس .

كان الأستاذ هان العالم يدرس طبائع الأيايل فى مزرعة كبيرة ، فسمع صراخا يدلُّ على الفزع من بقعة قريبة . فالتفت فرأى ثعباناً طوله خمس أقدام ينساب مصعِّداً فى شجرة ، وكان بين فكيه فأرة تجاهد أن تفلت ، وإذا به يرى فأرة أخرى تعدو صاعدة على جذع الشجرة ، ثم هجم على الثعبان ،فوقف الأستاذ هان شاخصاً مسحوراً بما رأى .

وقد أقبلت الفأرة الثانية تعضُّ جسم الثعبان مثنى وثلاث ورباع ، ثم أنشبت فيه أنيابها ، فجعل الثعبان يتلوّى ويحتال للدغها لكنه عجز ، إذ كانت الفأرة الأخرى لاتزال بين فكيه . وإذا به يطرحها وينقلب لينال ثأره من الثانية التى نهشت ظهره .

فأجدت هذه الحيلة على الفأرين ، فما كادت الأولى تفلت من شدق الثعبان ، حتى وثبت الثانية إلى الأرض ، وأخذتا تعدوان معاً إلى مكان مأمون .

وأحبُّ أن أذكر مثالا على الشجاعة شهدته فى إوزتين كانتا فى مستنقع قرب دارى فى تكساس . فقد أطلق صيّاد ناره عليهما فأصيب جناح الأنثى بأذى منعها من أن تعود طائرة إلى موطنها فى كندا . والذكر من الإوزّ يتخذ له زوجة لايفارقها ماعاش ، فكذلك أقام الذكر مع زوجته فى تكساس ، وأنجبا أسرة فى المستنقع قرب دارى .

واتفق لى ذات يوم أن دنوت من العش فسمعت ضجيجاً ، فقد هجم ثعلب على الإوزّة فى غياب زوجها وأخذ يجرُّها ليمضى بها . وسمع الزوج نداء زوجته الملهوفة، فهرع

إليها ليدفع عنها ، وكان منقاره مشرعاً من شدة غضبه ، فهجم على عدوه القوى ونقره فنتف بعض صوفه ، وجعل يضرب رأس الثعلب بجناحيه القويين وبمخلبيه . فأحدث ضجيجاً عنيفاً .

وسرعان ما أفلتت الإوزة، ولكن هذه الأم التى أضناها الفزع لم ترتد بل أقبلت تهجم على عدوها. ولم يكن فى طاقة الإوزتين معاً أن يؤذيا الثعلب أذى فادحاً ، فلو كان له شىء من الشجاعة لظفر بمأدبة من لحم الإوز ليومه وغده . ولكن القلب الشجاع له من الشأن فى عالم الظفر والناب مثل الذى له فى عالمنا نحن ، وما لبث المتهجم الآثم حتى انقلب جباناً قانعاً من الغنيمة بالإياب .

وقد كان عندى كلب فهجم عليه خنزير يوم كان جرواً صغيراً فكاد يفتك به ، فصار الكلب يخشى الخنازير جميعاً حتى الأليف منها . وكان كلبى معى يوم ركبت الجواد لأطوف فى مستنقع يجوس فيه عدد من الخنازير البرية ، فرأينا خنزيراً مسنون الظهر من أشرس الخنازير ، يحاول أن يجتاز حاجزاً من الأسلاك فنشب فيه ، فترجلت ، وفى نيتى أن أشد وثاقه بحبل قصير .

وكانت أنياب الخنزير قد استدارت فصارت مأمونة ، وكان أحدها عالقاً بالحاجز . فلما دنوت جدد الخنزير الملهوف جهاده حتى يفلت من الشرك الذى علق فيه ، فانكسر نابه وانفتل كخطف البصر هائجاً حانقاً وهجم على .

تجنبته فى هجمته الأولى ، وناديت كلبى فقد كان لما تأصل فى نفسه من خوف الخنازير بعيداً من مكان الخطر . وأدرك الكلب أننى فى محنة ، فعدا وهو يعوى — ولكنه ظل محجماً . وحاولت أن أبلغ جوادى ولكنه جفل وانقلب وفر . فدعوت كلبى مرة ثانية ، وحاولت أن أبلغ الحاجز فأثب من فوقه حتى أصير بمنجاة من الخطر ، ولكن الخنزير أدرك ما فى نفسى فاعترض طريقى إلى الحاجز ، ثم نطحنى فأحسست بنابه يمزق ساقى ، ثم انفتل وعاد هاجماً على . فثنيت ساقى أمام بطنى حتى أتقى أن يبقره الخنزير الهائج ، وشبكت ذراعى أمام وجهى ، وصرت أتدحرج على الأرض كأنى كرة .

فلما كف الخنزير عن ركلى بقوائمه وطعنى بنابه ، فتحت عينى فرأيت كلبى يطعن بأنيابه الحداد جسم الخنزير الذى استبدت به شهوة الدماء ، فقد صار هذا الكلب كالشيطان الثائر ، يهر ويعض ويهجم من هنا ثم يهجم من هناك ، فشغل الخنزير حتى تمكنت من أن أبلغ جوادى ، فابتدرت بندقيتى

وأطلقت رصاصة أردت ذلك الوحش الفتاك. فقد تغلب حبُّ الكلب لسيده على خوفه ، وبث فى قلبه شجاعة أنقذت حياتى .

وقلما تجد بين الحيوانات البرية حيواناً لا تسمو به الشجاعة فى بعض الأحيان إلى مرتبة البطولة . فقد عرف العلماء بطبائع الحيوان أنثى ظربان قد خاضت نهراً طاغياً لكى تنقذ صغارها من جحرها الذى أحاط به الماء وهدّده السيل . والطائر الطنان ، أصغر الطيور ، لا يحجم عن الهجوم على عُقاب وطردها إذا هى اعتدت على أرضه . والناس يصفون الأرنب بالجبن والجزع ، ولكن ألن ديفو رأى مرة أرنباً تفجأ كلباً أخطأ فدخل عشها الذى فيه صغارها ، فلم تفرَّ بل انقلبت إلى الكلب تركله بقائمتيها ولا تكفُّ ، فندّت عن الكلب صيحة ألم ودهشة ولاذ بالفرار .

وأحب القصص إلىّ عن شجاعة الحيوان ، قصة مبارزة بين ذئب قوىّ وظبية تدافع عن صغيرها . وقد شهد هذه المبارزة رجل خبير بطبائع الحيوان هو لنرد ده ويت .

ففى أصيل يوم من شهر مايو كان ده ويت على جواده يعدو به خبباً ، وإذا به يرى غباراً يتصاعد من أجمة من نبات الصبر على مسافة منه . فنظر بمنظاره فرأى حدثاً رائعاً ، فهذا ذئب يعدو دائراً حول الأجمة وهذه ظبية تطارده .

فأدرك ده ويت أن الذئب حاول أن يقنص خِشْف الظبية ، فهجمت عليه الأم التى جُنَّ جنونها . وكان الذئب يعرف بفطرته أنه لا يستطيع أن يسبق الظبية فى الطراد ، وأحبَّ أن يتجنَّب ضربات حوافرها الحداد إذا هما اشتبكا فى قتال ، فحاول أن يثنيها عن مطاردته ، بأن يعدو أمامها حول الأجمة .

وقد بلغت حماسة ده ويت أوجها ساعة رأى الخشف ينهض ويتمطى ثم يخطو متعثراً ، فما إن رأته أمه حتى دفعها خوفها عليه إلى مضاعفة جهدها .

وقد ضربت بيديها ساقى الذئب فسقط إلى الأرض ، ولكن سرعان ما هب قائماً ، ولكن الدم كان يسيل من ساقيه ، فمشى يعرج . فلما أستبدَّ به اليأس أنقلب إليها مكشراً عن أنيابه الحداد ، فذعر ده ويت إذ كان يعلم أن هذا النوع من الذئاب خصم عنيد فتاك ، فإن له أنياباً عُصْلاً معقوفة الطرف يستطيع أن يزق بها الجلد مهما كان غليظاً ، ويستطيع أن يأخذ كبشاً فيمزّق حلقومه بحركتين من حركاته البارعة .

ولكنّ قتاله الأول مع الظبية تركه

مثخناً ، فقد كسرت أسنانه فى مقدم شدقيه ، فجرّده ذلك من قدرته الفتــاكة ، وصار كالهزيل الأشعث المغلوب على أمره . فتقدم متمهلا وقد لوى رأسه على جنبه ، وهو منظر لا يعهد من هذا الوحش الضارى .

ثم هجمت الظبية لتجهز عليه ، فوثبت فوق نبات الصبر وحطت على الذئب ، وإذا بقوائمها قد صارت كأنهــا مطارق ، تدق الذئب وتمزق بدنه إرباً إرباً ، فارتفعت ضبابة من الغبار ، أخفت وراءها نهاية هذه القصة الرائعة عن عينى ده ويت .

فلما سكنت عاصفة الغبار رأى ده ويت الظبية ترقص رائحة غادية أمام جثة خصمها المغلوب، ثم عادت إلى خِشْفها وجعلت تشمه بأنفها وتمسحه مسحاً رفيقاً ، فقد تغلبت بسالتها على أعتى عتاة البرّ .



هدية الرأى

قد أخالفك فيما تقول ، ولـكننى أجود بنفسى دفاعاً عن حقك فى أن تقوله . [فولتير]

من استقبل وجوه الآراءِ عرف مواقع الخطأ .
[على بن أبى طالب]



الوهم علاج

درج الـكاتب كليفتون وب على أخذ حقن من خلاصة الـكبد ، ومضى يقنع أصحابه بأخذها ، فانقادت لنصحه هلين هيز الممثلة ، فسألتها ذات يوم : « أتشعرين حقّاً بأنك أحسن حالاً ؟ »

فقالت : « إنها لحقن عجيبة تعيد النشاط والقوة » ، ثم خفت صوتها قليلا ثم قالت : « بيد أننى أنسى فى الحين بعد الحين أننى أخذتها — ويا سوءَ ما أشعر به يومئذ » .

[دوروتى كيلجالين]

ضلت فتاة فى مفاوز الشمال حتى عثرت على كوخ مهجور لصياد مجنون .

ليلة ليلاء فى ألاسكا

باريت ويلوبى

مختصرة من كتاب "رحلة فى ألاسكا"



عثرت بجذر شجرة فانطرحت على الدرب الموغل فى الغابة، ولبثت هنيهة ملقية وجهى على ذراعىّ عاجزة عن الحركة من شدة التعب ، فقد كان من الطيش أن أقدم وحدى على رحلة تمتدّ عشرة أميال فى مجاهل شبه جزيرة ألاسكا .

كنت قد قضيت ساعات أشقّ طريقى فى دغل تشابكت أغصانه فوق الدرب ، فلم أعر الأمر التفاتاً فى أول الأمر ولا انتبهت إلى خطأى ، أما الآن فقد شممت وأنا منبطحة على الأرض رائحة دهن عفنة ، وشعرت بأن شيئاً يزحف زحفاً غريباً قد مسّ خدّى ، فإذا هو خصلة من شعر خشن أغبر متدلية من أحد الأغصان .

فنظرت مجفلة ، فأدركت أنها قد نزعت من فروة دُبٍّ ألاسكا الأغبر — أكبر الضوارى التى تذرع سطح الأرض اليوم .

وكنت رأيت قبيل العصر ، أثراً ضخماً فى بقعة من الصلصال الطرىّ على مقربة من الدرب الذى أسير فيه ، وكان ذلك الأثر من كعب قدم الدب إلى مخلبها ، أطول من حذائى ضعفين ، وإذا بى أتصور الحقيقة فأفزع — فأنا سائرة فى درب تسير الدببة عليه لا فى طريق يسلكه الناس .

ولستُ أنا بالمرأة التى تحسن الصيد والقنص ، ولا بالمرأة التى فطرت على الشجاعة . وكنت فى صباح ذلك اليوم قد غادرت المدينة فى زورق مع نفر من صيادى السمك حتى صرنا على محاذاة مزرعة لتربية الثعالب ، حيث كانت صديقتى ليونى تقضى الصيف مع أبيها الذى يملك هذه المزرعة . وكنت أجهل هذه الرقعة من ألاسكا ، ولكنّ الصيادين دلونى على درب يفضى إلى المزرعة . فألححت عليهم أن ينزلونى إلى الشاطىء

حتى أتمشى قليلا وهم يصطادون السمك ، واتفقنا على أن يعودوا إلىّ فى المساء فأرجع معهم إلى المدينة .

بيد أننى ألفيت نفسى تائهة فى درب تسلكه الدببة ، فاستبدّ بى الذعر ، وهتف بى هاتف قوى يدعونى إلى الاندفاع بين الشجر غير عابئة شيئاً بوجهتى ، إلا أننى كبحت جماح نفسى وعوّلت على خطةٍ ، ثم مضيتُ .

فلما خرجت من الغابة الملتفة ورأيت كوخاً من خشب قائماً فى مرج برىٍّ صغير كانت قوتى قد خارت أو كادت .

كان يحفُّ بالكوخ شئ يوحى بالخوف، وقد رأيت على جانبى الباب نافذتين تغطيهما ألواح الخشب ، فأحسست أنهما تحدقان فىّ كأنهما محجران فارغان فى جمجمة قديمة قد أبلاها الزمن . فأدرت وجهى لأعود أدراجى ، فلم أكد ألقى نظرة واحـدة على تلك الغابة السوداء حتى عدلت عما اعتزمت .

أبصرتُ فى الفناء أمام باب الكوخ أرومة شجرة رسمت على سطحها خطوطٌ متقاطعة من ضربات فأس ، فدنوت من الكوخ ووقفت أمام الباب الموصد ، فألفيت سيراً من جلد مدلًى مكان مقبض البـاب ، فشددتهُ ، فانفتح وكان لانفتاحه صرير وصريف ، فإذا جوف الكوخ حالك الظلام ، فلم أستطع أن أرى شيئاً . وانبعثت منه رائحة نتنة خفيفة كالرائحة التى تعلق بمكان تنشر فيه الفراء لتجفيفها . ثم اصطدمت بمائدة غير مصقولة ، وإذا بيدى الممدودة تلمس شمعة فأشعلت ثقاباً وأوقدتها، وانقلبت أفحص المكان .

رأيت فى إحدى الزوايا موقداً يعلوهُ الصدأ ، ورأيت فى أخرى دعامةً من عُمد غلاظ قد شدّ بعضها إلى بعض بسيور من من جلد الدبّ المجفف ، تصلح أن تكون سريراً . وكان هنالك كرسىٌّ مصنوع من ألواح الخشب ، ورأيت على الأرض فخاً مصنوعاً من صاب لصيد الدببة ، وقد كان أحد فكيه مكسوراً . فليس فى كل هذا شئ يخيف أجبن النساء .

أقبلتُ على رماد الموقد أحرِّكهُ ، وأنا أستعيد ما فى الذاكرة مماسمعتهُ عن أخبار هذه المنطقة . وكان أول ما تذكرتهُ قصة خمسـة رجال من الباحثين عن الذهب قصدوا إلى شبه الجزيرة ثم اختفوا ولم يقف لهم أحدٌ على أثر . وقد روى يومئذٍ أنهم لقوا حتفهم على يد رجل مجنون من صيادى الدببة يسـمّى « بتلر » . فألقيت نظرة جزع إلى وراء ، وتمنيتُ لو أنى لم أتذكر

هذه القصة . وأخذت فأساً بيدى وخرجت أحتطب لكى أوقد ناراً . وكان قرص القمر أصفر أحمر كالذهب ، وقد صار على ارتفاع أفنان الشجر الصغير ، فيلقى ضوءهُ على المرج ظلال الأشجار البواسق . وكان لكل ضربة من ضربات الفأس صدى عنيف غير معهود ، فازداد شعورى بالوحشة .

وقد احتطبت ما أستطيع حملهُ ، ثم انحنيت لألتقط آخر عودٍ ، فإذا أصابعى تلمس شيئاً فارتددتُ مذعورة ، فأشعلت ثقاباً — وإذا بى أحسُّ لشدة رعبى أنى قد سمِّرت فى الأرض لا أستطيع حراكا ، فهذه عظام يدٍ بشرية قد بترت من عند المعصم .

وحانت منى التفاتة ثانية إلى الأرض ، فرأيت بقية يدٍ أخرى ، فأخرى ، حتى صار ما رأيت عشر أيدٍ مبعثرة فى التراب ، ولم أر هناك عظماً آخر غير عظم هذه الأيدى. فحاولت أن أصيح ولكننى عجزت ، وحاولت أن أفرَّ ولكنَّ ساقىَّ خذلتانى .

عدتُ إلى الكوخ ، ولا أدرى كيف عدتُ ، وأغلقت الباب ثم أوصدتهُ بمزلاج متين من الخشب ، وسحبت السير المدلَّى خارج الباب حتى لا يستطيع أحد أن يشده . وكان الباب متيناً لا يقوى أحد على اقتحامه . وكان الخوف قد أخذ منى كلَّ مأخذ ، وكانت يداى ترتعشان ، فكدت أعجز عن أن أوقد النار . وظلت قصة « بتلر » المجنون وطلاب الذهب الخمسة الذين اختفوا ، تلحُّ علىَّ وتتقاذف خواطرى . أفأنا الساعة فى كوخ بتلر هذا ؟ أو تكون هذه الأيدى العشرة هى أيدى الصيادين الخمسة ؟

وعزمت أن لا أنام ، ولكن سلطان التعب غلب أعصابى فأخذ الكرى بأجفانى .

لست أعرف ما الذى أيقظنى ، ولكننى ألفيت نفسى على حين فجأة قاعدة فى سريرى ، وكان قلبى يخفق وعيناى مفتوحتين وأذناى ترهفان السمع ، فقد اخترق صوتٌ حجاب النوم ونفذ إلى مسامعى فأيقظنى .

وقد أوشكت أن أشعل الشمعة وإذا بى أسمع دقًّا كأن بالباب طارقاً يريد أن يدخل ، وإذا السكون الذى يحفُّ بى قد ضيق خناقهُ علىَّ . وطردت من خاطرى صورة رجل بترت يداهُ ، وحاولت أن أقنع نفسى بأن الطرق إنما هو صدىً لما يجول فى صدرى من مخاوف ، وإذا بى أسمع الدق مرة أخرى ، وخيِّل إلىَّ أن الصوت ليس صوت رجل يطرق الباب بجمع يده ، بل كأنهُ يطرقهُ بطرف ذراع بترت يدها .

فاستبدَّ بى الهلع ، ولكنى تمكنت من الوصول إلى الباب، وأدنيت أذنى منهُ وصحت: « ماذا تريد ؟ »

ثم خيم السكون .

فرفعت المزلاج وفتحت الباب ونظرت خارجه فلم أر شيئاً ولا سمعت صوتاً .

فتحيرت واشتدّ خوفى ، فعدت إلى داخل الكوخ .

ولم أكد أضع المزلاج فى مكانه حتى سمعتُ الدق مرة أخرى ففتحت الباب على عجل ، وعدوتُ حول الكوخ ، وفحصت كل موطىء قدم فى أرض المرج فى ضوء القمر الضاحى . وكانت أقرب شجرة إلى الكوخ يمكن الاستتار بها ، شجرة باسقة تبعد عنه خمسين قدماً ، وليس فى وسع إنسان أن يعبر المسافة بين الكوخ والشجرة بمثل هذه السرعة . ولم يكن ثمة سوى شىء واحد يستطيع أن يطرق الباب وأن يظل محجباً عن الأبصار .

فأوقدت ناراً متأججة خارج باب الكوخ وجلست على عتبة الباب أراقب الأرض الفضاء بين الكوخ والشجرة ، فلم ألبث حتى نعستُ .

ثم استيقظت بغتة ، فقد خيّل إلىّ أنى سمعت من يناديني باسمى ، وكانت أشعة الصباح قد غمرت الأرض الفضاء أمام الكوخ ، ورأيت فتاة شقراء هيفاء تعدو إلىّ ، إنها ليونى صديقتى التى نزلت على أبيها فى مزرعة الثعالب ، وكان وراءها أبوها وهو عملاق نحيل من أهل ألاسكا .

وقد كدت أطير فرحاً إليهما وأحتضنهما وأقبل أقدامهما ، إلا أن كبريائى صدّتنى عن أن أفضح نفسى فى عينى هذا الرجل الفاحصتين اللتين ترتقبان أية بادرة منى تدل على ضعف النساء .

وقالت ليونى : « لقد أخذ القلق من أبى كلّ مأخذ حين مضى هزيع من الليل ولم تعودى ، فأرسل رجال المزرعة يبحثون عنك فى الغابة ساعة أسفر نور النهار » .

وقال أبوها : « ينبغى أن لا تخرج المرأة وحدها إلى الغابات ، فالنساء عاجزات عن تقدير الموقع والوجهة . وكثيراً ما يتهن . فاحمدى ربك أنك عثرت بكوخ بتلر » .

فقلت : « ليست المرأة وحدها هى التى تتوه . وما قولك فى الرجال الخمسة الذين كانوا يبحثون عن الذهب فضلّوا فى هذه الغابات منذ سنوات ؟ »

فقال : « يغلب أنهم غرقوا فى البحر » .

فقلت : « بل قتلوا . قتلوا . . . هنا فى كوخ بتلر » .

فحملق هو وليونى فىّ كأننى قد أصبت بمس من الجنون .

فقلت : « تعاليا معى ، فسوف تريان » .

فتقدمتهما إلى حيث كانت عظام الأيدى

مبعثرة على الأرض بيضاً فى ضوء الشمس ، فرفع الرجل عظمة منها بيديه ثم قال وهو يبتسم :

« أنت كسائر النساء . ليست هذه الأيدى أيدى ناس من البشر يا أختاه ، بل هى مخالب دببة صغار ، وهى تكاد تكون كالأيدى البشرية تماما » .

فقلت : « وَلِمَ لا نرى هنا عظاماً أخرى ؟ »

فقال : « كان بتلر يسلخ الدببة التى يصطادها على مقربة من الفخاخ فى الغابة ولا يترك منها بغير سلخ سوى قوائمها ، فسلخها يحتاج إلى عناية خاصة ، ثم يعود بالجلود إلى كوخه ليسلخ المخالب على راحته . وكان بتلر لا يصطاد إلا صغار الدببة » .

فأحسست بسعة علمه وكثرة جهلى ، فتبعته إلى الكوخ .

فقال : « لقد وجد بتلر المسكين مقتولا خارج بابه ، قتله دبٌّ ، فقد وُجدت آثار دبّ أغبر ضخم الجثة » .

فقلت : « ولِمَ لم يرمه بالرصاص ؟ »

فقال : « لم يتمكن من أن يبتدر بندقيته ، وأغلب الظن أنه كان قد عاد لساعته من الصيد فألقى بندقيته على المائدة ، ثم خرج يطلب ماء على الأرجح . وعسى أن تكون الدبة التى صاد جروها وقتله قد تبعته إلى هذا البيت ، فلما هجمت عليه عدا إلى الكوخ ليأخذ بندقيته ، وكان الباب موصداً ، فشدّ سير الجلد الذى يفتح الباب شداً عنيفاً فقطعه ، فعجز عن فتح الباب ، ففتكت به الدبة .

فارتعدت وأنا أتصور تفصيل ما حدث ومضى الرجل يقول :

« وقد كان أحد رجالى يصيد النمس فى هذه الناحية ، فعاد ذات يوم بحكاية غريبة عن « شبح بتلر » . ولكن هـذا الرجل أكبر كذّاب فى ألاسكا ، وقد قال فى روايته إن بتلر . . . »

وإذا بى أسمع صوت الدق الذى سمعته من قبل ، وكان الباب مفتوحاً فتأدّى إلىّ هذا الصوت الغريب ، فوثبت إلى قدمىّ .

فقال : « ماذا بك أيتها الفتاة ؟ إن عينيك جاحظتان ! »

فسألت : « ألم تسمع ؟ »

فقال : « أسمع ماذا ؟ »

فقلت : « صوت الدق ! »

فقال : « آه ، هى السناجيب الطائرة ، إنها تكتسح البلاد . فإذا كانت الليلة قمراء عجز المرء منا عن أن يصيب غفوة ، لأنها تقضى الليل تقفز وتثب على السطح . تعالى قفى هنا ، وانظرى إلى الشجرة التى أمامك » .

وقد كان ، فما هى إلا هنيهة حتى رأيت حيواناً ذا فرو يرتفع من الشجرة وهو

ناشر قوائمه ، ثم يحط على السطح فيحدث ذلك الصوت اللعين . ثم يقفز إلى طنف السطح ويعود إلى الشجرة .

فقلت: « ما أمكره من حيوان! » وتلفت من حولى وعلى ثغرى ابتسامة المضطرب .

فلما فعلت وقع نظرى على الباب ،فرأيت على ألواحه الخشبية الليِّنة علامات غريبة : ثغرات من نوع الثغرات التى تحدثها فيه قبضات قوية تطرقه طرقا قوياً .

فقال : « وأىُّ شىء تحدقين إليه الآن؟ »

فقلت : « هذه العلامات على الباب ! »

فضحك وقال : « يلوح أنك حين بلغت هذا الكوخ فى الليلة الماضية كان إجهاد أعصابك قد برّح بك — ثم سمعت هذا الطرق القوى » .

فلما مضينا تلفتُّ إلى الكوخ الذى قضيت فيه ليلة هول لم أكابد مثله — وإلى العلامات على الباب ، وكنت أعلم أن قبضتىّ الصغيرتين لم تحدثها،لأننى لم أطرق باب ذلك الكوخ الكالح المهجور !



من نوادر العظماء

كان فولتير يوم بلغ الأربعين من عمره يملك نصف مليون ريال ، ولكنه لم يجن هذه الثروة من مؤلفاته ، بل جمع أكثرها من إقراض المال لذوى الحاجة من النبلاء . فكان يقرض نبيلا من الشباب مبلغا ما ، ويتفق معه على أن يوفيه النبيل فائدة ١٠ فى المئة ما عاشا كلاهما ، أما المبلغ الأصلى فلا يسدد مطلقاً ، فإذا مات فولتير فسخ العقد . وكان لا يتخير لذلك إلا الشبان من النبلاء ، فكانوا إذا رأوه على حاله من السقم والضعف لا يترددون فى قبول ما يعرضه عليهم، ظناً منهم أنه لن يعيش طويلا فتكون الصفقة رابحة . وكان فولتير إذا أنس تردداً من أحدهم ، يسعل سعالا مبحوحاً يشى بأنه مسلول ، وسرعان ما تعقد الصفقة .

دخل برنارد شو فى أحد الأيام مكتبة تبيع الكتب القديمة وجعل يقلب المجلدات التى فيها ، فوجد مجلداً يضم مسرحياته، وعلى صفحته الأولى اسم صاحب له ، وقد كتب برنارد شو تحت الاسم : « مع تحيتى إلى . . . برنارد شو » . فاشترى المجلد وكتب عليه : « أجدد تحيتى لصديقى ... » وارسله إليه بالبريد .

أتت على الإنسان ألوف من السنين وهو يعتمد على الدهاء والارتياب ،
أما اليوم فلا نجاة له إلا بطرح الخوف والشكوك .

مضى زمن الخوف

[illegible]
[illegible]

إذا نظرنا إلى علاقة البشر بعضهم ببعض — أى إلى ما ينبغى للمرء أن يفعله وما لا ينبغى — رأينا أننا نعرف ما يجب علينا وما لا يجب منذ خمسة آلاف سنة وقد أعرب البشر فيما دوّنته لغاتهم على اختلافها ، عن إيمانهم بأنهم قادرون على أن يجعلوا حياتهم فى الأرض آمنة مطمئنة ، لو هم وجّهوا عقولهم وقلوبهم إلى هذه الغاية .

وقد تقضّت خمسة آلاف سنة وهم يعربون فيما دوّنوه عن إخفاقهم فى بلوغ هذه الغاية .

وليس مردّ هذا الفساد إلى الأرض نفسها — أى إلى تربة الأرض ومائها وخصبها وشمسها — فهذا الكوكب الذى يعمره الآن نحو بليونى نسمة ، لا يزال فيه خلاء كاف وثروة وافرة تكفى لإمداد بلايين أخرى من البشر بأسباب السعادة والرخاء .

وقد صدق الأوائل حين قالوا : لا عيب فى الدنيا بل العيب عيب الناس .

فنحن لم نبذل قط جهداً فى طلب جيل من البشر أفضل من هذه الأجيال، كالذى نبذله من جُهْدٍ فى البحث العلمى . فمنذ أربعة قرون وحسب لم يكن عند البشر شىء يذكر من العلم ، ولكن مضت السنون فإذا بعلمنا اليوم قد بلغ مبلغاً يتيح له أن يقيس درجة حرارة الشمس ويفلق الذرّة .

فما الذى فعلناه للقلب الإنسانى الشديد المراس فى هذه القرون الأربعة ؟

كانت الملكة إليزابيث تتخذ الدسائس السياسية والأساطيل سلاحاً لتحقيق مطامعها العالمية ، وهكذا تفعل الأمم اليوم . وكانت تجارة بلادها قائمة على سياسة الحرب الاقتصادية ، ولا يزال ذلك هو أساس التجارة فى هذا القرن العشرين . ومنذ أربعة قرون لم يكن الإنسان يجد أمناً فيما يحيط به ولا ما يشعره بالاطمئنان على مستقبل أبنائه . فهل يجد أحدنا اليوم فى قلبه اطمئناناً على مستقبل أبنائه ؟

وهذا العصر بكل ما فيه من روائع العلم

من بنسلين ، إلى سلفا ، إلى طائرات تقطع بك الأرض إلى حيث تشاء ، إلى مستشفيات ودور للكتب — هو نفسه العصر الذى أتقن صنع آلة لا تكاد تدير مفتاحها حتى تنسف ملايين من البشر نسفاً وتجعلهم هباء منثوراً. وهذا هو حال دنيانا اليوم : يوشك أن يدار المفتاح بدافع من الخوف ، خوف الناس بعضهم من بعض .

والخوف فيما أظنّ هو علة إخفاقنا. فليت شعرى لِمَ صار للخوف علينا هذا السلطان المروّع ؟

يوم هبط الإنسان هذه الأرض منذ ملايين السنين ، داخله الخوف حتى يستطيع أن ينجو مما يخاف ويبقى حيًّا . كان يخاف كل شيء غريب يبرز له فجأة من خلال الغاب ، وكان يخاف كل حيوان يخشى أن يمزقه بأنيابه أو مخالبه إرباً إرباً ، وكان يخاف كل شجرة خشية أن يكون ثمرها سمًّا قاتلاً. كانت حياته جهاداً مرًّا فى سبيل البقاء ، وكان كل شبح يتحرك على الأرض نذيراً يروّعه — كان لا يستطيع أن يأمن شيئاً أو أن يكون عفوًّا غفوراً ، ولو فعل ذلك لهلك . فمن أجل ذلك كان يلقى الدنيا متأهباً للصراع .

فهذا الجهاد المتطاول منذ القدم قد ثبّت فى نفسه الخوف والارتياب تثبيتاً عميق الجذور ، حتى صرنا اليوم نظن أنهما طبيعتان فينا لا نملك لهما تبديلا ولا تغييراً .

لقد مضت على الإنسان آلاف من السنين ، واكتوى بنار مئات من الحروب والمجازر والمجاعات حتى تهيأ له أن يثق بجماعة أهله وأسرته وينضم إليهم ليكونوا قبيلة واحدة . ثم أتت عليه آلاف أخرى من السنين حتى اقتنع بأنه لا ضير عليه إذا انضمت القبائل بعضها إلى بعض لكى تكون جماعة واحدة أقوى وأشد بأساً . وكان الخوف يقبض خطواته إلى غايته ويبطّىء مسيره ، وظلّ يألف القديم لما يجد فيه من الأمن ، ويتنكب الجديد لأنه مجهول ، فهو لذلك مخوف مخشىّ العواقب . وكذلك حالنا نحن اليوم .

كان ذلك كله يستبدّ به ، ولكن لم يخلُ عقله قط من شيء يلمع ثم يخبو ، ثم يعود فيلمع مرة أخرى . فكان وهو يدبّ فى جوف الغاب خائفاً من الأصوات التى تكتنفه من كل ناحية ، وكان وهو يزجر ويقاتل ويقتل ، وكان وهو قارّ ساكن أو متنقل على حذر والقرون ماضية عليه تطؤه بأثقالها — كان يجد شيئاً يعتلج فى نفسه ، هو خياله . وكان هذا الخيال أسبق منه سيراً ، فكان يرى لمحة غامضة من حياة أفضل من الحياة التى يعيشها .

كان سرُّ بقائه على الأرض هو الصبر والشجاعة والدهاء والخوف ، فحفظت عليه حياته عسى أن يتيح له خياله يوماً أن ينشىء لنفسه دنيا أفضل من الدنيا التي يعيش فيها . وها نحن هؤلاء اليوم ورثة تلك الطبائع والأخلاق ، وخيالنا يرشدنا إلى ما يدخل في طاقتنا أن نفعله ، ولكنّ خوفنا يقبض عزائمنا ويردّنا عن تحقيقها .

وإنه ليكون عجباً إذا استطاعت نواميس التطور البطيئة الحركة أن تبلغ بنا الغاية التي ترمى إليها ، كما فعلت بنا حتى اليوم . ولو كنا قنعنا بأن ندع التطور وحده يفعل مايشاء . لكان الظنُّ به أن يصل بنا إلى الغاية ، ولكننا لم ندع نواميس التطور كلها وشأنها . نعم لقد تركنا نواميس التطوّر التي تمسُّ الطبيعة الإنسانية وشأنها ، ولكننا تعجلنا نواميسه في شئون العلم وحثثناها حثّاً سريعاً . فكانت العاقبة أن خسفنا هُوّةً بين المعارف العلمية والعواطف الإنسانية يحتاج اجتيازها إلى آلاف السنين . وقد استغرق تحولنا من استخدام العصيّ والرماح في الحرب إلى البارود نحو ٣٠٠,٠٠٠ سنة ، بيد أننا تحولنا من البارود إلى القنبلة الذرية في ثلاث سنوات بفضل معاملنا العلمية . فثلاث سنوات من العصر الحديث تقابل ٣٠٠,٠٠٠ سنة من القرون الخوالى . ومع ذلك ينصح الناصحون منّا بأن لا نتعجّل في إحداث تغيير يمسُّ علاقات البشر بعضهم ببعض .

فليس لهذا الضرب من التفكير سوى عاقبة واحدة : أن يصبح الخوف المشتّت الذي حمل قبائل الأولين على اتخاذ السلاح ، دافعاً لقبائل المحدَثين على اتخاذ السلاح أيضاً ، وما هي إلا عشية أو ضحاها حتى يطلق الخوف هذه الشياطين ، والعلم من ورائها يمدّها بأسباب الدمار .

كان الخوف عند نشأة الإنسان الأولى شيئاً نافعاً حماه أن يهلك ويفنى ، أما اليوم فقد صار الخوف هو الأداة التي يخشى أن تفتك به وتقضى عليه . ونحن اليوم في أمسّ الحاجة إلى إيمان يجعلنا نعتقد أن قلوب أهل الأرض جميعاً تنطوى على قدر مشترك من حب الخير ، وعلى قدر مشترك من الآمال والأشواق والعواطف ، وعلى قدر مشترك من حسن التقدير ، وأنهم جميعاً سواء عند الله .

ولن ننجو من ذلك المصير المخوف إذا بقيت قلوبنا تحس بالانقباض من رؤية إنسان غريب أو شيء مجهول ، بل لا نجاةَ لنا إلا بأن نفتح صدورنا للمجهول وأن نلقاه بالمودة والرغبة في حسن التفاهم .



بأى سلطان أقام هذا الرجل نفسه ، زمنا قصيراً ، حاكما على ربع مليون من أهل إفريقية ؟

حاكم قبيلة إفريقية في قلب بلاد الكونغو

جورج كنت
كاتب عاد منذ عهد قريب من رحلة في أواسط إفريقية

مختصرة من مجلة "كرستيان هيرالد"



هذا رجل مديد القامة نحيلها ، لا تراهُ إلا غادياً أو رائحاً فى قميص مفتوح وقد شمَّر كميه عن ساعديه . وقد كان يرتدى هذا الثوب يوم وصله خلخال من نحاس جعلهُ ملكا على قبيلة باشى باشنجو . وقد ظل يرتديه خلال ستة أسابيع تولى فيها الحكم على قبيلة فيها ربع مليون نسمة ، تعيش فى قلب الكونغو البلجيكى ، إلى الجنوب من خط الاستواء — هذا هو حزقيا وشبرن .

والجوُّ حارٌّ فى مملكة الباشنجو ، وكل سهل فيها إنما انتزعه رجال القبيلة انتزاعاً من براثن الغاب . وهناك يكثر ذباب تِسى تِسى ، الذى ينقل مرض التهاب الدماغ السحائى ، وبعوض الملاريا ، ومرض الجذام . وترى الثعبان الكبير من نوع الأصَلة يلتهم الماعز ، وعلى كل امرىء أن يقدِّم الحذر ساعة يفتح بابه ، لأن الأفعوان الخبيث قد ألف أن يرقد عند عتبة الباب .

على أن الهواءَ رطبٌ على شرفة السقيفة التى يسكنها وشبرن ، وهناك روى لى كيف أفضى به حدث خطير فى حياة القوم إلى أن يصير ملكا عليهم . ومضى فى روايته وأنا أرى رجال الباشنجو يمرُّون بنا ، وعلى رأس كلٍّ منهم قبعة صغيرة أنيقة من القش ، ثبتت فى شعره بدبوس طويل يتدلى منه جرس صغير . أما النساء فكنَّ يلبسنَ ما يستر بين الحصر والركبتين ، ويحملن على رؤوسهنَّ قصاعاً فيها جذور نبات المانوق .

وقبيلة باشى باشنجو ليست كسائر القبائل ، فقد خرجت من السودان منذ أجيال كثيرة

وهبطت وادى نهر كاساى . وأنت ترى رجالهم ونساءهم حِسان القسمات ، تجرى فى دمائهم دماء المصريين القدماء ، وهم يحسنون النسج وزراعة الطباق وأشجار الكاساقا . ولملك القبيلة اليوم ستمئة من النساء ، وهو رجل ضخم ، يشك ريش العقبان فى شعره ، وقد ورث بعض نسائه عن الملك الذى سبقه ، وبعضهن الآخر من الرقيق ، أو من وجوه الأسر فى القبيلة ، فهى تقدم بناتها إليه شاهداً على ولائها . والنساء يشتغلن فى الحقول ، أو يلزمن الدار ويتولين النسج ، فهنّ لا يكلفن صاحبهنّ مؤونة رزقهنّ .

وفد وشبرن على بلاد الباشنجو منذ ستٍّ وثلاثين سنة . وهو ابن رجل كان يزرع الطباق فى أمريكا ، فلما كان فى الرابعة عشرة من عمره طلب العلم فى كلية « بريا » حيث يستطيع الطالب أن يكفل رزقه ونفقات دراسته بالعمل فى المصانع والمزارع التى تشرف عليها هذه الكلية . فتعلم وشبرن كيف يصلح الأحذية ويبنى بلبنات الآجرّ ، كما تعلم النجارة والسباكة وتصليح السيّارات . وقد انتفع بهذه الحرف ، فقد كان عليه يوم رحل إلى الكونغو أن يبنى بالآجرّ ، بل أن يصنعه أيضاً . وقد بنى بيوته بيديه ، وأشرف على قطع الأشجار وتمهيد طرقٍ فى الغابات طولها ١١٠ أميال ، ثم صار بعد ذلك أول رجل قاد سيّارة فى مجاهل الكونغو .

وقد خانهُ التوفيق يوم رحل رحلته الأولى إلى بلاد باشى باشنجو فى سنة ١٩١١ فقد حدث قبل ذلك ببضعة أشهر أن أحد التجار البيض الذين لا ذمّة لهم ، قتل فئة من أهل البلاد وسرق حمل خمسمئة رجل من العاج ، فأقسم رجال الباشنجو أن يقتلوا أول رجل أبيض يفد عليهم . فلما وصل وشبرن إلى أرضهم ، أحدقوا به وجعلوا يتناقشون أيقتلونه لساعتهم أم يرجئون قتله . وقد جلس وشبرن فى حلقة من رجاله متنكرين له يرمقونه بعيون حمر ، فما كان منه إلا أن أومأ إلى غلام وأعطاه حفنة من الملح ، وهو من أعزّ الأشياء عند القوم ، ففرح الغلام فرحاً عظيماً ، وسرعان ما حفّ الغلمان بالرجل وقد مدّوا أيديهم يطلبون ملحاً .

فقال شيخ البلد عابساً : « دعوه الآن وشأنه ، فلا بدّ أن يكون رجلا طيّباً ما دام الأطفال يحبونه » .

وسكن وشبرن فى أكواخ القبيلة ، وأكل طعامها ، غير متقزز من شواء الديدان ، وما لبث حتى لحقت به زوجته ، فأنشأ هناك مركزاً صحيًّا ومدرسة ومستشفى

صغيراً ، فظفر على الأيام بمـودة القوم وتبجيلهم .

ويوم تفشى وباء الدوسنطاريا فى القرى، عالج وشبرن المرضى فى داره وأنقذهم جميعاً من الهلاك .

وكانت بلدة « موشنجة » هى عاصمة هذه المملكة ، فانقضّ عليها الوباء انقضاضاً عنيفاً ففتك بأربعمئة من أهلها ، ففرّ الملك هلعاً . وكانت المملكة تقوم على قاعدة سيادة الأم ، ولأم الملك القول الفصل فى أمورها ، وكانت الملكة الأمُّ قد سمعت بنجاح وشبرن فى كفاح الوباء ، فطلبت من الملك أن يدعو الطبيب الأبيض .

ولكنَّ الملك ردَّ سؤالها لشجار وقع بينه وبين الطبيب منذ أشهر ، فأمرت الملكة الأم بأن يمثل الملك بين يديها ، وجاءوا بحدّادٍ قطع خلخال النحاس الذى فى رجل الملك ، لأنه رمز سلطانه ، ثم أرسلته إلى وشبرن ، فأقامتــه ملكا على شعبها . فربط وشبرن ذلك الخلخال على عود من الخيزران ، وعلقه فى دراجته التى ركبها إلى موشنجة تلبية لدعوة الملكة .

وكان الناس يحيّـونهُ تحية الود بالتصفيق وهو يمرُّ بهم . وكان بعضهم يلبس ثياباً كاملة ، والبعض الآخر يكتفى بمئزر يستر العورة ، وكانت الكلاب والماعز والدجاج طلقة فى طرق البلد تسير أين تشاء . فلما رأى الشيوخ ذلك الخلخال صافحوا وشبرن مصافحة التبجيل ، وساروا معه يطوفون فى القرية كوخاً كوخاً . وعلى أن وشبرن لم يتلقَّ علوم الطبّ ، فإنه ألفى نفسه مضطرًّا فى هـذه الحالة الحرجة أن يتخذ قرارات طبية عاجـلة . وأنت تجد اليوم فى تلك المنطقة طبيباً ومستشفى وممرضات ، ولكن الحالة فى سـنة ١٩١٨ كانت أشد عليه وأعسر .

وكان وشبرن إذا ما وجد رجلا مريضاً لا يزال قادراً على أن يمشى ، يرسله ماشياً إلى المستشفى الصغير الذى أنشأهُ فى قريته . فإذا ألفاهُ ضعيفاً لا يقوى على المشى ، ورأى أن نجاته مستطاعة ، أمر رجلا قادراً بأن يحملهُ . وأنت تعلم أن للطبيب الذى يمثل وزارة الصحة سلطاناً لا يعلوه سلطان حين يتفشى وباء مهلك ، فكذلك كان وشبرن يومئذٍ ، ملكا له حقُّ الطاعة من أهل البلدة جميعاً ، فقتل الدجاج والماعز والخنازير التى رآها تدخل أكواخ المصابين وتخرج منها . ولو فعل ذلك فى أيام الصحة والسلامة، لعدَّ عملهُ جرماً كبيراً ، وقد أشعل وشبرن النار فى الأكواخ التى كان المرضى يقيمون فيها .

وذهب وشبرن إلى الساحة التى يدفن

فيها الموتى وفحص القبور القليلة الغور، فروّعه أن يرى الحياة لا تزال تدبّ في أجسام لم يكد يغطيها التراب، فأمر أن تنقل إلى بيوتها. وقد لقيت منذ شهر بعض هؤلاء الناس الذين كانوا «جثثاً»، فرأيت في عيونهم وهم شاخصون إلى وشبرن نظرات تجلّ عن الوصف.

وأعقب وباء الدوسنطاريا موجة مهلكة من مرض الأنفلونزا، وأصيب به وشبرن، وكان طريح الفراش يوم استدعاه الملك المريض إليه، متناسياً ما كان بينهما من جفوة. فلبّى وشبرن الدعوة، وحُمل حملا إلى سرير الملك. وكان الملك في النزع، فأهاب بحاشيته أن يلقوا بالهم إلى ما يقوله وشبرن، فهذا «رجل صالح، ولا غاية له سوى خير الباشى باشنجو».

أما الملك الذى اعتلى العرش بعد مُلك وشبرن القصير، فكان صديقاً ودوداً له منذ اليوم الأول. فلما وصل ممثلو الحكومة البلجيكية للبحث فيما اتهم به وشبرن من إشعال النار في البيوت يوم تفشى الوباء، واجههم الملك الجديد وقال: «في وسع الرجل أن يصنع بيتاً، ولكن ليس في وسع البيت أن يصنع رجلا».

وبعد زمن غير طويل أنعم ملك البلجيك على وشبرن وزوجته بوسام «لما أسدياه من خدمة للشعب البلجيكى».

ووشبرن اليوم في السبعين من عمره، وله على قبيلة باشى باشنجو أياد أخرى غير ما تقدم ذكره، فقد كافح الأطباء السحرة ووفّق في كفاحه، فزلزل من سلطانهم على نفوس أهل القبيلة، وإن لم يقض عليه قضاء مبرماً.

ومن شرور التطبيب بالسحر في بلاد الباشنجو ما يطلقون عليه اسم «المحاكمة بالسمّ»، فإذا شرب المتهم سمّا وظلّ حيًّا فذلك دليل على براءته، فإذا مات فهو آثم مذنب. ولكن الطبيب الساحر يجعل السم قويًّا زعافاً أو لطيفاً خفيفاً، وفقاً لما يعطى من مال. وقد أقام وشبرن سنين كثيرة يبحث ويستقصى حتى يقيم الدليل على صدق هذا القول، وأخيراً اجتمعت الدلائل بين يديه منطوية على حوادث استقصاها أدقّ استقصاء وأكمله، وعلى أكياس مكدسة بعظام مئتين من الرجال والنساء هلكوا بالسمّ الذى صنعه الأطباء السحرة وجرعوهم إياه. فلما عرض أدلته على رجال الحكومة ابتسموا ولم يعبأوا بها، ولكنه مضى في الكفاح حتى بلغت أقواله مسامع الحكام، فاهتموا بالأمر، فأيد البحث رأى وشبرن وصدق نظره.

أما تجاربه في الزراعة فأقل روعة من

كفاح المرض والسحرة ، ولكنها ليست أقل شأناً . فقد أخذ الذرة السقيمة المألوفة في بلاد الباشنجو ، والمعرضة لآفة الدود ، وهجنها بصنف آخر قوى صلب قصير السنابل تزرعه قبائل بالوبا ، فأنتج صنفاً جديداً أقوى مراساً وأطيب مذاقاً ، ثم استورد صنفاً جيداً من الذرة لا يقوى على احتمال عواصف الكونغو، فلما هجنه بالصنف الجديد المهجن (باشونجو — بالوبا) ولد نوعاً متفوقاً من الذرة وافر المحصول . وقد جلست مع وشبرن على شرفة داره ، ورأيت الأهلين يقبلون بسنابلهم القصيرة الضامرة فسيبتدلون بها سنابل مثقلة بحبوب ممتلئة ليبذروها . فقد كان وشبرن الباحث الزراعى وموزع البذر فى وقت واحد .

وقد صار وشبرن اليوم عضواً فى المجلس الذى يتولى حكم القبيلة ، فهو كأحد أبنائها ، بل إن شيوخها يعتقدون أنه كان منهم حقاً فى زمن مضى ، فرحلت روحه إلى حيث ولد ونشأ لتحل فى بدنه . وقد رغب إليه أحد الشيوخ أن يكتب له اسم مسقط رأسه على ورقة ، حتى توضع فى نعشه بعد وفاته ، عسى أن تهديه الأرواح بعد موته فتسير به إلى البلد الذى جاء منه وشبرن .



جزع الطيار

يروى الجنرال أيزنهاور القصة التالية : « بعد انتهاء القتال فى أوربة ، أمرت أن أعود إلى الولايات المتحدة لأحضر مؤتمراً حربياً . وكان بين ركاب الطائرة شاب كان من جنود المظلات ، فروى لى نوادر كثيرة مما وقع له . فلما دنونا من المطار الأمريكى بعد رحلة لم تنزل فيها فى أى مطار آخر ألفيتُ الفتى وجلاً مضطرب الأعصاب ، فسألته : « ما بك يا بنى ؟ » فقال وكأن فرائصه ترتعد : « هذه هى أول مرة يا سيدى أنزل فيها إلى الأرض وأنا فى طائرة ! »

[فردريك سليتر]



آيدا وايلى

لا أذكر متى لقيت كرستين أو كيف عرفتها ، فهى طفولتى كلها ، بل هى حياتى كلها .

وهذا الذى سأقصّه ما هو إلا نبذ من قصة طويلة بدأت فى لندن أيام الاحتفال بالعيد الخمسينى للملكة فيكتوريا ، حينما تزوج المحامى الأسكتلندى أليك وايلى سيدة فقيرة إلى الجمال غنية بغنجها وكمالها . وكان أليك شاباً ظريفاً نزقاً أسود الشعر أزرق العينين ، وأقام الزوجان فى دار كبيرة على سفح تل بريمروز ، وعلى الجانب الآخر من بيت كرستين حيث تعيش هى وأخوها وأختها وأمها الأرملة .

وتوثقت الصداقة بين الأسرتين ، وأصبحوا يتناولون العشاء معاً أو يشتركون معاً فى بعض الألعاب الرياضية فى ليالى الصيف . فلما تهوّر أليك فى غرامه وافتضح أمره طلبت زوجته الطلاق ، فإذا بأسرة كرستين توصد بابها فى وجهه إلى الأبد ، ذلك بأن الطلاق كان فى ذلك العهد لا يعد نكبة شخصية فحسب ، بل وصمة اجتماعية أيضاً ، حتى ولو كان المطلق ضحية بريئة .

والله يعلم أن أليك لم يكن بريئاً ، ولكننا نرى كرستين تلك الفتاة النحيلة الجسم السوداء الشعر الدقيقة القسمات ، والتى أخذت مع الأيام تزداد جمالا ، والتى لا تقلّ عن اللبؤة فى شجاعتها — قد انبرت للدفاع عنه إذ رأته ضحية ظلم وسوء فهم . وقد كبر عليه أن يدافع عن نفسه ، فيبين أن رحلاته الصاخبة إلى باريس لم تكن إلا لعمل وكل إليه . وانتهى الأمر بكرستين إلى أنها قبلت خطوبته لها برغم معارضة أسرتها الغاضبة .

ومرت على أليك أيام عصيبة ، إذ قاطعه أبوه الغنى وكفّ يده عن إعانته ولو بالقليل من المال . ولم تكن أرباحه من عمله ، على

براعته فيه ، تكفيه أن يعيش عيشة البذخ التى اعتادها ، ولا تكفى لســـداد ديونه . وأخيراً صح عزمه ، ككل من كان يعانى الضيق فى ذلك العهد ، على السفر إلى أستراليا طلباً للغنى . واتفق هو وكرستين على أن تلحق به بعد وقت قليل ، أو أن يعود هو إليها منتصراً فيخطبها إلى أسرتها النادمة . واصطحبت كرستين أخاها ، وكان يعلم أنه مخدوع ولكنه كان يميل إلى أليك كباقى من يعرفه ، وذهبا معاً إلى المحطة ليودّعا فتاها الراحل . وحين أزف موعد السفر أخذ أليك يلح عليها حتى ترحل معه ، وكاد ينجح فى جذبها إلى القطار وهو يتحرك ، فمنعها أخوها ، ولا أظن أنها سامحته فيما بعد على فعلته .

ولم تكد تمضى ثلاثة أسابيع على وصول أليك إلى أستراليا حتى تزوّج أمى .

وليس من الإنصاف أن نحكم عليـــه كما نحكم على ســـائر الخلق . فبعض الناس مفطورون على التلوّن وقلة الثبات ، ولو أنهم يتمتعون بقسط وفير من السحر والظرف ، مما يلين إليهم جانب الناس حتى يستقرّ فى قلوبهم أنهم على حق فى كل ما يفعلون .

ولا أدرى كيف عرفت أمى أن هنـاك امرأة قد اغتصبت هى مكانها وإن تكن غير مريدة ولا آثمة ، ولكنها حينما علمت بخبرها لم تتوان عن الـكتابة إليها ، فوصلها رد من كرستين ، ونشأت صداقة وثيقة خالصة بين هاتين المرأتين برغم ما يفرق بينهما من آلاف الأميال ، وبرغم ذلك الحب الذى كان خليقاً أن يجعلهما عدوّين لدودين .

ولما انتهى الأمر بأن عادت أمى إلى إنجلترا وهى مجهدة يائســة ، تصحبها فتاة فى سن الثالثــة (هى أنا) وزوج استفاقت أخيراً فعرفت تهوّره وجنونه — كانت كرستين هى التى رحبت بمقدمها وأحبتها (وقبل أبى هذا الوضع على علاته بل عدّه من علامات توفيقه وسحره) . وعاشت أمى سنتين وهى تغالب ما تلقاه من جو إنجلترا ومن يأسها الطاغى ، ثم فاضت روحها وهى تقــول لكرســتين : « أوصيك خيراً بابنتى » فوعدتها كرستين بما قرت به عينهـا ، ولم تنكث كرستين هذا الوعد قط .

وفقدت بموت أمى كل ما كان قد بقى لنا من مظاهر حيــاة الأسرة ، إذ عاد أبى لسبب خفىّ إلى الدار التى شهدت زواجه الأول ، فإذا بى أعيش فى قصر منيف من طراز قديم ، فأجده مرة قد امتلأ بفاخر الأثاث ومرة قد ازدحم بالدائنين . وكنت أجلس أحياناً وأنا فى قميص النوم على رأس السلم وأراقب أبى — وما كان أبهاه فى ثياب السهرة الأنيقــة ! — وهو يرحب

بضيوف أغلبهم من دائنيه ، ويدعوهم إلى مائدة فخمة ، ولكنهم لا يكادون يجدون عليها طعاماً يكفيهم .

وكنت أرى خادمة تجيء وأخرى تذهب ، ولم تكن لى مربية ترعانى . وكنت لا أرى أبى إلا قليلا ، إذ كانت تنتابه نوبات من الهياج والغضب فتملأنى رعباً . وكنت وأنا فى نحو الخامسة من عمرى فتاة صغيرة وحشية ، قد أهملوا نظافتها وتسريح شعرها وتعويدها الآداب الاجتماعية ، ولكننى تعلمت الصبر على المكاره . ولست أودّ أن أفكر كيف كنت أكون لولا كرستين التى كانت تأتى إلى دارنا كل يوم ، فى الصحو والمطر ، لتغسلنى وتمشط شعرى وتعلمنى القراءة والكتابة ، ولتمسح البلاط أيضاً ، إذا لم يكن من ذلك بدٌّ ، حتى تدل مظاهر الدار على أنها مأوى أسرة تقيم به .

وكنت حاضرة حينما سألها أبى أن تتزوجه فرفضت . فهى وإن ظلت مقيمة على حبه والإشفاق عليه ، إلا أنها عدت نفسها مرتبطة بوعدها لأمى ، وهى تعلم أنها تكون أقدر على الوفاء بهذا الوعد إذا ظلت بعيدة عن العواصف الهوجاء التى تثور فى حياة أبى . لم أكن طفلة سقيمة البنية ، ولكنى كنت أقاسى ألماً مريراً فى أذنىّ ، ولا أزال أذكر تلك الليالى التى سهرت فيها كرستين معى حتى الصباح لتخفف عنى آلامى . وكانت المرأة فى ذلك العهد إذا هى قضت أيامها ولياليها فى دار رجل عزب لأى سبب من الأسباب ، أصبحت مضغة فى أفواه الناس . فخاصمتها أمها ولم تعد تكلمها ، وحرمتها ميراثها ، وأنفقت كرستين كل ما ادخرته من مال لكى تعولنا ، بل لكى تنقذنا من الخراب مرة بعد مرة ، ثم بدأت تستدين لتنفق علينا . ولما تقدم بها العمر بدأت تتدرب على الآلة الكاتبة ، والتحقت بمكتب محام حتى سددت ديونها .

ولم تكن كرستين امرأة رقيقة الحاشية لينة العريكة ، بل كانت امرأة صارمة سريعة الغضب شديدة فى الحق ، تردّ ردوداً مفحمة ، وفيها شجاعة استطاعت بفضلها أن تصد غضبات أبى . لم يكن فى حياتى أحد سواها ، فلا جرم أننى أحببتها . وقد كتبت لها أول قصصى ، وأهديت لها أول رواية نشرتها ، وكانت هى بطلة هذه القصة وإن كانت تجهل ذلك . وكانت تحسبنى نابغة فى فن القصص ، ولعل هذا كان عيبها الوحيد .

ولما كاد النحس يبلغ بنا منتهاه ، عرف أبى امرأة أخرى ذات خلق ، وإن كان نصيبها من الجمال قليلاً ، وكانت لها ثروة أعانت أبى على أن يعيش فى السرف الذى اعتاده حتى نفدت بنفاد عمره . ولما تزوج

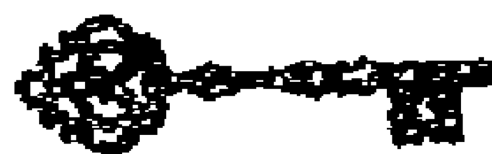
أبي هذه المرأة أغلق بابه فى وجه كرستين ، وإن لم تكن قد جاءت إلا لرؤيتى ، إذ كان يرى نفسه مدينا لها بشىء كثير . بل أكبر من ذلك أنها كانت تذكره بحياة يريد أن ينساها . وكان إذا غلبنى الشوق إليها تسللت من الدار خائفة واجتزت التل لأتطلع إلى نافذتها ، فكانت تطل إلى منهـــا وتلوح بيدها . وكانت حين أركب رأسى تشاركنى فى عصيان أوامر أبى القاسـية السخيفة ، فتنزل إلى وتماشينى تحاول أن تسرّى عنى همومى .

وأخيراً أرسلنى أبى إلى خارج الوطن ليفرق بيننا ، فأخـذنا نتراسل . ولم أرها إلا بعد أن نشرت أولى قصصى ، وصارت لى حرية مكفولة . وكتبت لها فى عيد ميلادى الحادى والعشرين أقول : « هيهات أن أنساك ... » وكذلك لم ينسها أبى ، إذ دعاها إليه وهو على فراش الموت وقال لها : « لك الله يا كرستين ! ليتك رضيت بى زوجاً » ، كأنما الغلطة كلها غلطتها . وأنا أعتقد أن هذا كان رأيها أيضـاً ، فهى على كل حال لم تلق عليه اللامة قط ، فإذا أخذتنى فورة الشباب وأنحيتُ عليه بالملامة ، هزت رأسها وقالت لى : « آه يا عزيزتى وأنت أيضـــاً لم تفهميه ، وكذلك لم يفهمه أحد » .

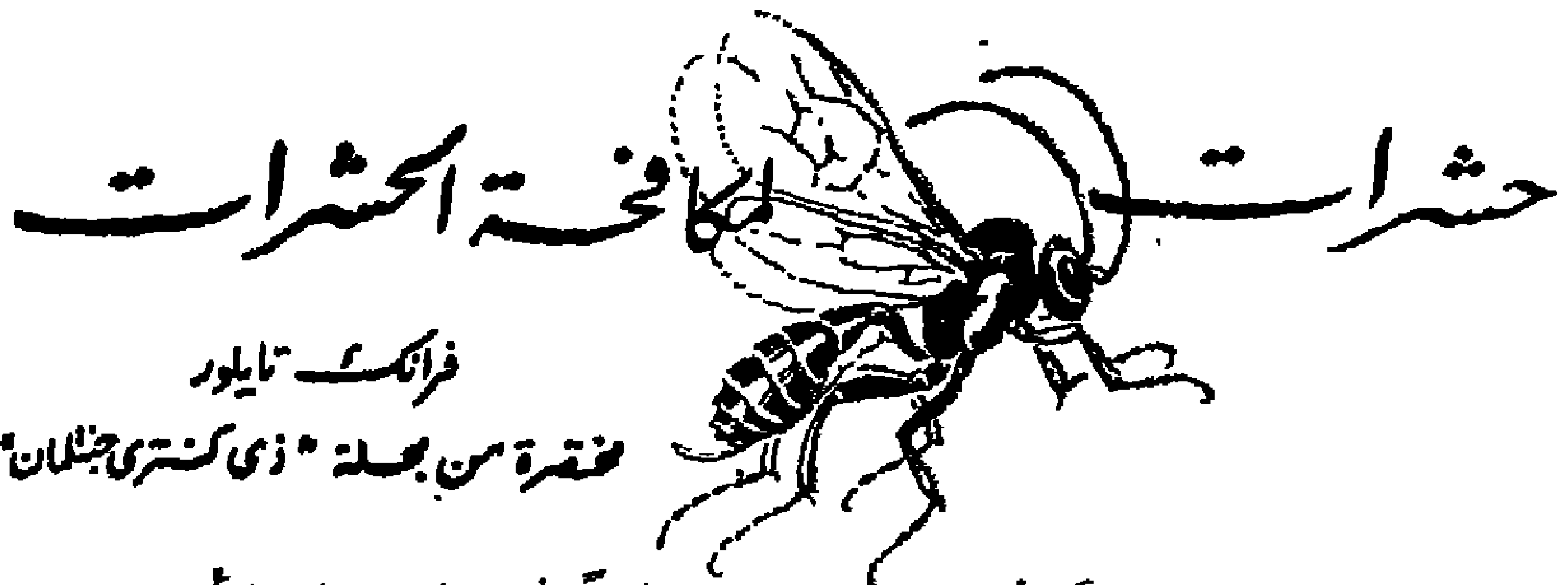
وعاشت كرستين إلى أن بلغت الثمانين فى دار صغيرة مع أختها وهى محتفظة بجمالها ، ثم ضعف بصرها وإن ظل ذهنها صافيــاً كعادته . أما قلبها فكان غضًّا ، وأما نفسها فكانت أبدا راضية ، ولم يقلّ اهتمامها بأخبار عالمنا الذى أخذ فساده يتفاقم . وكانت فخورة بى أشد الفخر . وكانت أقل الأشياء تملأ قلبها غبطة ، كأن ترى شعاع الشمس وهى تميل للغروب ، أو تسمع غناء عصفور على فنن عنـــد المغيب . ولا أزال قادرة أن أسمع صدى ضحكتها الصافية كرنين أجراس من الفضة ، يتردّد فى نواحى قلبى .

لم تكن كرستين مؤمنة بالله ، ولـكنها آمنت فى أواخر أيامها ، وماتت كما عاشت فى كرامة وشجاعة . وكان آخر كلماتهـا : « طاب ليلك ياعزيزتى ، وشكراً لك على كل ما فعلته فى سبيل مرضاتى » .

فأودعت فى هذه العبارة كل ما انطوت عليه حياتها من عواطف الإيثار والكرم . ولما رأيتها تلفظ آخر أنفاسها خيل إلىّ أن شبحاً من نور وضّاء قد طاف بحجرتهـا الصغيرة المتواضعة . قد يكون هـذا وهماً ولـكننى لا أظن ذلك .



إن التوسل بالحشرات للقضاء على الحشرات المؤذية ، بل على الحشائش الضارة ، قد وفر على المزارعين ملايين من الريالات



حشرات لمكافحة الحشرات

فرانك تايلور

مختصرة من مجلة "ذى كنترى جنتلمان"

من الحشائش الضارة نوع يدعى « كلامات » ، إذا تركت له الحبل على الغارب زاحم النباتات الأخرى وطغى عليها . وهو نبات ذو بذر كثير ، فإذا حششته حتى يصير على مستوى سطح الأرض انتشر عليها كالنباتات المعرشة . وهو سم قاتل للمواشي ، فقد اضطر أصحاب القطعان في ولاية كاليفورنيا أن يهجروا مراعى بلغت مساحتها مئة ألف فدان لأن حشائش كلامات طغت عليها .

فاتجه أصحاب المواشي إلى الأستاذ هاري سميث ، أحد العلماء في معهد الحشرات ، فقد قضى هذا العالم عقدين من السنين أو أكثر وهو يربي حشرات نافعة ، لتقوم كالشرطة على الحشرات الضارة فتراقبها وتكف من شرها . أفتستطيع الحشرات أن تكف من أذى الحشائش ؟ كان ذلك مشكلة لم تدرس من قبل ، فأقبل عليها سميث ورجاله متحمسين ، وسرعان ما عرفوا أن حشائش كلامات ليست خطراً يخشى في موطنها الأصلي ، وهو أوربة الوسطى ، لأن هناك قبيلتين من الخنافس تعيش عليها ، ولكن هتلر كان يومئذ يحول بين صيادي الحشرات وقلب القلعة الأوربية .

ولكن أهل أستراليا يعانون من بلاء الحشرات كل ما بلي به مزارعو كاليفورنيا ، فأبرق سميث إلى بعض زملائه في أستراليا ليسأل أتراهم استوردوا من أوربة بعض تلك الخنافس النافعة . فجاء الرد بالإيجاب ، ووعدوه بأن يرسلوا إليه جماعة منها بالطائرة .

وكبرت الخنافس وخلفت نسلاً كثيراً ، وغشيت حشائش كلامات فالتهمت أوراقها وجذوعها ولم تبق على جذورها ، ولكنها لم تؤذ نباتاً آخر . وحقيقة الأمر أنها كانت تؤثر الجوع أو تكاد تؤثره على أن ترضى بنبات كلامات بديلاً .

وقد أسكنت هذه الخنافس شمال كاليفورنيا منذ سنتين ، فأسفر ذلك عن نتائج تبعث على الرضى ، حتى ليرى العلماء أن سميث ورجال معهده قد فتحوا باباً جديداً

في «الهيمنة على الأحياء»، فإذا كان في وسع حشرة أن تسيطر على حشيشة مؤذية، فربما توجد حشرات أخرى تستطيع أن تنقذ الناس من حشائش أخرى ضارة.

وهاري سميث لم يزل منذ ١٩١٣ يوم ذهب إلى كاليفورنيـا، معنياً باستدراج الحشرات النافعة إلى الاغتذاء بالحشرات الضارة. وكان قد ذهب في سنة ١٩١١ إلى أوربة يبحث عن حشرات متطفلة تستطيع أن تلتهم دودة البرسيم الحجازي الشائع في أمريكا، فعاد من إيطاليا بضرب من الزنابير قضى على تسعة أعشار نسل الربيع من ذلك الدود، فكانت طلائع محصول البرسيم حسنة في تلك السنة.

فاسترعى هذا العمل أنظار الناس، فلما أنشيء معهد التجريب في الحشرات في ريفرسيد، عهد إلى سميث أن يتولاه. وللمعهد أجنحة وغرف ختم عليها، يصلح كل منها لتربية نوع من الحشرات المتطفلة أو الحشرات التي تعولها، فصار نموذجاً يحتذى في إنشاء هذا الضرب من المعاهد. وتبلغ نفقات هذا المعهد ٨٠ ألف ريال في السنة ولكنه يوفر ملايين من الريالات على الناس.

فمنذ سنوات نزلت حشرة بأرض مساحتها ٧٠ ألف فدان من بساتين الموالح في كاليفورنيا، فربى المعهد ضربين من الزنابير الاسترالية فاستطاعا أن يكفا أذى تلك الحشرة، فوفر على سكان مقاطعة أورانج وحدها مليون ريال ونصف مليون كل سنة.

وقد اتخذوا حشرة أخرى أنقذت من البوار محصول خوخ التعبئة في كاليفورنيا الذي تبلغ قيمته ٢٨ مليون ريال. وفي سنة ١٩١٠ يوم وصلت إلى أمريكا فسائل شجر الكرز التي أهداها الميكادو إلى الرئيس الأمريكي وصلت معها حشرات الفواكه الشرقية، فما وافت سنة ١٩٤٢ حتى كانت هذه الحشرات تملأ جو كاليفورنيا، فالتفت أصحاب بساتين الخوخ في محنتهم إلى هاري سميث.

وقد كانت مشكلة حشرة الفواكه مشكلة عصيبة، فالحشرة تضع بيضها على الثمر أو على الورق، ومنها تخرج اليرقات. فإذا صارت دوداً ثقبت قشرة الخوخة إلى جوفها فتأكل قلبها الريان. ومن عجائب هذا الدود أنه يبصق أول ما يأكله من الثمرة وهو ينقر قشرها، فرشها برذاذ من السم لا يهلكه.

وقد طوف علماء الحشرات في جميع أرجاء الأرض باحثين عما أعدته الطبيعة من أعداء لهذه الحشرات، فلم يجدوا شيئاً نافعاً. بيد أنهم عثروا على ضرب من الزنابير الضئيلة تبحث بحث الجائع النهم عن يرقات حشرات

الفواكه ، غير أن تربية هذه الزنابير عمل طويل مملٌّ كثير النفقة. فأقبل سميث ورجاله على هذه المشكلة ، فوجدوا أن إناث هذه الزنابير الضئيلة تضع بيضها في يرقة تعرف باسم دودة البطاطس ، فتنمو نمواً سريعاً على البطاطس المألوف . فإذا خرجت من البطاطس بدأت هذه اليرقات تصنع شرنقة، ولكن بيضة الزنبور تنتفض حياة في جوف الشرنقة وتأكل يرقة الخنفسة ، فإذا انفتحت الشرنقة خرج منها زنبور مجنح .

فصنعت طرود من شرانق الزنابير، ووضع في كل منها ألفا شرنقة، وأرسلت على جناح السرعة في الصيف الماضي إلى أصحاب بساتين الخوخ المغمومين، فظهرت ملايين من الزنابير في البساتين ، وجعلت تطير بين الأشجار ، تصطاد يرقات حشرة الفواكه الشرقية ، فكفَّت من خطر هذه الآفة .

ومنذ أن شنت كاليفورنيا حربها على آفات الحشرات، أنفقت مليون ريال أو أكثر للبحث عن حشرات تفتك بغيرها من الحشرات ، وقد قال أحد المزارعين يصف ما تمَّ : « كان ما أنفقناه على الحشرات خيراً وبركة »

تصحيح خطأ

دُعي المخترع إديسون ذات ليلة إلى مأدبة عشاء أقيمت لتكريمه . فلما فرغ المدعوون من الأكل، وقف رئيس المأدبة ليلقي خطاباً فعدَّد فيه مخترعات إديسون الكثيرة ، وأسهب في وصف « الآلة المتكلمة » . ثم وقف المخترع الشيخ وابتسم وقال مترفقاً : « أشكر السيّد الكريم على ما تفضل به ، ولكنني حريص على أن أصحح خطأ واحداً وقع فيه . إن الله عزَّ وجلَّ هو الذي صنع الآلة المتكلمة ، أما أنا فقد صنعت الآلة الأولى التي تستطيع أن تكفَّها عن الكلام » .

[لويس سوبول]

مشقة العمل

شكا فلاح مشاق العمل في زراعة الطباق ، فأعربت له عن عطفي ووافقته على ما قال ، فقال : « اسمع يا بنيّ، ليست المشقة في العمل ، بل في أن تعرف ما ينبغي أن تعمله ، ثم في إجهاد عقلك حتى تنفتق لك حيلة تجنِّبك عمله » .

لم ارتفعت إنجريد برجمان إلى القمة بين نجوم السنما ؟

السيدة الأولى في هوليوود



دونالد كلروس بيتى

كانت إنجريد فى الثانية عشرة من عمرها يوم أخذها أبوها لتشاهد تمثيلا على المسرح ،فكان ذلك أول عهدها به . فما أتيح لها من قبل أن تشهد مسرحيـة تمثَّل ولا فلماً يعرض . فلما ارتفع الستار تحرَّكت على خشـبة المسرح مخلوقات كالمخلوقات التى كانت تتراءى لها فى الخيال وإذا المسرح يجسِّم لهـا أمام عينيها أحياءً كالأتراب الذين كانت تتخيلهم كل يوم وتلعب معهم ، والأحاديث التى تلقيهـا عليهم ، والمغامرات التى تشاركهم فيها ، فوثبت الفتاة من مقعدها وأشـارت بإصبعها غير عابئة ولا خجلة وصاحت : « هـذا ما أريد أن أصنع » .

ففى تلك اللحظة ولدت ممثلة عظيمة — إنجريد برجمان التى مثلت فى طائفة من أشهر أفلام السنما فى السنوات الأخيرة ، مع أعظم الممثلين . ولن ينسى الناس دور « ماريا » الذى مثلته مع جارى كوبر فى فلم « لمن تدق الأجراس ؟ » ، فهذا الدور فى رأيى هو أشق الأدوار التى عرضت على ممثلة وأعظمها. ولم تكد إنجريد برجمان تمثـل فى طائفة يسيرة من الأفلام ، حتى أجمع أهل الرأى على أنها صارت السيدة الأولى فى هوليوود. فإنجريد برجمان ليست فنانة عظيمة وحسب، بل هى سيدة عظيمة أيضاً .

والفنُّ العالى ليس دائماً هو الطريق الممهـد إلى القمة فى هوليوود . وبعضهم يرى أن الوسيلة التى تتيـح لممثلة أن تجذب جماهير المتفرجين حتى تحتشـد بهم دور العرض، إنما هى أن تكون ذات فتنة وجمال، وأن يكون لها صدر ناهد وساقان ساحرتان، وأن تأتى موجـةٌ من الحرِّ تدفع الناس زرافات زرافات إلى أن يلجـأوا إلى دور السنما المبرّدة . وأية غادة كانت خليقة بأن تحتفظ بجمالها وفتنتها لو هى هُيِّئت لتمثل

دور «ماريا» فى ذلك الفلم . ومع ذلك رأينا إنجريد برجمان ، وقد قص شعرها ، وحيل بينها وبين تحسين وجهها وتصنيعه ، مرتدية قميصاً رثاً وسراويل مهلهلة ، تمثل دور بائسة شردتها الحرب ، فإذا الجماهير المحتشدة فى دور العرض تشهد ذلك الفلم ثلاث ساعات متواليات وقد أخذ الإعجاب منها كل مأخذ . وليس ذلك أثراً من آثار فتنة المرأة ، ولا من آثار التسلية البارعة ، إنه ضرب من التمثيل يسرك فى شيخوختك أن تذكر لحفدتك معجبًا مزهوًّا أنك كنت ممن شهده .

وإرنست همنواى ، مؤلف الكتاب ، هو الذى اختار إنجريد برجمان لدور «ماريا» ولم يرض بها بديلا ، وكذلك فعل جارى كوبر . ولكن هوليوود كانت يومئذ لا تزال غافلة عن مواهب إنجريد برجمان ، فأسند الدور إلى ڤيرا زورينا الراقصة الجميلة ، فقص شعرها ، وبدأ الإخراج ، وإذا أهل الحل والعقد قد أدركوا أنهم أخطأوا ، فاستدعوا الممثلة الوحيدة التى كأنما خلق لها هذا الدور ، أو خلقت هى له .

وبرجمان تأبى أن تحضر الحفلات الفخمة التى تعرض فيها أفلامها أول ما تعرض ، ولكنها تطلب أن يعرض عليها الفلم عرضاً خاصاً قبل توزيعه ، حتى تشاهده مشاهدة من يدرس ويتأمل . فلما رأت فلم «الأجراس» خرجت والدموع تنحدر على خديها ، وقالت : « ما أعظم إرنست همنواى من كاتب ! »

وقد حيرت إنجريد خبراء هوليوود بما اتصفت به من شمائل تخرجها من زمرة الممثلات التكالفات ، فهى أبداً على سجيتها . فترى المخرجين يعروهم الذهول حين يسمعونها تشدد النكير عليهم لما يتكبدونه من نفقة باهظة على ملابسها ، أو على تصوير المشاهد نفسها مرة بعد مرة ، أو على إضاعة الوقت سدىً . فهى غاية فى البساطة ، فلا يفهمها سوى الجماهير من الناس . ولما ذهبت زوجة شانج كاى شك إلى هوليوود وقدمت لها نجوم السنما ، حرصت كل واحدة منهن على أن تقبل مختالة فى أبهى حللها ، وهى تدرك أن هذا يوم فى العمر ، وكلهن فعل ذلك — سوى إنجريد برجمان ، فلم تلبس قبعة ، ولا تختمت بخاتم ، ولا صبغت أظافرها ، وكانت فى حذاء قصير الكعب وثوب رمادى بسيط ، فابتسمت للسيدة الزائرة وصافحتها مصافحة المودة بين صديقين .

وإنجريد تدأب على العمل ، حتى لتراها ترهق أقوى الذين يعملون معها . وقد ضربت فى مكاتب الإخراج رقماً قياسياً

لم يدركه أحد من قبل ولا من بعد ، فقد ظلت تعمل مئتى يوم متوالية ، وهى عرضة لمصابيح الإخراج القوية الحارة . ولم تكد تنتهى من التمثيل فى فلم «الدار البيضاء» حتى انتقلت توًّا إلى التمثيل فى فلم « الأجراس » الذى مثل فى منطقة جبليـة وعرة ترتفع ٨٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وقد كانت إنجريد هى الوحيدة التى لم يتعب رئتيها توقُّل الجبال . ثم صنعت فلماً فى الشتاء فى إحدى الولايات الشمالية ، فأصيب كل من فى الجماعة بلذعة البرد والصقيع ، إلاهى — فهى ابنة الشمال . وقد كان يسرُّها أن تنتقل للتصوير متزحلقة على الثلج من مكان إلى آخر .

وهى تنصرف من عملها فى الساعة السادسة مساءً حين تكون فى هوليوود ، فتركب سيّارة رثة قديمـة ، ويسرُّها أن تركبها حتى لا يلقى أحد من الناس باله إليها ، وتمضى إلى بيتها وهو شقة صغيرة ذات خمس غرف ، ولن تجدها مذكورة بين المعالم التى ينبغى لضيف هوليوود أن يزورها ، حين يهبط تلك المدينـــة للتفرُّج على النجوم ومنازلهم . فإذا دخلتْ بيتها صارت « مسز بيتر لندستروم » ، زوجة طبيب سويدى شاب ، وأمَّ فتاة بلغت اليوم السنة الثامنة من عمرها . وهى تدير منزلها أحسن إدارة ، وقد ظلت ابنتها حتى السنة الرابعة من عمرها وهى لا تدرى أن أمهـا كوكب لامع من كواكب السنما .

ولا تكاد مسز لندستروم ترسل ابنتها إلى المدرسة فى الصباح ، حتى تركب سيّارتها الرثة ، وإذا هى مرة أخرى إنجريد برجمان ، التى تتفتح أمامها أبواب الاستوديو ، فتمضى إلى قمة الأكمة . وتصف ما تشعر به فتقول : « أنظر فى ضوء الصباح الباكر فأرى الاستوديوهات العظيمـة هناك ، فأحدّث نفسى فأقول: ما أسعدنى وما أعظم حظى ، إنى لا أكاد أصدق — فقد تحققت جميع أحلامى » .

وقد كادت أحلامها هـذه تخنق خنقاً وهى فى سن المراهقة . فقد يتّمت فمضت لتعيش مع جماعة من أقاربها ، فكانوا جميعاً يهزأون بهـذه الفتاة الحيِّية التى تطمح طموحاً قويًّا إلى أن تصير ممثلة . فكانت تلجأ إلى الأسطوانات القوية تديرها حتى تخفى ما تمثـــله فى غرفتها من المشاهد والمسرحيات . وهى تقول : « إن الإلقاء والتمثيل وسط هذه الجلبة علمنى كيف أحصر انتباهى فى دورى الذى أمثله » . وهى ذات ذاكرة خارقة ، وقدرة على حفظ دورها حفظاً سريعاً .

فلما بلغت إنجريد السنة السابعة عشرة من عمرها تجرأت فأعربت عن عزمها على

أن تشترك فى مباراة مدرسة التمثيل فى استكهلم عسى أن تظفر بجائزة تتيح لها أن تدرس فن التمثيل فيها . فأذن لها عمها أن تفعل، وهو يرجو أن تخرج من ذلك بعبرة تنفعها . ويتمُّ الامتحان أمام ممثلى المسرح الملكى السويدى ، ويطلب من كل مشترك فيها أن يمثل طائفة من المشاهد ، ثم يتلقى فى ظرف مختوم رسالة تصرفه عن المسرح أو تدعوه لامتحان ثان .

ولم تكد إنجريد برجمان تبدأ تمثيل الدور الأول حتى قال المحكمون : « كفى ! كفى ! تفضلى بالنزول عن المسرح » .

وهى تقول : « كانت تلك اللحظة أسوأ لحظة مرّت بى . فلم أنتظر حتى أتلقى الرسالة، بل هرعت إلى البيت ، وأوصدت باب حجرتى علىّ ، وأخذت أبكى » .

وفى اليوم التالى تحدّث بالتلفون متحدث من مدرسة التمثيل يسأل لِمَ لم تأت إنجريد للامتحان الثانى، ذلك بأن المحكمين اكتفوا بأن يستمعوا إليها دقيقتين وحسب ليحكموا بأنها قد أحسنت .

وكان من النادر فى المسرح الملكى أن يعهد إلى الطلبة الطارئين على الدرسة بأدوار حتى تتاح لهم فرصة كافية للتدرُّب أدقَّ تدرُّب على التمثيل . أما إنجريد فقد بلغ من إتقانها وإجادتها أنهم ما لبثوا حتى جعلوا يطلبونها للتمثيل فى السينما . ومع ذلك فإنها لم تنصرف عن دراستها حتى تخرّجت من المعهد . وكانت إذا طلبت شيئاً من الراحة بين الدراسة والتمثيل توءمُ المسرح ، وكان يرافقها إليه طالب طبٍّ وسيم هو بيتر لندستروم ، وقد تزوجا سنة ١٩٣٧ يوم بلغت الحادية والعشرين من عمرها ..

ولم يمض على زواجهما وقت طويل حتى رأى دافيد سلزنك فى لندن الفلم السويدى الذى مثلت فيه وكان اسمه « إنترمزّو » ، فبعث من فوره رجلا يمثله إلى السويد ، وتمّ الاتفاق، فأبحرت إنجريد إلى نيويورك فى سنة ١٩٣٩ . وهى تقول إنها أحبّت أمريكا منذ وقع نظرها على تمثال الحرية فى مرفأ نيويورك ، وأن ما رأته من مبان شاهقة ، ومصاعد مسرعة صعوداً ونزولا ، وأنوار متلألئة ، وغيرها من أدوات الترف التى يفرح بها قلب الأمريكى ، كانت كأنها لعب فى ذلك العالم الذى تروده مخيلة الأطفال .

وكذلك رأت هوليوود ، لكنّ نفسها لم تطر شعاعاً لما رأت، فلما ألحّ عليها سلزنك بأنه ينبغى أن تستبدل اسمها باسم آخر أدعى إلى الشوق والفتنة قالت : « إنه اسم حسن وأنا أحبه ، فإذا أخفقت هنا كان فى وسعى أن أعود إلى السويد فأظل فيها ما حييت إنجريد برجمان » .

ثم أقبل عليها رجال التصنيع والتطريف، ولكن إنجريد طردتهم من مقصورتها، فلبشرتها لون طبيعي بين الورد والحمر، ولا تريد أن تزيفه، فإذا أرادت شيئاً من الزينة صنعتها بيديها كما علموها أن تفعل في السويد. ثم جاء المصورون الذين تتخذ صورهم للإعلان عن الممثلة، وطلبوا منها أن تكشف ساقيها ليصوروها، فقالت إنها ليست راقصة. أفترضى إذن أن تظهر لهم في مواقف مغرية وهي لابسة ثياب السهرة التي تكشف عن محاسنها؟ كلا، إنها تأبى أن تفعل شيئاً سوى أن تلبس ما ألفته من ثياب، وقد أبت أيضاً أن تسمح لأحد أن يتوسل باسمها أو صورتها للإعلان عن شيء أيًّا كان.

وهي قليلاً ما تغشى مجتمعات هوليوود وحفلاتها، وتحب أن تتجاذب أطراف الحديث مع أناس لا تعرفهم ولا يعرفون من هي، وتراسل من يهمها أمرهم منهم، ومن هؤلاء سائق سيارة أجرة.

إذن هذه هي إنجريد برجمان المرأة — تسيل رقة ولطفاً وإخلاصاً وحبًّا للناس. ولكن إنجريد برجمان الممثلة لا تسمح لها أن تتخذ هذه الصورة في عيون الناس. فقدرتها على التمثيل، مهما تختلف أدوارها، لا تضارعها قدرة ممثلة أخرى. فقد مثلت دور خادمة انتهك عرضها في فلم «ليليوم» ودور بغي في فلم «الدكتور جيكيل ومستر هايد» ودور الخلاسية المغامرة في فلم «نفق ساراتوجا» ودور الزوجة المضطهدة في فلم «غضب من السماء». ولو خيرت بين المسرح والسنما لما فضلت أحدهما على الآخر، بل تريد أن تجنى من الشجرتين أشهى ثمارهما. وأعظم ما تطمح إليه في حياتها أن تمثل دور جان دارك، وهي تمثله اليوم في أحد مسارح نيويورك. وأنت ترى نجوم التمثيل تمر وتتلاحق على المسرح والشاشة البيضاء، ولكن ملك إنجريد سيدوم زمناً طويلا، بل إن فنها سيظل حيًّا بعد أن تفقد رونق شبابها. وهي تقيم الدليل على ذلك دون وعي منها فتقول مع أنها لا تزال دون الثلاثين: «لا أطيق أن أصبر حتى يبلغ مني الكبر، فإذا جاء ذلك اليوم فسوف أجد بين يدي أدواراً كثيرة لا أستطيع أن أجيد تمثيلها إلا يومئذ».



ذهول

لقي الأستاذ الذاهل ابنه ذات صباح في أرض الجامعة فقال: «صباح الخير يا بني، كيف حال أبيك؟»

يحاول العلم أن يحل مشكلة من أعقد مشكلات الحياة

لغز الشيخوخة

جورج و. جراى

مختصرة من مجلة "هاربرز"

منذ مئة سنة سئل الدكتور أليفر وندل هومز كيف يستطيع المرء أن يعمر فقال: « قبل أن تولد ببضعة أعوام اطلب ما تريده من أبوين ينتمى كلاهما إلى أسرة من المعمَّرين ».

ويوم قال هومز ماقال، لم يكن لديه سند علمى يستند إليه، بل بنى رأيه على المشاهدة وحدها، أما اليوم فتجد أدلة كثيرة تؤيد ماهدته إليه بصيرته النافذة. فقد عنى الأستاذ ريموند برل وأعوانه من أساتذة جامعة جونز هبكنز، بجمع تاريخ الأصلاب التى تحدر منها ٣٦٥ شخصاً من الذين بلغوا التسعين أو تجاوزوها، فوجدوا أن متوسط أعمار آبائهم يزيد مابين ١٢ سنة إلى ١٧ سنة على أعمار آباء سواهم من الناس. وقد وجدوا رجلا بلغ المئة، فإذا هو منحدر من صلب أبوين عاش أحدهما ٩٧ سنة والآخر ١٠١ سنة. أما أجداده الأربعة فعمروا إلى ١٠٤ سنوات و ٩٨ سنة و ١٠٦ سنوات و ٩٣ سنة. فقال الأستاذ برل إنه مقتنع بأن الأفراد الذين يبلغون التسعين من العمر هم جماعة اصطفتهم الطبيعة بحسب ناموس بقاء الأنسب، فهم يعمرون لأن لهم « كياناً أقوى من كيان سواهم وأشد مقاومة للعدوى ».

إن تقدم علوم الطب كان محصوراً على الأكثر فى الأساليب الخاصة التى ترجىء الموت. فآجالنا اليوم أطول من آجال أسلافنا، ولكن آلة الجسم البشرى تبلى فى آخر الأمر. ولو أتيح لامرىء أن ينجو من جميع الآفات والعلل، لما كان له مفر من أن تهلكه الشيخوخة.

بيد أن فريقاً من العلماء يشكون فى أن أحداً من الناس قد هلك من جراء الشيخوخة وحسب. وقد شرّح الأستاذ الدكتور هوارد كارزنر ١٩٠٠٠ جثة بعد الوفاة، فلم يعثر على حالة واحدة كان مردّ الموت فيها إلى الشيخوخة وحدها. ومادام عدد كبير من الشبان بل من الأطفال، يصابون بالسرطان وتصلب الشرايين واضطرابات القلب وغيرها من العلل التى اصطلحوا على تسميتها « باسم أمراض الانحلال »، ففى وسع الكاتب أن يقيم حجة على أن الشيخوخة لاتنشىء هذه الأمراض،

وإنما تزيد الشيخوخة احتمال الإصابة بها . فكلما زاد مدى العمر، زاد احتمال التعرض للجراثيم أو الحوادث التي لابد من حدوثها حتى يأتي الموت في أعقابها ، فالناس لايموتون وإنما يقتلون قتلا .

وقد لاتكون الشيخوخة شيئاً سوى نتيجة صراع يدوم مادامت الحياة ، بين البدن وبين المكروبات والسموم والجوع والإجهاد . فإذا صح هذا الرأى لم يكن هناك ضرورة بيولوجية للشيخوخة ، وصار في الوسع أن يكون أجل الناس أطول مما هو الآن، وأن يظلوا ممتعين بالصحة .

وقد أخذ رجال الطب يتوفرون على دراسة مسائل الشيخوخة ، فقد نشر في سنة ١٩٣٩ كتاب جامع عنوانه « مسائل الشيخوخة من ناحية الطب » ، وقد اشترك في كتابة فصوله ستة وعشرون من أكابر الأطباء ، فكان نشره مرحلة ذات شأن عظيم في دراسة هذه المشكلة دراسة منظمة. وفي سنة ١٩٤٠ اشترك عشرون من علماء الطب والحياة والكيمياء في إنشاء نادى البحث في الشيخوخة ، وهم يجتمعون في مواعيد منتظمة ليتذاكروا في نتائج تجاربهم وليخطوا للبحث طرقاً جديدة . وفي السنة نفسها بدأت مصلحة الصحة العامة في الولايات المتحدة أبحاثها العلمية في هذا الموضوع ، وحذت حذوها معاهد شتى .

والذى يطلبه أهل البحث في الشيخوخة ليس زيادة الأجل وحسب، بل ضمان الصحة أيضاً للمعمرين . وأكثر الذين تهولهم الشيخوخة إنما يخشون ما يصاحبها غالباً من ضعف — كتبلد الحواس، ووهن العضلات، وتصلب المفاصل . فهل تكون هذه الآفات شيئاً لامفر منه ؟

كان في معهد ركفلر كلب يبدو عليه كثير من آيات الضعف في الشيخوخة، فقد كان واهن القوى لايكاد يقوى على الوقوف والأكل ، فعزم الدكتور ألكسيس كاريل أن يرى مايكون من أمره لو دفع في عروقه دماً جديداً . فأجرى عليه سلسلة من الجراحات أزال فيها نحو ثلثى الدم من عروق الكلب، وفصل الكريات الحمر عن المصل، وخلط هذه الكريات الحمر بمحلول يحتوى على الأملاح التي توجد عادة في الدم، وحقن هذا الدم المجدد في عروق الكلب . فلما برىء الكلب من غشية الجراحات ، راح يعدو وينبح ، بعد أن قضى سنوات لايعدو ولاينبح ، وبرقت عيناه، ونشطت أجفانهما وبدأ شعره ينبت . وأهم من ذلك كله أن الكلب استرد قوته بعد الكلال ، وصار عرضة للافتتان بمحاسن الإناث — فقد بعث الكلب بعثاً جديداً .

ومضى الدكتور كاريل فى تقصى الموضوع بالأسلوب الذى ابتدعه لزرع الأنسجة ، وهو الأسلوب الذى أتاح له أن يحفظ الحياة على بَضْعة من قلب فرّوج خمساً وعشرين سنة، مكتفياً بإبقائها مغمورة فى سائل مغذٍّ . وقد وجد أنه إذا أضاف دماً أُخذ من قلب فروج إلى هذا السائل، لم يحدث تغيير يذكر فى نمو النسيج، ولكن إذا أضاف إلى السائل دماً أخذ من دجاجة كبيرة ضعف نمو النسيج، وضعف نموه يزداد أو يقل تبعاً لعمر الدجاجة

ورأى الدكتور كاريل أن بطء اندمال الجروح فى الشيوخ إنما هو أثر من آثار شيخوخة الدم. غير أن الاقتصار على استبدال المصل القديم بمصل جديد لايغنى وحده : لأن الأنسجة الهرمة لا تفتأ تصب فى مجرى الدم هرموناتها وخمائرها وفضولها وغيرها من المواد. وقد بلغ ما صب منها فى دم الكلب فى بحر أسبوعين بعد الجراحة، مقداراً عظيماً . فعمدوا مراراً متوالية إلى استبدال المصل القديم بمصل جديد ، فلم يفض ذلك إلا إلى تجديد شبابه زمناً قصيراً سرعان ما انقضى .

ويلوح أن شيخوخة الدم ليست سوى أثر ثانوى، أو هى نتيجة لشيخوخة الأنسجة التى تصنع مئات المركبات التى تنصبّ فى الدم، بل يلوح أن عصارات الهضم فى الشيوخ تختلف عن أمثالها فى الشباب . فمقدار التيالين ، وهو الخميرة التى تحول النشا إلى سكر فى اللعاب ، فى رجل بلغ الثمانين لاتبلغ سوى جزء من ٣٤ جزءاً من مقدارها فى شاب فى الخامسة والعشرين . فهل يدهشك أن تجد الشيوخ يشق عليهم أن يهضموا الأطعمة النشوية ؟

وفى تاريخ الطب ذكر محاولات مختلفة لتجديد الشباب ، تكاد كلها تقتصر على الغدد التناسلية . فمنذ خمسين سنة حقن العالم الفرنسى براون سيكار نفسه بخلاصة منها وهو فى السبعين من عمره ، ولكن أثرها كان قصير الأجل ثم مات . ومن أشهر الذين حاولوا تجديد الشباب شتيناخ الذى توسل إلى تنشيط الغدد التناسلية بربط الحبل المنوى ، وفورونوف الذى حاول تطعيم البشر بالغدد التناسلية المقتطعة من الشمبانزى . وقد نجح العمل فى بعض الحالات وتحسنت حالة المريض الصحية وتجددت قوته الجنسية — ولكن الطعوم ذوت وذهب ما أحدثته من تغيير ، فكان تجديد الشباب شيئاً عابراً . وحقيقة الأمر أننا لو نظرنا إلى ما تم على ضوء العلم الحديث، لما حق لنا أن نتوقع أن يفضى تجديد هذه الغدد وحده إلى إطالة الأجل ، لأن عدداً كبيراً من الأعضاء يشترك فى إحداث توازن داخلى فى البدن ، هو الذى نسميه الصحة .

ترى ما الذى يغير الأنسجة مع تقدم العمر ؟

شرّح الدكتور كارزنر جثث الشيوخ المتوفين بالتهاب صمامات القلب أو شغافه ، أو بتصلب الشرايين — وهى أهم البواعث على وفاة الشيوخ — وفحص قلوبهم وشرايينهم، فوجد آثار أمراض قديمة مهدت للالتهاب أو الانحلال. وهو يرى أن تغيرات الأنسجة التى تعزى إلى الشيخوخة، قد يكون بعضها على الأقل عواقب أمراض أصيب بها المرء فى ماضيه البعيد .

وقد وجد الدكتور جريجورى شوارتسمن أن المواد التى تفرزها البكتريا فى أثناء نموها ، تسبب ضعفاً فى أوعية الدم ، فتنشأ فيها العَلَق (الجلط) ، وقد يؤدى إلى انفجارها — وهى حالات تشبه ما يحدث فى إصابات السدة والنزف التى يصاب بها الشيوخ. ولعل ماتبيّنه الدكتور شوارتسمن يفضى إلى شيخوخة الدم التى وصفها الدكتور كاريل ، ويحدد ما تصاب به الأنسجة من ضرر فادح بعد تعرضها المتواتر لفضول البكتريا .

وثمة عامل آخر طالما حامت حوله الشكوك ، هو الغذاء . فقد أراد الأستاذ هنرى شرمان والدكتورة هارييت كامبل من جامعة كولومبيا ، أن يطيلا عمر الحيوانات بعد تجارب دقيقة مضبوطة ظلا عشرين عاما يجربانها على الجرذان . وقد وجدا أن الجرذان التى تتغذى بطعام يكثر فيه فيتامين ا والريبوفلافين والكلسيوم ، تزيد أعمارها ١٠ فى المئة على أعمار أقرانها التى لم يعزز غذاؤها بهذه المواد. والدكتور شرمان مقتنع بأن هذه النتائج تسوّغ تطبيق هذه الطريقة على البشر . وهو يقول : « إن كيمياء التغذية فى البشر تشبه أكبر الشبه كيمياء التغذية فى الجرذان » ، ويعتقد أن إطالة الفسحة المجدية من أعمار البشر بمقدار ١٠ فى المئة أمر مستطاع ، إذا أطعمتهم طعاماً يكثر فيه فيتامين ا والريبوفلافين والكلسيوم — أى الفواكه والخضر (ولاسيما الخضراء والصفراء) واللبن وما يصنع منه .

ويرى الأستاذ كارلسون فى جامعة شيكاغو أن بين العوامل الوراثية التى تطيل الحياة عامل « القدرة على قهر أحوال البيئة غير المؤاتية ، أو القدرة على مطابقتها لها » — ومن تلك الأحوال ضروب العدوى ، والغذاء ، والعمل ، والسموم . فإذا عدلت هذه العوامل غير المواتية ، فربما أفضى ذلك إلى إطالة آجال كثير من الناس ، أو آجال الناس جميعاً

إن الإجهاد فى العمل ، والرياضة العنيفة ، والإرهاق العاطفى المديد ، تستهلك

قدراً من طاقة الجسم ، وتؤدى إلى تراكم فضول التعب ، فتعرقل أفعال البدن الطبيعية ، وقدرته على إصلاح ما يتلف . وليس التعب أو الخوف أو القنوط سوى نذر بأننا جاوزنا حدود السلامة .

وقد وجد الأستاذ برل أن طمأنينة العواطف ، هى الصفة البارزة فى الذين بلغوا التسعين أو المئة . قال : « إن السواد من هؤلاء المعمرين قوم يتصفون بسكينة النفس ولا يستبد بهم قلق . فقد عبروا الحياة بخطوات ثابتة متزنة معتدلة . والعمر يطول إذا قلت سرعة السير فى الحياة ، ويقصر إذا زادت السرعة » .

إن الشعور القوى الذى تجيش به النفس يطلق فى الدم مواد كيميائية تزيد خفقان القلب وتقبُّض العضلات فى جدران الشرايين الدقيقة ، وترفع ضغط الدم ، وتركز الدم فى أجزاء من الجسم دون أخرى ، وتزيد معدل سرعة الحياة ، فإذا تكرر مثل ذلك فقد يؤذى الجسم أذى لا برء منه .

وعسى أن يكون أقسى حكم على حضارتنا المندفعة الباهظة التكاليف ، أن أكبر أسباب الشيخوخة هو مخاوفنا المكظومة ، وعواطفنا المرهقة ، وميلنا الدائم إلى الهمّ والقلق .



كانت ألفاظ السباب كثيرة الورود على لسان مارك توين ، فتستنكرها زوجته أشد استنكار ، وقد حاولت أن تجعله يهجر هذه العادة الفاسدة فلم توفق . وكان ذات صباح يحلق ذقنه فجرحها ، فانهالت منه ألفاظ كثيرة بذيئة ، فما كاد يفرغ حتى أعادتها زوجته لفظة لفظة ، كأنها تريده أن يسمعها على لسان غيره عنى أن يتوب . فالتفت إليها دهشاً وقال : « تعرفين الألفاظ يا عزيزتى ، ولكن أين منك لهجة إلقائها ! »

منذ سنوات زرت بلدة هنيبال التى قضى فيها مارك توين أيام حداثته ، فدخلت ذات يوم دكاناً على قارعة الطريق ، فألفيت صاحبه شيخاً ذا لحية بيضاء فسألته : « أتعرف مارك توين ؟ » فردَّ علىّ من فوره بلهجة تنمُّ على ضيق الصدر فقال : « طبعاً عرفته ، وأنا أعرف من النكات والنوادر قدر ما كان يعرف ، ولكن الفرق بيننا أنه دوَّنها » .

كان الخفاش المصاص أسطورة للتخويف ، فإذا هو حقيقة ثابتة :



كَهْفُ الخفافيش



دانيال مانكس
مختصرة من مجلة "كولييرز"

رأيت الخفاش المصاص أول ما رأيته مع رجل من المتخصصين فى دراسة الكهوف والخلائق التى تسكنها ، وهذا الرجل هو شارلز موهر ، الذى تتبع مأوى هذه الخفافيش إلى أقصى الشمال فى كهف لوس سابينوس فى المكسيك ، وقد وعدنى ذات يوم أن يصحبنى إلى ذلك الكهف .

كان دليلنا شيخاً من الهنود الحمر ومعه ولده ، فكنت أسمعهما يتحدثان عن الخفافيش المصاصة بلا اكتراث ، كما يتحدث الفلاح عن فراخ الصقور ، فهذه الخفافيش تهجم عليهم كل ليلة لتقتات من دماء أغنامهم وأبقارهم وخيلهم . ومن أجل ذلك ترى أهل القرى يجمعون كرام ماشيتهم وأنعامهم لتقضى ليلها معهم فى الأكواخ التى ينامون فيها ، أما سائر الحيوان فيتركونه للقدر المكتوب عليه . ومهما يكن ، فالذى تمتصه الخفافيش من دمها قليل لا يضيرها .

قال الغلام : « لقد رأيت بعينى خفاشاً يمتص دم ديك ، فإذا به قد أنشب مخالب جناحيه فى ساق الديك ، واعتمد بإحدى قوائمه على الأرض ، فلما مشى الديك مشى معه الخفاش وهو لا يزال ممسكا ساقه ، ولم يكف عن امتصاص دمه » .

وقادنا الأدلاء إلى منحدر شديد الميل يغشاه نبات متسلق له أعواد كأنها حبال ضخمة ، فانحدرنا متسلقين فى شق مظلم ، فإذا بنا نرى فجوة واسعة تفضى إلى الكهف يبلغ ارتفاعها ٧٠ قدماً .

فظللنا ننحدر وننحدر فى ظلمات طامية لا يجليها إلا شعاع المصابيح التى يحملها الأدلاء ، وكان دليلنا الهندى وولده يلصقان فى الحين بعد الحين شمعة فى جدار المنحدر حتى نعرف بها طريق عودتنا . فلما نزلنا نحو نصف ميل كنا نرى هذه الأضواء الصغيرة تلمع كأنها نجوم السماء .

ثم انتهى المنحدر إلى جُرُف هارٍ يفضى إلى فجوة واسعة مظلمة ، فأخذنا حبالاً وتدلينا إلى جوفها ، وكنت أنا أول من هبط وجاء على أثرى الآخرون . فكنت أسمع

خلال ذلك جلبة يخيل إلى السامع أنها خليط من أصوات تداعى الخفافيش وصوت الماء وهو يغلى فى مرجل ، ثم إذا بى أرى شارلز قد وثب إلى جانبى وهو يقول : « هذا صراخ الخفافيش » .

هبطنا بعدئذ إلى أرض الكهف ، ثم سرنا إلى غرفة تتشعب من جوانبها مسالك متعددة ، ولم نلبث أن رأينا على إفريز فى الكهف أشباحاً صغيرة تعدو عليه وتقفز ، فلما سددت إليها أنوار المصابيح صار لها ظل طويل ، فصارت كأنها عفاريت مجنونة تعدو وتركض . ويشرئب أحدها فى الحين بعد الحين وينظر مصوِّباً نظره إلينا ، بيد أنها ظلت مصغية بآذانها الضخمة لتتسمّع الجلبة التى أحدثناها فى كهفها .

وهذه الخفافيش تعدو على قوائمها معتمدة بطرف جناحيها على الأرض، فإذا هى كأسرع ذوات الأربع عدواً . فلما قربنا من مكانها أخذت طائفة كبيرة منها تعدو على أفاريز الكهف ثم تنطلق طائرة فى الجوّ ، وظلت طائفة أخرى فى مكانها كاشرة عن أنيابها الحداد ، صارخة صراخاً مفزعا . فأهويت إلى واحد من هذه الخفافيش المتحدّية وأخذته بيدى ، فظل يكافح للخلاص من يدى المستورة بالقفاز وهو يصيح من فرط الغضب . وقد تبيّن لى أخيراً أنه اقتطع من القفاز السميك قطعتين صغيرتين بأنيابه الحداد . ولو كان اقتطعهما بموسى لما كان القطع أدق مما فعل بأنيابه . وقد حاول شارلز أن يصطاد بعض هذه الخفافيش بشبكة صيده ، ولكن يخيل إلىّ أنها كانت تدرك أتم الادراك ماذا كان يبغى ، فاجتنبت شبكته بأيسر جهد .

ورأيت بعض هذه الخفافيش تعدو على الجدار القائم وهى معلقة بإصبعين طويلتين نابتتين فى طرف الجناحين . وهذه الأصابع جوارح عجيبة ، ففى طرف كل واحد منهما ظفر معقوف،ورأينا عشرات من الخفافيش متعلقة فى السقوف التى فوقنا وهى مقلوبة ورؤوسها إلى أسفل، فاغرة أفواهها ومسددة أنيابها الحداد إلينا . واستطعنا أخيراً أن نصطاد أنواعاً مختلفة منها ، ثم غادرنا الكوخ

وهذه الخفافيش المصاصة أسطورة للتخويف قد انقلبت حقيقة . ومن عادة هذه الخفافيش أن تغتذى بدم الحيوان ، ولكنها فى بعض الأحيان تغتذى أيضاً بدم النائمين من البشر، فإذا رأى الخفاش فريسته لم يحطّ عليها ، فإنه لو فعل لاستيقظ النائم فمن أجل ذلك تراه يهبط هبوطاً رفيقاً على الغطاء الذى يتغطى به ، ثم يثبُ برفق معتمداً على أطراف جناحيه ويزحف ميمماً شطر وجه النائم ، وهو يفعل ذلك بأدق الحذر وأتمه .

ثم يختار من فريسته أوفق مكان لما يريد بحيث يكون قليـل الأعصاب كثير الدم ، كشحمة الأذن أو أرنبة الأنف. ثم يقرص هذا المكان برفق ، فإذا ذاده النائم عنه ، قفز الخفاش متراجعاً وانتظر صابراً حتى تستغرق فريسته فى النوم ثانية ، ثم يجرب هذه التجربة فى مكان آخر .

فربما جرب ذلك فى مواضع كثيرة حتى ينتهى إلى مكان لا يشعر فيه النائم بمس أنيابه الحداد ، وبعدئذ يفتح فاه أوسع فتح ، ثم يضرب بأنيابه الحداد ضربة سريعة تقطع الجلد كأنما قطع بموسى حادة .

والخفافيش لا تمتص الدم من الجرح ، بل تلعقه بلسانها كما تفعل القطط وهى تلعق اللبن . وكأنها تعرف أحسن المعرفة كيف تفصد عروق الدم حتى يظل الدم سائلا منها لا ينقطع ، ويظل الخفاش يلعق الدم حتى يمتلىء جوفه امتلاء يجعل الطيران أمراً شاقاً عسيراً.

ومع ذلك فليس الخطر الذى يهـدد الإنسان هو مقدار الدم الذى امتصه ، بل ماينقله الخفاش أحياناً من جراثيم الأمراض كالحمى الصفراء وداء الكلب ، وقد روى بعض الهنود الحمر أن داء الكلب الذى حملته الخفافيش مرة أخرى قد تفشى مرة فى بعض مناطق جنوب المكسيك ، فأفنى نحو تسعين فى المئة من الماشية ، فقـد جاءت الخفافيش مسعورة ، وأخذت تعض كل شىء تلقاه فى طريقها ، وقد مات فى جزيرة ترنداد وأرض بناما ناس كثيرون من عضة هذه الخفافيش المسعورة .

يقول الدكتور ألفريد جيرون ، وهو أشهر الثقات فى شئون الخفافيش : « ربما كانت هذه الخفافيش بلاء شديداً ، غير أن استئصالها يحتاج إلى جهد فادح » .



كان ثكرى كلما مر بالبيت الذى كتب فيه روايته « فانيتى فير » يرفع قبعته إجلالا . أما شارلز لام فحضر الحفـلة الأولى التى مثلت فيها إحدى مسرحياته ، فكان هو أشد النظارة المستنكرين صفيراً .



إذا تحدثت المرأة عن ماضيها فهى تريد التوبة منه ، أما الرجل فإنه إذا تحدث عن ماضيه فإنه يريد التبجح به .

هل الحبُّ وحده كافٍ ؟

لودفيج لويسن

مختصرة من مجلة "هاربرز"

الحب ولا ريب أجمل العواطف الإنسانية وأسماها ، وقد بلغ من صدق هذا الرأى أنك ترى كثيراً من الناس يعتقدون أن الحياة الطبيعية المطمئنة يمكن أن تنال بالحرص على بقاء هذه العاطفة حية نابضة . ولكن من منّا لم ير عشرات من علاقات الزواج ، ولا سيما ما كان منها بين المثقفين، قد انفصمت وأعقبت حسرة وألماً، ولا أقول بغضاً وسباباً ؟ وكل ذلك لأن هذه العلاقة نشأت بين الزوجين وهما يظنان أو يعتقدان أن الحب وحده كاف لتوثيق ما بينهما.

والحب ليس غاية فى نفسه ، بل هو وسيلة وسبب إلى غايات كثيرة . ومن الممكن أن تجدّد نشوته السامية بين الحين والحين بين الزوجين ، ولكن لا سبيل إلى ذلك إلا بين زوجين . وذلك لأن الزواج يحدث بينهما ضروباً مختلفة من الرغبات ، سوى الرغبات الجنسية والعاطفية الخالصة، يستطيع كلا الزوجين أن يجعلها لساناً ناطقاً بما انطوى عليه قلبه من حب ، ودليلاً على توثق العلاقة التى بينهما ، وهذه الرغبات المختلفة المستقرة فى نفسهما وإحساسهما انهما حليفان يكافحان معاً دنيا بأسرها ، تيسر لهما أن يستريحا فى الفينة بعد الفينة من جهد العلاقة الجنسية المجردة ، وأن يتيحا لنشوة العاطفة أن تجدّد نفسها .

ولكن من البين أن هذا التجديد لا يمكن أن يتم بين متعاشرين لا تربط بينهما عقدة الزواج . فإن هذين المتعاشرين اللذين ضحيا بكل شىء فى سبيل هذه المعاشرة ، سوف يستبدُّ بهما الخوف أن يكون حبهما قد أخذ يذبل ويموت . ثم ينقلب هذا الخوف إلى شعور بالضعف فى العلاقة الجنسية، ثم يعقب هذا أن يسأل كل منهما نفسه : أترانى أصبحت أعجز من أن أرضى أحداً أو أفتن أحداً ؟ وهذا السؤال هو أقصر طريق يفضى بالمرء إلى أن يلتمس تحقيق قدرته الجنسية بالبحث عن حب جديد ، وبذلك تنفصم أواصر تلك العلاقة الأولى . بيد أن العلاقة الجديدة التى تنشأ بين إنسانين هذا شعورهما ، سوف تنفصم أيضاً ولاريب ، وكلاهما سوف ينتهى إلى سن الشيخوخة وهو وحيد منبوذ تأكل قلبه الحسرات .

ومن منا لم يعرف ، كما عرفت ، زوجة

فى ريّق الصبا والجمال ، قد أبت على علاقتها بحليلها أن تنضج وتصير زواجاً حقاً ، لأن رأسها قد اكتظ بصور الحب الخداعة التى تراها فى السنما وأرادت أن تحققها فى « الحياة » ؟ ولم تجد هذه الزوجة من يقول لها إن آخر ما انتهى إليه البحث العلمى هو أن أولئك الفنانين الذين يجعلون أعضاء أجسامهم وسيلة للتعبير عن فنهم ، قد بلغ منهم غرورهم واستغراقهم فى الإعجاب بأنفسهم ، حتى صاروا أعجز من أن يحيوا حياة طبيعية مطمئنة . وأن مشاهير النجوم هنّ من شواذ النساء ، وأن شهرتهنّ تورثهنّ شعوراً بالوحدة وبفراغ الحياة وتفاهتها ، فيفضى ذلك بهنّ إلى اختلال الأعصاب ، فيلجأن إلى الخمر والمخدرات يلتمسن بها نسيان ما يعتلج فى نفوسهن .

وليس ينفع أن ننكر حقيقة ثابتة ،هى أن الإنسان حيوان ، بيد أنه على الأقل حيوان ليس كسائر الحيوان. فجميع وظائف بدنه ، ولا سيما ما كان متعلقاً بالتناسل ، مرتبطة ارتباطاً عجيباً بالمراكز العصبية العليا وبمجموع عواطفه فى الحياة . وهذا هو سر الفساد فى أمثال تلك الآراء التى يقول بها برتراند رسل، الذى يزعم أن الزواج عند عقلاء الناس قد يكون قائماً « مدى الحياة،ولكنه لا يمنع المرء من أن تكون له علاقات جنسية أخرى ».

ولندرس الآن حقائق هذا الموضوع . فالرجل والمرأة إذا أحب أحدهما الآخر حبًّا صادقاً ، يجد كل منهما فى نفسه دافعاً غريزياً يدفعه إلى أن يستأثر بصاحبه استئثاراً كاملا . وهذا الاستئثار ليس نزوة عصبية، بل هو أصل ثابت من أصول الحياة الإنسانية، وهو ينطوى على حقيقة خالدة يدركها عامة الخلق ويعمى عنها بعض كبار الفلاسفة . ومؤدى هذه الحقيقة هو أن الدوافع التى تضم بدناً إلى بدن ، تضم أيضاً شعور الرجل والمرأة وعواطفهما ضما لا فكاك منه .

ورأى الفيلسوف رسل وأتباعه من المتطرفين فى المسائل الجنسية والزواج ، خليق أن يعد رأياً فظيعاً ، لولا ما فيه من سخافة . فهو يزعم أن الزوج ، أو الزوجة، يستطيع أن يخلص للزواج ذلك الإخلاص الكامل الذى لا خير فى الزواج إلا به ، على حين ترى الزوج الآخر تنهش قلبه أفاعى الشعور بأنه لا يستمتع بالحب وما فيه من نشوات ولذات . ومن أعراض الاختلال فى أبناء عصرنا هذا ، أنك تراهم يقرأون آراء لفيلسوف فيحملونها على محمل الجد . ولو أرادت جماعة من أصحاء الناس أن تطبق تلك الآراء فى حياتها ، لأفضت بهم إلى مآسٍ دامية أو إلى مهازل مضحكة سخيفة.

ومن العجب أن يحتاج المرء إلى إثبات

هذه الحقيقة بالبرهان ! فالحكمة المستقرة فى تاريخ البشر ، والتى انطوت عليها آدابهم ودياناتهم وفلسفاتهم ، تبين مايستطيع هذا الإنسان أن يفعله وما لا يستطيع . فالأشياء المحرمة ليست شراً لأنها حرمت ، ولكنها حرمت لأنها عقيمة، ولأنها لا تصلح للبشر. وقد عرف الناس أن الرجل إذا تزوج بعد زوجته الأولى كان أسعد فى زواجه الثانى ، لأنه يفعل ذلك وهو أنضج معرفة ورأياً . أما أن يكون متزوجاً وله خليلة فى الوقت نفسه فذلك منافٍ لطبيعة الزواج، ولا يثاب عليه إحساساً بالسعادة . فالحافز إلى الزواج يوجب على المرء أن يختار لنفسه ما يؤثره ، وأن يزهد فيما لم يقع عليه اختياره . وإذن فالزواج القائم على الحب يقتضى انصراف الزوجين عن سائر العلاقات الجنسية الأخرى.

فالحبُّ الذى يدفع المرء إلى اختيار زوجة والزهد فى سواها ، يتطلب مكاناً يحقق له غايته . فإذا توثقت علاقة الحب بين رجل وامرأة ، فلابد عندئذ من أن يلتمسا مثوى لهما ، هو البيت الذى يدل على اتحادها، وعلى وحدة آمالها ومآربهما .

ثم يأتى بعد ذلك ما يضمه البيت من ممتلكاتهما . فكل ما يكون فى البيت من أشياء الزوجة كدواليبها ، وستائرها التى صنعتها بيديها ، وألعاب أطفالها ، وصورها المعلقة — وكل ما فيه من أشياء الزوج من كتب على رفوفها ، أو من كرسىّ يجلس عليه ليقرأ أو يستريح ، أو حديقة يتعهدها بنفسه ، كل ذلك يصبح عند كل منهما رمزاً للحب الذى بينهما. فإن هذه البيئة التى أنشآها معاً تعبر عن ذوقهما وعن خصائص نفسهما ، وتصير رمزاً للحياة فى نظرهما .

وليس كل الناس يصلح للزواج ، وأنا لا أرى بأساً فى أن يصبح عقد الزواج أشقّ مما هو ، وأن يصبح الطلاق أسهل مماهو ، وأن يكون من خاصة شأن الزوجين وحدهما. ولن تهولنى كثرة الطلاق أو زيادته. بل الذى يهولنى أنى تدبرت كثيراً من عُرى الزواج التى انفصمت، فرأيت أن الزوجين لم يحاولا قط أن يدركا حقيقة الزواج ، بل كل مافعلاه هو أنهما تعاقدا تعاقداً شرعيًّا يتيح لهما علاقة جنسية يرتضيانها ، وظنَّا أن ذلك حسبهما حتى تظل هذه الرابطة متينة لا يلحقها وَهَن ولا اضطراب .

بيد أنى أستطيع أن أتخيل يوماً يكثر فيه الطلاق ، وتكون كثرته دليلا على أن الرجال والنساء قد صاروا أحسن إدراكا للعلاقة التى بينهما فيكون سبب الطلاق عندئذ هو أن المتعاقدين قد اهتديا إلى علة لا يحسن تقدير خطرها أحدٌ سواهما ، وأن هذه العلّة تجعل زواجهما أضعف من أن

يكون زواجاً يرجى خيره ويطول بقاؤه .
وقد قال أحد الظرفاء من الفرنسيين : «من العسير أن تجد زواجاً كله بهجة ومتاع» . وهذه كلمة تنطوي على حق كثير ، فالزواج إذا أريد به تحقيق غايات الحياة ، كان في وسع الزوجين أن يديما بهجته ومتعته زمناً طويلا . أما إذا تزوجا من أجل المتعة وحسب . فصيره عندئذ كمصير سائر الحماقات ، وهو أن يهدم نفسه بنفسه . فالإنسان كما قلنا حيوان يمتاز بالقدرة على الاختيار ، فإذا أراد أن يبلغ غاية ما يرضيه ، فعليه أن يسترشد بالعقل في تعيين غاية يسعى إليها ، وأن يزهد في كل شيء سوى ما يختاره . وهذا هو السبيل الوحيد الذي يدرك به غايته.



الجواب اللبق

كانت ماري ملكة رومانيا ـ جدّة الملك ميخائيل ـ شديدة الإعجاب بنفسها . فأشارت إلى ذلك إحدى صديقاتها ، فروت الملكة الرواية التالية عن نفسها ، قالت : «قلت ذات يوم لصديق قديم ما أشد توافقنا في الرأي ، مع أنني لا أكاد أجد شيئاً مشتركا بيننا» فقال : «بل أجد ما لا تجدين . فجلالتك غفلت عن اشتراكنا في شيء خطير ، فأنا أرى أنك إمرأة مدهشة وأنت ترين الرأي نفسه» .

نشرت صحيفة إنجليزية ذات مرة الكلمة التالية : «رأى بعضهم أمس المصور الأمريكي ويسلر والكاتب الإرلندي أسكار وايلد يتمشيان على ساحل البحر ويتحدثان كعادتهما عن نفسهما» . فأرسل ويسلر القصاصة إلى وايلد مع رقعة كتب فيها : «حبذا لو تحرى الصحفيون الدقة في الرواية ، ولعلك تذكر يا أسكار أننا كنا نتحدث عني» . فأرسل وايلد برقية إلى ويسلر جاء فيها : «حقا كنا نتحدث عنك ، ولكنني كنت أفكر في نفسي» .

كانت شوارع لنـــدن بغير أرصفة في أيام لورد تشسترفيلد صاحب الرسائل المشهورة إلى ابنه ، فكان الذي يسير فيها حذاء جدار المباني يسير في أجف جزء من الطريق الموحل . وفي ذات يوم لقي تشسترفيلد رجلا مقبلا عليه حذاء الجدار ، وإذا الرجل يرفع رأسه ويقول «أنا لا أخلي الطريق لوغد كائناً من كان» فانحنى تشسترفيلد ، وأفسح له الطريق وهو يقول : «أما أنا فأفعل» .

عشرات من المدن تلجأ إلى هـذا الرجل ليبين لرجال الشرطة فيها كيف يصان الأمن وينفذ القانون



مهد الطريق لكفاح الجرائم

دين جننجز

مختصرة من مجلة "ذى بروجرسيف"

هذا رجلٌ مديد القامة رقيق الحاشية أبيض الشعر، ذو عينين شهباوين تلمعان من وراءِ نظارتيهِ اللتين يطوقهما طوق دقيق من الذهب. وهو فى الحادية والسبعين من عمره، فإذا رأيتهُ فى بيته ألفيته يدندن على قيثارةٍ، أو يتصفح كتب الطهى، أو يضع كشوفاً بأسماء الزهور فى اللغة اللاتينية، فلا يخطر لك قط أنه من رجال الشرطة.

ولكنَّ بسمة الهدوء التى تخيِّل إليك أنه أستاذ فى جامعة، تخفى وراءها عقلا متوقداً، هو الذى ابتكر نهجاً جديداً لرجال الشرطة فى كفاح الجرائم. فبفضل ما سبق إليه هذا الرجل — أوجست فلمر — نرى الهيئات التى تعهد إليها الحكومات بتنفيذ القانون ومناضلة المجرمين، قد صار لها معامل للبحث وسيَّارات توجَّه بالراديو، ومدارس لرجال الشرطة، وجهاز يفضح الكذب حين يستجوب المشبوهون، وطريقة نافعة للتعرف على اللصوص، وغيرها من الوسائل التى أنقذت أرواحاً كثيرة من الهلاك، ومالاً وافراً من أن يضيع.

ومنذ عهد قريب أراد شانج كاى شك أن يعيد تنظيم دائرة الشرطة فى الصين، فأحيل إلى فلمر، فقال فلمر: «هذه مهمة تحتاج إلى نشاط رجل أصغر منى سنًّا، فيسرُّنى أن أوصى أحد الذين درَّبتهم بقبولها».

والرجال الذين قام فلمر على تدريبهم موزعون فى أرجاء الأرض، فتجد بينهم رؤساء دوائر الشرطة، أو رجال المباحث، أو علماء معامل البحث، أو مديرين أو مشرفين على تنفيذ القانون، وجميعهم يسير على النهج الذى درَّبهم عليه، فقد قال منذ اثنتين وأربعين سنة: «الجريمة معركة،

وأحسن الجيشين تدريباً ينال الظفر فيها . والشرطيُّ العادى هو الأصل فى هذا الجيش، فإذا أحسنت تدريبه، وزدت مرتبه، وقدرت عمله، فإنك لن تبوء بالهزيمة » .

كان فلمر فى سنة ١٩٠٥ ساعى بريد فى مدينة بركلى القريبة من سان فرنسسكو يوم استوقفه فى الطريق رجل يدعى رتشردسن وكان يومئذ صاحب صحيفة « بركلى جازيت » ثم صار حاكماً لولاية كاليفورنيا .

قال رتشردسن : « نحبُّ أن ترشّح لمنصب « مارشال المدينة » حتى تطهر المدينة من المجرمين الذين جاءوها من سان فرنسسكو » .

فقبل فلمر ما عرض عليه بعد تردد ، وتم انتخابه . وكان مكتب مدير البوليس حجرة رثة قائمة وراء دار المطافىء ، وكان فيها دفتر مهلهل سجلت فيه أنباء الجرائم . فعين فلمر ثلاثة رجال وكساهم كسوة رجال الشرطة ، وعهد إليهم أن يضعوا له نظاماً للبطاقات تسهل العودة إليها عند الحاجة إليها. ثم اشترى دراجات لرجاله، فصاروا أول قوة من رجال الشرطة تتحرك على عجلات .

وكان فى مدينة لوس أنجليس رجل أقام نفسه حارساً على حيه ، فكان يوفق إلى إلقاء القبض على عدد من اللصوص يفوق العدد الذى يوفق إليه رجال الشرطة مجتمعين فى الناحية كلها . وكان قد ركب مصابيح حمراً وتلفونات صغيرة على عُمُد الشوارع فى جيرته ، فإذا تحدث أحد أصحاب البيوت بالتلفون يشكو وجود رجال مشبوهين يجوسون فى الحى ، تولت زوجته إرسال الإشارة إلى جميع الجهات بهذا النظام المبتكر لتنبيه الحراس . فقال فلمر : « هذا هو الشىء الذى نريده » . ثم أجرى انتخاب خاص، فوافق أهل المدينة على إرصاد ٢٥ ألف ريال لإنشاء نظام على مثاله ابتكره فلمر يتيح لرجال الشرطة أن يذيعوا أنباء الحوادث بأسرع ما يستطاع ، ثم أخذت به مدن كثيرة .

وكذلك تمكن فلمر ورجاله من إيقاع طائفة من المجرمين فى شركهم، وبينهم القاتل والسفّاك ولص المصارف ، وكانوا جميعاً ذوى شهرة وخطر فى إحدى المدن الكبيرة، ولكنهم نجوا من الوقوع فى حبائل رجال الأمن . وقد قضى فلمر أيضاً على أوكار المقامرة التى يديرها الصينيون ، وعلى باعة المخدرات والنشالين . فلم تكد تنقضى سنتان عليه فى هذا المنصب حتى صار معدل الجرائم فى مدينة بركلى أقلّ مما كان فى سائر المدن الأمريكية، ولا يزال، وكذلك جدّد انتخابهُ بغير معارضة . فلما وضع دستور جديد للمدينة وألغى فيه منصب

«مارشال المدينة» عين فلمر مديراً للشرطة، وظلّ مديراً لها سبعة وعشرين عاما .

ودأب فلمر على زيارة السجون والمحاكم وفحص سجلات دوائر الشرطة فى المدن الأخرى ، وجاس فى عالم المجرمين ، وتعرف إلى العتاة من القتلة وكاسرى الخزائن والمبتزين ، والمحكوم عليهم ، فتبين أن معظم المجرمين لهم صورة بيّنة من العادات الرتيبة . فالمجرم رينولدز « الحافى » كان يرتكب ما يرتكب وهو حافى القدمين ، وكان يدخل البيوت من نافذة فى الدور الثانى من البيت ، فى الساعة الثالثة صباحاً ، وكان يسرق النقود ولا يسرق الحلىّ ، وكان يستعمل قطعة حديد لفتح النوافذ والأبواب طولها نصف بوصة . فقال فلمر لنفسه ، لو استطعنا أن نضع فهرساً لهذه الخصائص ، لصار فى وسعنا أن نتعرف بسرعة على المجرم من آثار جريمته . فاستدعى إليه رجلا من أهل علم الإحصاء ، وصنعا أول فهرس من هذا القبيل فى العالم ، فصار يُعَدُّ الآن وسيلة لا غنى عنها فى دوائر الشرطة .

وقد أدرك فلمر فى تلك السنوات الأول أنه يواجه مع رجاله مشكلات كثيرة لم يتدربوا على علاجها ولا تأهبوا له . فقد حدث مرة أن مات رجل بعد أن أصيب فى حادثة قطار ، لأن الشرطىّ الذى شهد الحادث كان لا يعرف كيف يعقد العقدة التى تمنع النزف . وحدث مرة أخرى أن جاء حكم المحكمة ضدّ فلمر ودائرته ، لأن رجاله كانوا يجهلون ما ينبغى أن يعرفوهُ من أصول القانون وتسجيل الدليل .

فقد وجد رجلٌ ميتاً فى مدينة بركلى ويده منقبضة على زجاجة سيانيد ، فقرر الضابط الذى تولى بحث الحادثة أنهُ انتحار بيد أن فلمر ارتاب فى صواب هذا القرار فبحث الموضوع مع جاك لوب العالم بالكيمياء الحيوية فقال لوب : « إذا تجرّع امرؤٌ قليلا من السيانيد مات لفوره ، واسترخت عضلاتهُ . فمن المستحيل أن تنقبض يدهُ على الزجاجة ، ولا بدّ أن يكون أحد الناس قد وضعها حيث وجدتموها » . فطلب فلمر تجديد بحث القضية ، ولكن الدليل المادىّ كان قد زال . قال فلمر : « لقد نجا مجرم قاتل ، وأدركت يومئذٍ أننا لسنا سوى جماعة من رجال الشرطة البلهاء » .

فساءه أن يبوء بهذه الخيبة ، فطلب من لوب أن يلقى محاضرة على رجال الشرطة فى موضوع السموم ، ثم استدرج غيره من الخبراء إلى المحاضرة . فجاء الأطباء والمحامون وعلماء النفس وخبراء المجاهر ، بل استدعى فلمر بعض المجرمين الذين كفوا عن الإجرام ليحاضروا رجاله . فقال : « وأهم ما تعلمناه

منهم أن المجرمين لا يبدون أبداً أنهم أهل إجرام » .

وقد صارت هذه المحاضرات بعد زمن منهجاً ينبغى لرجال الشرطة أن يتدارسوه ، وجعل يحث خريجى الجامعات على أن يتخذوا عمل الشرطة عمـلا لهم فى الحياة . فأقبلت عليه فئة من أذكاهم وأعلاهم كعباً ، وزاد عدد الذين أقبلوا عليه من خريجى الجامعات حتى اقترح على جامعة كاليفورنيا منهجاً فى دراسة الإجرام . فاجتمعت الفصول الأولى فى يوم من أيام يونيو ١٩١٦ — فكان ذلك اليوم يوم مولد الشرطى المثقف .

وكان فلمر لاينى فى البحث عن أسلحة جديدة تعزز قدرة رجاله على النهوض بمهامهم. وقد سمع ذات يوم عن تجارب أجريت فى الجيش فدلت على أن ضغط دم المجرم يتغير ساعة يستجوب. فنقل الخبر إلى شرطى شاب يدعى جون لارسن ، وإذا هذا الشـاب يستغرق مدة أسبوع كامل فى معامل الطبيعة فى الجامعة ، فلما عاد كان معه جهاز غريب الشكل زعم أنه يقيس فى وقت واحد معدل العرق المتصبب من الجسم ، وضغـط الدم ونبض القلب . وربط لارسن سيوراً حول ذراعه وصدره وقال لرئيسه: «وجه أسئلتك إلى ، ولتراقب إبرة الجهاز وأنا أجيب » .

وقبل ذلك ببضع ليال حدثت سرقة فى المنطقة التى وكل لارسن بها ، وكان هو فى تلك اللحظة يتعشى فى مطعم قريب، وهذا مخالف للقواعد المتبعة . وكان فلمر قد رآه فى المطعم ولكنه لم يذكر له أن رآه ، فثبت الرئيس نظره فى نظر جون وقال : « لم تكن فى مركزك ساعة حدثت السرقة منذ ليال ، أليس ذلك صحيحاً ؟ »

فقال جون : « بل كنت » .

وإذا إبرة الجهاز تثب وثبـة عنيفة ، فنظر جون إليها وقد جحظت عيناه وقال : « إن هذا الجهاز ينفع فى فضح الكذاب » . ومن سخريات القدر أن كان مخترع الجهاز أول من وقع فى حبـائله . ولم يمض زمن طويل حتى جاء طالب من المدرسة الثانوية يزور دائرة البوليس، فسحره ما رآه من هذا الجهاز الذى يفضح الكذب ، فأذن له فلمر أن يجربه . وأنت ترى ذلك الفتى قد صار اليوم أكبر ثقة فى موضوع الجهـاز الذى يفضح الكـذب . أما لارســن فقد وضع بعد ذلك نظاماً لبصمة الإصبع الواحدة ، واشتهر فى الطب النفسى .

وكان بين فتيـان فلمر فتى آخر يدعى كلارنس تيلور ، وكان يعنى عنـاية خاصة بموضوع حوادث التصادم على الطرق . وقد لاحظ ذات يوم شعاعاً من ضوء ينعكس من شظية زجاج مدفونة فى الأسفلت على الطريق ،

فخطر له أن يصنع كرات من الألومنيوم اللامع وأن يدفنها على خط فى منتصف الطريق ، فيردّ جزؤها الأعلى النور أيا كان مصدره . وقد شجعه فلمر فوضع هذا النظام الذى ذاع الانتفاع به فى أقطار الأرض .

وفى ربيع ١٩١٤ تفشت فى مدينة بركلى موجة من الإجرام — من نهب وتدمير ، وكان المجرمون فتياناً صغاراً . فقال فلمر لرجاله المكدودين : « لن نبلغ غايتنا إذا اكتفينا بإلقاء القبض على هؤلاء الفتيان الآثمين ، فهم يلعبون لعباً يفضى إلى جدٍّ ، فيتولى بعضهم تمثيل رجال الشرطة ، ويتولى البعض الآخر تمثيل المجرمين . فلنقلب الآية ، ولنلحقهم فعلا برجال الشرطة ، ولنعط كلا منهم الشارة التى تميّزه ، ولنضع على ذراعه النطاق الذى يعطيه بعض السلطة ، فخير لنا أن يكونوا أعوانا لنا » .

وسرعان ما توافد الفتيان على مقر دائرة الشرطة — جاء خمسون أولا ثم مئة ، ثم صاروا جمهوراً صاخباً عدد أفراده ٣٠٠ فتى . وكان منهم كثيرون قد ارتكبوا آثاماً خطيرة ، وكان غيرهم ممن دأب على الفرار من المدرسة ، فقطعوا جميعاً عهداً ووقعوه بأن يحترموا الشارة التى يلبسونها ، وأن ينفذوا القانون . ومن ثم وقف الاعتداء على مركبات الشحن وعربات الفاكهة ونهبها ، وانقطع عن دائرة الشرطة سيل الشكاوى من نوافذ كسرت ، ودراجات سرقت ، وسرقات أخرى صغيرة وقعت فى المدارس والكنائس .

ثم وكل إليهم فلمر أن يعملوا فى شرطة المرور برياسة تيلور ، فكان ذلك منشأ جماعة صار لها شأن فى الولايات المتحدة كلها .

وفى تلك الأيام نبتت فى ذهن فلمر فكرة السيارات البوليسية المزودة بالراديو .

وقد دعى فلمر إلى كتابة فصل البحث الجنائى فى دائرة المعارف البريطانية ، فكتب فصلا شمل بضع صفحات دون أن يذكر نفسه فيما سبق إليه فى أساليب البحث الجنائى . وانتخب رئيساً للجمعية الدولية لرؤساء دوائر الشرطة ، فصار مكتبه كعبة لرجال الشرطة فى جميع أرجاء الأرض . وقد أرسلت إليه اسكتلنديارد ثلاثة من رجالها ، وحذت حذوه دوائر الشرطة فى طوكيو وبرلين وبراج .

وفلمر يثق ثقة عظيمة بفتيانه ، ولكن عددهم كان غير كاف يوم بدأت طائفة من المدن تسأله أن يعينها فى كفاح المجرمين . وقد حدث أن ازدادت الجرائم ثلاثة أضعاف فى مدينة لوس أنجيليس حتى هددت شركات التأمين بإلغاء جميع العقود . فذهب وفد من أهل المدينة إلى فلمر وأقنعوه بأن يتولى فيها رياسة دائرة الشرطة زمناً محدوداً .

فأمر أولا بأن يحضروا له خريطة كبيرة للمدينة ، وجعل يغرز فيها دبابيس ملونة ،

فكل لون يدل على نوع بعينه من الجرائم . فتبين أن بعض مناطق المدينة تغطيها هذه الدبابيس الملونة دلالة على كثرة الإجرام فيها، فوضع خطته ليهاجمها منطقة بعد منطقة . واختار ٣٠٠ رجل من رجال الشرطة ، وكساهم بالثياب العادية ووزعهم كما يوزع القائد رجال كتيبة من الفدائيين ، وجعل غرضهم أن ينقضوا على لصوص السيارات أولا ، وأعطاهم كشوفاً بالسيارات التي سرقت ، والسيارات المحفوظة في حظائرها ، أو على قارعة الطريق. فما انقضت أيام حتى قل معدل ما يسرق من ٢٥ إلى ٦ في اليوم . ثم انتقل فلمر بكتيبته إلى منطقة تكثر فيها السرقات، وأقام فيها ما يغرى اللصوص ، فترك البيوت والشقق مفتوحة غير موصدة الأبواب ، بل اشترك بعض رجاله مع اللصوص في اقتحام البيوت ، فإذا مئات من المجرمين يقعون في حبالته. وكان من أثر النجاح الباهر الذي أحرزه في لوس أنجيليس أن توالت عليه الطلبات من مدن أخرى ، فما أنجز العمل في المئة الأولى من هذه المدن حتى كان قد انتهى إلى رأى صار منذ ذلك الحين بعض دعوته إلى شن الحرب على الجريمة ، قال :

« إن دوائر الشرطة تتفاوت اليوم من الصالحة الممتازة إلى عديمة الجدوى ، ومعظم رجال الشرطة يريدون أن ينهضوا بعملهم على أفضل وجه ، ولكنهم لا يعرفون كيف يفعلون ذلك. فنحن نختار أيا كان من الرجال، ونعطيه الشارة ونقول له إنك اليوم من حماة الأمن والقانون. وليس نادراً أن يكون هو أضعف ذهناً من المجرم الذي ينبغي له أن يكشفه ويلقي القبض عليه. ولن نتقدم تقدماً مجدياً في كفاح الإجرام حتى يتاح لكل رجل في دوائر الشرطة أن يدرب أو في تدريب على مهمته » .

ولا يزال الطلب يجيء في أثر الطلب يدعو فلمر لكي يتولى تنظيم دوائر الشرطة في هذه المدينة أو تلك، ولكنه اليوم مستغرق في تأليف كتابه الخامس عن « العلم البوليسي » . وهو يسكن وحده في مسقط رأسه، ويستقبل زواره من رجال الشرطة ، ويكتب عدداً عظيماً من الرسائل إلى رؤساء الشرطة والمدربين في مدارس الشرطة في أمريكا نفسها وفي إنجلترا والصين وغيرها . وكثيراً ما يزوره بعض المجرمين فيدور الحديث على أمور تهمهم جميعاً .

ومنذ عهد قريب ذهب أحد أصدقاء فلمر إليه حاملا طائفة من القصص البوليسية فأخذها فلمر بيده ثم ردها وقال : « شكراً ياصاحبي فلم أقرأ في حياتي سوى قصة بوليسية واحدة ، وقد وجدتها مملة » .

قصة شبح

لويس أنز باكر
مؤلف مسرحي ، وعضو الجمعية الأمريكية للبحوث النفسانية

مختصرة من مجلة "منادي البلدة".

هذه قصة إنذار خفي مهول أنقذ حياة رجل عظيم مشهور هو لورد دفرين الذي كان يومئذ سفير بريطانيا في فرنسا ، وكان من قبل حاكما عاما لكندا وسفيراً في إيطاليا ، ثم حاكما عاما للهند . وقد تولى ده ماتاري العالم النفسي الفرنسي الذائع الصيت تحقيق هذه الحادثة ، ثم عرضها على الجمعية البريطانية للبحث النفساني .

لبي لورد دفرين دعوة صديقه القديم السر هنري .. ليزوره في قصره في إرلندة . كانت ليلة قمراء وكل شيء هادىء ساكن وقد نضا لورد دفرين ثيابه وأوى إلى فراشه ، وسرعان ما ران النوم على عينيه . وإذا به يستيقظ على حين فجأة دون أن يكون ليقظته سبب ما ، فجو الحجرة ممتلىء بشيء غريب — كأنما هو مشحون بالكهرباء ! فيحس دفرين في قرارة نفسه بهاتف من حوله ينذر بالشر ، فلم يعرف له تعليلا .

كان ضياء القمر الشاحب يملأ الحجرة ، فأنار دفرين المصابيح ، فأعانه ذلك على أن يطرد الظلال الغريبة التي ألقاها ضياء القمر على أرض الحجرة وجدرانها ، ثم انتفض انتفاضة قوية حتى يستوثق من أنه مستيقظ لا نائم حالم . ثم أشعل لفافة ودخنها وهو يحاول أن يجمع شتات نفسه ، فألفى حواسه مرهفة متنبهة تنبهاً عجيباً ، ولكنه عجز عن أن يكشف شيئاً يمكنه من تعليل هذا التطير الذي يملأ جوانحه .

وحدث دفرين نفسه : «حقاً لقد صرت كالفتاة الغريرة ، يستبد بي الخوف والجزع لأهون سبب ، وعلى كل حال فالشائع أن الأرواح تسكن هذه القصور الإرلندية القديمة ، وعسى أن تكون إحدى تلك الأرواح قد خرجت تطوف الليلة » .

بيد أنه لا يصدق كل هذا الهراء ، فليس لهذه الأوهام مكان ولا أثر في حياة الرجل من ذوي الأعمال ، وهذا فصل الخطاب .

كانت نوافذ الحجرة مفتوحة ، ترى ما هذه الأصوات ؟ ربما كان ذلك صوت طائر

يرفرف بجناحيه، ولا تنسين الصراصير وضفادع الشجر. نعم — ولكن ماهذا الأنين الطويل الخافت . ليس فى الفضاء نسمة من هواء، وليس فى الشجر غصن يميل ، فلن يكون مصدر الأنين زفيف الريح فى الشجر أمام الحجرة ، ولا حفيف الستائر المدلاة على جوانب نوافذها . قد يكون بومة — فكل صوت يبدو غريباً فى هذه الليلة القمراء !

مهلا ! لقد عاد الأنين ، بل يخيل إليك أنه إنسان يلهث أو يئن، لعل أحداً أصيب بأذى . وإذا به يثب من فراشه ويذهب إلى النافذة .

كانت النوافذ كبيرة متسعة ، إذا فتحتها صارت كالأبواب ، فتفضى بك إلى المرج السندسى المنبسط أمام الحجرة ، وقد قامت على جنباته أشجار بواسق تلقى عليه ظلالا ضخمة. فوقف دفرين يحدق إلى هذه الظلال، وإذا به يرى بغتة شيئاً قد أخذ يتحرك، أما الأنين فلم يزل متصلا. وإذا شبح يخرج من الظلام حتى يغمره ضياء القمر ، إنه رجل ينوء بحمل ثقيل قد رفعه على كتفيه، وهذا الحمل يشبه صندوقا أسود، ويخفى عن دفرين وجه الرجل الذى يحمله .

لقد صار الرجل فى الرحبة التى يضيئها القمر، فيتبين دفرين أنه يحمل نعشاً ضخماً . ترى أهذا مجرم يفر بقتيل ، أم لص يفر بجثة ميت؟ فيهرع دفرين إليه ويسبقه فيعترضه ويناديه : «مهلا أيها الرجل ، ماذا تحمل فى هذا الصندوق ؟ »

وما كاد الرجل يسمع هذا النداء حتى رفع رأسه من تحت العبء الذى ينوء به ، فرأى دفرين وجهاً كأنه وجه غولة ، فيه دمامة مشوبة بالكآبة ، فتغثى نفس دفرين من بشاعة مارأى ، فيرتد خطوة ، إنه وجه كتبت عليه الآثام بحروف بغيضة ملتوية ، حتى انطبعت صورته فى فؤاد دفرين كأنما هى وسم لايزول .

ولكن دفرين قوى عزيمته وصاح بالرجل « إلى أين تذهب بما تحمل ؟ » فلما دنا من الرجل والنعش ليكفه عن المضى، اختفى الرجل والنعش من أمام عينيه ، فكأنه فى تقدمه قد اخترق الرجل والنعش كليهما ، وليس فى العشب الندى آثار أقدام، بل ليس فى الدنيا من حوله سوى ضياء القمر يسخر منه ، وهمسات الليل الغريبة المفزعة .

فقف شعر دفرين ، ولكنه أبى أن يزعج نوام القصر، فقفل راجعاً إلى حجرته ودون فى مذكراته جميع تفاصيل هذا الحدث الغريب.

فلما فرغ من طعام الفطور فى صباح اليوم التالى جعل يوجه السؤال فى إثر السؤال إلى مضيفه السر هنرى ، فعرف منه أن القرية لم تشهد فى الأيام القريبة وفاة أحد ولا دفن

أحد فى مقبرتها ، وعجز الذين سألهم جميعاً عن أن يتبينوا بين معارفهم رجلا له تلك الملامح .

وكذلك ظل مارآه دفرين لغزاً مغلقاً . ولو لم يكن لهذه القصة ذيل ونهاية لظلت وصفاً لحدث من تلك الأحداث المحيرة التى يشق تفسيرها ، ثم تصير على الأيام أسطورة من الأساطير .

وبعد ذلك بسنوات عين لورد دفرين سفيراً لبريطانيا فى فرنسا ، فدعى ذات مرة إلى حفل رسمى أقيم فى « جراند أوتيل » فى باريس ، وكان بهو الفندق مزدحماً بممثلى الدول ، فسار به سكرتيره الخاص إلى أحد المصاعد فى الفندق ، فألفى أمام بابه فئة من رجال الدولة فأفسحوا الطريق ليتقدمهم إذ كان له حق التقدم ، فمر بهم وهو ينحنى ويحيى .

كان باب المصعد مفتوحاً ، فلما هم دفرين بأن يدخله حانت منـــه التفاتة فرأى الرجل الموكل بالمصعد ، فيرتد فزعاً ! ويمد ذراعه فيمنع سكرتيره من الدخول . ترى ماذا جرى ؟

لقد رأى أمامه ذلك الوجه الذى طبع على صفحة فؤاده بخطوط من نار فى إرلندة ، فيحملق فيه فزعاً . نعم هذا هو ، فهذه هى الملامح المشوهة المخيفـة ! ولـكن كيف استطاع هذا الوجه العابس المفزع ، وهذا البدن المربوع الذى لا يمكن أن ينسى ، كيف استطاع هذا الرجل أن يعبر السنين من أرض إرلندية موحشة فى ليلة قمراء ، إلى مصعد جراند أوتيل فى باريس ؟ وقد مرت هذه الخواطر فى ذهن دفرين كالبرق ، كما يتصور المشرف على الغرق فى لحظة خاطفة مشاهد حياته السابقة .

بيد أن دفرين السياسى رجل رابط الجأش يملك نفسه ، وما خطر لأحد رآه يومئذ إلا أن السفير البريطانى قد غير رأيه فى اللحظة الأخيرة ، إذ التفت إلى من حوله واعتذر وطلب منهم أن لايطيلوا الانتظار ، وانقلب عائداً إلى البهـو مخلفاً سكرتيره واقفاً معهم .

دخل المصعد فريق من رجال الدولة ، وأوصد الباب وأخذ المصعد يرتفع ، وهرول دفرين إلى مدير الفندق يريد أن يسأله عن الرجل الذى وكل بالمصعد ، ومن أين جاءوا به . وما كاد المدير يهم بالجواب حتى سمع الناس صوت اصطدام عنيف ، فتعالت صيحات الفزع حتى ملأت البهو والأروقة ، وإذا بسكرتير دفرين قد أقبل جاحظ العينين ، فقد حدث حادث مروع : إن المصعد الذى اثنى اللورد عن دخوله ، المصعد الذى وكل به ذلك الرجل الذى رآه فى إرلندة منذ

سنوات قد ارتفع بركابه إلى الدور الخامس وإذا بأحد حباله قد انقطع فهوى إلى قرار البئر ، فهلكوا راكبوه جميعاً .

وحادثة سقوط المصعد مسجلة فى تاريخ باريس، وقد حفلت بأنبائها جميع الصحف فى ذلك العهد . أما الرجل الذى كان موكلا بالمصعد قد قتل مع الذين ركبوه ، ثم عجزنا بعد ذلك عن معرفة أصله وفصله. وقد تضافر رجال الشرطة السرية فى بريطانيا وفرنسا على البحث والاستقصاء ، ولكن دفرين لم يزدد علماً بما أراد .

فهذه هى الحقائق، والأدلة ثابتة لا تدحض، ولكننا لم نجد أحداً يستطيع أن يمالى الحقائق . وكلُّ ما نعلمهُ هو أن حياة دفرين قد أنقذت بهذه الوسيلة الخفية . ولست أزعم أننى أعرف كيف تحدث هذه الحوادث، وإنما أكتفى بأن أروى القصة كما وقعت



هذه طبائع الأزواج

يسرُّ الرجل أن تسير الأمور فى بيته على ما يألف ، فمَن زوجة تستطيع أن ترضى زوجها إذا حرصت على أن تقدم له طعاماً لا يتبدّل، وقد جربت ذلك إحدى صاحباتى . كان زوجها يحب حساء الذرة فدأبت على تقديمه له كل ليلة شهراً كاملا ، فكان يحسوه متلذذاً به ، فلما أشرف الشهر على نهايته أحست هى أنها كرهت هذا الحساء ، فصنعت حساء الطماطم . فلما فرغ من احتسائه التفت إليها وقال : « عسى أن تتفضلى يا عزيزتى فتصنعى لنا فى الحين بعد الحين حساء الذرة فإنه ألذ حساء ذقته فى حياتى » .

[كارول بيرد]

مرضت طفلتنا عشرة أيام ، فسهرت عليها كل ليلة حتى أرهقنى التعب والنعاس ، فقلت لزوجى : عليك أن تستجيب إلى ندائها إذا استيقظت فى الليلة التالية . واستيقظتُ فى الليل على صوت ضعيف محموم ينادى : « ماما ، أريد ماء» فأيقظت زوجى النائم وذكرته بما يجب عليه ، فرفع الغطاء دون أن ينبس ، فقام وذهب إلى الحمام ، وملأ كوباً من الماء فشربه ثم أعاده إلى مكانه ، ورجع إلى سريره فنام .

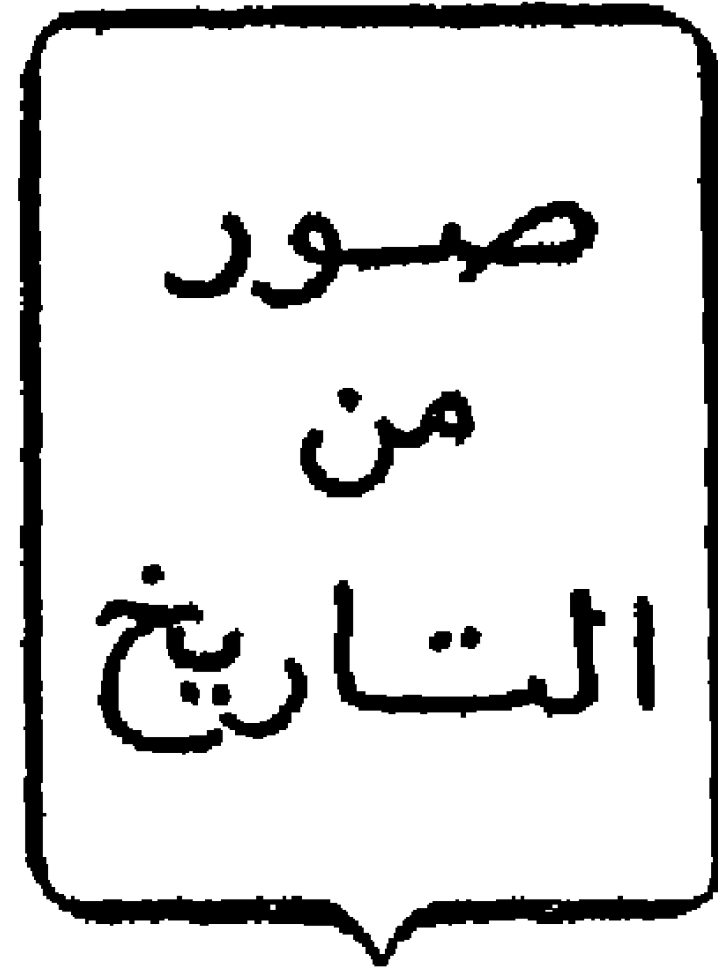
[مسز كاهد ويزمن]

المرأة فى حياة رجل عظيم

دسيل كارنيجي

مؤلف "كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس"

ليست المأساة الكبرى فى حياة لنكولن هى مقتله ، بل زواجه . فإنه لم يمض طويل على خطبته لمارى تود ، حتى بدأت تعمل على صوغه فى غير قالبه ، وكانت تعد ستيفن دوجلاس ، منافس لنكولن السياسى ، مثلا أعلى للرجال . وقد ظل مدة يتحبب إليها ولكنها لم تظفر منه بطائل . فلما بلغ منها اليأس أجمعت عزمها على أن تبذل أقصى جهدها فى الظفر بلنكولن .



وكانت تكره لبسته ، فلم يكن عنده فعلا غير حمالة واحدة لسراويله ، فإذا انقطع زر من أزراره برى خشبة وشد أطراف السراويل إليها ، وكانت هذه البداوة منه مما يهيج سخطها عليه . وكان يبلغ من مضايقتها لنكولن أنه كان فى بعض الأحيان يطوى أياما لا يرى وجهها .

وقد بلغ [illegible] من هذا الزواج وصار [illegible] وبان للموجودين أنه لا [illegible] ، فقطع الخطبة . وكان صديقه [illegible] سبيد يشجعه على ذلك ، [illegible] إلى [illegible] بالحقيقة [illegible] عاد لنكولن سأله سبيد : « حسن ، هل فعلت ما وعدت به ؟ »

فأجاب لنكولن مفكراً : « أجل فعلت ، ولما قلت لها إنى لا أحبها أجهشت بالبكاء وجعلت تعصر كفيها من فرط الألم . وذكرت شيئاً عن الغادر الذى يقع فى مثل غدره » ثم سكت .

« وماذا قالت أيضاً ؟ »

« أقول لك الحق ، لقد رأيت الدمع يجرى على خدى ، فأخذتها بين ذراعى وقبلتها » .

فقال سبيد : « وهكذا كان فسخك للخطبة ! »

فكان رد لنكولن : « إذا كنت قد تورطت ثانية ، فليكن . كذلك . لقد قضى الأمر ، ولما أمضى فيه إلى غايته » . [illegible] وتطورت الأسابيع [illegible] لنكولن متمردة على هذا الزواج نافرة منه . فكانت [illegible] لا تترك له رغبة فى الخروج إلا إلى مكتبه (وكان يومئذ محامياً) أو إلى الجمعية التشريعية فى الولاية [illegible] أول يناير ١٨٤١ ، وكان [illegible] ممزقاً ،

وقد خرج العلية من أهل سبرنجفيلد فى أبهى الحلل فى مركبات الجليـد يتبادلون الزيارة للتهنئة بالسنة الجديدة. وفى الساعة السادسة والنصف من مساء ذلك بدأ المدعوون لحفلة الزواج يتوافدون ، وفى الساعة السادســة والدقيقة الخامسة والأربعين جاء القسيس .

ودقت الساعة السابعــة ، ثم السابعة والنصف ، ولنكولن لم يصل . . . وتعاقبت الدقائق ، ومضت الساعة متثاقلة لا ترحم . ربع ساعة ، ثم نصف ساعة ، هذا كله ولم يظهر لصاحب العرس أثر .

وفى الحجرة المجاورة مارى تود مزينة بجهاز العرس تنتظر ، وهى تعبث هائجــة بالأزهار التى تزين شعرها ، وكانت تغدو وتروح إلى النافذة وعينها إلى ساعة الحائط لا تتحول عنها ، ومرت ساعة أخرى فظيعة. وفى الساعة التاسعة والنصف أخذ المدعوون ينصرفون واحداً إثر واحد فى سكينة ولطف متعجبين حائرين . فلما أن غاب آخرهم عن النظر [illegible] فمزقته وانفجرت صاعدة إلى غرفتها وهى تنتحب . [illegible] على لنكولن فى إمكانه [illegible] [illegible] . [illegible] يتجاهل

« مارى تود » كل التجاهل . وفى أوائل أكتوبر ســـنة ١٨٤٢ طلبت إليه المسز فرنسيس فى سبرنجفيلد أن يزورها فى دارها، فدخل الرجل عليها فى غرفة استقبالها وهو يعجبُ لهذه الدعوة ، فإذا به يرى عندها مارى تود .

وكثر لقاؤهما بعد ذلك ، ولكن لم يلتقيا قط إلا فى دار هذه السيدة . وفى عصر يوم من الأيام ، تقدم لنكولن وهو يتحامل على نفسه وفى قلبه مضض ، وطلب إلى مارى تود أن تكون زوجته، وكان أخوف ما تخافه التأخير، فرغبت فى أن يتم زواجهما فى تلك الليلة بعينها . وأعدّت العدة على عجل حتى إن السكر على كعكة العرس كان لا يزال حاراً لم يجمد بعد، فشق قطعها دون أن تتفتّت حين قدمت للمدعوين . وقد وصفه صديق شهد عرسه فقال : « كان كأنه يساق إلى الموت وهو ينظر ».

وبعد أن تم الزواج بقليل ، كان لنكولن وزوجته يتناولان فطورهما فى نزل السيدة إيرلى فى سبرنجفيلد ، فكان من لنكولن ما أهاج غضب زوجته ولسنا نعرف ما الذى كان منه ، ولكن [illegible] أنها غضبت غضبة جعلتها تقذف بقدح القهوة الساخنة فى وجه زوجها على مرأى من [illegible] النزلاء . ولم ينبس لنكولن بكلمة ، وظل

جالساً فى مكانه مستكيناً صامتاً ، وجاءت صاحبة النُّزل وجعلت تمسح وجهه وثيابه .

ثم كثرت فورات غضبها ، وازدادت حدة على كرّ الأيام . وكانت تكثر انتقاد زوجها ، ولم يكن يرضيها منه شيء : فهو مقوس الكتفين، وليس فى حركته رشاقة . وكانت تقلد مشيته، وتندد بعاداته فى الأكل وعلى المائدة .

ومنذ ذلك الحين إلى أن مات ، ظهرت عليه سيماء حزن عميق يقصر الوصف عن بلوغ غايته . ويروى عن شريكه فى المحاماة وليم هرندون أنه قال : « كان يمشى والأسى يقطر منه » . وقد أجمع ألصق الناس به على أن علة هذا الحزن البعيد الغور هى مأساة زواجه ، فهو لم يكن يعيش فى بيت كبيوت الناس ،حتى إنه لم يدع يوماً ما أقرب أصحابه إليه للعشاء عنده . وكان هو نفسه يجتنب مارى ما استطاع ، فيقضى لياليه مع زملائه فى المكتبة . وكان يرى أحياناً فى آخر الليل هائماً وحده فى الشوارع غير المطروقة ، ناكس الرأس كئيب النفس حزيناً . وكان يقول : « إنى لأكره الرواح إلى البيت» ،فإذا كان الصديق عارفاً بدخيلة أمره فقد يدعوه إلى بيته يبيت عنده تلك الليلة .

ودخل سائق عربة ذات يوم على لنكولن يطلب إليه أن يحمل زوجته على الاعتذار إليه مما قدمته إلى من أهانة ومن ضرب . وأصغى لنكولن إلى قصته،ثم قال محزوناً : « إنى آسف لما أسمعه ، ولكن دعنى أقول لك بكل صراحة: ألا يمكنك أن تحتمل لحظاتٍ قصاراً ما لا أزال أنا ألقاه منها كل يوم منذ خمسة عشر عاماً ؟ »

ولو أن لنكولن كان تزوج آن رتلدج لكان من المرجح أن يكون سعيداً ، ولكنه لم يكن ليبلغ رياسة الجمهورية . فقد كان بطيئاً فى تفكيره وفى حركته ، ولم تكن آن رتلدج من النساء اللواتى يدفعن رجلا إلى طلب الرفعة وعلو المنزلة السياسية . أما مارى تود فكانت شديدة الطموح إلى المعيشة فى « البيت الأبيض » ، فلم تكد تتزوج لنكولن حتى دفعته دفعاً إلى الكونجرس .

فلما انتخب نائباً فى المجلس وجاءت هى إلى وشنطن لتلتحق به ، وجدت الأمر يختلف أشد الاختلاف عما كانت تتوقع . فقد وجدت لنكولن معدماً فقيراً حتى إنه اقترض من دوجلاس ما ينفقه إلى أن يتسلم المكافأة البرلمانية . ومن أجل ذلك نزل لنكولن فى نزل مسز سبرجز ، وكان الشارع غير ممهد ، والرصيف من رماد وحصباء . وكانت غرف النزل باردة الهواء

معرضة للريح ، وليس فيها أنابيب للماء . ولم يكن في مدينة وشنطن مصلحة للنظافة ، فصارت مسز سبرجز تربى البقر والخنازير والأوز وتتركها سارحة في الشوارع .

وألفت ماري باب مجتمعات وشنطن مغلقاً محكم الإغلاق في وجهها ، وبقيت بمعزل عن المجتمع قابعة في غرفتها الباردة الكئيبة تستمع إلى صبي مسز سبرجز وهو يطرد خنازير الجيران من الحديقة .

وظلت ماري على تلك الحال التي لم تتبدل حتى بعد عشر سنوات حين عاد لنكولن إلى وشنطن رئيساً للجمهورية. فقدكانت تتوقع غير مرتابة أنها ستكون واسطة العقد في مجتمع وشنطن ، لأنها هي زوجة الرئيس ، ولكنها دهشت واستخزت حين ألفت نفسها وقد صدت ثانية وردت على أعقابها. وقدكان من عجزها عن كسب الحظوة عند الناس أنها كانت شديد الحسد لكل من بلغ ذلك .

وفي أثناء الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب ، وقبل سقوط رتشموند بقليل، دعا الجنرال جرانت المستر لنكولن رئيس الجمهورية وزوجته لقضاء أسبوع معه على مقربة من ساحة القتال . وكان آدم بادو — ياور الجنرال — منوطاً به حراسة مسز لنكولن ومسز جرانت ، وقد روى لنا هذه الحادثة :

« ذكرت مصادفة أن الأمر قد صدر بأن ترد نساء الضباط إلى المؤخرة — وهي أمارة تدل على أنه توشك أن تدور معركة. وذكرت أنه لم يؤذن لسيدة بالبقاء إلا لزوجة الجنرال جريفين التي نالت إذناً خاصاً من رئيس الجمهورية .

«عند ذلك هبت مسز لنكولن مغضبة وصاحت بي : ماذا تعني ؟ أتعني أنها قابلت الرئيس منفردة به ؟ ألا تعلم أني لا أبيح للرئيس أن ينفرد بامرأة ؟ فاجتهدت أن أهدىء ثائرتها ، ولكنها كانت تغلي من الغيظ . فأردفت تقول : إنك تبسم ابتسامة مريبة جداً . دعني أنزل من هذه المركبة حالا . سأسأل الرئيس هل قابل تلك المرأة منفرداً بها .

«وعبثاً حاولت مسز جرانت أن تخفف من حدتها ، بل لقد أحفظها ذلك وأثار موجدتها على مسز جرانت ، فانثنت اليها تقول : ما إخالك إلا تتوهمين أنك صائرة إلى البيت الأبيض ، أليس كذلك ؟ فما زادت مسز جرانت على أن أجابتها بأنها راضية بمكانها الراهن كل الرضى .

« وكان الرئيس وزوجته قد دعوا للعشاء تلك الليلة الجنرال جرانت وزوجته وأركان حربه ، فأثارت مسز لنكولن مخاصمة أخرى. وظل لنكولن صابراً وعليه

سيماء يتفطر لها القلب حزنا، ولكنه حزن يصحبه وقار ناهيك من وقار. وكان يتوسل بنظرته ولهجته، ويجتهد فى توضيح ما تعتده زوجته إساءة إليها من الناس، ويلتمس الأعذار لهم، حتى ثارت به كالنمرة. فقام الرجل منصرفاً، يوارى طلعته النبيلة الدميمة حتى لا تطلع عيوننا على ما تنطق به أساريره من شقاء».

وكانت ملكة المجتمعات فى وشنطن يومئذ هى الحسناء المشهورة «أديل كاتس دوجلاس» وهى المرأة التى تزوجت صديق مارى قبل لنكولن، فأذكت هذه الحظوة نار الحسد فى صدر مارى، فاعتزمت أن تجذب أنظار المجتمع إليها بالثياب الفاخرة والحلى النفيسة. وتورطت فى الدين حتى بلغ سبعين ألف ريال! وهو مبلغ يدير الرأس إذا ذكرنا أن مرتب الرياسة الذى كان يتقاضاه لنكولن لا يتجاوز خمسة وعشرين ألف ريال. ويوم كان لنكولن يجاهد فى ميدان السياسة جاداً فى طلب الرياسة مرة ثانية، كان دائنو امرأته فى نيويورك يهددون برفع الأمر إلى القضاء. وكانت مارى تخشى أن يستغل خصوم لنكولن ديونها فى إثارة الغبار حول زوجها، فكاد هذا الخاطر يذهب بعقلها. وكانت تقول والدمع يخنقها: «إذا أعيد انتخابه للرياسة كان فى طاقتى أن أبقيه على جهل بهذه الشئون. أما إذا هزم، فعندئذ ترسل إليه كشوف الديون، ويعرف كل شىء».

ولقد قال أحد المعقبين: «لم يكن فى مصرع لنكولن من خير سوى أنه مات وهو يجهل أمر هذه الديون».

ولم يمض أسبوع على طى الرجل فى قبره حتى كانت مارى تسعى جادة فى بيع قمصانه وهى معلمة بالحروف الأولى من اسمه، وقد أودعتها للبيع فى حانوت، وانتهى علم ذلك إلى صديقه سيوارد، فذهب والحزن ملء قلبه فابتاعها جميعاً.

وفى صبيحة اليوم الذى غادرت فيه مارى البيت الأبيض، لم يحضر لتوديعها أحد ولا الرئيس الجديد نفسه. وسافرت ومعها ولداها إلى شيكاغو، وهناك عاشت فى بعض الغرف المفروشة. ولما تمت تصفية ما خلفه لنكولن، بلغ ١١٠٫٢٩٥ ريالا قسمت بين مسز لنكولن وولديها بالتساوى. ثم رحلت مارى إلى خارج أمريكا وعاشت فى عزلة عن الناس تطالع القصص الفرنسية وتجتنب الأمريكيين أجمعين. وعادت مسز لنكولن إلى الاحتجاج بالفقر، فقدمت ملتمساً إلى مجلس الشيوخ تطلب إجراء معاش سنوى قدره خمسة آلاف ريال، فاستقبلت العريضة بالصفير من شرفة الزائرين. ثم بعد شهود

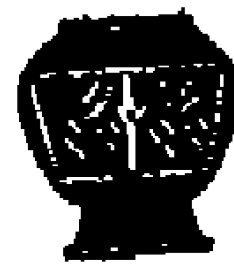
من المطاولة والاستنكار تمت الموافقـة على معاش لها قدره ثلاثة آلاف ريال فى السنة.

وعادت مسز لنكولن آخر الأمر إلى موطنها ، وقضت أخريات أيامها فى بيت أختها . وكانت تملك ستة آلاف ريال نقداً، وما يساوى خمسة وسبعين ألف ريال من سندات الحكومة ، ومع ذلك كان الخوف من الفقر لاينفك يساور عقلها ويعذبها . وكانت تعتزل الناس جميعاً، وتقفل نوافذها وتسدل الأستار، وتوقد شمعة حتى فى الوقت الذى تكون الشمس فيه أشد ماتكون إشراقا.

وفى وسط هذه العزلة ، وفى نور الشمعة الهادىء اللطيف ، تبسط الذكرى جناحيها وتطير إلى ماوراء السنوات الأخيرة القاسية فترى نفسها تراقص مرة أخرى ستيفن دوجلاس وهى مسحورة بشمائله الحلوة ، مصغية إلى نبرات صوته الجهيرة الشجية .

وكانت تتمثل الحبيب الآخر أحياناً ، وهو فتى اسمه لنكولن — أبراهام لنكولن — وكأنه جاء تلك الليلة ليتصباها ويخطب ودها. نعم إنه لم يكن إلا محامياً فقيراً بسيطاً يجاهد فى سبيل مجده ، وإنه كان يبيت فى علية فوق مخازن « سبيد » ، لكنها كانت على يقين من أن فى طاقته أن يصير رئيساً للجمهورية إذا استطاعت أن تستحثه على مضاعفة الجهد ، وأنها كانت فى حرصها على كسب قلبه شديدة الحرص على التجمل والزينة ، لتكون جميلة فى عينه . وعلى الرغم من أن مارى لنكولن لم تكن تلبس غير السواد طوال هذه السنوات الخمس عشرة ، فإنها كانت حين تعرض لها هذه الأحوال تنطاق إلى مخازن الأقمشة ، فتشترى وتكدس — كما يقول طبيبها المعالج — « ملء مركبة نقل من الحرائر والأثواب لم تستعمل واحدة منها قط » .

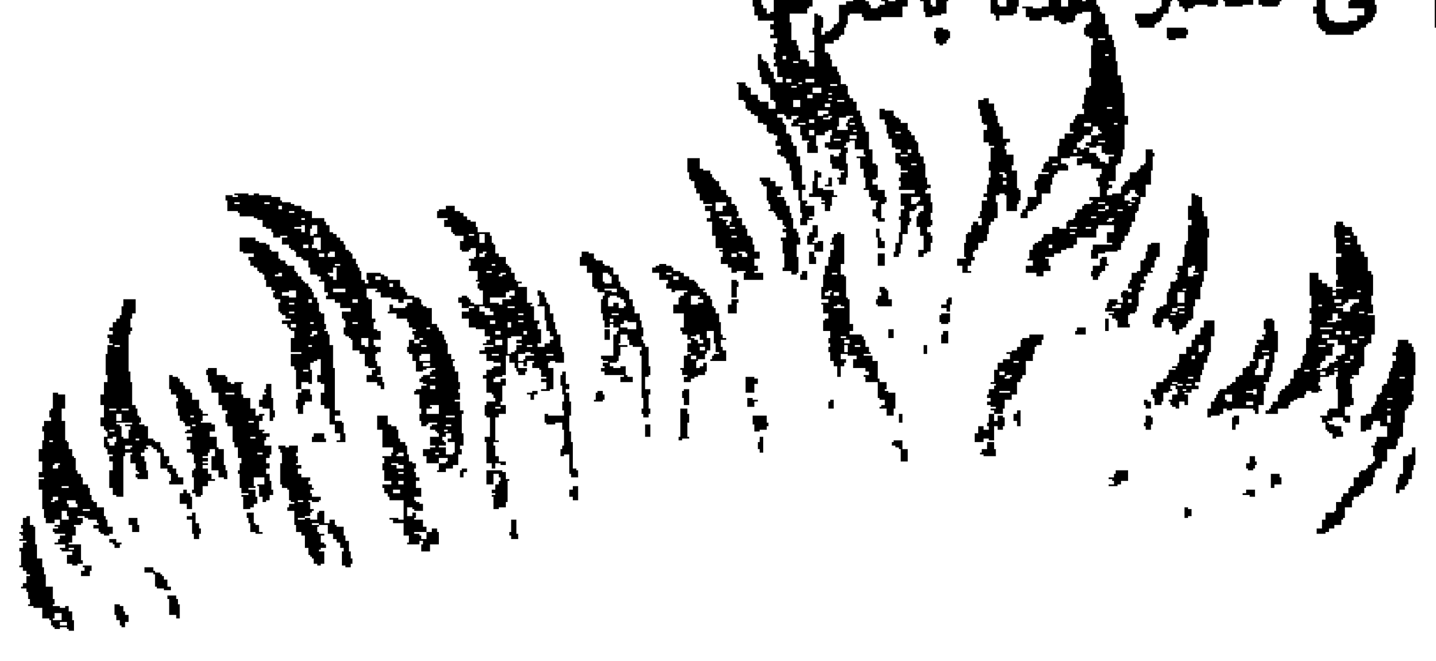
وفى سنة ١٨٨٢ ، وكانت ليلة صيف ساكنة ساجية ، شاء الله أن يفرج عن هذه الروح المجهدة الثائرة، فقد أصابها فالج قضت على أثره نحبها فى سكينة وسلام . وكانت وفاتها فى نفس البيت الذى شهد أبراهام لنكولن ، منذ أربعين سنة خلت ، يضع فى إصبعها خاتم الخطبة منقوشاً عليه هذه الكلمة : « الحب لايموت »



صورة لفظية

يشيع السر على لسانه كما يشيع الضوء فى الظلمة [الجاحظ]

اصطلحت النار والريح على تدمير بلدة بأسرها



نار آكلة

بيتر جيمس

مختصرة من صحيفة «سانت لويس بوست ديسباتش»

في يومَ الإثنين الموافق للتاسع من أكتوبر ١٨٧١ ذهب جون ميليجن رئيس جماعــة من قطاع الحطب في بلدة بشتيجو ، إلى مدينة مارينت الواقعة على سبعة أميال إلى الشمال، قطعها سيراً على قدميه. وكانت عيناه غائرتين ذاهلتين ، وقد غطاه سخام الحطب المحترق ، وفاحت من ثيابه رائحة الحريق .

وقال : « دمرت بشتيجو ، لم يبق فيها عود، وأهلها موتى منطرحون جثثاً هامدة في الشوارع » ، فذهل القوم مما سمعوا .

كانت بشتيجو في الثامن من أكتوبر ١٨٧١ ، بلدة مطمئنة يسكنها ألفان من الأصحاء الأشداء في منطقة الغابات الكثيفة على ساحل البحيرة في ولاية ويسكونسن ، وكانت صناعتها الأولى صناعة الخشب، وكان مصنع الخشب المتراحب فيها قائماً على الضفة الشرقية لنهر بشتيجو الذي يشق البلدة نصفين، وكان حي الأعمال فيها يشمل عدة مصانع لقطع الخشب ونشره ، ومصانع للشبابيك والأبواب ، ومسبكا ، ونحو خمسة عشر متجراً وفندقاً،أما بقية البلدة فكانت تضمّ نحو ٣٥٠ بيتاً أنشئت على جانبي النهر .

تلك كانت ، حالها في أصيل يوم الأحد ٨ أكتوبر ١٨٧١

وفي صباح الإثنين لم يكن ثمّ بناء واحد باقياً ، وكان من العسير أن تعرف أين كانت الطرق ، ومات أكثر من ستمئة شخص، وصارت الغابة الكثيفة التي كانت مورد السكان ومفخرتهم قفراً مسوداً مدخناً ممتداً إلى آخر مدى البصر .

ولم يكن لحريق بشتيجو نظير سابق ، فقد انطلقت النار مع ريح عالية خرقاء ملتوية الهبوب ، فأحدقت بالبلدة كلها قبل أن يتنبه السكان إلى الخطر . وكان أول نذير بدا بعد دخول الليل بقليل، وهجاً أحمر متضرماً في الناحية الجنوبية من السماء ، وتلا ذلك بعد بضع دقائق صوت مروع كقصف الرعد أحدثه انفجار الغاز الخارج من لهب الحطب المحترق ومن المستنقعات .

وسرعان ما صار الجو لا تطاق حرارته، ثم حدث انفجار عال آخر ، وهبت على البلدة من كل ناحية تيارات هواء سُخْن كأنه خارج من أتون ، ورفعت الريح السقوف عن البيوت ، وأوقعت الداخن ، وأمطرت البلدة رمالا حارة وجذوات مستعرة . وكانت صرخات الرجال والنساء والأطفال لا تكاد تسمع من فرقعة انفجار الغاز وانهيار الأخشاب ، وصارت النار تستطير في البيوت من أرضها إلى سقفها دفعة واحدة ، وتندلع في عشرين مكاناً في وقت واحـد .

واستطاع رجال المطافىء المتطوعون أن يستعملوا خرطوماً ، ولـكنه احترق في التوّ وصار رماداً . وأخرس الفزع الناس فما كانوا يرون إلا النار فوقهم ومن حولهم .

وتلاقت الجمـوع الجزعة في الشارع الرئيسي المؤدي إلى جسر النهر فصارت خليطاً من الآدميين والخيل والمركبات ، وكانت الشعاليل والأغصان المضطرمة تقذف في الهواء وتنقض على الضحايا ، وما كاد بعضهم يصلون إلى حافة النهر حتى اشتعلت النار في ثيابهم ، وحرقت النار شوارب الرجال ، وكان اللهب كأنه جدار متين من الضرام، وجعل يثب فوق النهر من بناء إلى بناء ، فيكون كأنه قوس من مارج من نار فوق الذين عاذوا بالماء ، وكانوا يصبون الماء على أبدانهم وعلى ذويهم ، ولـكن كثيراً من الرؤوس أصابتها النار مع ذلك . وإنها لمعجزة أن ينجوَ أحد .

وكان الحال على جسر النهر فوضى ، فإن الذين كانوا على الجانب الشرقي راحوا يلتمسون النجاة على الجانب الغربي ، والذين في الغرب ظنوا أن المنجى الوحيد لهم هو أن يصلوا إلى الشاطىء الشرقي ، فالتقوا على الجسر الذي ما لبث أن شبت فيه النار ، فتقوض ورمى في النهر بحمله من المركبات والخيل والناس .

ومما زاد الهول أن مصنع الخشب انفجر كالبركان وأطلق وابلا من الدلاء المحترقة وأيدي المكانس على المعذبين في الماء . وكانت أجذال الحطب المقـذوفة من المحتطب تقع بين الضحايا ولها أجيج وصفير مفزعان .

وذهب نحو خمسين يعدون إلى نزل مبني بالآجر حين أحاطت النار بالبلدة ، وفي ظنهم أن الجدران تقيهم ، فلم يبق منهم في اليوم التالي سوى رماد أبيض وساعتين وقفتا عند العاشرة والدقيقة الخامسة ، والعاشرة والدقيقة العاشرة .

أما الذين لجأوا إلى الأرض المستصلحة لتربية الحيوان ظناً منهم أن فيها السلامة ، فقد وجدوا بعد الأوان أن النار لم تبق على

شىء، فقد بلغ من شدة الحرارة أنَّ الصخور فى قلب رقع من الأرض فضاء تتسع مقدار ميل، كانت تنشق، وكانت أرومات الأشجار فى هذه الأماكن تحترق كلها بجذورها.

وقبيل الفجر بدأت النار تهمد، فخرج الناجون الذين وقفوا فى الماء البارد ساعات، وانطرحوا وقد نال منهم الإعياء على الأرض الرملية الحارة. وكانت قطعة مطمئنة من أرض ذات نز قد آوت نحو خمسين ومئة رقدوا فيها فلم يصبهم أذى من حر أو لهب. وكان هؤلاء هم الوحيدين الذين لم تؤذهم النار فى أبدانهم، أما الذين قضوا ليلتهم فى الماء إلى الأعناق، فقد أصابتهم حروق بالغة أو برد خطر.

وكان بين الناجين دافيد ماسون وكان حديث عهد بالبرء من حمى، وكانت امرأته طريحة الفراش من الحمى، فلما شبت النار ساق أولاده الخمسة أمامه واستمد من اليأس قوة، فجر امرأته بسريرها إلى النهر، ودفع السرير فيه حتى غطى الماء بدنها دون رأسها ووسادتها، وضم الأولاد إليه طول ذلك الليل الفظيع، فلما طلع النهار كانوا جميعاً من السالمين.

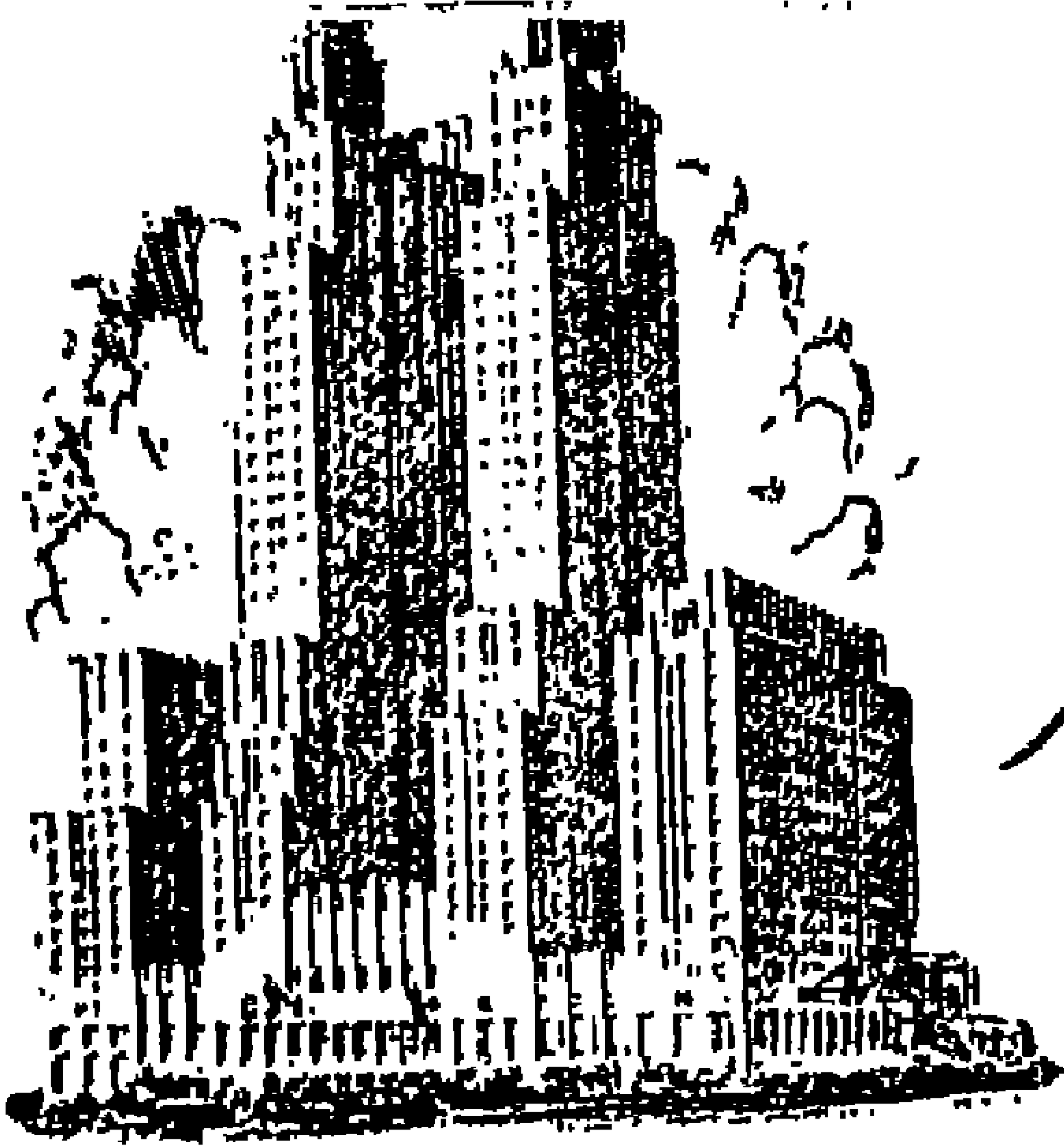
ولم تكن هناك ضمادات ولا إسعاف، ثم وصلت فى صباح الاثنين خيمة حُوّلت إلى مستشفى، وعند العصر نقل الناجون إلى فندق فى بلدة مارينت. وفى المساء، بعد الأوان بيوم، نزل المطر فى بشتيجو!

وقد فعلت النار بعض الأعاجيب. ففى دكان انصهرت ستون فأساً فصارت كتلة واحدة. وفى مركبة الإطفاء ذاب بعض حديدها، أمَّا خشب المركبة نفسها فلم يصب بسوء! وشوهد جماعة من السويديين كانوا يحفرون أرضاً، وهم موتى منطرحون فى حيث كانوا عند اشتداد النار، غير أن عمال الإنقاذ لم يستطيعوا أن يعثروا على شىء يعرفون منه المكان الذى كانوا فيه سوى حديد المجارف.

وكان السبب فى مأساة بشتيجو الجفاف والإهمال، فقد ظلت ولاية ويسكونسن أكثر من ثلاثة أشهر لا يكاد ينزل فيها المطر، ومع أن الغابات الجافة اليابسة كانت متهيئة من جراء ذلك للاحتراق عن آخرها، إلا أن جماعة من عمال السكك الحديدية أشعلوا ناراً فى أجذال الحطب جنوبى بشتيجو، والمظنون أن الحريق الكبير شب لما سرت النار من الشعل إلى المقادير الهائلة من غاز المستنقعات.

وقد وقعت كارثة بشتيجو فى نفس اليوم ونفس الساعة التى شبت فيها النار التى أكلت قلب مدينة شيكاجو واشتهرت باسم «الحريق الكبير»، فكان ذلك من أعجب المصادفات فى التاريخ.

ملتقى كبار الزوار من بلاد الأرض ــ هذا الفندق الذى يعد أضخم الفنادق وأغربها وأكبرها نفقة وأعمها خدمة .



الفندق الكبير

روفوس چارمان

مختصرة من مجلة "ذى سترداى ايفننج پوست"

كان أول الفنادق الضخمة الفخمة التى عرفتها أمريكا هو فندق والدورف أستوريا القديم فى نيويورك ، وقد يكون آخرها هو فندق والدورف الجديد . ذلك أن الخبراء متفقون على أن فنادق المستقبل ستنصرف عن الفخامة والضخامة إلى العناية بخدمة نزلائها .

وقد تم بناؤه فى سنة ١٩٣١ وبلغت نفقات بنائه ٤٠ مليون ريال . وهو مكون من ٤٧ طابقاً فيها ٢٢٠٠ حجرة تبلغ مساحتها ٤٠ فداناً ، وفيه عدد وافر من الأجنحة الفسيحة الأنيقة ، ومطاعم ممتازة ، وحجرات تؤجر للمآدب الخاصة . وفيه مقاصف للشراب وردهات للاستقبال ، وأبهاء فسيحة للرقص ، وهو أول فنادق أمريكا فى الضخامة والفخامة ، وهو أغلاها أجراً .

وهو أيضاً أشهر الفنادق . ولما أعدت العدة لعقد الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة طلب رجالها من فندق والدورف أن يخصص ٥٣ جناحا لرؤساء الوفود الأجنبية ، خشية أن يستاء من يفوته أن ينزل هذا الفندق .

ولما عقد مجلس وزراء الخارجية خصص لهم الفندق ٧٠ حجرة للمكاتب ، وجعلها متصلة بمركز تلفونى مستقل تقوم عليه عاملات يجدن الإنجليزية والفرنسية والروسية . ولعل هذه كانت أول مرة يجتمع فيها ممثلو الدول الكبرى لينجزوا أعمالهم السياسية فى فندق .

وقد نزل بهذا الفندق منذ نشأته كل عظماء أمريكا وزوارها من كبار الأجانب .

وقد حدث منذ بضع سنين أن دق تلفون الفندق وسمعت العاملة صوتاً يقول : « هل الملك موجود ؟ » فأجابته بعد أن نظرت فى سجل النزلاء : « أى الملوك تعنى ؟ فعندنا منهم أكثر من واحد » ، وكانت صادقة فى قولها إذ كان من بين

النزلاء فى ذلك الوقت الملك جورج اليونانى والملك بطرس اليوغسلافى .

وقد خصصت وزارة الخارجية الأمريكية هذا الفندق منذ إنشائه لسكنى كبار زائرى نيويورك من الأجانب . ولعل من أسباب ذلك أن للفندق ممراً خاصاً يؤدى إليه ومدخلا خاصاً أيضاً ، تسهل حراستهما .

وجاء يوم كان يسكن هذا الفندق ٣٥٠ سياسياً أجنبياً سوى تسعة من السفراء . وقد لقى الفندق من جراء ذلك شيئاً من العناء . فمن عادته أن يرفع على مداخله العديدة علم الدولة التى ينتسب إليها الزائر الأجنبى ، فإذا كثر عدد هؤلاء الزائرين اضطر الفندق إلى دراسة التقاليد المتبعة ليعرف ترتيب دولهم فى التقديم ، حتى يرى مثلا أيليق أن يتقدم سفير أفغانستان على رئيس وزراء إحدى الولايات الهندية . ولن تجد فندقاً آخر يلقى مثل هذا العناء .

ومشاكل رجال السياسة أهون من مشاكل نجوم السينما ، فالهوس من صفات أشياع فرانك سناترا وفان جونسن مثلا ، فإذا نزل به أحدهما اتخذ الفندق أهبته للمعركة ، فتحتاط عاملات التلفون علما بأنواع الحيل التى يلجأ إليها أشياع الممثل لمحاولة الاتصال به . فقد يدق التلفون ألف مرة فى اليوم الواحد ، ويسمع صوت نسائى يقول : « أنا زوجة سناترا » . ويجند الفندق ٤٨ حارساً لصد تيار المعجبين والمعجبات بالممثل ، فهؤلاء الأشياع سرعان ما يعلمون — ولا تدرى كيف — فى أى طابق ينزل الممثل ، ويتسللون إليه من طريق سلم المطافىء ومن الممرات المظلمة ، حتى يقعوا فى يد الحراس ويقذف بهم إلى خارج الفندق .

وفندق والدورف مشهور أيضاً بمآدبه الفخمة ، فقد أعدت فيه كافة المآدب الكبرى التى أقيمت منذ سنة ١٨٩٠ ولايشق على إدارة الفندق الجديد أن تهيء الطعام لأى عدد من الضيوف فى أى موعد مضروب . وقد حدث مرة أن اضطر الجنرال دى جول إلى إقامة مأدبة عاجلة ، فأعد له الفندق مأدبة لثلاثة آلاف ضيف فى نصف ساعة ، قدم فيها ألف رطل من لحم المحار و ١٥٠٠ صدر دجاجة ، وألف رطل من البطاطس ومثلها من الخضر ، و ٦٠٠ رطل من المثلجات ، و ٢٠٠ رطل من الفاكهة ، و ٣٦ ألف كعكة صغيرة ، وثلاثة آلاف فنجان قهوة . وبعد المأدبة رفعت إدارة الفندق عن المائدة ٢٤ ألف قطعة فضية من الملاعق والشوك والسكاكين و ٣٦ ألف طبق صينى ، و ١٢ ألف كوبة ، وقد اقتضى إنجاز هذا العمل تجنيد ٨٤٣ خادماً . وقد يهون عليك تصديق أن يكون

فى فندق ٥٠٠ من النُدل و ٥٠ طاهياً و ٥٠ خادماً لغسل الأطباق ، ولكن ماذا تقول إذا علمت أن فى فندق والدورف سبعة من المهندسين الكهرباثيين وسبعة من النجارين و١٥ مختزلة تعمل على الآلات الكاتبة .

وعلى رغم ما بلغه فندق والدورف الجديد من المجد ، فإن قدماء موظفيه لا يزالون يتحسرون على أيام فندق والدورف القديم .

وأول من بنى فندق والدورف ، هو ولم والدورف أستور وابن عمه جون جاكوب أستور ، وقد اختارا له موقعاً يجاور قصورهما . ثم أجرا الفندق إلى جورج بولدت ، وهو من مهاجرى السويد ، فبهر أهل نيويورك باستضافته للأسر المالكة الأوربية ، وأقام حفلات موسيقية اشترك فيها كاروزو وملبا المغنية الشهيرة . وأقام مرة مأدبة بلغت نفقاتها نصف مليون ريال وطار صيتها فى كافة أرجاء أمريكا .

وهكذا كان بولدت سباقاً فى هذا المضمار . وجرت على آثاره سائر الفنادق ، فهو أول من ندب مديراً مساعداً للوقوف فى ردهة الاستقبال للترحيب بالضيوف القادمين. وكان فندق والدورف أول فندق أنيق يسمح للرجال بالتدخين فى حجرة العشاء وللنساء بالتدخين أينما أرادوا . وقد أصبح أوسكار رئيس خدم الدعوة ، حجة فى تذوّق أطايب الطعام .

وازدهر الفندق بفضل هذا الصيت ، ولكن حين بدأت حركة العمران فى نيويورك تنتقل إلى شمال المدينة ، خبا نجم الفندق ، ثم تقرر هدمه فى سنة ١٩٢٨ لتبنى مكانه عمارة كبيرة للمكاتب هى عمارة إمبير ستيت .

وبعد أن بيع الفندق القديم ببضعة أيام قرر بعض الماليين فى نيويورك بناء فندق جديد بدلا منه ، ووقع الاختيار على موقع فى أهم أحياء المدينة ، وساهمت بعض الشركات فى نفقات البناء بعشرة ملايين ريال ، وساهم آخرون بسبعة ملايين ريال ، وتم تحرير العقد يوم ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٢٨، وهو اليوم الذى تلاه يوم الثلاثاء الأسود الذى انهارت فيه السوق المالية وحل الكساد . ولكن هذا لم يثن عزم الشركاء ، فساروا فى مشروعهم قدماً ، فهم لا يبنون فندقاً أيا كان، بل يبنون فندقا يخلد اسم والدورف. ولم يرضوا لفندقهم إلا أن يصنع له خاصة كل مايدخل فى بنائه وتأثيثه، حتى مقابض الأبواب وإطارات النوافذ وأحواض الحمام، وقد نقلت من القصور الإنجليزية العتيقة جدران بعض حجراتها كما هى ، وأعيد بناؤها فى الفندق . ونال جوزيه ماريا سيرت المصور الإسبانى

مبلغاً هائلا من المال ليزخرف برسومه جدران حجرة الأكل الفخمة فى الفندق .

وهرع إلى الفندق يوم افتتح فى أول أكتوبر سنة ١٩٣١ خمس وعشرون ألف شخص ليشهدوا ويعجبوا ، وأرسل رئيس الولايات المتحدة تهانئه بافتتاح الفندق .

ولكن لم تمض ثلاثة شهور حتى أصبح الفندق خاوياً أو يكاد ، وجاء عليه يوم فإذا حجراته التى يبلغ عددها ٢٢٠٠ لاتضم إلا ٣٠٠ نزيل ، فأوصدت أبواب طوابق بأكملها ، فإذا جن الليـل تسلل بعض الموظفين إلى الطوابق العليا ليضيئوا أنوارها حتى لا يبدو الفندق موحشاً . وبلغت خسائر الفندق فى أربع سـنين عشرة ملايين ريال ، وتوالت الخسائر بعد ذلك بمعدل سبعة آلاف ريال فى اليوم الواحد . ومع ذلك ظل الفندق محتفظاً بفخامته وأناقته ، فهؤلاء مديروه تحسبهم لفرط أدبهم وأناقتهم من النبلاء ، وعمال المصاعد والخدم لايزالون فى ثيابهم الجميلة الأنيقة ، ومخازنه لاتزال ملأى بألوان الأطعمة وأطيبها وأجود الخمور من فرنسا ، حتى يخيل إليك أنها دار أسرة كريمـة أخنى عليهـا الدهر ، ولا تزال تزهى أمام ضيوفها بمـا لديها من الذخائر الموروثة ، وتنفق آخر درهم تملكه على أجود الشراب وأطيب الطعام . وظل الفندق فى عسر حتى كانت سنة ١٩٤٣ أيام عادت الفنادق إلى عهـد ازدهارها ، فتضاعف دخله مرة ومرتين حتى بلغ فى سنة ١٩٤٦ مايقدر بستة عشر مليوناً من الريالات ، وهو رقم قياسى لدخل الفنادق .

وانصرف الفندق عن الاستزادة من عدد نزلائه إلى صد الوجوه الجديدة حتى يتسنى لزبائنه القدماء أن ينزلوا به . ويضم سجل الزبائن أكثر من ستة ملايين اسم قيدت فيه أذواق هؤلاء الزبائن . فمنهم مثلا من يتشاءم من الطابق الثالث عشر ، أو قد يكره لوناً معيناً لغطاء فراشه ، فإذا كره اللون الأخضر مثلا وضع له مكانه غطاء أبيض وهكذا . وإذا كان أحدهم يضيق ذرعاً بالتلفون فإن الكاتب المقيم فى طابقه يتولى بنفسه إجابة من يطلبه .

ومن عادة الفنادق فى هذه الأيام أن تقبل من نزلائها حوالاتهم المالية ، ولكن قد لا يكون هناك فندق غيره يعتمد حوالات بمبلغ ١٨ مليون ريال فى السنة ، إذ لا يسع فندق والدورف أن يحرج أحداً من نزلائه البارزين . والذى يحدث فى أغلب الفنادق أنه إذا تقدم إليها شخص وقال إنه من أمراء الهند وأراد أن يصرف حوالة ، لم يكن من الهيّن تصديق كلامه لأول وهلة ، ولكن إذا تقدم شخص إلى فندق والدورف وقال

إنه أمير هندى كان عنده من الصادقين . وخسائر الفندق فى هذا الباب لا تكاد تذكر .

ويقوم على لوحة التلفون فى الفندق ١٤٠ عاملة وهى تكفى مدينة يسكنها ٢٥ ألف شخص . وهذه اللوحة مزودة بإشارات إضافية ، فإذا أضىء لون أحمر دل هذا على أن صاحب الحجرة لا يريد أن يتصل به الصحفيون ، أو إذا أضىء لون أخضر دل هذا على أن صاحبها لا يريد مكالمات خارجية. وقد ابتدعت هذه الإشارة لقطع الطريق على من يدور الشراب برأسه فيطلب مكالمة خارجية مع لندن مثلا ، ثم يسأل أن تضاف الأجرة إلى حساب حجرة يذكر رقمها .

ويقدم الفندق فى اليوم الواحد من ثمانية آلاف إلى عشرة آلاف وجبة طعام . وأهم ما يواجهه من المشاكل هو نقص خدم الدعوات . ويوزع الفندق على الخدم الجدد كتابا من ١٨٠ صفحة يتضمن الإرشادات التى ينبغى لهم اتباعها . ومحرم على خدم الدعوات أن يحملوا فوطة على أذرعهم ، أو أن يتجمعوا معاً فى حجرة الأكل للتحدث ، أو أن يضربوا بأصابعهم لينادى بعضهم بعضاً ، أو أن يظهروا أقل امتعاض حين تدفع لهم نفحة ضئيلة .

ويجتمع الخدم معاً مرتين فى الأسبوع لسماع محاضرة من مارتين بلاك وهو يقول لهم : « إذا تأففتم من مهنتكم فلستم بأهل لها . فينبغى لأحدكم أن يتوفر له من العلم مالا يتوفر لباقى الناس ، فعليه أن يجيب إذا سأله الزبون عن مصدر قطعة اللحم التى يأكلها . كما ينبغى له أن يلم بالموسيقى والجغرافيا ، حتى إذا سألته سيدة عن الفرقة حين تعزف لحناً لبراهمز أو باخ أجابها من فوره. وعليه أن يكون ذا دراية بالمسرح ، فإذا سألته سيدة لماذا يطلق على طبق البطاطس اسم ساره برنار ، جاءها بالجواب الصحيح . ولا تنسوا أن هذا العلم يدر عليكم أيضاً كثيراً من المال » .

وكانت أجرة الخدم مقدرة عند افتتاح الفندق بمبلغ ١٫٦١٣٫٧٠٠ ريال فى السنة ، أما الآن فقد زادت على ضعف هذا المبلغ ، وذلك برفع أجرة الفندق بحيث يشق دفعها على كثير من الناس ، ولكن إدارة الفندق مؤمنة بأن رخاء أمريكا سيسمح بازدهار هذا الفندق الفخم عدة سنوات قادمة .

وقد قال أحد موظفيه أخيراً :

« لن تخلو الدنيا من هذا الصنف من الناس الذى يصعب إرضاؤه ، وأذواق الناس وحدها هى التى تتبدل . وسيظل الفندق قائماً ماقام بنيانه ، وما دمنا نحن نرضى زبائننا أياً كانت مطالبهم » .

قصة التجسس على الطاقة الذرية



مختصر كتاب

رتشرد هيرش

كان لفتننت كولونل في فرقة المخابرات العسكرية التابعة لهيئة أركان الحرب العامة بوزارة الحربية في الولايات المتحدة

لما أذاعت الحكومة الكندية في ربيع ١٩٤٦ قصة أعمال التجسس السوفيتي المدهشة في كندا ، نشر الخبر بعناوين كبيرة في صحف العالم ، غير أن الجمهور فاتته تفاصيل كثيرة مثيرة . والبيان الدقيق التالي مستندٌ إلى أقوال موظفي الحكومة الكندية ، وإلى التقرير المنشور الذي وضعته لجنة التحقيق الملكية .

قصة التجسس على الطاقة الذرية

فى رقم ٢٨٥ بشارع شارلوت فى مدينة « أتوا » — عاصمة كندا — يقوم بناء من الطوب الأحمر ، مائل السقف ، ذو ثلاث طبقات، وشرفات بيض عالية. وهو من ذلك الضرب الذى كان يؤثره الأثرياء من الناس الذين كانوا فى أخريات القرن التاسع عشر ، يشيدون الدور الكبيرة ليؤسسوا فيها أسراً كبيرة . وفى أوائل ١٩٤٢ اتخذته السفارة السوفيتية مقراً لها. وكان الجزء الرئيسى من الدار يشغله السفير زاروبين ومساعدوه . أما الجناح الخلفى الذى كان فيما مضى مطبخاً ومسكناً للخدم ، فقد فصل ما بينه وبين بقية البناء بأبواب مزدوجة من الصلب ، ونوافذ ذات قضبان من الحديد وشبابيك من الصلب . وفى هذا الجناح يوجد قسم الشفرة السرية ، وفيه تكتب الرسائل السرية إلى موسكو ، وتحل رموز ما يرد منها .

وكان لكل قسم من الأقسام الخمسة فى السفارة شفرتها الخاصة والموظف الموكل بها ، فى غرفة موصدة ضماناً للسرية المطلقة . مثال ذلك أن القسم العسكرى الذى يرأسه الكولونيل نيقولاى زابوتين كان يتولى شفرته من يدعى إيجور جوزنكو ، وهو موكل بالمكاتبات التى ترسل إلى مدير المخابرات العسكرية فى موسكو . وكانت دفاتر الشفرة الموكولة إلى موظفها جوزنكو تحفظ كل ليلة فى خزانة كبيرة من الصلب ، تحفظ فيها أيضاً مذكرات الملحق العسكرى اليومية السرية . وكذلك كان للبوليس السرى الروسى وسائله الخاصة لمراسلة موسكو ، ومثل هذا يقال عن السفير والملحق التجارى ورئيس القسم السياسى .

وكان جوزنكو شاباً فى الخامسة والعشرين رزيناً جاد النظرة ، وقد اختير خاصة لهذه المهمة الجسيمة التبعات . وكان وهو ملازم فى الجيش الأحمر قد تدرب زمناً طويلا تدريباً خاصاً قبل أن يوفد إلى أتوا . وهو خريج مدرسة مخابرات خاصة تديرها هيئة أركان الحرب للجيش الأحمر . وقد خاض الحرب فى الصفوف الأولى أيضاً ، وشهد معاركها عاماً كاملا فى ١٩٤٢ ، واشترك فى حملة الشتاء على أبواب موسكو . وأخيراً ، بعد العمل فى الفرقة الرئيسية للمخابرات التابعة للجيش الأحمر حيث قام البوليس السرى بفحص سيرته الماضية ، واختبار مبلغ الثقة به ، ألحق بالخدمة فى الخارج وأرسل إلى كندا فى يونيه ١٩٤٣ ،

وحمل معه زوجته « سفتلانا بورسوفنا » الطويلة السوداء الشعر. وبعد وصولهما إلى أتوا بقليل ولد لهما ابنهما أندريه، وكانت لهم شقة صغيرة في العمارة رقم ٥١١ بشارع سمرست تطل على حديقة عامة. وكان الجيران يثنون على الزوجين الشابين، فقد كانا هادئين، مؤدبين، وقورين.

ولم يكن في مظهر جوزنكو ما يشي بالصراع الذي يمزق روحه، فقد كان من مرقبه الفذ يرى تفاصيل أعمال التجسس تتراكم أمام عينيه ضد بلد أصبح يزداد احتراماً لأسلوب حياته وإعجاباً به.

ولما انصرف إيجور جوزنكو من مكتبه في الساعة الثامنة من مساء اليوم الخامس من سبتمبر ١٩٤٥، لم يقطع ما بينه وبين وطنه فحسب، بل عرض نفسه أيضاً لخطر القتل. وكان طول النهار يعمل كالمحموم، وهو مطمئن إلى يقينه أن ما يأتيه سيكون جزيل النفع آخر الأمر للشعوب الحرة في العالم. واختار من الخزانة، ومن أكداس الشفرة، الوثائق التي تعد مفتاحاً لغيرها، وكان بعض هذه برقيات، والبعض يوميات، والبعض قصاصات ورق ممزق أعطيت له ليحرقها، وكانت المجموعة كبيرة الحجم، ولكنه وزعها على جيوبه، وشبكها بالدبابيس تحت قميصه، فاستطاع أن يتقي إثارة الشكوك في نفس حارس الباب، وهو من رجال البوليس السري.

وخرج بسلام من الباب ونجا من حارسه، ومضى في طريقه لا يتلفت، وغاب بين الذين يتمشون في المساء، دون أن تلفت مشيته أو هيئته النظر إلى شخصه النحيف الدقيق. على أن أعماله كان مقدراً لها أن تكون بالغة القيمة عميقة التأثير في العلاقات المستقبلة بين الأمم.

وكان قد فكر بعناية في المهمة التي أخذها على عاتقه، وكان قد اعتزم أن يكشف عن خطة السوفيت لإنشاء قاعدة للجاسوسية في كندا — لا ضدها فحسب، بل ضد الولايات المتحدة وبريطانيا أيضاً. وكان ينوي أن يؤيد أقواله بما لا سبيل إلى نقضه من الوثائق والأدلة، ولن يطلب في مقابل ذلك إلا أن تتكفل الحكومة الكندية بحماية زوجته وابنه، أما هو فقد قدّر الأخطار التي تواجهه، ورجح أن يقتل قبل أن تتم مهمته.

وذهب جوزنكو إلى دار صحيفة « أتوا جورنال » وطلب أن يقابل رئيس التحرير، واعتذر عن أن يبين الغرض من المقابلة.

وقيل له: « إن رئيس التحرير ليس هنا. ولكن في وسعك أن تقابل أحد مساعديه ».

وقال جوزنكو للساعد إن عنده معلومات على أعظم جانب من خطر الشأن ، لا لأهل كندا وحدهم ، بل لسلام العالم واستقراره . وأخرج من جيب سترته ورقة من الأوراق العديدة الرقيقة المكتوبة على الآلة الكاتبة بالروسية ، وقال : «عندى وثائق كثيرة ، وينبغى أن تدرسها » .

واستمر حديثهما نحو ساعة . وكانت رواية جوزنكو ووثائقه من الغرابة بحيث حار المحرر فى الأمر ، وأخيراً قال : «يحسن أن تقصد رجال البوليس . فإن هؤلاء ، لا الصحفيين ، هم المختصون بالنظر فى مثل هذا الأمر » .

وكانت الساعة قد قاربت العاشرة، فليس فى الوسع عمل شىء قبل صباح اليوم التالى .

وفى صباح اليوم التالى قصد جوزنكو وامرأته إلى وزارة العدل ومكتب المدعى العام — راؤول مرسييه ، فخاطب المسز فرناند جوبارن سكرتيرة المستر مرسييه شارحاً ما فعل وما ينوى أن يفعل ، وأمر زوجته ففتحت حقيبتها التى أصبحت مستودعاً للوثائق .

وقال : « كل شىء هنا ، وفى جملة ذلك معلومات سرية عن القنبلة الذرية . فيجب أن تبلغى حكومتك هذا » .

فقالت المسز جوبارن : « إن المدعى العام فى المحكمة ، ولكنى سأحاول أن أصلك بالرجال المختصين » .

وطلبت وكيل الوزارة للشئون الخارجية — نورمان روبرتسن — فقال « خله ينتظر ، وسأطلب تعليمات من رئيس الوزارة » .

وكان جوزنكو يريد أن تسمع قصته بسرعة ، فقد كان يعلم أن غيابه عن السفارة الروسية سيثير الشكوك ، غير أن الاتصال برئيسى الوزارة فى صباح اليوم السادس من سبتمبر كان عسيراً ، فقد كان ذلك يوم افتتاح دورة جديدة للبرلمان .

وكان النواب فى الساعة الحادية عشرة على مقاعدهم ، وما هو إلا أن يدخل رئيس الوزارة وليم ليون ماكنزى كنج حتى تبدأ المراسيم .

وكان كنج فى غرفة الانتظار على مقربة من البناء الرئيسى، فدخل عليه ضابط وأسر إليه شيئاً ،فقصد رئيس الوزارة إلى التلفون.

وقال وكيل الوزارة روبرتسن: «آسف يا سيدى لتعطيلك ، ولكن هذا أمر ليس له سواك » وحدثه عن جوزنكو .

فأجاب ماكنزى كنج — وهذه ألفاظه بالحرف فى جلسة البرلمان الكندى ، كما أذيعت فيما بعد — « هذه مسألة يجب أن نكون حيالها فى منتهى الحذر . فما ندرى

أهذه الوثائق مزيفة أم صحيحة . ولا نعلم شيئاً عن حالة عقله ، أو الظروف التي تدفعه إلى هذا العرض . ولست ارى أن حكومة كندا تستطيع أن تتخذ أية خطوة من شأنها أن تحمل حكومة السوفيت على الاعتقاد أننا نتجسس على شئونها . فقل لهذا الشاب أن يرجع إلى سفارته بالأوراق التي يحملها » .

ولكن رجوع جوزنكو كان قد مضى أوانه ، فلما عاد هو وزوجته إلى شقتهما — رقم ٤ — نظر من النافذة إلى الحديقة وراء الشارع ، فرأى على دكة ما كان يخشى ويتوقع أن يرى : رجلين كان من الواضح أنهما يراقبان نوافذه .

وفي المساء طرق بابه، وسمع صوت الضابط من رجال السفارة يقول : « جوزنكو — افتح الباب ! »

فحبس جوزنكو وزوجته أنفاسهما ، ولكن أندريه الصغير ذهب يدرج على أرض الغرفة في أثر لعبة ، فتعثر ووقع على الباب . ولم يحاول الضابط لافرنتييف أن يدخل ، ولكنه عرف أن الشقة ليست خالية .

وحمل جوزنكو الطفل وخرج من باب خلفي يؤدي إلى الشرفات الخلفية المشتركة بين الشقق الأخرى في الدور الثاني .

وكان يجلس فيها جاويش من سلاح الطيران الكندي وزوجته ، وكان يدخن ويقرأ في صحيفته .

فقال له جوزنكو : « معذرة . هل أستطيع أن أكلمك ؟ »

فرفع الجاويش إليه عينه مستغربا .

وقال : « طبعاً . ماذا تريد ؟ »

« أرجو أن تأخذ ولدي الصغير ليبيت عندك الليلة ، فقد يقع لي ولامرأتي حادث» .

« ماذا عسى أن يحدث ؟ »

«نقتل» . وكان هذا هو الجواب الوجيز .

وكان جوزنكو والجاويش واقفين في الشرفة ، فأبصروا لافرنتييف يمشي في الشارع ، فامتقع وجه جوزنكو ، وهمس : « هذا هو ! وقد يكون الأفضل أن تأخذ زوجتي أيضاً إلى شقتك » .

وبينما هما يتحادثان أقبلت المسز أندرسن ، وهي سيدة عطوف تسكن الشقة رقم ٦ . فلما سمعت القصة قالت : « إن بيتي يتسع لأسرتك كلها، ولك أيضاً يامستر جوزنكو . وإنه يسعدني أن يكون مثواكم عندي ما رغبتم » .

وقال الجاويش : « اذهب أنت معها ، وسأدعو البوليس ، فإن هؤلاء القوم لا يجرؤون على اقتحام بيت مواطن كندي» .

كان هذا في الساعة السابعة، وفي منتصف الساعة الثامنة استجاب للدعوة الشرطيان

توم والش ، وماك كالوك اللذان كانا يجوبان المنطقة فى سيارتهما .

ووجدا أسرة جوزنكو فى الشقة رقم ٦ فعرفهما جوزنكو بنفسه ، وقال إن عنده معلومات على أعظم جانب من خطر الشأن للحكومة ، وسألهما حمايته ، فأكدا له أنهما سيراقبان الشقة .

« دع النور فى الحمام ، فإننا نستطيع أن نراه من الحديقة ، فإذا احتجت إلينا فأطفئه » .

وعادا إلى سيارتهما وانتقلا بها إلى مكان فى الحديقة .

ولم يحدث شىء حتى انتصفت الساعة الثانية عشرة ، فجاء أربعة رجال فى سيارة إلى الدار رقم ٥١١ بشارع سمرست وقصدوا على الفور إلى شقة جوزنكو ، وبدأوا بطرق الباب ، وكان الدق من الشدة والإلحاح بحيث ظن الجاويش أن الطارقين هم الشرطيان، وأنهما عادا للقيام بتحرٍ آخر، ففتح بابه وأطل .

وأدرك أنه أخطأ فهم بإغلاق الباب ولكن أحد الرجال أقبل عليه مسرعا وسأله « أين جوزنكو ؟ »

فألقى إليه الجاويش نظرة جامدة وقال : « من أدرانى يا صاحبى » وأحكم إغلاق الباب .

وعقد الطارقون مؤتمراً فى الرواق ، ثم أهوى الرجال الأربعة بأكتافهم على باب شقة جوزنكو فانفتح .

وكان جوزنكو فى الشقة رقم ٦ يراقب ما يجرى من ثقب قفل الباب، فنهض ومضى إلى الحمام وأطفأ النور .

ورأى الشرطيان فى الحديقة هذه الإشارة، فأسرعا إلى الشقة عدواً ، ووجدا الأنوار كلها مضاءة فى الشقة رقم ٤ ، وأبواب الخزانات كلها مفتوحة . وكان القنصل بافلوف فى إحداها ، والكولونل روجوف فى أخرى ، ومعهما فى الغرفة اثنان من رجال السفارة السوفيتية .

فسألهم والش : « ماذا تصنعون هنا يا قوم ؟ »

فأبرز بافلوف بطاقته وقال إن الحاضرين جميعاً من رجال السفارة ، وإنهم يبحثون عن أوراق رسمية معينة، قال : « إن صاحب الشقة قد برح المدينة ، ولكنه أذن لنا فى الدخول وأخذ ما نريد » .

فأشار والش إلى القفل المكسور ، وكان بعضه لا يزال ملقى على الأرض وقال : « إنها لطريقة عجيبة للدخول ومعكم إذن » .

فهز بافلوف كتفيه: « وقال أضعنا المفتاح. وهذه أشياء تملكها حكومة السوفيت ، فلنا أن نصنع ما نشاء . تفضل بالانصراف ».

فهز الشرطيان رأسهما : « حتى يحضر مفتش » . فشاور القنصل باقلوف رجاله ، فقرروا أن ينصرفوا ، ولم يحاول الشرطيان منعهم ، فعادوا إلى السفارة السوفيتية .

وقضى آل جوزنكو بقية الليلة فى الشقة رقم ٦ فى رعاية الشرطة .

وبعد طلوع النهار بقليل فى السابع من سبتمبر ، نقل آل جوزنكو الوثائق إلى ديوان الشرطة الكندية ، وأبلغ الضابط س . ت . وود بنفسه رئيس الوزارة ماكنزى كنج ما كان فى الليلة السابقة .

فعاد رئيس الوزارة يبين الحاجة إلى التحرز : « استوثقوا من أن بواعث هذا الرجل لا يرتقى إليها الشك ، وأن وثائقه صحيحة » .

وكان أول ما حاول الضابط وود أن يتبينه هو الدافع لجوزنكو على ما قرره من ترك السفارة السوفيتية .

فكان الجواب : « يسرنى أن أشرح لك ذلك » وهذه أقواله نثبتها هنا لما فيها من عبرة .

« أنا إيجور جوزنكو ، أود أن أفضى بالبيان التالى بمحض إرادتى :

جئت إلى كندا منذ عامين ، فأدهشتنى فى الأيام الأولى الحرية التامة التى يستمتع بها كل فرد فى كندا والتى لا وجود لها فى روسيا .

وكانت الأباطيل التى تذاع فى روسيا عن البلاد الديمقراطية ، تتبدد كل يوم ، فلن تجد دعاية كاذبة تستطيع أن تثبت فى وجه الحقائق .

«وبينما ترى الحكومة السوفيتية تتشدق فى المؤتمرات الدولية بأقوال معسولة عن السلام والأمن ، إذا بها فى الوقت نفسه تستعد لحرب عالمية ثالثة. ولكى تتهيأ لمواجهة هذه الحرب، شرعت تنشىء فى البلاد الديمقراطية وفى جملتها كندا طابوراً خامساً يساهم فى تنظيمه المشلون الدبلوماسيون لحكومة السوفيت .

« وفى أثناء مقامى فى كندا رأيت كيف أن الشعب الكندى وحكومته يرغبان رغبة صادقة فى أن يساعدا الشعب السوفيتى ، فأرسلا مؤناً إلى الاتحاد السوفيتى ، وجمعا المال فى سبيل الأمة الروسية وخيرها ، وضحيا بحياة أبنائهما لإرسال هذه المعونة فى عرض البحار ، وبدلا من أن تشكر الحكومة السوفيتية هذا الجميل أخذت تتوسع فى أعمال التجسس فى كندا، وتستعد لطعن كندا من الخلف ـ وكل هذا بغير علم الأمة الروسية .

«ولما كنت مقتنعاً بأن هذه السياسة ذات الوجهين التي تتبعها حكومة السوفيت حيال البلاد الديمقراطية، لا تتفق ومصلحة الأمة الروسية، وأنها تعرض المدنيـة للخطر، فقد قررت أن أنفض يدى من النظام السوفيتي، وأن أعلن قرارى هذا جهرة».

وكانت المسألة الثانية هى فحص الوثائق وترجمتها وإثبات صحتها، وكانت كوماً من الأوراق من كل لون وشكل وحجم؛ وأدرك الموظفون من نظرة واحدة إلى مقدراها واختلافها أن مهمة ترتيبها ومراجعتها لن تكون سهلة.

وتقرر اتخاذ مقر خاص للعمل فى ثكنات روكليف التابعة للشرطة الكندية، وهناك بدأت فرقة مكافحة التجسس برياسة المفتش جون ليوبولد تكشف عن قصة من الدس والتآمر والخيانة لا نظير لها فى تاريخ التجسس فى شمال أمريكا..

وفى أثناء ذلك لم تكن السفارة السوفيتية نائمة، فوجهت إلى حكومة كندا مذكرة وصلت فى الثامن من سبتمبر جاء فيها:

«تخلف عن العمل موظف فى السفارة اسمه إيجور سيرجيفتش جوزنكو من يوم ٦ سبتمبر، وقد تبين فيما بعد أن إيجور جوزنكو اختلس مقداراً من مال السفارة، واختفى هو وأسرته.

«وترجو سفارة الاتحاد السوفيتي من وزارة الشئون الخارجية أن تتخذ تدابير سريعة للقبض على إيجور جوزنكو وتسليمه لترحيله».

فطلبت حكومة كندا تفاصيل عن المبالغ المسروقة، فلم تجب السفارة بشيء عن هذا. ولكنها فى الرابع عشر من سبتمبر بعثت مذكرة أخرى للاستعجال جاء فيها:

«إن السفارة بناء على تعليمات من حكومة الاتحاد السوفيتي تكرر ما طلبته من حكومة كندا من القبض على جوزنكو وزوجته وتسليمهما بلا محاكمة للسفارة لترحيلهما إلى الاتحاد السوفيتي».

ولم تكن حكومة كندا فى ذلك الوقت تنوى أن تسلم جوزنكو لأحد، فقد امتحنت إخلاصه وصحة وثائقه أشد امتحان وأدقه، فاجتاز الامتحان مرفوع الرأس.

وثبت أن الوثائق غير مزيفة، وكانت عشرات منها مكتوبة بالحروف الروسية، وقال جوزنكو إنها بخطوط الكولونل زابوتين، والكولونل روجوف، والكولونل موتينوف. وقام المحققون بتحريات فى البيـــوت المختلفة التي كان هؤلاء الضباط

ضيوفاً فيها ، وحصلوا فى أحدها — وهو استراحة للصيد — على دفتر دونت فيه أسماء الضيوف ، وفيه توقيعات كثيرين من رجال الحكومة وموظفى السلك السياسى الذين كانوا ضيوفا فيه ، وفى جملتها أسماء هؤلاء الثلاثة . واستطاع أحد الخبراء بالخط أن يجزم بأن جوزنكو جاء بخطوط صحيحة للموظفين السوفيت .

وتمت تحريات أخرى أيضاً ، فقد جاء جوزنكو بأربع صور لبرقيات أرسلت من لندن إلى أتوا ، وكانت تواريخها ترجع إلى بضعة أسابيع مضت — ٢٤ و ٢٥ و ٣١ من أغسطس . ودلت المراجعة فى ملفات الحكومات الرسمية على أنها نسخ دقيقة لرسائل سرية جداً ، المفروض أنه لا يعرفها سوى الحكومتين البريطانية والكندية .

ولم تعد المسألة مسألة إثبات صدق جوزنكو ، بل استئصال شأفة تغلغل وكلاء السوفيت السريين إلى أخفى شرايين الحكومة الكندية . وكانت الوثائق بمجرد ترجمتها توضع فى ملفات على حسب موضوعها ، وكانت عناوين الملفات مروعة : الأسلحة الذرية — الرادار — المفرقعات السرية — الجوازات المزورة . وليست هذه سوى بعض الأمثلة .

ولم يحدث قط من قبل فى تاريخ الجاسوسية أن أتيح للدولة التى حيكت لها شباك التجسس أن تطلع على خطة محكمة مؤيدة بالوثائق دفعة واحدة ، بل لقد كانت الأدلة فوق الحاجة ، وملأت الأسماء المستعارة للوكلاء الروسيين والكنديين والبريطانيين والأمريكيين ثلاث صفحات مطبوعة .

فلما كان اليوم الحادى والعشرون من سبتمبر ، كان الخبراء الذين يعملون تحت رياسة المفتش ليوبولد على استعداد لتقديم التقرير إلى رئيس الوزارة .

وقد استهل الضابط تقريره بما يأتى :

« سيدى — إن الأدلة تثبت أن شبكة من الوكلاء يتخذون أسماء مستعارة ، قد وضعت ونظمت للحصول على معلومات سرية من موظفين للحكومة الكندية وهيئاتها . وقد تولى هذه الأعمال بعض رجال السفارة السوفيتية وفقاً لتعليمات صدرت إليهم من موسكو . وكل هؤلاء الوكلاء يعرفون بأسماء مستعارة ، من ذلك على سبيل التمثيل أن الاسم المستعار للكولونل زابوتين ، هو « جرانت » على ما يظهر .

« أما البرنامج الخاص للجاسوسية الموكول للكولونل زابوتين فهو : أولا القنبلة الذرية وتركيبها والرسوم والعمليات الفنية المتعلقة بها ، وثانياً نموذج من اليورانيوم

٢٣٥ والتفاصيل الخاصة بمكان إنتاجه، وثالثاً مكتبة مجلس الأبحاث القومى، ورابعاً تنقلات جنود لولايات المتحدة».

ثم شرح الأغراض الأخرى التى يطلبها جواسيس السوفيت، وهى تشمل موضوعات سرية جداً، مثل القنابل الطائرة والصاروخية، والفتيل الإلكترونى للقذائف، والرادار، ومفرقعات فائقة القسوة تعرف باسم «آردكس».

وتكلم رئيس الوزارة فسأل: «هل لى أن أسأل إلى أى مدى أمكن إدراك هذه المآرب؟» فاحتفظ الضابط القرر بنظرته الجامدة وصوته الهادىء وهو يقول: «سيدى لم يكن هناك إخفاق»

ولما اتضح المعنى، لزم كبار الموظفين المجتمعين الصمت ذاهلين. فسأل رئيس الوزارة: «هل أفهم من هذا أن بعض تفاصيل السلاح الذرى قد عرف؟».

فتقدم الضابط المقرر بملف وقال: «هذا هو اللف يا سيدى الخاص بالوكيل «أليك». وفى البرقية رقم ٢٤١ المرسلة إلى موسكو فى التاسع من أغسطس، نجد الجواب على هذا السؤال».

«إلى المدير: بيانات مقدمة من أليك ... إنتاج اليورانيوم ٢٣٥ يبلغ أربعمئة جرام فى اليوم فى مصنع الفصل المغناطيسى فى كلنتون. وإنتاج أل «٤٩» يحتمل أن يكون ضعف ذلك. وتعد بعض وحدات «الجرافيت» لإنتاج ٢٥٠ جراما كل يوم ... سلم إلينا أليك بلاتين مع ١٦٢ ميكروجرام من يورانيوم ٢٣٣ — جرانت».

فسأل رئيس الوزارة: «من يكون أليك هذا؟»

فهز الضابط المقرر كتفيه وقال: «لم تعرف شخصيته بعد يا سيدى. والظاهر أنه عالم وثيق الاتصال بمركز هذا العمل. ويستفاد من البرقيتين رقم ٢٤٤ و ١١٩٥٥ إن أليك ينبغى أن يكون فى لندن فى السابع من أكتوبر ليحاول الاتصال بممثل السوفيت هناك، وأظن أنك ستجد فى هذه البرقيات قرائن لها دلالتها».

وكانت البرقية رقم ٢٤٤ مؤرخة قبل بضعة أسابيع وهى مرسلة من «جرانت» إلى موسكو وفيها.

«إلى المدير: وضعنا تفاصيل الاجتماع بأليك فى لندن. وسيعمل أليك فى كلية الملك شارع ستراند.

الاجتماعات — ٧ و ١٧ و ٢٧ أكتوبر فى الشارع أمام المتحف البريطانى. الوقت الساعة ١١ مساء،

علامة التعرف : جريدة تحت الإبط الأيسر ، كلمة السر : تحياتى إلى ما يكل . وفى أول سبتمبر يجب أن يطير أليك إلى لندن ، وقبل سفره يقصد إلى مصنع اليورانيوم فى منطقة بتاواوا . وقد قال إنه لا بد أن يعود فى العام القادم ليقضى شهراً فى كندا . أعطيناه خمسمئة ريال . جرانت » .

أما البرقية رقم ١١٩٥٥ فكانت رداً على هذه ، وهذا نصها : « إلى جرانت : الترتيبات الموضوعة للاجتماع غير مرضية ، وأنا أبعث إليك بترتيبات أخرى :

١ — المكان : أمام المتحف البريطانى على شارع جريت رسل على الجانب المقابل له من الشارع . ويقبل أليك من شارع تونهام كورت ، ويقبل رجل الاتصال من سونمبتن رو .

٢ — الوقت : الساعة الثامنة .

٣ — إشارة التعارف : يتأبط أليك تحت ذراعه اليسرى جريدة التيمس ، ويحمل رجل الاتصال فى يده اليسرى مجلة بكتشر بوست .

٤ — كلمة السر : رجل الاتصال « ماهو أقصر طريق إلى ستراند؟ » أليك : « تعال معى فإنى ذاهب إلى هناك . المدير » .

وكان من الجلى لرئيس الوزراء ومن معه أن معرفة « أليك » مسألة على أعظم جانب من الاستعجال ، وإلا فإن كل تدبير اتخذ للاطمئنان على سرية القنبلة الذرية وتحسينها وصناعتها قد يصبح عديم القيمة ، غير أن ما كنزى كنج رئيس الوزارة رأى أن المسألة من الدقة بحيث لايمكن أن تعالج إلا بالتشاور الشخصى بينه وبين الرئيس ترومان ورئيس الوزارة البريطانية أتلى :

وقد قال فيما بعد على سبيل الإيضاح لمجلس العموم الكندى : « لقد كانت مسألة لايمكن ائتمان البرقيات عليها » .

وفى ٢٨ من سبتمبر غادر مكنزى كنج أتوا ، وفى اليوم التالى عقد مؤتمراً مع الرئيس ترومان فى وشنطن بسط فيه الخطة العامة لمؤامرة التجسس السوفيتى ، ثم استقل الرئيس الكندى الباخرة كوين مارى من ميناء نيويورك .

وكان المستر أتلى رئيس الوزارة البريطانية فى قصر شيكرز مقره الرسمى ، وكان قد أبلغ الغرض من رحلة كنج وعرف وجه الاستعجال فيها ، فدعا كنج إلى الحضور على الفور ، وقبل أن تمضى بضع ساعات دعى كبير رجال اسكتلنديارد إلى قصر شيكرز .

ووكل إلى الليوتننت كولونل لينارد برت

من رجال الفرع الخاص باسكتلنديارد مهمة الاهتداء إلى شخصية أليك، والإشراف على مراقبة الاجتماع السرى الذى سيعقد فى مساء اليوم التالى السابع من أكتوبر. فبعث الكولونل برت فى طلب مفتش البوليس السرى ولیم وايتهيد ، ودرسا معاً القرائن التى تضمنتها برقيات موسكو .

وكان من الأنباء البالغة القيمة أن أليك سيعمل فى كلية الملك بشارع ستراند .

« وإذا كان يعرف أى شىء عن النشاط الذرى فالأرجح أنه من علماء الطبيعة . فلنبحث هل سافر إلى كندا أخيراً أى واحد من رجال هذه الكلية » .

وقصد برت ووايتهيد إلى كلية الملك ، فقال لهما رئيس قسم الطبيعة على الفور : « إنه الدكتور ماى ، فقد كان يعمل فى مشروع الطاقة الذرية فى مونتريل » .

فبحث برت فى صفحات سجل الكلية فوجد فيه هذه النبذة : « الدكتور ألن نان ماى ، معيد بالجامعة ، ستافورد تيراس كنجستن . أقدم الأعضاء فى قسم الطبيعة الذرية فى شركة الصناعات الكيميائية » .

فهل هذا هو أليك الذى ورد ذكره فى برقيات موسكو ؟ وظهر من صورته أنه رجل قصير أصلع ضيق العينين، وله شاربان، ويتخذ نظارات لها إطار معدنى. وكاد يكون مما لا يصدق أن يكون هذا الرجل الوديع المظهر فى مقام يهدد أمن العالم .

على أن الخطوة التالية كانت مع ذلك واضحة، فأرسل لفيف من الرجال إلى ستافورد تيراس، وهو شارع هادىء فيه صفوف من المساكن ، وسرعان ما صارت العيون المختبئة بحيث تستطيع أن ترقب العالم الطبيعى ، ووضعت ترتيبات أخرى لمراقبة منطقة المتحف البريطانى .

ولما دنا موعد الاجتماع ، كان الذى يراقب الدكتور ماى يراه على كرسى يدخن وقدماه فى نعلين ، أمام نافذة بيته فى الدور الأرضى ، وإذا كان مشغولا بشىء آخر أهم من الكتاب الذى يقرأ فيه ، فإن ذلك لم يبد عليه ، فما تحرك بعد أن جاوزت الساعة الثامنة ، ولم يحدث شىء حول المتحف أيضا .

وتلقى الكولونيل برت التقارير من فريق المراقبة ، فأدرك أن الأمور — على الأقل فى الوقت الحاضر — لا متقدَّم فيها ولا متأخَّر .

وأرسلت من اسكتلنديارد رسالة إلى الشرطة الكندية لتستقصى مبلغ انطباق رحلات الدكتور ماى على ما ورد عن أليك فى برقية « جرانت » رقم ٢٤١ إلى المدير فى موسكو .

وكان رئيس مشروع الطاقة الذرية في مونتريل وتشوك ريفر حيث مصنع بتاواوا هو الدكتور دوجلاس كوكروفت وهو عالم ذو شهرة دولية . وقد أظهرت سجلات الدكتور كوكروفت ، أن الدكتور ماى زار مصنع بتاواوا مرتين ، وكانت الثانية فى الثالث من ديسمبر ، وأنه قام بعدة رحلات أيضاً إلى معامل الأبحاث الذرية فى مدينة شيكاغو حيث اشترك فى تجارب مع علماء الولايات المتحدة . وقد سافر إلى إنجلترا بعد بضعة أيام من زيارته لمصنع بتاواوا فى الثالث من سبتمبر ، والمقرر — كما ورد فى البرقية — أن يعود فى العام المقبل ليقضى شهراً هناك .

ولم يكن ثمة عالم آخر جرى على نفس هذا المنهج ، أو ينوى أن يعود فى العام القادم ؛ فالأمر واضح إذن .

وأرسلت المعلومات الخاصة بالدكتور ماى إلى مركز الأبحاث الذرية بوشنطن حيث عرضت على الفور على الجنرال ليزلى جروفز .

ومن المبادىء الأساسية فى قلم المخابرات العسكرية للولايات المتحدة ، أن الذين يعملون فى المشروعات السرية لا يجوز أن يطلعوا على أكثر مما يحتاجون إليه لمباشرة عملهم . وهكذا حدث قبل شهور ، أنه لما اقترح مجلس الأبحاث القومى فى كندا أن يسمح للدكتور ماى بزيارة الولايات المتحدة لمدة شهر ، عرض الطلب على الجنرال جردوفز نفسه .

فبعث الجنرال جروفز يطلب الملف الخاص بالدكتور ماى ، فوجد فيه أن الدكتور ماى سبق له أن زار معامل الأبحاث الذرية بشيكاغو ثلاث مرات ، «وأن زيارته الثالثة وقعت بين ٢٥ من سبتمبر و ٣٠ من أكتوبر ١٩٤٤ . وقد قام بعمل واسع النطاق بالتعاون مع غيره من العلماء فى ميدان سرى جداً وعلى جانب عظيم من الخطر . وأسفرت رحلته عن رسالة علمية شاركه فيها عالم أمريكى » .

وبدا للجنرال جروفز أن زيارة رابعة يقوم بها الدكتور ماى تجىء مناقضة للمبادىء التى يتطلبها الاطمئنان والأمن ، لأنها تسمح له بأن يطلع على أكثر مما يجب مما يجرى فى أجزاء شتى من مشروع الطاقة الذرية ، ومن أجل ذلك كان ردّه — بلطف ولكن بحزم : « كلا ! » .

وإذا كانت أسرار خطيرة فى ميدان الطاقة الذرية لا تزال فى أمان ، فإن فضلا كبيراً يرجع إلى ما قرره الجنرال جروفز من إقصاء الدكتور ماى . فقد قالت لجنة التحقيق الكندية الملكية : « لقد أخفق

السوفيت فى الحصول على تفاصيل صنع القنبلة الذرية ... لأنه لم يكن فى كندا أحد يستطيع أن يطلعهم على ذلك » .

وفى أثناء ذلك كان الدكتور ماى فى لندن تحت المراقبة الدائمة، فأحصيت عليه وسجلت كل حركة فى وقتها . ومرت الأسابيع فصار من الجلى أن الأمر لا يخرج عن احتمالين : أنه لا يبذل مجهوداً للاستجابة لبرقية موسكو ، أو أنه تلقى تحذيراً فسكن . ولكن إذا كان رؤساء الجواسيس لا يستعجلون ، فإن اسكتلنديارد تستطيع أن تقابل صبرهم بمثله، مضافاً إلى ذلك دؤوبها وصدق عزمها .

وواصل رئيس الوزارة الكندية ما كنزى كنج فحص هذه الوثائق وما لها من شأن سياسى خطير، مع المستر آتلى رئيس وزارة بريطانيا والمستر بيفن وزير الخارجية . ولما كان مقرراً أن يجتمع ممثلو الدول الكبرى الأربع فى ديسمبر ، فقد أدركوا أن أى كشف قبل الأوان عن مؤامرة التجسس ، قد يقضى على كل أمل فى الاتفاق . وبلغ من تعقد المسألة أن قرر كنج وآتلى أن يعبرا المحيط ويباحثا الرئيس ترومان .

ويبدو الآن أن رد الفعل فى موسكو للاجتماع الذى دام ثلاثة أيام ، كان لا يخلو من دلالة. فبينما كان ترومان وآتلى وكنج مجتمعين على ظهر اليخت سيكويا الراسى فى مياه نهر البوتوماك ، كان السوفيت يحتفلون بالعيد الثامن والعشرين للثورة، وخطب مولوتوف ثمانين دقيقة فقال بصراحة :

« ليس من الممكن فى الوقت الحاضر أن يظل أى سر فنى ذى قيمة كبيرة ملكاً مقصوراً على دولة واحدة أو أية دائرة ضيقة من الدول . وسوف نظفر بالطاقة الذرية وعدة أشياء أخرى أيضاً » .

ولما عاد كنج إلى أتوا صحبه آتلى ليطلع بنفسه على كل ما جد فى هذا الوضوع .

وكان أول هم للمحققين أن يتقوا إزعاج الكولونل زابوتين ، إلى حد يدفعه إلى تنبيه المتآمرين فى كندا وتحذيرهم . ومع أن الملحق العسكرى الروسى عرف أن بعض الوثائق فقدت ، إلا أنه كان من المعتقد أن الملحق لا يدرى أن جوزنكو جاء بملف البرقيات التى سلمت إليه قبل شهور ليحرقها. وكان مما يعتمد عليه المحققون أيضاً خوف زابوتين من عقاب موسكو له . وعلى هذا فإن من الممكن أن يكون الكولونل زابوتين — خوفاً منه على حياته — قد هوّن من أمر الوثائق الضائعة، وأنه كتب فى تقريره أن الحادثة كانت «اختلاس أموال» ،

كما دلت على ذلك البرقيات الدبلوماسية المتبادلة .

ومهما يكن من ذلك فإن الواقع أنه فى شهور سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر كان الكولونل زابوتين وأعوانه يتصرفون كأنه لم يحدث شيء .

وفى خريف ١٩٤٥ حصل تقدم عظيم فى الاهتداء إلى رؤساء فى جماعة التجسس .

وكان بين الوثائق سجل للرسائل رتب فيه زابوتين كل ما بعث به إلى موسكو فى الخامس من يناير ١٩٤٥ ، وقد أدرك المفتش ليوبولد أن هذا هو مفتاح السر كله، لأنه كشف عن نوع المعلومات المرسلة ، وذكر المصادر أيضاً .

وكانت الرسالة رقم ١٧٥ باسم « نورا » وهى تشتمل على برقيات رقم ١٠ واستفهامات رقم ٣ وصور شمسية رقم ١١ » . وتذكر جوزنكو أنه كتب البرقيات بالشفرة ، وكان قد أمر بأن يحرق الأصول ولكنه أخذها من الخزانة ، وهى الآن فى يد الحكومة الكندية .

وكانت الأصول عبارة عن نسخ من برقيات سرية واردة من إنجلترا ، ولا تزال محتوياتها إلى اليوم من خطر الشأن بحيث لا يمكن إذاعتها . وفيها أمور لا تتعلق بكندا وحدها ، وإنما ائتمنت عليها كندا من حكومات أخرى . فما لم تسد هذه الثغرة ، فإن الضرر قد يصيب العلاقات بين كندا والدول الصديقة . ومن أجل هذا كان الاهتداء إلى «نورا» مسألة لها المقام الأول.

وكان من حسن الحظ أن جوزنكو عرف اسمها — « إمّا وويكن ».وقد شهد فى هذا بما يأتى :

ج — كل ما أعرفه عن إمّا وويكن أنها تعرفت بالماجور سوكولوف ، فاقترح عليه الكولونل زابوتين أن ينتفع بها (جاسوسة) .

س — هل كنت حاضراً ؟

ج — نعم ، كنت فى الغرفة واقترح سوكولوف أن يعرض عليها أن تعمل جاسوسة فى أكتوبر ١٩٤٤ ، على أنه استخدمها قبل ذلك بكثير . وقد قالت إنها قد تستطيع أن تعمل كاتبة اختزال أو كاتبة فى مكتب المستشار التجارى ، وإنها تحب روسيا وتود أن تساعدها .

وفى وزارة الشئون الخارجية الكندية أخرج كاتب فى قسم المستخدمين ملف إما وويكن، فإذا فيه أنها موظفة فى قسم الشفرة منذ فبراير ١٩٤٤ ، ويشهد رؤساؤها بأنها موظفة هادئة مجتهدة .

وظهر من سيرة حياتها أنها ولدت في ١٩٢٠ فى ولاية ساسكتشوان بكندا من أبوين روسيين . وفى سنة ١٩٤٣ اجتازت امتحان خدمة الحكومة فى الاختزال ، وهى تتكلم الروسية والإنجليزية . وقد عينت فى مصلحة الجوازات ، ثم نقلت فيما بعد إلى قسم الشفرة ، حيث كانت تطلع على جميع البرقيات الدبلوماسية وعلى نظام الشفرة أيضاً .

وفى اليوم التالى حين حضرت إمّا إلى مكتبها وجدت أنها أعيدت إلى قسم الجوازات. فسألت : « ماذا حدث ؟ أليس يرضيهم عملى ؟ »

« لا لا . لا شىء من ذلك — أظن أن الموظفين قليلون فى مصلحة الجوازات ، وهم هناك مفتقرون إلى فتاة مجربة مثلك » .

وبهذه الطريقة طمع أولو الأمر فى سدّ الثغرة ، وفى أن يخفـوا فى الوقت نفسه مبلغ ما وقفوا عليه وعرفوه . وكان هناك وكلاء كثيرون لا تزال شخصياتهم مجهولة ، فليس من الحكمة المخاطرة بعمل يحملهم على المبادرة إلى التستر .

وبعد الانتهاء من أمر « نورا » راجع المفتش ليوبولد مرة أخرى مفتاح لغز الجاسـوسية — سجل الرسـائل فى يوم ٥ فبراير ١٩٤٥ — وفيه مذكرة رقم ١٠٦ ، وأخرى رقم ١١٠ مكتوب عليها أنهما « صورة » و « صورة مختصرة » من رسائل سرية من السفير الكندى فى موسكو إلى رئيس الوزارة ماكنزى كنج ، وأن « إيلى » هو المصدر .

وكان جوزنكو قد حمل معه فضلا عن ذلك برقية من المدير فى موسكو إلى الكولونل زابوتين يشير فيها إلى « إيلى » .

فسأله المفتش ليوبولد : « من كانت إيلى هذه ؟ »

فقال : « قبل أن أترك السفارة، ألقيت نظرة على الملف الخاص بها — اسمها ويلشر، وهى تعمـــل فى مكتب المندوب السامى لبريطانيا هنا فى أتوا » .

وكان المندوب السامى البريطانى فى كندا هو مالكوم ماكدونالد ابن رئيس الوزارة البريطانية الأسبق رامزى ماكدونالد ،وقد راعه أن يكون أحد موظفيه محل ارتياب .

وكانت الموظفة الوحيدة عنده التى تعرف باسم ويلشر ، هى كاثلين مارى ويلشر ، وكانت تطلع على كل رسالة واردة أو صادرة، وعلى البرقيات ، واللفات السرية . وكانت فوق الأربعين بقليل ، وهى هادئة رقيقة الكلام ، وعملها متقن ، وكان مظهرها أقرب إلى مدرّسة حسنة الوجه منه إلى الجاسوسة .

ولما كانت الحاجة إلى التكتم لا تزال

شديدة بحيث لا يمكن حتى أن تستجوب . فقد كانت الوسيلة الوحيدة الباقية أمام أولى الأمر هى أن يضعوها تحت المراقبة ، وأن يغيروا عملها تدريجاً حتى لا يتيسر لها بعد ذلك الحصول على معلومات مهمة .

أما وقد عرف « أليك » و « نورا » و « إيلى » وصاروا تحت المراقبة ، فقد راجع ليوبولد طائفة من الأسماء الأخرى — « باك » و « باجلى » و « وبادو » . وكان فريق « ب » قد تغلغل إلى مجلس الأبحاث القومية — حارس أسرار القنبلة الذرية .

ومن حسن الحظ أن جوزنكو كان قد نقل معه من السفارة وثيقة فيها بيان لنشاط هذا الفريق ، وورقة مكتوبة باللغة الإنجليزية على الآلة الكاتبة ، فى أسفلها هذا التحذير : « احرقها بعد درسها » ، وهى تحوى التعليمات السرية الصادرة إلى «باك»، رئيس فريق «ب» ، من مساعد الكولونل زابوتين ، الليوتننت كولونل روجوف . وفيها ما يلى :

« رموز فريقك ستكون :

«جان (روجوف) .

«باك (اسم مستعار) — ج . لونان بادو — دورنفورث سميث باجلى — نيد مازيرول .

«وأنت وحدك الذى يعرفنى باسم (جان) ولا يعرفه غيرك » .

ولم يحتج المفتش ليوبولد أن يراجع دفتر تلفونات أتوا من أجل لونان ، فقد كان فى الملف المأخوذ من السفارة الروسية عنوانه وصناعته — مراسل للجريدة العسكرية «الشئون الكندية» . وجاء فى أحد السطور «مدة العمل فى الشبكة* من مارس ١٩٤٥» .

ولكى يكون الملف أوفى ، كان فيه تقرير من «باك» إلى روجوف مؤرخ فى ٢٨ مارس بعد أسابيع قليلة من دخوله فى الشبكة ، ويستفاد منه أن السوفيت ، قبل إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما بشهور ، تنبهوا إلى جهود كندا والولايات المتحدة لحل مشكلات الطاقة الذرية .

«فهمنا تعليماتك المكتوبة ، وقد تم عمل تمهيدى فى المهمات الخاصة المعينة وقد أخبرنى بادو أن هذا العمل السرى يجرى فى الوقت الحاضر فى طبيعة نواة الذرة — قذف المواد ذات النشاط الإشعاعى لتوليد الطاقة . والتكتم فى هذا أشد منه فيما يتعلق بالرادار ، والعمل يجرى فى جامعة مونتريل وجامعة ماك ماستر . وسنوافيكم فيما بعد بتفاصيل أوفى . باك . »

* الشبكة يراد بها هيئة الجاسوسية السوفيتية .

وكانت هناك وثائق أخرى ، اثنتان منهـا تبرزان بروزاً قوياً ، الأولى بخط روجوف عن بادو وفيها :

« يطلب بادو الإذن فى التحول إلى العمل الخاص باليورانيوم » .

والثانية برقية من برقيات « جرانت » إلى المدير ، وقد جاء فيها :

« تلقينا من بادو ١٧ وثيقة من الوثائق البالغة السرية،والسرية،وهى إنجليزية وأمريكية وكندية ،وتبلغ فى جملتها نحو ٧٠٠صفحة.واستطعنا فى خلال اليوم أن نصور كل الوثائق ، وفى الأيام التالية القليلة سنتلقى مثل هذا القدر من الوثائق تقريباً لمدة تتراوح بين ثلاث ساعات وخمس ساعات.وأرى من الجوهرى أن نفحص كل ما فى مكتبة الأبحاث . جرانت» .

وقد أدهش عظم نطاق هذا السعى المفتش ليوبولد نفسه .

وعين المفتش رجالا ليعرفوا المقر الراهن لكل من « باك » و « بادو » و « باجلى » ومراقبتهم . وقـد ظهر أن لونان (باك) لايزال يعمل محرراً فى صحيفة « الشئون الكندية » . ولما كان رجل اتصال وحسب ، وليس له سبيل إلى الوقوف على معلومات سرية فى ميدان عمله ، فقد رؤى أنه ليس من الضرورى السعى إلى نقله من عمله بأوامر من الجهات العليا .

ولم يكن أحد فى مجلس الأبحاث القومى يعرف باسم دورنفورث سميث (بادو)، ولكن كان هناك من يدعى درنفورد سميث وهو متخرج من جامعة ماك جيل فى الرياضيات والطبيعة ، وقد عمل خمس سنوات فى شركة بل للتلفونات بمونتريل ، قبل أن يلتحق بمجلس الأبحاث . ولما كان عمله يسمح له بالاطلاع على السجلات السرية ، فقد اتخذت التدابير لنقله إلى مكان آخر .

وكان الذى أقصى بعد ذلك هو «باجلى» — نيد مازيرول، الذى ظهر أنه إدوارد ولفريد مازيرول ، وهو يحمل درجة بكالوريوس علوم فى الهندسة الكهربائية ، وعضو فى المعهد الأمريكى للمهندسين الكهربائيين ، وقد اشتغل بشركة وستنجهاوس الكندية وهيئة الإذاعة الكندية ، وفى سنة ١٩٤٢ التحق بمجلس الأبحاث القومى فى القسم الخاص بالرادار . وهو رجل طويل عريض الكتفين كبير الرأس منفوش الشعر ، وقد تزوج موسيقية كندية مشهورة بعزفها على البيانو .

وقد وجـدت فى مذكرات شتى كتبها الكولونل روجوف ، عبارات تدل على أنه فى الرابع من إبريل دفع المبالغ الآتية : « باك » مئـة ريال ، « بادو » خمسين

ريالا ، « باجلى » ثلاثين ريالا . وفى الثانى من مايو مذكرة أخرى تدل على أن مئة ريال دفعت إلى « باك » .

وكانت المبالغ من الضآلة بحيث كان من الجلى أن المال نفسه لم يكن هو الذى أغرى الوكلاء السريين بأن يفعلوا ما فعلوا ، فهناك باعث على الخيانة أسوأ من الرشوة .

وقد يسر دفتر البريد الخاص بزابوتين الوسيلة إلى معرفته أحد الرؤوس وراء المؤامرة كلها . فقد كان فيه هذه المذكرة :

« ١٠٨ — ديبوز — مذكرات
— قرارات الجلسات السرية للبرلمان
— صفحة ١ »

وكان البرلمان قد عقد جلسة سرية فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٤ بحث فيها موضوع توزيع القوات الكندية على وجه جديد بعد انهيار ألمانيا .

وكان قد وضع نظام فهرس دقيق معقد لتعقب الأسماء الرمزية العديدة التى ظهرت فى القضية ، وقد تطلب هذا أخذ عدة صور من كل وثيقة بحيث صارت القرائن الخاصة بكل اسم مجتمعة فى ملف واحد ، وكان بعض اللفات يبدو خاليا ، والبعض يكاد يحطم ما يمسكه من غلاف معدنى ، وبين هذه ملف « ديبوز »

وقد شعر المفتش ليوبولد بالعطف على الصناع القدماء الذين كانوا يصوغون الفسيفساء من قطع كثيرة ملونة من الحجر والزجاج، فإنه هو أيضاً يجمع القطع الصغيرة من الأخبار ويحاول أن يرسم صورة « لديبوز » ، وكان من بين القطع النقط الآتية التى كانت أبعث من سواها على الأمل. والأولى هى :

« إلى المدير
« أعيد انتخاب ديبوز للمرة الثانية عضواً فى برلمان الاتحاد الكندى ، وهكذا صار لنا هناك عضو من الأعوان . جرانت » .

والثانية سطر واحد من مفكرة للكولونل روجوف ، وهو :

« فريد ديبوز — تكلم بصفه عامة »

والثالثة فى صحيفة ممزقة من المفكرة التى سلمها الكولونل زابوتين لجوزنكو ليحرقها وهى :

« فريد — مدير الاتحاد . كان يشتغل قبل ذلك عند الجيران » .

والرابعة إشارة أخرى من المفكرة الممزقة :

« الاتصال فى وشنطن بشخص ديبوز ، لوضع ترتيبات للاجتماع ، صرف ٦٠٠ ريال » .

والخامسة أيضاً من الصفحات الممزقة :
«عمل فريد ـ الجماعة فى مونتريل
(العاملين) » .

فما معنى كل هذا الكلام المختلط ؟ وجه المفتش ليوبولد السؤال إلى جوزنكو ، فقال إن كلمة « الأعوان » التى وردت فى العبارة الأولى هى الكلمة الرمزية للحزب الشيوعى ، وظهر من العبارة الثانية أن « ديبوز » كان يعرف أيضاً باسم «فريد» ، والعبارة الثالثة التى وردت فيها كلمة «الجيران» دلت على أن « فريد » كان يعمل من قبل للبوليس السرى ، وكشفت الرابعة عن أن « ديبوز » وكل إليه أن يتصل فى الولايات المتحدة بوكيل فى وشنطن ، وأظهرت العبارة الخامسة أن « فريد » رئيس الجماعة من العاملين فى مونتريل .

وبهذه التفسيرات أصبح فى وسع القارىء العادى للصحف الكندية أن يحل لغز شخصية « ديبوز ـ فريد » فما كان هناك سوى عضو شيوعى واحد فى البرلمان هو فريد روز من مونتريل .

وروز هذا رجل قصير حادّ الطبع جاء إلى كندا من لوبلن فى بولندة ، مع أبويه ، وكان يومئذ فى الثالثة عشرة ، واكتسب الجنسية الكندية فى ١٩٢٦ ، وانضم إلى عصبة الشباب الشيوعى ، وصار السكرتير العام فى ١٩٢٩ ، وزار روسيا فى ١٩٣٠ ، وفى ١٩٣١ حكم عليه فى قضية فتنة وسجن سنة .

وكان فى أول الأمر كزملائه الشيوعيين يعترض أشد اعتراض على الحرب مع ألمانيا ، فصدر الأمر باعتقاله ، ولكنه ظل مختبئاً إلى سبتمبر ١٩٤٢ حين سلم نفسه ، وعينت لجنة استشارية من كبار الكنديين لإعادة النظر فى أمره فجاء فى تقريرها :

« ومع أن اللجنة لم تتأثر برأيه وما يقدّره لنفسه من خطر الشأن ، إلا أنها ترى أنه سيتبع نهج الحزب فى تأييد مجهود كندا الحربى ، وأن إطلاق سراحه صار لا يسىء إلى سلامة الدولة » .

وإذا روعى ما حدث بعد ذلك تبين أن ماذهبت إليه اللاجنة كان إسرافاً فى التفاؤل .

وفى السادس من أكتوبر ١٩٤٢ وقّع روز عهدا بأن لا يشترك فى نشاط الحزب الشيوعى فى كندا أو أية هيئة يسيطر عليها الحزب ، وأقسم أن يحرص على اجتناب الإفضاء بأى معلومات تتعلق بالحرب ، ووعد أيضاً بأن لا يأتى « أى عمل من شأنه أن يسيىء إلى كندا أو إلى حلفائها » .

وما كاد حبر توقيعه يجفّ حتى نكث عهده ، لفظاً ومعنى ، فلم يكتف بالقيام بدور رئيس فى تنظيم جماعة « ب » من

الوكلاء فى مجلس الأبحاث القومى ، بل كان على صلة بأربع عشرة جماعة أخرى كان يزوّدها بالتعليمات والمشورة .

ولم يتخذ أى تدبير من شأنه أن ينبه فريد روز عضو البرلمان إلى أن دوره المزدوج قد انكشف ، فظل يظهر فى مجلس العموم ، ويشغل مكتبه فى دار البرلمان ، ويقيم فى مسكنه الحسن مع زوجته وابنته ، ولكن اتصالاته صارت تحت المراقبة ، ولم تكن تمضى لحظة من الليل أو النهار لا يعرف فيها أحد المخبرين أين هو ، وماذا يصنع .

وفى هذا الدور اتضحت شخصيات عضوين من الأعضاء الرئيسيين فى جماعة روز التى كانت تسمى « فريق مونتريل » .

ويجب أن يعرف القارىء أن جوزنكو وإن كان قد انتقى وثائق السفارة ببراعة مدهشة وحكمة عظيمة ، لم ير قط أحداً من الوكلاء الكنديين . فلم يكن يستطيع أن يشير إلى شخص ما ، ويقول هذا هو الذى يسمى كذا أو كذا فى التقرير الفلانى ، فكان على الذين يقومون بالتحرى أن يبحثوا بأنفسهم عن القرائن فى الوثائق ، وكان معوّلهم على الاجتهاد فى البحث .

وكان الذى هداهم إلى الأثر الدال على أول الوكلاء بمونتريل ، فقرة من مفكرة الكولونل زابوتين :

« فريق مونتريل (العاملين)

« جراى : رئيس قسم الإدارة الخاصة بتوفير مواد الحرب للحلفاء . يحسن العمل . يقدم معلومات عن القذائف والمدافع » .

وبقية الملف الخاص بجراى غاص ، وهو يدل على أنه مصدر فياض بالتقارير السرية عن القذائف والمدافع والمفرقعات . وقد عثر المفتش ليوبولد على خير القرائن فى وثيقتين : الأولى برقية يتناول فيها الكولونل زابوتين إمكان اتخاذ جراى وكيلا سرياً فيما بعد الحرب ، وقد دلت البرقية على أن « جراى » مهندس جيولوجى وأن مرتبه من وظيفته ٤٢٠٠ ريال .

وقد دون المفتش ليوبولد على رقعة صغيرة ما يأتى : « مهندس جيولوجى — المرتب ٤٢٠٠ ريال — ربما كان رئيس فرع فى قسم الذخائر والمؤن » ، وشبك هذه الرقعة بالوثيقة الثانية ، وهى صفحة منتزعة من المفكرة المفككة ، ومكتوبة باليد باللغة الإنجليزية ، وفيها بيان « للإجراءات السرية فى مكتب المهمات » وكتب المفتش على رقعته « يراجع خط اليد » .

ثم تولى محقق مدنى الثياب من رجال الشرطة الكندية بحث ملفات فرع الذخائر

فى قسم الذخائر والمؤن ، فعثر على أصل الوثيقة ، وكانت رقم ٣١٫٧١٩ فى ملف سرى لمكتب المهمات . وظهر من السجلات أن هذه الوثيقة أعطيت لمن يدعى هارولد س . جيرسون ، وهو رئيس قسم ، وكان توقيعه مطابقاً للخط التى كتبت به الصفحات التى جاء بها جوزنكو من السفارة الروسية .

وجيرسون هذا من مواليد كندا ومن أبوين روسيين ، وكان مهندساً جيولوجياً ناجحاً فى عدة شركات للتعدين قبل الحرب ، وهو الآن رئيس قسم فى مصلحة الذخائر والتموين كما خمّن المفتش ليوبولد ، ويتقاضى ٤٢٠٠ ريال فى العام .

ولما ذهب رجال التحرى ليراقبوه ألفوه رجلا رَبْعة مدمناً تدخين الغليون ، وشعره أصفر جعد ، وعلى عينيه نظارة ذات إطار معدنى ، وهو فى هيئته أشبه بمدرس رقيق القلب فى جامعة . وكان من العسير — كما هو الشأن فى غيره من أفراد العصابة — أن يقرن الإنسان شخصية هــذا الرجل الظريف الذكى الركين بشخصية جراى الذى سجلت وثائق السفارة نصيبه من المؤامرة ، وقد وضع كغيره تحت المراقبــة إلى أن يحين الوقت للانقضاض عليهم .

وعاد المحققون إلى مذكرة الكولونل زابوتين فراعهم ، وهم ماضون فى العمل ، أن يجدوا كل هذا العدد الكبير من ذوى الشهرة العالية على صلة بالمؤامرة . وكان أسوأ وجه للأمر كله فيما يرى المعنيّون بسلامة الدولة ، أن وكلاء السوفيت استطاعوا أن يجدوا أشخاصاً أذكياء موهوبين مستعدين لخيانة بلادهم .

وبلغ من عمق وقع هــذه الظاهرة أن اضطر ونستن تشرشل أن يصرح فى مجلس العموم بقوله : « إن بلاداً كثيرة تسعى للحصول على معلومات عن شئون البلاد الأخرى — ولا شىء فى هــذا ، ولكن الفرق بين النظام السوفيتى وغيره من النظم ، هو أن الجماعة الشيوعية ترى أن من الأمور التى ترتفع إلى منزلة العقيدة الدينية أن يضحى الإنسان بوطنه فى سبيل الغاية الشيوعية » .

وإلى هنا كان الباحثون يسيرون سيراً رُخاءً إلى حدّ ما ، فقد استطاعوا أن يهتدوا إلى كل واحــد من أصحاب الأسماء المستعارة وأن يراقبوه ، أما الآن فقــد شرعوا يعالجون ما هو أشقّ وأعوص .

مثال ذلك أنه كان هناك وكلاء فى « فرقة مونتريل » التابعة لفريد روز تبدأ أسماؤهم بحرف « ج » ، وأحدهم يعمل فى مصنع للدبابات ، ومنهم صاحب صيدلية ،

ومنهم أيضاً سيدة هى زوجة بدال ، وإلى اليوم لم يتيسر الاهتداء إليهم .

وقضى رجال الشرطة الكندية ثلاثة شهور يرتادون تيه القرائن المتعلقة بعصبة التجسس ، وكشفوا عن مقدار من الأدلة لا يكاد يصدقه العقل . وكان ما كنزى كنج رئيس الوزارة ، وهو يرى دلائل الإثبات تتضخم بين أيدى المحققين ، ويجعل باله إلى الحالة الدولية العاصفة ، يتساءل حتى متى يستطيع أن يرجىء القيام بعمل حاسم ؟

وجاء أول نذير بالمتاعب فى الأسبوع الأول من ديسمبر ١٩٤٥ ، إذ غادر الكولونل زابوتين كندا فجأة ، ولم يبلغ الحكومة الكندية التى يمثل دولته لديها ، وقد ظلت الباخرة السوفيتية (ألكسندر سوفوروف) راسية فى ميناء نيويورك حتى صعد إليها ، وكان حرس الجمرك فى الولايات المتحدة هم آخر من عُرف أنهم رأوه حيًّا ، فقد شاع بعد ذلك أنه أصيب « بأزمة فى القلب » قضت عليه بعد أن عاد إلى موسكو بقليل .

وبعد بضعة أيام طاف ج . ن . زاروبين السفير الروسى بمكاتب الحكومة الكندية ، وقال إنه عائد إلى موسكو لاستشارات عادية ، وإنه لا يقول « وداعاً » بل « إلى الملتقى » ، ولكنه لم يعد بعدها .

وكان من الجلى أن موظفى السوفيت أدركوا الآن فى أى شىء تستخدم وثائق جوزنكو ، وفى مستهل ١٩٤٦ صار من الواضح أن الحوادث صائرة إلى أزمة ، فقد أخفق مؤتمر وزراء الخارجية بموسكو ، وفى الخامس من فبراير صدر مرسوم رقم ٤١١ عهد بقضية التجسس إلى لجنة تحقيق ملكية يرأسها اثنان من قضاة المحكمة العليا بكندا ، هما القاضى روبرت تاشيرو ، والقاضى ر . ل . كيلوك .

واللجنة الملكية — مادامت منعقدة — تعد هيئة مستقلة تمام الاستقلال ، وقراراتها لا يعاد فيها النظر ، ولا تراجع ولا تستأنف . ووظيفتها أن تقوم بالتحقيق وأن تقدم تقريرها إلى الحاكم العام فى مجلسه ، وهى صاحبة الرأى — على خلاف المحكمة — فى الإجراءات التى تتبعها ، ولها أن تتلقى أى شهادة أو دليل تشاء ، وهى من هذه الوجهة أقدر على تبين الحقائق من المحكمة المقيدة بقواعد صارمة فيما يتعلق بجواز قبول الإثبات . غير أن اللجنة لا تستطيع تنفيذ ما تنتهى إليه من النتائج ، فإذا أدى تقريرها إلى إقامة الدعوى كان بها ، لأن المحاكم وحدها هى التى لها الحق فى توقيع العقوبات .

وكان التكتم لا يزال مرعياً ، لأن تسرب

أى خبر قد يحبط الأمر كله ، على أنه فى صباح اليوم الرابع عشر من فبراير أوفد مستشار اللجنة الملكية رسولا إلى وزارة العدل يطلب القبض على اثنى عشر رجلا من الذين تعقب نشاطهم رجال المباحث ، ومع أن أوامر القبض وأسماء المقبوض عليهم ستظل سرية ، إلا أن رئيس الوزارة أدرك أن مثل هذه الغارة الواسعة النطاق لن تمر دون أن يفطن لها أحـد ، فلا مفرّ من الإفضاء ببيان .

وأراد رئيس الوزارة أن يجعل مسلكه لا غبار عليه من وجهة النظر الدولية وقواعد البروتوكول ، فقرر أن يتحدث إلى القائم بأعمال السفارة الروسية فى أتوا ، وهو نيقولاى بيلوخفوستيكوف الذى ناب عن السفير زاروبين فى أثناء غيابه .

وهذه رواية ماكنزى كنج لما دار من الحديث : « قلت إنى سأفضى إلى مجلس العموم بأن دولة أجنبية لا أسميها تتجسس ، وتتلقى معلومات ، ولكنى أريد منه أن يعلم أن الدولة التى أشير إليها هى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، وإنى من ناحيتى على أتم استعداد للقيام بزيارة شخصية للمارشال ستالين للحصول على تفسير لهذه الحوادث المدهشة » .

وبينما كانا يتداولان ، كان رجال الشرطة الكندية يتهيأون ، وفى الصباح الباكر من يوم ١٥ من فبراير ضربوا ضربتهم ، وانقضوا على جامعة ماك جيل ، وجامعة مونتريل ، وجامعة تورنتو ، ومكتب الرقابة على القطع الأجنبى ، ومجلس الأبحاث القـومى ، ولم يكن أحد ممن اعتقلوا فى ذلك اليوم يدرى أنه كان مراقباً منذ شهور .

ووقف رئيس الوزارة فى مجلس العموم يلقى على الأعضاء المشرئبين إليه بياناً موجزاً عما يجرى . « إن لدى هـــذه الحكومة معلومات لا شك فى صحتها تثبت أن أسراراً أفشيت إلى أشخاص لا صفة لهم ولا حق لهم فى الاطلاع عليها ، وفى جملتهم بعض أعضاء بعثة أجنبية فى كندا » .

وفيما وراء المحيط الأطلسى — بلندن — قرر الكولونل لينارد برت من رجال الفرع الخاص باسكتلنديارد أن يتحدث إلى الدكتور ألن نان ماى — الذى يدعى « أليك » فى برقيات موسكو — والذى زود السوفيت بنماذج من اليورانيوم ومعلومات عن القنبلة الذرية :

« هل تعلم يادكتور ماى أن معلومات تسرّبت من كندا عن الطاقة الذرية ؟ »

فنظر إليـــه الدكتور ماى بثبات وقال بهدوء : « هذه أول مرة أسمع فيها هذا » .

« وهل تعلم أننا نعلم أنه كان بينك وبين بعضهم فى لندن موعد فى هـذا الصدد ، وأنك أخلفته ؟ » .

فلم يجب الدكتور ماى بشىء .

وكان الكولونل برت ورجال اسكتلنديارد لا يرون المبادرة إلى القبض عليـه ، لأنهم كانوا يرجون أن يهتدوا عن طريقه إلى جاسوس آخر ، ولهـذا لم يفعلوا شيئاً فى ذلك الوقت .

وفى أتوا ، كانت لباقة الشرطة الكندية وكفايتها تخفيان نشـاطاً محموماً ، أو كما قالت اللجنة الملكية : « إن مدى تشعب هيئة الجاسـوسية ، وشخصية جميع وكلائها ، لم يكونا معروفين إلى اليوم الرابع عشر من فبراير ، فقد كان هناك عدد من الوكلاء مذكورين فى سجلات السـفارة بأسماء مستعارة فقط ، ولم يستطع جوزنكو أن يرشد إليهم ، وكان من أهم الأمور أن يعرف أكبر عـدد ممكن منهم ، والطريقة التى يتبعها كل واحد » .

وكان أهم طـور فى البحث الذى كان يدور نهاراً وليلا فى روكليف ، هو الذى يتنـاول بواعث الوكلاء المتهمين . وكان المحققون لا يملون السعى للكشف عن السبب .

وكان معظم المشـتبه فيهم من المتعلمين تعلما عالياً ، ومن ذوى الاقتدار الملحوظ والذكاء العظيم . وللبواعث التى كشف عنهـا التحقيق دلالتها وخطرها ، لا لكندا وحدها بل للعالم أجمع .

ولم يكن ثم دليل على أن المال كان له دخل كبير فى إغراء هؤلاء الناس ، وكان كل شىء يثبت أن الباعث الأول هو ثمرة فكرة سياسية عززها التدريب والتعليم فى « فرق الدراسة » أو الخلايا الشيوعية . وقد وجدت اللجنة الملكية « أنه فى معظم الحالات كان الباعث متصلا أوثق الاتصال بمناهج التربية النفسية التى يتولاها فريق سرى فى جماعة هى فى الظاهر جماعة سياسية كندية — حزب العمال التقدمى (الحزب الشيوعى فى كندا) ، ومناهج هذه التربية النفسية السرية أوسع انتشاراً من شبكة الجاسوسية نفسها .

« ويبدو أن السياسـة العامة للحزب الشيوعى تقضى بصرف لفيف معين ممن يعطفون على الحزب ، عن الانضمام إليه علناً ، وهؤلاء يدعون إلى الانضمام إلى الخلايا السرية ، أو إلى فرق الدراسة . ويؤخذ هؤلاء الأعضاء السريون من طوائف شتى من الأمة من الطلبة والمشتغلين بالعلوم والمدرسين ، والموظفين ، والعمال فى الصناعة والتجارة ، والمشتغلين بأى نشاط إدارى ، أو أية طائفة يحتمل أن تحصل على وظيفة حكومية .

« والغرض هو تعويد الشبان تدريجاً جو التآمر وأخلاقه . ومن السهل أن يتصور الإنسان التأثير العام الذى تحدثه فى نفس الشاب أو الفتاة ، تلك الاجتماعات السرية ، والمعارف السريون ، والأغراض والخطط السرية . ويظهر أن هذا الأسلوب يراد به أن يتدرب الإنسان على أن تكون له حياة ذات وجهين ، ومقاييس من نوعين مختلفين » .

ولا سبيل إلى تقدير هذا الضرب من التجسس ومغزاه إلا على ضوء الفقرات السابقة ، وإلا فإن ظهور مثقفين موهوبين فجأة ، يعبثون بأسرار الدولة لا يكون مفهوماً .

وكان سلوك هارولد س . جيرسون الأستاذ الذى لا يكف عن التدخين ، مثالا لموقف هذا الفريق عند الاستجواب . وقد عرضوا عليه وثائق بخطه مأخوذة من ملفات السوفيت ، وأمامنا شهادة المفتش هارفسون عما حدث ، قال :

« سألت المستر جيرسون هل يعرف هذا الخط ، فقال إنه يشبه خطه جداً . فسألته هل كان يدون مذكرات عن الوثائق ، وهل كان عمله يقتضى أن يدون هذه المذكرات ؟ فقال إن من الصعب تحديد واجباته ، ولكنه دوّن مذكرات » .

« فقلت للمستر جيرسون : إنى سأقف الاستجواب مسافة أربع وعشرين ساعة ، وفى خلال هذه الفترة أريد منه أن يتروّى ويفكر فى هل هو مستعدّ بوصف كونه مواطناً كندياً ، أن يساعد حكومته ويزودها بأى معلومات تكون عنده عن التجسس السوفيتى ؟

« وفى اليوم التالى سألت المستر جيرسون عن قراره ، فقال إن هناك عدة مسائل شخصية مرتبطة بالقرار يراها فى غاية الصعوبة ، وسألنى هل أسمح له بالتأجيل إلى ظهر يوم السبت ليصل إلى قرار ؟ »

« وفى ظهر السبت قال إنه وصل إلى قرار ، وإنه يدرك أن الصورة حالكة فيما يتعلق به ، وإنه ارتكب أخطاء ، ولكنه لا يستطيع أن يعيش عيش المطمئن إذا باح بمعلومات من مثل أن فلاناً فعل كذا وكذا — وإذا أشار إلى هذا الرجل أو ذاك الرجل » .

هذا ، وقد حدث فى موسكو فى ٢٠ من فبراير أن أمر نائب وزير الشئون الخارجية سولومون لوزوفسكى بأن يستدعى القائم بأعمال السفارة الكندية ليون ميراند ، وشرع من توّه فى تلاوة بيان من صفحتين . ويحسن عند قراءة الفقرات التالية أن نكون على ذكر من وثائق السفارة التى أخذها جوزنكو :

« علمت الهيئات السوفيتية أن بعض رجال الملحق العسكرى السوفيتى فى

كندا تلقوا من بعض الرعايا الكنديين معلومات ذات صبغة سرية، لم تبد مع ذلك ذات شأن كبير للهيئات السوفيتية . وهذه الأخبار تشير إلى معلومات فنية لا حاجة بالهيئات السوفيتية إليها، لأن التقدم الفنى جاوز مداها فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية . وهذه المعلومات يمكن الاطلاع عليها فى كتب منشورة عن الرادار الخ ، وكذلك فى الرسالة المشهورة التى وضعها ج . د . سمايث الأمريكى عن « الطاقة الذرية »، ولذلك فإن من السخف أن يقال إن إعطاء معلومات سرية تافهة من هذا القبيل يمكن أن يهدد أمن كندا وسلامتها .

« على أن حكومة السوفيت بمجرد علمها بالأعمال السابقة الذكر ، استدعت من كندا الملحق العسكرى السوفيتى لعدم جواز القيام بهذه الأعمال » .

وقد كان طريفا أن يحاول البيان السوفيتى التهوين من شأن المعلومات . وبغض النظر عن كون التقدم الفنى فى الاتحاد السوفيتى قد جاوز مدى هذه المعلومات ، وهى مسألة تحتمل الخلاف ، فإن الواقع هو أن هيئة دقيقة النظام قد أقيمت للحصول على هذه المعلومات .

وعلى الرغم من الزعم بأن المعلومات الخاصة بالطاقة الذرية يمكن الاطلاع عليها فى كتب منشورة ، تبينت اللجنة الملكية أن هذه المعلومات السرية لم يكن قد طبع منها شىء فى الوقت الذى أخذت فيه . ولو أنها كانت طبعت ، لما كانت سرية . والذى يدل دلالة صادقة على قيمتها أن يكون رؤساء الجاسوسية السوفيتية قد عدّوها ذات خطر عظيم .

ولم يسمح بنشر كثير من الوثائق فى هذه القضية لأن اللجنة الملكية تبينت أن « بعض المعلومات سرى جداً حتى أنه لا يمكن الإشارة إليها إلا من بعيد وبأعظم حذر » .

وكان أعظم عمل خطير الشأن وفق فيه الحلفاء الغربيون فى الميدان الفنى ، بعد القنبلة الذرية ، هو الرادار . ولا يزال بعض التحسين الذى تم فيه يعد من أخفى الأسرار . وقد حصل الوكلاء السوفيت على معلومات فى هذا الميدان على أعظم جانب من خطر الشأن . ومن المسائل الهامة الأخرى ما يسمى « أسديك » وهو جهاز مضادّ للغواصات يعين على الاهتداء إليها . وقد قالت اللجنة الملكية إن « كثيراً من

المعلومات التى يمكن الحصول عليها فى كندا فى هذا الموضوع قد تسرب ، وربما كانت قد تسربت كلها » .

وثم موضوع آخر هو « فتيل ف. ت » وهو فتيل مدهش لإحكام رماية المدفعية ، ولا تزال التفاصيل الخاصة بترتيب أسلاكه وصناعته من الأسرار المحجوبة . ومع أن هذا الفتيل صنع أولا فى كندا سنة ١٩٤٣ إلا أن تفاصيل صناعته لا تعرف فى غير الولايات المتحدة . وهـذا الفتيل هو « القنبلة الكهيربية » التى ورد ذكرها فى بعض الوثائق السوفيتية ، وقد حصل أحد الوكلاء على رسمها . وجانب كبير من المعلومات التى كان الوكلاء يسعون للحصول عليها ، متعلق بتدابير الدفاع فيما بعد الحرب عن كندا ، وبريطانيا ، والولايات المتحدة . وكانت المعلومات التى سلمها إلى السوفيت أمثال جيرسون من هذا القبيل — بيانات عن الإنتاج، وأماكن الصناعات، والنقل ، والمشروعات ، والشئون المالية . وفى هذا تقول اللجنة الملكية: « إن جانبا من هذه المعلومات يمكن الانتفاع به فى أعمال التخريب الممكنة » .

وفى الثانى من مارس ١٩٤٦ أصدرت اللجنة الملكية تقريرها المبدئى الأول ، الذى رفع ستار السرية إلى حد يسمح بوصف بعض الأعمال التى قام بها الكولونل زابوتين، وإمّا وويكن ، وكاثلين ويلشر ، وجوردن لونان ، وإدوارد مازيرول . وقبل ذلك ببضعة أيام كان المفتش وايتهيد من رجال اسكتلند يارد بلندن قد قصد كلية الملك ووصل إليها حين كان الدكتور ألان نان ماى يختم محاضرة له على نظرية نواة الذرّة ، فلما أتمها أومأ إليه المفتش الذى كان ينتظر عند الباب .

وقال : « معى أمر بالقبض عليك ، وسأتلوه عليك حالا » .

فزمّ الدكتور ماى شفتيه وقال: «حسن. لقد كنت أتوقع شيئاً من هذا القبيل».

وكان التحرّى فى خلال الشهور التى مضت منذ ظهرت علاقة اسم «أليك» المستعار بالتجسس على أسرار القنبلة الذرية — قد كشف عن حقائق أخرى فيما يتعلق بنشاطه. فلما واجهوه بهذه الوثائق ، كان من العسير عليه أن يفسر أعماله، وبواعثه أيضاً. وأخيراً قبل أن يكتب بياناً قال فيه :

« منذ نحو سنة ، بينما كنت فى كندا ، اتصل بى شخص لا أرى أن أبوح باسمه ، وطلب منى معلومات عن الأبحاث الذرية .

وكنت قد فكرت بعناية فى

صواب الاستيثاق من أن التقدم فى باب الطاقة الذرية غير مقصور على الولايات المتحدة ، وانتهيت إلى قرار مؤلم هو أن من الضرورى الإفضاء بمعلومات عامـــة عن الطاقة الذرية والتثبت من أنها تؤخذ مأخذ الجد. ولهــذا السبب قررت أن أقبــل ما عرض علىّ .

« وفى اجتماع لنا أعطيت الرجل مقادير ميكروسكوبية من يورانيوم ٢٣٣ ويورانيوم ٢٣٥ ، وأعطيته أيضا تقريراً مكتوباً عن الأبحاث الذرية بقدر ما أعلم منها .

« وطلب الرجل منى كذلك معلومات عن القنبلة المسيرة بالكهيربات التى تصنعها الولايات المتحدة . ولم أكن أعلم عنها إلا القليل ، فلم أعطه شيئاً يذكر .

« وأعطانى الرجل بعض الريالات (وقد نسيت عـددها) فى زجاجة ويسكى ، وقد قبلتها على غير إرادتى.

« وقبل أن أغادر كندا ، اتفقنا على أن أقابل عند عودتى إلى لندن رجلا لا أعرفه ، وقد أخلفت الموعد لأنى رأيت أن هذا النهج الخفى لم يعد لائقــاً ، نظراً لما أذيع رسمياً من المعلومات، ولإمكان الاتفاق على نظام الرقابة الدولية على الطاقة الذرية .

« وكان الأمر كله مبعث ألم لى ، وما دخلت فيه إلا لأنى شعرت بأن هذه قد تكون مساهمة منى فى سبيل أمن البشر وسلامتهم . ولم أفعل ذلك طلباً للربح . »

وقد علق القــاضى أوليفر على بواعث الدكتور ماى الإنســانية بما يأتى :

« لقد أصغيت إليك يا ألن نان ماى بشئ من الدهشة وأنت ترسم صورة رجل شريف لم يفعل إلا ما يعتقــد أنه صواب. وأنا لا أرى فيك ما تراه أنت فى نفســك . فكيف بلغ من قحة رجل فى مثل مركزك وغروره فضلا عن لؤمه ، أن ينتحل لنفسه الحق فى تقرير أمر من هذا الضرب، مع أنك قد أعطيت على نفسك موثقاً مكتوباً أن لا تفعل ذلك ، وكنت تعلم أن هذا السرّ من أعظم أسرار بلادك — إنه لأمر شنيع أن تكون قد فعلت هذا » .

وبعد الساعة الحادية عشرة ببضع دقائق

فى ليلة ١٤ مارس دق الجاويش رينيه ج . نويل من رجال الشرطة الكندية ، باب فريد روز فى أتوا .

وكان روز على التلفون يحادث مراسلا لجريدة فى تورنتو طلبه ليسأله هل قبض عليه فقال روز : « كلا ، لم يقبض على » ووضع السماعة ، وفتح البـاب فاعتقل على الفور .

ومع أن الوثائق والشهود تثبت علاقة فريد روز بكثير من جماعة التجسس ، إلا أنه رفض أن يدلى بأقواله أمام اللجنة الملكية ، أو أن يفسر علاقته بالقضية .

وقد ظلت اللجنة الملكية منعقـدة من فبراير إلى يونيه ١٩٤٦ . وفى السابع والعشرين من يونيه ، بعد أن سمعت عشرات من الشهود وراجعت آلافا من الصفحات ، أذيعت قراراتها المزعجة . وقد قالت فى ختام تقريرها : « لم نطلع إلا على القليل الذى استطاع جوزنكو أن يجمعه قبل مغادرته للسفارة من وثائق زابوتين الخاصة بالجاسوسية ، وهذه الوثائق لاتكشف إلا عن عمل نظام الجاسوسـية الخاص بالكولونل زابوتين ، وإن كانت الأدلة تكشف عن وجود شباك أخرى مازال بعضها يعمل منذ عدة سنوات » .

وقد ترك أمر العقوبة لمحاكم الدولة ، ونظراً لتعقد أدلة الإثبات ضد كل فرد ، رؤى أن الأوفق عقد محاكمات مستقل بعضها عن بعض .

وقد بُرّىء بعض الذين تعقبهم رجال الشرطة الكندية لعدم كفاية الأدلة ، واعترف البعض بأنهم مذنبون ، وثبتت إدانة آخرين ، ولا تزال المحاكمات مستمرة . وهذا ما انتهى إليه الأمر فى بعض المحاكمات الرئيسية إلى الوقت الذى كتب فيه هذا :

الاسم	الاسم المستعار	المحاكمة	الحكم
الدكتور ألن نان ماى	اليك	اعترف	١٠ سنوات
فريد روز	ديبوز	أدين	٦ سنوات
إما وويكن	نورا	اعترفت	٣ سنوات
كاثلين ويلشر	إيلى	اعترفت	٣ سنوات
ه . س . جيرسون	جراى	أدين	٥ سنوات
د . ج لونان	باك	أدين	٥ سنوات
إ . و . مازيرول	باجلى	أدين	٤ سنوات
درنفورد سميث	بادو	أدين	د سنوات

والزمن وحده هو الذى سيبين هل تؤدى وثائق جوزنكو إلى تغيير فى أساليب السوفيت فى استخدام هيئة دبلوماسية لإنشاء طابور خامس فى بلاد دولة صديقة . وقد قال جوزنكو فى هذا الصدد : « جاء فى آخر برقية طلب معرفة الموارد الطبيعية التى تستطيع كندا أن تعبئها فى حالة نشوب الحرب — الفحم والزيت والمعادن النادرة وغير ذلك »

وإن اهتمام روسيا بكندا لبديهى من وجهة النظر الحربية العالمية التى لا دخل للعاطفة فيها ، فإن كندا واقعة على الخط الأمامى للطريق الجوى القطبى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .



منذ عهد آدم وحواء

يتفق النساء والرجال فى شىء واحد على الأقل : ريبتهم فى النساء

[هـ ٠ ل ٠ د منكن]

إذا اردتِ أن تدركى السعادة الحقّ مع رجل ، فينبغى لك أن تفهميه كل الفهم وأن تحبيه بعض الحب . وإذا أردتَ أن تدرك السعادة الحق مع امرأة ، فينبغى لك أن تحبها حباً جماً ، وأن تنصرف تماماً عن محاولة فهمها .

[هيلين رولند]

لن تجد فى الدنيا امرأة يخشى خطرها ، وإنما تجد رجالا عرضة لإغراء المرأة .

[جوزيف وود كراتش]

كنت قبل زواجى أرى ستة آراء مختلفة فى تنشئة الصغار وكيف ينبغى أن تكون ، أما اليوم فقد صار عندى ستة أولاد — وليس عندى رأى ما .

[لورد روتشستر]

سئلت عانس لِمَ لم تتزوج فقالت : « لابد أن يكون الزوج من خير الرجال حتى يكون الزواج به أفضل من البقاء بغير زواج »

[إرفنج ورث پولى]

وَيلٌ للشجيّ من الخليّ

بروس هتشينس

مختصرة من صحيفة "ويستيبج فري برس"

لقد طبعت على الرثاء لحال الذين نكبوا بعادة التدخين ، أى أننى صرت مطبوعاً عليه منذ تسعة أيام، يوم تركت ذلك العشب اللعين. أما وقد صفا ذهنى من أبخرة الدخان وطهر دمى من سم النيكوتين ، فقد صار فى وسعى أن أحسن التفكير .

وقد وجدت بالحساب أن الرجل من أوساط المدخنين ينفق ٣٢ جنيهاً فى السنة على هذه الرذيلة — وهذا مبلغ يكفيه ليشترى ٤٥ كتاباً جيداً ، أو بذلتين ، أو كرسياً وثيراً ، أو أن يذهب فى إجازة تجدد نشاطه ، ولكنّ هذا كله يتبدّد دخاناً فى الهواء .

وقد مضيت فى الحساب بعد أن صفا ذهنى ، فتبينت أن هذا الرجل ينفق فى ٣٠ سنة ٩٦٠ جنيهاً ، فلو كنت تركت التدخين منذ ٣٠ سنة لتوفر لى ثمن سيارة فخمة ، أو نفقة رحلة إلى أوربة ، أو القسط الأول على بيت يكون ملكاً لى .

وقد سمعت الناس يفسرون مشكلات الاقتصاد فى العالم اليوم على وجوه مختلفة ، ولكنهم جميعاً أغفلوا السبب الحقيقى . فلو عدم الناس الطباق الذى يدخنونه ، لزاد دخل الأسرة المتوسطة (ولا تنسين أن الرجال والنساء عبيد لهذا العشب) ٥ جنيهات تنفقها عند البقال أو التاجر أو غيرهما ، ولارتفع مستوى المعيشة بوجه عام .

وحسبي أن أقول إن الأيام التسعة التى مرّت بى منذ تركت الدخان ، هدتنى إلى أن السر فى انهيار حضارتنا ليس هو الفاقة ولا الحرب ، بل التدخين . وكيف يسعنا أن نعالج مشكلاتنا الكبيرة ، ونحن ندخن فيعمى الدخان عيوننا ؟ !

توصلت فى الأيام التسعة الماضية إلى إدراك هذه الحقائق ، وقد كانت من أسعد أيام حياتى — إذا تناسيت أننى كنت فى بحرها مريض الأعصاب منغص العيش ، لا أصلح لعمل أو لمعاشرة ، فقد نفر منى أهلى وأصدقائى حتى صرت أشتهى فى كل صباح أن أموت قبل أن يرخى الليل سدوله.

وأنا اليوم رجلٌ حرٌّ، ولما كنت قد عاهدت نفسى على أن أترك التدخين مدة شهر فلا يزال أمامى ٢١ يوما أتمتع فيها بالحرية قبل أن أرتدّ إلى عبوديتى الأولى .

وها أنذا أعدُّ الأيام الباقية !

رسالة إلى
حضرات المعلنين الكرام

نضم جماعة قرّاءِ المختار كلَّ ناحية من نواحى النشاط الإنسانى الكثيرة فى البلاد العربية اللسان : من تجار القطن إلى تجار الملابس إلى تجار الطعام والأدوات الكهربائية والسجاير ، ومن المهندسين الزراعيين إلى المهندسين الميكانيكيين والكيميائيين، ومن الأمهات فى البيوت إلى المدرسات والطالبات فى المعاهد، ومن الأساتذة والمدرسين إلى الطلبة على اختلاف درجاتهم، ومن مديرى الشركات إلى كتبتها ، ومن كبار رجال الدولة إلى صغار موظفيها .

وهؤلاء القراء الكرام سواء نظرنا إليهم على أنهم أفراد من الناس أو جماعات تصل بينها أواصر المصلحة أو العمل ، يشتركون جميعاً فى رغبتهم الصادقة وعزمهم على أن يوسّعوا أفق معرفتهم وثقافتهم وتسليتهم البريئة بمطالعة صفحات المختار النافعة المتعة الإنسانية الأفق والنزعة. وهذه الرغبة المشتركة بين جموع المثقفين والمثقفات، تتيح لكم ، ولما تستطيعون أن تسدونهُ من خدمة أو تبيعونهُ من منتجات ، أعظم وأقوم جمهور من الناس المهذبين فى بلاد الشرق العربى .

وإن نشر إعلاناتكم فى صفحات المختار ، ليتيح لكم أن تسدوا خدمتين لهذا الجمهور المثقف. فأنتم تضعون أمام أنظاره مصنوعات جيدة متقنة يستطيعون أن يعتمدوا عليها ، ثم إن ما تنفقونه أجراً على الإعلان ، وهو يزيد قليلا على مئة جنيه للصفحة الواحدة ، يتيح لنا نحن أن نبيع العدد الواحد من المختار بثلاثة قروش فى مصر وما يعدل ثلاثة قروش ونصف قرش فى سائر البلاد العربية، وهو مبلغ يقل عن تكاليف إخراجه ونفقات تحريره وطبعه وتوزيعه .

ونحن على ثقة بأن قراء المختار الكرام يودون أن يشتركوا معنا فى الشكر ، لأن مؤازرتكم من هذه الناحية تتيح لهم أن يظفروا بمجلتهم التى خصوها بإيثارهم وإقبالهم دون نفقة تذكر ، كما تتيح لنا أن نهيىء لهم هذه المجلة النافعة الممتعة التى صار لها أحسن ذكر وأنفع أثر بينهم .

صممت خصيصاً ، واختبرت خصيصاً ..



للانتفاع بها
في
الأقاليم الحارة

ثلاجات « برست كولد » "Tropic-Tested" مصنوعة فى إنجلترا ، ومختبرة فى جميع مراحل صناعتها اختباراً دقيقاً . وقد روعى فى تصميمها أن تقاوم جميع أحوال الإقليم ودرجات الحرارة . وهى تضم جميع التحسينات الحديثة وتؤدى خدمة كاملة بأقل مصروف وأعظم يسر فى صيانتها . أما تركيبها فهو البساطة بعينها .

طراز S.C. 151 المرسوم أعلاه حجرة سعة ١٥ قدماً مكعباً . طراز فريد . مكون بعناية من ألواح مضغوطة من الفولاذ الملحوم بالكهرباء ومطلية بطلاء بيضاء ناصعة تبقى على الزمن وهذه الميزات تجعل الثلاجة منيعة ضد الحرارة والرطوبة فى المناطق الاستوائية .

PRESTCOLD
للتبريد



شركة .E.A.S.T ٣ شارع نمر بالقاهرة ، القطر المصرى ... شركة إنجنيرنج آند مانيوفكتشرنج لمتد ص ب ١١٩ تل أبيب . فلسطين أفريكان آند إيسترن (للشرق الأدنى) لمتد ص ب ١٧٦ حلب ، سوريا . أفريكان آند إيسترن (للشرق الأدنى) ص ب ١٧ بغداد ، العراق كولاتلى هانكى وشركاه (السودان) لمتد ص ب ٢١٥ الخرطوم .

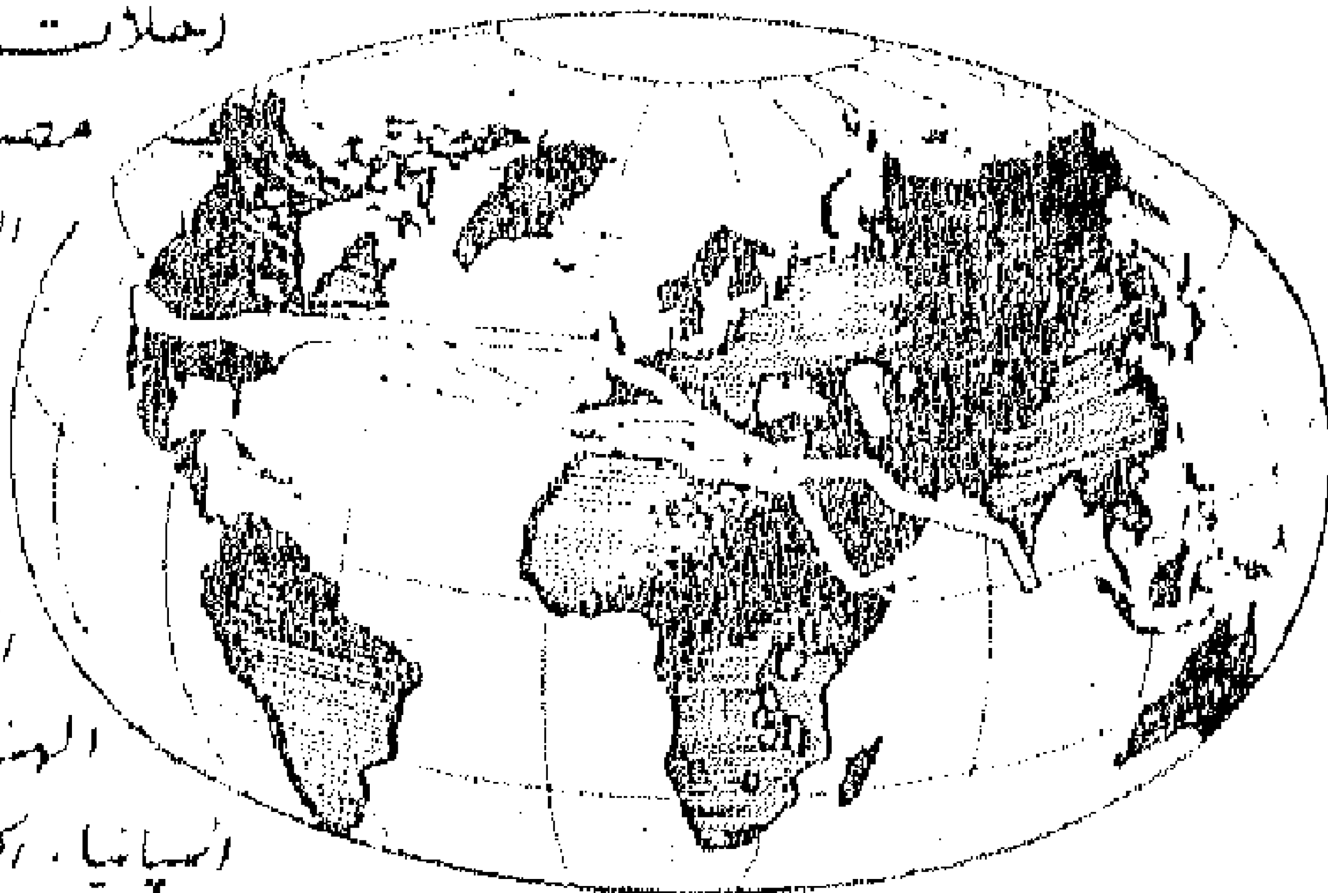
شركة الصلب المضغوط لمتد

THE PRESSED STEEL Co. Ltd., COWLEY, OXFORD, ENGLAND

تسدُّ حاجةً عالمية

إن وراء T W A ٤٤ر٠٠٠ر٠٠٠ ميل من الرحلات الدولية — قطعتها بنجاح باهر خطمت الأرقام القياسية واختصرت إلى النصف ... المسافات حول الأرض — وبذلك تقدم ...

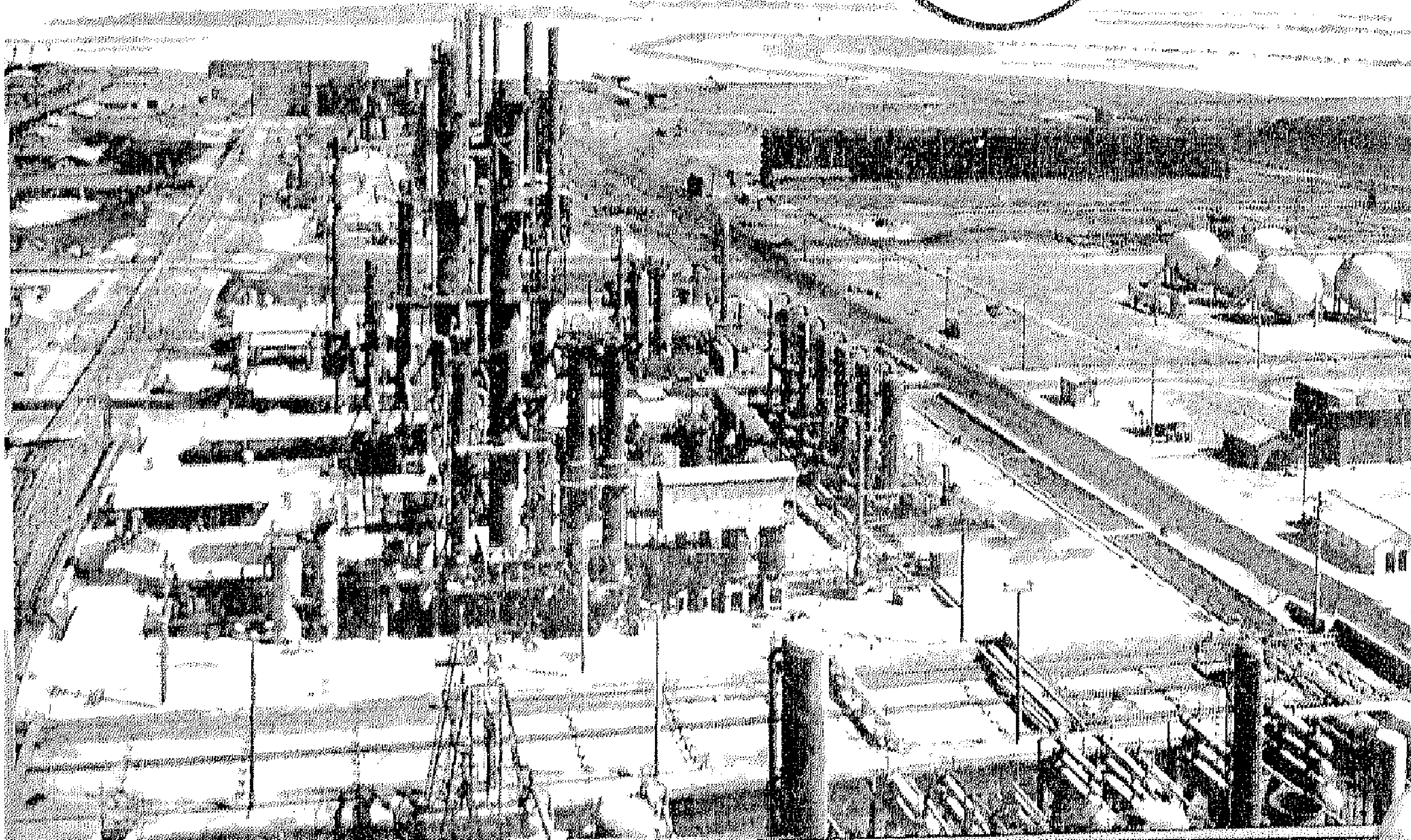
T W A الدليل الواضح على عظمة الفكرة التي كانت أول من هيأها ونشرها على العالم . وهذه الفكرة هي : خط جوي حول العالم يسد حاجات النقل لمختلف شعوب الأرض



رحلات مباشرة
مصرح بها بين :
الولايات المتحدة . نيوفوندلاند
ايرلندا . فرنسا . سويسرا
ايطاليا . اليونان . مصر
فلسطين . شرق الاردن . العراق
الحجاز . اليمن . عمان
الهند . سيلان . البرتغال
اسبانيا . الجزائر . تونس . ليبيا

T W A — الخطوط الجوية العالمية —
الخطوط المتصلة بها ... "ترانس وورلد ايرلاينز"

TWA
TRANS WORLD AIRLINE



سهل طريقة اخترعت لتدوير الاسطوانات !

ليس عليك إلاّ أن تضع الاسطوانة — وإذا بها تدور



رادیو فونوغراف فيلكو الجديد الرائع « ١٢٠١ » :

نعم ! إنه بلغ من البساطة مبلغاً عجيباً ، حتى ليستطيع طفل أن يديره . يبدأ ، من تلقاء ذاته ، ويدور من تلقاء ذاته ، ويقف من تلقاء ذاته . فلا حاجة إلى تدوير ذراع ، أو تغيير إبر ، أو معالجة أغطية أو أدوات زوّد بها . ولا خطر على الإسطوانات . ويضاف إلى كل هذا أنك تملك جهازاً قوياً للراديو فى موبيليا رشيقة لامعة مصنوعة فى شكل جميل من نوعين من الخشب الصلب . وقد بيع منه حتى الآن أكثر من ربع مليون جهاز ، وهو راديو قوى أيضاً .

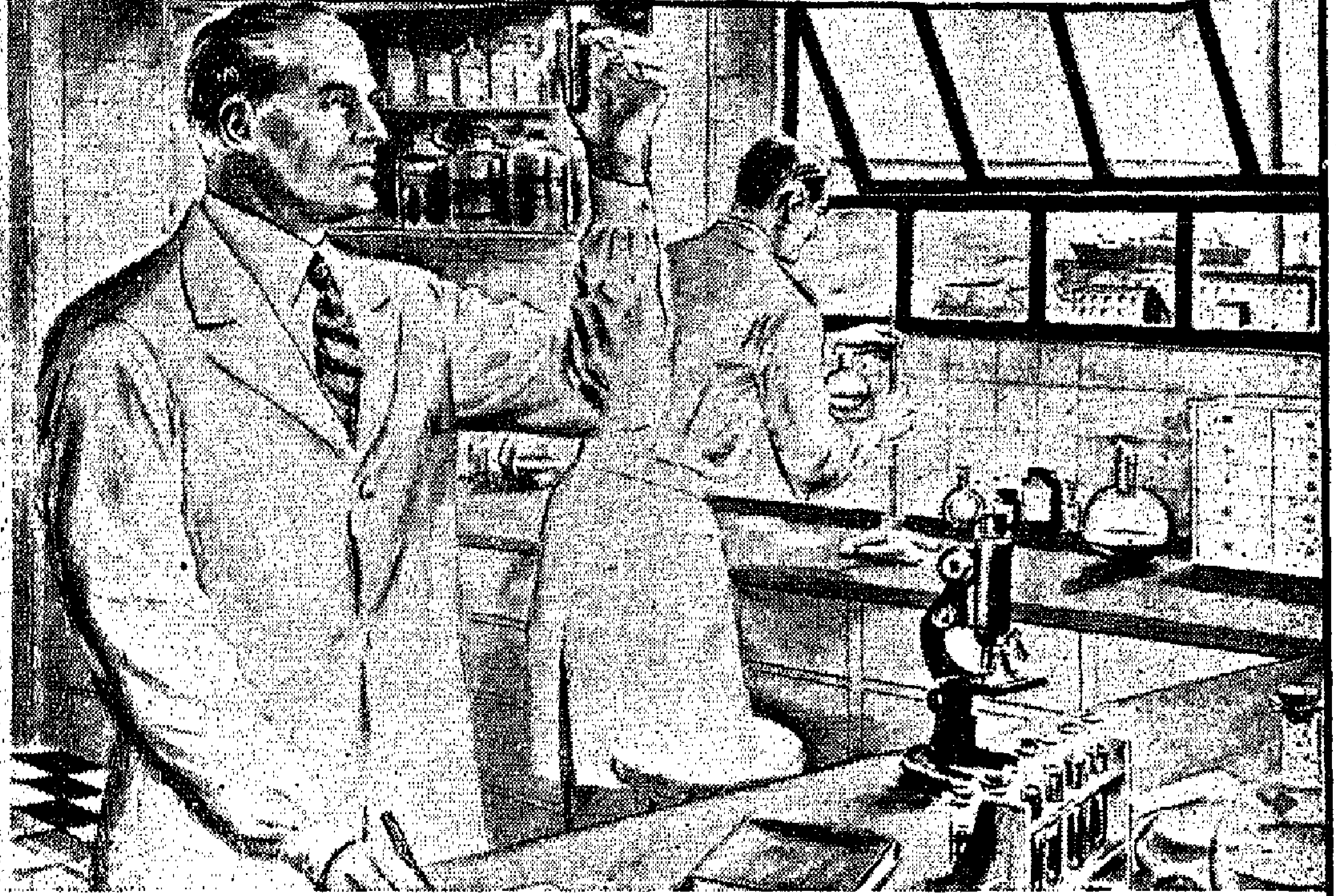
◆ وهو راديو قوى أيضـــا

فيلكو

المشهور بالجودة ــــ فى جميع أرجاء العالم

PHILCO INTERNATIONAL CORP. 50 Broadway New York 4, N.Y. U.S.A.

.. حتى يفوق الكمال الذى تدركه غداً
الكمال الذى أدركته اليوم



يدٌ تُسدى إلى الإنسانية

لقد بلغ العمل الذى تقوم به مصانع « سويفت » كل يوم من الجسامة والعظمة حتى نستطيع أن نعده خدمة عظيمة تسدى إلى الخير الإنسانى العام . وإلى جانب هذا العمل النافع ، تجد مهمة أخرى تتم فى سكون معامل البحث .

فالبحث العلمى فى هذه المعامل قد مهد لصناعة تجهيز الذبائح وجوهاً كثيرة ينتفع فيها بنفايات هذه الصناعة أعجب انتفاع . فقد صار فى الوسع إعداد كثير من المستحضرات الطبية التى تسدى خدمة عظيمة إلى الإنسانية وذلك عن طريق الإنتفاع بالحيوان الذبيح كله .

فبفضل بصيرة رجال « سويفت » النافذة استطاعت شركة « سويفت » أن تساهم أقوى مساهمة فى هذا العمل ، وهى تعلم حق العلم مبلغ نفعه للبشر .

COMPANIA **Swift** INTERNACIONAL

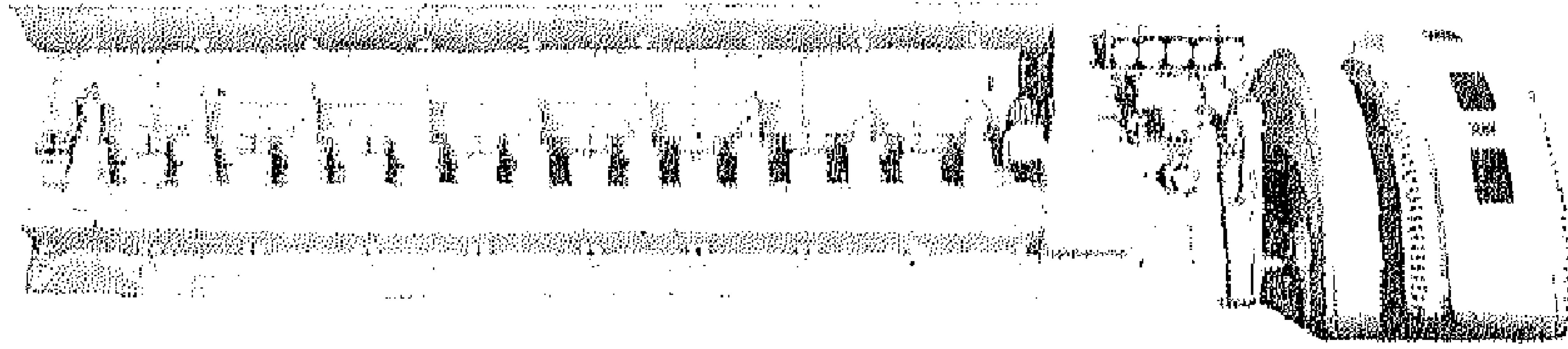
Av. Corrientes 389 - Buenos Aires - Rep. Argentina

شركة " سويفت " الدولية

مصانع فى الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأروجواى توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

قوة نوردبرج ديزل
تحقق لك ما تطلبه تماماً





سواء كان ما تطلبه محركاً يولد قوة ٢٠٠ حصان أو وحدة كبيرة تولد لك ٨٥٠٠ حصان ، فإنك تجد « نوردبرج » قادراً على أن يزودك بمحرك ديزل يحقق لك طلبك تماماً . وهذه المحركات متاحة من طرازين أحدهما ذو دورتين والآخر ذو أربع دورات ، وهى تدور بالغاز أو الزيت وتستعمل إما ثابتة على اليابسة وإما فى السفن التى تمخر البحار . وأبلغ دليل على نجاح الانتفاع بها تكرُّر طلبها من الذين استعملوها ورضوا عنها أعظم الرضا . فإذا ما نظرت فيما تحتاج إليه من معدات توليد القوى ، فقابل وكلائنا فى الشرق الأوسط .

فى القطر المصرى والسودان ، الحبشة ، شرق الأردن ، فلسطين ، تركيا ، قبرص ، سوريا ولبنان

الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة

٤١ شارع صفية زغلول ، بالإسكندرية

٢١ شارع سليمان باشا ، القاهرة

العراق : الشركة العراقية للملاحة ليمتد

٢٨٢/٩ شارع المستنصر ، بغداد

وشارع الملك فيصل ، البصرة

الحجاز : أمريكان إيسترن كوربوريشن ، جده

إيران : أميريكان إيسترن ، ص . ب . ١٠٩٢٦ شارع شاه ، طهران . وبناء نادى البحرية الأمريكية سابقاً . خورامشاهر

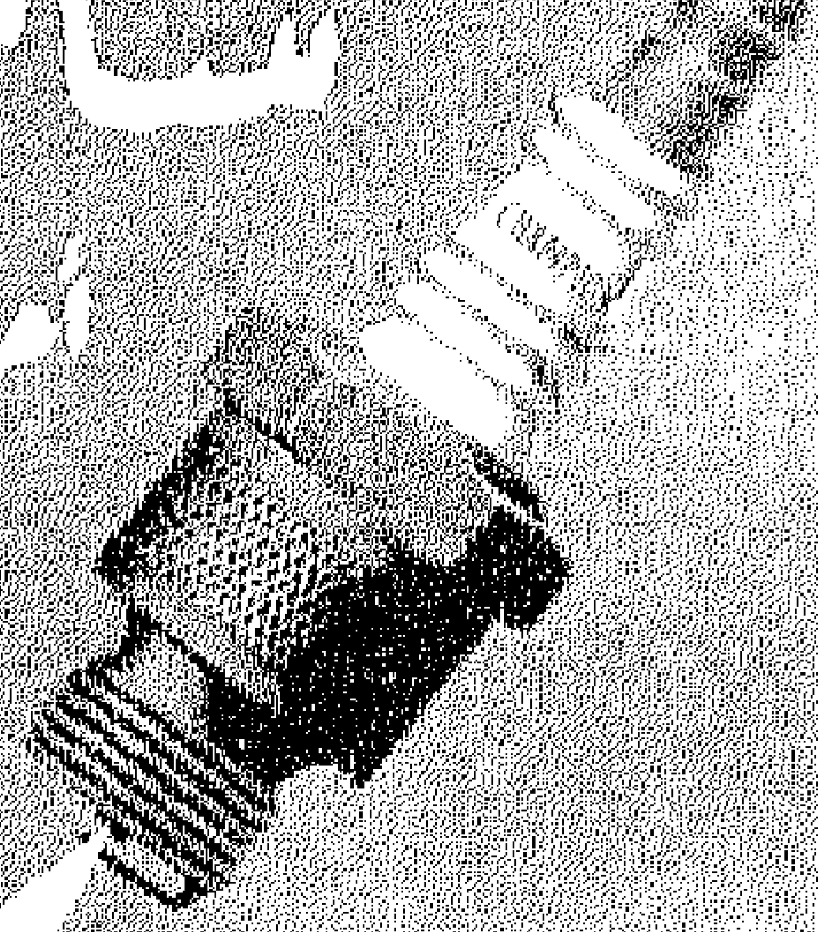
NORDBERG MFG. Co. Milwaukee, Wisconsin, U. S. A.

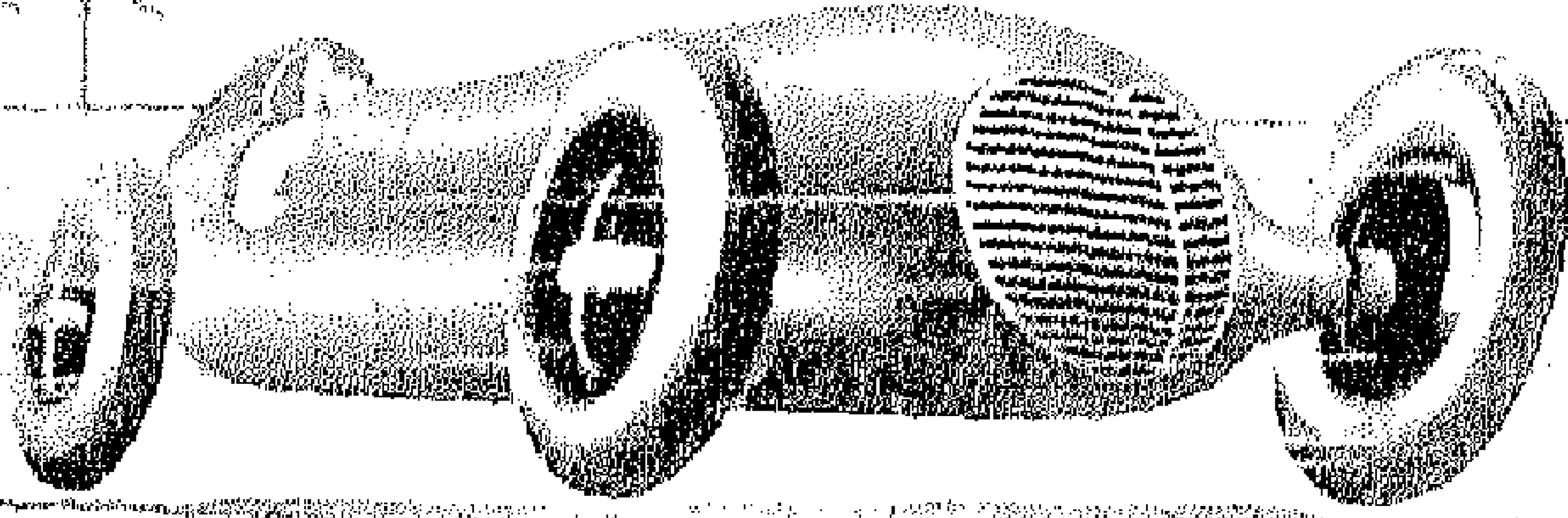
محركات نوردبرج ديزل

CHAMPION

شامبيون المضمون

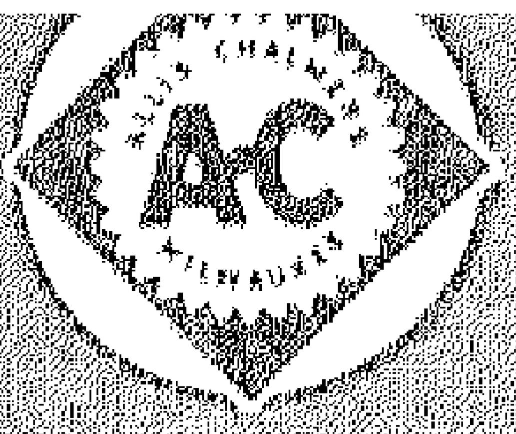
أحب شموع الاحتراق إلى الناس
فى العالم أجمع





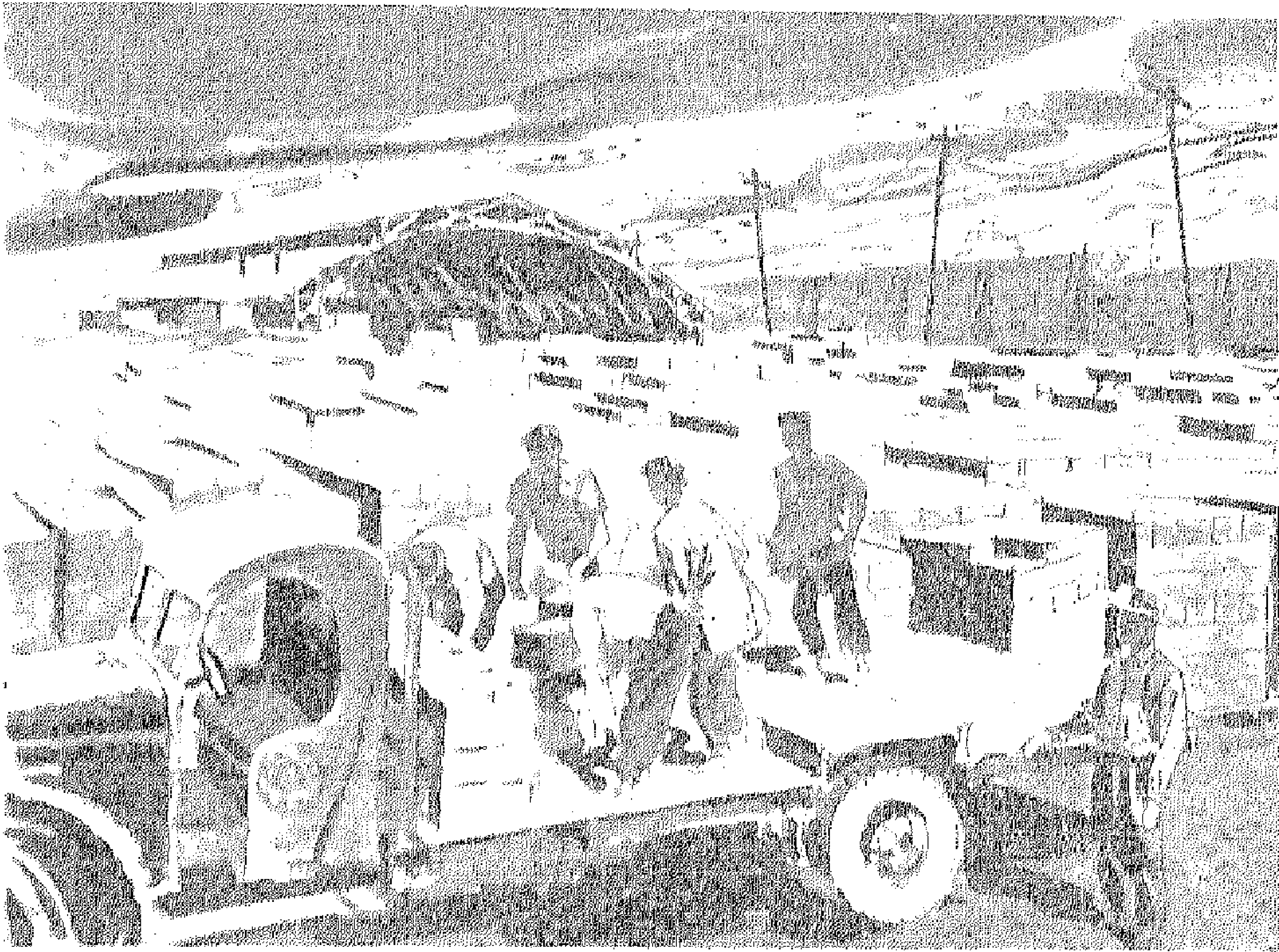
لما كانت شموع احتراق «شامبيون» هى شموع مضمونة، وتعطيك أداء أحسن وأنفع، صارت أحب شموع الاحتراق إلى الناس فى العالم. وأنت ترى المتبارين الذين يفوزون فى مسابقات السيارات، يستعملون سنة بعد سنة شموع احتراق «شامبيون» فى محركات سياراتهم، فاتبع أثر هؤلاء الخبراء — رجال لا يقنعون إلا بالأداء الممتاز فى المحرك، ويفهمون ذلك الأداء حين يظفرون به — واستعمل شموع احتراق «شامبيون» فى سيارتك.

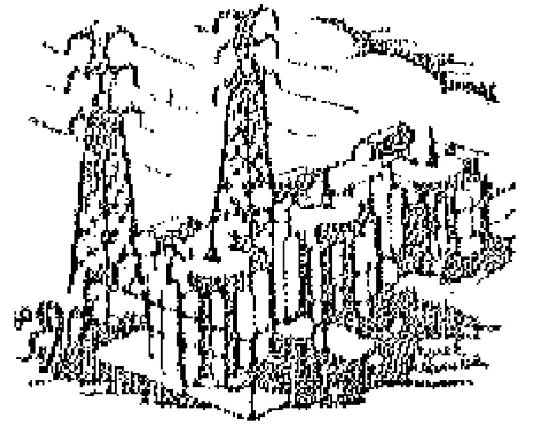
CHAMPION SPARK PLUG CO. • Toledo, U.S.A. • Windsor, Can. • Feltham, Eng

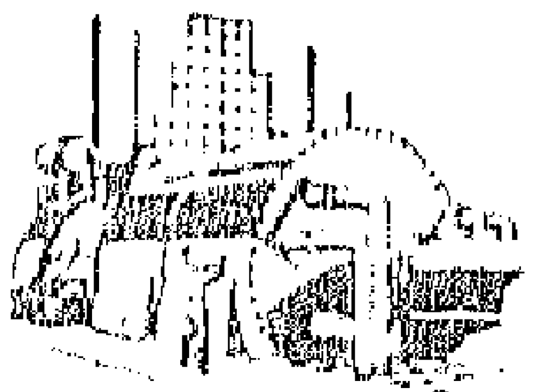


ALLIS-CHALMERS

أكبر مجموعة من معدات الصناعة الرئيسية







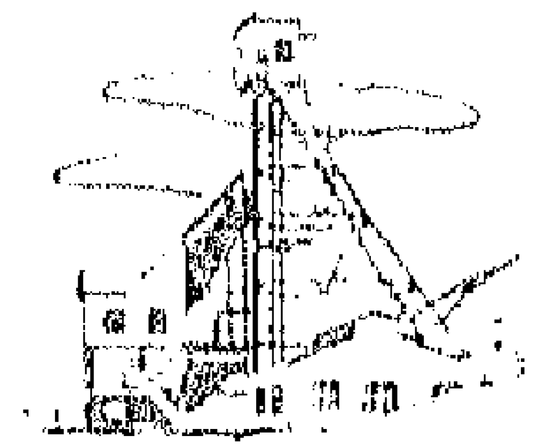
قوالب للبناء ، للظفر بعيش أفضل

هذه قوالب من الاسمنت ، للبيوت والمباني ، وما هي سوى علامة واحدة على اتساع النشاط الصناعي ، الذي يفضي إلى العيش الرغد الرضي [illegible] يطّرد زيادة من الناس في جميع أرجاء الأرض !

و «أليس شالمرز» يساعد على تحقيق مشاهد كهذه المشاهد ، لأننا نصنع مجموعة كبيرة كاملة من آلات صنع الاسمنت : المحطمات والساحقات ، والشبابيك ، والأفران .

والواقع أننا نصنع معدات لكل صناعة أساسية [illegible] فتعين على إنتاج أفضل ، وملابس أرخص ، وطعام ووقود ، وقوة كهربائية أوفر . وأهل الصناعة في كل مكان يعرفون آلاتنا بما تتصف به من تصميم جميل وقدرة على العمل [illegible] طويلا .

وسواء كنت تحتاج إلى محرك واحد ، أو طلمبة واحدة ، أو كل المعدات اللازمة لمصنع كامل ، فتفضل بمشاورة وكلائنا في الشرق الأوسط .





القطر المصري والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة بالقاهرة [illegible] ٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة — **العراق وشرق الأردن** : الشركة الأمريكية [illegible] شارع الملك فيصل بالبصرة — **الحبشة** : أميركان إستيرن كوربوريشن ، أديس أبابا — **المملكة العربية السعودية** : أميركان إستيرن كوربوريشن ، جده — **إيران وأفغانستان** : أميركان إستيرن كوربوريشن ، شارع شاه [illegible] ٩٢٠ طهران



إن شركة «فور هويل درايف أوتو كومباني» المشهورة في جميع أرجاء العالم، أنشئت في سنة ١٩١٠، فهي أقدم وأكبر شركة قصرت اهتمامها على صنع سيارات نقل تشمل قوة الدفع فيها، العجلات الأربع، أو العجلات الست، وهي سيارات اشتهرت في كل مكان بأدائها الذي يُعتمد عليه. وشركة« فور هويل درايف أوتو كومباني »هي إحدى الشركات العالمية الكبرى التي تصنع سيارات للنقل الثقيل.

رسالة خطيرة الشأن

أصحاب سيارات النقل FWD اليوم أو في المستقبل، في جميع أرجاء العالم

إن كثيراً من سيارات نقل FWD القوية المتينة التي صنعت للخدمة في الحرب، قد صارت اليوم عمادَ الأهلين في أعمالهم المدنية. فإلى أصحاب سيارات نقل FWD اليوم، وإلى الذين سيشترونها في سائر بلاد الله توجِّهُ شركة « فور هويل درايف أوتو كمباني » هذه الرسالة الخطيرة الشأن.

إن المعلومات الفنية، وقطع الغيار الأصلية FWD اللازمة لهذه السيارات حتى تعمل، عملاً نافعاً ولصيانتها، تجدها متاحة لك عند شركة « فور هويل درايف أوتو كومباني » أو عند موزعيها في جميع أرجاء الأرض . . . فتساعد كل صاحب سيارة منها على أن يظفر من هذه السيارات بأقصى درجات الانتفاع والخدمة الطويلة الأمد والاقتصاد.

وسيارات FWD التي لها قوة دافعة تحرك العجلات الأربع والعجلات الست، تتيح لك مزايا لا يسبقها سابق: أقصى قوة وقدرة على نقل الأحمال في أوعر الطرق وأشد أحوال الجو إرهاقاً: سرعة أعظم على مسافة أطول يصحبها أمن أتمُّ: أقلُّ نفقة لوحدة النقل (طن واحد-ميل واحد) توزيع متعادل للقوة المحركة — ولوطأة الحمل المنقول على العجلات الأربع أو العجلات الست: خفض الإجهاد على المحاور، وتقليل تآكل الإطارات: خدمة طويلة الأمد.

تطلب البيانات الكاملة، بالبريد أو بالبرق من:

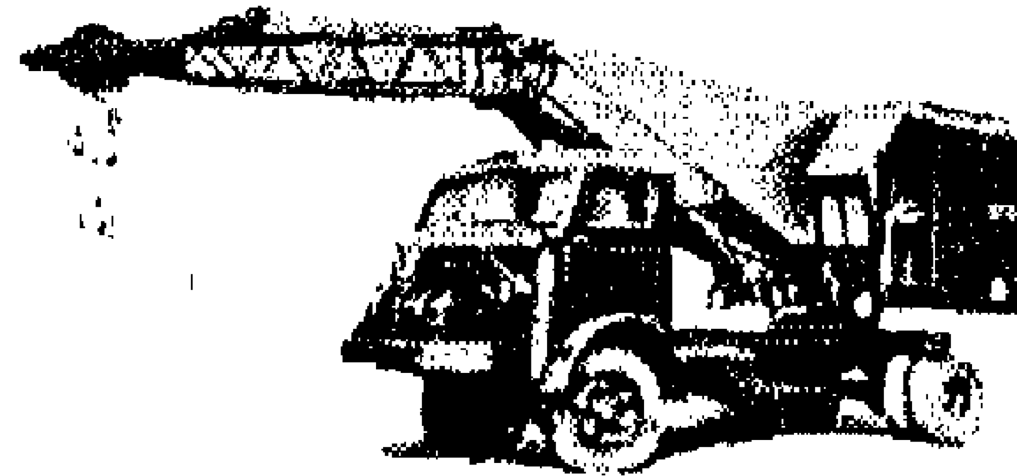
THE FOUR WHEEL DRIVE AUTO COMPANY

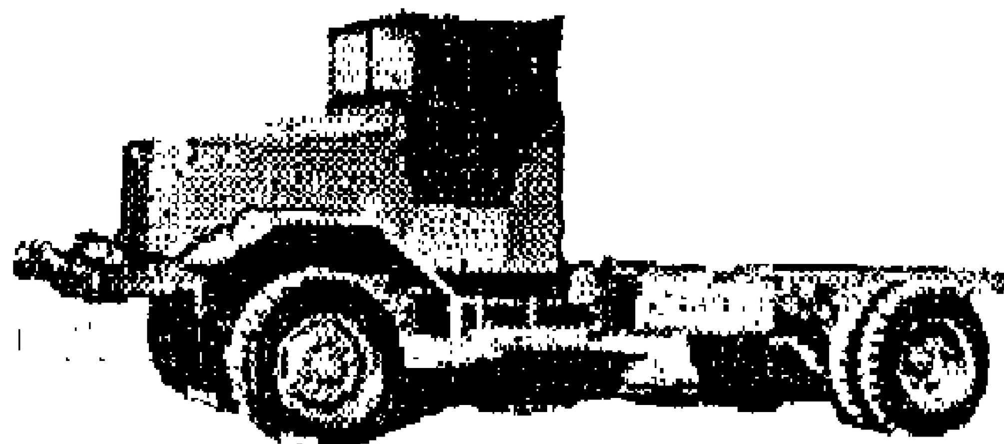
CLINTONVILLE, WISCONSIN, U. S. A.

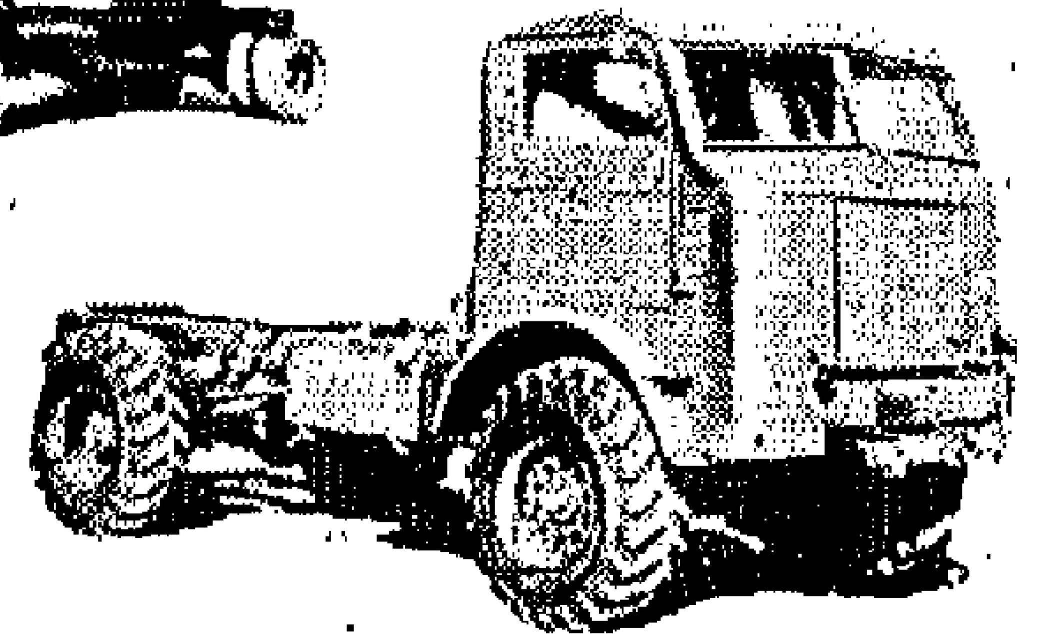
العنوان التلغرافي: **FWD CLINTONVILLE (Code: "Bentley's")**

إن سيارات FWD الحربية، يسهل تحويلها إلى المهام المدنية بنفقة قليلة، ويسهل تزويدها بهياكل شتى وبالمعدات التابعة لها.









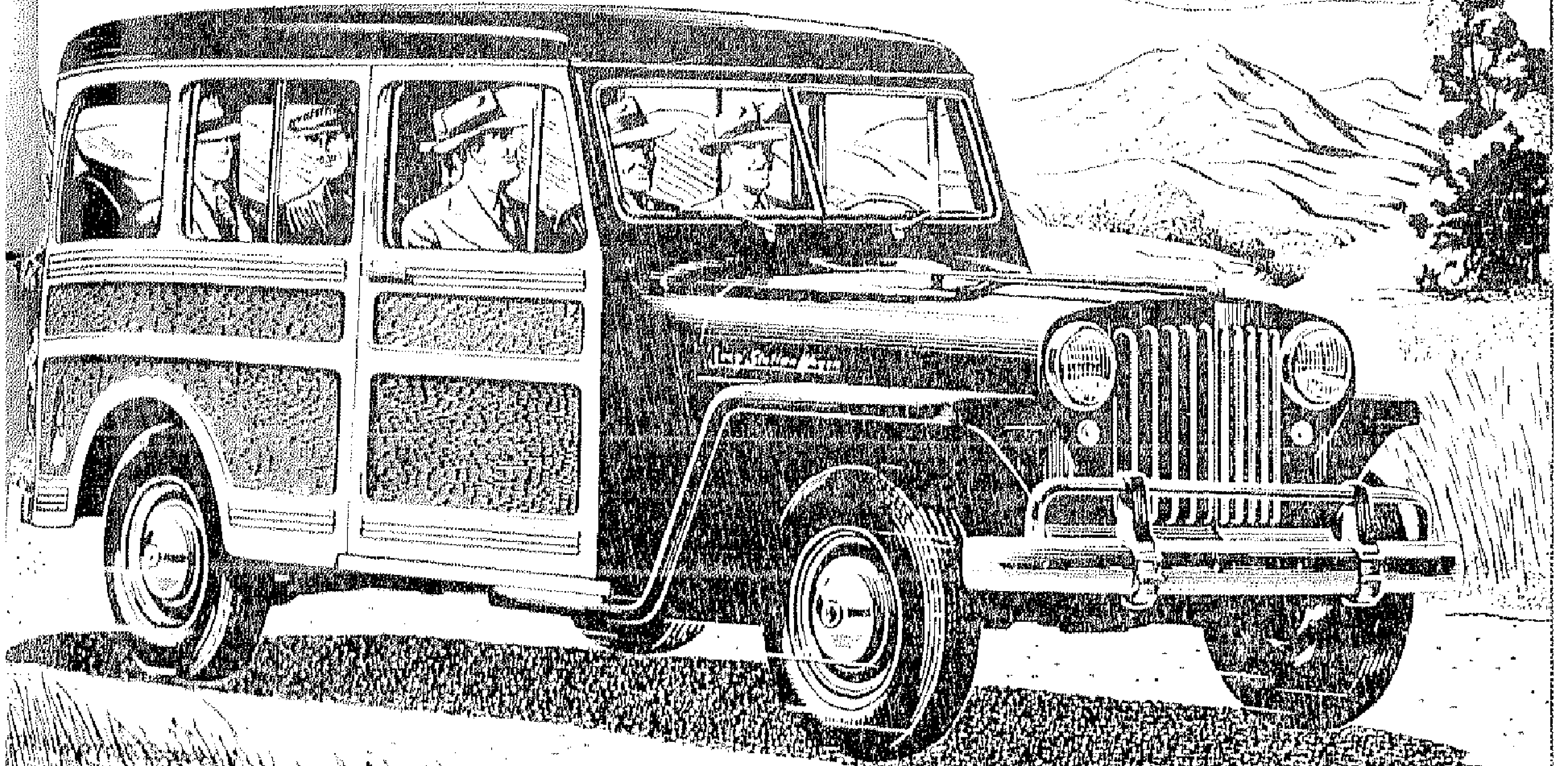
شحنة من الفتنة

من مصانع «كاسونز» بمانشستر (إنجلترا) خرجت أحدث الروائع فى أنواع «أحمر الشفاه» البريطانية فى خمسة ألوان جديدة . وقد روعى فى صنعها أن تكون ممتازة فى مادتها ولونها ، فهى تحتل اليوم مكان الصدارة فى صالونات التجميل فى جميع أنحاء العالم .

Cussons أحمر شفاه

84, Brook St., Grosvenor Square, London W. 1. ENGLAND.

سيارة جديدة تجمع بين الراحة والمنفعة



إن سيارة « جيب ستيشن واجون » تمثل فكرة جديدة كل الجدة فى النقل بالسيارات . وهى تجمع بين عمل السيارة الفخمة ، ومنفعة مركبة النقل العملية . فهى تتيح لك الراحة التى تجدها فى سيارة « ليموزين » مضافاً إليها نفع حق متعدد النواحى .

جسمها مصنوع من الصلب ، تتسع لسبعة ركاب ، يمكنك أن تزيل مقاعدها فتظفر بمكان رحب لنقل الأمتعة . محركها هو محرك « جيب » الذائع الصيت فى العالم كله ذو أربعة سلندرات ويولد ٦٣ حصاناً ، فهو مضمون تعتمد عليه ، واقتصادى قليل النفقة وهو يدير العجلات الأمامية والخلفية ، وله « أوفر درايف Over-drive » ، يضمن اقتصاداً أكبر فى الوقود ، وحياة أطول للمحرك . يبلغ الركوب فيها غاية الراحة ... ولما نظام جديد فى تحميل العربة على العجلتين الأماميتين فلا تتأثر بالمطبات — أداؤها مطرد وقيادتها سهلة .

Jeep "جيب" ستيشن واجون

سيارة جديدة كل الجدة ، صنع "ويليز اوفرلاند" "WILLYS-OVERLAND"

شراف

إن الأوبئة التي تنزل بقطعان الضأن كلَّ سنة تسبِّب للفلاحين خسارة فادحة . ولذلك نرى صناعة الطب البيطرى البريطانية قد هبَّت لتخفيض هذه الخسائر ، يساعدها في عملها عمل الباحث الكيميائي ومنتجات الصناعة الكيميائية البريطانية . والواجب الواقع على كاهل الطبيب البيطرى هو أن يهيمن عليها ويشفي منها أيضاً . ولكي يؤدى مهمَّته ويحقق أغراضها يحتاج إلى مجموعة كبيرة من المواد الكيميائية لا تزال تزداد ازدياداً مطرداً — تتفاوت من الأملاح البسيطة إلى المواد المركبة المعقدة . فهو يحتاج إلى طائفة شتى من مواد التطهير التي تفتك بالجراثيم، ومركبات الزرنيخ والكبريت وغيرها لصد الطفيليات الخارجية، ومواد عضوية مثل الفينوتيازين لتطهير أمعاء الحيوان من الديدان الطفيلية.



وهو يهيمن هيمنة تطرد زيادة على كثير من الأمراض بضروب الألقحة المهيَّأة بفضل الكيمياء. فاللقاح ضدَّ مرض الكلب يشمل استعمال الفورمالين ، وقد صنع منذ عهد قريب لقاح ضدَّ حمى الخنازير من الصبغ البنفسجي المبلوَر . هذه كلها خطوات واسعة على طريق التقدم . فالتحالف بين صناعة الطب البيطرى والباحث الكيميائي والصناعة الكيميائية البريطانية هو حقاً تحالف ونبق العرى .

IMPERIAL CHEMICAL INDUSTRIES-LONDON-ENGLAN

زعون الوحيدون فى القطر المصرى والسودان
الصناعات الكيماوية الإمبراطورية
(مصر) شركة مساهمة — مصر

فى فلسطين ، سوريا ، شرق الأردن ، لبنان ، العراق
الصناعات الكيماوية الإمبراطورية (الشرق) المحدودة
يافا



في جميع أرجاء العالم **كوكاكولا** **Coca-Cola** تأتي بالشراب المرطب

[تتمة مقالة الغلاف]

جراء هذه النظرة ، كان نفعها أعظم ما يكون . فالمجلة تقول : « هذا الفصل هو زبدة كتبه أحد الكتاب فى موضوع بعينه ، فاستزيدى منه كما تشائين » .
والمرأة العاقلة تفعل ذلك .

"أعظم الهبات"

ارنستين شومان هنك

المغنية المشهورة

علمتنى أمى منذ صغرى : «إن يكن هذا اليوم مطيراً، فالشمس فى غد مشرقة لامحالة».
هذا الأمل المشرق هبة نحن فى أشد الفقر إليها . وكل امرىء لايزال ينتهى إلى سمعه فى كل يوم أن العالم قد امتلأ جوراً وبؤساً ، فهو يحس أن البؤس قد عم الدنيا ، كما يعمها المطر فى اليوم المطير . ولكن ينهض فى الحين بعد الحين رجل قد فاض قلبه بالشجاعة يقول للناس : « الشمس فى غد مشرقة لامحالة » .

والذين يبعثون فى قلوبنا هذا الأمل المشرق نفر قليل من الناس . وقد لقيت فى أسفارى رجالا ونساء على هذا الغرار ، وسمعت بآخرين فيما قرأته من أخبار الدنيا . وقد كان عملى يستغرق كل وقتى ، فلم يكن يتاح لى إلا وقت قليل للقراءة ، فإذا انفسح لى وقت أقرأ فيه ، آثرت أن أقرأ ماينفث فى قلبى روح الشجاعة ، كأن أقرأ عن ناس ممن يصنعون الخير والجميل، أو ناس فى قلوبهم معنى من معانى الأمومة كالتضحية والكدح والحب.

ومن أجل هذا أحببت مجلة ريدرز دايجست ، فهى حافلة بما يبعث فى القلب الرجاء، فلا تعرض عليك غيوماً مطبقة على الأرض إطباق الليل المظلم ، بل تختار لقارئها رجالا ونساء وتعرض عليه سيرتهم لتكون مثلا يحتذى فى الشجاعة والدؤوب على العمل النافع . وهذا شىء لا يمكن أن يكون عفوا واتفاقاً ، ولا أن يكون نهجاً مقصوداً وحسب ، بل هو أكبر من ذلك ، هو توجيه إلى خير غاية يعرفها البشر إلى هذا اليوم . ويخيل إلىّ أنها لاتزال تقول : « الشمس فى غد مشرقة لا محالة » ، ولذلك آثرتها بحبى .

نداء من سيدتين مشهورتين

"في الوقت فسحة"

مرجريت كلكنج باسنج

مؤلفة "فساد الأسرة" و "دفاع عن العفة"

أكاد أسمع امرأة تقول إنها لا تجد فسحة من الوقت للمطالعة ، حتى أستشيط غضباً ، فليس قولها هذا سوى عذر واهٍ تعتذر به عن كسلها وعجزها عن حصر ذهنها فيما يهمها أن تطلع عليه . بيد أنها تستطيع ، لو أرادت ، أن تجد في كل يوم مهما غصّ بالعمل ، فترات قصيرة تتزوّد فيها مما تقرأه بزادٍ يعينها على أن تسير في ركب الحضارة ومواكب الفكر السائرة قدُماً إلى أمام .

إنها تستطيع ، ولكنها قلما تفعل . والعقبة الكؤود هي ضيق الوقت . فمعظم النساء ، حتى اللواتي تلحّ عليهنّ الرغبة في الاطلاع وطلب المعرفة ، لا يجدنَ متسعاً من الوقت يحصرن فيه أذهانهنّ في الكتب العويصة ، والمقالات المسهبة . وهنّ ينظرن إلى المقالات الطويلة المعقدة في الموضوعات الخطيرة ، فينثنين عن عزمهنّ ، ويملنَ إلى مطالعة القصص . على أنهنّ يدركن أن مطالعة تلك المقالات والكتب أمرٌ صار لا غنى عنه في نظرهنّ ، فجمال المرأة وفتنتها لا يكفيانها بغير عقل مهذّب ، والمرأة الجاهلة عبءٌ ثقيل على نفسها وعلى أصدقائها في المجتمع الحديث .

وفي وسع مجلة ريدرز دايجيست (والمختار وأخواتها في شتى اللغات) أن تعين النساء على تذليل هذه العقبة الكؤود ، وهي تفعل ذلك دون أن تجعل فصولها صورة مبتذلة غير صادقة للمقالات التي تختصرها . وكل ما تقرأينه في « المختار » ينبغي أن يكون حافزاً يحفزك إلى الاستزادة ، فإذا نظر إليها

[التتمة على الصفحة السابقة]

٣ قروش

المختار

من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

أغسطس ١٩٤٧

خلق الحاكم

كان بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلام في شيء . فقال له الرجل : اتق الله يا أمير المؤمنين . فقال له رجل من القوم : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال له عمر : دعه فليقلها لي ، نِعمَ ماقال ! ثم قال عمر : لا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم .

دخل النخار العذري على معاوية بن أبي سفيان في عباءة فاحتقره ، فرأى ذلك النخار في وجهه فقال له : يا أمير المؤمنين ليست العباءة تكلمك إنما يكلمك من فيها . ثم تكلم فملأ سمعه ، ثم نهض ولم يسأله شيئاً . فقال معاوية : مارأيت رجلاً أحقر أولاً ، ولا أجلّ آخراً منه .

AL-MUKHTAR min READER'S DIGEST - Vol. 8, No. 48, AUG. 1947

الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة : ولیم [illegible] .
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش . الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً ــ شرق الأردن وفلسطين ٣ ملا
العراق ٣٥ فلساً ــ سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى في سوريا وشرق الأردن
والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشا مصرياً ،
وفي سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً .
العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة ــ تليفون : ٤٢٢٦٤

الطبعات الدولية

مطبعة مصر ش . م . م

السنة الرابعة
المختار من ريدرز دايجست
المجلد ٨
العدد ٤٨
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
أغسطس ١٩٤٧

بلد عريق فى التاريخ ، وافر الثروة ، يتطلع بثقة إلى المستقبل

هيلا سيلاسى
كيف يجدد حياة بلاده

تمبل فيلدنج

مختصرة من صحيفة "كريستيان سينس مونيتور"



أمامك بلاد جديدة كأنها من نسج الأساطير، تقضى فيها إجازتك فى عام ١٩٤٨ — إذا أنت طرت إلى بلاد الحبشة ، وهى بلاد قصية رائعة بفخامتها وفطرتها، وروعة جمالها الذى لم تمسسه يد بتهذيب .

ولو أن أثيوبيا وضعت فوق خريطة أوربة لامتدت طولا من غرب فرنسا إلى شرق ألمانيا ، أو من باريس إلى فينا . وتنخفض الصحراء فيها إلى مثل أعمق موضع فى بحيرة طبرية ، وتذهب قمم الجبال التى ينحدر منها النيل الأزرق إلى أعلى من جبال الألب . وفيها من الشلالات — مثل شلال تكيز ، أى المخوف — ما يهبط إلى ثلاثة أمثال العمق فى منخفض القطارة. ولو رأى معدنو البلاد الأخرى كتل الذهب فى أقليم جامو لفهقوا من الدهشة، ولو اطلع معبئو الفاكهة على الفواكه الشهية فى مرتفعات بارودا لراحوا يهذون بها . وكل إنسان خليق أن يعجب بجو أديس أبابا الصافى المعتدل ..

وقد ظلت هذه البلاد ستة آلاف عام وهى من أظلم مجاهل إفريقية ، وحاول ستة من الغزاة القادمين — المصريين ، والفرس،

والرومان ، والعرب ، والبريطانيين ، والإيطاليين — أن يكشفوا عن كنوزها، ولكنه ما من أحد استطاع أن يفتح الصحراوات المترامية الأطراف ،ولا الأدغال الرطبة المتلظية ، ولا الجبال الوعرة . ولقد استغلت كينياو الكونغو وغيرها من البلاد المجاورة،من أجل العاج والمطاط والذهب، أما أثيوبيا ، وهى أغنى الجميع ، فقد بقيت راقدة لايزعجها أحد .

وقد احتـــاج الأمر إلى الإمبراطور هيلا سيلاسى الأول ، سـليل الملك سليمان وملكة سبأ ، ليفتح أبواب بلاد ظلت فى عزلة تامة تقريبـاً طول عصور التاريخ المعروف . وهو حاذق ، بعيد النظر ، نزّاع إلى التقدم ، وقد عاد من منفاه فى ١٩٤١ بمشروعات تكاد تكون خيالية . وكانت جيوش موسولينى قد خربت مدنه،وذبحت كل رجل تلقى تعليما ثانويًّا ، ونهبت كنوز الإمبراطور ، ومع ذلك فعل المستحيل فى بضع سنوات قليلة .

وأداته بسـيطة : لفيف من الخبراء ، وخط جوى حكومى . وقد استعار من أمريكا خبراء فى الشئون الخارجية،والتربية، والصحة العامة ، والمالية . وبعثت إنجلترا إليه بضباط لإعادة إنشاء جيشه الممزق ، وبعثت السويد برجال الطب والطيران ، وأرسلت سويسرةالمهندسين وخبراءالفنادق، ونفذ الإمبراطور مقترحاتهم بسرعة .

وقبل الحرب ،كانت الرحلة من القاهرة إلى أديس أبابا — عاصمة أثيوبيا — شاقة مرهقة تقطع فى أربعين يوما بالباخرة والسكة الحديدية المزعجة ، ولهذا وقع الإمبراطور عقداً مع شركة الخطوط الجوية العالمية ، وعهد إلى أوبى أوبر ميللر، ودانش هولوى من رواد شركة الخطوط الجوية العالمية ، أن ينشئا خطاً جوياً ، فجاءوا بالفائض من طائرات النقـل ، وبحفنة من الطيارين العسكريين سابقاً ، فأنشأوا خطًّا من آمن الخطوط فى العالم ، وأبعثها على الاطمئنان ، تشق طائراته الآن طريقها فوق البلاد .

اركب الطائرة الأثيوبية من القاهرة عند طـلوع الفجر ، فيكون أمامك عشر ساعات من الطيران تخطف الأنفاس ، وتحلق فوق الصحراء والجبال السود حتى تبلغ الشاطىء،ثم تتبع ساحل البحر الأحمر المتلظى ثلاث ساعات. وفى أسمرة ، بأريتريا، وفى مهبط على ارتفاع ٧٥٠٠ قدم تكتنفه السحب ، تستريح ، فترى الأهالى السود يحتشدون حول الطائرة .

ومن أسمرة تطير فوق بطون بحار كانت زاخرة بالماء قبل التاريخ ، وفوق دخان البراكين وبخارها ، وفوق أشد طرق العالم

تلوياً وتعرجاً. وتنفذ بعض قمم الجبال فرادى إلى السحب وتدخل فيها كأنها أصابع ضخمة مشوّهة، وترى على سطحها المستوى أسراباً لا نهاية لها من التياتل وحمر الوحش وغيرها تتفرق مذعورة حين تسمع هدر محركات الطائرة. وتطوف الطائرة بأديس أبابا — وفيها من السكان ١٨٠٫٠٠٠ نسمة — وهى فى قلب الهضبة الوسطى الكبيرة، وتهبط فى المطار، فتدرك أنك لقيت فى سفرك مما يحرك النفس ما لا يمكن أن يتاح فى أية رحلة جوية أخرى فى العالم.

ويحييك موظفو إدارة الهجرة بقولهم: « أهلا سيدى »، ويشيرون إلى الجمارك بابتسامة ودية، فتمرّ بها. وبعد عشرين دقيقة فى السيارة تمر بالفندق الجديد الذى سيتم بناؤه فى ١٩٤٨، فإذا تمّ ضارع خير ما فى العالم، بما فيه من أسباب الراحة وحسن الخدمة وسيجهز بكل ما يعرفه خبراء الإمبراطور السويسريون من أدوات الترف — وفى جملة ذلك حمامات للماء المعدنى الساخن فى كل غرفة.

وفى قاعة الطعام فى الفندق الإمبراطورى القديم يبدأ الطعام بالحساء، ولحم الضأن، والدجاج، والسمك النهرى اللذيذ الطرى، ثم يقدم الندل اللون الرئيسى — شريحة سميكة من اللحم مع أربع بيضات، وعلى صحن آخر خمسة أنواع من الخضر أو ستة، وفى سلة من الأعواد المجدولة نوعان من الخبز الوطنى. وبعد سلطة الخضر الشهية، تقبل عربة الفاكهة إلى المائدة وعليها كل مغر من القاوون والبطيخ والمنجة والتوتّ البرى، وتنكر عينيك حين يقدم إليك بيان الحساب، فإنه لا أكثر من ريال واحد!

وتتمشى فى الشوارع بعد العشاء — محاذراً من مركبات الخيل، والسيارات، وسيارات الأجرة القديمة، فترى المدينة غاصة بالبشر — بالجالا الشُّعْث من منطقة النيل الأزرق، والهنود المعممين، وبالعمالقة من حرس القصر فى ثيابهم العسكرية. ويقوم بالعمل فى الدكاكين المكشوفة أمهريات حافيات يرتدين قمصاناً محبوكة وقمصاناً بيضاً من القطن. ويتفق أن تكون رواية « الجو العاصف » معروضة فى قاعة السنما بالفندق، فترى الفتيات فى الدهاليز، وشعورهن على هيئة المروحة، يحدقن مفتونات فى صورة جين أوترى. وفى ملاهى الليل، يقدمون لك الشراب الوطنى المصنوع من العسل المخمر.

ويؤاتيك النوم بسهولة، وإنك لفى المنطقة الاستوائية، ولكن أديس أبابا على ارتفاع ٨٠٠٠ قدم، والليالى متلألئة صافية،

وثياب الربيع الخفيفة تلبس كل يوم على مدار العام .

وفى الصباح تجوب السوق وفيها البيضة بنصف قرش ، والخروف بريالين ونصف ريال ، والقردة ، والغزلان، والنعام الصغار، وجلد الفهد بحفنة من القروش . ولكن ثمن أنبوبة من معجون تنظيف الأسنان خمسون قرشاً، وجالون من دهان السيارات بثمانية جنيهات ، وعجلة سيارة النقل ٧٥ جنيها.

ويدعوك الطيار الذى جاء بك إلى الخروج معه للصيد فى يوم إجازته ، فتركب معه سيارته الجيب ، وتجتاز الشوارع المتعرجة، وتصعد فى تل وعر ، ثم تخرج إلى أرض ليس فيها دروب ، ولكنها مرج كالبساط الناعم المحلى بالألوان البديعة ، وفيها آلاف من أنواع الزهر البرى، وعند الأفق أشجار مبعثرة أعاليها مسطحة كأنها حاملات طائرات صغيرة ، وعلى بعد غيضة ترى نوّارها أزرق تحت أشعة الشمس .

ويقف السائق فجأة ويصيح بك : « أسرع ! فهذا هو ! »

وترى شيئاً رمادياً يتسلل بين الأعشاب، فتشب إلى قدميك، وترى خنزيراً برياً ضخماً هو أكبر ما رأيت من نوعه فى حياتك .

ويقول الطيار : « لم يستوف حظه من النمو بعدُ » .

وفى ساعتين تكون ملأت عيابك بخمس ضباع ووَشَق ، وقد تغاضيت عن آلاف لا تحصى من الدرّاج والإوز البرى والبط البرى والدجاج الحبشى .

وتمضى الأيام سراعاً فى هذا الفردوس ، تصيد السمك فى بحيرات جبلية فيروزية الماء ، تغص بالسمك الشديد المراس الذى يزن عشرة أرطال ، أو الذى يبلغ طوله خمس أقدام ، وبأنواع غريبة أخرى لا تزال مجهولة الأجناس . وتتوغل جاهداً فى جبال وعرة ، وتسبح فى الماء المتجمع فى فوهات البراكين الخامدة وهى سود كالأبنوس ، وتذهب إلى المراعى المعشوشبة الساجية الجو فى الهضبة الوسطى ، وتطوف فيها مفتوناً بالخيل الصغيرة ، والغنم الدقيقة السمينة الذيول ، والمعز السمينة وطول شعر ذُؤابتها ١٦ بوصة .

وتقصد أكسوم التى أسسها ابن حام ابن آدم لترى آثاراً مما يعتقد أنه تابوت موسى . وفى أثناء الرحلة الجوية التى تستغرق تسعين دقيقة ترى نهراً يزأر وهو يتحدر فى وادٍ عمقه ميل ، ثم يغيب ويختفى فى رمال الصحراء الظمأى . وفى يوم الأحد تمشى إلى الكنيسة القبطية المثمنة الجوانب حيث يقوم القساوسة الطوال اللحى بالقداس المسيحى بلغة جيز المندثرة .

أتريد أن تطيل الإقامة ؟ إذن استأجر بيتاً وانضم إلى الجاليــة الأجنبية المرحة . وتكاليف المعيشة لأسرة مكونة من أربعة أشخاص، بما فى ذلك الطعام وأجور الخدم، تبلغ نحو ٢٤ جنيهاً فى الشهر ، يضاف إليها أجرة البيت التى لا تكاد تذكر .

وبعد عودة هيلا سيلاسى،وضع مشروع لنظام دستورى برلمانى ، وهــذب النظام القضائى العتيق ، وحلت المستشفيات محل الأطباء السحرة ، ونظم جيش حديث من أولئك المساكين الذين كانوا يحملون بنادق من طراز سنة ١٨٧٠ يوم حاربوا موسولينى، وثبتت العملة بالريالات الأثيوبية على قاعدة الذهب ، والريال يساوى عشرة قروش .

وثلث الميزانية التى تبلغ ١٦٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه مخصص للتربية، وقد فتحت فى العاصمة مدرسة فنية حديثة يعتز بها هيلا سيلاسى ، ويتعلم الصبية الذين لا خبرة لهم إصــلاح سيارات النقل والساعات والآلات . ويوضع مشروع لإنشاء جامعة قوميــة ، وإلى أن ينفذ هذا ، يتنافس صفوة الشباب الأثيوبى فى الدراســة على نفقة جلالته الشخصية فى جامعات إنجلترا وكندا وفرنسا وأمريكا . وقدصنعت آلة كاتبة فيها ٢٤٧ حرفاً أمهرياً، ومتى تمت أعفت مئــات من الكتبة كانوا وما زالوا مضطرين أن ينسخوا بأيديهم كل وثيقة فى محفوظات الحكومة . وقد قتل الإيطاليون نحو ٧٠ فى المئة من الأثيوبيين المتعلمين ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يقضوا على رغبة هيلا سيلاسى القوية فى تعليم أمته .

ولكن الأمر لا يزال محتاجاً إلى معجزات أخرى ، فلا بد من شق الطرق حتى يتاح الوصول إلى قطعان الماشية التى لا تحصى ، وإلى الغابات التى لا يدرك مداها الخيال . ولا بد من تركيب آلاف من أطنان آلات التعدين لاســتثمار مناجم البلاتين والذهب والحديد والفحم التى لا تزال بكراً . وهناك آبار زيت يجب استغلالها . وينبغى أن تستورد الحبشــــة السيارات والمسالف والأجهزة الصناعية الثقيلة بدلا من الأقمشة القطنية والملح وهما أهم الواردات. ويجب أن يوسع نظام الشحن الجوى الذى ينقل الآن البضائع إلى جيبوتى وعــدن ، حتى يصير عشرة أمثاله .

ويعالج هيلاسيلاسى المهمة بثقة وبصيرة، ولا شك أن إصلاح ٣٥٠٫٠٠٠ ميل مربع وترقية ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ من الأنفس يستغرق وقتاً ، ولــكنه هو ومستشاروه الخبراء يتوقعون أن يكونوا قد أتموا أهبتهم لاستقبال أول فوج من الزوار فى ١٩٤٨ — سواء أكان مطلبك متعــة الإجازة أم العمل الصناعى .



كيف نعالج الصعاب

ج . ب . ماك إيقوى
مختصرة من مجلة " ذى روتيريان "

روى لى صاحبي أن خير درس تلقاه فى حياته ، كان يوم ذهبت به أمه إلى المطبخ ، وأخذت رأساً من البطاطس ووضعته فى ماء مغلىّ ، وتركته هنيهة ، ثم أخرجته وقالت : « إليك يابنى فالتقطه ! » وقذفت إليه برأس البطاطس الساخن . فأخذ ينقله بين يديه وهو بادى الحيرة والجزع ، وأمه تضحك ، ثم قالت : « ويحك ، ألا تعرف ماذا تفعل به ؟ »

وقال صاحبي : « وإذا بى أقذف برأس البطاطس السخن إلى أمى ، فأخذتها الدهشة على مالاح لى ، ولكنها التقطته ، وألقته ثانية فى الإناء وقالت : هذا درس ينبغى لك أن تتذكره ماعشت ، فإذا قذف إليك أحدهم برأس بطاطس سخن — فردّه إليه » .

ويقول صاحبي إنه ظل سنوات لايدرك حكمة قولها ، مع أنها بينت له أن المقصود « برأس البطاطس السخن » هو كل مشكلة يشق علاجها ، أو كل سؤال تتعذر الإجابة عليه . والأغلب أن تواجه المشكلة أو يطرح عليك السؤال دون إنذار سابق . وقد قالت له أمه : « سوف تلقى حياتك رجالا على حظ وافر من الذكاء ولكنهم يؤثرون التظاهر بالبلاهة ، فلا يجيبون على أسئلة توجه إليهم بل يحيلونها إليك . أو قد يمسكون عن الكلام حتى يستدرجوك إليه محاولين أن يعرفوا ماتعرفه أنت ، وأن يتبينوا كيف تعالج مسألة من المسائل — أى أن همهم منصرف إلى تبين ما عساك أن تفعل برأس البطاطس السخن الذى قذفوا به إليك . فإذا أطلت تنقيله بين يديك ، فربما برد حتى يسهل عليهم أن يأخذوه بأيديهم ، أو ربما تبينوا وأنت تنقله بين يديك ، خير وسيلة لحمله دون أن يحرق أيديهم » .

وهذه قصة تعلق بنفسك وتثير كوامن الذاكرة . وقد ذكرتنى بشىء كان أبى يقوله لى : « يابنى ، إنك لتحسن صنعاً فى هذه الحياة ، أن تذكر أنك إذا ما تكلمت فأنت تردد ما تعرف . أما إذا أصغيت إلى غيرك فأنت خليق أن تتعلم شيئاً جديداً » .

وقد مضى على زمن وأنا أتتبع سيرة شاب وفق فى عمله توفيقاً باهراً منذ خلع ملابس الجند . وهو فتى ضئيل الجسم هادىء الطباع ، يؤلف الشركات ويقيم المصانع ويجمع

الملايين ، فإذا وجه إليه سؤال فى اجتماع من اجتماعات مجالس الإدارة التى صار عضواً فيها أو رئيساً لها ، يحيل السؤال على آخر ، ويتبعه بكلمة إطراء فيقول : « أنت واسع العلم بهذه المسألة — فما هو رأيك أنت ؟ » . فإذا أوفى الاجتماع على نهايته تراه قد جمع خير المقترحات ، ثم يطرح منها ما لا يوافق خطته ونهجه، ويرتب ما يختاره ترتيباً حسناً ويضيف إليها بعض ما عنده ، ثم يعرضها عرضاً مغرياً كفيلا بقبولها ، فإذا هى طبق شهى صنعه من البطاطس السخن الذى تناقلته الأيدى حول مائدة الاجتماع .

وذكر لى أنه تعلم هذا الأسلوب من ضابط صغير فى الجيش كان يحضر اجتماع هيئة أركان الحرب ، فيصغى إلى ما يقال ويطرق برأسه أحياناً إطراقة المفكر . وكان إذا ألقى إليه سؤال يحيله فى أدب بالغ إلى ضابط كبير ، فيرتاح هذا إلى ما يراه فى الضابط الصغير من دلائل التوقير لرأيه . فإذا ما أشرف الاجتماع على الانفضاض، سئل كل ضابط عن صفوة رأيه وما يوصى به ، فإذا هذا الشاب الهادىء يلقى على الحاضرين مجملا للبحث الذى دار ، ويضمنه خير الآراء والمقترحات .

وقال صاحبى : « فتعلمت أن اختيار الوقت الموافق له شأن عظيم . تعلمت أن أراقب ما يدور وأن أتمهل وأن أدرس وأفكر . وقد اتسع لي الوقت حتى أقذف رأس البطاطس السخن إلى رجل آخر » .

وهى حيلة صغيرة ينفعك اتباعها ، فإنك لا تدرى متى تحتاج إلى الانتفاع بها ، وينبغى لكل أم أن تلقنها لولدها . أما الفتيات فيتعلمنها بدافع من فطرتهن ، فهذا هو دأب النساء . وأحسن قصة سمعتها عن قدرة المرأة على الانتفاع بهذه الطريقة ، ما روته لى فالنتينه صانعة الأزياء المشهورة فى باريس ، قالت :

كان جاك يئن ويتأوه فى فراشه ذات ليلة فقالت له زوجته : « ما بك يا جاك ؟ » فقال إنه مدين لجاره موريس بمئة ريال ينبغى أن تؤدى فى صباح الغد ، ولكنه لا يملك المبلغ لوفاء دينه ، وقد بلغ منه القلق حتى عجز عن النوم ، فما كان منها إلا أن فتحت النافذة ونادت بأعلى صوتها « موريس ، موريس ، استيقظ ! » فهب موريس من سريره كالمذعور وجاء إلى النافذة وهو يفرك عينيه وقال : « ما الخبر ؟ ماذا حدث ؟ » فأجابته زوجة جاك : « أحببت أن أخبرك أن جاك لا يستطيع أن يسد لك دينه صباح غد لأنه لا يملك المال » . ثم أقفلت النافذة والتفتت إلى زوجها وقالت : « نم الآن يا جاك ، ودع موريس للقلق والسهد » .



بدت الجريمة كأنها من الجرائم الكاملة التي يلفقها خيال الروائيين ، وظل رجال الشرطة سنتين يقتفون المجرم مستهدين بأثر ضئيل .



بصمة إصبع

إدجر هوفر

مدير مكتب الأبحاث الجنائية بالولايات المتحدة

في الحياة ، كما يحدث في القصص ، يحدث أن يؤدي الأثر الضئيل إلى كشف سر بعض الجرائم الكبيرة . وخير مثال على ذلك هو حادث السطو والقتل في المصرف الأهلي بمدينة لامار بالولايات المتحدة .

ففي ظهر يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٢٨ دخل هذا المصرف أربعة رجال ، وكان معظم موظفيه قد انصرفوا إلى غدائهم ، وبقي مديره نيوتون باريش وراء شباك الصرف . فلما رأى القادمين يخرجون مسدساتهم ، سارعت يده إلى أحد الأدراج وأخرج مسدساً وأطلقه ، فانبثق الدم من وجه أحد اللصوص ، وعندئذ قفز ابن المدير إلى جوار أبيه ، فإذا بهما يسقطان صريعين تحت وابل من الرصاص .

وفاز اللصوص بغنيمة وافرة : ربع مليون ريال من ورق النقد ، وبأسهم وسندات يسهل بيعها ، وخطفوا اثنين من موظفي البنك وحملوهما معهم في سيارتهم .

وأطار الخوف عقل أحد الرجلين ، فقذف به اللصوص من السيارة وألقوه في عرض الطريق ، وبعد خمس دقائق عثر عليه مستر ألدرمان عمدة البلدة ، وكان يطارد اللصوص بسيارته ، ولكن الرعب كان قد ألجم لسان الرجل فلم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة .

وانطلق العمدة بسيارته وراء اللصوص ، فلما بلغ مفرق الطرق تريث مضطراً ليسأل عن اتجاه اللصوص ، وإذا به يلحقهم حتى لا يكاد يفصل بينه وبينهم إلا ٣٠٠ ياردة . لم يكن مع العمدة إلا مسدس واحد ، وشرع اللصوص يطلقون عليه رصاصهم ، فعطلوا محرك سيارته وابتعدوا مسرعين حتى اختفوا .

ولم نعلم ما حدث بعد ذلك إلا بعد مرور زمن طويل ، إذ تبين أن اللصوص أسرعوا بسيارتهم حتى بلغوا مسكناً ريفياً يملكه واحد منهم ، ولم يعبأوا بزميلهم الجريح الذي أخذ

يهذى من الحمى ، وأقاموا ليلتئذ احتفالا كبيراً دعوا إليه أصدقاءهم .

وظل أسيرهم الثانى مكبلا مكمما فى السيارة، وضجيج المحتفلين يتعالى طول الليل ، وطلع عليه الصباح ولم يبتّ فى مصيره بشىء .

ولما استيقظ اللصوص وجدوا زميلهم الجريح يتوجع وتهدّده الأُكلة. وفى المساء التالى هبّ الطبيب وينتجر من نومه ليسمع من يقول له إن امرأة قد جرحت فى حادثة تصادم سيارة ، وطُلب إليه أن يتبع سيارة إلى مزرعة قريبة من الطريق العام، واقتيد إلى المنزل الريفىّ الآنف الذكر ، ثم سُدّد إليه مسدس، وأمر بأن يعالج اللص الجريح، فلما فرغ من عمله سئل :

« هل يشفى من جرحه ؟ »

« نعم إذا حرصتم على العلاج الذى دللتكم عليه » .

« أواثق أنت مما تقول ؟ »

« نعم » .

ولم يكد يفرغ من قوله حتى قيدوا ذراعيه وراء ظهره وساقوه إلى حافة هاوية، غير عابئين بصراخه وتضرعه ، وأطلقوا الرصاص على رأسه . ثم مال هؤلاء الأشرار بأكتافهم على سيارته وقذفوا بها إلى الهاوية.

وإذا بالأمر يخرج من أيديهم بآثار هفوة واحدة ارتكبوها ، إذ لم يفطنوا إلى أنهم تركوا لنا أثراً واحداً ، وإن كان أثراً ضئيلا لا يبدو للعين المجردة .

ثم قادوا بعد ذلك رهينتهم الباقية إلى حقل قريب ومزقوا جسده بالرصاص ، فتم بذلك قتل أربعة أشخاص فى هذا الحادث. ثم تفرق هؤلاء الأشرار وسار كل منهم متخفياً إلى سبيله .

وهكذا وجدنا أنفسنا أمام جريمة تعدّ خير مثال للجريمة التى يتم تدبيرها وتنفيذها بدقة وإحكام .

ولكن زميلنا ترويليجر ، وهو شرطى صغير فى مدينة صغيرة ، وقع على الأثر الضئيل الذى خلفه هؤلاء الأشرار ، إذ نزل إلى باطن الهوة حيث وجد السيارة المحطمة وبدأ يفحصها كما يفعل فى بقية الحوادث ، فوجد جدرانها المعدنية قد أزيل عنها بالمسح كل بصمات الأصابع، ولكنه كان من الشرطة المدربين المدققين ، فلم يغلبه اليأس ، وأخذ يفحص جدران السيارة بدقة حتى عثر فى آخر النهار على بقعة حائلة خلفها أحد الأشخاص بإصبعه السبابة. وكانت هذه البقعة على السطح الخارجى لزجاج باب السيارة الخلفىّ الأيمن، فانتزع ترويليجر لوح الزجاج وأخذه إلى المعمل، وعالجه ببعض المساحيق حتى بدت البصمة ، فصوّرها مكبرة مرتين ونصف مرة ، وسارع بإرسال

الصورة إلى معمل الأبحاث التابع لنا .

وكان المعـهد فى تلك الأيام لا يزال فى حداثته ، فلم يكن لدينا وقتئذ سوى مليونى بصمة،أما اليوم فلدينا منها مئة مليون بصمة.

وثار غضبى لتلك القسـوة الغاشمة التى تجلت فى عمل هؤلاء المجرمين ، فاستدعيت جميع الموظفين وقلت لهم :

« يجب أن نذكر جميعاً دقائق هـذه البصمـة ، حتى إذا مرت بنا مرة أخرى عرفناها » .

وانصرفت همة رجال الشرطة فى البلاد كلها إلى مطاردة هؤلاء الهاربين ، وتقدم بعض الشهود يصفونهم ، فسرعان ما قبض على بعض الأشخاص ، وكانوا أربعة رجال وجدناهم متفرقين فى نواح متعددة، وقدموا للمحاكمة فى جلسة حدد لها يوم ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٩

وأصرّ هؤلاء الرجال على القول بأنهم أبرياء ، ولكن تطـوّع للشهادة عليهم ٦٠ شخصاً ، فلم يبق شك فى أنهم سيحكم عليهم بالإعدام ، ولكن بعض رجال الشرطة لم يؤمنوا بهذه الشهادة ، إذ الثابت أن أحد الأشرار قد جرح ، وليس فى أحد هؤلاء المتهمين أثر لجرح . وزعم بعض الناس أن الأثر قد زال بجراحة من جراحات التجميل. ومع ذلك ظل نفر غير قليل من كرام الناس يحلفون أنهم لا يخطئون فى شهادتهم. وبقيت بعـد ذلك بصمـة الإصبع ، فإنها بلا ريب ليست من أثر هؤلاء المتهمين .

وإذا بالحظ يواتينا فجـأة ، إذ قبض فى إحدى المدن على رجل متهم بالسطو على قطار، وأخذت بصمات أصابعه وأطلق سراحه ، ووصلت أوراق التحقيق إلى مكتبنا ، وعهد بفحصها إلى ألبرت جراوند .

وكان جراوند قد فرغ فى ذلك النهار من فحص ألفى بصمة ، وكان قد مضى عام بأكمله على ذلك اليوم الذى نبهت فيه الموظفين إلى تذكر دقائق البصمة التى وجدت على السيارة المحطمة . ولم يكد جراوند يفحص البصمة الجديدة حتى وجدها غير غريبة عن ذهنه، فبحث فى السجلات حتى عرف أن صاحبها هو جاك فليجل ، وقد سبق أن حكم عليه بالسجن فى سرقة . ولكن جراوند لم يقنع بما وصل إليه ،إذ أن ذاكرته لا تزال تربط هذه البصمة بحادثة أخرى . وفجأة ذكر السيارة المحطمة،فسارع إلى البصمة القديمة، فإذا بها تثبت أن صاحبها هو جاك فليجل نفسه.

ولم تمض إلا ساعات قليلة حتى هب رجال الشرطة للعمل ، وأغاروا على المزرعة ، وقبض على فليجل الأب ومعه اثنان من أبنائه ، ولكنهم لم يعثروا على جاك فليجل

ولا على أخيه رالف. وكانت البينة قد اجتمعت على أنهما من مرتكبي الجناية، وعثر رجال الشرطة على أوراق تؤيد ما لديهم من بينة، كما عثروا على رصاص مماثل للرصاص الذى استعمل فى الحادث عند سرقة المصرف.

ثم واتانا الحظ مرة أخرى، إذ وصلت أثناء التحقيق مع المقبوض عليهم رسالة من رالف الغائب يسأل أباه أن يرسل إليه ألفى ريال بعنوان «شباك البريد بمدينة كانكاكى».

ولما جاء رالف إلى شباك البريد، ألقينا القبض عليه، فأخذ يساومنا قائلا:

«هل تعدوننى إذا اعترفت بأن أنجو من حبل المشنقة؟»

فأجابه المحقق: «لن نطلب من المحكمة أن تقضى عليك بالإعدام».

وذكر رالف اسم شريكيه، فألقى القبض عليهما على الفور، واتفقت أقوال ثلاثتهم على أن جاك فليجل هو الذى دبر الجناية ونفذها، ولكنهم لا يعلمون أين يختبىء.

وتبين لنا بعد مرور وقت طويل أنه اختفى فى مخبأ بالجبال، ولو أنه ظل مكانه لما وقع فى أيدينا إلى اليوم.

ولكنه بدأ فجأة يكتب الرسائل إلى الشرطة يحذرهم فيها أنه لو شُنِق أخوه وزملاؤه فإنه سينتقم لهم. ويعيث فى الأرض فساداً، وقال تلميحا إنه قد يعترف هو أيضاً إذا ضمنت له النجاة من الموت شنقاً.

وصدر الحكم أثناء ذلك بإدانة الرجال الثلاثة، ووفى المحقق بوعده فلم يطلب الحكم بإعدام رالف دون زميليه، ولكن المحلفين أوصوا بإعدام الثلاثة جميعاً، فماتوا كلهم شنقاً.

وخيل إلينا أن صاحب البصمة قد أفلت من أيدينا، ثم ظهر فى صباح أحد الأيام إعلان فى إحدى الصحف يعبر فيه كاتبه عن اشتياقه لرؤية صديقه القديم جاك، وقرأ جاك هذا الإعلان فى مخبئه ورآه موقعاً عليه بإمضاء بنكى. ولم يكن هذا الاسم غريباً عنه، ولكنه لم يفطن إلى أن الشرطة هم الذين حملوا بنكى على أن يخون زميله فيستدرجه إلى أيديهم. وسرعان ما انتظمت الرسائل بين الصديقين، وأخذ الرجلان يدبران معا سطواً على أحد المصارف، واتفقا على أن يتقابلا يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٠

وتتابعت الحوادث سراعاً، ووقف جاك على رصيف المحطة فى بلدة صغيرة ليستقل القطار إلى المكان الذي اتفق هو وصديقه على اللقاء فيه. ولم يدر بخلده ولا ريب أن فى القطار القادم خمسة من رجال الشرطة فى طريقهم إلى مكان اللقاء، وكذلك لم يدر فى خلد هؤلاء الشرطة أن جاك سيستقل القطار من محطة تلك البلدة الصغيرة، وفوجئوا حين رأوه يدخل عربة القطار

ويسير فى ممرّها متمهّـلاً ، فصرخوا به . « ارفع يديك » وامتدت يده إلى مسدسه ، فأطلق عليـه رجال الشرطة مسدساتهم ، فسقط صريعاً على أرض العربة .

أما الرجال الأربعة الذى وجهت إليهم التهمة فى أول الأمر ، فقد ألغيت محاكمتهم .

وكم كنت أود أن أقول إنهم خرجوا من قفص الاتهام فرحين ببراءتهم ، ولكن الواقع كان غير ذلك ، فقد ثبت من سجل بصمات أصابعهم أنهم جميعـاً قد ارتكبوا حوادث سطو أخرى على المصارف ، فحكم عليهم بالسجن مدداً طويلة .

علة الأطفال !

دعت طائفة من الأمهات طبيباً مشهوراً من أطباء الأطفال ليكون ضيف الشرف فى حفلة يقمنها،ففعل . وفى أثناء الحفلة جعلن يناقشن الطبيب فى أمراض أولادهن ، وإذا إحداهنّ تسأل الطبيب : « أية علة هى فى رأيك رأس العلل التى تصيب الأطفال ؟ »

فأجاب الطبيب مصطنعاً الوقار : « أمهاتهم » ! [جاى دجان]

الآلة البشرية

يميل المهندسون إلى التفاخر دائماً بما بلغته الآلات التى يصنعونها من قدرة وكفاية . ولكن البشر لم يصنعوا قط آلة لها من القدرة والكفاية ما لجسم الإنسان منهما . فأين نستطيع أن نجد مضخة تبلغ من الكمال مبلغ القلب البشرى ؟ فإذا أحسن صاحب هذه الآلة تعهدها ظلت قائمة على عملهـا ٦٠٠,٠٠٠ ساعة ، تخفق فى كل ساعة ٤٣٢٠ خفقة ، وتدفع ٦٧ لتراً من الدم كل ساعة . وأى جهاز من أجهزة التلغراف يضارع جهازنا العصبى ؟ وأى مذياع يبلغ من حسن الأداء ما يبلغه الصوت والأذن فى الناس ؟ وأية آلة مصورة تضارع العين البشرية فى كمالها ؟ وأى جهاز للتهوية يماثل الأنف والرئتين والجلد ؟ وأية لوحة كهربائية تضاهى النخاع الشوكى سرعة ودقة ؟ أو ليست هذه الآلة العجيبة خليقة بأقوم رعاية واحترام ؟ [فلويد بارسنز]



ڤنسنت شين

مراسل صحفي، مؤلف "تاريخ حياتي" و"سيف ولا سلام" و"بيت منقسم على نفسه"

كان بين صديقي جون وأبيه الشيخ علاقة ومودة، هي أعمق ما عرفت من العلاقات بين رجل وأبيه. كان هذا الأب في الثمانين من عمره، فلو رأيت هذا الشيخ وهو لا يزال يطوف في أرجاء مستشفاه، ويعود أولئك المرضى الذين لا يزالون يتشبثون به على رغم علوّ سنه، لامتلأ قلبك غبطة وابتهاجاً. وأما ولده جون، وهو في الخامسة والأربعين، فكان محامياً ناجحاً.

كان كل واحد منهما يفهم صاحبه أحسن الفهم، حتى وإن ثارت بينهما مناقشة حادة قائمة على اختلاف في الرأي. وكثيراً ما يذكر أصحاب جون هذه العلاقة التي بينهما بشيء من الحسد أحياناً، فيقول جون: «إن الذي بيني وبين الشيخ كأحسن ما يرام»، ولا يكاد يزيد على هذا شيئاً. ولكن طول عشرتي لهما كشف لي عن السرّ الذي جعلهما يعيشان طول حياتهما متحابين متفاهمين.

كان جون في الرابعة عشرة من عمره، فكان يعيش في بيت أبيه ضيِّقاً به غير سعيد، وكان أبوه الطبيب يصرف كل همه إلى عمله ولا يكاد يلقي بالاً إلى ولده الصغير. وكان الأب يتولى تدريس الجراحة في إحدى كليات الطب الصغيرة، وكانت له عيادة ناجحة، ولكنه كان مشغولاً بتجارب كثيرة يجريها بلا ملل ولا سآمة. وكان أهم ما يشغله في ذلك الحين أمر «التخدير الموضعي»، وكان حديث العهد يومئذ. واستحدث الأب الطبيب ضرباً من المخدرات كان يعدّه خير ما عرف من المخدرات للجراحات البسيطة.

وكان جون الصغير يحس في دخيلة نفسه أنه شيء لا يعبأ به في أسرته، وأن أتفه تحسين في تجارب أبيه كان عند أبيه أهم شأناً من ولده. فلما رأى الفتى ذلك، ولعله رأى أيضاً أن درجاته في امتحان المدرسة كانت قليلة، فعندئذ عزم على الفرار من هذا البيت. وكان قد وقع في روعه أن المرء قد يجد في بلاد المكسيك أسرع

طريق يفضي به إلى الثروة ، فعقد عزمه على السفر إليها .

أخذ جون الصغير يجمع من بين أشيائه ما يحتاج إليه ليضعه فى الحقيبة ، فإذا بوالده يهجم على الغرفة قائلا : « أسرع يا فتى ، فالدكتور هانفورث والدكتور ماكجوفرى ينتظران فى غرفة الجراحات . وهذه فرصة لا بد من انتهازها حتى أثبت لهما أنى صدقت حين وصفت هذا المخدر بأنه أحسن المخدرات . وسأزيل لك هذا الكيس الوارم على شدقك ، تعال معى » .

غلب على جون ما اعتاده من طاعة أبيه فقام وتبعه . وكان جون يعرف منذ أسابيع أن هذا الكيس الصغير الذى لا خطر له سوف يستأصل حين تأتى الفرصة المواتية لإثبات جودة هذا المخدر الجديد الذى ابتدعه أبوه . ولم يكن لجون الصغير اعتراض على ذلك ، فقد أجرى له أبوه من قبل جراحة بسيطة مستعملا هذا المخدر نفسه ، ولكنه أحس أن أباه لا يكاد يعده شيئاً سوى أنه مادة يجرى عليها تجاربه .

كانت غرفة المحاضرات ومدرج الجراحات غاصاً بالناس : فمنهم جماعة من الطلاب ، ورئيس أطباء المدينة ، وطبيب من شيكاغو كان يعد من أعلم الناس بأحدث المستحضرات الطبية التى عرفها الأطباء .

وقف الأب الطبيب وقال وفى صوته نبرات تنم على فرط سروره : « أيها السادة سوف أثبت لكم الآن جودة هذا المخدر الذى ابتدعته للتخدير الموضعى . وسأجربه فى ولدى هذا ، فإن تحت أذنه اليمنى كيساً صغيراً وارماً سوف أستأصله » .

ويقول جون إنه كان مكين الثقة بأبيه فلم يساور قلبه وجل ولا خوف ، وقد أحس بوخز إبرة الحقن ولكنه كان يتوقع هذا الوخز . وما هى إلا دقائق حتى أحس جون بألم مبرّح حين جرى المبضع فى لحمه ، وكان ألماً حاداً محرقاً يتلهّب فى شدقه .

ولبث جون لحظة وهو لا يكاد يدرك سر ما حدث ، وأوشك أن يصرخ ، ولكن الأنفة غلبت عليه ومنعته من الصراخ . ثم أدرك أن خطأ قد حدث ، فقد كان للمخدر أثر ناجع فيما مضى ، أما اليوم فقد بطل هذا الأثر لأمر ّما .

كان إثبات نفع هذا المخدر جليل الشأن والخطر عند أبيه — من ناحية فنه ، ومن ناحية كرامته ، بل ربما كان جليل النفع فى زيادة مرتبه . فجمع جون شتات نفسه وصبر ، وبقى مغمضاً عينيه وهو يقول لنفسه: « ما هو إلا قليل حتى ينتهى كل شىء ، ما هو إلا قليل » . ينبغى أن يصبر حتى يرى الرائى أن المخدر قد فعل فعله على أتم

وجه ، ينبغى أن يخدع الأطباء والطلبة — بل أن يخدع أباه نفسه .

لم ينتبه أحد إلى الذى حدث ، فإن الطبيب مضى يشرح وهو هادىء النفس ، وكان الألم حاداً شديداً ، ولكن الفتى أدرك كل شىء فعزم على أن يصبر عليه ويطيقه ، حتى إنه ظل ساكناً فلم يتحرك ولم يطرف حين بدأ الطبيب فى خياطة الجرح . ثم جاءت الممرضة فأخذت بيده خارجة من غرفة الجراحات ، فلما جلس أغمض عينيه وجعل يفكر والألم آخذ منه كل مأخذ .

قال لنفسه : ينبغى أن يظل هذا سراً مكتوماً يطويه حتى عن أهله ، ولن يجدى عليه شيئاً إذا حدّث أباه وعرفه بما كان ، فإنه كان شديد الزهو بهذا المخدّر الذى ابتدعه . ومع ذلك فهو عن قليل سوف يفارق هذا البيت إلى غير رجعة . ثم فتح عينيه على يد وضعت على كتفه ، ثم سمع صوت أبيه يتردد فى أذنيه مفعماً بالحنان والشفقة : « لشد ما برّح بك الألم يا بنى ! أليس كذلك ؟ »

فأدرك جون لساعته أن أباه قد عرف كل شىء ، ولكن الحنان البادىء فى صوت أبيه ، والشفقة المتجلية فى ضغطة يده على كتفه ، جعلت الألم أخف مما كان ، وجعلت الدمع يترقرق فى عينيه ، ثم قال لأبيه :

« أعرفت إذن ما كان يا أبتاه ؟ »

فقال الأب : « عرفت حين لم يكن لى مندوحة عن المضى فى الجراحة حتى تتم . لقد أخطأت الممرضة خطأً ما ولا ريب ، ولكن لا بأس عليك . لقد كنت بطلا يا بنى ، وإنى لفخور بك — وأشكرك . تعالى معى فسأحملك إلى البيت » .

وجاشت بين الفتى وأبيه موجة من الزهو والاحترام ، وهما يسيران معاً فى الطريق حتى صعدا السلم إلى غرفة جون . فلما أوى الفتى إلى فراشه جلس أبوه إلى جواره ، ثم نظر إلى الأشياء التى كانت معدّة كى توضع فى الحقيبة ، ثم قال له متلطفاً : « أراك قد عزمت على رحلة يا بنى ، أفيسرك أن تأخذنى معك ؟ »

فنظر الفتى إلى أبيه نظرة تدل على ثقة جديدة به ثم قال :

« كنت قد عزمت على الرحلة ، ولكنى عدلت عنها الآن » .



صورة لفظية : ترفقت فى دخولها كأنها شعاعة من ضياء الشمس . [ولبم تكرى]
إنه كعود الثقاب المبلول لاجدوى فيه . [إيدث وارتون]

كان سفيراً للولايات المتحدة فى روسيا ثم فى فرنسا
ويبين هنا ما ينبغى للشعوب التى تحب الحرية أن تعرفه .



السياسة الخارجية الجديدة للولايات المتحدة

وليم بوليت

مختصرة من مجلة "أميريكان ميركيورى"

على الأمم الديمقراطية كافة أن بثو تواجه الحقائق المرّة ، فهى تؤثر الاستغراق فى الأحلام الجميلة إلى أن تهوى الضربة على أمّ رأسها .

فى أثناء الحرب العالمية الثانية لم يغب عن بلاد القارة الأمريكية — شمالها وجنوبها — أنها مهدّدة بالخطر لو أفلح هتلر فى تنظيم أوربة وإفريقية وإعدادها لشن الهجوم ، أو لو أفلح الرجال العسكريون فى اليابان فى تنظيم آسية للغرض نفسه . واليوم يهدف ستالين بمفرده إلى ما كان يهدف إليه هتلر والعسكريون اليابانيون معاً . وتشفق الآن شعوب كثيرة محبة للحرية من أن ترى تضحياتها وانتصاراتها فى الحرب العالمية الثانية لا تثمر إلا وقوع أوربة والشرق الأدنى والأوسط وإفريقية تحت سيطرة السوفيت .

وسواء شاءت هذه الشعوب أو لم تشأ ، فتلك هى الحقائق الجوهرية فى تاريخ العالم اليوم .

ولكن أى خطأ فى التقدير أفضى إلى هذه النتيجة التى تنطوى فيها جرثومة أخطار شديدة؟ الجواب واضح: فقد أخطأت حكومة الولايات المتحدة أكبر خطأ فى التاريخ يوم بدأت فى سنة ١٩٤١ تعامل الاتحاد السوفيتى معاملتها لأمة ديمقراطية محبة للسلم، لا معاملة دولة نظام الحكم فيها نظام جامع مطلق استبدادى ، يهدف إلى بسط سلطانه على العالم أجمع . فلم يحسب أقل حساب لأمر محتمل الوقوع — بل قل لأمر كان محقق الوقوع — وهو مجىء يوم يتبين فيه أن دكتاتورية ستالين زعيم الشيوعية ، لا تقل عن دكتاتورية هتلر زعيم النازية ، فى حبّ التسلط على العالم أجمع .

ولم تنقطع الدول الديمقراطية فى مؤتمرات طهران ويالتا وبوتسدام عن تلبية كل ما يطلبه ستالين ، آملة أن تراه مسالماً محباً للحرية . وكان جيمس برنز — حينما تولى منصب وزير خارجية الولايات المتحدة سنة ١٩٤٥ —

يؤمن بقدرته على معاملة ستالين على خير وجه، ثم أدرك بعد تجربة دامت شهوراً عديدة، أن ستالين لن يتراجع مختاراً بمحض إرادته، بل لن يتراجع إلا إذا صادف معارضة قوية.

فلما تلقى برنز هذا الدرس القاسي، الذي سيتلقاه، بعد قليل أو كثير، كل الشعوب المحبة للحرية، أخذ يقاوم التوسع الروسي بشجاعة. فموقفه الحازم حين كانت روسيا توشك أن تغزو تركيا، هو الذي نجى شرق البحر الأبيض المتوسط من الخطر، كما أن تأييده البارع لحكومة إيران هو الذي أتاح لها أن تقضي على أعوان ستالين وتخليص شمال إيران من قبضتهم. وقد دل هذان الحادثان على أن ستالين غير متأهب للمغامرة بمحاربة الولايات المتحدة، لأنها اليوم أقوى من الاتحاد السوفيتي. وهذا أمر يعلمه ستالين حق العلم.

وموقف الولايات المتحدة اليوم أشبه بموقف فرنسا في سنة ١٩٣٦، إذ كانت أقوى الدول بجيشها وسلاح طيرانها، ومع ذلك أقدم هتلر على اول فصل في روايته، وبعث بجنوده إلى منطقة الرين. وقد تبين فيما بعد بأدلة قاطعة، أن هتلر كان يعلم أن فرنسا قادرة على سحق ألمانيا، ولذلك كان من أوامره إلى جنوده أن يتراجعوا إذا ما عبأت فرنسا جيشها. ولكن هذه التعبئة كانت تحتاج إلى نفقة كبيرة، وكانت الحكومة الفرنسية حريصة على سلامة ميزانيتها، وأكبر من ذلك أن التعبئة أمر غير محبب من الوجهة السياسية، لأنها تنتزع الرجال من أسرهم وموارد رزقهم. وزد على ذلك أن كثيراً من الفرنسيين ممن خلصت نياتهم وجهلوا الحقيقة، كانوا مؤمنين بأن هتلر لا يريد قط إلحاق الضرر بفرنسا. فلما استكمل هتلر عدته، هجم على فرنسا وسحقها. وبذلك جرت فرنسا على نفسها الخراب، لأنها أخفقت في مواجهة الحقائق في سنة ١٩٣٦.

وكان أسلوب هتلر في الغزو هو أن يوهم ضحاياه بأنهم في أمان، ثم يستولي على مواقع حربية مهمة يتخذها قاعدة للهجوم عليهم. وهذا هو بعينه أسلوب ستالين، فهو يسير على نهج هتلر: طابور خامس، ودعاية، وعقد معاهدات سرعان ما تنتقض، وتهديد، ثم إرسال الجيوش. ولكن هتلر لم يفلح قط في أن يؤلف في البلاد التي يضمر غزوها جماعات لها تلك القوة والمقدرة على إحداث الضرر، كالتي لهذه الجماعات التي يؤلفها ستالين من الأحزاب الشيوعية وأنصارها.

وتكاد الفرصة تفلت من يد الأمم الديمقراطية، كما أفلتت من فرنسا في سنة ١٩٣٦. فكل يوم يمضي يقرب روسيا من إعداد القنبلة الذرية. هذا وجميع قوى

الإنتاج فى الاتحـاد السوفيتى مقصورة على عدد الحرب . وكل يوم يمضى يزيد من سيطرة ستالين على شرق أوربة ووسطها ، فهو الآن قادر على أن يستغل فى أغراض الحرب ، موارد رقعة مترامية من الأرض تضم ١٠٠ مليون نفس .

فقد ضم ستالين إلى بلاده كلا من أستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبعض أجزاء فنلنـــدة وبولنـدة وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا ، كما أخضع لسلطانه كل أراضى بولندة ورومانيا وبلغاريا ويوغسلافيا وألبانيا والمنطقة التى يحتلها الجيش الأحمر فى ألمانيا والنمســا . وتشتد قبضته على المجر وتشيكوسلوفاكيا وفنلنـدة ، ويزداد إرهاقه لليونان وتركيا بحيث تعجزان عن مقاومته وحدهما بما لديهما من قوة . وبلغ من سلطان أعوانه فى فرنسا وإيطاليا أنهم أجبروا وزارات تلك البلاد القوية على قبول زعمائهم بين رجالها .

فحيثما أدرت بصرك فى العالم، وجدت أن قوات ستالين هى التى تهاجم، والديمقراطيات هى التى تتراجع ، فلا جرم إذا أصبح منع ستالين من حشد قوى أوربة وإفريقية وآسية مجتمعة لشن الهجوم ، هو الهم الشــاغل للولايات المتحدة . ولا تستطيع أمريكا أن تبذل عونها لجميع الشعوب المهددة بالاستعمار السوفيتى ، ولهــذا يجب عليها أن تكون دقيقة فى اختيار أولى هذه الشعوب بما تستطيع أن تسديه إليها من المعونة .

وقد قرر الرئيس ترومان ، وهو على حق فيما قرر ، أن يكون التقديم لليونان وتركيا ، إذ أن الخطر قريب منهما ، ثم تأتى بعدهما فرنسا لحرج حالتها . وسأعمد هنا إلى شرح حالة فرنسا بالتفصيل ، فهى خير مثال للمشاكل التى تواجهنا فى العالم أجمع.

إذا نجح ستالين فى السيطرة على فرنسا بفضــل طابوره الخامس ، فإن الحكومة الفرنسية ستقف موقف العداء من أمريكا، وسيرغم الشعب الفرنسى على تنفيذ أوامر ستالين بفضل البوليس السرى الشيوعى ورصاص فرق الإعــدام . وإذا تم ذلك لستالين أصبحت أوربة كلها شــيوعية ، إذ لاتلبث إيطاليا أن تقع فى قبضة ستالين ، لأن الحزب الشــيوعى فيها له قوة كبيرة . ولن تزيد منطقة الاحتلال الأمريكى البريطانى فى ألمانيا عن أن تصبح حاجزا هشـا ضئيلا فى قارة شيوعية ، تمتــد من الأطلسى إلى الهادى ، فلا تجـــد القوات البريطانية الأمريكية مفراً من الانسحاب ، ويخيم على إنجلترا خطر مهاجمتها من قواعد فى فرنسا بقنابل طائرة أشد فتكا من القنابل الألمانية. وقد تستهدف بريطانيا لما استهدفت له مالطة من التدمير بالقنابل ، ثم تخر جثية

الأمم واحدة بعد أخرى. فإذا أصبحت أوربة خاضعة للشيوعية التي تتلقى أوامرها من موسكو، فإنها لن تكون أقل خطراً على الديمقراطيات التي يكتب لها النجاة، من أوربة الخاضعة للنازية التي تعمل بوحي برلين.

والحزب الشيوعي في فرنسا هو اليوم أقوى أحزابها، ولكن حيث إن فيها أحزاباً أخرى عديدة، فإن نسبة غير الشيوعيين من أعضاء البرلمان لا تقل عن ٧٢ في المئة. وإذا حدث مثل هذا في بلد ديمقراطي سليم البنيان، قضى بإقصاء الشيوعيين عن الحكم. ولكن فرنسا تعاني عللا وأمراضاً كثيرة، ولا تجد زعماء الأحزاب غير الشيوعية يتفقون على معالجتها بما تقتضيه هذه العلل. وقد هدد الشيوعيون بالإضراب العام، فأجبروا الأحزاب الأخرى على أن يتخلوا لهم عن أهم مناصب الوزارة، فأسند منصب نائب رئيس الوزراء إلى توريز الزعيم الشيوعي، وهو من الفارّين من الخدمة العسكرية أثناء الحرب العالمية الثانية، وأسندت إليهم أيضاً وزارات الدفاع والعمل والصحة والتعمير، وأصبح لهم سلطان كبير على معظم عمال سلاح الطيران الفرنسي. وكثير من ضباط الجيش هم أيضاً من الشيوعيين. هذا، وللشيوعيين قوات عسكرية مسلحة أتم تسليح تعمل في الخفاء، ويزيد عدد رجالها عن الجيش النظامي نفسه. ويقول الناس علنا في باريس: «في إمكان ستالين أن يستولي على فرنسا متى شاء بكلمة تصدر منه بالتلفون في موسكو».

فإذا ما قرر زعماء أحزاب الأكثرية غير الشيوعيين في البرلمان الفرنسي، أن يؤلفوا وزارة قومية، تاركين الحزب الشيوعي لمقاعد المعارضة، كان على الأمم الديمقراطية الأخرى أن تمدهم بما يجب من تأييد يعينهم على الاحتفاظ بسلامة الحكم الديمقراطي، كما ينبغي مساعدة فرنسا مساعدة مالية حتى تنتظم أمورها، فالحالة المالية في فرنسا تستند إلى أسس سليمة. وإذا غلت يد الشيوعيين، فلن تحتاج فرنسا كي تصبح مرة أخرى دولة ديمقراطية، إلا بعض العون من المال لتعمر ما خربت الحرب والاحتلال الألماني من مرافقها.

وإبقاء فرنسا في حظيرة الديمقراطية، هو أنجع وسيلة لتجميع قوى الأمم الديمقراطية الأخرى ووقوفها صفاً واحداً للدفاع عن نفسها، لأنه إذا لم يتأتّ جمع جزء كبير من أوربة تحت نظام اتحادي واحد، فإن أوربة كلها ستصبح اتحاداً واحداً من أمم خاضعة كلها للجبروت الروسي.

والأمر واضح فيما يخص اليونان وتركيا وفرنسا والصين، ولكن كم عدد الدول

الأخرى التى تحتاج للمساعدة ؟ قد ينطبق الوصف على دول كثيرة غير التى ذكرت آنفاً ، وينبغى للولايات المتحدة أن تعينها على قدر طاقتها . فالوسيلة الوحيدة لمنع وقوع حرب مع روسيا ، هى أن تعمل الولايات المتحدة — حين هى اليوم أقوى من الاتحاد السوفيتى — بهمة وشجاعة وبعـد نظر ، حتى تمنع ستالين من السيطرة على المواقع الحربيـة المهمة ، ثم تتولى هى نفسها تنظيم الشعوب الحرة فى العالم لتمكنها من مقاومة الاستعمار الروسى ، وبذلك يجد الدكتاتور الروسى نفسه دائماً أمام قوة تفوقه . وينبغى أن لا تكون هذه القوة عسكرية واقتصادية فحسب ، بل قوة فكرية أيضا .

وانه ليغيب على كثير من النـاس أن يؤمنوا بأن أفراد الشعب الروسى المجيد ينساقون بأمر رؤسائهم الشيوعيين للقضاء على كل ما تعتز به الشعوب المحبة للحرية، ولكن إذا لم يقف هؤلاء المؤمنون بالديمقراطية فى وجه العدو منذ اليوم ، وأغمضوا أعينهم عن الحقـائق فلم يدركوا قوته وبأسه ومكره وقسوته ونكرانه للحق وخلو قلبه من الرحمة والمحبة والشفقة ، فقد أسلموا أنفسهم للتهلكة حين لامناص ولا نجاة .



مشروع ترومان وحده لا يكفى

إيسلى كالبرستون • مختصرة من مجلة " نيوليدر "

لم يكن هناك مع الأسف مفرٌ من وقوف الرئيس ترومان موقف التحدى من التوسع العسكرى للشيوعية ، ولكن سياسته لا تحل شيئاً من المشـاكل ، بل هى بمثابة تقوية للعزيمة فى الحالة الراهنة التى يخيم فيها على العـالم شبح القنبلة الذرية ، وتمتلىء قلوب الناس بمخاوف متبادلة . فسياسـة ترومان لن تمنع حربا عالمية ثالثـة محتملة الوقوع ، ولن ترفع شبح القنبـلة الذرية عن قلوب الناس الآمنين فى مساكنهم ، ولن ترفع عن كاهل الشعوب جميعها ذلك العبء القاصم للظهر الذى يلقيه عليها تسابقها فى التسلح .

لقد كان المطلب العاجل ، إذا أريد نجاة العالم ، هو الوصول إلى سياسة فعالة أخرى بدلا من سياسة الاعتماد على القوة بين الدول الكبرى ، وينبغى التماس تلك السياسة

الجديدة لدى هيئة الأمم المتحدة . ولا أقصد هذه الهيئة كما هى اليوم عاجزة مغلولة اليد بفضل حق الاعتراض ، بل أقصد تلك الهيئة حين يشتد ساعدها ويتيح لها نظامها أن تمنع الدول الديمقراطية والاتحاد السوفيتى من أن يهدد أحدهما سلامة الآخر وأمنه .

وإنه ليتيسر بلوغ هذا الهدف بإصلاح تلك الهيئة من نواح ثلاث — وهو إصلاح قد أيدته ونادت به هيئات عديدة تمثل العمال وأصحاب الأعمال ورجال الكنيسة والأحرار وقدماء المحاربين — ونواحى هذا الإصلاح هى باختصار :

الأولى : إلغاء حق الاعتراض فى مسألتين معينتين ، ١ : الغزو المسلح ، ٢ : الاستعداد للغزو المسلح (أى التسلح غير الشرعىّ) .

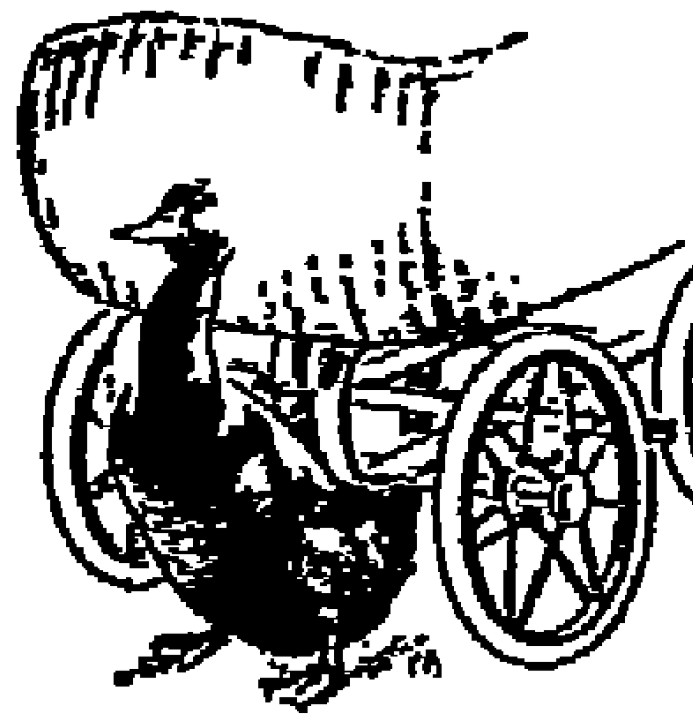
الثانية : منع تسلح الدول بالقنبلة الذرية ، وذلك بتنفيذ مقترحات باروخ ، ثم تحديد إنتاج الدول من الأسلحة الثقيلة طبقاً لبرنامج دولىّ .

الثالثة : إنشاء جيش لحفظ الأمن فى العالم ، مؤلف من فرقة قوية واحدة يشرف عليها مجلس الأمن (بعد إصلاحه) والمحكمة الدولية ، ومن خمس فرق أخرى ، لكل دولة كبيرة فرقة منها ، وتكون بمثابة مدد احتياطى ، ولا تخضع كل فرقة إلا للدولة التابعة لها . وينبغى تنفيذ هذه الإصلاحات بمعاونة روسيا إذا رضيت ، وإلا فبغير معاونتها إذا اقتضى الأمر .

وأهم اعتراض صادفته هذه السياسة حتى اليوم هو الخشية من معارضة روسيا لهذه الإصلاحات اللازمة ، فتنسحب من هيئة الأمم المتحدة وتخلفها منهارةً . ولكن هذا الاعتراض لا محلّ له اليوم بعد أن وقف الرئيس ترومان موقف التحدى .

فالعرض الذى ينبغى أن نتقدم به إلى روسيا هو تحرير وثيقة زواج يكون الطلاق فيه مستحيلا طبقاً لأنظمة هيئة الأمم المتحدة بعد إصلاحها . ومن الطبيعى أن تقف الولايات المتحدة موقفها الحازم فى اليونان وتركيا ، ولكن موقفها هذا يكون أنبل وأنفع ، لو أنها أبدت مثل هذا العزم فى تأليف هيئة دولية قادرة على منع وقوع حرب عالمية ثالثة . إن سياسة كهذه تؤلف قلوب أغلب الدول حول هيئة الأمم المتحدة. وإذا ما زالت المخاوف من الاستعمار فلا يبعد أن تستدرج روسيا ، بعد فترة من الريبة والتمنع ، إلى دخول حظيرة هيئة الأمم المتحدة فى عهدها الجديد ، فإن روسيا ستجد نفسها بين طريقين واضحين كل الوضوح : إما سلام دائم يشمل روسيا أيضاً ، وإما العزلة فى عالم مؤلف من أمم محبة للحرية ، تملك من السلطة وقوة التآزر ما تصد به كل اعتداء .

بطل من ذوات الريش



إيلا دنكان
مختصرة من "نيتشر مجازين"

لما كانت ابنتي سوزي في الثانية من عمرها، سمعت ذات يوم جرس الباب يدق، وما كدنا نفتح الباب حتى رأت على عتبته سلة فيها بطة صغيرة جاثمة، لم تكن في رأي العين سوى كرة من الزغب الأصفر فيها خرزتان سوداوان هما عيناها، ومنقاراً أسوداً كالأبنوس لا تزال تضرب به يمينا وشمالا في كل شيء تلقاه. وطارت سوزي فرحاً حين رأت البطة الصغيرة تجاهد حتى تخرج من سلتها ثم تسعى وراءها حيثما ذهبت في الغرفة.

أحبت البطة سوزي فلم تكن تعبأ بشيء في الدنيا سواها، فإذا رأتها تسير سارت وراءها، وإذا رأتها تعدو تدحرجت في آثارها محاولة أن تكون على مقربة منها.

وأطلقت سوزي على بطتها اسم «جارية»، وجاء الصيف فإذا هما يقضيانه معاً في فناء الدار كأنهما في عالم حافل بروائع السحر، وجعلت أرقبهما أنا وأنة الخادمة ونحن في دهشة وعجب: فهاهما يجريان معا يطاردان الفراش، ويبنيان قصوراً من الرمل، ويلعبان معاً بين الأشجار.

ونمت البطة فكانت أضخم جسما من كثير من أخواتها من البط. وما كادت تمضي سنتان حتى ولد لنا ولد هو كارول، وكانت البطة يومئذ قد بلغت أشدها وصارت قوية البدن جميلة الهيئة. ونظرت البطة إلى هذه الحشرة الصغيرة وهي في مهدها وفحصتها فحصاً دقيقاً، فلما فرغت جعلت تضرب بجناحيها وترسل صيحات عالية، ثم جثمت راضية بجوار المهد.

وكانت هذه الصرخة الغريبة العالية إعلانا للدنيا بأنها قد بلغت اليوم رشدها، وأنه قد ألقي على كاهلها أن تكون حامية لمخلوق جديد لا حول له ولا قوة. ولما جاء الخادم ليخرجها من مكانها ثارت وضجت كأنها تأبى أن تفارق مكان الحراسة.

وعلى مر الأيام وقع في روع البطة أن ساعة حراستها التي ينبغي أن تحرص عليها هي حين يكون كارول الصغير في مهده في فناء الدار حيث يتشمس. فإذا جاءت تلك

الساعة رأينا البطة عند باب الفناء تنتظر ، وإذ بنا نراها تسعى جاهدةً مصممةً حتى تستقر عند المهد وعليها هيأة الحارس المتنبه اليقظ .

وامتلأ قلبي شكراً للبطة على معونتها التي تسديها إلينا في حياطة الصغير وتربيته . فقد كان من المحال أن تتعلم سوزى ولداتها من الصغار أنه ينبغي أن يغلقن الباب وراءهن إذا خرجن ، أما الآن وهذه البطة تتولى حراسة الصغير ، فما من إنسان ولا حيوان يستطيع أن يلج عتبة الباب .

ثم جاء يوم فتفشى في كلاب المدينة داء الكلب . وذات يوم كان الصغير كارول في مهده في الفناء والبطة جاثمة عنده تحرسه، فدق جرس التلفون وإذا صديق لي يقول: «رأيت الساعة كلباً يسعى في الطريق المفضى إلى بيتك ، فإن يكن في المدينة كلب مسعور فهو هذا الكلب ! »

فسرت قشعريرة الخوف في بدني ، وذكرت باب الفناء : أترى الأطفال تركوه مفتوحاً . وجريت إلى الفناء على ساقين لاتكادان تحملانى، وما كدت أبلغ منتصف الطريق إلى الفناء حتى سمعت تلك الصرخة الغريبة العالية التي لم أسمعها من البطة سوى مرة واحدة قبل ذلك ... فعرفت معناها .

وجعلت أنادى أنة الخادمة ثم اندفعت نحو الفناء ،فوقع بصرى على منظر لن تفارقنى صورته ما عشتُ . رأيت على مقربةٍ من من مهد الصبيّ كلباً ضخماً أحمر الشعر ، زائغ العينين ، سائل الشدقين ، ورأيت البطة تطيرُ إليه لتلقاهُ منشورة الجناحين تضربُ بمنقارها وتطقطق به كأنه بندقية . وكنت أعلم أنّ أنّة على أثرى وفي يدها المكنسة ، وعندئذ ضل بصرى عن كل شيء إلا عن الصبيّ ولهفتى على أن أحتضن طفلى بين ذراعيّ وأعدو به حتى أبلغ به مأمنه .

وقد فعلتُ ، فإن أنة قد حمت طريقى بهذه المكنسة التي كانت في يدها ، فلما دخلنا الدار أغلقت الباب وجرت لتستدعى الشرطيّ . وكان الضعف قد أخذ منى مأخذاً حين اتكأتُ على الباب المغلق وأنا أتسمع إلى لغط المعركة الناشبة بين البطة والكلب والمسعور ، فدلنى عواؤه المخيف وزمجرته العاتية على أن البطة تداوره في أرجاء الفناء . كنت أسمع صوت هدّة أجسامهما وهما يصطرعان ويرتطمان بجدار الفناء ، ثم لم يمض غير قليل حتى خفت صوت خفق البطة بجناحيها وطقطقتها بمنقارها، وخفت أيضاً صرير أشداق الكلب الثائر ، وإذا بى أسمع صرخة الألم التي أرسلتها البطة .

لم يكن فى بيتى بندقية ، وكان من البعيد أن يحضر الشرطىّ فى الوقت المناسب ، فأخذت أبتهل إلى الله أن يلهم البطة فتدرك الخطر الداهم قبل نزوله ، فتطير حتى تصير بمنجاة من الـكلب . وكنت على يقين من أنها لن تفعل ذلك ، فإن قلبها الذكى الشجاع لن يطاوعها على ترك القـتال حتى تطرد عدوّها من الفناء .

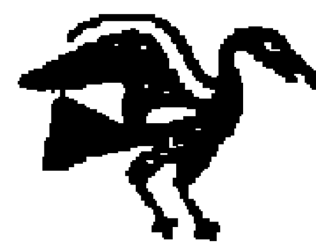
وأخذ الصراخ والنباح يقل شيئاً فشيئاً ، وخف لغط الصراع أيضاً ، ثم سمعت طلقة مكتومة من مسدس ، أعقبها صمت مخيف جاثم.

وأقبل شرطى فلما دنا منى قال : « تعالى فانظرى إلى مشهد لن تقع عيناك على مثله قط » .

كان كل ما فى الفناء مبعثراً فى أرجائه · كانت الـكراسى ملقاة على جانبها ، والأزهار وأفنان الشجر مدهوسة ، ومهد الطفل مقـلوباً ، وعلى الرمل الذى شهد سعادة طفلة وبطتها وهما يلعبان — قطرات لونهـا أحمر قاتم . ثم نظرت إلى الباب المفتوح فرأيت جناح البطة ناشباً فى السياج — رقبتها مقصوفة متدلية ، ومنقارها الأسود قد صار أحمر قانياً .

ثم قال الشرطى وهو ينظر إلى رأس الـكلب المشوّه : « أظن أننى لم أكن فى حاجة إلى إطلاق الرصاصة » .

لقد انبعثت فى قلب البطة غريزة قديمة من ماضيها البعيد ، تهيب بها أن تستميت فى قتال عدوّها وطرده من بقعة الأرض التى كانت تحبها وتقدسها .



مرة فى العمر

من الحوادث النادرة فى حياة برنارد شو أن يؤخذ على غرّة فى الحديث ، فيكون كالرجل الذى يرتدّ كيدهُ إلى نحره . وقد حدث مرة أن قضى برنارد شو بأن الرجل أصـدق من المرأة رأياً وأعلى ، ثم التفت إلى زوجته وسألهـا أن تؤيد قولهُ . فقالت : « بلا ريب يا عزيزى . والدليل على ذلك أنك اخترتنى زوجة ، وأنى رضيت بك » .



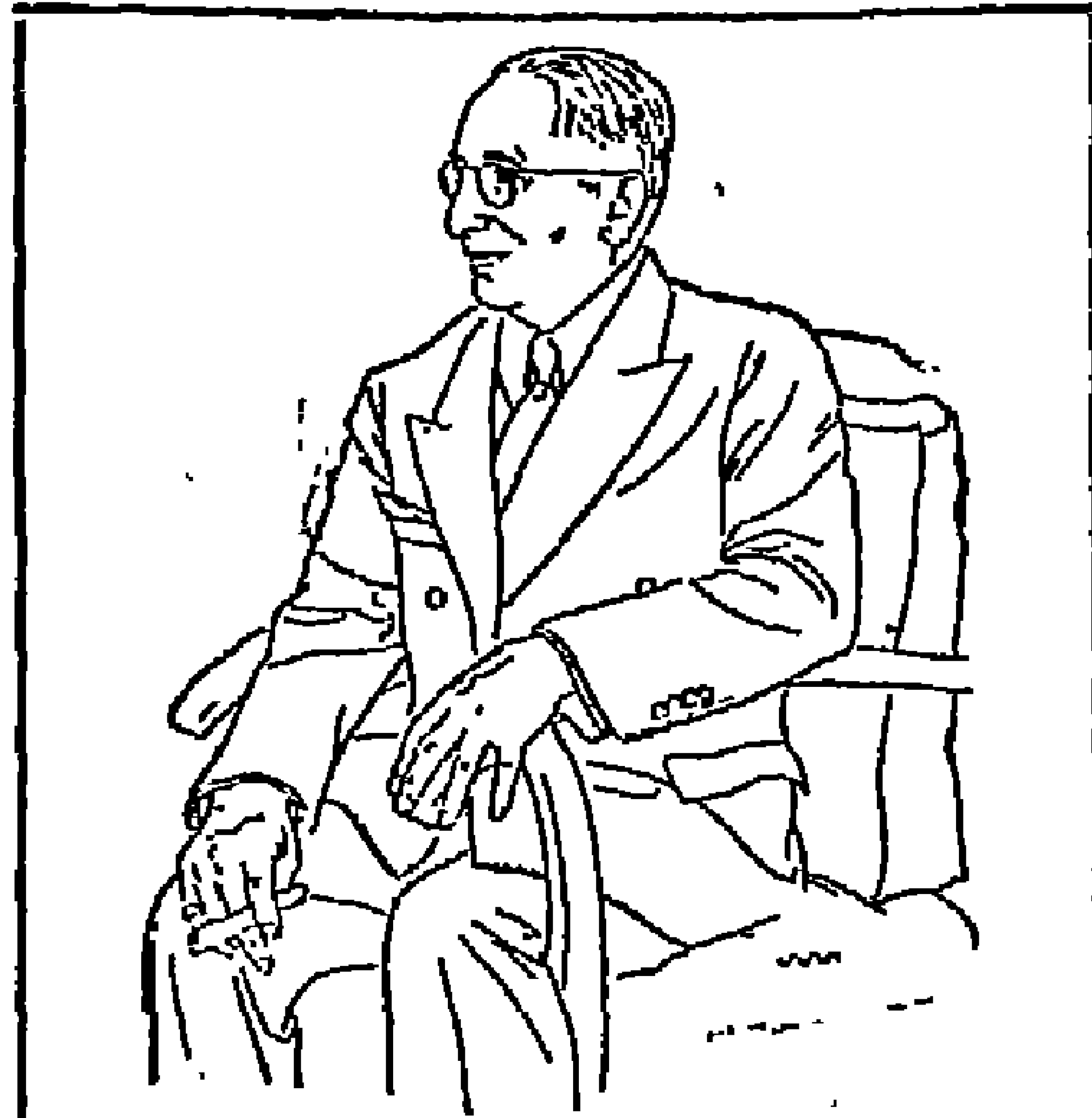
قصة رجل ولد فى الفاقة فصار اليوم يتقاضى أكبر مرتب فى العالم

أمير هوليوود غير منازع

توماس هجن

يُعد لويس ماير أعظم ممثل فى شركة متروجولدوين ماير المشهورة بكثرة كواكبها ، ويسلم بذلك منافسوه من مخرجى هوليوود . فهو قادر على أن ينتقل انتقالا يذهلك، من تمثيل دور الأب النصوح ، إلى دور التاجر الذليق اللسان ، إلى دور الخصم العنيد الذى لا يفتأ يصيح ويضرب المائدة بجمع يده . وقد تفوق على الكثرة من ممثلى شركته فى تمثيل روائع الحياة يوماً بعد يوم .

فقد ذهب إليه روبرت تايلور منذ عهد قريب ، فدخل مكتبه فى ثورة من الحماسة ليطلب زيادة مرتبه ، وأوصد تايلور الباب وراءه ، ولكن نبرات صوته الثائر ظلت تدوّى بضع دقائق حتى سمعها من فى المكاتب المجاورة .



إن له حساً لطيفا يكشف له سرّ الفلم الجيد الموفق

ثم حل محلها صوت ماير الهادىء العذب ، وبعد ساعة أو نحوها خرج تايلور والدموع تترقرق فى عينيه .

فسأله فضولىٌ من سكرتيرى ماير : « ماذا قال لك ؟ »

فقال تايلور والعبرات تكاد تخنقه: «قال لى إنه يتمنى لو كان له ولدٌ مثلى »

فقال السكرتير : « ولكن ماذا قال لك فى شأن المرتب ؟ »

فقال تايلور : « لم نتحدث فى هذا الشأن »

ولما اقترح ماير على جرير جارسون أن تمثل دور مسز منيفر فى فلم « مسز منيفر » رفضت وأصرت على رفضها زمناً ، وقد كان رأيها أنها مثلت فى الأفلام الثلاثة الأخيرة دور سيدة نَصَف ،

وهذا كاف كل الكفاية ، وإلا فإنه إذا عهد إليها فى فلم مقبل بتمثيل دور فتاة غريرة لنالت سخرية المتفرجين . فبذل ماير كل حيلة فى جعبته حتى يقنعها بقبول ما عرضه عليها، فهو تارة يناشدها أن تقبل وتارة يحاول أن يقنعها بالمنطق ، وأخرى يعمد إلى تمثيل دور الساخر أو الغيظ المستاء ، ولكنها تشبثت برأيها كالصخرة لا تزحزحها الرياح.

وإذا ماير قد أخذ القصة بيديه وجعل يقرؤها بصـوت عال ، وما كاد يفعل حتى أخذت جدران المكتب تنشق من حوله رويداً رويداً ، فصار كأنه واقف وحده بين أنقاض لندن — والقنابل تتسـاقط من حوله، وهو يواصل جهاده من أجل خلاص الإنسانية . وقد استطاع ماير أن يمثل كل هذا وهو يقرأ سطوراً على ورق، لأن ممثلة عنيدة أبت أن تمثل دوراً يصلح لها وتصلح له ، وقد ظل يومين متواليين ، لا يتوقف عن القراءة والتمثيل إلا على رغمه ليأخذ نصيباً من الطعام ــ وقد نسى أنه ماير ، فصار مسز منيفر نفسها ، وصار أيضاً مدينة لندن التى ضرب الألمان عليها حصارهم من الفضاء . وفى نهاية اليوم الثانى طرحت جارسون عنادها وقبلت. ولم تكد تخرج من مكتبه وقد غلبهـا على رأيها ما رأته من براعته ، حتى ضغط زراً وأمر بأن يدخلوا عليه زائره التالى .

وماير اليوم فى الثانية والستين من عمره وهو ربعة بدين زاخر النشاط شـديد الدهاء ، ويعدّ أمير هوليوود غير منازع ، وحين تطلب كشف الكبار من مديرى الشركة فلن تجد اسمه بين أسمائهم ، وكل ما تجده أنه « مشرف على الإنتاج » ، ومع ذلك فلن ترى أحـداً يساوره شك فى أن اليد التى تدير ستوديو مترو جولدوين ماير إنما هى يده . وشركة مترو جولدوين ماير هى أغنى شركات السنما فى أمريكا، ولكنها على ضخامتها لا تستغرق كل نشاطه ، فهو فى منزلة السفير المفوض لجميع شركات السنما، والحكم الذى ترضى حكومته فى شئون الأجور وطول ثياب السيدات . وإذا نزل بهوليوود ملك أو أمير أو كبير من الكبراء كان ماير هو الذى يستقبله ويحتفى به ويقدم إليه لانا ترنر أو ريتا هايورث . ثم هو أول أمير من أمراء السنما نزل ضيفاً على البيت الأبيض، وقد كان صديقاً حميماً للمستر هربرت هوفر، فلما تولى هوفر الرياسة عرض عليه أن يعينه سفير أمريكا فى تركيا ، فطلب أن يعفى .

وقد ظل ماير بضع سنوات يتقاضى أعظم مرتب فى الولايات المتحدة ، ومرتبه اليوم فى حدود نصف مليون ريال فى السنة . ويندر بين رجال الشركة من يرتاب فى أن ماير يستحق كل قرش من هذا المرتب الضخم . وليس ثمة

ريب في أن ماير هو القوة التى رفعت ستوديو شركته من مبانيه الرثة القديمة ، إلى ملك ضخم يشغل مئة وسبعين فداناً .

وتسأل الرجال الذين يشتغلون معه فيقولون: « إن ماير هوأعظم رجل كشف له الحجاب عن سر عرض الأشياء التى تسلى الناس ، فكأن له حساً خفياً يكشف له العناصر التى لابد منها لصنع فلم جيد موفق».

أما ماير فله رأى آخر فى سر نجاح شركته فيقول : « لو لم يكن رأى ٧٥ فى المئة من الناس فى الأسرة كرأيى أنا فيها ، لما قدر لنا أى نجاح » . والأفلام التى تخرجها شركة مترو جولدوين ماير مطبوعة بطابع ماير فى حداثته ، فقد كان يحب أمه حبا كالعبادة ، ولعل أكبر جرم يستطيع أحد من الناس أن يقترفه أمام ماير هو أن يحقر الأمومة والبيت على مسمع منه .

وهو يعدّ سلسلة أفلام «آندى هاردى» تكريماً قدّمه إلى بنيان الأسرة فى الاجتماع البشرى . وقد حضر منذ سنوات عرض أحد هذه الأفلام قبل توزيعه ، فرأى فيه آندى شارد الذهن لنزاع وقع بينه وبين حبيبته بولى بنديكت ، فلما جلس إلى العشاء نبذ آندى الطعام الذى قدمته له أمه بإشارة تدل على الاحتقار والازدراء . فدعى مخرج الفلم فى صباح اليوم التالى إلى مكتب ماير، فبادر ماير صاحبه بتحية لطيفة تخفى وراءها نار سخطه المتأججة وقال : «تؤسفنى حالك ياصاحبي ، فلم أكن أعلم أن ليس لك أم » . فدهش المخرج وقال إن له أما .

وإذا ماير ينفجر غضباً ويقول : « هل كنت تقذف فى وجهها الطعام الذى تقدمه لك ؟ أكنت تقول لها: خذى هذه النفاية من أمامى . أيّ ولد مهما بلغ به العقوق يجرؤ أن يفعل هذا بأمه ؟» ، فلما وزع ذلك الفلم رأى الناس فى مشهد العشاء الفتى يمتنع عن العشاء ، ولكنه يعتذر عن امتناعه بكلمة رقيقة : « عفوك ياأماه ، فلست جائعاً » .

نشأ ماير فى مدينة سان جون فى مقاطعة برنزويك فى كندا فى أحوال أدنى ما تكون إلى الفاقة ــ وقد ثأر لنفسه من فقره فى صباه بإخراج أحفل الأفلام بمظاهر الثروة والترف . فهو يحوّل حانة الرقص الزرية إلى مكان يشبه بلاط فرساى ، وسباق الخيل العادى إلى أعظم سباق وأروعه ، ولا يرضى عن فندق يكون دون فندق والدورف أستوريا فخامةً وجمالا . ولن تجد فى أفلام ماير إلا مشاهد تفوق ما يماثلها فى الحياة ضخامة وروعة .

وقد جاءه أحد المنتجين ذات يوم ليطلعه على ما انتهت إليه مفاوضاته مع أحد المؤلفين من أجل شراء روايته لصنع فلم منها ، فقال له : « إن الرواية تصلح لإخراج فلم عظيم ،

ولـكن لاسبيل إلى شرائها . فمؤلفها يطلب مئة وخمسين ألف ريال ، وأنا أرى أنها لا تساوى أكثر من مئة ألف ريال » .

فقال له ماير : « أتعنى أن الرواية تصلح لإخراج فلم عظيم إذا اشتريتها بمئة ألف ريال ، ولا تكون كذلك إذا كانت بمئة وخمسين ألف ريال . اسمع ياصاحبى ، إن الفلم العظيم فلم عظيم ، وإذا كان فلما جيــــداً أدرّ عشرة ملايين ريال . وليت شعرى ، ما قيمة خمسين ألف ريال ؟ »

كان ماير فى الحادية والعشرين من عمره يوم هجر سان جون إلى بوسطن ، بعد أن ادخر بعض المال من العمل فى تجارة أبيه . وكان المسرح فى بوسطن قد استهواه فى رحلاته السابقة إليها ، أما اليوم فقد اشترى مسرحاً قديماً رثاً للملاهى الغنائية كان يعرف باسم الجوهرة ، ودفع ٦٠٠ ريال من أصل ثمنه ، فنظفه وطلى جدرانه القذرة بالبياض ، وأنشأ له فرقة موسيقية من السيدات للعزف فيه ، واختار بعضهن من سيدات الطبقة الراقية ، وأعد لحفلة الافتتاح فلم « صلب الأكمه » ، فبيع كل مقعد فى الدار .

اليوم الثم ماير منذ ذلك اليوم . فى طريق ولم تكلا يلوى على شىء ، كأنه سيارة قوية رائعة فى طريق منحــدر ، وسرعان ما أمكنا نجاحه الأول فى مسرح « الجوهرة »

من شراء طائفة من المسارح لعرض الأفلام ، وما كسبه من هــذه المسارح أتاح له أن يشترى وكالة لتوزيع أفلام السنما .

وفى سنة ١٩١٧ زحف ماير على هوليوود تصحبه آنيتــا ستيوارت ، وفى جيبه عقد اتفاق معها ، فكانت أفلامه الأول موفقة ، دون أن تكون رائعة . ولكنه لم يكد يبدأ العمل فى صناعة السنما حتى وفق إلى نجاح باهر ، فقد استأجر من كارل ليمل مخرجاً شابا فى الثالثة والعشرين من عمره اسمه إرفنج تالبرج ، وسرعان ماثبت أن تالبرج لايشق له غبار فى صناعة السنما . وقد أجدت براعته الفنية على ماير ربحاً عظيما ، فظلا شريكين مدة اثنتى عشرة سنة أخرجا فى بحرها طائفة من أبقى الأفلام ذكراً ، منها « العرض العظيم » و « تريد رهورن » و « الفندق الكبير » و « ثورة على السفينة بونتى » .

وفى سنة ١٩٢٤ رأى ماركوس لو ، وكان يملك طائفة من مسارح السنما وشركتى مترو وجولدوين ، أنه فى حاجة إلى ستوديو آخر حتى يستطيع أن يسد حاجة مسارحه إلى الأفلام ، فتقدم ماير وعرض عليــه عرض الكريم وســائل الإنتاج التى أقامها ، ولم يطلب منه فى مقابل ذلك سوى حصة فما يصيبه من ربح الإنتاج . فرأى « لو » أن هذا طلب معتدل ، فاندمجت

الشركات الثلاث : مترو — جولدوين — ماير . وقد بلغ ما تقاضاه من الشركة وفقاً لهذا الاتفاق ملايين كثيرة من الريالات .

ومن الروايات التى ورثتها الشركة الجديدة من شركة جولدوين رواية « بن هور » ، التى لم يتم إخراجها ، وكانت قد كلفت مليون ريال أو نحوه ، ولم يصنع منها سوى فلم طوله بضعة آلاف قدم ، لا يعد شيئاً مذكوراً . وما كان أحد يعلم يومئذ أين مكان الجماعة التى تخرج ذلك الفلم ، ولكن كان الغالب على الظن أنها فى إيطاليا تصور مشهد سباق المركبات الهائل فى ميدان مكسيموس بروما . وكان الرأى أن مشروع هذا الفلم صائر إلى الإخفاق — وأن الخير فى العدول عنه .

بيد أن ماير أرسل مخرجاً إلى إيطاليا ليبحث عن مقر الجماعة ويعود بها ، وشيد فى أرض الشركة بمدينة كلفر ميداناً كميدان مكسيموس كلفه مالا كثيراً ، ولكنه أنجز الفلم ، فاستغرق إنجازه سنة أخرى ومليوناً ثانيا من الريالات . وقد بلغ مجمل دخل « بن هور » عشرة ملايين ريال ، ولا يزال يعد من أجدى الأفلام على صانعها .

ولم يزل ماير منذ اندمج فى شركة مترو جولدوين ماير ، أبرع رجالها فى استكشاف مواهب الذين يصلحون للتمثيل فى السينما .

وأكثر الكواكب الذين بنت لهم هذه الشركة مجداً عالياً فى عالم السينما ، لم ينالوا ما نالوه إلا بفطنته ودقة حسه . فقد رأى فى سنة ١٩٢٠ ممثلة شقراء تعمل فى ستوديو بمدينة برلين ، وكانت أقرب إلى اللاعبة الرياضية منها إلى الممثلة الرشيقة ، فقال لصحبه : « أتدرون أن هذه الفتاة تنطوى على شىء عظيم ؟ »

فكان الرد الساخر : « وذلك الشىء هو عضلاتها ، فهى أشبه ببطل المصارعة » .

ولكن ماير أصر على رأيه ، وقال : « سأعقد معها اتفاقاً » وفعل ، ثم أمرها أن تلزم نظاماً دقيقاً فى أكلها ، وسافر بها إلى أمريكا ، وعلمها الإنجليزية ثم جعلها تمثل فى فلم « الشيطان والجسد » وسرعان ما وافقه كثير من الناس على أن جريتا جاربو تنطوى على « شىء عظيم » .

وماير أيضاً هو الذى اختار ممثلا ضخم الجثة كان يعهد إليه بدور الشرير فى الأفلام وجعل منه كوكباً تخفق له القلوب ، فصار أجلب الكواكب للربح فى صناعة السينما — ذلك هو كلارك جيبل . واطلع ذات يوم على صور ممثلة عجوز مضى زمنها ، وكانت تعيش عيشة الضنك فى إحدى ضواحى نيويورك ، فأرسل يستدعيها وحولها إلى التمثيل فى السينما ، فإذا هى مارى درسلر . وفى سنة ١٩٣٤ سمع فتاة صغيرة نحيلة لا شىء من الرشاقة فى

حركاتها، وكانت تغنى فى مسرح، وكان صوتها رخما، ولكنها كانت تبدو بعيدة البعد كله عن النجاح فى السنما. فظل ماير يدربها سنتين كاملتين، وخلع عليها الثياب الجميلة، وأمر بتصنيعها حتى صارت جميلة، وطمأنها حتى صارت تثق بنفسها — فإذا هى جودى جارلند.

وقد اشتهر ماير بعنف غضبه، ويعزو أطباؤه ما يستمتع به الآن من عافية الشباب ونشاطهم إلى فورات غضبه. والحق أن نشاطه العجيب يضنى جماعة الرجال الأشداء الذين يعملون معه، وقد ظل يسوق سيارته بنفسه حتى صرفه عن ذلك فريق من أصدقائه الذين يحبون الخير العام. وهو رجل مضياف ولكن حسن الضيافة فى نظره هو أن يدعو صديقاً إلى الفطور معه فى الساعة السادسة صباحا، ثم يمضى به فى سيارته يسوقها بسرعة مخيفة. أما اليوم فقد صار له سائق يسوق سيارته، ولكنه لا يزال يبدأ يومه فى الساعة السادسة صباحاً. فإذا كانت التاسعة والنصف كان فى مكتبه فى الاستوديو فيكب على عمله كأنه قطار مندفع حتى الساعة السادسة مساء. ويعنى بمشاهدة فلم أو فلمين، ثم يذهب إلى مرقص، وقد بدأ يتعلم الرقص منذ سنوات. علاجاً من الأرق، فصار اليوم من أبرع راقصى الرومبا فى هوليوود، وكثيراً ما يرقصها ساعتين متواليتين، فإذا توقفت الفرقة عن العزف غضب غضباً شديداً.

ومنذ سنتين سقط ماير عن جواده فكسر عظم الحوض، فظل نشاطه الفوّار معتقلا فى الفراش عدة أشهر. فلما أبلّ وعاد إلى الاستوديو، لاحظ شركاؤه تغيراً هالهم أمره، فقد كان برغم عافيته هادئاً ساكناً، وكان لا يرفع صوته فى وجوه الممثلين كما ألفوه. وكان زملاؤه يرون أن هناك صلة وثيقة بين نجاح الشركة وفورات غضبه، فظنوا أن نفسه قد فترت، وأن اهتمامه بالعمل قد ضعف.

ولكن محرجاً من منافسيه أعاد الرجل إلى ما كان عليه. فقد حدّثه بالتلفون ذات يوم يريد أن يأخذ كوكبين من كواكب مترو جولدوين ماير للتمثيل فى فلم يعنى بصنعه، وبدأ حديثه بكلمة رقيقة فيها ثناء على ماير فقال: «أنت تعرف ياصاحبى أنك رجل عظيم، والعظماء نوادر، فمن حقنا عليك أن تعنى بنفسك وبصحتك». ثم ذكر ما يريد وكأنه يعتذر. وإذا ماير ينفجر غضباً، وبلغ غايته فى تخير ألفاظ السب والشتم التى انهال بها على محدثه، وكان صوته نخماً رناناً يدوى فى أرجاء البناء، فتجمع الموظفون فى الدهاليز، وكف الكتبة وسائر المديرين عن عملهم — وجعلوا يصغون ويبتسمون — لقد عاد ماير إلى ما كان عليه، وإذن فشركة مترو جولدوين ماير لا تزال بخير!



باتريشا لوكريدج
مختصرة من مجلة
"وومانز هوم كومبانيون"

سوف يُودى الإجهاض فى هذا العام بمئات من النساء ، ويدع ألوفاً سواهنّ نساء عواقر ، أو مصابات بداء لا برء منه . والإجهاض فى ثلثهن جميعاً يجىء من تلقاء نفسه ، أو يكون علاجاً يقتضيه الطب ، ولكن سائرهن يجهضن بمحض اختيارهن ، سواء فى ذلك من تصنع شيئاً لتحدث الإجهاض ، أو تلجأ إلى من يجهضها إجهاضاً يحرمه القانون .

وثمة عشرات من المصانع تبيع كل سنة من العقاقير المجهضة ما يقوّم ثمنه بملايين من الجنيهات ، فلذلك ترى أصحاب مصانع العقاقير المرخص لها ، ترحب أحسن ترحيب بحملة تشنها الحكومات على مصانع العقاقير المجهضة ، بعد أن طال أمد تهاونها .

إن ٩٠ فى المئة من أعمال الإجهاض التى يحرمها القانون ، تقترفها نساء متزوجات تتفاوت أعمارهن بين ٢٥ سنة و ٣٥ سنة ، ممن أنجبن ولدين أو ثلاثة أولاد . فالسيدة س مثلا أمّ ثلاثة ، فلما حملت بالرابع عزمت لأسباب اقتصادية أن لا يكون لها ولد رابع ، فأشارت عليها جارة لها : « اذهبى إلى الصيدلية واشترى بعضاً من حبوب الإرجوت والكينا ، فهى كفيلة بما تريدين » . وقد أوحت الجارة إلى السيدة س فيما قالته لها أن هذه طريقة لا تخطىء ، وأنها مأمونة المغبة ، فماتت السيدة س بعد أسبوع .

وقد قص على الدكتور توماس لينارد ، الطبيب سابقاً فى مستشفى جالينجر البلدى فى مدينة وشنطن ، قصة امرأة أخرى كانت فى أوائل حملها ، فجىء بها إلى المستشفى مصابة بالتسمم من حبوب الإرجوت . وكانت فى غشية ، تنفث الدم من فمها ، وتوشك أن تصاب بالأكلة (الغنغرينا) وهى النتيجة المخوفة لتسمم الإرجوت . وقد تبين الطبيب فيما بعد أنها دأبت على أخذ الإرجوت والكينا كل يوم منذ أربعة أسابيع ، ومرت الأيام ولم تجهض ، فألح عليها اليأس فضاعفت مقدار ما تأخذه من العقّارين ثم جعلته ثلاثة أضعاف حتى ساءت حالها ، فلم ينقذها من الهلاك سوى معجزة طبية .

وقد أجمع كبار أطباء الولادة وأمراض النساء على أنك لا تجد عقاراً ولا مجموعة

من العقاقير التى تؤخذ بالفم ، تستطيع أن تحدث الإجهاض . وتصديق هذا الرأى والأخذ به ، كفيل بإنقاذ ألوف من النساء كل سنة من الهلاك .

وقد قال لى الدكتور جوردن جرينجر ، طبيب أمراض النساء فى إدارة الطعام والعقاقير فى أمريكا ما يلى : « إن ذيوع شهرة العقاقير المجهضة مردُّه إلى أنها تعيد الحيض إلى نساء يحسبن أنهن حوامل ، ولكنهنَّ لسن حوامل ، وكلُّ ما بهن أن أبطأ الطمثُ عليهن بتأثير الهم وتعب الأعصاب . فيأخذن الحبة ، وتمر الأيام فتستقيم أمورهن ، ويزول ما يعانينهُ من متاعب الحيض . وقد كانت خليقة أن تستقيم سواء أخذن هذه الحبوب أو لم يأخذنها . ولكنهن ينسبن هذا النجاح إلى أثر العقار ، فتكبر هذه الخرافة وتذيع » .

ومنذ سنوات صنع مصنع ألمانى للعقاقير يدعى ميرز وشركاؤه فى مدينة فرانكفورت دواء مجهضاً بدأ يبيعه فى الولايات المتحدة ، وكان القانون فى ألمانيا قد حرَّم هذا الدواء لأنه أودى بحياة كثيرين من النساء أو أورثهن آفات لا تبرأ . وأنشأت شركة ميرز مصنعاً فى ولاية نيوجرسى بالولايات المتحدة ، فباعت فى الأشهر الأولى من هذا العقار ما يقوَّم بأربعين ألف جنيه . وأدرك اثنان من رجالها يسْرَ صنع هذه المادة ، فتركا الشركة وأخذ كلٌّ منهما يصنع هذا الدواء لحسابه الخاص .

وهذا الدواء حين يحدث الإجهاض غير الطبيعى ، يصل إلى دورة الدم فتنطلق منه مواد سامَّة ، يعقبها موت عاجل لا يغنى الطبُّ شيئاً فى ردِّه ، ففى بحر ثلاث ساعات أو أربع ساعات يسكت القلب . وليس ثمة وسيلة تعين على تقدير أثر هذا الدواء : أهو الإجهاض أم الموت . وقد جعل المجهضون غير الشرعيين يستعملونه لأنه يختلف عن عملية الكحت فى أنه لا يترك أثراً بعد الوفاة . بل بلغ الأمر من شركة ميرز أن نصحت باستعماله فى إجهاض يقتضيه العلاج .

وقد اشتراه كثيرون من أطباء الريف وهم يجهلون أخطاره ، وقد استعمله طبيب حسن النية فى ولاية إلينوى فى إجهاض أراد به علاج مريضته ، فخارت قوة المرأة فى عيادته وازرق وجهها وانقطع نفسها ، فهرع بها إلى المستشفى حيث أسعفت بالأكسجين لساعتها ، ولو لم يفعلوا لهلكت ، بيد أنها سوف تبقى سقيمة بقية حياتها .

وقد تبيَّن المحققون أن صنع هذا الدواء قد انقطع ، ولكن الوفاة من جرائه لم تنقطع ، ذلك بأن اثنين من الذين يصنعونه أغلقت مصانعهما وسجنا ، ولكنهما أبرقا

قبيل ذلك إلى زبائنهما أن يخزنا منه مايستطيعان ، والرأى أن كثيرين من المجهضين اشتروا منه مقداراً كبيراً .

والحكومة ماضية فى كفاحه ، ولكنها تحتاج إلى مؤازرة النساء . والغرض الأول ولا ريب ، هو مكافحة فكرة الإجهاض نفسها ، ولا يقلُّ عنها شأناً أن تصمت الألسن التى تتحدث عن الإجهاض الهين المأمون . وينبغى لأساتذة المدارس التى تدرّس فيها المسائل الجنسية ، أن يوضحوا مخاطر الإجهاض الذى تحاول المرأة أن تحدثه بنفسها . إن كلة الإجهاض كلة بشعة ، بيد أن كلمتى الإهمال وقلة المبالاة ليستا أقلّ منها بشاعة .



كانت جماعة من الطيّارين الأمريكيين تقضى أيام النقاهة فى مستشفى بإنجلترا ، وكان أحدهم « جم ديفس » بادى الهم ، فزوجته سوزان فى أمريكا وقد دنا موعد وضعها وفات دون أن يتلقى كلة من أهله عنها ، فاستبدّ به الخوف أن يكون الأمر على غير ما يرام ، وأن أهله يحاولون جهدهم أن يرجئوا إطلاعه على الحقيقة .

وإذا طيار لا يعرفه من جناح آخر فى المستشفى قد دخل علينا فجأة وهو يلوّح بورقة فى يده ، وصاح : « أبينكم أحدٌ اسمه جم ديفس » ، فنهض صاحبنا جم والخوف يقعده ، فأقبل عليه الطارىء وأعطاه الورقة وقال: « أهنئك يا أخى » .

فقرأ جم البرقية بصوت يرتعش فإذا هى : « الأم والابنة فى حالة جيدة . رسالة بالبريد » . فطارت نفسه فرحاً وأمسك بالذى حمل النبأ إليه وصارا يرقصان وهو يصيح : « يسرنى أن أراك يا أخى . أهلا ! أهلا ! » . ولكن الشىء الغريب الذى استوقف نظرنا هو أن الرجل الآخر كان أيضاً مبتهجاً ، فجعل يصيح : « وأنا أيضاً يسرُّنى أن أراك » . .

فقال جم مستريباً : « وما سبب فرحك ؟ »

فقال : « لأنى وجدت هنا رجلا آخر اسمه كاسمى ، فقد تلقيت هذه البرقية اللعينة منذ يومين — وأنا يا أخى لم أعد إلى بيتى منذ سنتين ! » .

[فرنسيس ريدر]

فن الحيـــاة

لن يوتانج

مقتطفات من كتاب هذا الفيلسوف الصيني المعاصر

سوف أقدم بين يديك رأياً فى الحياة كما انتهت إليه ألطف العقـول الصينية وأحسنها حكمة . فنحن معشر أهل الصين لا نرى الحياة ميدان جهاد ، بل هى عندنا مؤلفة من أعمالنا فى كل يوم : من مأكل ومشرب ونوم ، ومن لقاء ووداع لأصدقائنا ، ومن اجتماع وافتراق ، ومن ضحك وبكاء ، ومن سقى زهرة ناضرة ومشهد مصرع جار قد سقط من سطح داره . وقد أدرك أهل الصين هذا أحسن إدراك ، فمن أجل ذلك نشأت لهم فى فهم الحياة فلسفة لطيفة ، وأكاد أقول مرحة .

والمشكلة الوحيدة التى يرى لها الفيلسوف الصينى شيئاً من خطر الشأن هى : كيف نستمتع بالحياة ؟ وهو يقدم على بحث هذه المشكلة غير حريص على التماس الكمال ، ولا كادح فى طلب المحال ، بل ينظر إلى هذا الإنسان الضعيف الفانى كما هو ، ولا يزيد على أن يسأل نفسه : كيف نستطيع أن ندبر أمور حياتنا حتى يُتاح لنا أن نعمل فى أمن وسلام ، وأن نصبر على البلوى فى نُبْل ، وأن نقضى أيامنا فى سعادة ؟

والعالم ، فيما أرى ، محتاج إلى هذا الرأى الحكيم المبتهج فى نظرته إلى الحياة . فالإنسان فى زمننا هذا قد أصبح متزمتاً مغالياً فى الجد ، ومن أجل ذلك امتلأت دنياه بالقلاقل والمتاعب .

فن الكســل

الثقافة بنت الفراغ والراحة . وأهـل الصين يرون أن أحسن الناس ممارسـة للكسل هو أحسنهم ثقافة ، ويبدو لهم أن هناك تناقضاً بين كثرة العمل والحكمة ، فالرجل الحكيم لا يتأتّى له أن يكون كثير العمل ، والرجل الكثير العمل لا يتيسر له أن يكون حكيما .

ورذائل أهل أمريكا هى عند أهـل الصين : قدرتهم على العمل ، ودقتهم فى أدائه ، وشدة حرصهم على النجاح . وهذه الثلاثة هى التى تجعل أهل أمريكا على هذه الحال

من الشقاء وحدة الطباع ، وهى التى تسلب أهل أمريكا حقهم الطبيعى فى ممارسة الكسل ، وتخدعهم عن أيام كثيرة فتسرق منها ساعات الأصيل الحافلة بالراحة والجمال .

والفن الجميل الذى تعرف به كيف تنجز الأعمال ، يقابله فن جميل آخر تعرف به كيف تدع الأعمال فلا تنجزها . وأحكم الحكمة فى الحياة أن تعرف كيف تصرف وجهك عن كل شىء لا ضرورة له . فأنت إذا حرصت على المبادرة فى الرد على الرسائل التى تتلقاها ، أو حرصت على أن تدع هذه الرسائل ولا تكلف نفسك مؤونة الرد عليها البتة ، فعاقبة الأمرين سواء على وجه العموم. ولو أنت تركت هذه الرسائل فى درج مكتبك ثلاثة أشهر ، ثم فضضتها وقرأتها ، لاستيقنت عندئذ أنك لو كنت رددت عليها لما كان الذى فعلت سوى إضاعة وقت لا جدوى منها .

ومن أغرب الإعلانات الأمريكية التى قرأتها وأدلها على طباع الأمريكيين ، هذا الإعلان الذى نشرته إحدى شركات الهندسة « مقاربة الإتقان ليست بكافية » . أما الصينى فعنده أن مقاربة الإتقان كافية كل الكفاية . ونحن نعتقد أن القدرة على العمل لا تدع لأحدنا فراغاً يروح فيه عن نفسه ، وأنها ترهقه شططاً بحرصه على إتقان الشىء الذى يعمله . خذ مثلا محرر مجلة أمريكية، فهو يقتل نفسه حرصاً على أن لا تظهر فى مجلته أخطاء مطبعية ، ثم انظر إلى المحرر الصينى فهو أحكم منه رأياً . إنه ليسره أن يتيح لقرائه أن يستمتعوا بالرضى عن أنفسهم حين يعثرون على بضعة أخطاء يهتدون إليها بأنفسهم . وأعظم من ذلك أن المجلة الصينية تستطيع أن تبدأ فى نشر قصة مسلسلة ، ثم لا تكاد تبلغ منتصف القصة حتى تسقطها من حسابها كأن لم تكن . ولو حدث مثل ذلك فى أمريكا لكان بلاء ماحقاً على المحرر ، أما فى الصين فذلك « أمر هين » ، لا لشىء إلا لأنه « أمر هين » .

والمهندس الأمريكى يحرص أشد الحرص حين يحفر نفقاً فى جبل مثلا، أن يلتقى الحفر من هنا والحفر من هناك بحساب لا يخطىء عشر معشار بوصة . أما فى الصين ، فلو بدأ رجلان يحفران نفقاً فى جبل ، هذا من ناحية وذلك من الناحية الأخرى ، فأكبر الظن أن ينتهى هذا فى مكان ، وينتهى الآخر إلى مكان بعيد عنه. والشركة الهندسية الصينية التى تتولى الحفر تعتقد أن هذا « أمر هين » ، ما دام النفق قد تم حفره . وفيم الغضب وقد ظفرنا بنفقين صالحين مكان نفق واحد ؟

إن التوقيت الدقيق فى الحياة الأمريكية

يحيل الإنسان إلى ساعة دوّارة ، وهذا هو السر الذى يجعل الحياة فيها كأنها حمى. فالرجل الذى يحرص على أن يكون فى مكان مّا فى الساعة الخامسة تماما ، لا ينتفع البتّة بوقته ما بين الواحدة إلى الخامسة ، فهو وقت يدمّره هذا الحرص على التوقيت، وكل رجل فى أمريكا يقسّم أوقاته كأنه طفل فى مدرسة — الساعة الثالثة لكذا ، والساعة الخامسة لذاك ، والسادسة والنصف لتغيير ثيابه ، وفى الساعة السادسة وخمسين دقيقة يكون فى سيارته ، وفى الساعة السابعة تطأ قدمه أرض المكان الذى فيه ميعاده . ولا ثمرة لكل هذا إلا أن تصير حياة المرء سخيفة لا تستحقّ منه أن يحياها .

وقد بلغ الأمريكيون بذلك مبلغاً يستحق الرثاء والشفقة ، فكل امرىء منهم مقيَّد بمواعيد — لا فى غده فحسب ، بل فى شهر كامل يستقبله . أما فى الصين فالمواعيد المضروبة لأجل بعيد شىء غير معروف عندنا . وإذا تلقى الصينى بطاقة دعوة إلى مأدبة مثلا ، فليس فرضاً عليه أن يجيب بقبول أو رفض ، بل غاية ما عليه أن يكتب على البطاقة « عرفت » ، فذلك دليل على أنه عرف خبر الدعوة ، غير مصرّح بنية أو وعد .

وإنه ليسرنى أحياناً أن أتخيل يوما أرى فيه مدينة نيويورك وقد هدأت وآثرت بطء الحركة ، فأرى الأمريكى المسرع العجلان فى طلب ما يريد ، قد انقلب صينياً مكسالا ، وأرى رجل الشرطة واقفاً يحيي أحد المارة فى الطريق ، وسائق السيارة يقف سيارته ليحيى زميلا له ويجاذبه بعض الحديث عن الطير والأزهار ، وأرى الرجل أمامه كأس من البرتقال فيقضى فى شربه نصف ساعة لا بضع ثوان وحسب .

وإنه ليحزننى أن أعلم أن هذا الحلم لن يتحقق قط فى مدينة نيويورك ، وأن الأمريكى سوف يظل محروماً من التمتع بالأصيل يقضيه خالى البال متلذّذاً بساعات من الكسل .

النهر الخالد

يقوم بناء الأسرة الصينية على مذهب فى الحياة أستطيع أن أسميه مذهب « نهر الحياة » ، وهو مذهب يجعل الخلود شيئاً تكاد تراه بعينك وتحسه بيدك . فكل جدّ من رجالنا يحس ، حين يرى أحفاده وهم فى طريقهم إلى المدرسة ، أنه قد ارتدّ حقاً إلى حياة الطفولة مرة أخرى ، وأن حياته هو ليست سوى جزء من حياة أسرته التى تتدفق فى نهر الحياة إلى أبد الآبدين .

وتصوُّر الحياة على هذا النهج يجعل نظرة

المرء إلى كل شيء نظرة ممتدة إلى آفاق بعيدة ، فإنه لم يعد ينظر إلى الحياة على أنها شيء يبدأ وينتهى بمولد الفرد ثم موته . ومن أجل ذلك صار للنجاح فى الحياة عند أهل الصين معنى غير معناه عند أهل أمريكا. فالمثل الأعلى عند الصينى هو أن يعيش عيشة لا تجلب العار على أسلافه ، وأن ينجب أبناء لا يجد فى نسبتهم إليه عاراً يشينه .

وقد بذلتّ جهوداً لا تكل فى المقارنة بين حياة الشرق وحياة الغرب ، فلم أجد فرقا أشد جلاءً وظهوراً من نظرة كل منهما إلى كبر السن . وعلى طول ما عشت فى بلاد الغرب لا أزال أجدنى فى دهشة من نظرة الغربيين إلى كبر السن . وقد سمعت مرة سيدة عجوزاً تذكر أنه قد ولد لها عدة أحفاد ولكن: « الشعور بالنكبة لا تكون إلا عند مولد الحفيد الأول » . ومع علمى أن الأمريكى يمقت أن يكون عند أحد من الناس إنساناً كبرت سنه ، إلا أننى لم أكن أتوقع أن يعبر أحد عن هذا المقت بمثل هذه الكلمة النابية التى جرت على لسان هـذه السـيدة . أما عندنا فالمرء إذا بلغ الحادية والخمسين فذلك يوم فرح عظيم وابتهاج ، فإذا انتهى إلى الحادية والستين والحادية والسبعين فذلك عيد من أسعد الأعياد وأجلها شأناً ، فإذا أفضى إلى الحادية والثمانين من عمره فهو يومئذ رجل مقدّس محبوب عند الأرباب .

لماذا لا تستمتع بالحياة ؟

كل فلسفة صادقة صالحة للتطبيق فى الحياة ، فلا بد من أن تدرك قيمة المعدة فى حياة الإنسان . انظر كيف تشرق نفس الصينى إشراقاً إذا جلس إلى مائدة فيها طيبات الطعام؟ إن الصينىّ يعتمد على الفطرة، والفطرة تقول له : إذا صلحت المعدة صلح كل شيء فى الحياة . فمن أجل ذلك ترى الصينيين لا يتكلفون الحشمة والحياة فى إبداء تلذّذهم بالمأكل والمشرب . فهذه الأشياء التى يسمونها آداب المائدة هى التى تلقى بالطفل الغربى فى سراديب الأحزان منذ اليوم الذى تنهاه فيه أمه عن إبداء تلذّذه بطعامه بمص فمه ولحس شفتيه . وهكذا طبيعة البشر ، فالمرء إذا كف عن إبداء فرحه وسروره ، لم يلبث أن يفقد الشعور بالفرح والسرور ، وعاقبة ذلك أن تستبدّ به الكآبة والأحزان . وفيم كل هذا الشقاء وكل هذا الوقار الذى يبدو فى أسارير الأمريكى وهو يأكل ؟ أليس الأجدر به أن يقلد الفرنسى ويزمزم تلك الزمزمة الفطرية « أوه » حين يذوق طعاما لذيذاً مستطابا جيد الطبخ ؟ وأى عار فى تلذّذ

المرء بطعامه ، وفى أن تكون له شهية طبيعية تنم على الصحة والعافية ؟ ألا إن الصينى لا يحسن أدب المائدة ، ولكن حسبه أن يحسن الاستمتاع بما يأكل على المائدة .

ولأهل الصين أيضاً فلسفة فى الاضطجاع على الكراسي كسلاً وراحة . فالمرء إنما يجلس على كرسى لكى يستريح ، وإذن فكلما اشتد حرص المرء على أن تكون جلسته مريحة فى الكرسى الذى يجلس عليه فى بيت صديقه ، كان ذلك حرصاً منه على أن يبدى لصديقه أقصى الاحترام والتقدير . وفضلا عن ذلك ، فإن حرص المرء على أن يرفع التكليف ويبدى أنه مستريح « فى بيت الصديق » الذى أضافه ، معونة منه يسديها إلى صديقه فى تخفيف الجهد الشاق الذى يقتضيه إكرام الضيف . وكم من ربة بيت تغّص عليها الخوفُ ليلتها ، لأن ضيوفها أبوا أن يرفعوا التكليف وأن يكونوا على سجيتهم وهم فى ضيافتها . ومن دأبى أنا أن أعين ربَّ البيت وربته على حسن الضيافة ، بأن أمدَّ رجلىَّ أو أضعهما على أى شىء ألقاه أمامى من منضدة أو سواها .

مشكلة السعادة

لست أرتاب فى أن سعادة البشر سعادة حسية ، ولذلك ينبغى أن تكون غاية الفلسفة هى أن تقوّى ثقتنا بهذا الجهاز المستقبل الدقيق الذى نسميه « البدن » ، بما أودع الله فيه من حواس الشم والذوق واللمس والبصر والسمع ، فعلينا أن نكون كما شاء الله لنا أن نكون .

ولا ريب فى أن أول نقد يوجه إلى هذا الرأى هو أنه رأى خال من الشعور بالتبعة الاجتماعية ، وأنه يزين للإنسان أن لا يبالى بشىء إلا بما يجد فيه متاعاً لنفسه . وأصحاب هذا الأسلوب فى النقد ، يجهلون ماينطوى عليه قلب من يحب الحياة حباً صادقاً من رقة الطبع ولطف الإحساس . وينبغى أن لا نجعل حب الإنسان لأخيه الإنسان مسألة من مسائل العقل تتطلب الإقناع بالبرهان ، بل ينبغى أن تكون إحساساً مجرداً يتدفق من نفس صحيحة تحب الطبيعة وتعيش فى كنفها . ولن تجد رجلا يحب الشجر حباً خالصاً ، يستطيع أن يؤذى بقسوته حيواناً أو إنساناً من بنى جلدته . والطبيعة هى الطب الأعظم ، ففى هذه الأشجار الباسقة والصخور الساكنة الصامتة ، خواصٌ تبرىء البدن من الشهوات ، وتشفى النفس من أمراضها — من الأثرة والضجر والحقد والبغضاء وسائر مساوىء الأخلاق . ورقة الطباع شىء طبيعى غير متكلف فى النفس الصحيحة الكاملة .

أنت على صواب دائما ؟

حبّ الإنصاف فيما أرى هو غاية الثقافة ومطمح الإنسان المثقف . وليس فى الناس إنسان كامل ، وكل ما يستطيعه المرء هو أن يسعى إلى أن يكون مخلوقاً لطيفاً منصفاً . وإنه ليعجزنا أن نتخيل أزواجاً كاملين وزوجات كاملات لا يقع بينهم شجار قط . وكل ما نستطيع أن نتصوره هو أزواج وزوجات من أهل الإنصاف ، يتشاجرون ثم يتصالحون على أساس من الإنصاف . والرجل الحريص على اتباع المنطق فى تفكيره رجل مستبد برأيه دائماً ، فهو إذن شاذ عن طبيعة البشر ، فهو من أجل ذلك حليف الخطأ . أما الرجل المحب للإنصاف فهو يتهم نفسه ويخشى أن يكون مخطئاً فيما يقول أو يفعل ، فهو من أجل ذلك حليف الصواب . والمفكر اللطيف الفكر هو الرجل الذى تراه يفيض فى الجدال عن رأى من الآراء بإصرار وعناد ، ثم لا يلبث حتى يهجس فى نفسه خاطر يهديه ، فيدفعه حسن فطنته إلى الكف عن هذا الجدال مرة واحدة ، ويسلم لخصمه بأنه مخطىء فيما كان يقول :

كان « تسى سى » حفيد كونفوشيوس حكيم الصين ، يدعو الناس إلى حياة يسودها جمال الإنصاف ، أى إلى مذهب « الاعتدال » فى الحياة . وفلسفته قائمة على أن المثل الأعلى للإنسان هو الرجل الذى يعيش بقسط من ذيوع الصيت يعادله قسط مثله من خمول الذكر ؛ رجل لا يبلغ به الفقر أن يعجز عن دفع أجرة منزله ، ولا يبلغ به غناه أن يستغنى عن العمل ؛ رجل يحسن الضرب على البيان ، ولكنه يحسن من ذلك قدراً يكفيه أن ينال من أصدقائه المقربين حسن الإصغاء ، وأن يكون ذلك سبباً فى رضاه عن نفسه ؛ رجل يستكثر من العلم والمعرفة ولكن دون أن يفضى به حرصه على العلم أن يصبح متخصصاً فى علم بعينه .

وأنا أؤيد كل التأييد أن يكون الفرد فى كل شىء مستقلا بنفسه وهاوياً له غير ممارس . فأنا أحب الفيلسوف الهاوى ، والشاعر الهاوى ، والمصور الهاوى ، والساحر الهاوى . وسرورى حين أسمع صديقاً هاوياً يعزف شيئاً من الموسيقى غير مكترث ولا عابىء ، كسرورى حين أسمع فرقة من أئمة الموسيقى وهم يعزفون عزفاً دقيقاً متقناً . ورأيى أن الفن ينبغى أن يكون فيضاً من نشاط البدن والعقل ، وأن يكون مرسلاً طليقاً لا يعوقه عائق ، وأن يكون فناً من أجل الفن وحده . وأفضل الرأيين عندى هو أن يكون الفن تسلية

ولهواً محضاً من لهو النفس الإنسانية. ولن يتيسر لروح الفن الخالص أن تسود المجتمع وتتغلغل فيه، إلا إذا أتيح لطائفة كبيرة من أهله أن يستمتعوا بالفن على أنه تزجية فراغ غير ناظرين أو طالبين لخلود الذكر. وكان أحب إلى نفسي أن أرى الناس يتهادون في أعيادهم بطاقات مزينة برسوم من صنع أيديهم، مهما بلغ من سوء رسمها، من أن أرى جماعة قليلة من الرسامين المجيدين المحترفين يرتزقون بتزيين هذه البطاقات للناس.

ومن ألطف خصائص العقل الإنساني ما يعرض له من نسيان وطيش وتقلب. تصوّر عالماً لا ترى فيه مَلِكاً يتخلى عن عرشه من أجل امرأة يحبها، ولا رجلا يغير رأياً يراه بل يظل حريصاً أدق الحرص على نهج اختطه لنفسه بوحي من المنطق منذ كان في العاشرة من عمره — ولو كان ذلك لفقدت الحياة كل بهجتها وروعتها، بل لن تجد في مثل هذا العالم يومئذ أدباً ولا فناً، لأنه عالم خلا من ضعف الإنسان، ومن العاطفة الجامحة، وشرٌّ من ذلك كله أنه خلا من المفاجأة التي تثير الدهشة. وإن أخطاء البشر لهي زينة هذه الحياة الدنيا وبهجتها، فلو كان البشر جميعاً ذوي عقل كامل سليم، لانقلبوا إلى آلات دقيقة، ولصار العقل الإنساني آلة تسجل آثار ما يعرض لها بدقة كدقة عدّاد الكهرباء.

ولست أعتقد بأن ثمة حضارة يمكن أن تسمى حضارة كاملة، إلا إذا استمدّت حياتها من البساطة في العيش. وحكمة الحياة في هذه الدنيا هي نبذ ما لا ضرورة له، والرضى بالأشياء التي هي أقرب إلينا من سواها — أي أن نستمتع بالبيت، وبحياتنا اليومية، وبالطبيعة التي تكتنفنا. وأنا على يقين من أن تحت هذا الصخب الذي يغشى الحياة الأمريكية، شوقاً عظيماً يجعل الأمريكي يتوق إلى أن ينزل بقعة من الأرض خضراء معشبة تحت شجرة جميلة ناعمة الظلال، ثم يبقى في ظلالها لا يعمل شيئاً. والأمريكي يأنف أنفة ظاهرة من كلمة «الكسل»، ولكنه في مثل تلك الساعات وحدها يسمع صوتاً في قلبه يقول: «ما أجمل الحياة!»



صورة لفظية : ليلٌ صافٍ كقلب الطفل الوليد

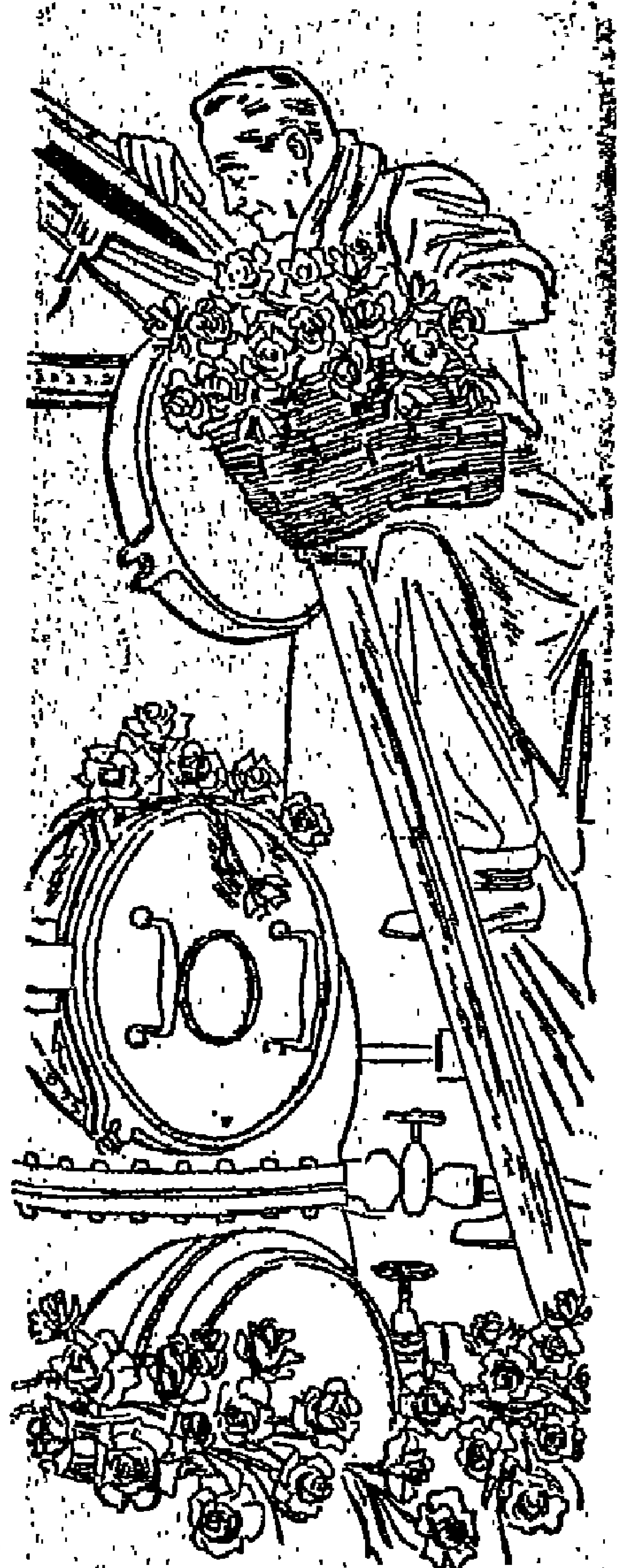
هذه مدينة جراس ، عاصمة صناعة العطور فى العالم

و . ب . كورتنى
مختصرة من مجلة "كوليرز"

أفخر الألقاب التى تخلع على من يشتغل بصناعة العطور ، أنهم يسمونه « أنفاً » لجودة شمه . وينبغى لمن يظفر بهذا اللقب أن يكون قادراً على أن يميز سبعة آلاف نوع من الروائح المختلفة ، وينبغى له أيضاً أن ينال أعلى درجات الجامعة فى علم الكيمياء ، ثم يقضى خمسة عشر عاماً يتدرب على عمله ، ولا يمكن أن يعرف هل هو جدير بلقب «الأنف» إلا بعدها. ولعلك لا تجد فى العالم كله سوى عشرة أو نحو ذلك من هؤلاء « الأنوف » الجديرة بهذا الاسم . ومعظم هؤلاء يعيش بين الأزهار وأوانى العطور فى مدينة جراس بجنوب فرنسا ، ويسعدهم أن يستنشقوا شذاها .

تقوم مدينة جراس على منحدر جبل على ارتفاع ١٢٠٠ قدم فوق سطح البحر الأبيض المتوسط ، وهى عاصمة صناعة العطور العالمية . وليس فى العالم كله بقعة مثلها يكثر فيها أعطر ما يعرف من أنواع الأزهار ، وهى تزرع جميعاً من أجل عطرها . وترى المتخصصين فى جراس لا يكفون عن جوب القارات ، يبحثون عن أزهار لها شذى غير معروف ، يستقطرونه حتى تتطيب به النساء .

والشمس هى أعظم مقطر للعطور ، فتطلق مع الرياح أريج الأزهار والمروج وعبير الغابات والحدائق ،


إعداد الزهر للتقطير

ولكن صانع العطور يعجز عن اقتناص ما تقطره الشمس وتطلقه فى الهواء ، فترى أهل جراس يبادرون إلى قطف الأزهار فى اللحظة التى يتمّ فيها اكتمال أرجها ، حتى يسبقوا الشمس إليه . وهذه اللحظة تختلف باختلاف ضروب الزهر : فزهر القرنفل مثلا ينبغى أن يقطف بعد تعرّضه للشمس ثلاث ساعات متوالية . أما الياسمين — وهو زهرة جراس — فحسبه أن تقع عليه أشعة الشمس يوم يتم أرجه ، حتى يفقد ٢٠ فى المئة أو أكثر من زيته العطرى الثمين فى نقله من الحديقة إلى المصنع .

ومن محاسن المصادفات أن موقع جراس هو الذى يعين مصانع العطور على سبق الشمس إلى جنى عطره فى إبانه . فالمدينة واقعة فى وادٍ طوله ٢٠ ميلا تحف به تلال على الجانبين ، فإذا انتصف الليل هب عليه من البحر هواء عليل حاملا سحابة مثقلة بماء البحر . وتحت هذه السحابة تغشى الأرض رطوبة طبيعية كمثل الرطوبة التى تكون فى البيوت التى تتخذ لتربية النبات والزهر ، فتعين براعم الياسمين على أن تتفتح أحسن ما تتفتح فى الساعة التى تسبق الفجر . فإذا ما تقشعت السحابة مع الشمس الطالعة ، رأيت ما قطف من زهر الياسمين أكواماً ملقاة على أرض المصانع العظيمة .

و « الأنوف » فى مدينة جراس هم كبار أهلها ، ولا يندر أن ترى العمال يتشاجرون . وهم يفاضلون بين « أنوف » المصانع التى يعملون فيها . وكل فتى من أبناء جراس يؤثر أن يصير «أنفاً» على أن يصير مهندساً لأكبر السكك الحديدية فى فرنسا .

بيد أن «الأنوف» جميعاً يصابون بمرض خاص بصناعتهم — مرض الكبد — ويذهب كل منهم إلى فيشى مرة أو مرتين فى السنة ليستشفى بشرب مائها . فهم فى عرف الطب كالذين أدمنوا الخمر ، مع أن معظمهم لا يذوق الخمر أبداً ، ولكنهم يشمون العطور والمركبات المذابة فى الكحول ، فيدخل الكحول إلى أبدانهم من أنوفهم .

وصناعة «الأنف» وراثية على الأكثر ، تنحدر فى الأسر من الآباء إلى ذكورهم — دون البنات . ولا تجد فى جراس ذكر امرأة ما استطاعت أن تصير «أنفاً» حقاً ، لأن النساء لا يستطعن أن يميزن الروائح العطرية كما يستطيع « الأنف » الحق أن يفعل . وإذا أراد «الأنف» أن يستنبط عطراً جديداً مزج فى أنفه روائح مختلفة كما يمزج المصوّر أدهانه .

والحق أن لكل زهرة معروفة ضرباً من العطر ، وقد تختلف رائحة الزهر

فى الضرب الواحد باختلاف المكان الذى تنمو فيه أو باختلاف لون الزهر . وفى وسع « الأنف » أن يشم زهرة فى الظلام ثم يقول لك ما لونها .

وشذا الأزهار مادة لا ريب فيها ، وفى وسعك أن تصوّرها وأن تزنها . وقد صوّرت منذ عهد قريب فى تجارب أجريت فى الولايات المتحدة ، فإذا هو ضرب من الإكتوبلازم لا تراه العين ، ثم يصعد من قطرات صغيرة من الزيت توجد فى الزهرة وأوراق النبات وجذوعه وجذوره وبذوره وثماره ولحائه وسُوقه .

وليس لصناعة العطور غنى عن زهر الورد والياسمين ، فكلُّ عطر جيّد يحتوى على قدر من إحدى الزهرتين أو من كلتيهما . وفى وسع « الأنف » أن يستعين بإحدى الرائحتين ، فيصنع رائحة أية زهرة يريد . بيد أن تقليد شذا الورد أو الياسمين بالتركيب الكيميائى أمر مستحيل .

وصنع المواد التى تتخذ قاعدة لعطر من العطور لا يقتصر على شذا الأزهار وحسب، بل يشمل رائحة مواد كثيرة — الدريس والزنجبيل والكافور والفلفل والقرفة والراتنج والعرعر والفانيلا . وقد تستنشق نفحة من عطر السرو تفوح فى الليل ، فلا يخطر لك أن فيه أثراً من رائحة الطباق ، ولكن هذه الرائحة قوية فى بعض العطور فلا تخفى عليك . ويقول « الأنوف » إنهم استنبطوا هذه العطور للنساء المطلقات ، حتى يستطعن أن ينصبنها شراكاً لتصيُّد الأزواج بعد أن تقدمت بهنّ السنّ .

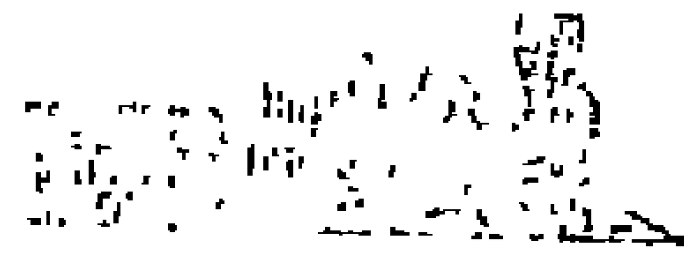
وفى أواسط أوربة ضرب من الشجر تستخرج من لحائه رائحة تدخل فى صنع طائفة من العطور تعرف بما يفوح منها من رائحة « الجلد الروسى » . وكذلك يؤخذ الطحلب النامى على شجر فى بلاد التيرول ، فيدخل فى صنع طائفة العطور المعروفة باسم « شيبر » . وقد يدهشك أن تعلم أن زيت الخروع أهم عنصر فى تركيب عطر ذائع الشهرة .

وهناك أساليب كثيرة لاستخراج الزيوت العطرة من الأزهار ، وأقدمها أسلوب « امتصاص الرائحة » ، فتوضع الأزهار على طبقة من دهن الضأن أو الخنزير ، فيمتصّ الدهن شذا الأزهار . فإذا تشبع الدهن بالشذا صار « مرهما » ، ثم يغسل بالكحول أو يستقطر فيستخرج منه الزيت العطر . وثمة أسلوب قديم آخر هو التقطير بإمرار البخار على الزهر ، فإذا تكثف البخار وصار ماء ، فصل الزيت العطر من الماء بطريقة معقدة من الأنابيب ، يعتمد فيها على أن الزيت يطفو على سطح الماء .

وأحدث الأساليب أسلوب استخراج الزيت العطر بالبترول ، فيؤخذ بخار الأثير المستخرج من ضرب خاص من البنزين ، ويمرُّ فى دنان مختومة وضعت فيها الأزهار، فيمتصُّ الغاز عطرها ، ثم يفصل العطر من الغاز بالتقطير .

ويقتل صناع العطور عدداً لا يحصى من الحيوانات طلباً للعنبر أو الزباد أو المسك — وهى ثلاثة طيوب تنفح فى العطر «حياة» ، ولا تجاريها فى ذلك أية مادة أخرى صناعية أو طبيعية . والعنبر يستخرج من ضرب من الحيتان، وليس يُعرف كنهه على التحقيق وهل يخرج من فم الحوت أو من مكان إفرازه . أما الزباد فأكبر مصادره بلاد الحبشة وهو يستخرج من إفراز تفرزه قطط الزباد الكبيرة. وهى تحبس ثم يأخذون إفرازها مرة كل أسبوعين . أما المسك فيؤخذ من أكياس جافة فى ذكر غزال المسك ، الذى يولع أهل التبت بصيده حتى صار يخشى عليه أن ينقرض .

ويتم تركيب العطور وفقاً لوصفات يحرص أصحابها على كتمانها . وأهل جراس يعرفون كيف ينتفعون بها ، حتى صار رجال هذه المدينة من أغنى رجال المدن الفرنسية .



على رخام القبور

هنا يرقد بير فكتور فورنيه ، « مخترع المصباح الخالد » الذى لا يستهلك إلا قدر مليم من الزيت فى الساعة . كان ابناً باراً وأباً صالحاً وزوجاً كريماً . إن أرملته التى لا تتعزّى عن فقده تواصل عمله فى « رى ده تروا » والبضائع ترسل إلى جميع أحياء المدينة . خذوا حذركم من الدكان المقابل .
[من مقبرة فى باريس]

أقيم لذكرى جيمز راندوم ، الذى توفى فى ٦ أغسطس ١٨٠٠ . إن أرملته الحزينة على موته حزناً يتطلّب السلوان ، عمرها ٢٤ سنة . وهى متصفة بجميع الأخلاق التى تؤهلها أن تكون زوجة صالحة ، وتسكن فى ٤ شارع شرش من هذه القرية . [من مقبرة فى ولاية ماساشوستس بأمريكا]

قصة مدارس برلتز و « طريقتها » التي نشأت عن ضرورة طارئة فصارت اليوم معهداً عالمياً عظيماً .

هنا يتحدثون بجميع اللغات

روبرت سلمر

مختصرة من مجلة "لايف"



وقعت في يد الشيخ البدين « جاك سترومبين داري » مقالات عن كلب يستطيع أن يقول كلمة : « أريدها » بصوت واضح مرتفع ، ولم يكد يقرأها حتى ابتسم . وقد كان هذا الشيخ مدير مدارس برلتز لتعليم اللغات ، وكان سبب ابتسامه أن الكلب قد تعلم الكلام بطريقة هي في حقيقتها طريقة مدارس برلتز نفسها .

ويكاد يكون اسم برلتز مرادفاً لتعلم اللغات الأجنبية . وأنت ترى في كل سنة ٢٥ ألف طالب وطالبة في الولايات المتحدة ، يؤمّون ١٨ مدرسة من مدارس برلتز ، ويؤدون إلى خزينتها نحو أربعة ملايين ريال عن تعليمهم . ويسرُّهم أن يدفعوا أجراً يتفاوت من نحو ٥٠ قرشاً إلى ١٥٠ قرشاً عن كل ساعة ، لأنه سمعوا شيئاً كثيراً عن أثمن شيء في مدارس برلتز — طريقتها في التعليم .

وأساس هذه الطريقة غاية في البساطة : إن الطريقة الوحيدة المعقولة لتعليم لغة أجنبية ، هي في رأي برلتز ، أن تتعلمها كما يتعلم الطفل لغة أمه وأبيه ، أي بالاستماع إليها وتكرار ألفاظها دون الاعتماد على أية لغة أخرى للتفاهم بين الطالب والمدرّس . والسرُّ في هذه الطريقة إنما هو في تطبيق أساليب الأطفال على الكبار من الناس ، الذين ثبتت فيهم عادات الكلام التي ألفوها ، والذين لا تسمح لهم مطالب حياتهم أن ينفقوا كل ساعات يقظتهم على تعلم اللغة الجديدة كما يفعل الطفل الصغير . فكل طالب يتوقع أن يتعلم لغة أجنبية بمثل السهولة التي وجدها حين بدأ يثرثر بلغة أمه وأبيه ، عرضة لخيبة الأمل .

في اليوم الأول يدخل الطالب ومعه مدرّسه حجرة فيها مائدة وبضعة مقاعد وساعة وصندوق فيه ورق كثير وأقلام حبر

وأقلام رصاص ومساطر من ألوان مختلفة . ويشير المدرّس إلى قطعة من الورق ويقول « كامى » إذا كان الطالب قد طلب أن يتعلم اليابانية ، ثم ينظر إلى الطالب نظرة السائل الفاحص ، ولا تنقضى ساعة الدرس الأول حتى يكون فى وسع هذا الطالب أن يشير إلى قلم أخضر وهو يقول باليابانية: «ميدورى — إيروإنيبتسو ديسو » .

ولا تكاد تنقضى ثلاثة دروس أو أربعة دروس على هذا المنوال حتى يكون الطالب قد تعلم بضعة أفعال ، وصار قادراً أن يؤلف عبارات كهـذه العبارة : « وضعت القلم الأحمر على الكتاب الأخضر » . ثم تبدأ متاعبه ، فالأفعال التى من قبيل الفعلين « مشى » و « ذهب » تبدو متشابهة حين يحاول المعلم أن يمثل له معنى الفعلين. وترتيب الألفاظ على نمطٍ خاصٍّ فى الجملة اليابانية يرهق الطالب فى تبين الفرق بين: «المسطرة على المائدة » و « المائدة تحت المسطرة » . وقد يستغرق منه فهم الفرق نصف ساعة .

ولو أذن للمعلم أن يفسر للطالب بلغته مسألة دقت على فهمه ، لكان ذلك حسبهما لتوضيح المسألة فى بضع ثوان ، ولكنّ طريقة برلتز تنهى عن ذلك نهياً قاطعاً . وقد ترى على جدران بعض حجرات التعليم أجهزة تضخيم الصوت ، فيستعين بها المراقبون فى الحين بعد الحين على الاستيثاق من أن الطريقة متبعة بحذافيرها . وهذا يمنع المعلم من التحول إلى تفسير ما يريده الطالب باللغة التى يفهمها ، مهما تكن حالة الطالب أو حاجته . وبعد عشرين درساً على هذا المنوال ينتقل الطالب إلى اللغة المكتوبة معتمداً على كتب الدراسة التى وضعها برلتز لذلك خاصة .

والمدرسون الذين يعهد إليهم بتطبيق طريقة برلتز ، ينبغى أن يكونوا من أبناء الأمة التى يتولون تدريس لغتها . ومن مشاهير الناس الذين تولوا التدريس فى مدارس برلتز : ليون تروتسكى الزعيم الشيوعى، وجيمس جويس الأديب القصصى الإرلندى .

ويرى الشيخ « سترومبين دارى » أن الطالب الذى يريد أن يجيد التكلم بلغة أجنبية ، ينبغى له أن يخصص لدراستها ما بين ٣٠٠ ساعة إلى ٤٠٠ ساعة، ولكن الطالب الوسط ينفق ٧٥ ساعة إلى ١٠٠ ساعة ، وفى وسعه أن يلم إلماماً صحيحاً بلغة من اللغات فى بحر هذه المدة .

وقد أنشأ هذه المدارس رجل يدعى مكسيمليان د . برلتز هاجر إلى الولايات المتحدة من ألمانيا فى سنة ١٨٧٢ ، وجعل يدرّس اللغتين الفرنسية والألمانية فى المعهد

المدينى فى ولاية رودأيلند ، ثم فتح مدرسة خاصة به فى سنة ١٨٧٨ . ثم احتاج إلى من يساعده ، فاستعان بعالم فرنسى اسمه نيقولا جولى ، هاجر إلى الولايات المتحدة عسى أن يجمع فيها ثروة ، ولكنه كان يوم اتفق مع برلتز عامل المصعد فى أحد فنادق نيويورك. وكانت ذخيرة جولى من الكلمات الإنجليزية لاتتجاوز معرفة الأرقام من واحد إلى ثمانية ، ولفظى « فوق » و «تحت» ، وهى كل ما يحتاج إليه فى تسيير المصعد . وظل برلتز يبحث عن وسيلة تمكنه من الانتفاع بهذا الرجل ، حتى فتقت له حيلته أن يقول له أن يدل على الأشياء وهو يسميها، وأن يبين الأفعال على خير وجه يستطيعه بحركة يأتيها .

وساءت صحة برلتز يومئذ ، فقضى الأسابيع الستة التالية وهو طريح الفراش تعذبه أشباح الطلبة الذين برموا بمدرسته فى غيبته، ويقلقه الخوف على مصيرها ومصيره . فلما أبل وصار قادراً أن يتحامل على نفسه، ذهب إلى المدرسة ، فوجد الطلبة قد أصابوا من التقدم فى أثناء غيابه قسطاً أعظم كثيراً مما أصابوه حين كان هو يتولى تدريسهم . ويؤمئذ صارت الطريقة التى اتبعتها المدرسة لضرورة طارئة ، هى « الطريقة » التى اشتهرت بها مدارس برلتز .

وقد فتح برلتز مدارس فى بوسطن ونيويورك ، فحفزه نجاحها إلى تجربة حظه فى أوربة . فما وافت سنة ١٩١٤ حتى صار عدد مدارس برلتز ٣٣٩ مدرسة موزعة فى جميع أرجاء العالم. وأنشئت ٣٠٠ مدرسة أخرى بعد الحرب العالمية الأولى . وباع برلتز قبيل وفاته جميع مدارسه فى غير أمريكا الشمالية والوسطى ، إلى نقابة من مديرى المدارس الأوربية .

وأنت تجد اليوم أن الإقبال على دراسة اللغة الإسبانية فى مدارس برلتز بالولايات المتحدة ، يفوق الإقبال على دراسة أية لغة أخرى . وقد زاد عدد الذين يدرسونها حتى صار عشرة أضعاف عددهم فى سنة ١٩٣٩ ، وزاد عدد الذين يدرسون اللغة الروسية ثلاثة أضعاف . وقد كانت اللغة الفرنسية فى الطليعة منذ سنين ، فصارت اليوم إلى المرتبة الثانية، وتجىء الألمانية والروسية والإنجليزية فى المرتبة الثالثة ، وتليها الإيطالية فالبرتغالية فالبولندية فالهولندية فالصينية فالتشكية فالعربية فالسويدية فاليونانية فاليوغسلافية فاليابانية فالهندستانية فالملاوية فالأيسلندية . أما كتب برلتز الدراسية فقد طبعت فى ست وعشرين لغة . ولم تتلق مدارس برلتز فى نيويورك سوى ثلاثة طلبات أعجزها أن تلبيها ، وقد كانت من أناس طلبوا

أن يتعلموا لغة الهوتنتوت ، ولغة سيام ، ولغة برما . وقد جاءها رجل يتأهب للعمل فى الشرق الأوسط وأقام يتعلم اللغة العربية فى منهج يستغرق ٤٠٠ ساعة ، فهاله يوم وصل إلى الشرق الأوسط أن يعلم أن اللغة التى كان عليه أن يتعلمها كانت اللغة الإيرانية لا العربية .

وتتولى مدارس برلتز أعمال الترجمة التى يعدُّها مديرها سترومبين دارى مجلبة للمتاعب ، ولكنه يحتفظ بها على أنها فرع لا بدَّ منه يعود على المدارس بالشهرة وعلو المنزلة . فتتقدم إليها الشركات التجارية لتتولى عنها ترجمة الرسائل من اللغة الإنجليزية أو إليها ، ويتوالى عليها طلب لا ينقطع لترجمة بطاقات الأعياد فى عشرين لغة أو ثلاثين لغة . وكثيراً ما تذهب النساء إليها ليترجم المترجمون لهنَّ كتابات عربية أو صينية أو يابانية منقوشة على الأساور أو الأطباق أو منسوجة على الثياب .

ولمدارس برلتز قسم لنشر الكتب يتولاه ڤيكتور حفيد برلتز الأول ، وهو يصدر كلَّ سنة ألوفاً من الكتب الدراسية ، وقد بلغ عدد ما بيع من هذه الكتب ٢٦،٥٠٠،٠٠٠ نسخة منذ تأسست المدارس .

ولبرلتز الأول حفيد آخر اسمه تشارلز يعنى الآن بتجديد كتب الدراسة . وهو رجل يجيد اللغات إجادة مدهشة ، وقد أراد أهله أن يجربوا عليه وهو طفل بعض وجوه التعديل فى « الطريقة » المتبعة فى المدارس ، فغطيت جدران الحجرة التى يلعب فيها برسوم وخرائط عن مدارس برلتز ، فلما صار قادراً على الكلام كانت أمه تحدثه بالفرنسية دون غيرها ، ويحدثه جدُّه بالألمانية دون غيرها ، وابن عمه بالإسبانية ، ومربيته بالإنجليزية . فلما صار فى الثالثة من عمره ، كان يجيد اللغات الأربع ، ويظنُّ أيضاً أن كل واحد من هؤلاء يتكلم لغة تختلف عن لغة الآخر .

ويحرص سترومبين دارى على أن يبين لك أن الأجر الذى تتقاضاه مدارس برلتز يتيح لها أن تربح ربحاً قليلا . ثم يقول : « يبدو أن نصيبنا من الربح كمثل نصيب الشركات التى تصنع الخردل . فأكثر ربحها من المقادير اليسيرة التى يخلفها الناس على صحافهم . وكذلك نحن ، فكثيرون من الطلاب يسجلون أسماءهم ويدفعون الأجر مقدماً ثم لا يتممون دراستهم، فتزيد أرباحنا على ما نقدر » .

ألكسندر ولكوت

مختصرة من كتابه "رومة تحترق"

كنا جالسين تحت القبة المتلألئة بالنجوم في منتصف الصيف فى مونت كارلو، نأكل عشاء طيباً ونتحدث فى موضوع الانتحار، وإذا بأحد رواة الأخبار يمرّ بنا فيقف وهو ينفجر رغبة فى إطلاعنا على ما حدث: شاب أمريكى، له خصلة بيضاء من الشعر فوق جبينه، قد وجد صريعاً ملقى على الشاطىء، وقد اخترقت قلبه رصاصة. وكنا قد رأيناه قبل ذلك قد خسر كل ما تملك يداه حين دارت عجلة «الروليت» واستقرت على لون غير اللون الذى قامر عليه. وها هو ذا الآن ملقى على شاطىء البحر جثة لا حراك بها.

كنا قد وصلنا إلى كازينو مونت كارلو قبل ذلك بساعات، ودخلنا «الحجرات الخاصة» بالقمار، فلم نجد حول مائدة الروليت مكاناً لواقف إلا على حواشى الحشد المزدحم من حولها. وهناك لقيت سام فلتشر الصحفى أول ما لقيته. فدلنى على كبار القوم ووجهائهم، فهذه المغنية المشهورة مارى جاردن، المكبة على المقامرة، تخسر وتكسب دون أن ترى على وجهها أثر اهتياجها فى خسارة أو مكسب. وهذه الأميرة الإنجليزية العجوز، تنظر إليها فيخيل إليك أن شريطاً لصاقاً قد أمسك بعضها إلى بعض. وكان إلى جنبها رجل شيخ شاحب، وكانت يداه وهو يداعب رقع اللاعب أمامه، يغطيهما قفاز من حرير رمادى مطرز بالذهب. وقد قيل إنه كان فى شبابه لا يصلح لشىء، فلما كانت أمه على فراش الموت انتزعت منه عهداً بأن لا يلمس بيديه ورقة لعب، أو رقعة قمار ما عاش.

أما صاحبنا الشاب ذو الخصلة البيضاء، فلا يستوقف نظرك منه شىء غير مألوف، سوى أنه الوحيد بين القوم الذى كان فى ملابس السهرة. ثم قامر مقامرته الأخيرة، فاستوقف الأنظار. وقد روى لنا فيما بعد أنه قد خسر فى أوائل السهرة مالا كثيراً، ولكنه كان ساعة وصلت، قد عمد إلى الحذر والحرص فى مقامرته. ثم خيل إلى الناس كأن الضجر قد ألح عليه، فرأيناه يأخذ كل ما أمامه من رقع اللعب، ويجعلها كومة واحدة على اللون الأحمر، ولم يكفه

ذلك، فقد أخذ حافظة نقوده من جيبه وأفرغ ما فيها ، فانهالت منها أوراق النقد ذوات الألف فرنك ، وورقة واحدة من ذوات المئة فرنك ، ولكنه استرد هذه الورقة فى الدقيقة الأخيرة . ودارت عجلة الروليت ، فحبست الأنفاس ، وصاح القائم عليها : « لا شيء يدخل فى الحساب بعد الآن » ثم استقرت العجلة ، فإذا اللون الفائز هو اللون الأسود ، فخسر كل لاعب قامر بماله على اللون الأحمر ، وندّت من القوم حول المائدة همسات بكل لغة : « أسود، أسود» .

فضحك صاحبنا الشاب ضحكة خفيفة ، وظلّ هنيهة ثابتاً فى مكانه ، ينظر إلى ماله يجمَع عن المائدة ، وكانت العيون جميعاً شاخصة إليه ، وإذا به يزحزح كرسيه قليلا عن المائدة ، وأخذ ورقة النقد ذات المئة فرنك من حافظة نقوده ، ودفعها بأصابعه البيض المطرّفة إلى مكان فى وسط المائدة الخضراء وقال : « هبــة للموظفين » ، وقد قالها بلهجة تنمّ على العظمة أسكتت ثرثرة الرجال الذين يديرون عجلة الروليت ويجمعون مال الخاسرين . ثم قال : « لقد قضى الأمر» ، ووقف وتثاءب قليلا ثم خرج متمهلا من الحجرة .

وها هو ذا الآن على ما رواهُ لنا راوية الأخبار جثة لا حراك بها على حافة الماء .

وكان الذى نقل الخبر إلينا صاحبنا الصحفىّ فلتشر ، وكنا كما قلت نتعشى ونتحدّث فى موضوع الانتحار . وما كان حديثنا مصادفة، فالناس دائماً يرددون حوادث الانتحار حين يكونون فى مونت كارلو . وقد روى لنا فلتشر أن صوت الرصاصة استرعى انتباه أحد الحراس فهرع إليه ، فألفى الشاب منطرحاً على ظهره ، وعيناه شاخصتان إلى النجوم ، وكانت ذراعه ممتدة على الرمل ويده المسترخية قابضة على المسدس، وكان على قميصه الأبيض المثنىّ بقعة من دم . وقال فلتشر إنه لن يستطيع أن يرسل النبأ بالبرق إلى باريس قبل أن تتمّ بعض الإجراءات الرسمية . وقد بيَّن لنا وهو يهمس كأنه شريك فى مؤامرة ، أن حوادث الانتحار تعدّدت فى الأيام الأخيرة . فعمد رجال الحكومة إلى إجراء جديد ، فإذا ما وُجد أحد روّاد الكازينو منتحراً ، وكانت جيوبه فارغة من المال ، هرول رجال الكازينو إليه ووضعوا فى جيوبه مبلغاً غير يسير من المال ، قبل أن يبلغوا الشرطة خبر انتحاره ، حتى يخيّل إليهم وإلى الناس أنه قضى على حياته سآمة وضجراً من الحياة . قال فلتشر : « وهم يتوسلون بهذه الحيلة الآن ، أما أنا فعلىّ أن أنصرف لأبحث عن سيرة الرجل المنتحر » .

وكنا لا نزال نرشف القهوة ، فإذا لمتشر يعود مهرولا إلينا ، وعلى طرف لسانه خبر ما انتهت إليه القصة . قال : إن رجال الشرطة ذهبوا إلى الشاطىء ساعة جاءهم خبر الحادثة ، وجعلوا يبحثون عن جثة القتيل ، فلم يجدوا جثة ، لا فى المكان الذى دلوهم عليه ، ولا فى أى مكانٍ آخر على الشاطىء ، فظلوا يواصلون بحثهم ، وبقى وكيل الكازينو الذى دسّ عشرة آلاف فرنك فى جيب المنتحر ، مترقباً حائراً فى أمره من جراء اختفاء الجثة ، وأخيراً عاد إلى الحجر الخاصة بالمقامرة فى الكازينو ، فألفى فيها دوراً جديداً من المقامرة ونشاطاً غريباً .

ويلوح أن الشاب الأمريكى ذا الحصلة البيضاء ، والذى رُوِى أنه انتحر ، قد عاد إلى حجرة المقامرة ، عامر النفس بالمرح ، عامر الجيب بالمال ، وقد جعل يقامر بمبالغ كبيرة ، وسرعان ما كسب مئة ألف فرنك فجمعها ومضى على وجهه . وقد ظن رجال المائدة الخضراء أنه إنما غاب ليتعشى ، وأن البقعة المحمرة على قميصه ليست سوى قليل من عصير الطماطم وقع خطأ عليه من يد أحد الندل فى أثناء العشاء .



علاج ناجع

درجت بعض المتاجر على أن ترسل بالبريد إلى طائفة من الناس أشياء لم يطلبوها ولا يريدونها ، ثم ترسل إليهم قوائم الحساب ، فاشتدّ برم الناس بهذا النهج المستهجن . ومنذ عهد قريب تلقى طبيب طرداً ومعه هذه الرسالة : « يسرُّنا أن نرسل إليكم ثلاث كرافتات ممتازة ، ولما كانت هذه الكرافتات قد ظفرت باستحسان ألوف من أصحاب الذوق الرفيع ، فنحن على ثقة بأنها ستظفر باستحسانكم أيضاً . نرجو أن ترسلوا إلينا ريالين » .

فاستشاط الطبيب غضباً ، وردّ عليهم بالرسالة التالية : « يسرُّنى أن أرسل إليكم حبوباً ممتازة قيمتها ريالان ، فقد ثبت نفع هذه الحبوب فى حالات ألوف من الناس ، ولست أشكُّ فى أنكم تقدرون اهتمامى بإرسالها . وأرجوكم أن تقبلوها سداداً لثمن الكرافتات التى تفضلتم بإرسالها إلىّ منذ أيام » .

لو رُدّ إلىّ البصر ثلاثة أيام

هيلين كيلر

مختصرة من مجلة "أتلانتيك الشهرية"



كثيراً ما يخطر لى أنه يكون من النعم أن يصاب كل إنسان بالعمى والصمم بضعة أيام قليلة فى صدر شبابه ، فإن الظلمة خليقة أن تجعله أكثر تقديراً للبصر ، والسكون خليق أن يعرفه بمباهج الصوت .

وقد امتحنت أصدقائى المبصرين ، من حين إلى حين ، لأتبين ماذا يرون . وسألت منذ عهد قريب صديقة عما رأت فى الغابات التى تمشت فيها طويلا ، فكان جوابها : « لا شىء يستحق الذكر » .

فسألت نفسى : كيف يمكن أن يسير المرء ساعة فى الغابة ولا يرى شيئاً يستحق الذكر ؟ فأنا المكفوفة البصر أجد مئات من الأشياء تثير اهتمامى بمجرد اللمس. فأنا أشعر بالتناسق الدقيق فى شطرى ورقة الشجر ، وأمر بيدى فى حنو على غصن غض أملس، أو على لحاء خشن جاف . وفى الربيع ألمس أغصان الأشجار وأتحسسها لعلى أقع على أكمام الزهر ، وهى أول علامة على يقظة الطبيعة بعد رقادها فى الشتاء . وأحياناً ، وإذا واتانى الحظ ، أضع يدى بلطف على شجيرة فأحس بالرجفة اللذيذة التى تأخذ الطائر المغرد وهو فى نشوة تغريده .

وتمر بى أوقات يتلهف فيها قلبى على رؤية هذه الأشياء كلها . فإذا كنت أستفيد كل هذا الابتهاج من اللمس بمجرده ، فما أعظم ما لا بد أن تكشف عنه الرؤية من وجوه الجمال ! ولقد تخيلت ما أحب أن أرى لو أننى أعطيت مزية البصر ولو ثلاثة أيام مثلا .

إذن لقسمت هذه الفترة إلى ثلاثة أقسام.

فني اليوم الأول أود أن أرى أولئك الذين جعلوا حياتي جديرة بان أعيشها، بما حبوني به من الرقة وحسن العشرة . ولست أدري كيف يطلع الإنسان على قلب صديق من خلال « نافذة الروح » التي هي العين . فما أستطيع أن «أرى» بأناملي إلا الصورة العامة للوجه، وأستطيع أن أتبين الضحك والحزن وغير ذلك من العواطف الجلية ، وأعرف أصدقائي بمسّ وجوههم .

ولا شك أنه أسهل عليك وأبعث على ارتياحك يامن تبصر ، أن تدرك بسرعة الصفات الجوهرية لشخص آخر حين ترى دقائق تعبير الوجه ، أو اختلاج عضلة ، أو اضطراب كف . ولكن هل يخطر لك أن تستخدم عينك في الاطلاع على باطن صديق ؟ أليس معظمكم معشر البصراء يكتفي بالإلمام بالظاهر من معارف الوجه ويقنع بذلك ؟

وهل تستطيع مثلا أن تصف بدقة وجوه خمسة من الأصدقاء الحميمين ؟ لقد أردت أن أقوم بتجربة ، فسألت مئات عن عيون زوجاتهن ما لونها ؟ وكان الأغلب أن يعربوا عن الحيرة والارتباك ويعترفوا بأنهم لايدرون .

آه على الأشياء التي سوف أراها لو أوتيت البصر ثلاثة أيام ليس إلا !

وأخاق باليوم الأول أن يكون حافلاً، إذ أدعو إليّ أصدقائي الأعزاء ، وأطيل النظر في وجوههم ، وأطبع على لوح الذهن البينات الظاهرة للجمال الباطن ، وأديم النظر إلى وجه طفل لأستجلي الجمال البريء المتطلع الذي يسبق إدراك الفرد للصراع الذي تثيره الحياة . وأنظر إلى الكتب التي قرئت لي، والتي كشفت لي عن أعظم جداول الحياة الإنسانية ، وأحدّق في عيون كلابي المخلصة المطمئنة .

وفي العصر أمشي طويلا في الغابات لتنتشي عيناي بجمال الطبيعة وعالمها ، وأدعو الله أن يمتعني بجلال الغروب وفتنة ألوانه . وأظن أني في تلك الليلة لن أستطيع الغمض .

وفي اليوم التالي أنهض مع الفجر لأرى الآية الرائعة التي تولج الليل في النهار، وتملأ قلبي الرهبة وأنا أشهد منظر النور البديع الذي توقظ به الشمس الأرضَ النائمة .

وهذا اليوم أقصره على لمحة سريعة للعالم، ماضيه وحاضره ، وأوثر أن أرى موكب تقدم الإنسان . فأوثر أن أذهب إلى المتاحف، فترى عيناى مختزل تاريخ الأرض — الحيوانات ، وأجناس الإنسان مصورة في بيئاتها ، وهياكل ضخمة للحيوانات المنقرضة التي كانت تجوب الأرض قبل أن

تظهر الإنسان بجرمه الصغير وعقله الكبير ليستولى على مملكة الحيوان .

وأنتقل بعد ذلك إلى متحف الفن ، وإنى لأعرف بيدىّ تماثيل الأرباب والربات المنحوتة ، والتى كانت تعبد فى أرض النيل القديمة . ولقد تحسست نسخاً من الصور القديمة المحفورة على هياكل اليونان وشعرت بالجمال المتناسق فى صور فرسان أثينا إذ يقاتلون ويكرُّون . وإن معارف وجه هومر المخدّدة بلحيته الكثّة ، لعزيزة على ، فإنه هو أيضاً قد امتحن بالعمى.

وهكذا ، فى هذا اليوم الثانى ، أحاول أن أسبر غور الروح الإنسانى عن طريق الفن . والذى كنت أعرفه باللمس ، أراه الآن . وخير من ذلك وأبدع ، أن عالم التصوير الرائع تتفتح لى أبوابه. ولن أستطيع أن أستفيد إلا فكرة عابرة ، فإن رجال الفن يقولون لى إنه لا بدّ من تربية العين وتدريبها ليتسنى التقدير الصحيح العميق للفن . ولا غنى للمرء عن التجربة ليتعلم كيف يقدر مزايا الخطوط ، والتأليف ، والشكل والألوان . فلو أنه كانت لى عينان لأسعدنى جداً أن أعكف على هذا الدرس.

وأقضى مساء اليوم الثانى فى مسرح أو دار للسنما . ولشد ما أتمنى أن أرى شخص هملت الفاتن ، وفولستاف ونزواته ، وثياب عصر إليزابيث وزينتها ! ولست أستطيع أن أستمتع بجمال الحركة وما فيها من موسيقية ، إلا فى دائرة محدودة بحدود اللمس . وليس فى وسعى أن أتخيل، إلا على وجه غامض، رشاقة راقصة مثل بافلوفا، وإن كنت أعرف شيئاً من متعة الإيقاع ، لأنى كثيراً ما أشعر بترقيم الحركات الموسيقية إذ تختلج بها الأرض. وفى وسعى أن أتصور أن الحركة الموقعة لا بد أن تكون من أمتع الناظر فى الدنيا. وقد استطعت أن أستخلص شيئاً من هذا بأن أتحسس بأصابعى خطوط المرمر المنحوت . فإذا كان للرشاقة الجامدة كل هذا الجمال ، فما ظنك بها وهى تنساب وتتحرك ، وما ظنّك بمبلغ هزها للنفس !

وفى الصباح التالى أحيِّى الفجر مرة أخرى لأطلع على مباهج جديدة ، وصور جديدة للجمال . وفى هذا اليوم الثالث أقضى الوقت فى دنيا العمل اليـــومى بين الناس الذين يذهبون إلى مايزاولون فى الحياة من أعمال. فالمدينة هى غايتى فى هذا اليوم .

فأقف أولا عند ركن تكثر عنده الحركة وأكتفى بالنظر إلى الناس ، محاولة وأنا أراهم أن أفهم شيئاً من حياتهم اليومية ، فأرى الابتسام فأغتبط ، وأرى العزم الصارم فأزدهى ، وأرى الألم فأعطف .

وأمشى فى الشارع الكبير ، ولا أطيل

النظر إلى شيء ، فلست أرى شيئاً بعينه ، وإنما أرى مناظر متعاقبة من الألوان. وإنى لواثقة أن ألوان ثياب النساء فى حشد مّا ، لا بد أن تكون مشهداً رائعاً لا تمل عينى النظر إليه ، ولكن لعلى لو كنت مبصرة لكنت – كمعظم النساء غيرى – معنية بطراز التفصيل إلى حد يحول دون الالتفات إلى جمال الألوان فى الجملة .

ومن هذا الشارع أقوم بجولة فى المدينة إلى الأحياء الفقيرة ، والمصانع ، والحدائق حيث يرتع الأطفال . وأقوم برحلة متخيلة إلى الخارج، وذلك بأن أزور الأحياء الأجنبية، وتكون عيناى دائماً مفتوحتين كل الفتح على مناظر السعادة والبؤس ، لأتعمّق سبر النفوس ، وأزيد فهمى للناس وكيف يعملون ويحيون .

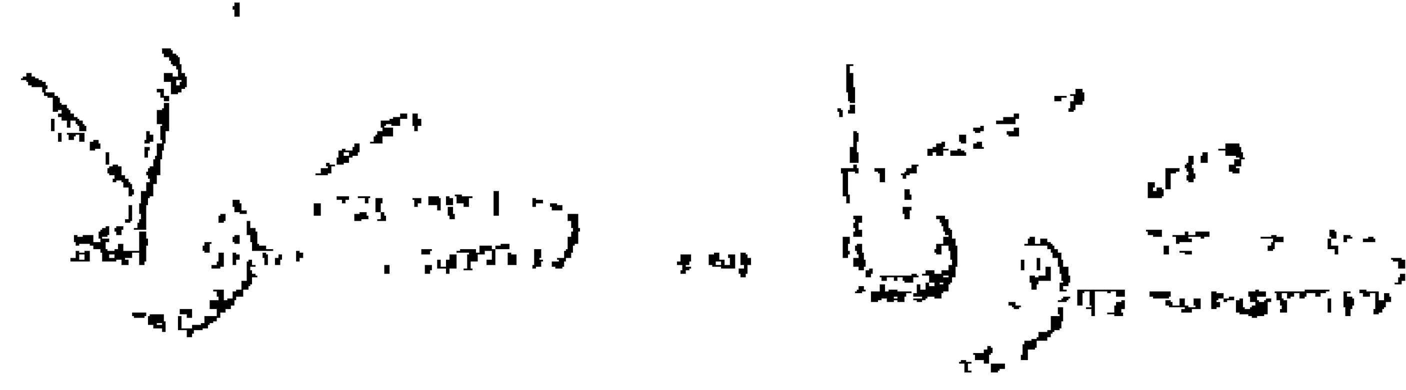
ويوشك اليوم الثالث الذى أبصر فيه أن ينتهى، وعسى أن تكون هناك أمور خطيرة كثيرة ينبغى أن أتفرغ لها فى الساعات القليلة الباقية، ولكنى أظن أنى فى مساء ذلك اليوم الثالث، أوثر أن أذهب إلى مسرح تمثل عليه رواية هزلية مضحكة ، لأفهم الجانب الهزلى المسرف فى الروح الإنسانية .

وعند منتصف الليل يتغشّانى الليل الدائم مرة أخرى . وطبيعى أنى فى هذه الأيام الثلاثة القصيرة لم أرَ كل ما كنت أودّ رؤيته. وما أستطيع إلا بعد أن يلفنى الظلام فى شملته، أن أدرك مبلغ ما فاتنى أن أراه .

ولعل هذا البيان الوجيز لا يطابق البرنامج الذى قد تضعه لنفسك إذا عرفت أنك ستصاب بالعمى . على أنى على يقين من أنك إذا واجهت هذا المصير ، ستستخدم عينيك وتنتفع بهما انتفاعاً لم تفعل مثله قط ، فإن كل ما أخذته عينك يصبح عزيزاً عليك، وتروح عيناك تلمسان وتضمان كل ما يقع فى نطاق بصرك . وحينئذ تبصر حقاً بالمعنى الصحيح ، وتتفتح أمامك أبواب عالم جديد من الجمال .

وأنا الكفيفة أستطيع أن أبذل نصيحة واحدة للمبصر: استخدم عينيك كأنك ستعمى غداً . ومثل هذا يصدق فى حالة الحواس الأخرى: استمع إلى موسيقى الأصوات، وإلى صدحات الطير ، وإلى الأنغام القوية من الموسيقى، كأنك ستصاب بالصمم غداً، والمس كل شيء كأنك ستفقد حاسة اللمس غداً، وشم عبير الزهر ، وتذوق بالتذاذ كل لقمة كأنك غداً ستسلب الشم والذوق. وانتفع إلى أقصى مدى، بكل حاسة، وانعم بكل وجوه المتع والجمال التى يكشف عنها العالم عن طريق وسائل الاتصال التى هيأتها لك الطبيعة . على أنى لا أشكّ فى أن حاسة النظر لا بد أن تكون أبعث الحواس جميعاً على الابتهاج والاستمتاع .

قصة أشهر المنتجات التجارية فى العالم حافلة بذكر
ثروات طائلة جمعها الناس أو فاتهم أن يجمعوها



قصة حافلة بآيات الشهرة والثروة

شراب كوكا — كولا أشهر المنتجات أصبح التجارية فى العالم وأذيعها ذكراً ، وهو أكبر عمراً من تسعة أعشار الأحياء على سطح الأرض ، وأقدم عهداً من السيارات وأجهزة الراديو والسنما وغيرها من الأشياء الكثيرة التى ألفها الناس فى حياتهم يوماً بعد يوم .

وقد صنع هذا الشراب أول ماصنع سنة ١٨٨٦ ، صنعه رجل اسمه جون س . بمبرتون ، كان قد قضى سنين كثيرة وهو يجاهد ليكسب رزقه من بيع الأدوية بالتجزئة أو الجملة ، وبتحضير أدوية تباع جاهزة بعد تسجيلها . . فلما كان فى الثالثة والخمسين من عمره أخرج شراباً يخفف السعال ، ودواء للدم ، وصبغة للشعر ، وحبوباً للكبد ، وشراباً « كان يباع زمن تحريم الخمر » سمّاهُ « جنجرين » .

وكان مصنع بمبرتون بناء رثاً ذا طابقين من لبنات الآجرّ ، فى مدينة أتلانتا بولاية جورجيا . وكان معمله لا يعدو مرجلا من الحديد قائماً على ثلاث قوائم فى فناء بيته ، وكان يوقد الخشب تحت هذا الإناء ، ويخلط فيه موادَّ شتىَّ بعضها ببعض ، ثم يذوق ما يخلط ، ثم يعيد الخلط كرة أخرى ويذوق ما صنع ، وكان فى ذلك كله يحاول أن يمتحن تركيباً قد ابتكرهُ لشراب جديد . ثم أخذ ذات يوم إناء فيه هذا الشراب إلى مقهى جاكوب، ووضعه فى أكواب وأضاف إليه ماء الصودا وأداره على الناس ، فذاقوه وجعلوا يبدون رأيهم فيه ، ويقترحون على صاحبه ما ينبغى له أن يصنع . وأخيراً تمَّ له الشراب الذى يريد ، ولكنه لم يجد اسماً يطلقه عليه . وكان المحاسب روبرتسن يعلم أن بعض مذاق الشراب يعود إلى ورق

الكاكاو وجوز الكولا ، فكتب بخط يده : « كوكا — كولا » .

وقد باع بمبرتون ملء ٢٥ جالوناً من هذا الشراب فى السنة الأولى ، وملء ألف جالون أو أكثر فى السنة الثانية . وكان يومئذ رجلا مريضاً شديد الحاجة إلى المال، فباع ثلثى حقه فى تركيب هذا الشراب بمبلغ ١٢٠٠ ريال . فلما كان على فراش الموت فى السنة التالية، باع الثلث الباقى بمبلغ ٥٥٠ ريالا . ولو كان احتفظ بعشر حقوقه الكاملة، لبلغ ما ناله ورثته حتى الآن ٣٢ مليون ريال ، ربحاً على أسهمهم .

أما الرجل الذى اشترى هذه المادة التى تضارع قصتها ما جاء فى الأساطير ، فقد كان رجلا صيدلياً فى السابعة والثلاثين من عمره اسمه آسا كاندلر ، ولكنه كان ذا عبقرية عجيبة فى الترويج لبضاعته . وقد استطاع كاندلر أن يرقى بهـذا الشراب كوكا — كولا ، من شراب يستمتع به الناس فى مدينة صغيرة ، حتى جعله تجارة عظيمة . فقد نشر هذا الشراب فى طول الولايات المتحدة وعرضها بين سنة ١٨٨٨ وسنة ١٩١٩ ثم باع حقوقه فيه بمبلغ ٢٥ مليون ريال ، دون أن يطوف بخياله أن يجىء يوم يبلغ فيه ربح الشركة الصافى فى سنة واحدة هـذا المبلغ الضخم . وكان الذين اشتروا كوكا — كولا ، جماعة من التجار على رأسهم إرنست ودَرَفْ ثم خلفه عليها ابنه بوب فى سنة ١٩٢٣

وقد كان الإعلان عن كوكا كولا هو السمط الذى انتظم حبات حياتها فى جميع أدوارها ، فقد أنفق بمبرتون ٤٦ ريالا على الإعلان فى السنة الأولى ، أى ٩٠ فى المئة من جملة دخله . وقد جعل معظم الإعلان لوحات رسمها على مشمع رقيق وشبكها على الظلل التى يرخيها أصحاب الصيدليات والمقاهى أمام متاجرهم لحجب الشمس . وعلقت إعلاناتها فى السنة التالية على المركبات العامة التى تجرها الخيل. وعبارة «لذيذومرطب» التى يكثر ورودها فى الإعلان عنها ، يرجع تاريخها إلى سنة ١٨٨٩

وأنت ترى إعلانات «كوكا — كولا» اليوم تلتزم القصد والتحفظ فى القول ، بيد أن أصحاب الشراب أعلنوا عنه فى سنة ١٨٨٧ أنه « مقوٍّ للمخ » وأنه « شراب المفكرين ». فلم تكد تنقضى عشر سنوات حتى صاروا يعلنون عنه فيقولون إنه« يشفى من الصداع . ويجدّد المخ والبدن اللذين نهكتهما قلة النوم والعمل العقلى والبدنى المرهق ، ... » وكانت الإعلانات تزينها رسوم طلبة الجامعات ساهرين على الدراسة، أو سماسرة المال واقفين كالملهوفين أمام

الجهاز الذى يأتيهم بأخبار سوق المال .

وقد بدأ كاندلر يدهن الجدران بإعلان عن كوكا — كولا فى سنة ١٨٩٤ ، فلم تكد تنقضى بضع سنوات حتى شرع يقيم للإعلان لوحات تمثل كوباً يبلغ ارتفاعه ٣٠ قدما فيه شراب الكوكا — كولا ، وجعل ينصبها فى حدائق الألعاب والرياضة، وصار يوزع مراوح يابانية عليها علامة كوكا — كولا المسجلة . فلما كانت سنة ١٩١٣ بلغ ما وزعه هدية بغير مقابل مليون مروحة ، ومليونى صينية ، وملايين كثيرة من علب عيدان الثقاب ، وورق النشاف، والرقع المعدة لتسجيل نتائج الألعاب الرياضية، والفوط المصنوعة من الورق . أما أبرع حيلة عمد إليها كاندلر فى الإعلان عن شرابه، فكانت توزيع بطاقات تتيح لحاملها أن يشرب مجاناً كوب كوكا — كولا فى أى مقهى يشاء . وقد وزع ملايين من هذه البطاقات ، وكان رجاله يوزعونها على من يرضى أن يأخذها فى دكاكين الحلاقين وأروقة الفنادق ، وفى الشوارع أيضاً .

وقد انقضى عهد هذه الوسيلة ، ولكن شركة كوكا — كولا لا تزال تتلقى فى الحين بعد الحين بطاقة من هذه البطاقات وجدها صاحبها فى درج قديم ، فترسل الشركة لصاحب البطاقة صندوقاً يحوى اثنتى عشرة زجاجة من كوكا — كولا .

وكانت براعة كاندلر لا يضارعها مضارع فى عهده . فلما طلب براميل ليصدر الشراب فيها ، لم يجد سوى براميل فارغة كانت تستعمل فى بعض المتاجر ، فاشتراها ودهنها بدهان أحمر من لون خاص، فاشتهر بوصف « لون كوكا — كولا » . ولما كان ماله قليلا ولا يستطيع أن يدفع الأجور لعدد من الباعة المتجولين ، اتفق مع الرجال الذين يشتغلون بشراء القطن ، إذ ليس لهم عمل يؤدونهُ ستة أشهر كل سنة . فلما كانت سنة ١٨٩٦ أنفق ٨٠ الف ريال على الإعلان، أما اليوم فيبلغ ماينفق على الإعلان ١٩٢ مليون ريال ، يضاف إليها ما تنفقه الشركات التى تعبىءُ الشراب فى زجاجات .

وقد عُبِّىءَ شراب كوكا — كولا أول ما عُبِّىء فى سنة ١٨٩٤ وعرضت الزجاجات المعبأة على جماعات عمال الحطب وبعض المزارع المنعزلة . وفى سنة ١٨٩٩ ذهب رجلان إلى كاندلر وأخذا منه حقوقاً دائمة لتعبئة الشراب فى معظم الولايات المتحدة ، ودون أن يؤدوا قرشاً واحداً ، وقد ثبت فيما بعد أن قيمة هذه الحقوق تعدل مئات اللايين من الريالات ، بيد أن الرجل الذى دبر الاجتماع بين كاندلر وزائريه ، لم يبلغ منه الاهتمام مبلغاً كافياً ، فلم يحتفظ لنفسه

بأى نصيب فى هــذه الحقوق . فلما عاد الزائران إلى بلدتهما أخذا يقسمان الولايات المتحدة مناطق مناطق ، ويبيعان حقوق التعبئة فى كل منطقة منها على حدة . والذين اشتروا هــذه الحقوق غنموا مالا كثيراً ، وقد كان لأحد الناس حصة فى مصنع تعبئة فى إحدى الولايات ، فوهب سهماً واحداً من أسهمه لكلٍّ من ابنتى أخيه ، والربح الذى يدرّهُ كلّ سهم منهما اليوم يبلغ ٣ آلاف ريال فى السنة . وظفر أحد المحامين بسهم واحد لقاء أوراق قانونية أعدّها لصاحب مصنع التعبئة ، فاحتفظ به زمناً ثم باعه بمبلغ ٥٥ ألف ريال .

كان شراب كوكا — كولا فى سنة ١٩٠٠ يباع فى أكواب تملأ من براميل ذوات حنفيات ، ولا يباع منه معبّأ فى زجاجات سوى واحد فى المئة . فلما كانت سنة ١٩٢٨ كانت المقادير التى تباع معبّأة فى الزجاجات نصف ما يباع ، وكان النصف الآخر يؤخذ أكواباً تملأ من براميل فى المقاهى وما أشبهها . أما اليوم فصار المقدار الذى يباع معبّأ فى زجاجات ٨٠ فى المئة . وقد صنعت زجاجة كوكا — كولا فى سنة ١٩١٦ وجعل تصميمها بحيث تمثل ثوب المرأة الطويل ، ولعل هذه الزجاجة أشهر بضاعة تباع فى العالم كله .

وأنت تجد اليوم ١٠٥٠ مصنعاً لتعبئة كوكا — كولا فى الولايات المتحدة ، وشركة كوكا — كولا لا تملك سوى خمسين من هذه المصانع أو أقل . وهــذا النظام الفذّ يتيح فرصــة لأهل العمل والمال فى كل مكان يباع فيه هذا الشراب . وكذلك تجد شركة كوكا — كولا لا تملك حصــة ما فى عمل ١٨٠٠ من الناس يبيعون الشراب قبل حله فى الماء أو الصودا ، ولا فى مئة ألف مكان يباع فيه الشراب فى أكواب ، ولا فى عمل ١٫٣٠٠٫٠٠٠ بائع يبيعون الزجاجات المعبّأة للناس . وقد عرض على الشركة مقترحات مغرية ، بأن تدخل ميدان صنع الزجاجات والصناديق وغيرها من الأجهزة التى لا بدّ منها فى تجارة كوكا — كولا ، فأبت أن تفعل ذلك ، فمن القواعد الأصيلة فى خطتها أن تظلّ بمنأى عن التدخل فى شئون غيرها .

ومن قواعدها أيضاً أن تتيح ربحاً وافياً لكل من يمسُّ كوكا — كولا ، وهو ربح يفوق نسبيًّا ربح الشركة فى صنع الشراب نفسه ، فلذلك كثر أصدقاؤها ، وهى لا تزال تسير على هذا النهج فى سائر بلاد العالم ، فقد أنشىء مئتا مصنع أو أكثر للتعبئة خارج الولايات المتحدة وكندا وكوبا وهى جميعاً ، ما عدا تسعة مصانع ، ملك

جماعات من أهل البلاد التى أنشئت فيها . وفى السنة الماضية أنفقت جماعة من أهل مصر مبلغ ٦٥٠ ألف ريال على إنشاء مصنع فى القاهرة ، ورحلت فئة منهم إلى الولايات المتحدة حيث لبسوا ثياب العمال ، وراحوا يعملون فى مصانع التعبئة حتى يحـذقوا أساليبها ، وعهد إلى مصنع آخر فى مصر أن يصنع صناديق لتـبريد الزجاجات المعبأة .

وقـد دخلت كوكا ــ كولا اليوم فى العقد السابع من عمرها ، وأكبر الرأى أن الذين عرفوا صيغة تركيبها لم يزيدوا فى تاريخها الطويل على سبعة رجال . وهى مركبة بوجه من عناصر ومواد شتى أهمها مادة يصح أن يطلق عليها وصف « ٧ إكس » فما هى مادة « ٧ إكس » ؟ ذلك هو السؤال الذى تبلغ قيمته بحسب أسعار سوق الأوراق المالية ٦٤٠ مليون ريال .

ومادة « ٧ إكس » من أشد الأسرار كتماناً فى عالم الصناعة ؛ ولا يعرف سر تركيبها سوى عالمين كيميائيين ، الدكتور وليم هيث وبرت ولز ، ولن تجدهما معاً فى طائرة واحدة ، ولا هما يكتبان صيغة التركيب على ورق، فإذا لقى الرجلان حتفهما على حين فجأة ، عجزت شركة كوكا ــ كولا عن أن تصنع قطرة واحـدة من مادة « ٧ إكس » حتى تفتح خزانة من حديد فى مصرف ، فهناك توجد الصيغة مكتوبة بخط اليد .

والدكتور هيث يدخل مرة كل شهر حجرة موصدة فى مصنع كوكا ــ كولا بمدينة بلتيمور ، ويصنع مادة « ٧ إكس » ولا يعرف أحد من مساعديه الروائح التى تدخل فى تركيب المادة ، فهى روائح مرقومة ، فترى الدكتور هيث يطلب من مساعديه أن يناولوه الموادَّ بأرقامها لا بأسمائها .

ولشراب كوكا ــ كولا منافسون قد يزيد عددهم على أربعة آلاف مثل كولا ــ نولا و « كال ــ كولا » وغيرهما ، وقد توالى ابتكار الأسماء التى تشبه الاسم الأصلى بسرعة عظيمة ، فعجزت شركة كوكا ــ كولا عن إقامة القضايا عليها جميعاً ، فاختار محاموها بعض الأسماء وأقاموا القضايا ، وتركوا الأسماء الباقية تموت قبل أن تشبَّ .

وقد ظل شراب كوكا ــ كولا يزداد انتشاراً برغم المنافسة والقضايا والحروب والأزمات الاقتصادية . فلما تجاوز الخمسين من عمره كان نموه وانتشاره أسرع مما كان يوم كان فى العشرين والثلاثين . وكانت لوحات الإعلان تقول فى أواخر العقد الثالث من القرن العشرين : « ٩,٠٠٠,٠٠٠

زجاجة كل يوم » . أما اليوم فيزيد ما يباع على ٣٤٠٠٠٠٠٠٠٠ زجاجة .

وشراب كوكا — كولا مشرف اليوم على أن يصير شراباً عالمياً ، فقد ظل يباع فى مدينة نيويورك ربع قرن قبل أن يصير ما يباع منه مليون صندوق فى السنة . بيد أن مدينة المكسيك بلغت هذا الرقم بعد ١٢ سنة ، ومدينة بونس إيرس بعد ست سنوات ونصف سنة ، ومدينة منتفيديو بعد أربع سنوات ونصف سنة ، ومدينة القاهرة بعد عشرة أشهر. وقد دخل شراب كوكا — كولا إلى ألمانيا قبيل أن يقبض هتلر على زمام الحكم . فلما كانت سنة ١٩٣٩ كان ما يباع فى ألمانيا ١١٠٠٠٠٠٠٠ زجاجة فى السنة . ومنذ عهد قريب نزل أحد الأسرى الألمان من سفينة فى ميناء أمريكى فرأى إعلاناً عن كوكا — كولا ، فالتفت إلى من حوله وقال : « وأنتم أيضاً عندكم كوكا — كولا ؟ »

وقد أرسلت خمسة آلاف مليون زجاجة كوكا — كولا إلى القوات الأمريكية فى أثناء الحرب. ولم تكد جيوش الحلفاء تنزل فى شمال إفريقية حتى أرسلت برقية إلى قيادة التموين : « أرسلوا حالا ثمانية مصانع كوكا — كولا (الإمضاء) أيزنهاور » وقبل أن تلقى القنبلة الذرية على اليابان بنحو شهرين استولت قيادة الأسطول على ١٩٫٩٨٠ صندوق « كوكا — كولا » وأمرت أن يدهن لفظ «طوكيو» على كل صندوق .

وقد أنشئت مصانع كثيرة لتعبئة الشراب خارج الولايات المتحدة فى أثناء الحرب ، فبلغ ثلاثة وستين مصنعاً ، ونظمت فرق خاصة متنقلة لتوزيع هذا الشراب على المقاتلين فى ساحات المحيط الهادىء .

ومن ذا الذى يستطيع أن يقدّر أثر الحرب فى شراب كوكا — كولا ؟ أو أثر الصندوق الذى أهداهُ الجنرال أيزنهاور إلى المارشال جوكوف بعد أن شرب القائد الروسى زجاجة منهُ فى بوتسدام ؟ أو أثر مصانع التعبئة التى أقيمت فى أوكيناوا وكوبى ويوكوهاما ؟ وقد عاد صحفيٌّ من المحيط الهادى منذ عهد قريب فروى قصة عن ثلاثة من ملوك القبائل فى جزائر مارشال ، جلسوا فى مجلس الحكم يتناقشون فى أموره وهم يشربون كوكا — كولا . وأنت ترى هذا الشراب يعبأ اليوم فى الصين ، وهم يعبرون عن لفظ الاسم برسوم صينية معناها : « تجعل الرجل سعيداً » . أما فى بومباى فقد أخذت جماعة من الهنود تنشىء مصنعاً للتعبئة. وروسيا السوفيتية هى الرقعة الجغرافية الكبيرة الوحيدة التى لم يدخلها شراب كوكا — كولا .

تنفس نفساً عميقاً

هيلين درهام

مختصرة من مجلة "كوليرز"

تنفس لكي تصح ، تنفس لكي يترقرق في وجهك ماء الشباب، تنفس لكي يعتدل قوامك وكلامك وتزداد عافية . وعلى هذا أجمع الرياضيون والأطباء .

يقول الفقير الهندى الفيلسوف : « إذا حسُن تنفسك حسنت حياتك » . ويقول خبير الصوت : « إن النفس هو مادة الصوت». أما مدرب الرياضة فوصيّته الأولى لك أن تملأ رئتيك بالهواء . ويقول المتخصص الأمين فى فن التجميل إن تنشيط دورة الدم بالتنفس الجيد يصنع فى رونق البشرة أكثر مما يصنع التدليك طول الحياة. ويقول لك المحلل النفسانى إن شيئاً يسيراً كضعف النفَس يستطيع أن يورثك مركب النقص . أما الطبيب فيقول إن التنفس أهم وسائل الحياة، وأن كل عمله هو أن يجعلك تتنفس منذ تولد إلى الساعة التى يمدّك فيها بالأكسجين حتى لا ينقطع التنفس فتنقطع أسباب الحياة . إن أكثرنا يستنشق من الأكسجين ما يكفى لصون الحياة لا لملئها بالنشاط ، فنحن أشبه ما نكون بسيارة تسير بنصف قواها ليس إلا . ولو ملأ المرء رئتيه بمقدار كبير من الهواء، لزاد نصيبه من الأكسجين فأحس فى نفسه خفة . وتلك قاعدة مقررة ، فإذا لم تصدق فجرّب .

لقد تعودنا أن لا نستعمل فى التنفس إلا الجزء الأعلى من الرئتين ، بحيث أصبحنا نحسب أنهما تنتهيان عند خط الثديين ، ولكن هذا باطل ، فإنهما تمتدان تحت الأضلاع على الجانبين إلى الخصر . فإذا لم تنتفع دائماً بهذا الجزء الأدنى من الرئتين، وهو أهم الجزئين ، لم تجد لك مكاناً فى شركات التأمين ولا فى مباريات الجمال .

تقول فيدا ساتون مدربة مذيعى شركة الإذاعة الأهلية على فن الصوت : كلامك هو تنفسك ، فإذا لم تأخذ قسطاً عظيما من الهواء، فقد صوتك التنوّع والجهارة والقوة. وصاحب النفس القصير قصير الصوت رفيعه، وفيه حدة تشبه الصرير ، وصاحب النفس المتراخى صوته رخو متخاذل .

والمذيع يدرك قيمة النفس العميق . فدونك أية محطة للإذاعة ، فارقب المذيع

وهو يتهيأ للكلام وعينه شاخصة إلى الساعة، تر ظهره يعلو ويهبط وهو يضبط أداة صوته.

ويقول الطبيب النفسانى : فى وسعك أن تتحكم فى مزاجك بالتحكم فى تنفسك ، فإذا كنت مرهف الأعصاب حديد الطبع سريع الغضب،فتنفس بعمق ترَ العجب من آثار هذا النفس المسكن .

والتنفس العميق هو منقذ الممثل من رهبة المسرح . وتعلن ممثلة مسرح معروفة، هى هيلين هايز ، أنها لا تقوى على مواجهة المتفرجين فى الليلة الأولى لتمثيل رواياتها الجديدة ما لم تستجمع شجاعتها بعدة أنفاس عميقة .

تقول مسز هايز: «أنا مدينة لمارى جاردن بالذى أدركته عن التنفس وخطر شأنه ، فقد تدمونى لها باسم مسز هايز الصغيرة الممثلة الناشئة . فكان ردُّ مس جارن أن وكزتنى بإبهامها فوق حزامى وكزة قوية وقالت : ممثلة ! إنك عاجزة عن التمثيل يابنية. إن حجابك الحاجز أصغر من حجاب الرضيع .

«وظللت عدة سنوات لاأمثل إلا أدواراً صغيرة،لأن أنفاسى كانت مثل حشو الطائر الفزع . وما كان ليتهيأ لى أن أمثل دور « الغانية » قط ، لو لم أكتسب القوة والسكينة بعد أن تعلمت كيف أتنفس » .

ترى كثيراً من الناس يقف وقفة غير صالحة لأنهم يتنفسون تنفساً غير صالح ، فإن الصدر إذا تقاعس ، والظهر إذا احدودب ، فمردّ ذلك كله إلى التنفس ، إذ أن الرئتين الممتلئتين بالهواء تقيمان الجسم معتدلاً كما تقيم السفينة أثقالها .

والآن إذا كنت فى ريب من أمر نفسك وأنك تحسن التنفس أو لا تحسنه ، ففك حزامك واعل به إلى منتصف المسافة بين الخصر والثديين ، ثم ازفر وشد الحزام على صدرك شدًّا حتى يفرغ من الهواء ، ثم اشهق شهيقاً عميقا، وانظر كم يكون تمدد الحزام بأن تعد ثقوبه . وهذا هو الموضع الذى ينبغى أن يقاس من عنده تمدد الصدر بالتنفس ، لا من تحت إبطيك كما يظن مدربك الرياضى .

إن تمدد الصدر عند التنفس يجب أن لا يكون فى مقدمه وحسب ، بل فى الظهر والجانبين أيضاً . ولكى تعرف قدرة ظهرك على التمدد ، ابسط راحتيك على أسفله ، وإبهام كل منهما إلى الأمام ، والوسطى تحت أسفل الأضلاع ، ثم اضغط براحتيك وازفر بأقصى ما تستطيع ، ثم تنفس نفساً طويلا ، وانظر مبلغ انفراج راحتيك . إن أضلاعك قفص مطاط يحمى الرئتين ، فإذا تمددت الرئتان فإن قفص العظام يجبه

أن يتعدد فى كل اتجاه . ومن الطرق التى تتعلم بهـا كيف تتنفس ، أن تشهق شهيقاً عميقاً حتى تحس كأنك قد شحنت بالهواء مؤخر الأضلاع .

يقول الدكتور يوجين ليمان فيسـك : « إن التنفس يجب أن يتم بلا وعى، ولـكن ينبغى أن تتيح له نصيباً من الرياضة كل يوم . فأولئك الذين يعيشون فى الحجرات طول أيامهم ، يستطيعون أن يستعيضوا عن بعض ما يلقون من شرور هذا الحبس بأن يخرجوا إلى الهواء الطلق فيستنشقوه بقوة بضع مرات،ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا» .

ولن تستطيع أن تتنفس كما ينبغى دون أن تستعين بحجابك الحاجز ، فإن هـذا الحجاب هو أسفل الصدر،وهو عضلة تشبه القبة ، تنخسف عند الشهيق فيتسع تجويف الصدر ، وتعـلو فى الزفير فتطرد الهواء . وبغير هذه العضلة المهمة لن تستطيع أن تحدث صوتاً أوأن تلهث أو تتنهد أو تسعل أو « تهمهم » أو تتنحنح . وحجاب الرجل يصل إلى أدنى مما يصل إليه حجاب المرأة ، فيجعل صدره أوسع ، كما أن نشاط الرجل جعل هذه العضلة أقوى من أختها فى المرأة ولذلك كان النساء، إلا القليل منهن، أضعف تنفساً من الرجال ، وكنّ أسرع إلى إهمال الحجاب الحاجز أو ضعف استعماله .

لقد علمتنا الطبيعـة لحسن الحظ كيف نستعمل هـذا الحجاب ، فالرضيع يتنفس تنفساً صحيحاً ، وكذلك يفعل النائم . فإذا كبر الرضيع واستيقظ النائم تركا العوامل المثبطة تحدّ من حركات هذا الحجاب . وثمة طريقـة لتمرين حجابك الحاجز إذا أصابه فسـاد : هى أن تستلقى على ظهرك وتنسى هموم الحياة ، وتدع هذه العضلة الكبرى تعمل كما شاءت لها الطبيعة أن تعمل . فإذا أدمت ذلك وتعوّدته تنفست بالطريقة نفسها وأنت قائم على قدميك . إن جيرتزا ممثلة الأوبرا الناجحة ، والتى كان تمثيلها يصطبغ دائماً بشىء من البهلوانية، كانت لاتفتأ تغنى أغنية من أغانيها المحبوبة وهى مستلقية على ظهرها بين الحين والحين . وهى تقول إنها تعلمت كيف تجيد الغناء وهى على هذه الهيئة.

إن الهدف الوحيد للتنفس هو إدخال الأكسجين إلى الجسم ، وبغير الأكسجين سرعان ما نموت. وكل عمل مهم يقوم الجسم به يعتمد على الأكسجين، وكلما زاد ماتناله منه ازددت نضرة وقدرة وشباباً . وإذا شعرت بانحطاط فى قواك، أو بكلال فى عقلك، أو بمثل الحشرجة فى صوتك، أو باضطراب فى حركتك أو بماء الشباب يغيض من وجهك ، بل إذا أحسست أن عقلك يكاد يطيش، فتنفس — إن هذه الكلمة هى خير نصيحة تسدى إليك.

أقدر لهذا الرجل الذى لم تقصم عوده المصاعب أن يصير أغنى رجل فى العالم ؟

مرشح لعرش الماس

جورج كنت

أوسع القول فى بلاد تنجانيقا ، ففيها جبل كلمنجارو أعلى جبال إفريقية طرًّا ، ويبلغ ارتفاعه ١٩٫٠٠٠ قدم، وفيها بحيرة فكتوريا التى ينبع منها نهر النيل .

ولكن لاحديث للناس اليوم فى تنجانيقا إلا عن أحدث مناجم الماس، بل لعله أعظم مناجمه فى العالم — وعن ذلك الكندى الصّموت جون توربرن وليامسن مكتشفه ومالكه .

فمنذ سبع سنوات خلت دخل وليامسن حانة فندق تابورا وهو أشعث أغبر مرسل اللحية ، وألقى إلى زجاجات الخمر نظرة ملهوف ظامىء ، ثم انقلب راجعاً ولم يطلب شيئاً ، فتغامز به عمال الحانة ، وما فعل ذلك إلا لأنه كان مفلساً . وقد ألح عليه الإفلاس فى تلك الأيام وبلغ منه حتى ظنه الناس رجلا به لوثة من جنون .

وقد لقبه أهل البلاد السود بالرجل « الأبيض الفقير » . وكان من اليسير أن تعرف أين كان ينقب ، من الأخاديد التى تركها حديد عجلات السيارة التى يركبها ، فقد كان أفقر من أن يتخذ لعجلاتها إطاراً . ولم يكن فى المدينة من يثق بأنه رجل يرجى له نجاح ، سوى بقال هندى فى بلدة شنيانجا كان يقدم له ما يأكله نسيئةً ، وكاتب فى مصرف أعطاه كل ما ادخره، وهو ٣٠٠ جنيه[1]، ورجل معدّن نحاس أمنه على ١٠٠ جنيه جزاء لما كان يسديه إليه من معروف .



فلما كانت سنة ١٩٤١ عثر وليامسن على ما كان يصبو إليه — منجم الماس . ويقول علماء طبقات الأرض إنه قد

يكون أغنى ما يعرفون من مناجم الماس ، فإذا صح ذلك فغير بعيد أن يصبح هذا الكندي أغنى رجل على ظهر الأرض .

وقد ذاع بين الناس أن الطن من حصباء هذا المنجم فيه من قراريط الماس أكبر مما فى طن مثله من منجم كمبرلى المشهور ، والذى لا يزال يعد أعظم مناجم العالم . وقد سمعت بالمنجم الجديد الشركة الإنجليزية الأمريكية لجنوب إفريقية ، والتى تملك أو تهيمن على ٩٥ فى المئة من بقاع الماس ، فعرضت على وليامسن أن تشترى منه منجمه بمبلغ ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال فأبى . وقد رأيت فى عينيه بريق السخرية وهو يقول لى: « وماذا أفعل بهذا المال كله ؟ »

كان استخراج الماس فى العام الماضى يتم كله بالأيدى العاملة، ويقدر ما سرقه اللصوص منه بنحو ٢٠ فى المئة، ومع ذلك فقد أخبرنى وليامسن أنه باع من الماس ما تبلغ قيمته ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال كان صافى ربحه منها ١٫٥٠٠٫٠٠٠ ريال . هذا على أنه لم يحفر إلا ظاهر الأرض ، فلم يبلغ عمق الحفر أكثر من اثنتى عشرة قدماً . وهو الآن يترقب وصول الآلات التى تمكنه من الغوص فى جوف الأرض إلى طبقة الصخر التى يستخرج منها ماس أثقل وزناً .

وقد تجاوز وليامسن الأربعين من عمره، وهو نشيط جرىء القلب له شارب يجعله أقرب شبها بالمقامر المحترف منه بالرجل المعدِّن . وهو رجل عزَب لا تطمح أنظار النساء إلى الزواج بعزب أفضل منه ، فهو يتلقى مئات الرسائل من جميع أقطار الأرض من نساء يكتبن إليه بأشواق الحب الذى يملأ قلوبهن ، أو يرسلن إليه الهدايا مما صنعنه له بأناملهن .

وتكتنف المنجم هضبة منحدرة الجوانب تحيط بها غابة كثيرة المستنقعات ، وهى بقعة مخوفة موحشة لا يؤنس وحشتها إلا طائرها الأبيض المعروف باسم أبى منجـل ، وإلا أشجارها البواسق التى يبلغ عمرها ألف سنة ، وهى المعروفة باسم أشجار الباوباب. وهى بقعة وبيئة تتفشى فيها الملاريا، فمن أجل ذلك يلبس الغرباء فيها أحذية تقيهم شر البعوض ، ويأخذون حذرهم نهاراً من ذباب تسى تسى الذى يورث لديغه مرض النوم .

هذه صفة الأرض التى نقب فيها وليامسن شبراً شبراً ، فانتهى أمره إلى أن أحبها حباً جماً حتى لم يعد يعبأ بالعزلة التى يعيش فيها . وهو رجل شديد الحياء ، فمن أجل ذلك تراه يغلق عليـه باب مكتبه ويفتح الراديو فيغنيه ذلك عن التماس صاحب أو رفيق يؤنسه . وقد قصده الناس من بلاد بعيدة

ليملأوا أعينهم منه ، ولكنه يأبى أن يقابل إلا من كان له معه عمل ، أو من لا يستطيع إلى ردِّه سبيلا، مؤثراً وحشة الغابة على الأنس بحديث الناس . وقد اتخذ لنفسه بيتاً آخر فى ناحية بوكوبا على بعد ٩٠ ميلا شمال منجمه ، فيفر إليه بطائرته إذا أحس بمقدم زائر لا يحب أن يلقاه .

بيد أنه شكور ودود لأصدقائه ولمن أسدى إليه جميلا ، فذلك الكاتب الذى أعطاه كل ما ادخر من المال قد نال جزاءه مضاعفا مئة ضعف — أى ٣٠،٠٠٠ جنيه. ولم يكتف بأن ردّ إلى معدِّن النحاس ماله الذى أقرضه إياه ، بل أعانه على استغلال منجم ذهب يدرُّ عليه اليوم ٣٠،٠٠٠ ريال فى السنة . أما البقال الهندى فقد ردّ إليه المال الذى كان له ، ويسَّر له عملا نال منه مالا يقل عن ٢٠٠،٠٠٠ ريال .

وقد جعل وليامسن لهذا المنجم ٤٠٠ سهم ليس له شريك فيها سوى رجلين: أما أحدهما فأخوه برسى، جعل له ١٠٠ سهم لأنه أصيب فى الحرب ، وقد كتب إليه يقول : « لقد اشتركت فى الحرب وقعدت أنا — فهذا النصيب حق خالص لك » . أما الآخر فمحام هندى جعل له سهما واحداً . وأما سائر الأسهم وهى ٢٩٩ سهما، فهى ملك لوليامسن وحده.

وهو يودع درر الماس فى خزانة ضخمة قديمة العهد يبلغ ارتفاعها من الأرض إلى السقف. وترى درر الماس طبقات مرصوصة فى آنية من الزجاج لا تزال عليها بطاقاتها مكتوباً عليها: ليمون أو مربى أو أشباه ذلك. وفى بعض هذه الأوانى ماسات من ذوات اللون الأغبر والأسود مما لا يصلح إلا فى أغراض الصناعة ويبلغ قدرها نحو ٢٠ فى المئة من مجموع نتاج المنجم. وفى بعضها الآخر ماسات صافية الألوان ما بين أبيض وأزرق ووَرْدى وأخضر وأصفر فاقع ، وكلها حجر خام . وبين هذه الأوانى زجاجة تبرق فيها ماسات مقطوعة مصقولة قد أفردها وليامسن ليهديها إلى أخواته وإلى أمه يوم يعود إلى وطنه كندا .

وقد عمد وليامسن إلى مائدة عليها كوم من الرسائل فنحّاها بعيداً وأفرغ إناء فيه درر من الماس ، فتدحرج قليل منها وسقط على الأرض، فأسرعت إليها لألتقطها، فأشاح لى بيده وقال : « دعها ولا تتعب نفسك ، فسنبحث عنها فيما بعد » . ثم رأيته يخرج من مكتبه علبة سجائر مصنوعة من الصفيح، وهى من العلب التى اعتاد أن يرسل فيها جواهره إلى لندن بالبريد ، ومن عادته أن يرسل نحو عشر علب منها فى كل بريد .

وله وليامسن فى بلدة منتفورت من أعمال كويبك بكندا ، لأب من تجار الحطب ، ثم انتهى إلى جامعة ماكجيل يدرس القانون .

بيد أنه فتن بما يقرؤه ويسمعه عن الرحالين ، فأحب الرحلة ، فآثر أن يدرس علم طبقات الأرض وقال لنفسه : أهل القانون مقيدون لا يرحلون أما مهندسو المناجم فيرحلون ويعرفون الدنيا .

فلما نزل إفريقية بقي أربع سنوات ينقب عن النحاس لإحدى الشركات فى روديسيا ثم تركها ساعياً إلى الهدف الذى استأثر بشغاف قلبه ، ألا وهو البحث عن منجم ماس . وسخر الناس منه يومئذ ، وظل يطوى الليالى والأيام بائعاً سقيما تضنيه الملاريا أو الدوسنطاريا ، وصارت ثيابه أسمالاً بالية . وأراد أن يعمل عملا يقيم به أوَدَه ، فعمد إلى منجم مهجور وأخذ ينقب فى نفايات حصبائه ، فربما مر الشهر فلا يعثر إلا على جوهرة واحدة لا تبلغ قيمتها قيمة الماس الحر ، ولكنها كانت تكفيه لما يمسك عليه رمقه .

وإذا شئت أن تدرك قدر المنجم الذى اكتشفه وليامسن ، فلا بد لك من أن تعرف أن مواطن الماس نوعان : الرواسب والعروق ، ففى أولهما يؤخذ الماس منه كما يؤخذ الذهب الذى يوجد عند شواطىء الأنهار أو حيث كانت الأنهار تجرى . وأما العروق فهى صخور بيضية الشكل تكونت تحت طبقات الأرض ، تضرب فى أعماق بعيدة الغور . وخير الماس ما كان من هذه العروق .

والمعروف فى علم طبقات الأرض أن عروق الماس كانت فى الأصل لابة من لابة البراكين ، فنشأت فيها هذه الجواهر بفعل الحرارة الشديدة والضغط القوى . وتطاول عليها الأمد حتى تم تمامها واستوت على صورتها . وليس يوجد الماس فى كل العروق ، فقد عثر على ١٥٠ عرقاً فى جنوب إفريقية فلم يوجد الماس إلا فى ٢٥ عرقا منها . وقد عثر وليامسن نفسه على ستة عروق فى تنجانيقا قبل أن يهتدى إلى منجمه الجديد ، فلم يجد فى واحد منها ماساً قط .

وقد واتاه الحظ مرة أو مرتين فى اكتشافه ، بيد أن التنقيب كان عملا شاقاً مضنياً لا فترة فيه . فقد قضى السنوات الطوال وهو يفحص ٥٠٠ ميل مربع من السهول المجدبة فى نواحى شنيانجا حتى قتلها علماً ، فانتهى به الرأى إلى أن قراضة الماس التى عثر عليها تدل على وجود عروق الماس فى هذه الأرض ، وأنه لا بد من ثلاث سنوات كاملة يقضيها فى تحليل النماذج تحليلا بطيئاً دقيقاً حتى يعرف مكانها . وكانت طريقته فى الاستدلال بسيطة ، فقد كان تحت أكثر هذه السهول السوداء التربة طبقة من الجرانيت ، غير أنه كان فيها مواضع يلتقى عندها الجرانيت بحجر أخف منه وألين ، فقدر وليامسن أنه لا بد من أن يكون عند ملتقاهما صَدْعٌ يتيح للغازات

المتصاعدة من الأعماق البعيدة أن تدفع مايكون في طريقها من الماس إلى سطح الأرض. وقد اهتدى إلى مكان هذه الصدوع بدراسة حصباء الحقول، وبفحص تربة بطون الأنهار وما فيها من أحجار .

وفي مكان قريب من بلدة «موادوى» بدأ يحفر أخدوداً في الأرض ، فوجد فيه عقيقاً وصخراً يعرف باسم « إلمنيت » ، ونوعاً من الحصى يكثر وجوده حيث يوجد الماس . ثم حفر أخدوداً آخر ، فكان أيضاً مبشراً بوجود الماس . فلما حفر عدة أخاديد متقاطعة في بقعة مساحتها عدة أميال مربعة، رأى الدليل بعد الدليل على وجود الماس ، فأيقن عندئذ أنه سلك طريقاً يفضى به إلى غايته . ومضت عليه ثلاث سنوات طوال حتى نال الأعياء من عقله وبدنه ، ولكنه استمرّ ، فقد كان حريصا على أن يهتدى إلى مكان عروق الماس ، فكان ينام على أديم الأرض ، أو في حديقة ، أو حيثما اتفق له أن يكون ساعة يفرغ من عمله .

وذات يوم عثر راعى غنم على نصف قيراط من الماس في بعض الأخاديد ، وكان المطر يومئذ يسحُّ سحاً ، ولكن وليامسن لم يبال وانطلق يريد المكان ، وظل يهيم في نواحيه يبحث عن جوهرة أخرى. فلما يئس استقل عربته ليعود أدراجه ، ولكنه رأى العجلات قد غاصت إلى نصفها في الأرض ، فبذل الجهد حتى رفعها ، وإذا به يجد في المكان الذى غاصت فيه ماستين. لقد اهتدى إلى عرق الماس !

وفي اليوم التالى ذهب وليامسن لكى يسجل حقّه في هذا المنجم ، ولكنه كاد يؤوب بالخيبة . وذلك أن إيطاليًّا كان مشغولا بالتنقيب في تلك البقعة ، فجاء في ذلك اليوم نفسه ليسجّل حقه ، وأراد الله أن يكون ذلك اليوم هو يوم أعلنت إيطاليا الحرب على بريطانيا ، فأصبح الرجل من فوره من رعايا العدوّ ، فاعتقل . وكذلك سجل وليامسن حقه في أرض مساحتها خمسة أميال مربعة ، ثم دلّ على كرم عنصره بأن دعا صديقاً له إلى منجمه . ثم أوعز إليه أن يسجل حقه في قطعة الأرض التي تجاوره. وقد باع هذا الصديق حقوقه إلى شركة في جوهانزبرج بمبلغ مليون ريال .

لم يكن عند وليامسن من الآلات في بدء عمله في المنجم ، سوى غربال من الحديد يدار باليد . ولم يكن في هذه البقعة ماء لتنقية الجواهر في الغربال، فكان وليامسن يغدو ويروح خمس مرات و ستًّا في اليوم راكباً سيارته ، وقاطعاً سبعة أميال إلى النهر ، فيملأ الصفائح ماء ويعود بها . ولم يكن أهالى تلك المنطقة قد رأوا قط معولاً

ولا مجرفة ، فكان عليه أن يعلمهم كيف يستخدمونهما ، وأن يعوّدهم على الرضى بالعمل ثمانى ساعات متواصلات فى اليوم . وبرغم هـذه العوائق كلها ، استطاع وليامسن بعد شهر أن يرسل بالبريد إلى مصرفه فى بريطانيا جواهر تبلغ قيمتها ٥٠,٠٠٠ ريال .

ولم يضرب وليامسن فى أول الأمر سياجاً على المنجم لقلة الحاجة إليه ، إذ لم يكن لأهالى المنطقة علم بقيمة هذا الماس . أما اليوم فإن عنده ٦٠٠٠ عامل من الأهلين ، عليهم نحو ٢٠٠ رجل من الشرطة لكى يراقبوهم ، وأحاط المنطقة التى يملكها بسياج من الأسلاك الشائكة . وفى هذه الحظيرة تعيش أسر العمال رجالا ونساء وأطفالا ، ولكل منهم أن ينال إذناً بالخروج منه لقضاء عطلة الأسبوع فى المدينة .

ومنجم وليامسن هو المنجم الوحيد فى العالم الذى يبيح لأسر العمال أن تتخذ مساكنها فى منطقة المنجم . أما سائر المناجم فلا تفعل ذلك، ثم إنها لا تأذن لعمالها بمغادرة منطقة المنجم حتى ينتهى عقد عملهم . وقد وضعت مناجم كمبرلى نظاماً دقيقاً لحماية المناجم من السرقات، فإذا انتهى عقد أحد العمال ، حمل إلى مكان يعزل فيه سبعة أيام ، فيجرّد من ثيابه ويفتش تفتيشاً دقيقاً ، ثم يعطى مقداراً من مادة مسهلة أو من زيت الخروع ، وأخيراً يضعون فى يديه قفازاً من الجلد لا أصابع له ، ويفرض عليه أن يبقيه فى يديه نائماً أو آكلاً طوال مدة العزل . وبرغم ذلك كله تسرق بعض الجواهر .

وأيسر أساليب السرقة أن توضع الماسة بين أصابع القدم أو فى الشعر أو فى الأنف أو فى أية جوة من جوات البدن . وقد تزدرد الماسات فتكشفها الأشعة السينية ، وقد كشفت فى جوف أحدهم عشرين حجراً من الماس . وكان بعضهم يشق جلده ويخفى الماس تحته ثم يخيطه عليه ، فيتعفن الجرح . ولكن السارق يرى أن الألم هين إذا ظفر بالمال ، وقد صنع أحد العمال فى كمبرلى عيناً من الزجاج كان يهرّب فى قلبها الجواهر من جنوب إفريقية .

بيد أن لصوص الماس فى منجم وليامسن قلة لا تذكر ، لأنه شديد الحدب والعطف على من يعاونه من العمال، حتى إنك لترى مئات منهم يؤمون منجمه من نواح بعيدة فى كل يوم يلتمسون عنده عملا . وأجور عماله أكبر من أجور سواهم فى سائر المناجم ، وهو لا يفرض على أحد أن يعقد معه عقداً لأكثر من شهر واحد . وقد ربّى قطعانا كبيرة من الماشية وأنشأ مذبحاً لكى يضمن لعماله مايشتهون من لحم . وهم يعيشون فى بيوت

بثمار الفكر والاجتماع ، وبتذوق الحياة كما تريدها هي . وما أكثر هؤلاء النساء في الأعمال والصناعات والفنون والسياسة ، اللواتي يزخرن بالقوة والرغبة في العمل . ولن يطول بنا الزمن حتى يصبح من النادر أن نرى امرأة تعتقد أن مهمتها في الحياة قد انتهت ، لأن أولادها قد بلغوا أشدهم فصاروا في غنى عنها . بل يغلب أن تعمد المرأة إلى قسمة حياتها شطرين : أما الأول فهو بعد أن تولد إلى سن الأربعين ، وبشمل نموها وتربيتها وزواجها وإنجابها الأولاد . وأما الثاني فحياتها بعد الأربعين، وتكون وقفاً على التعبير عن نفسها ، وعلى خدمة الناس ، وعلى القيام بشتى ضروب النشاط الاجتماعي النافع . فهكذا ينبغي أن تكون المرأة التي تخطت حد الأربعين .



امتحن ذكاء ضيوفك

بعد أن تفرغ من العشاء مع ضيوفك ، ضع ستة من أكواب الماء كما ترى في هذا الرسم



حتى يكون الكوب الأول فارغاً، والثاني فيه ماء إلى نصفه ، وهكذا ، واجعلها جميعاً صفاً واحداً . ثم اطلب إلى ضيوفك أن يجعلوا الأكواب الثلاثة الفارغة متجاورة والأكواب الثلاثة التي فيها ماء متجاورة ، وذلك بتحريك كوب واحد لاغير ، ولا تنس أن تنبههم أن الحل ينطوي على حيلة .

[الحل في صفحة ٩٥]

« وفيك انطوى العالم الأكبر »

قال عالم فلكي ذات مرة لصاحبه : « إن الإنسان في نظر الفلكي ذرة دقيقة في كون لا نهاية له » .

فقال صاحبه : « ولكن الإنسان لا يزال هو الفلكي » . [هنري لنك]

حارس مجرب من حراس الشواطىء يحذر طلاب الرياضة البحرية وطالباتها من مخاطرها .

ليس الغرق ضربة لازم

جيمز و. دانر

مختصرة من صحيفة "ذى بلتيمور صنداى صن"

كان الفتى منطرحا على رمل الشاطىء وشبح الموت يظلله ويطل من وجه شاحب وعينين غاض نورهما . وكان الناس من حوله سكوتاً لا يسمعون إلا أنفاس الحارس وهمساته وهو يقوم بحركات التنفس الصناعى، وإلا نحيب أمه ، بل كانوا يسمعون أيضاً فى الحين بعد الحين صوتاً خافتاً هو تربيت الأب مترفقاً على كتف زوجته .

لقد أخذوا الأمّ وساروا بها ، وبدأ الجمع المحتشد ينفضُّ ، ولكنَّ الأب تلبَّث متعلقاً بحبل واهٍ من الأمل ، وهو يترقب صامتاً زائغ البصر . وقد خدرت عضلات الحارس حتى صارت تؤلمهُ وحلَّ به الإعياء، ولكنهُ يلتفت فى الحين بعد الحين إلى الأب الصامت المترقب ، فإذا به يرى الشيخوخة تدب فى بدنه ، فيكفُّ عن التفكير فى التوقف فيمضى فى عمله .

وقد هرع حارس آخر بأسطوانتين ملؤهما الأكسجين ، فاستنفدت الأولى ، وكاد أكسجين الثانية ينفد أيضاً . الأمل ضعيف لا يزيد على واحد فى مليون ، ولكن الحارس الأول يواصل حركات التنفس الصناعى ، عسى أن يردَّ الحياة على فتى كان منذ هنيهة صحيحاً زاخر النشاط . وصارت الدقائق تدبُّ متثاقلة كأنها دهور طويلة ، وجعل البدن يتصلب بين يدى الحارس شيئاً فشيئاً .

وأخيراً تمَّ التصلب الذى يعقب الموت ، وليس فى وسعك أن تجاهدهُ أو تدفعه متى تمَّ ، وإذا الحارس قد رفع ذراعيه ، ثم تهالك على الأرض إعياءً . وأخذ أحدهم ذراع الأب المترقب وقد نزلت على عينيه غشاوة من دمعه الحبيس ، فيمضى مطرقاً متثاقلا ، فيحفزك حافزٌ إلى أن تلحق به وتواسيه بكلمةٍ ، ولكن ماذا عساك تقول ، فى حلقك غصة وفى قلبك غم شديد ،

فترتدّ لتشارك فى لفّ الفتى بملاءة ، ثم يحملونهُ ويبعدون به ، فكأنهم حملوا على أيديهم بضعة منك .

وأنت تعلم ما هو الغرق ، وما الموت اختناقاً بالغرق ، وإن ألوفاً من الناس كباراً وصغاراً يلقون حتفهم غرقاً كل سنة ، فمعدل الذين يموتون غرقاً فى الولايات المتحدة سبعة آلاف كل سنة ، أما الذين يدنون من الموت غرقاً واختناقاً فألوف كثيرة ، ولا ينجون إلا برحمة من الله .

ألوف من الناس يموتون غرقاً فى هذه السنة ، وفى السنة المقبلة ، وفى التى تليها !

إن غرق هؤلاء الناس ليس ضربة لازم .

وأنا حارس من حراس شواطىء الاستحمام، وقد انقذت مع رفاقى على الشاطىء الذى نتولاه ٣٠٥ من الناس فى السنوات الثلاث الأخيرة . فأنا أعرف ما أقول ، وأعرف أيضاً كيف يسهل أن تحدث الوفاة غرقاً ، مهما كان المرء سباحاً قوياً بارعاً ، ثم أعرف أن اجتناب كل هذا شىء ميسور .

وأكثر مآسى الغرق يرجع إلى أن الناس يتهوّرون فى إهمال ما ينهى عنه العقل وتأمر به التجربة . وقد رأيت مرة بعد مرة ، كيف يفضى هذا التهور والإهمال إلى فواجع نحن فى غنى عنها ، فلذلك أحب أن أوجه الأنظار إلى النواحى التالية ، فهى قواعد ينبغى أن تراعى .

١ — لا تبعد فى سباحتك عن الشاطىء دون أن يصحبك زورق .

إن النشوة التى يحس بها المرء حين يسبح فى الماء البارد توهمه بأنه قوى قادر على كل ما يريد . وهذا وهم خاتل ، لأن النشوة التى تحفز عضلاتك إلى النشاط ، تخبو على حين فجأة، فتلفى نفسك قد صرت متعباً عاجزاً عن العودة إلى البر . وقد كان فى وسعك أن تسبح المسافة نفسها دون أن تتعرض للخطر، لو أبعدت قليلا عن الشاطىء ثم سبحت على محاذاته . وقد يخيل إليك أن هذا القول نصيحة مبتذلة غثة ، ولكننا نرى فى كل يوم من أيام الصيف فئة من هواة السباحة المتحمسين ، ينزلون إلى البحر ، ثم يضربون فيه مبعدين عن الشاطىء كأنهم نزلوا إليه ليعبروا بحر المانش . بيد أنك لا تسمع أن أحداً من السباحين العالميين الذين يحاولون عبور بحر المانش قد غرق فيه ، فهم يدركون حدود قدرتهم ، ولكل منهم زورق أو أكثر يرافقه فى أثناء السباحة. أما على الشواطىء التى يؤمها الناس للرياضة البحرية ، فما أكثر ما تسمع عن سباح

أمعن وحده فى عرض البحر ، ثم لقى ما يؤوده من المتاعب .

ومن الخير أن يمتنع المرء عن السباحة وحده ، وإن كان ذلك فى ماء ضحل . فلا يمر بنا فصل من فصول الصيف دون أن نشهد حتف سـباحين يهملون هـذه القاعدة البسيطة من قواعد الاحتياط — ولو كانو على مقربة من يد تمد إليهم بأبسط المعونة لقدّرت لهم النجاة .

٢ — لا تسبح إلا بعـد أن تنقضى ساعتان على الأكل .

فإذا لم تفعل فأنت خليق أن تحس بغتة بألم فظيع فى معدتك من تقلص فى عضلاتها ، فينطوى بدنك بعضه على بعض فيصير العوم شاقاً أو مستحيلا . وكثيراً ما تشل كل عضلة فى الجسم ، فيعجزك أن تحرك إصبعاً لـكى تنقذ نفسك من الخطر الذى يحدق بك . وقد يكون أصحابك من حولك فتغطس فى الماء فجأة كأنك صخرة ، ولا يشعر أحد بما حدث لك . وهـذا خطر مشهور ، ولـكن الحمقى والمتهورين من الناس لا يزالون يتحدون هذا الخطر كل سنة — ثم يلقون جزاء ما فعلوا .

٣ — لا تبق فى البحر ماضياً فى السباحة حتى تحسّ بأن البرد قد قرصك .

ففى كثير من الأحيان تصاب عضلات القدمين والساقين والفخذين والذراعين بتقلص ينشأ من إجهاد البدن حين يكون البرد والإعياء قد حلا به . وتقلص عضلات الأطراف أيسر خطراً من تقلص عضلات البطن ، ولـكنه أكثر حدوثاً . وقد يكون الألم فظيعاً حتى يصير العضو الذى تقلصت عضلاته عاجزاً عن كل حركة ، فلا يصلح لشىء . بيد أن الخطر الأكبر فى تقلص العضلات ، هو الذعر الملحُّ الذى يستبدُّ بمعظم الناس حين تتقلص عضلات ساقٍ أو ذراع وهم فى المـاء .

والوخزة التى تحسُّها فى جنبك حين ترهق نفسك بالمشى السريع ، ليست من قبيل تقلص العضلات. فإذا حدث تقلص العضلات واستطاع المرء أن يحتفظ برباطة جأشه ، كان فى وسعه أن يعود سابحاً إلى برّ الأمان ، دون أن يستعين بالعضو الذى تقلصت عضلاته. أو قد يكون فى وسعه أن يدفع التقلص ، بأن يتنفس نفساً عميقاً ، وأن يحبس النفس هنيهة فى صدره ، ثم بأن ينحنى ويمسك بالعضلات المتقلصة — كعضلات الساق — فيدلكها تدليكا متواصلاً ، فتعود العضلات إلى حالتها الطبيعية .

٤ — لا تغطس فى المـاء البارد إذا كان بدنك متعباً ساخناً .

وينبغى أن تراعى ذلك مراعاة خاصة

بعد الفراغ من لعبة عنيفة . فإن ذلك يصدم القلب صدمة قوية ، وقد يفضى إلى حدوث تقلص فى عضلات المعدة . وخير طريقة لدخول الماء هى أن يمشى المرء فى الماء مشياً وئيداً ، وأن يرشّ بيديه قليلا من الماء على سائر بدنه ، فتخف الصدمة التى يتلقاها القلب حتى لا يكاد يحسها .

٥ — لا تحاول أن تنقذ شخصاً آخر بأن تغطس أنت فى الماء — إلا إذا كنت قد دربت على وسائل الإنقاذ .

فقد شهدنا فى السنوات الثلاث الأخيرة على الشاطىء الذى نتولى حراسته ، أربعين من السبّاحين الذين لم يتدربوا على أساليب الإنقاذ ، قد هبّوا إلى نجدة غيرهم ، فإذا أذرع المهدّدين بالغرق وأيديهم قد قبضت عليهم قبضاً لا فكاك منه ، فصار لا بدّ من إنقاذ المنقذين أيضاً .

وحرّاس الشواطىء الذين تمرّسوا بأساليب الإنقاذ ، هم أنفسهم قلما يحاولون أن ينقذوا مشرفاً على الغرق ، دون أن يستعينوا بزورق أو حبل أو طوف أو ما أشبهها من الأشياء التى تطفو فى الماء ، ويسهل على المهدّد بالغرق أن يتعلق بها ، أو أن يجرّ بها إلى برّ الأمان . وقد يكفيك أحياناً أن تلقى إليه بطرف منشفة وتمسك أنت بالطرف الآخر ، فيكون ذلك حسبه لكى ينجو من الغرق . فلا تنسين أن فئة كبيرة من الذين يغرقون ، إنما يغرقون وهم على مسافة قصيرة — بضع أقدام أو بضع بوصات — من مكان الأمان .

٦ — لا تكافح الماء إذا ساقك فى تياره .

أى لا تحاول أن تسبح فى اتجاه مضاد تماماً لاتجاه التيار . ففى كل سنة يغرق كثير من أقوى السباحين لأنهم يجهلون هذه الحقيقة أو يهملونها . بل عليك أن تسبح فى اتجاه منحرف قليلا يمكنك من أن تجتاز عرض التيار حتى تخرج من نطاقه ، فلا تستنفد قوتك فى مقاومته .

٧ — لا تستسلم للذعر إذا ساقك الماء المرتدّ عن الشاطىء .

ذلك بأن الماء المرتد ليس سوى حركة يحدثها الموج على شاطىء منحدر ، فإذا انكسر الموج ارتدّ ماؤه على الشاطىء المنحدر ، فيحدث حركة متجهة من الشاطىء إلى البحر . وهذه الحركة لن تشدّك إلى قعر البحر ، كما قد يخيل إليك . وإنما تبعد بك قليلا نحو عرض البحر . فإذا جاءت الموجة التالية حملتك وأدنتك قليلا من الشاطىء . وإذن فينبغى لك أن تسلم نفسك للماء المرتدّ ، فإذا جاءت الموجة التالية فاسبح معها بكل قوتك ، فتقترب من الشاطىء رويداً رويداً دون مشقة ، لأن

قوة الموجة المقبلة وقوة سباحتك معها تحملانك إلى الشاطىء مسافة أطول من مسافة بعدك عنه فى المرة السابقة . فإذا رأيت الموجة مقبلة فارفع ساقيك حتى تصيرا مساويتين لسطح الماء ، واسبح مع الموجة ما استطعت . وسرعان ما تبلغ برّ الأمان إن احتفظت برباطة جأشك .

وقد يخيل إلى أن بعض المخاطر أوضح من أن أشير إليه، ولكن السابحين يتحدون هذه المخاطر كل يوم . فنحن حراس الشواطىء لا ينقضى عجبنا حين نرى الناس يثبون إلى ماء لا يعرفون مبلغ عمقه ! فلم يسبحون حول العمد التى تقوم عليها الأرصفة، مع أنهم يعلمون أن فى مائها دوّامات خاتلة! ولم يحرص الذين لا يحسنون السباحة على أن يبعدوا فى البحر إلى حيث لا يستطيعون أن يثبتوا أقدامهم إذا اقتضى الأمر دون أن يستعينوا بنطاق منفوخ أو ما أشبهه !

ثم لِمَ لا يطيع الناس أوامر الحراس وإشارات الخطر . ففى الأيام التى يهيج فيها البحر ، تكثر استغاثة أناس تجاهلوا إشارة الخطر أو عصوا أوامر الحراس . ولا يغرنك أن ترى الحارس على مئة متر منك ، فقد تغرق قبل أن يصل إليك — فقد تقبض يد الخوف على حلقك ، وينسل الماء فى خياشيمك وبلعومك فتعجز عن دعوته إلى نجدتك . وقد يسمعك ويهب إليك ، فلا يكاد يصل حتى يكون التيار قد أبعد بك عن الشاطىء إذا كان التيار قوياً . وقد يغوص الحارس مرة ومرة وثالثة ، فلا يجدك قبل فوات الأوان .

فاذكر ولا تنس : أن الموت على مقربة منك وأنت فى الماء ، والموت غرقاً موت فظيع . ولا تصدق أحداً يقول غير هذا . وإذن فاحرص على أن لا تهمل القواعد التى يقضى بها العقل وتأمر بها التجربة .



من أروع المنشآت التى أقيمت لذكرى الناس على سطح الأرض « ينبوع الدمع » فى باخشيسراى فى روسيا ، فقد أقامه أميرٌ من أمراء التتر ليعرب عن حزنه العظيم يوم ماتت أميرة بولندية كانت أسيرة عنده . ولم يزل هذا الينبوع يذرف دمعة واحدة كلّ دقيقة منذ ٣٠٠ سنة .

أم روسية تبين لم آثرت الموت
على أن تعود إلى اتحاد السوفيت

حياة الصغار في روسيا

نينا الكسيف
مختصرة من مجلة "ليبرتي"





كنت أنا وزوجي كيريل ننتمي إلى طائفة من الفنيين المتخصصين كان لها بعض الامتياز في روسيا. وكانت تحت إشرافنا طائفة من مهرة العمال، فكان أجر كل واحد منا يتراوح بين خمسة أضعاف أجر الواحد منهم أو عشرة أضعافه. وبرغم ذلك كنا نلقى الأمرّين من الفقر وإرهاق العمل، ولذلك حرصتُ على أن لا يكتب على ولديّ وابنتي أن يعيشا تحت سلطان السوفيت.

كنت في الرابعة من عمري يوم قبض البلاشفة على زمام الحكم، فكانت أيام طفولتي سنوات قاسية ـ حرب أهلية ومجاعة وفزعٌ من بطش الشرطة. ولما كنت قد نشأت في جوار الفلاحين الأكرانيين، فقد شهدت كيف حطم النظام الجامع المشترك بناء الأسرة، وكيف انقلب أطفال القرية الآمنة المطمئنة فإذاهم أطفال لامأوى لهم يتكففون الناس. فكنت أرى آلافاً مؤلفة منهم شعثاً غبراً في أسمال بالية يجوبون البلاد يسألون الناس إحساناً، ويسرقون، ويموتون كما يموت الذباب. أما البيوت التي أنشأتها الحكومة لإيوائهم فلم تكن تتسع إلا للقليل من هذه الحشود.

وكانت أمي تتولى الإشراف على بيت من هذه البيوت فيه ٢٠٠ فتى وفتاة، فيما بين الخامسة إلى الحادية عشرة من العمر. وكان العمل يرهقها شططاً، فمعونة الحكومة كانت زهيدة لا تغني، وقلما كانوا يرسلون إليها ما يكفي من الثياب والفراش والطعام.

ومضت السنوات وإذا بنا نسمع عن « الحياة السعيدة فى عهد ستالين » ، فلم تخدعنى هــذه الدعاية قط ، وأنا أرى من حولى أطفالا أضناهم الجوع ، وشوّه هذا النظام الجائر نفوسهم وعقولهم .

ومنذ سنوات أدرك الكرملين أن الفساد الذى يلحق الصغار يترك أثره فى إنتاج الصناعة ، فعمد يومئذ إلى لمّ شعث الأسرة على نفس الأسلوب الذى اتبعـه هتلر وموسولينى . بيد أن هؤلاء الصغار لا يزالون يلقنون ازدراءَ مبادىء الأخلاق و « الأوهام » الدينيـة ، ولذلك ترى التجسس على الكبار واحتقار الآباء مغروساً فى نفوس الصغار منذ نعومة أظفارهم .

وقد عرفت فتى من الأوغاد يفخر بأنه هو الذى بلغ الشرطة أن أباه كان رئيساً لجماعة من المتدينين يخفون بعض الأشياء المقدسة لكى تردّ عنهم عادية السوء ، وكان من جراء ذلك أن نفى أبوه وأمه وأربعة من إخوته وأخواته إلى سيبريا . وإن بدنى ليقشعر كلما تذكرت أمثال هذه الحوادث ، فما الحيلة إذا أصبحت يوماً فإذا بى أرى أبنائى وفلذة كبدى قد سرت إليهم عدوى هذا الضرب من « البرّ بالآباء » ؟

إنى لأرى الصغار الغرباء وعلى وجوههم نضرة الصبا فيمتلىء قلبى حبوراً وغبطة ، ولـكنه يتقطع أيضاً من الحسرات على صغار وطنى وقد حرموا عهد الطفولة والصبا ، وإذا هم ينقلون من الطفولة إلى الكبر دفعةً واحدة . والرأى العام السوفيتى لا يستنكر أن يرى طفلا فى الثانية عشرة من عمره يعاقب بالإعدام مأخوذاً بجريمة سياسية ، وإن هؤلاء الصغار لينذفعون إلى الشر حيثما وجدوه طلباً للخلاص مما يلاقونه من الحرمان والتبرّم والجوع .

إن الحياء والتستر وبراءة الطفولة أشياء لا مكان لها فى غرفة واحدة تتكدس فيها أسرة برمتها . وقد عشت أنا ووالدتى وثلاثة آخرون زمنـاً طويلا فى غرفة طولها ١٠ أقدام وعرضها ١٣ قدماً ، وكانت هناك أسرة أخرى تعدادها ١٢ نفساً ، تشاركنا المطبخ والمرحاض اللذين كانا من مرافق شقة واحدة فيما مضى . ولم يكن فى هــذه الدار حمام ، وقد بذلنا كل جهدٍ فى القضاء على القذارة والحشرات ، فذهبت جهودنا كلها سدًى .

كانت أيامنا كلها على غرار واحد ، فقد كنت أنهض من فراشى فيما بين الخامسة والسادسة صباحاً ، فأخرج وأقف صابرة عند باب الدكان المجاور حتى أظفر بشىء من الخضر ، أو برغيف فوق الجراية التى لم تكن قط تكفى لردّ الجوع عنّـا . فإذا

عدت إلى البيت أعددت الشاى على موقد الجاز . والشاى وكسرة خبز جافة هو كل فطورنا . ثم أنطلق ذاهبة إلى مكان عملى، فأقضى ساعة فى مركبة كريهة الرائحة غاصة بوجوه علها غبرة البؤس والشقاء . وفى خلال ذلك أجد الهم جاثماً على قلبى ، لأنى لم أترك للصغار فى البيت لبناً ولا بيضاً — بل لا شىء إلا الخبز الجاف .

وهذه حادثة لا تخطر لى ببال إلا كاد الدمع يخنقنى : عدت إلى البيت ذات ليلة فإذا أمى تناولنى كسرة خبز سوداء مقضومة من أطرافها . ذلك أنه كان لنا جار شديد الحب لولدى الصغير « فوفا » ، فأعطاه هذا الرغيف ، فقضم منه قضمة ثم تمالك نفسه واستبقى سائره ، وقال لأمى قبل أن يأوى إلى فراشه : « عدينى يا جدتى أن تحتفظى بهذا لأمى فإنها لم تذق طعاماً فى الصباح » .

يا لها من رقة فى شعور طفل غرير أن يدرك معنى الجوع ! وجرت دموعى وأنا أضم هذا الطفل النائم إلى صدرى .

ولما كنت « عاملة مسئولة » كما يسمون أمثالى ، كانت تفرض على ساعات مضافة أقضيها فى العمل ، ولم يكن هناك حد محدود لهذه الساعات . وكان خير أيامى هو اليوم الذى أستطيع أن أعود فيه إلى البيت مبكرة لكى أعد شيئاً من طعام شهى للعشاء ، ثم أجد بين يدى عملا كبيراً من غسل ورفو وتنظيف . وكنا نحن الكبار نلقى شقاء لا يحد ، حين نجده لزاماً علينا أن تقضى كل هذه الأعمال فى ضوء خابٍ ، ولا نكاد نتكلم إلا همسا حتى لا نزعج نوم الصغار . وكان قلبى يتوق إلى وقت أجدنى فيه فارغة من العمل ، حتى أزداد معرفة بما تنطوى عليه نفس ولدى وابنتى ، وحتى أقرأ لهما شيئاً وأرشدهما إلى سواء السبيل .

كانت ابنتى « لاليا » فى نحو السادسة من عمرها ، فكانت تستيقظ مبكرة أحياناً وتصر على أن تبقى مستيقظة حتى تودعنى وأنا خارجة إلى العمل . فلم يكن يسعنى أن أحرمها هذه الدقائق التى تستزيدها لكى تبقى مع أمها زمنا أطول مما كان يتاح لها ، فكانت تخرج وتقف فى الطريق تحت البرد الشديد ، وهى تلوح لى بيديها حتى أغيب عن بصرها .

فإذا جاء يوم الأحد تيسر لى أن أجمع ما تراكم من الثياب فى إناء فيه ماء وأضعه على النار الضئيلة صابرة حتى يسخن فأغسله. وكنت أنا وكيريل نبذل الجهد حتى نختلس من يوم الأحد ساعات نقضها فى تعهد صغارنا ، فإذا التعب الذى لقيناه فى عمل البيت قد بلغ منا كل مبلغ ، ومع ذلك فلا مناص من أن نحمل على أنفسنا ونبدى من

البشاشة ما يجعلنا نذيق الصغار حلاوة عيشة الأسرة ، كما كانت تعرف فى الأيام الخوالى .

وإذا مرض أحد الصغار ، وما أكثر ذلك ، فمرضه ليس عذراً يسوّغ لأحدنا التخلف عن العمل . والروسى إذا كان قادراً على أن يستدعى لمريضه طبيباً خاصاً ، أنف لنفسه أن يذهب إلى عيادات الحكومة ، وكذلك كنت أفعل ، لعلمى أن أطباء الحكومة مرهقون بالعمل ومقصّرون فى فنهم . وقد أصيبت ابنتى لاليا بالتهاب الرئة ولم تكن قد تجاوزت السنة الأولى من عمرها ، فعادها طبيب الحكومة بضع مرات ، ثم آثرت أن أستدعى لها طبيباً متخصصاً وإن كان أجره قد أرهقنى من أمرى عسراً .

ولا أزال أذكر ما قاله يومئذ : « إن مرضها شديد خطر ، وخيرٌ لك أن لا ترسلها إلى المستشفى » . ثم كتب لى تذكرة وهو يهمهم : « ومانفع ذلك؟ إنك لن تستطيعى استحضار الدواء » . ولكننا استطعنا ، فإنه كان لكيريل أصدقاء من ذوى السلطان ، فاستحضرها لى من مستشفى الكرملين المخصص لأقطاب الموظفين .

فإذا كان هذا هو ما نلقى من عنت الحياة على وفرة كسبنا ، وعلى ما أتيح لنا من علاقة بذوى السلطان ، فما ظنك بسائر الناس ممن ليس لهم ما لنا ؟

وأنا لا أزال أحسد الغريب عن روسيا على طهارة قلبه وسلامة صدره ، حين يسألنى عن بلادى أسئلة بُنيت على ما ألف هو من العيش فى بلاده ، كأن يقول : أتحب المرأة الروسية كثرة التردد على المتاجر لتخيُّر البضائع ؟ أتحب لعب الورق والذهاب إلى الأندية النسائية ؟ أى أنواع اللعب يحبها صغارها ؟ وليس فى روسيا من تتاح لها أن تستمتع بشىء من هذا سوى زوجة رجل من أكابر ذوى السلطان أو خليلة له .

تخير البضائع ! إنها كلمة تفزع الروسية وتملأ قلبها رعباً ، فمعناها عندها أن تذرع الأرض إلى أقصى المدينة ساعية فى طلب شىء يشاع أنّه بضاعة نادرة — فاكهة أو حلوى أو بعض الثياب — يحوزها فى دكانه تاجر بعينه . ومعناها أيضاً جهاد مُرّ عنيف فى سبيل الظفر بحاجات يومها — من كبريت وملح وجاز وطعام ، حتى ولو كان معها من المال ما يتيح لها أن تشترى هذه الأشياء بالأثمان الفاحشة التى فرضتها الحكومة التى لا ترحم . وقد انتهى الناس فى روسيا إلى أن أحدهم ينضم إلى صفوف المنتظرين عند باب الدكان من الدكاكين ، وهو لا يدرى ماذا يريد أن يشترى . ولا

تجد أحداً منهم يستغرب هذا السؤال العجيب: « أنا بعدك، فما الذى يباع فى هذا الدكان ؟ »

وكثيراً ما رأيتنى أقف عند المتاجر التى تعلن عن أشياء النساء التى تستعمل فى وقت الطمث ، فأذكر أيامى فى روسيا وكيف كانت المرأة تضنّ بالخرق البالية أن تضيعها عبثاً ، فنستعمل مكانها الصحف القديمة .

والروسىّ حين ينزل بلداً من بلاد « الرأسمالية » يحارُ حين يرى كل هذه البضائع والثياب ، لأنه يجهل فيم تستعمل وكيف تستعمل ، فإنه لم ير لها مثيلا قط فى بلاده . ويروى أن زوجات بعض كبار ضباط الجيش الأحمر حين خرجن من روسيا إلى بلاد أخرى ، كنّ يخلطنَ فلا يفرقن بين قميص النوم وثوب السهرة .

ويسأل السائل عن لعب الأطفال ! إن الطفل الروسى إنما يبكى لأنه يريد أن ينال قطعة خبز أو ملعقة حساء زيادة فى طعامه ، وليس يبكى لأنه يريد لعبة . وإذا لم يكن الطفل من أبناء أغنى الأغنياء ، فهو متروك لخيال طفولته لكى ينشىء له لعبه التى يلهو بها . فهو تارة يأخذ ملعقة منبوذة فيلفها فى خرق ويتوهمها « عروسة » ، أو يأخذ بعض ألواح البراميل ويربطها على قدميه بسلك وينزلق بها على الجليد . وترى الصغار ذكوراً وإناثاً يلعبون لعبة « السجن » و « التصفية » ، فيتخذون الشقاء الذى يحيط بهم مسلاة يجدون فيها من اللذة ما يجده سائر الأطفال فى لهوهم ومرحهم .

وأطفال روسيا لم يألفوا الجوع وحده ، بل ألفو الذعر من الشرطى أيضاً . ففى سنة ١٩٤٠ طبقت الحكومة السوفيتية نظاماً ابتدعته لتسخير الأطفال فى الأعمال ، وهذا النظام لا يعرف عنه سائر العالم شيئاً ، وقد تذرعت هذه الحكومة بما سمته « منهاج التدريب على العمل » إلى تجنيد الأطفال الذى بلغوا الثالثة عشرة فما بعدها تجمعهم كل سنة . فهى لا تزال تنتزع فى كل عام ملايين من الصبيان والفتيان من أحضان أمهاتهم وآبائهم ، لكى تمرّنهم حتى يصيروا معدّنين أو عمالا فى المصانع .

وكانت معى زميلة فى المصنع فقالت لى ذات يوم : « كان ولدى يشتهى أن يصير طبيباً ، ولكنهم اقتادوه إلى ثكنات العمال الاحتياطيين ، فخرج وهو يصيح : سأفرّ ، سأنتحر » .

وقد ذهبت إلى مصلحة العمال الاحتياطيين لكى أتوسط لهذه المرأة ولكثير من أمثالها ، فقال لى الموظف المختصّ وهو لا يكاد يكتم أسفه : « هذه أكوام من الرسائل ، وآلاف منها تناشدنا أن نطلب للأطفال

مخرجاً من هذا المرسوم الجائر . وإن قلبي ليفيض بالحسرات ، ولكن كيف أعينهم ولا حول لى ولا قوة » .

وقد رأيت نحو سبعين من هؤلاء الفتيان والفتيات يتولون إدارة آلات فى مصنع الذخيرة الذى أعمل فيه ، فإذا ثيابهم السود أسمال ممزقة تعلوها الأقذار ، وقليل منهم من كان فى قدميه حذاء صالح ، وكان أكثرهم منهوكاً عليلا . وكانوا يعيشون فى ثكنات يخضعون فيها لنظام صارم كأنهم جنود ، وكانوا يعطونهم طعاماً تشمئز النفس من النظر إليه . وهؤلاء الصغار الأرقاء كانوا عندنا صورة لما سوف يصير إليه أبناؤنا وفلذات أكبادنا .

لقد كان هذا كله بياناً للذى أردت أن أجنّبه ولدىّ من عذاب البدن وفساد الأخلاق ، ولكن أبشع من هذين هو الشىء الذى كان خليقاً أن يلقياه إذا عادا إلى روسيا ، ألا هو رقّ العقل واستعباده .

وفوفا ولاليا صغيران أتمّ الله عليهما نعمة الصحة والعافية والذكاء ، وهما اليوم يجتازان حدّ الصبا إلى حد الشباب . فلو أنهما كانا اليوم فى روسيا لما نجا أحدهما من الأغلال التى تقيدعقله ، وتشوّه غرائزه ، وتمسخ عواطفه ، حتى يصير وافياً بحاجة دولة تطوى قبضتها على كل أسباب القوة والبأس .

وأشق الناس وأعظمهم بؤساً فى الأمة الخاضعة للنظام الجامع ، هم أهل العقل والرأى من رجال ونساء ، فهم يعيشون فى أرض لا تعرف رقة ولا رحمة ولا حرية الرأى واستقلاله . فإذا كنت حريصاً على حياتك ، فلا مفرّ لك من امتثال أمر هذا النظام واتباع مناهجه .

ومن أجل ذلك ترى أذكياء الآباء فى روسيا يصرفون صغارهم عن حرية التفكير وعن تقديس الصدق وإكباره . وقد كان فيمن عرفت عشرات من الآباء والأمهات يخفون عن أبنائهم ما يعتلج فى أعماق نفوسهم من إيمان بالدين والأخلاق ، مخافة أن يغرسوا فى نفوسهم غرسَ الشك والسخط ، فيجلبون عليهم البلاء الشديد إذا انقلبوا متبرّمين لا يطيقون العيش فى هذه الأرض السوفيتية .

وذات يوم أراد فوفا ولاليا أن يعرفا : لماذا يلقى بالناس فى السجون ؟ فحاولت طاقتى أن أشرح لهما الأمر ، فإذا لاليا تلحّ فى السؤال وتقول : « ولماذا إذن ألقوا بوالد جارتنا فاديك فى السجن ؟ إنه لم يسرق ولم يؤذ أحداً ، إنه رجل طيب ، وكان يحكى لنا حكايات مسلية » .

فإذا فوفا يقول: « تقول ابنة فاديك إن أباها كان عدوًّا للشعب، فخبرينى يا أماه، ما معنى عدوّ الشعب؟ »

فكيف بربك كان يدخل فى طوقى أن أبيّن لهما أن الرجل مظلوم ناله بطش « تطهير » جائر بلا عقل ولا رحمة. لم أجد من الكذب مناصاً، وحرصت على أن أختار كل كلمة أقولها مخافة أن يردّد الأطفال وهم فى المدرسة بعض ماقلته ولم ألق إليه بالا، فينالنا من انتقام الدولة عقاب غليظ.

وسألانى ذات مرة عن صديقهما جاليا ولماذا يقضى أكثر أيامه جائعاً؟ فحاولت أن أبين لهما أننا فى زمن الحرب، وأن على كل امرىء منا أن يضحى فى سبيل بلاده.

فأخذت الحيرة لاليا وسألتنى: « زمن الحرب! أليست صديقتنا مارنيكا تعيش أيضاً فى زمن الحرب؟ »

كانت مارنيكا هذه ابنة رجل من أكابر الموظفين، وكانت لاليا تزورها أحياناً فى بيتها، فترى طعاماً كثيراً من لبن وسكر وعسل وشكولاته أيضاً. فكان علىّ على أن أبذل غاية الجهد حتى أخترع قصة « معقولة » أخفى بها ما يرى الرائى من فروق الطبقات فى « مجتمع لاطبقات فيه ».

وأطفال ممثلى السوفيت فى مدينة المكسيك وسائر المدن الأخرى فى خارج روسيا، محرّمٌ عليهم أن يدخلوا المدارس « البرجوازية ». وقد كنت أنا مدرسة فى إحدى مدارس سفارتنا، فكان أولادى يكرهون قراءة الكتب المحشوة بالدعاية، والتى كان لزاماً على الصغار أن يقرأوها.

وقد جاءتنى لاليا ذات ليلة فقالت لى: « أماه! إنى لأحبّ قراءة الكتب القديمة التى كتبها أمثال بوشكين وليرمنتوف وشيكوف، فكتاباتهم تشوق النفس، وإن كان كتابها من طبقة الأغنياء والأرستقراطيين. أما هذه الكتب السوفيتية، فهى كتب مملة تكدّ الذهن »، وأشارت إشارة تدل على الامتعاض.

فإذا أخوها يقول: « إنها تملأ قلبى سآمة وضجراً ».

فأخذت أنا أدافع عن هذه الكتب الجديدة متحمسة فى الدفاع.

وإذا لاليا تندفع قائلة: « لا أراك تقولين الحقّ يا أماه، أنا أعرف ذلك، أنا أعرفه » وجعلت تبكى وتنتحب، فاحتضنتها وجعلت ألاطفها وأسرّ فى أذنها:

« لا تبكى يا حبيبتى، سوف تفهمين كل شىء بعد أن تكبرى ».

وكلما كبر الصغار زاد تطلعهم وتساؤلهم، وزاد شقائى وحيرتى. فلما دنا يوم رحيلى عن المكسيك عائدة إلى الاتحاد السوفيتى،

امتلأ قلبي غمًّا وكرباً ، إذ كان واجبُ الأمومة يقتضيني أن أقمع ما فُطرتْ عليه نفوسهما من حبِّ الحقِّ والجمال ، حتى يتيسر لهما أن يعيشا فى ظل دولة تحكمها الشرطة . وكنت أعلم حق العلم أن خير مايصيبان فى هذه الدولة هو أن يصبحا بعد قليل من قوّاد الرقيق ، إذا كتب لهما أن يكونا بين الفئة الحاكمة القليلة العـدد ، وأن شر ما يصيبهما أن يصيرا من سواد هذا الرقيق . وكلا المصيرين عندى مما لايليق بالأحرار من بنى الإنسان .

أما وقد استقر بنا المقام فى أمريكا بعد أن استقال زوجى كيريل الـكسييف من السفارة السوفيتية فى المـكسيك ، فلست أبالى بما يصيبنى أو يصيب زوجى منذ اليوم، ما دمت مطمئنة إلى أن أبنائى يعيشون فى أرض تتيح لهم أن يحسنوا الانتفاع بما آتاهم الله من مواهب .



على البديهة

ذات ليلة طلب مدير المباراة فى محطة الإذاعة سـيدة بالتلفون ليخبرها أنها ظفرت بجائزة قدرها ١٩٠٠ ريال،فلم يجدها فى بيتها ، ولـكنه وجد سيدة كانت نازلة ضيفاً فى دارها ، فأنهى المدير إليها الخبر ، ثم سألها عن أول شيء يحتمل أن تصنعهُ السيدة بالمال الذى ربحتهُ ، فقالت على الفور : « تعدُّه »

ذهب مذيع من محطة الإذاعة يتجوّل فى أحد الشوارع ، ويلقى الأسئلة على بعض من يلقى من الناس ، فيذاع السؤال والجواب دون إعداد أو تحضير ، ولقى سيدة فسألها عما قاله لها زوجها ساعة طلب منهـا أن تـكون زوجة لهُ ، فقالت إنهُ قال لها إنهُ يحبُّـها ، وإنهُ يرجو أن تـكون زوجة لهُ . فقال المذيع : « أو لم يفعل شيئاً بعد ذلك لتأييد قوله ؟ »

فقالت السيدة ضاحكة : « لا ريب . فقد رزقنا بولدين ! »



ما الذى يجعل الرجل زوجا حسن العشرة

أنا ملك نفسى

زوجى رجل تطيب الحياة معه لأنه إنه رجل كريم وإن كان أسكتلنديًّا . هو يحب قراءة الروايات البوليسية ، وأنا يجبنى مطالعة الأدب الروسى ، وهو يحب ياضة الجولف ، وأنا أحب أن أذهب إلى ور السينما ، وهو يحب أن يصيد السمك، أنا أحب أن أرقص . فأى شىء نشترك كلانا فى حبه ؟ هو أنى أحبه وأنه يحبنى . ولم ره منذ تزوجنا من تسع سنوات ، يحاول ن يفرض علىّ مطالعة رواية بوليسية ، و أن ألعب الجولف ، ولم يحاول قط ن يتخير لى الأصدقاء الذين يحلو لى أن عاشرهم،ولا الثياب التى يحلو لى أن ألبسها، لا الملاهى التى أستمتع بها . ولم أره أبداً مسك بحساب البقال كأنه يغالب نفسه حتى لا تنفجر سخطاً وتعنيفاً على تبذيرى . فقد كان كريماً رحب الصدر فى كل شىء — فى فكره وجيبه على السواء .

وهو رجل ينفض رماد السجاير على السجاجيد وفى جميع الآنية ، ويعود إلى بضيوف للعشاء دون إنذار ، وينسى عيد زواجنا . ولكن كرم نفسه يغتفر له جميع هذه السيئات ، فهو رجل يطيب لى أن أعيش معه ، لأننى أحس أن فكرى ونفسى هما ملك يدىّ ، وقد أراه أحياناً يحاول أن يستطلع طِلْعهما ، ولكنه لا يحاول أبداً أن يزعم لنفسه أنهما ملكٌ له .

التحرر من الفضول

تزوّجت منذ أربعين سنة ، وزوجى متصف بخلائق كثيرة تجعل العيش معه أمراً مستحبًّا ، ولكنّ أعظم خلائقه هى أنه رجل خالٍ من كل أنواع الفضول . فهو سخىٌّ بماله ، ولكنه لم يسألنى قط فيمَ أنفقته أو هل ادخرت شيئاً منه . ولى أن أتأخر عن العودة إلى البيت ماشئت،وأن أستقبل فى دارى من الزوّار من أريد وعلى غير انتظار ، دون أن يلزمنى أن أبين له وجه تأخرى أو استقبال زوّارى . وليس ذلك لأنه لا يهتم بأمرى ولا يبالى ، بل لأنه يثق

بي وبقدرتي على تدبير أموري كثقته بنفسه. وقد يبدو هذا الأمر شيئاً تافهاً ، ولكنه مفض إلى السكينة والسلام والسعادة .

زوج رضى الطباع

إن زوجي رجل تسهل الحياة معه ، لأنه لم يطبع على التماس العيوب في زوجته أو أصدقائه. وقد تزوجنا منذ خمس سنوات، ولست أذكر أننا جلسنا مرة ما إلى الطعام فعكر صفوهُ بكلمة نقد لاذعة لما قدّم إليه، ولست أذكر سهرة واحدة في البيت نغّصها علينا بجدل عقيم أو بمهاترة . وأنا أعلم أن زوجي ليس رجلا كاملا ، ولكن من هذه التي تريد أن يكون زوجها رجلا كاملا ؟ أما أنا فأقول : أحمد الله الذي أنعم عليّ بزوج رضيّ الطباع .

جدوى التغيب

من الأمور التي تعين على جعل الرجال زوجاً يسهل العيش معه ، افتراق الزوجين في الحين بعد الحين. وليس لزاماً أن يكون تغيب أحدهما طويلا أو بعيداً ، فالأزواج على الأغلب يميلون إلى التسليم بأشياء كثيرة على علاتها ولا يلقون إليها بالاً . فإذا تغيَّب الزوج في رحلة من أجل العمل تستغرق بضعة أيام ، أتيحت لزوجته فرصة لتذكر مزاياهُ وتقدرها حق قدرها . فإذا عاد من رحلته رأيته هو أيضاً ميالاً إلى تقدير حسن ذوق زوجته في طبخ الطعام ، وأناقتها في ترتيب البيت ، وتحسن هي في عينيه . أما زوجته فتراه بعدأوبته خير رجل في الدنيا.

شكرا لحماتي ...

من الأشياء التي تكاد تحمل الأمّ على اليأس ، محاولتها أن تعلم أبناءها أن يضعوا أحذيتهم في مكانها من الخزانة ، وثيابهم إذا اتسخت في سلة الغسل ، وأن يعيدوا الكتب التي أخذوها من رف الكتب إلى مكانها بعد فراغهم منها . وهي تحاول أن تفعل ذلك على حين ترى زوجها أسوأ مثل لأبنائها، فهو حين يخلع ثيابه ويلقيها على أقرب كرسي إليه، وكل زوجة تكاتم غضبها وهي تسير في أثر زوجها كل يوم تلم مناديله من هنا والصحف التي قرأها من هناك ، والأحذية والقمصان التي خلعها في الليلة البارحة . فمن أعمق أعماق قلبي أشكر لحماتي أنها ربت زوجي على أن يوفر عليّ كل هذا العناء .

زوجي نهم

أسهل العيش ما كان مع زوج نَهِم يطيب له كل طعام . إن أكثر الزوجات ترى أن الطعام يفقد شيئاً كثيراً من لذته إذا كثر تقديمه على فترات قصيرة لزوج يستطيبه ، ولكنّ هذا شيء هين إذا قيس بمشقة إعداد الطعام لزوج « لا يحب البصل » أو « لا تعجبه البطاطس » أو « يكره الكرنب أو الجزر »

فيومئذ يصير إعداد الطعام كابوساً يرهق الفكر والنفس جميعاً .

لا ينسى اننى انثى

لاينسى زوجى قط أنى زوجة وأنثى أيضاً تهوى ماتهواه الإناث جميعاً: وهو أن تسمع زوجها يقول لها إن ثوبها الجديد كان أجمل ثوب فى الحفلة ، وأن الحلوى التى أعدتها للعشاء لا تعادلها حلوى فى العالم . فهذه الكلمات المعسولة التى أسمعها من زوجى حيناً بعد حين ، تجعله رجلا يسهل العيش معه ويطيب .

قريب من الناس

لزوجى صديق حميم متزوج، وقد جاءتنى زوجته ذات يوم وقالت لى: «اسألى زوجك عما يراه زوجى فى أمر خروجنا جميعا لقضاء عطلتنا فى خيمة نضربها فى الخلاء » .

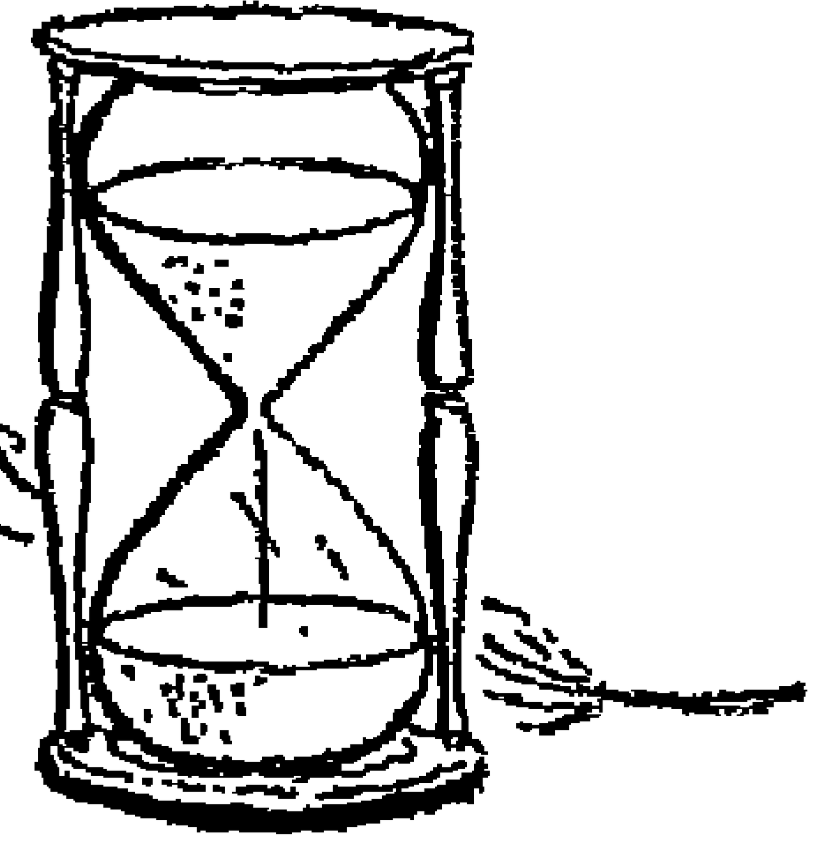
فقلت فى ذات نفسى لِمَ تطلب منى أن أسأل زوجى عن رأى زوجها، ولِمَ لاتسأل زوجها دون وساطة أحد ؟ ولكننى لم أوجه إليها هذا السؤال ، فقد كنت أخشى أن ألمس مكاناً حساساً فى حياتهما ولكننى شعرتُ بالفرحة فى قرارة نفسى، بأن فى أخلاق زوجى مايجعله قريباً من الناس حتى يسهل عليهم أن يقصدوه ليطلبوا رأيه ، فلا يخيب لهم أملاً .

وقد نهى هذا الحديث إلى خليقة من خلائق زوجى ما زلت غافلة عنها منذ تزوجنا، وهى التى حببت إلى العيش معه دون أن أفطن إليها . ففى وسعى أن أبحث كل موضوع معه ، من مال الأسرة إلى الكعك الذى أريد أن أصنعه ، ولا أجد منه صمتاً أو غضباً متفجراً ، بل هو يشاركنى فيما أسأل مشاركة الرجل النصف الصريح المطمئن النفس ، وقد نختلف فى الرأى ، ويشتد بيننا الخلاف، ولكنه لا يخلف وراءه أنقاضاً تسدّ علينا طريق المستقبل .

يرضى ان يجادلنى

من حسنات زوجى أنه يرضى أن يجادلنى، ولن تجد فتاة لا يرضيها أن تجد زوجها يعدُّ رأيها شيئاً ذا قيمة ، وأنه جدير بأن يبحث وأن ينقض بالحجة ، إلا إذا كانت قد نشأت فى أسرة تهمل فيها آراء الفتيات أو لا يقام لها وزن على الإطلاق . أما زوجى فيصغى باهتمام إلى الأسباب التى أبسطها له تأييداً لرأيى بأن الجبال خير مكان نقضى فيه فصل الصيف، ثم أراه يقرع كل حجة بمثلها ، ملتزماً غاية الأدب فى القول ، ويبين لى مواضع الخطأ فى رأيى. وهو يفعل ذلك جاداً غير مستخف بشيء ، فتكون عنايته هذه برأيى ضرباً من الإطراء يثلج صدرى . حقا إن العيش لسهل مع رجل يعنى بأن يجادل زوجته مجادلة الأديب الأريب حتى يقنعها أو تقنعه.

أسرار طول العمر



ريمند بيرل
أستاذ علم الأحياء فى جامعة جونز هبكنز

مختصرة من مجلة "فوروم"

ليس فى وسع أهل الكهانة أو العلم أن يقدّروا لك طول عمرك أو ما ينبغى أن تبلغه من طول العمر. وجُلُّ مايستطيعه أهل العلم من هذا الباب، هو أن يعدّوا لك كشوفاً وجداول تبين لك آجال الذين أحصيت أيامهم من الناس، ثم يدعونك تقدر فسحة حياتك. فإذا كنت ممن يتوق إلى أن يُعمَّر سبعين سنة، دلَّتك هذه الجداول على أن حظك من تحقيق هذه الأمنية لا يزيد على واحد من ثلاثة. وتدلُّ إحصاءات شركات التأمين على أن ثلاثين فى المئة من الذين يولدون فى الولايات المتحدة يعمَّر حتى يبلغ الثانية والسبعين، وأنّ ١٢ فى المئة منهم وحسب يعمَّر حتى يدرك الثانية والثمانين، وبعد ذلك يهبط احتمال التعمير هبوطاً شديداً، فلا يتخطى الثانية والتسعين سوى واحدٍ أو اثنين فى المئة.

أما التعمير مئة عام فشىء نادر. وليس ثمة أحدٌ استطاع أن يقدم دليلا لا يأتيه الشكّ، على أنه جاوز مئة عام وعشرة أعوام. أمّا ما ذكر عن معمَّرين كالشيخ بار الذى رُوِى أنه أدرك المئة والثانية والخمسين، فشىء يفتقر إلى إثبات.

ظللتُ سنين كثيرة أجمع سجلات وافية عن الذين أدركوا الخامسة والتسعين أو تجاوزوها، فبلغ عددهم ألفين لا ريب فيهم. وقد درست هذه السجلات دراسة دقيقة، فاستطعت أن أرسم صورة مجملة لهؤلاء المعمرين، تتبين فيها مزاياهم البدنية والنفسية.

وأول هذه المزايا وأعظمها شأناً فى طول العمر، كما تبيَّنت من سير هؤلاء الشيوخ، هى أن يرث المرء من أسلافهِ خصائص طول العمر المركبة فى البدن، كما يرث زرقة عينيه أو سواد شعره. فإذا كان أبواك وأجدادك من الذين عُمِّروا، فيغلب أن ترث عنهم، إلى حدٍّ ما، هذه الخاصة الطبيعية. ولنضرب على ذلك مثلا بحالة ب ١٩١،

فالسيدة ب ١٩١ امرأة قوية جاوزت التسعين، وقد مات أبوها فى الثامنة والسبعين من عمره، وماتت أمها فى الحادية والتسعين. وقد رحل جدُّها لأبيها عن هذه الدنيا بعد أن أقام فيها تسعاً وتسعين سنة وستة أشهر، وعمرت جدتها لأبيها حتى الثامنة والسبعين، أما جدتها لأمها فقد عمرت حتى الرابعة والتسعين. غير أن جدها لأمها قضى نحبه بالحمى التيفودية فى الخامسة والثلاثين.

وكل امرىء يبلغ مجموع أعمار أبويه وأجداده لأبويه ٤٧٥ عاماً، يجد فى تاريخ أسرته سبباً قويًّا من أسباب طول العمر.

وقد دلت إحصاءات شركات التأمين التى قمنا بها على أن أثر الوراثة فى طول العمر، شىء فى وسعنا أن نقيسه قياساً دقيقاً. خذ مثلا جماعتين من المواليد الذكور، فقد مات آباء جميع الأطفال فى إحدى الجماعتين قبل الخمسين، وعمَّر آباء الجماعة الثانية حتى جاوزوا الثمانين. فإذا قارنت بين معدل أجل الجماعتين، وجدت معدل الطائفة الثانية يزيد ٢٢ فى المئة على معدل الجماعة الأولى — أى عشر سنوات أو أكثر على المعدل تضاف إلى حياة كل طفل من أطفال الجماعة الثانية.

ويلى الوراثة فى أسباب طول الحياة، طبيعة مزاج المرء. أفأنت مطبوع على سكينة النفس، لا تلح عليك ثورات الغضب أو يستبد بك الهم أو الغم؟ وعسى أن تكون كذلك، فالرجل المطمئن الراضى أدنى إلى الظفر فى سباق الشيخوخة من الرجل الذى طبع على البرم والهياج والاستسلام إلى القلق والهم.

وتدل الدلائل أيضاً على أن الناس الذين يتجنَّبون الرياضة الشاقة العنيفة بعد الأربعين، والذين لا يقومون بأعمال بدنية مرهقة للعضلات، هم أقرب إلى طول العمر من أولئك الذين ضلّوا فجعلوا يرهقون أبدانهم وهم كهول بما لا يقوى عليه غير الشباب.

نسج للحياة

من المحقق أن ٨٠ فى المئة من الهم الذى يركبك لا نفع منه ولا جدوى، بل هو ضار مؤذ. ان الهم سوس ينخر جذور السعادة. ولو كان فى وسع الناس أن يستأصلوا من حياتهم جميع الهموم السخيفة العقيمة، لكانت حياة كل جماعة من الناس خليقة أن تكون اهنأ وأسعد مما هى، ولكانت وجوههم حرية أن تكون انضر، وأصواتهم احفل بالمرح والضحك، ولكان الفردوس جديراً بأن يبسط ظلاله على هذه الحياة الدنيا.

(أرنولد بنيت)

ومن الخرافات الشائعة عن طول العمر، أن القصد فى الغذاء والإقلاع عن شرب الخمر والتدخين ، يكفلان للمرء أن يدرك أحسن الشيخوخة . ولكننا لم نجد فى السجلات التى درسناها ما يعزز هذا الوهم الجميل ، فقد وجدنا فى كشوف الذين جاوزوا التسعين جماعة من الناس ظلت طول حياتها ممتنعة عن شرب الخمر ، معتدلة فيما تصيبه من طعام ، ووجدنا أيضاً جماعة أخرى كانت تسرف فى الأكل وشرب الجعة والنبيذ ، وكان كثيرون منهم يدخنون السجاير والسيجار والغليون ، وكان غيرهم يكره الطباق فى أية صورة كان . وكان بعضهم يعيش فى المدن يستنشق الأبخرة السامة فيها ، وكان غيرهم يعيشون فى الريف يستنشقون هواءه النقى العليل . وقد تبين لنا أن هذه الأشياء لم يكن لها أثر يضر أو ينفع فى طول العمر . حقاً إن الإفراط كفيل بأن يحطم أقوى الأجسام ، ولكن من الحق أيضاً أن اعتدال المرء فى طعامه ورياضته كل يوم لا يكفل له أن يمضى فى طريق الحياة حتى يدرك الشيخوخة، إن كان جسمه فى تركيبه ووراثته غير كفء لحمل عبء الرحلة . أى أن ما تعمله أنت أهون شأناً وأقل أثراً فى إطالة العمر مما فطرت عليه .

ومن الأشياء التى لاحظناها فى سجلات المعمرين ، ندرة الذين أجريت لهم جراحات بين الشيوخ الذين تجاوزوا التسعين ، أما الذين أجريت لهم جراحة فقد كانت جراحتهم هينة لا تعد من الجراحات الكبيرة . وليس فى هذه الحقيقة ما يدعو إلى الاستغراب ، فهى تعنى أن الذين يعمرون إلى التسعين أو يتجاوزونها ، هم فئة من الناس ذوى أبدان قوية ، فهى ليست عرضة للعلل التى تقتضى علاجاً بالجراحة . والجراحات الكبيرة هى فى عرف الطب بوجه عام ، فرع من فروع الطب يراد به أول ما يراد، تصحيح آفات ركبت فى كيان المرء . ويندر أن تجد فى أبدان الذين عمروا إلى التسعين آفات من هذا القبيل .

وهذا يفضى بنا إلى مفارقة غريبة . فعددٌ غير يسير من المعمرين الذين توفرنا على دراسة سيرهم ، لم يكن مستمتعاً بصحة كاملة فى معظم عمره . وقد قرأنا فى سجلاتهم أنهم كانوا « دائماً معتلين » أو « ضعافاً » أو « بين الصحة والمرض » . وما فى هذا عجبٌ ، فقد عرف العلماء منذ زمن بعيد ، وثبت لهم بشتى الأدلة ، أن المرض لا علاقة له بالموت فى عرف علم الأحياء . وقد يعانى المرء كثيراً من المرض يعتريه فى الحين بعد الحين زمناً طويلا ، ولكنه مع ذلك يعيش حتى يشيخ .

وإذا جاء أجل المعمرين الذين أدركوا التسعين أو المئة ، فكيف يقضون نحبهم ؟ تدل الأبحاث المستفيضة على أن أمراض القلب تسبب ٢٤ فى المئة من جميع وفيات المعمرين الذين جاوزوا التسعين ، وأن أمراض الشرايين (تصلب الشرايين وغيره) تسبب ١٠ فى المئة من هذه الوفيات ، وأن انهيار جهاز التنفس يسبب ١٢ إلى ١٣ فى المئة منها ، وأن عجز الكليتين عن أداء وظيفتهما يسبب نحو ١٢ فى المئة من وفيات الرجال و ٩ فى المئة من وفيات النساء . وأن انهيار جهاز الهضم يسبب ٧ فى المئة من وفيات الرجال و ٧ فى المئة من وفيات النساء . وفى وسعنا أن نقول إن ثلاثة أرباع هذه الوفيات ، بين الذين أدركوا التسعين إلى المئة ، مردّها إلى أن هذه الأجهزة الأربعة ـ دورة الدم ، والتنفس ، وطرد الفضلات ، والهضم ـ قد أصيبت على مرور الأيام بالبِلى .

وفى وسعك أن تختصر موضوع طول العمر كله فى هذه الكلمة : إن الناس الذين يتحدّرون من أسلاف طوال العمر ، فيرثون عنهم كياناً قوى البنيان ، شديد المقاومة للعدوى ، يقوم بوظائفه أحسن قيام — هم إلى التعمير أقرب . لقد صنع الطب شيئاً كثيراً ، وسوف يصنع أكثر مما صنع ، ليقى الناس مما يمكن أن نسميه «الموت المبكر» — أى الموت قبل الخمسين من العمر ، ولا سيما الموت من مرض يطرأ على الجسم . ولكن الناس الذين يبلغون أقصى الشيخوخة ، إنما يبلغونها لأن الوراثة والمزاج قد جعلا كيانهم أقدر على مكافحة القوى التى تسبب الموت ، من كيان أقرانهم الذين لم يظفروا بمثل هذا الكيان القوى .



فرق خطير !

فى هوليوود مكتب لمراقبة الأفلام ، أنشأته شركات السينما وخضعت له . ففى أحد الأيام طلب أحد المراقبين موظفاً فى ستوديو شركة معروفة ، وحدثه عن صور فتاة لابسة ثياباً شفافة ، وبعد مناقشة قال المراقب : « إذا كان الثوب يمثل فستان سهرة فلا بأس بالإبقاء على الصورة ، أما إذا كان يمثل قميص نوم ، فلا » . [والتر ونشل]

[حل المسألة المنشورة فى صفحة ٧٥]

خذ الكوب رقم ٥ وأفرغ ماءه فى الكوب رقم ٢ ، ثم أعده إلى مكانه .

بين الشمس والقمر

إدوين بالمر

مختصرة من مجلة "بوك"

يذكرني ما أسمعهُ من أقوال الشيوعيين والذين يتشيّعون لهم ، برأى رجل من سكان جزيرة نائية كان يرى أن القمر أعلى مقاماً من الشمس . فلما سأله زائرٌ مستغرب : ما سبب هـذا التفضيل ؟ قال الرجل : إن القمر أنفع للناس لأنه يشرق على الأكثر فى الليل حين يحتاج الناس إلى ضـياء يقشع الظلام ، أما الشمس فتحرص حرص السخيف على أن تشرق فى النهار ، حين يكون الضياء مضموناً .

وكذلك أصحابنا الذين يتشيّعون للشيوعيين ،فقد ألفوا أن يعيشوا فى ضوء جماعـة حرّة من الناس — دون أن يفهموها — حتى صاروا يعتقدون أن هذا الضوء شيء مضمون وإن زال مصدرهُ . فتراهم لا ينثنون عن رغبتهم فى أن يستبدلوا القمر بالشمس ، ثم يذهلهم أن يروا أنّ الاستبدال قد أسفر عن حلول البرد والظـلام محلّ الدفء والنور . وضوء الشمس يتكوّن من عناصر كثيرة ، وكذلك الجماعـة الحرة من الناس ، ومن أهمها الانتخابات الحرّة ، وحرية الاجتماع والرأى، والمجلس النيابى الذى يمثل الشعب تمثيلا صادقاً.

وأبناءُ الأمم الديمقراطية يسمعون عن مساوئ كثيرة فى أممهم ، ولكنهم يسمعون عنها على الأقل ، ويجزمون أمرهم على إصلاحها . قال كارنو منذ سنوات كثيرة : أنت تجد فى الأمة الحرّة كثيراً من التذمُّر والنقد وقليلا من البؤس، أما الدولة المستبدة فتجد فيها قليلا من التذمر ، وكثيراً من البرم والشكوى .

بحَّارٌ
على ظهر جَوَاد

سيرة الكاتب جاك لندن

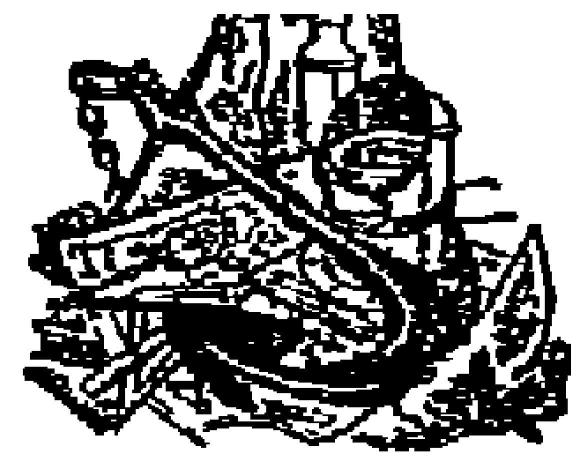


مختصرة من كتاب

إرفنج ستون

مؤلف كتاب "نهمة الحياة" الذى نشر
مختصره فى المختار مايو ١٩٤٤ بعنوان "النفس المعذبة"

قصة من عجائب القصص ، هى حياة جاك لندن ، الكاتب الروائى والرائد المغامر الذائع الصيت . إن التناقض العنيف فى طباعه ، وجمعه بين العبقرية والجنون فيما يأتيه، جعلا قصة حياته أغرب من أغرب رواياته .

بحّار  على ظهر جواد

في صباح يوم من أوائل شهر يونيو سنة ١٨٧٥ أصبح أهل مدينة سان فرنسسكو فقرأوا قصة مروعة في صحيفة الكرونيكل ، فقد أطلقت سيدة الرصاص على نفسها لأن زوجها « طردها من البيت حين أبت أن تسقط جنينها » . وكانت تلك السيدة هي فلورا ولمان ، وأما الرجل فكان الأستاذ و . ه . تشيني ، المنجم الإرلندي الطوّاف . أما الجنين فقد ولد وعاش فذاع ذكره في أرجاء الأرض باسم جاك لندن ، الذي ارتفع من مهاوي الفاقة فصار مغامراً جريئاً وأشهر كاتب في زمنه .

لم يكن في رواية الكرونيكل سوى قليل من الحقيقة . وعلى أن فلورا ولمان كانت تعاشر الأستاذ تشيني فإنها لم تكن زوجة له ، ولم يدر بخلدها أن تنتحر ، فقد كان حسبها أن تجرح نفسها جرحاً خفيفاً . والرصاصة التي أطلقتها فأحدثت ذلك الجرح ، آذت تشيني أكثر مما آذتها ، فقد قضى الرجل بقية حياته منبوذاً مرذولا ، وما لبث حتى فارق سان فرنسسكو . فكذلك نشأ جاك لندن ولم تقع له على أبيه عين .

ولد هذا الطفل الذي جاء إلى الدنيا من سِفاح ، في ١٢ يناير ١٨٧٦ ، وقد ظل اسمه جون تشيني ثمانية أشهر ، ثم تزوجت أمه رجلا اسمه جون لندن ، كان أرملاً وله ابنتان صغيرتان .

وكثيراً ما كان جاك لندن يقول بعد أن اكتملت رجولته إنه لم يستمتع بالطفولة ، فما يذكر منها سوى الضنك والعسر ، بيد أنه كان ينال شيئاً من الحب . نعم إن أمه أهملته ، ولكن إلزا — أكبر أختيه من زوج أمه — عنيت به وعطفت عليه فصار كأنه ابنها . وقد كانت هي في الثامنة ، ولكنها بلغت من حسن الإدراك والثقة بالنفس مالا تعهده فيمن كان في مثل سنها ، فظلت موضع ثقته إلى يوم قبضه الله إليه . وكانت لهم جارة زنجية قد ثكلت ولدها منذ زمن قليل ، فصارت مرضعة لجاك وظئراً وصديقاً صدوقاً له طول حياته .

ومع ذلك فقد عانى جاك في طفولته ضنكا شديداً ، فلما كان في الحادية عشرة من عمره تعطل زوج أمه عن العمل شهوراً متوالية ، فوقع عبء رزق الأسرة على جاك ، فكان يستيقظ قبل أن يسفر الفجر ، وينقل الجرائد إلى بيوت المشتركين ، ثم يذهب إلى المدرسة . فإذا انقضت الدراسة عاد ينقل الصحف إلى دور أخرى . وكان في أيام

السبت يسيّر عربة لنقل الثلج ، ويشتغل فى الليل فى أحد أندية الرياضة ، وقد بلا الحياة عراكاً مع غيره من باعة الصحف ، أو شهد مايدور فى الحانات من شجار بين روّادها ، وألف ما يراه عند أرصفة الميناء من أخلاق البحارة العائدين من الشمال أو المبحرين إلى البحار الجنوبية لتهريب الأفيون .

وقد أحب منذ صغره الكتب والبحر ، فكان ينفق كل دقيقة من فراغه فى نادى الزوارق على الميناء ، وكان أصحاب اليخوت من الأغنياء ينفحونه بقليل من المال لقاء تنظيف سفنهم ، وقد علموه كل ما كانوا يعرفونه عن الزوارق الصغيرة . ولما كان مقداماً لايهاب شيئاً ، صار يحب البحر كأنه ولد فيه ، وصار أبرع بحار صغير على تلك الشواطىء الخاتلة .

فلما كان فى الثالثة عشرة من عمره ، ألفى نفسه مضطراً أن يقطع دراسته ، فظل سنة يعمل فى كنس الحانات وأعمال أخرى على غراره . ولم يكد يبلغ الخامسة عشرة حتى ظفر بعمل فى مدبغة ، وكان أجره فيها قرشين فى الساعة ، وكان يعمل عشر ساعات كل يوم على الأقل ، وقد تمتد ساعات عمله إلى ثمانى عشرة ساعة أو عشرين ساعة فى اليوم . وكان يقطع الزمن مثقلا متعباً رازحاً لايقوى على مواصلة القراءة فى الليل ، فكان يسأل نفسه : أهذه هى الحياة — أن تعيش كأنك دابة عاملة ؟

كان يتردد على الميناء فى آصال أيام الأحد ، فعرف قرصان المحار الذين يسطون على المنابت الخاصة التى يربى فيها ثم يبيعونه على أرصفة الميناء . وقد علم جاك أنهم قلما يجنون من عمل ليلة واحدة أقل من خمسة وعشرين ريالا ، وأن الرجل الذى يملك زورقه يستطيع أن يجنى مئتى ريال فى ليلة واحدة . فلما سمع أحد قدماء القرصان يقول إنه يريد أن يبيع زورقه بمبلغ ثلاثمئة ريال ، حزم جاك أمره على مايريد ، فمضى لساعته إلى مرضعته الزنجية ، وطلب منها أن تقرض ابنها الأبيض مايحتاج إليه من المال . أفترضى أن تفعل ؟ قالت : إن مالى هو مالك يا بنى .

وفى يوم الأحد التالى خرج جاك إلى الزورق المعروض للبيع وانضم إلى جماعة تسكر وتعربد عليه ، وعرض أن يشترى الزورق . وفى صباح الاثنين لقى صاحبه فى حانة فدفع المال ، وما كادا يحيان الصفقة بكأس من الوسكى — وهى أول كأس شربها — حتى هرع إلى الميناء فرفع المرساة وخرج بزورقه إلى عرض الخليج ، فقد تحقق حلمه ، وفى وسعه الليلة أن ينام على الماء .

وفى تلك الليلة اشترك جاك فى أول غارة

على منابت المحار ، وقد قبل رجل أسود العارضين من أوغاد الميناء يدعى «العنكبوت» أن يخرج معه فى هـذه الغارة . فلما أسفر الصباح أسرع إلى سوق المحار فى أوكلند فباع مانهب ، فإذا هو قد كسب فى ليـلة واحدة أكثر مما يكسبه فى المدبغة فى بحر ثلاثة أشهر .

وقد مرّت الأسابيع فصار جاك مشهوراً بين أقرانه من قرصان المحار بشدة البأس والمراس . وقد كان أيضاً فتىً ودوداً ، فكان إذا ما أراد زملاؤه من القرصان أن يعبُّوا الخمر عبًّا — وهذا من دأبهم — لا ينفك يجارى أعتاهم على الشرب ، مع أنه لم يكد يتجاوز الخامسة عشرة من عمره . بيد أنه كان يذهب فى الفترات بين الغارة والغارة إلى دار الكتب فى مدينة أوكلند ، فيختار طائفة من الكتب ويذهب بها إلى زورقه ، ويوصد باب حجرته حتى لا يدخل عليه أحد من زملائه ، ويستلقى على ظهره يقرؤها كتاباً بعد كتاب .

وقد ظلّ يغير بزورقه ويجنى رزقاً وفيراً ، فردّ المال الذى اقترضهُ من مرضعته الزنجية وكفل عيش أسرته ، واشـترك فى مئات من المغامرات الرائعة المحفوفة بالخطر . وقد نشب شجار فى أحد الأيام بين قرصان المحار السكارى ، فشجر بينه وبين « العنكبوت » عراك عنيف ، فيومئذ أشعل « العنكبوت » النار فى أكبر شراع فى زورق جاك ، وهجم فريق من خصومه القرصان فأجهزوا على الزورق ثم أغرقوه فى قرار اليمّ .

وسرعان ماتشارك جاك هو وشاب يدعى نلسن فى العشرين من عمره ، وهو شجاع مقدام متين الأسر ، وكانت سفينة نلسن قد أصابها أذى فى ذلك العراك وجنحت إلى الشاطىء وشقت من جنبها ، ولكن الشابين رمّماها وجعلا يغيران بها حيث يطيب لهما ، فكانا يكسبان ١٨٠ ريالا فى الليلة الواحدة ، ولكن شركتهما ما لبثت أن حلت ، لأن نلسن فقد بصره من كثرة الشرب ، وكان جاك يجاريه حتى صارت العربدة تستهوى فؤاده .

بيد أنه كان خلال ذلك كله يتلمس طريقاً يخرجه من حياة العبث والتهور التى ألفها ، وإذا بشىء ليس فى الحسبان يقع له . فقد شرب حتى ثمل ذات ليلة ، فمضى فى الساعة الأولى صباحاً وهو يترنح ليصعد إلى سفينته فوقع فى المـاء ، فحمله ماء الجزر وأبعد به إلى اليابسة . وكانت نفسه منقبضة ، فعزم أن يموت غرقاً ، فهذه الميتة أروع ما تختم به حياته القصيرة الرائعة . فطفا على ظهره فى المـاء تحت السماء الصافية ، ورأى أنوار الميناء تمر به ، فجعل يودع كلاًّ منها وداع

الراحل الحزين . وسرعان ما نبهه الماء البارد فثاب إليه رشده . فأدرك أنه لا يريد أن يموت ، فنضا ثيابه وأخذ يسبح . فلما أسفر الصبح وجد نفسه قرب جزيرة مار ، وكان منهوك القوى مخدر الأطراف من البرد ، وكانت الريح تدفع ماء البحر فى فمه وخياشيمه ، ثم عثر عليه بحار يونانى ، فرفعه من الماء فوجده بدنا لا شعور فيه . ومن يومئذ عزم على أن يقلع عن الإغراق فى السكر ، وظل على ذلك سنوات كثيرة .

بيد أنه ظل فتىً يستمتع بما فى الحياة من روعة المغامرة ، وكان إذا خرج بزورقه من خليج سان فرنسسكو عابراً مضيق « الباب الذهبى » الذى يفضى إلى رحاب المحيط الهادىء ، تمرُّ فى مخيلته صور البلاد الشرقية التى من وراء المحيط ، كما تمثّلها من الكتب الكثيرة التى كان يطالعها . وقد صار اليوم فى السابعة عشرة من عمره ضخماً قويًّا شجاعاً ، يريد أن يرى العالم ، ولا وسيلة إلى ذلك إلا السفر بحراً . فاختار سفينة أعدّت لصيد عجول البحر فسافر عليها ، وكانت تتأهب للرحلة ميممة شطر اليابان وكوريا وسيبيريا ، فيقضى رجالها ثلاثة أشهر يصطادون بالحراب عجول البحر .

وكانت هذه السفينة — سوفى سذرلند — سفينة ذات شراع ، حمولتها ثمانون طنًّا ، وقد بنيت لكى تكون سريعة فى البحر ، وجعلت شُرُعها كثيرة واسعة . وعلى أن جاك لم يخرج قبل ذلك إلى عرض المحيط ، فقد انضم إلى بحارتها المتمرسين ، فساءهم أن يروا هذا الفتى الغرير بينهم مساوياً لهم . فإذا عجز جاك عن أن يثبت لهم أنه أهلٌ حتمًا لعمل البحّار ، فلا مفرّ لهُ من أن يقاسى سوء معاملتهم مدة سبعة أشهر أو ثمانية أشهر .

فلما كان اليوم الثالث بعد خروج السفينة إلى البحر ، هبّت عاصفة ، وكانت نوبة جاك أن يقوم على عجلة الدفة ، فأمسك بها ، ووقف الربان يرقبه بضع دقائق ، فأومأ برأسه استحساناً لما رأى ، وترك الفتى وشأنه . وقد ظلّ جاك يكافح العاصفة وحده فلم يرَ أحداً من البحارة على متن السفينة ، فلما هدأت العاصفة تبيّن أن جفاء زملائه له قد هدأ أيضاً .

فلما وصلت السفينة إلى جزائر بونين خرج الأهلون واليابانيون فى زوارقهم إلى لقائها ، فما رآهم جاك حتى أيقن والروعة تملأُ جوانحه ، أنه قد عبر المحيط إلى الجانب الآخر من الأرض ، بعد أن ظلّ هذا العبور كالحلم يراود خياله فى الليل والنهار . فلما نزلوا إلى البرّ سار فى إثر زملائه إلى

الحانات ، وشرب معهم حتى سكر ، وقامر وقامروا حتى سلبوهُ مالهُ ، فكان بينهم كالغِرّ الأحمق .

فلما أثار البحارة قطعان عجول البحر ونفرت على محاذاة ساحل اليابان ، ودفعوها نحو سيبيريا ومضوا فى أثرها ليعكفوا ثلاثة أشهر على قتلها وصيدها وهم يعانون المشاق المضنية ويتعرضون للخطر ، كان ذلك فى نظره مغامرة رائعة . فلما فرغوا جوزى عن عمله بمالٍ غير قليل أنفقه على العربدة فى مدينة يوكوهاما .

فلما عادت السفينة إلى سان فرنسسكو ، مات على سواحلها ما كان فى نفسه من فتنة بالبحر ، فقد آن الأوان فى رأيه حتى يسكن ويستقرّ .

فى سنة ١٨٩٣ نزلت بالبلاد الأمريكية ضائقة مالية شديدة ، فلم يجد جاك عملا يعمله إلا فى مصنع للقنب ، يجزى عنه ريالا لقاء عمل عشر ساعات فى اليوم . وعادت أمه إلى البيت ذات ليلة ومعها نسخة من صحيفة « سان فرنسسكو كول » وحثته على أن يكتب مقالا لمباراة نظمتها تلك الصحيفة ، فأخذ القلم بيده ووصف الإعصار الذى هبّ على السفينة « سوفى سذرلند » وأرسله إلى الصحيفة ، فنال الجائزة الأولى وقدرها ٢٥ ريالاً .

لا يزال مقال « إعصار على ساحل اليابان » مقالا لم تخلق جِدّته ، تقرأه اليوم فتحس بالحياة التى تزخر بين سطوره ، فقد كان فى عبارات هـذا الفتى إيقاع كإيقاع الموسيقى ، مع أنه لم يكد يتم دراسته فى المدرسة الابتدائية .

وبعد أن تولى أعمالا شتى متلاحقة قليلة الأجر قاصمة للظهر ، صار جاك أفاقاً يطوّف فى البلاد الأمريكية راكباً قطارات الشحن . وقد ألقى القبض عليه فى إحدى المدن متهماً بالتشرد ، فحكم عليه بالحبس ثلاثين يوما مع الأشغال الشاقة . فلما عاد إلى سان فرنسسكو عزم على أن يثقف عقله حتى يصير قادراً على ان يعمل بعقله بدلا من أن يعمل بعضله وقوة بدنه .

فلما حزم أمره على ذلك ، أدرك أنه لن ينال السعادة والرضى إلا إذا صار كاتباً يقص القصص التى يزخر بها ذهنه . وقد عزم أيضاً أن يلتحق بجامعة كاليفورنيا ، ولـكن هذا يقتضى منه أولا أن يتأهب لدخول الجامعة بالدراسة فى مدرسة ثانوية .

وقد كان فى التاسعة عشرة من عمره يوم التحق بفصل السنة الأولى فى مدرسة أوكلند الثانوية ، وقد دخله فى ثوب كأنه فصّل لغيره ، لابساً قميصاً من الصوف مفتوحاً عند العنق ، وكان شعره جعداً منفوشاً ، وكان يمضغ الطباق كعادته يوم

كان أفاقاً ، وقد دأب على ذلك لأن عصير الطباق كان يخفف عنه وطأة الآلام التى يحس بها فى تجوات أسنانه . فلما عرضت عليه أخته إليزا ، وكانت قد تزوجت ، أن تنفق على إصلاح أسنانه إذا هو أقلع عن عادة مضغ الطباق ، قبل عرضها غير متردد . ويومئذ أشترى أول فرشة لتنظيف الأسنان .

كان عمر الفتيان والفتيات من حوله يتفاوت بين الرابعة عشرة والخامسة عشرة ، وكان معظمهم من الذين لم يذهبوا فى رحلة خارج منطقة سان فرنسسكو ، فكانوا فى نظره أشبه بالأطفال . وقد كان يتمنى أن يكون واحداً من الجماعة التى يدرس معها فى فصل واحد ، ولكنه عجز عن إدراك ما يتمنى . أما رفاقه فقد عجزوا أيضاً عن أن ينفذوا إلى حقيقة هذا الفتى ويفهموها .

وكان فى عطلة الأسبوع يطلب أعمالا شتى : فيحش حشيش الحدائق ، وينفض السجاجيد ، ويتولى نقل الرسائل أو غير ذلك من الأعمال الصغيرة . وكان إذا انصرف الطلبة من المدرسة فى المساء ، بقى هو فيها يكنس الحجر وينظف المراحيض . فازدادت الهوّة اتساعاً بينه وبين رفاقه ، بيد أن المجلة الأدبية التى يصدرها الطلبة رحّبت بما يكتبه لها .

ثم انضم جاك إلى الحزب الاشتراكى الذى أنشىء فى أوكلند منذ قريب ، وألقى القبض عليه وهو يخطب فى حديقة المحافظة بغير ترخيص ، فكان ذلك عند كثيرين مؤيداً لما كانوا يرونهُ من أن الشاب ليس نقى الصفحة ، فأوصدت فى وجهه أبواب بيوت كثيرة كانت قد تفتحت أمامه .

فلم انقلب جاك لندن اشتراكياً ؟ لقد نشأ فى الفاقة ، فعضّه الجوع بنابه ، وعرف ما هو الحرمان ، ولمس بيديه ما تعانيه الطبقات المحرومة من الشدائد . وقد تلقى بعض ميله إلى الاشتراكية من منبته الإرلندى ، فقد فطر كالإرلنديين على العطف على الفقراء والمساكين ، كما فطر أيضاً على حب الكفاح . ثم إنه كان يحس أن فى قرارة نفسه ضغينة على العالم كله ، لأنه ابن سفاح . وعلى كل فقد صارت الاشتراكية فى نظره منطقاً إنسانياً تاريخياً اقتصادياً لا تردّ له حجة كجدول الضرب ، وصار هذا المنطق فى نفسه عقيدة استبدت به طول حياته .

كانت درجة جاك فى السنة الأولى من دراسته بين المتفوقين والأوساط من الطلبة ، ولكنه كان يتعجل الزمن حتى يلتحق بالجامعة ، فترك المدرسة وأكب على الدراسة فى بيته ، فكان يلازم مكتبه تسع ساعات

كل يوم وهو يدرس الرياضة والكيمياء والتاريخ وأدب اللغة الإنجليزية ، فما مضت ثلاثة أشهر حتى مضى إلى الجامعة وتقدم لامتحان الالتحاق بها فنجح فيه .

ولكنه لم يكد يقضى بضعة أشهر فى الجامعة حتى أدرك أن طلب العلم فيها جهاد مرير وعبء لا قبل له بحمله . فقد كان زوج أمه عليلاً لا يكسب قرشاً واحداً له أو لأمه فلورا ، فلم يكن لجاك بدّ من أن ينهض بعبء رزقه ورزقهما .

وعلى الرغم من فاقة الأسرة ، عمد جاك إلى آخر سهم يقامر به قبل أن يطلب عملا يعمله بيديه ، فقد عزم على أن يكتب قصصاً ، ما دام قد حزم رأيه على أن يصير كاتباً فى آخر الأمر . فأوصد على نفسه باب حجرته ، وأكب على الكتابة خمس عشرة ساعة يوماً بعد يوم . فلما أعيدت إليه قصصه من رؤساء التحرير الذين رفضوا أن ينشروها ، باع ثيابه بمبالغ ضئيلة من المال ومضى فى الكتابة حتى أنفقت أسرته آخر ريال تملكه ، ونفد الطعام الذى فى البيت ، فخرج يومئذ يطلب عملا ، فوجد عملا فى مغسلة يضمن له طعامه ومكانا ينام فيه ، وأجراً قدره ثلاثون ريالا فى الشهر ، كان يعطيه كاملا لأمه فلورا .

وبعد أسابيع من العمل المضنى أحس أنه علق فى شرك لا مخرج منه ، ولا معين عليه ، فماذا يفعل ؟ وإذا بالقدر يمهد له الطريق ، فقد عثروا على الذهب فى مقاطعة كلونديك فى الأسكا فى صيف سنة ١٨٩٦ ، فكان جاك فى طليعة الذين رحلوا للبحث عن الذهب ، ولم يثنه عن الذهاب أن أمه وزوجها كانا يعيشان بالأجر الذى يجنيه من المغسلة ، ولا أنه قد صرف وجهه عن الدراسة فى الجامعة وعن الكتابة التى يهواها ، فهذا نداء المغامرة يناديه .

وقد مكنته أخته إليزا من أن يلبى النداء ، فقد ركبت حمى البحث عن الذهب زوجها شبرد الذى جاوز الستين من عمره ، فأخرجت إليزا من المال الذى ادخرته مبلغ خمسمئة ريال وأنفقتها لتعد عدة زوجها وأخيها ، فأبحرا فى ١٢ مارس سنة ١٨٩٧ .

كانت السفينة أوماتيلا التى أقلتهما غاصة بالرجال الراحلين فى طلب الذهب ، فأقلعت بهم وسارت محاذية الشاطىء حتى ألقت مراسيها فى خليج سكاجواى ، وجعلت الزوارق تنقل المعدنين الذين استهوتهم روعة المغامرة من السفينة إلى ساحل ديا ، فكنت ترى ألوفاً منهم وقوفاً تحيط بهم أمتعتهم ومعداتهم التى تزن ألوفاً من الأطنان ، وهم يلحفون فى مساومة الهنود الحمر على أجر

حملها . وكان الأجر المطلوب ستة قروش إلى ثمانية قروش عن كل رطل ينقل إلى ممر شيلكوت — وهذا أجر فادح يستنفد مال جاك وشبرد عن آخره .

وكان معظم الباحثين عن الذهب عاجزين عن دفع هذه الأجور أو عن حمل أمتعتهم ومعداتهم والسير بها فى الدرب الوعر ، فعادوا بالسفينة إلى سان فرنسسكو وقد باءوا بالهزيمة ، وعاد شبرد معهم مخلفاً جاك مع أصدقائه طمسن وجودمن وسلوبر .

كانوا فى شهر إبريل ، ولكن الشقة أمامهم كانت طويلة وعرة، فعليهم أن يعبروا ممر الجبال إلى بحيرة لندمان ، ثم أن يعبروا البحيرة إلى شلال المياه ، ثم أن يهبطوا هذا الشلال وأن يرحلوا بعد ذلك ذلك مئات الأميال فى وادى نهر يوكون . فإذا أرادوا أن يبلغوا بلدة دوسن قبل أن يهجم الشتاء ، فإن أمامهم أشهراً كثيرة من العمل المتواصل المضنى .

واشترى جاك زورقاً صغيراً ، فحمله الرجال بالمؤن والزاد وجرُّوه جرًّا فى نهر ديا مسافة سبعة أميال ضد تيار الماء حتى وصلوا إلى سفح ممر شيلكوت ، وهناك خبأوا المعدات والزاد ، ثم عادوا فى الزورق محمولا على عباب النهر ، فملأوه ثانية وجروه سبعة أميال إلى المخبأ . وقد دأبوا على ذلك أسابيع كثيرة فنقلوا مؤونتهم وأمتعتهم التى تزن ٨٠٠٠ رطل إلى سفح الجبل .

وممر شيلكوت وعر كثير الصخور يصعد فى جانب الجبل كأنه عمودٌ قائم ، فحمل جاك ما وزنه ١٥٠ رطلا على ظهره وبدأ يصعِّد ، وكان طول الدرب ستة أميال، فكان الرجال الصعدون فيه صفًّا واحداً من أسفله إلى أعلاه . وكنت ترى على جانبيه الشيوخ والضعاف والمتعَّمين الذين نهكهم الإعياء . وكانت كل رحلة من أول الدرب إلى آخره تستغرق يوماً كاملا ، فقضى جاك وصحبه تسعين يوماً بتمامها حتى أنجزوا نقل أمتعتهم وزادهم .

فلما بلغوا ساحل بحيرة لندمان ، ارتد فريق آخر من هذه الجماعة المغامرة لأنهم لم يجدوا زوارق ليعبروا البحيرة فيها . أما جاك وصحبه فقد قطعوا الشجر ونشروه بأيديهم ، ثم صنع جاك البحار زورقين مسطحى القعر، وجعل يخيط القماش ليصنع قلوعاً ، ثم أبحر مع أصدقائه فعبر البحيرة ووصل إلى منابع نهر يوكون ، وهناك جعلوا يتأهبون للمرحلة الأخيرة فى سفرهم .

فلما بلغوا « شلالات الجواد الأبيض » وجدوا نحو ألف زورق مرسية على الشاطئين وألوفاً من الرجال وقوفاً حيارى ، وقد سُقِط فى أيديهم فلا يدرون ماذا يفعلون ،

فإن كل جماعة حاولت أن تجوز الشلال هبوطاً مع مائة المتدفق ، قد طواها الهلاك .

أما جاك فوقف على مرأى من جماعات الرجال المهللين له ، وجعل يسمر قماش الشراع فوق المؤن التى فى الزورق ، وأمر صاحبه سلوبر أن يجثو على ركبتيه فى مقدمة الزورق ، وفى يده مجداف ، وأمر طمسن وجودمن أن يقفا فى الوسط ، وأن يسرعا فى تسيير الزورق ما استطاعا ، وجلس هو فى المؤخرة قابضاً على الدفة ، وسار بالزورق مجارياً أقوى تيارات الماء المتدفق فوق الشلال ، فوثبوا به سالمين وأرسوه فى ماء ساكن ، وعادوا على أقدامهم ليعبروا الشلال مرة أخرى بزورقهم الثانى .

ولم يكد جاك يفعل ما فعل حتى اشتد إلحاح الناس عليه أن يسير الزوارق الأخرى كما سير زورقه لقاء جُعْل يدفع له ، فطلب ٢٥ ريالا عن كل زورق ، وأقام بضعة أيام فجمع ألفى ريال له ولصحبه ، ولو أراد لجمعوا خمسة آلاف أخرى ، ولكن شهر سبتمبر كان قد انتصف ، ولا تزال الشقة طويلة أمامهم .

بل إن تأخرهم عند الشلال إلى منتصف سبتمبر كان أطول مما ينبغى ، فلما بلغوا بلدة ستيوارت التى تبعد ٧٥ ميلا عن مدينة دوسن ، نزل الشتاء ، فعصفت العواصف ، ثم سقط الثلج فغطى الأرض بدثار أبيض ، فعجزوا عن المضى ، فاستولوا على كوخ مهجور على ضفة نهر اليوكون ، وأقاموا فيه كالمحاصرين .

وقد سدّ الثلج الطريق على خمسين من الرجال الباحثين عن الذهب فى بلدة ستيوارت ، فكانوا جماعة متآخية على تضارب أخلاقها ، وكان فيها طبيب وقاض وأستاذ ومهندس . وقد كان ذلك الشتاء بهجة كله فى عينى جاك ، ففى المخيم كتب كثيرة يطالعها ، ورجال يحدثهم فيثيرون كوامن فكره ، وكان كثيرون من الصيادين والهنود الحمر والمعدنين والباحثين عن الذهب يقطعون المسافات البعيدة طلباً للراحة والدفء فى كوخ جاك ، وقد خلد جاك ذكرهم بعد ذلك فى قصصه الساحرة عن ألاسكا .

وقد حاول جاك فى ذلك الشتاء مرة أن أن يجد الذهب الذى جاء فى طلبه ، وقد جعل يبحث عنه مع صاحبه طمسن فى الروافد الكثيرة التى تصب فى نهر يوكون ، فوجدوه فى النهر المسمى هندرسن ، فالماء المتدفع فى بعض مجراه ، قد منع الجمد أن يطبق على سطح النهر ، فضربا بمعاولهما ومَساحِيهما أرض النهر وأخرجا كتلاً من حصى وتراب تبرق فيها شذورٌ لامعة ،

فانبهرت أنفاسهما وسجلا حقهما فى هذه الأرض ، وعجلا فى العودة إلى ستيوارت ليذيعا خبر ما وجدا ، وإذا بكل رجل فى المحلة قد خرج ليسجل حقه فى قطعة من الأرض ، وقال طمسن لجاك إن قيمة قطعتهما تبلغ ربع مليون ريال . وأيًّا كانت الأحلام التى راودت خيال جاك عن عودته إلى أوكلند مثقلا بأكياس من الذهب ، فإنها سرعان ما تبددت يوم قال المعدِّنون المتمرسون إن الشذور اللامعة ليست سوى معدن الميكا أو الطلق الشفاف .

فلما تنفس الربيع اشترك جاك ورجل يدعى الدكتور هارفى فى تفكيك الكوخ، ثم شدُّوا أخشابه بعضها إلى بعض وجعلوا منها رَمَثاً طفا على ماء النهر حتى وصل إلى مدينة دوسن ، فباعا الخشب هناك بستمئة ريال .

ألفى جاك مدينة دوسن مخيما كبيراً يسكنه ٣٠ ألفاً من الناس، ويخترقه شارع موحل قامت على جانبيه الحانات والمراقص ، وكان روّاد الحانات يرحبون به ، وكان المعدنون يدعونه إلى الشرب معهم ، ويوفون ثمن الشراب ، لقاء شرف التندر معه ، وكانت النوادر والروايات التى يروونها له أوقع فى نفسه من الشراب الردىء . وكان ينفق لياليه فى بيوت المقامرة ، يراقب الناس ويدوِّن ما يرى فى مذكراته. وجعل يصغى إلى أحاديث الصيادين والمعدِّنين الذين كانوا فى ألاسكا قبل وجود الذهب فى كلونددايك، فاجتمع لديه أول تاريخ صادق لتلك المنطقة فى أيامها الأولى .

فلما وافى شهر يونيو عاد جاك إلى بلده ، فوصل وهو لا يملك شروى نقير ، ودون أن يخرج من الأرض درهما واحداً من الذهب.ومع ذلك فقد جنى من رحلة البحث عن الذهب مالاً يفوق المال الذى جناه أعظم الباحثين حظا وتوفيقاً .

فلما بلغ جاك مدينة أوكلند عرف أن جون لندن زوج أمه قد مات ، فحزن حزناً شديداً ، لأن الرجل كان قد غمره بحبه ، واليوم أصبح جاك رأس الأسرة ، فأكب على الكتابة لا ينصرف عنها إلا ليعمل أعمالا متفرقة ، وقد استغرق فى قصصه حتى شق عليه أن يصرف بعض عنايته إلى بعض أعماله المجدية كحش الحدائق ، ونفض السجاجيد وما أشبه ذلك ، فعضتهم الفاقة بنابها ، فاضطر جاك أن يرهن دراجته أولا ، ثم ساعته،ثم معطفه الواقى من المطر الذى خلفه له جون لندن ، وكان هو الشىء الوحيد الذى ورثه عنه .

ثم حدث أن تلقى ذات صباح كئيب

ظرفاً مستطيلا رقيقاً من مجلة « أوفرلند منثلى » ، فإذا كان الظرف ينطوى على رسالة تنبئه بأن قصصه عن ألاسكا قد قبلت لتنشر ، فهذا هو وجه الخلاص قد أسفر. وكان قد قرأ أن المجلات تدفع عشرة ريالات مقابل كل ألف كلمة ، وإذن فالقصة من قصصه التى تبلغ كلماتها ٥٠٠٠ كلمة ، تعود عليه بخمسين ريالا . ففتح الظرف بأصابع ترتعد ، فلم يجد فيــه تحويلا مالياً ، وكل ماوجده كان رقعة من ورق تقول إن المجلة تدفع له خمسة ريالات يوم نشر القصــة ، فضربه اليأس .

ولكن يأسه كانت قصير الأجل . ومن أغرب المصادفات فى حياته أنه تلقى فى أصيل ذلك اليوم ظرفاً مستطيلا رقيقاً آخر من مجلة تصدر فى شرق الولايات المتحدة وكان اسمها « بلاك كات » (القطة السوداء) ، وفى الظرف رسالة من المحرّر يقول فيها إنهُ أرسل إليه تحويلا بأربعين ريالا .

فلما كان شهر يناير نشرت مجلة «أوفرلند منثلى» القصة التى قبلتها، فكان لابدّ لجاك من أن يسير أميالا ليقترض ثمن نسخة من المجلة .

وكان « أوفرلند منثلى » قد عرضت عليه سبعة ريالات ونصف ريال ثمن كل قصة تالية يخصُّها بها ، فأرسل إليها جاك قصتهُ « السكون الأبيض » ، مع أن صاحبها لم يكن قد وفى ثمن القصة الأولى . فقبل المحرر نشرها دون تردد ، وقد صارت بعد من أشهر أقاصيصه .

فلما نفدت آخر كسرة من الخبز من البيت ، اقترض جاك أجر الزورق وذهب إلى مكتب « أوفرلند منثلى » ، فهاله أن يرى أن المجلة ليست بالمجلة الذائعة الصيت فى أقطار أمريكا كما كان يتصور ، وكان دخلها لا يكاد يقوم بأوَد محررها ومدير إدارتها ، فرحب الرجلان أحسن ترحيب بجاك لندن ، وأثنيا أبلغ ثناء على عبقريته ، ووعدا أن يرسلا إليه بالبريد فى صباح اليوم التالى خمسة ريالات . فلما هدَّدهما جاك بالالتجاء إلى العنف ، أخرجا من جيوبهما قطعاً صغيرةً من النقد بلغ مجموعها خمسة ريالات .

كانت أسرة جاك غارقة فى بحر من الدين، فقتّرت على نفسها حتى تكفيها الريالات الخمسة شهراً كاملا . بيد أنه تلقى فى الأشهر القليلة التالية بضع رسائل متفرقة تنبئه بقبول قصصه للنشر ومعها تحاويل بمبالغ ضئيلة . فلما كان شهر يوليو أدرك جاك منزلة الكاتب المعروف ، فقد نشرت قصصه ومقالاته فى خمس مجلات ، فكان ذلك كالمعجزة فى حياة فتى لم يناهز الثالثة والعشرين ، ولم يمارس الكتابة حقاً إلا منذ تسعة شهور .

وقبل أن تنتهى سنة ١٨٩٩ أتيحت له الفرصة المرتقبة . كان قد كتب قصة طويلة جعل عنوانها « مغامرة الشمال » ، وتجرأ فأرسلها إلى مجلة « أتلانتيك منثلى » سيدة المجلات الأدبية وأعلاها كعباً وأعسرها منالا على الكتاب . ولو أخذ جاك بما كان مأثوراً عن تلك المجلة ، لكان خليقاً أن تردّ إليه قصته مع رسالة فيها شىء من الجفاء ، بيد أنه تلقى رسالة من المحرر أثنى فيها على القصة وعرض أن يشتريها بمئة وعشرين ريالا .

فعانق جاك أمه وحملها وهو يصيح : « أنظرى ، أنظرى يا أماه ! لقد أدركت أمنيتى ، إننا فى طريقنا إلى القمة » .

والحق أنه كان أدنى إلى القمة مما كان يظن أو يتوقع ، فقد عرضت عليه دار النشر « هوتون ومفلين » المشتركة مع مجلة « أتلانتيك منثلى » أن تخرج له فى الربيع كتاباً يضم مجموعة أقاصيصه ، فحمله هذا النجاح على أن يفكر فى الزواج . وكان قد لقى فى مأتم صديق له فتاة حسناء هى « بسى مادرن » وكانت خطيبة الشاب المتوفىّ . وكانت « بسى » حزينة على فقيدها ، وكان جاك حزيناً على انفصام عروة الحب التى وثقها مع فتاة عرفها فى المدرسة ، إذ كانت أمها تعارض فى زواجهما . وكانت بسى فتاة متعلمة وقد مارست صناعة التدريس ، فما لبثت حتى صارت تراجع أصول القصص التى يكتبها جاك وتقوّم أخطاءها ، وكانت تستحسن كتابته وتثق ثقة عمياء بأنه سوف يصير كاتباً من أعظم الكتاب فى العالم . فلما خطبها جاك قبلت من فورها .

كان التوفيق مقدّراً لهذا الزواج ، ففى ربيع تلك السنة ، اقتحم جاك عرين مجلة « مكلور » ، مجلة الأقاصيص المشهورة فى ذلك العهد ، إذ قبلت أن تنشر ثلاثاً من أقاصيصه لقاء ثلاثمئة ريال . ولما صدر كتابه « ابن الذئب » ، وهو يضمّ مجموعة أقاصيصه . تلقاه النقاد بالثناء والحمد ، ويومئذ عرض عليه مكلور صاحب المجلة أن يرسل إليه مئة وخمسة وعشرين ريالا كل شهر خلال خمسة أشهر متوالية ، حتى يعكف على تأليف رواية .

وكانت سفينة حياته تسير رُخاءً يوم أنبأته بسى بأنها حامل ، فعظم فرحه ورضاه ، وكأن الغبطة بأنه سيصير أباً قد قدحت شرراً فى نفسه ، فلم تكد تنقضى خمس ساعات حتى شرع يكتب روايته « ابنة الثلوج » .

ولكن متاعب البيت كانت تحفّ به وهو يعمل : الحاجة التى لا تنقطع إلى المال ، والشجار الذى لا ينقطع بين فلورا وبسى ،

فقد أبت الأم أن تغفر لكنّتها أنها اغتصبت منها منزلتها الأولى فى الأسرة . فلما أشرف على نهاية الرواية أدرك أن التوفيق قد أخطأه فيها، ووافقه مكلور على هذا الرأى والتقدير وقرر أن يمتنع عن نشرها .

ووضعت بسى طفلة تزن تسعة أرطال ، فساء جاك أن الوليد ليس ولداً ، بيد أن حبه للطفلة اشتد على الأيام .

وقد كتب فى سنة ١٩٠٤ : « تبدأ السنة الجديدة ، والهموم وخيبة الآمال تكتنفنى من كل ناحية » . فقد كان دينه يبلغ ثلاثة آلاف ريال ، وكان عاجزاً عن أن يكسب من عمله ما يكفى لنفقة الذين يعتمدون عليه ، وكان غير راض عن عمله وبطء ذيوع اسمه .

بيد أنك لا تجد مسوّغاً كان يسوغ له هذا الشعور بالخيبة وعدم الرضى إذا نظرت إلى نجاحه فى ميدان التأليف ، فقد كتب إليه جورج بريت رئيس دار مكميلان للنشر فقال : إن قصصه هى خير ما يكتب فى هذا الضرب من القصص فى طول البلاد وعرضها . فأرسل إليه جاك مجموعة من الأقاصيص عن ألاسكا والهنود الحمر ، فقبلتها دار مكميلان من فورها .

فلما كان الربيع عرضت عليه شركة « الصحافة الأمريكية » أن يسافر إلى جنوب إفريقية ليوافيها بأنباء حرب البوير ، وكان يومئذ لا يزال غارقاً فى الدين، وكانت بسى حاملا أيضاً ، ومع ذلك فقد قبل ما عرض عليه قبل أن تنقضى ساعة .

فلما وصل إنجلترا وجد برقية تنبئه أن الاتفاق قد ألغى ، فألفى نفسه فى لندن على سبعة آلاف ميل من بيته ، ولا مال فى جيبه ولا عمل له . ولكنه كان طوال حياته رجلاً يحسن مطابقة ما تقتضيه الحال ، فعزم أن يستقصى الحياة فى حىّ الفقراء فى شرق لندن، وكان يومئذ جحيماً ليس كمثله جحيم فى العالم الغربى . فلما علم ناشرو كتبه فى أمريكا ما ينوى أن يفعل ، هالهم الأمر ، وقالوا إنه خليق أن يكون عرضة للاغتيال وهو نائم فى سريره . ولكن جاك ذهب إلى دكان يبيع الثياب المستعملة ، واشترى ثياباً خلقة مهلهلة قذرة ، فلبسها وأمّ قلب ذلك الحىّ .

لقد عاد جاك مرة أخرى بحاراً كسائر البحارة خالى الوفاض ، لا أستاذاً باحثاً ينظر إلى أهل الحى من عليائه ، فعدّه القوم واحداً منهم ووثقوا به وتحدثوا معه . وقد أودع ما عرفه عن هذه الأنقاض البشرية فى كتاب جعل عنوانه « أهل الهوة » ، فصار من أشهر ما كتب فى العالم عن المحرومين من البشر

وعاد إلى نيويورك فوصلها فى نوفمبر ومعه فى حقيبته أصول هذا الكتاب ، فقبلت دار مكميلان على الفور أن تخرجه ، ورضى رئيسها برين ، الذى غمر جاك لندن بحبه وعطفه ، أن يدفع له مئة وخمسين ريالا كل شهر مدة سنتين ، على أن يكون له التقديم فى اختيار ما يرتضيه من مؤلفات جاك للنشر .

واجتمع جاك بأسرته فكان اجتماعاً رف عليه الفرح والرضى ، ولكن بسى وضعت طفلة ، فخاب رجاؤه فى أن يكون له ابن من صلبه ، وظلت هذه الخيبة تعذبه وتنهش قلبه.

خطر له خاطر جديد هزه فنفض عنه رداء الكسل ، فكان ذلك الخاطر قصة عن كلب عزم أن يقصها فيما لا يزيد على أربعة آلاف كلمة . فلما انقضت أربعة أيام ألفى نفسه قد كتب أربعة آلاف كلمة ، ولكنه دهش حين تبين أنه لم يكد يبدأ القصة . فعزم أن يجعل عنوانها : « نداء الغاب » وأن يدعها تنمو وتتسع بين يديه كما تشاء ، فليس بين القصص التى عنى بها قصة كهذه ملكت عليه لبه وأذكت خياله . فقضى ثلاثين يوما بتمامها وهو يكتب ولا ينى ، مهملا كل شىء — أسرته وديونه وطفلته الوليدة .

وأرسل جاك القصة إلى مجلة « ستر داى إيفننج بوست » فردّ المحرر عليه برسالة يتفجر منها الثناء ، وبحوالة قيمتها ألف ريال ، وعرض عليه بريت رئيس دار مكميلان ، ألفى ريال أخرى من أجل حقوق نشرها فى كتاب ، على أن ينزل جاك عن حقوق الطبع جميعاً وأن يقبض المبلغ فوراً . فتدبر الأمر فوجد أنه لم يجن من أحد كتبه ألف ريال ، وكان يأخذ حصته على عدد النسخ التى تباع ، وهذه ألفان من الريالات تدفع فوراً ويمكن التصرف فيها ، وبخاصة فى إعداد تلك السفينة « سبراى » التى أخذت بمجامع قلبه ، فقبل ما عرض عليه وباع حقوق الكتاب كلها .

كانت السفينة « سبراى » سفينة صغيرة ذات حجرة تتسع لنوم اثنين ، فاشتراها لا لأنه كان يتوق أن يعود إلى الحياة على صفحة الماء وحسب ، بل لأنه كان ينوى أيضاً أن يكتب رواية بحرية ، فأراد أن يطأ بقدميه متن سفينة قبل أن يشرع فى كتابتها ، وزود السفينة بالطعام والأغطية وخرج بها فى رحلة دامت أسبوعاً إلى المياه التى كان يختلف إليها يوم كان واحداً من قراصنة المحار . وعاد بعد أسبوع وقد امتلأت خياشيمه برذاذ الملح ، وأطبقت أنامله على حبال الشراع ، فبدأ يكتب

« ذئب البحر » . وكان إذا ألفى المتاعب فى البيت تؤوده أو تقطع عليه عمله ، يعمد إلى السفينة فيخرج بها إلى عرض البحر ، ويكتب كلَّ صباح ما يملأ ثلاث صفحات وهو جالسٌ على ظهرها .

وفى أواخر يونيو استأجرت بسى بيتاً للاصطياف فى مصيف يدعى « جلن إلن » فى وادى القمر ، وأما جاك فأراد أن يمضى فى رحلاته البحرية وأن يحصر اهتمامه فى إنجاز رواية « ذئب البحر » ، فبقى فى البيت الذى استأجراه منذ سنة فى بلدة بيدمونت . وكان ذات ليلة فى عربة على طريق جبلى ، فهوت العربة فى وادٍ عميق ، فأوذى جاك أذىً كبيراً ، فكانت تعوده فتاة تدعى شارميان كتردج وتعنى بتمريضه ، وكان قد لقيها فى نفس الشهر الذى لقى فيه زوجته بسى ، فصارت صديقة لهما وكثر ترددها على بيتهما . فلما صار فى وسعه أن ينهض ويمشى ، انضمَّ إلى أسرته فى المصيف . وجاءت شارميان أيضاً لتنزل على عمتها ، فكان لهذا الحادث أثر بليغ فى حياة جاك لندن .

وجد جاك أسرته تعيش عيشة الراحة والاطمئنان فى كوخ قائم فى خميلة معطرة ، وكان الذين خيموا هناك يطبخون طعامهم فى مطبخ مشترك على ضفة النهر ، ويأكلونه على موائد طويلة كالموائد التى تمدُّ فى نزهات الخلاء ، ويسبحون فى ماء النهر البارد الصافى . فكان جاك يلعب مع طفلته كل يوم بعد الغداء ، أما فى الصباح فكان يلتمس مكاناً منعزلاً يكتب فيه . وذات ليلة من أواخر شهر يوليو ، اجتمع الناس المخيمون فى تلك الخميلة ، وانضم إليهم الصغار وهم مدثَّرون حتى لا يضرّ بهم البرد ، لكى يستمعوا إلى جاك لندن يقرأ عليهم قصة « ذئب البحر » . وكان يقرأ من أصوله المخطوطة على ضوء شمعة ، وكان الناس منبطحين على الأرض من حوله وعند قدميه ، وكان الفجر قد أخذ يسفر حين قلب صفحته الأخيرة . ولا يزال الأحياء من الذين استمعوا إليه يقرأ هذه الرواية ، يعدّون ما حدث من أروع ما وقع لهم فى حياتهم .

فلم تكد تنقضى ساعات قليلة حتى حدثت زلزلة مزقت أسرة جاك لندن . وقد روت زوجته القصة فقالت :

« حدث ذات يوم أن بقيت مع جاك قرب الجدول بعد طعام الغداء ، وجعلنا نتجاذب أطراف الحديث . وقد كان يريد أن يعود إلى أوكلند ليقضى فيها أياماً ، لأنه وجد فى حياة المصيف ما يقطعه عن عمله ، وقال إنه يفكر فى شراء مزرعة مواشٍ

فى صحراء كاليفورنيا الجنوبيـة ، وسألنى أأرضى أن أعيش فيها ، فقلت له إننى أرضى . وجعلنا ندبر أمرنا حتى نذهب إليها فى الخريف .

« وفى نحو الساعة الثانية عدت بالطفلين إلى البيت حتى يناما ، وكانت مس كتردج تنتظرنا . فلما فرغنا من الحديث رأيتهما يسيران معاً حتى جاءا إلى مكان فجلسا ، فلم يطف بخيالى شىء ، وقد ظلا جالسين معاً أربع ساعات وهما يتحدثان .

« وفى الساعة السادسة أقبل جاك على البيت وقال : « بسى ، سوف أتركك » . فقلت : « أتعنى أنك عائد إلى بيدمونت ؟ » فقال : « لا . سأتركك ... سننفصل » ، فتهالكت على حافة السرير وحدقت فيه كالذاهلة زمناً طويلا لا أقوى على الكلام ، ثم قلت له : « ماذا تعنى ... فقد كنت تتحدث منذ هنيهة عن مزرعة فى جنوب كاليفورنيا ... » فجعل جاك يردد قوله إنه سينفصل عنى ، وظللت أنتحب وأنا أقول : « لا أفهم ... ماذا حدث ؟ » ، فأبى أن يضيف إلى قوله كلمة أخرى » .

وما كان أحدٌ يعلم ، ولا بسى على الخصوص ، أن شارميان كتردج قد نفذت إلى شغاف قلبه . ولو كانت بسى ممن تنهش قلبها الغيرة من بعض النساء ، لما كانت شارميان إحداهن ، فقد كانت أكبر من جاك ، وكانت على شىء من الدمامة ، وكانت مضغة فى أفواه كثيرة ، ومنها فم جاك نفسه . ومع ذلك فقد أحس جاك فى أعماق نفسه بقوة مدمرة لا يستطيع دفعها ترغمه على أن يترك زوجته وابنتيه من أجلها .

ولما أصبح الصباح عاد جاك إلى بيدمونت ونقل أمتعته من البيت واستأجر غرفة ، فلم تكد تنقضى أيام حتى عرفت الصحف بما كان من انفصال الزوجين ، ونشرت الخبر فى صفحاتها الأولى بحروف كبيرة .

وقد ظلت صلة جاك بشارميان خلال السنتين التاليتين ، أميل إلى الحذر والتستر. وقد كان الحبيبان يجتمعان خفية مرة أو مرتين فى الأسبوع ، خشية الفضيحة التى لا مفرّ منها لو عرف سبب انفصال جاك عن زوجته . فإذا ما حالت الظروف دون اجتماعهما تبادلا سيلاً من الرسائل ينفّسان فيها عما يعتلج فى قلوبهما .

وعلى أن شارميان لم تكن فتاة حسناء — فقد كانت رقيقة الشفتين ضيقة العينين متهدلة الجفنين — فإنها اصطنعت لنفسها مظهر الشجاعة وقلة المبالاة ، إذ اضطرت بعد وفاة أبيها أن تكسب رزقها بنفسها ، فتدربت حتى صارت سكرتيرة بارعة ، يوم كانت الفتاة العاملة شيئاً غير مألوف . وكانت

واسعة الاطلاع على الأدب ، جريئة الفكر لا تتقيد بالعرف ، وكانت تحب الموسيقى ، وتحسن الغناء بعض الشيء ، وقد أخذت نفسها بنظام حازم ، على الرغم من أنها كانت تعمل ستة أيام فى الأسبوع ، فتعلمت العزف على البيان حتى صارت تجيده . وكانت فتاة لا تكاد ترهب شيئاً .

وكانت شارميان مقتنعة بأن زوجة جاك لا تصلح له ، وأنها تستطيع أن تكون هى الزوجة التى يحتاج إليها ، زوجة تشاركه فى رحلاته ومغامراته ، لا زوجة تلزم البيت مقيدة بنظامه .

وقد عسر على بسى أن تدرك لماذا أحب زوجها أن يهجرها على حين فجأة ، ولكن كبرياءها منعتها أن تتشبث به أو أن تخرج عن طورها أمامه أو أمام الناس . ولما نزلت بها هذه البلية لم تجد صديقاً يواسيها سوى أمه فلورا . وقبل ذلك ظلت فلورا وبسى ثلاث سنوات متلاحقة وهما تتشاجران حتى ضاق جاك ذرعاً بهما ، أما الآن فقد انقلبت الأم على ابنها لأنه هجر زوجته وابنتيه . وأحنق جاك ما رآه من « خيانة » أمه ، فاضطربت نفسه اضطراباً عنيفاً حتى تعذر عليه أن يعمل ، وقد ظل على هذه الحال يائساً من إنجاز روايته « ذئب البحر » حتى خرج فى رحلة على سفينته سبراى .

فى أثناء ذلك أقبل القراء على روايته « نداء الغاب » التى ظفرت بثناء النقاد ، إقبالا عظيما ، ولو كان احتفظ بحقوق الطبع ، لبلغ ما يجنيه من النسخ التى بيعت مئة ألف ريال . ولكن جاك لم يؤسفه أنه عقد الصفقة التى عقدها مع بريت ، فقد أنفق هذا الرجل مالا كثيراً فى الترويج لاسم جاك ، وقد كان جاك يدرك قيمة ذلك الترويج فى مستقبل أيامه .

كان جاك قد أرسل إلى بريت النصف الأول من رواية « ذئب البحر » ، فعرضها على مجلة « سنشورى » ووصى بها أبلغ توصية ، فقبل محررها أن ينشرها مسلسلة فى مجلته ، وأن يدفع أربعة آلاف ريال لقاء حقوق النشر المتسلسل ، فابتهج جاك أعظم ابتهاج وعقد الصفقة بالتلغراف . وأكب على عمله وقد تجدد نشاطه ، وحصر ذهنه فيه ، فأنجز الرواية فى ثلاثين يوما كان فيها كالمحموم .

فلما نشبت الحرب بين روسيا واليابان فى سنة ١٩٠٤ عرضت عليه خمس من شركات الأنباء أن يكون مراسلا حربياً لها ، فاتفق مع الشركة التى عرضت عليه أكبر أجر ، وهى شركة هرست ، وقضى عدة شهور فى ميادين القتال . وقد حاولت

الحكومة اليابانية أن تمنع المراسلين من مشاهدة القتال الدائر ، فقنع فريق من المراسلين الذين لم يطبعوا على الإقدام والمغامرة، أن يقيموا فى طوكيو طوال الحرب . أما جاك فاستجاب لداعي العزيمة والإقدام فى طباعه ، واستأجر زورقاً يابانياً ، وعبر به البحر الأصفر معرضاً نفسه لأخطار كثيرة ، حتى يكون على مقربة من القتال الدائر . وقد فاق جميع المراسلين فى عدد الرسائل التى بعث بها إلى شركته ، ونال قصب السبق فى نقل حوادث كثيرة خطيرة، فصار اسمه أذيع كثيراً مما كان .

فلما عاد لقى على رصيف الميناء محضراً من المحكمة أبلغه طلب الطلاق الذى قدمته زوجته بسى .

فأتت عليه بعد ذلك فترة عانى فيها شقاء النفس وعقم العقل ، فقد أشقاه أنه خسر ابنتيه ، وأنه آذى زوجته بسى ، وأن عقله قد جمد ، فلا يخطر له خاطر جديد رائع ولا يستهويه مشروع من المشروعات .

ولكن الترحيب العظيم الذى لقيه كتاب « ذئب البحر » ، وهو كتابه العاشر فى أربع سنوات ، كان بدء مرحلة جديدة إلى ذروة مجده . فقد صار الكتاب حديث الناس بين عشية وضحاها ، ولهجت الألسن نذكره مدحاً وذمًّا . وقد وصفته طائفة من الصحف بأنه وحشيٌّ تشمئز منه النفوس، ولكن الكثرة من الصحف اتفقت على أنه نتاج « عبقرية مبتكرة نادرة » . فلم تكد تنقضى ثلاثة أسابيع على صدوره حتى كان فى طليعة الكتب الرائجة .

وقد كسب جاك لندن فى حياته القصيرة مليون ريال أو أكثر ، ولكنه كان ينفق ماله قبل أن يصير بين يديه ، ثم يجهد نفسه فى التمهيد للظفر به . وقد كان يقول : « ربّاه ! سأظلُّ عبداً لعادة تبذير المال » .

وكان إلى شهرته فى تأليف الروايات محاضراً مشهوراً ، يكسب مئات من الريالات فى اليوم حين يطوّف ليحاضر . وكانت الجماهير تحبُّ فيه رجولته القوية وإخلاصه وحماسته فى معالجة موضوعات الإصلاح الاجتماعى ، وبسمته الفاتنة، وضحكته الرنانة.

وكان يحاضر فى بلد يبعد عن سان فرنسسكو يوم جاءه النبأ بأن الحكم قد صدر بطلاق بسى منه ، فأبرق من فوره إلى شارميان حتى تلحق به ، وتزوّجا . فلما صدرت صحف الصباح الثانى وصفت هذه المبادرة إلى الزواج بقولها « عجَلة منافية للذوق » . وقد كانت الصحف تؤازره وتعطف عليه ، فانقلبت عليه بعد زواجه الثانى وصارت تصبُّ عليه جام سخطها ، وسخريتها أيضاً . ولو قنع بأن يهدأ بضعة

أشهر قبل أن يتزوّج شارميان ، لاجتنب هذه الفضيحة ، ولما عرّض نفسه للتهجم عليه من كل ناحية .

جاء شهر فبراير سنة ١٩٠٦ فكان يحاضر فى مدينة سانت بول فأصيب بمرض ، فألغى بقية المحاضرات وعاد إلى بيته فى « جلن إلن » ، وكانت نفسه قد شبعت من الدن والجماهير فتاق إلى الرحلة فى البحر ، وصار يحدث زوجته عن رحلة حول العالم . وقد كانت هذه الرحلة مُنية حياته وحياتها ، فقد كانت شارميان تجاريه فى حب المغامرة وتحثه عليها. فشرع من فوره يدبر خطة لرحلة حافلة بضروب من روعة المغامرة ، تصغر بإزائها كلّ مغامرة سابقة فى حياته .

وقد كتب جاك بضع رسائل إلى محرّرى المجلات الكبيرة فى الشرق الأمريكى عسى أن يقنعهم بأن يحملوا معه بعض نفقات الرحلة . قال : « يبلغ طول السفينة ٤٥ قدماً ، وأنوى أن أقلع فى أكتوبر ، والرحلة تستغرق سبع سنوات على الأقل » .

كان خليج سان فرنسسكو يعجّ بسفن كثيرة تصلح لركوب البحر ، وكان يستطيع أن يبتاع إحداها بثمن معقول ، ولكنه أبى أن يسير أية سفينة إلا سفينة يرتضيها هو. وكان فى مدينة سان فرنسسكو مهندسون قد تفوقوا فى تصميم السفن وبنائها، ولكنه أبى أيضاً إلا أن يرحل فى سفينة قد صنعت طبقاً لمثال تخيله فى ذهنه .

وكان روسكو إيمز ، خال شارميان ، قد تولى تسيير زوارق صغيرة فى مياه سان فرنسسكو يوم كان من أهل الترف ، فاتفق معه جاك على أن يأخذ التصميم إلى الأحواض وأن يشرف على صنع السفينة الجديدة « سنارك » . وقد فعل جاك ذلك مع أنه كان يعرف أن روسكو رجل لا يصلح لعمل ، وأن تجربته البحرية ضئيلة لا تغنى ، وكان جاك قد قدّر أن بناء هذه السفينة يكلفه سبعة آلاف ريال ، فقال لروسكو : « أنفق هذا المال كله فى بنائها ، واحرص على أن تكون أمتن سفينة على الماء » .

فابتاع روسكو المواد اللازمة ، واتفق مع العمال واستأجر مكاناً فى حوض الصنعة ، ثم حدث زلزال سان فرنسسكو وتاتهُ النار الحاصدة ، فالتهمت مواد البناء ، وأعقب ذلك شلل حلّ بتجارة المدينة وصناعتها ، فمضت أسابيع كثيرة دون عمل يذكر فى السفينة ، ولم يشرعوا فى بنائها إلا فى شهر يونيو .

فلما انتصف الصيف ألفى جاك نفسه قد أنفق على السفينة عشرة آلاف ريال ، وهى كلّ ما فى يديه من المال ، بيد أنها لا تزال

فى أولها . وأخذت ردود المحررين الذين كتب إليهم فى فبراير تتوالى عليه ، ولم يجد بينهم من عُنى بمشروعه .

وفى أول أكتوبر — وهو اليوم الذى كان قد عينه ليقلع بسفينته — وجد أنه قد أنفق عليها خمسة عشر ألف ريال ، ولكنها لا تزال فى منتصف الطريق إلى التمام . وأدرك جاك يومئذ أنه أخطأ خطأ فادحاً يوم اعتمد على روسكو إيمز ، وبلغ منه اليأس أنه صار يشرف بنفسه على بناء السفينة حتى تم . وأخذت الصحف تنشر مقطوعات ساخرة تندد فيها بتلكؤ جاك لندن ، وجعل أصدقاؤه يتراهنون معه على إرجاء موعد سفره مرة بعد مرة .

وعلى أن جاك قد أدرك أن روسكو إيمز رجل لا كفاية فيه ، فإنه لم يبادر إلى طرده والاتفاق مع ربان مجرب ، بل قنع بأن يدفع له المال حتى يتعلم الملاحة ، ورد جميع البحارة المجربين الذين عرضوا عليه أن ينضموا إليه ، فاكتفى بأن يضم إليه فى جماعة السفينة زوجته شارميان ، وروسكو إيمز ، ومارتن جونسن الذى صار فيما بعد مستكشفاً مشهوراً فى إفريقية ، وطالب جامعة اسمه هربرت ستولتز ليكون بمنزلة المهندس ، وخادماً يابانياً . وما كان أحد منهم ، سوى جاك ، يعرف كيف ينشر شراعاً .

وقد أبى الناس أن ينظروا إلى السفينة سنارك نظرة الجد والاهتمام ، ولا سيما الرجال الذين ضمهم جاك إليها . ورآها البحارة المجربون فقالوا بفساد تصميمها وبنائها ، وبأنها ستغرق فى لجج اليم .

وأدرك جاك أنه لن يتمكن من أن ينجز بناء السفينة فى سان فرنسسكو ، فعزم أن يبحر بها إلى هنولولو فى جزائر هوائى فيتمها هناك . فلما حاول العمال أن ينزلوها عن أعوادها انهارت الأعواد وهوت السفينة ، وسبق مؤخرها مقدمها فى السقوط فارتطم فى الوحل .

فلما حسب جاك حسابه تبين أنه قد أنفق خمسة وعشرين ألف ريال على هذه السفينة المشلولة ، فأشار عليه أصدق أصدقائه بأن يسلم بالهزيمة ، وقالوا إن سفره فيها إذا استطاع أن يبحر بها ، كفعل من يبحث عن حتفه بظلفه . فقال : « لا أستطيع أن أتراجع » . وتعاونت الأيدى فأخرجت السفينة من الوحل وأنزلت فى الماء ، وأرسيت قرب رصيف فتم ترميمها فى حال من الفوضى تجل عن الوصف ، وزودت بالطعام وحملت بأمتعة جماعتها .

وقد اصطلحت المصائب على جاك ، فسرق ماله ، وسخر منه الناس وعدوه رجلا أحمق لا رجاء فيه ؛ ولكنه مع ذلك رفع مرساته

فى ٢٢ إبريل ١٩٠٧ وأقلع ، فمضت السفينة متثاقلة وعبرت الخليج إلى البوّابة الذهبية ومنها إلى عرض المحيط الهادىء ، فكان ذلك كالمعجزة : فملاّحها لا يعرف الملاحة ، ومهندسها لا يحسن الهندسة ، بل إن طباخها لا يعرف الطبخ .

وعلى أن انسياق جاك مع خياله وعواطفه كان أصل بلائه ، فقد زاد هذا البلاء جشع الرجال الذين من حوله . فلم تكد تمضى أيام على خروج السفينة إلى عرض المحيط حتى بدأ الماء يتسرب من شقوق بين ألواح الخشب على ظهرها فتلف الزاد ، ثم بدأ يتسرب من جانبيها . أما الحجر التى كلفه بناؤها مبلغاً طائلا من المال لتكون عصيّةً على نفاذ الماء ، فقد صار الماء يتسرّب من إحداها إلى الأخرى . وأما الأدوات التى ركبت فى غرفة الحمّام فقد تلفت فى بحر عشرين ساعة .

ولم يتبين جاك إلا بعد أيام ، أن روسكو لم يتعلم شيئاً من الملاحة يوم كان يدفع له مالا ليتعلمها ، وأن السفينة التى أخذ الماء يتسرب إليها قد ضلت فى عرض المحيط . فأخرج جاك كتب الملاحة وأكب على دراستها ، ثم رسم الخرائط برصد الشمس . وقد كتب فيما بعد : « إن الاهتداء فى الملاحة بالشمس والقمر والنجوم قد صار شيئاً هيناً بفضل علماء الرياضة والفلك » وقد مكنته قدرته العجيبة على حصر الذهن من أن يحذق المعرفة اللازمة للتغلب على هذه العقبة — الملاحة الصحيحة .

فلما هاج البحر وعلت أمواجه ، لم ينفع السفينة سنارك حيزومها البديع الذى أنفق عليه جاك شيئاً كثيراً من همه وماله ، بل كان خطراً محققاً لأنه يحول دون إدارة السفينة حتى تواجه الريح حين تشتد العاصفة. وكان ترنح السفينة فى البحر المائج كافياً لينزل الدوار بمارتن جونسن والخادم اليابانى، فصار جاك مضطراً أن يضيف إلى مهامه الكثيرة الشاقة محاولة طبخ الطعام وهو واقف فى حجرة يرتفع فيها الماء إلى الركبتين، ولكنه حاول عبثاً . وكانت شارميان تتولى الدفة فى الحين بعد الحين ، أما روسكو فكان قد اشترى قبل الرحيل طعاما محفوظاً بعثات من الريالات على حساب جاك وخزنه وأقام فى غرفته يأكله ، وأنبأ جاك أنه لا يستطيع عملاً لأنه مصاب بالإمساك .

ففى هذا الخطر الذى كان يحدق بهم ، والفوضى الشائعة فى السفينة وهى مهددة بالغرق كل يوم ، كان جاك ينتحى مكاناً على ظهر السفينة، وشرع يكتب روايته «مارتن إيدن » ، ولعلها أجود رواياته ومن أعظم الروايات الأمريكية . وأنت ترى اليوم الصحائف التى سوّدها جاك بحبره ، فلا ترى

فيها تنقيحاً يذكر ، فهى تدلُّ على قدرته الهائلة على تنظيم العمل وحصر الذهن حين يؤلف .

بعد رحلة دامت سبعة وعشرين يوما ، رأى ركاب السفينة المنكودة الطالع قمةجبل هاليا كالا الذاهبة عشرة آلاف قدم فى الجو ، فاغتبط جاك أيما اغتباط بدقة حسابه . وفى صباح اليوم التالى دخلوا برل هاربر ، فأقبل زورق من نادى اليخوت لاستقبالهم ، وجاءهم بصحف وبرقيات من أمريكا،وفيها أن السفينة سنارك قد غرقت .

وقد قضوا خمسة أسابيع على شاطىء هونولولو ، أكبَّ فيها جاك كالمحموم على كتابة المقالات التى يرجو أن تجدى عليه مالا قد اشتدت حاجته إليه . وقد ظلَّ اثنى عشر يوما لا يدنو من سفينته ، فلما ذهب إليها بعد ذلك وجد أن أحداً من رجالها لم يعن بتنظيف سطحها ، وأن كثيراً من أشيائها قد بدأ يتلف تحت الشمس الحارقة ، فطرد روسكو إيمز والمهندس هربرت ستولتز وأعادهما إلى كاليفورنيا .

ثم بعث من فوره ليجىء برجل يدعى جين فنلون ليتولى عمل مهندس السفينة ، وقد ذكرت الصحف فى معرض السخرية أن « فنلون تدرَّب على الملاحة يوم كان مصارعا فى ملهىً » . وقد جاء وقضى بضعة أشهر وهو يحاول أن يصلح السفينة ، ثم عاد إلى كاليفورنيا وهى أسوأ حالا مما كانت قبل مجيئه .

بيد أن جاك وشارميان كانا يستمتعان فى أثناء ذلك بضيافة أهل هوائى وكرمهم ، فقد رحبوا بهما فى كل مكان واحتفوا بهما . وكان كل يوم يسفر عن مغامرة جديدة رائعة ، فقد صادا السمك على ضوء المصباح الكهربائى مع الأمير كالامانولى ، وشهدا الحفلات التى أقامها أهل الجزيرة ، وسبحا فى مياه البحر الدافىء تحت ضياء القمر .

وفى منتصف شهر أكتوبر أقلع جاك ميمماً شطر جزائر ماركيز ، وكان معه فى هذه الرحلة من رحلته ربان هولندى مجرب . ولم يجد بين الذين ضمهم إليه فى سان فرنسسكو رجلا كفؤاً للمغامرة سوى مارتن جونسن الفارع الطول الوضىء الوجه . وكانت شارميان أيضاً قد أقامت الدليل على كفايتها ونفعها فى هذه الجماعة ، فهي جريئة القلب واسعة الحيلة ، مطمئنة النفس إذا ساءت الحال ، أنيسة المحضر إذا حسنت .

وبعد أن مضت أيام على إبحارهم ،فتح جاك كتاب الملاحة فى جنوب المحيط الهادى فقرأ فيه أنه لا يوجد فى التاريخ المدوّن ذكر سفينة شراعية واحدة استطاعت أن تعبر

من جزائر هوائى إلى جزائر ماركيز ، فتيارات المحيط عند خط الاستواء ومهابّ الرياح التجارية ، تجعل ذلك فى نظر البحّارة أمراً مستحيلا . فنجاتهم من كارثة تحل بهم يكاد يكون من المعجزات .

وقد هبّت رياح شديدة هدّدت السفينة الصغيرة بأن تحطمها كأنهـا عود ثقاب ، فظلوا ستين يوماً لم يروا فيها ذات شراع أو دخان ، وقد اندلق نصف الماء العذب المحمول فى السفينة ، فلم ينجهم من الموت ظمأً سوى مطرٍ هطل عليهم رحمة من الله . وكان جاك كالشابّ الذى يعيش فى نشوة دائمة ، يرسم الطريق للسفينة فى مجاهل المحيط ، ويصيد الدلفين والقرش ، ويكتب كل يوم ألف كلمـة فى روايته « مارتن إيدن » . وبعـد أن قضوا شهرين كاملين فى البحر يحفُّ بهم خطر دائم ، وصلوا إلى ثغر نوكوهيفا فى جزائر ماركيز .

•

قضوا فى تلك الجزائر اثنى عشر يوماً كلها رائع ، صاد جاك فى أثنائها العنز البرّى ، وشهد حفلات الأهلين ومراقصهم ومآدبهم ، ثم رفع مرساته وأبحر إلى جزيرة تاهيتى . فلما بلغها علم أن الناس فى أمريكا كانوا قد قطعوا الأمل مرة أخرى من نجاة السفينة ، وقد نشرت صحف كثيرة مقالات تعرب فيها عن أسفها الصادق على فقد كاتب شابٍّ موهوب . أما الصحف الأخرى فقد زعمت أنه يوهم بأنه قد ضاع حتى يتوسـل بذلك إلى الإعلان وذيوع الذكر .

وجد فى تاهيتى طائفة من الرسائل أرسلت إليه من أمريكا فطالعها ، فتبين أن شئونه قد اضطربت اضطراباً فظيعاً بعـد غياب لم يدم سوى ثمانية أشهر . فقد رسخ فى ذهن مدير مصرف أوكلند أنه قد مات ، فحجز على بيت أمه فلورا لقاء مال الرهن . وكان قد صرف شـيكات فى هوائى مجموع قيمتها ٨٠٠ ريال ، فردّها المصرف لأن « ماله فى المصرف دون الكفاية » ، فضجت الصحف بهذا الخبر . وقد كان كل ذلك من جراء تبذير مسز روسكو إيمز وسوء تدبيرها ، وكان جاك قد جعلها وكيلا عنه قبل الرحلة وفوض إليها أموره . فعزم جاك أن يعود إلى أمريكا فى أول سفينة حتى يسوّى أموره

فلما نزل إلى البر فى سان فرنسسكو نشرت الصحف بحروف ضخمة نبأ وصوله وسخرت منه سخرية لاذعة ، فلما قال لأحدهم إنه ينوى أن يعود بالسفينة التى جاء بها إلى تاهيتى بعد أسبوع ، حاول أصـدقاؤه أن يثنوه عن عزمه وحثوه على أن يبقى فى أمريكا مادام قد أقام الدليل على قدرته أن يقوم برحلة كهذه الرحلة ، ولكنه لم يعرهم التفاتاً .

وقد عني في هذا الأسبوع القصير المزدحم بإرسال برقية إلى ناشري كتبه ، يطلب منهم مالاً مقدماً على حساب روايته «مارتن إيدن» التي كاد يفرغ منها ، ورفع الحجز عن بيت أمه ، وسدّد المتأخر من الفائدة على ثمن المزرعة ، واتفق مع طائفة من المجلات على مقالات يكتبها عن رحلته ، ودبر أموراً أخرى خاصة بنشر كتبه .

فلما عاد إلى تاهيتي في إبريل أبحر في سفينته سنارك إلى جزائر فيجي، فبلغ عاصمتها سوفا في يونيو ، بعد أن توقف في الطريق غير مرة . فنزل الربان الهولندي إلى البر ولم يعد ، فصار جاك منذ ذلك اليوم ربان السفينة أيضاً ، وجعل يطوّف فيها بين جزائر سليمان ، وعاش حينا بعد حين على مزارع في الأدغال عيشة أقرب ما تكون إلى الفطرة والتوحش والتجوّل في نواحي الأرض . فلما كان في مالايتا كمن له أكلة لحوم البشر وهجموا عليه ، وسدّدوا إليه نبالاً مسمومة ، واعتدت عليه قبائل من السكان وهم يتصايحون ، فكتب عن أيامه هذه فقال : « إنها أمتع أيام في حياتي » .

كانت أمراض المنطقة الحارّة تحفّ به من كلّ جانب . فأحال سفينته إلي مستشفى ، وقد تعرّض رجاله لضروب الأذى ، فإذا جرحت ساق أحدهم وهو يربط قاربه على الشاطىء ، أو وهو يمشي في الأدغال ، تكوّنت قرحة لا تلبث حتى تصبح قرحاً عديدة ، فإذا كل قرحة منها في حجم الريال من الفضة . ولما كانوا في جزائر سليمان أصيب رجال السفينة جميعاً بالملاريا ، وكثيراً ما كانت القشعريرة والحمى تركب خمسة منهم مرة واحدة ، فيترك أمر تسيير السفينة لسادسهم ، ساء الجو أو سكن . وبعد أن توالت نوبات الملاريا على جاك أشهراً كثيرة ، صار يقضي نصف وقته تقريباً وهو طريح الفراش ، ومع ذلك كان يستمتع بهذه المتاعب لأنه كان يتخيل أنها بعض ما ينبغي أن يمنى به الرواد والمستكشفون من المشاق . وكان يحب أن يصف نفسه بوصف الطبيب الهاوي ، فكان يخلع أضراسه ويداوي قروح شارميان ومارتن جونسن بالسليماني ، ويضع بيده أقراص الكينا في حلق الخادم ، فقد أصيب هذا الياباني بحمى البول الأسود وسلم أمره إلى ربه على أنه ميت لا محالة .

لم ينصرف جاك خلال ذلك كله عن زيارة الجزائر التي يرسي في مياهها كلما أتيح له ذلك، وكان يدوّن مذكرات وافية، ويصور الصور ، ويجمع أشياء القبائل : من خشب منحوت ورماح وأقمشة ، لينشىء بها في بيته متحفاً للبحار الجنوبية . وكان لا يثنيه

عن كتابة القدر المقرر كل يوم سوى إصابته بنوبة الملاريا .

فلما وافى شهر سبتمبر سنة١٩٠٨ذهبت عنه روعة القيام بدور طبيب من الهواة ، فقد بدأت يداه تتورمان من إصابته بالاستسقاء ، فكان يجهد نفسه جهداً أليماً حتى يطبقهما ، ثم أخذ جلده يتقشر طبقة بعد طبقة حتى تقشرت ست طبقات ، فكان ذلك عذاباً فظيعاً . وقد عجزت المخاطر والمشاق عن تثبيط همته ، وكانت سخرية الناس وخوف الإفلاس حافزاً لها . أما المرض فقد غلبه على أمره . فلما اصطلح عليه العجز والألم،أبحر فى سفينة مسافرة إلى أستراليا ودخل مستشفى فى مدينة سدنى ، فتحير الأطباء فى مرضه ، فليس له ذكر فى تاريخ الطب .

فلما تبين أن علاج الأطباء لا يجديه شيئاً فى المستشفى، قضى الأشهر الخمسة التالية متنقلا بين فنادق سدنى عسى أن يتاح له علاج يمكنهُ من أن يعود إلى سفينته سنارك. وكان عاجزاً عن الكتابة ، بل كان الألم يبرّح به حتى ليعجز عن القراءة . وأخيراً أدرك أنه إذا لم يعد إلى وطنه ، فإن عظامه تدفن فى البلاد الحارّة . فبتّ رأيه وعرض السفينة سنارك للبيع ، فبيعت بثلاثة آلاف ريال .

عاد جاك إلى سان فرنسسكو بعد سنتين أو أكثر من التطواف ، فقال للصحفيين : « لقد بلغ منى الإعياء فعدت إلى الوطن حتى أصيب قسطاً وافراً من الراحة » . وكان يومئذ ينوء بعبءٍ باهظٍ من الدين ، وكانت صحتهُ قد نهكت ، وظنّ محررو الصحف والمجلات أنّ معينه قد نضب ، إذ مضت سنة لم يروا فيها من آثار قلمه شيئاً يذكر .

ولكنهُ لم يكد يعود إلى وطنه حتى تحسنت صحته تحسناً سريعا ، فلما وقع على كتاب عنوانهُ : « أثر ضوء الناطق الاستوائية فى الرجال البيض »،وعرف منه أن ما أصيب به من داءٍ حيّر أفهام الأطباء ليس مخوفاً،وأنه يرجع إلى الأشعة التى فوق البنفسجية فى ضوء الشمس فى البلاد الاستوائية وأثرها المؤذى فى جلده ، تمّ له البرء يوم زال القلق الذى استبدّ بنفسه .

فأقبل جادًّا على إصلاح أموره ، وكان المحرّرون والنقاد يزعمون أنه أفرغ ما فى جعبته ، ولكن جاك كان يعلم أنه لم يكد يمسُّ القصص التى يتوق إلى كتابتها ، فشرع يؤلف رواية « الضوء المحرق » ، وهى قصة عن كلونددايك وسان فرنسسكو تصوّرها على نحو غريب . وكتب أقاصيص يكثر فيها الحوار وتحرّك النفس ، وجعل

مسرح حوادثها على ساحل إرلندة . وباع أفضل أقصوصة كتبها عن الملاكمة إلى مجلة « ستردای إيفننج بوست » وكان عنوانها « قطعة لحم » ، فاتفقت معه هذه المجلة على أن يكتب لها اثنتى عشرة أقصوصة فى السنة التالية. فلما صدرت روايته « الضوء المحرق » راجت رواجاً عظيما فاسترد مكانته الأولى .

فلما قام الدليل فى نفسه على أنه لم يفقد شيئاً من قدرته ، وعلم أن زوجته شارميان حامل ، انصرف إلى تحقيق أمنية ما زالت تساوره طوال حياته ، فبدأ يبنى بيتاً أراده لكى يقضى فيه بقية أيامه ، واختار له مكاناً رائعاً فى وادٍ فى « هِل رانش » تحيط به بواسق الأشجار والكروم والبساتين والغابات . وعزم أن يبنى فى هذا البيت حجرة تتسع لكتبه التى يبلغ عددها أربعة لاف مجلد ، وللتحف الكثيرة التى عاد بها ن ألاسكا والبحار الجنوبية . وعزم أيضاً ن ينشىء فيه حجرة واسعة للبليار ولعب ورق، وأخرى للموسيقى إرضاء لشارميان، غرفة للأكل تتسع لخمسين ضيفاً .

وقد سمى هذا البيت « بيت الذئب » وأراده أن يكون أجمل بيت فى أمريكا ، فاستعان بالمهندسين ، وقضى شهوراً حافلة بالرضى وهو يقلب النظر فى الرسوم، وأخيراً قر رأيه على أن يكون البيت ذا ثلاث وعشرين غرفة . ثم وجد بنّاء إيطالياً ممتازاً يدعى فورنى، وأمره أن يبنى بيتاً يبقى على الدهر.

وفى ربيع سنة ١٩١٠ دعا إليه أخته إليزا بعد انفصالها عن زوجها لتسكن معه ، فأحسن فيما فعل ، وعهد إليها أن تشرف على العناية بمزارعه . ولم يكد يفعل حتى أضاف عبئاً جديداً إلى هذا العبء الذى ألقاه على كاهلها ، فاشترى قطعة أرض من الكروم مساحتها ٨٠٠ فدان .

وفى ١٩ يونيو وضعت شارميان طفلة ، فعاشت ثلاثة أيام وحسب ، فساوره حزن لا سلوان منه ، وصار يعتقد أنه سيموت دون أن يرزقه الله بولد يبقى ذكره ، فأحس أن النبع الذى فى صدره قد غاض ، برغم أربعة وعشرين كتاباً خلفها ذرية تخلد ذكره .

ولم تكد شارميان تتماثل حتى ذهبا فى نزهة بحرية دأب فيها على التأليف وتسيير السفينة كعادته ، وكانا يصيدان السمك ويعدّانه لطعام العشاء . وقد مرت شهور الصيف على هذا المنوال ، فاندملت الجراح التى خلفها فقد الوليدة فى نفسهما . وكان يظفر بأعظم رضى النفس يوم يمتطى جواده ويعبر الحقول إلى « بيت الذئب » ليشرف على سير العمل فيه يوماً بعد يوم ، ويقضى ساعات فى محادثة فورنى والعمال

وكان الشوق يلح عليه أحياناً فى أن ينصرف عن العمـل الرتيب الذى ألفه ، فكان يشد أربعة جياد إلى عربته ، ويربط أجراساً خاصة بأطواقها ، ويمضى ينهب الأرض نهباً على الطريق الترِب المنحدر إلى بيته فى « جلن إلن » ، ثم يمضى إلى أقرب حانة فيدعو من فيهـا إلى الشرب معه ، كما كان يفعل يوم كان بحاراً . ولا يكاد يشرب بضع كؤوس حتى ينتقل منها إلى حانة أخرى ، فلا يرخى الليل سدوله حتى يكون قد شرب ملء إبريق من الوسكى ، وتحدث مع مئة من الناس .

ومن هنا نشأت فى ذهنه فكرة كتـابه «جون بارلى كورن» الذى ظفر له بشهرة لا تجارى ، وحمل النقاد فى الوقت نفسه على سلقه بألسنة حـداد . وهذه الرواية تتضمَّـن شيئاً كثيراً من ترجمـة حياته . فقرأها ملايين من الناس ، واستخرج الوعاظ منها عبرة خلقيـة يقاومون بها معاقرة الخمر ، وقالت الجماعات المنظمة لمقاومة الحـانات والخمور أنها تنطق عن آرائهم . وصُنع منها فلم سينمائى ، فعرض تجار الخمور ومقطروها مبلغاً ضخماً من المال ليمنعوا عرضه . وقد رسم جاك فى هذه الرواية صورة غَـلبته على السُّكر ، ولـكن الناس الذين قرأوها صاروا يرونه سكيراً مدمناً . فلما سُنّ قانون تحريم الخمر فى أمريكا سـنة ١٩١٩ كانت هذه الرواية قد مهَّدت له الطريق .

كان جاك قد أنفق حتى شهر أغسطس ١٩١٣ ثمانين ألف ريال على تشييد «بيت الذئب» الذى أوشك أن يتم ، وعين يوم ١٨ أغسطس لرفع الأنقـاض المتخلفة عن البناء من حوله ، وفى صباح اليوم التالى يشرع العمال فى نقل أمتعة جاك وشارميان إلى البيت الجديد . وفى تلك الليلة استيقظ البناء فورنى على صياح فلاح : « فورنى ، بيت الذئب يحترق» . فلم تنقض دقائق حتى أقبل جاك يعدو مبهور النفس ، ووقف على التل الصغير حيث جلس من قبل مع العمال يغـنِّى ويشرب الخمر ، فلم يكن فى وسعه أن يصنع شيئاً سوى أن يقف هناك ويدع الدموع تنحدر على خـدَّيه ، وهو يرى الدمار يحيق بأعزِّ أمانيه عليه .

وقد أُلصقت تهمة إشعال النار بغير واحد من الناس ، وكان هو موقناً بأن النـار لم تشب قضاء وقدراً ، ولـكنه لم ينطق فى تلك الليلة الفاجعـة سوى مرتين . فلما كانت شعاليل النار على أشدها قال همساً : « أوثر أن أكون الرجل الذى أشـعلت النـار فى بيته ، ولا أكون الرجل الذى أشعلهـا » . فلما أسفر الصبح كان البيت

الذى شُيِّد ليبقى على الدهر قد صار كالهيكل الخاوى ، فقال بصوت هادىء : « فورنى ، غداً نبدأ فى البناء ثانية » .

ولكنه لم يجدّد بناء بيت الذئب ، فالنار التى أكلت البيت فى تلك الليلة قضت قضاء الأبد على الجذوة التى فى قلبه .

كان دينه يبلغ يومئذ مئة ألف ريال ، فلما فكّر فى المؤلفات التى ينبغى أن يؤلفها لكى يجنى منها ذلك المبلغ الضخم ، أحسّ بشىء كأن صخرة جاثمة على صدره .

ومع ذلك فقد أدرك جاك فى سنة ١٩١٣ ذروة مجده الأدبى ، فقد نشرت المجلات أربعاً من رواياته مسلسلة فيها ، وأخرجت دار النشر أربعاً أخرى فى كتب . وكان بينها روايتاه العظيمتان « جون بارلى كورن » و « وادى القمر » ، فصار يعد بين أقرانه قوة من قوى الطبيعة ، لا مؤلفاً من البشر وحسب .

ولكن صحته أخذت تضعف وتسوء ، وهذا العقل الذى أخرج واحداً وأربعين كتاباً فى أربع عشرة سنة ، قد أخذ يكل . ولقد كان فى حياته قادراً أن يحتمل الخمر التى يشربها ، إذا استثنينا أيام حداثته يوم كان من قرصان البحار . أما اليوم وقد تغيرت الحال ، فقد دفعه المرض إلى السكر ، فزاد السكر من علته .

وفى فبراير ١٩١٥ رحل مع شارميان إلى جزائر هوائى ليقضيا بقية الشتاء ، فأعانه الدفء وضوء الشمس والسباحة وركوب الجياد على أن يستردّ قسطا من العافية ، فشرع يؤلف رواية جديدة ، فأتمها فى الصيف وعاد إلى بيته فى جلين ألن . فاشتدت عليه علة اليوريميا ، ولكنه أبى أن يكف عن الشرب ، وحصر عمله فى كتابة رواية خفيفة للسينما عنوانها « ثلاثة قلوب » ، كان قد تعاقد على كتابتها لقاء خمسة وعشرين ألف ريال . فكان يكتب ألف كلمة كل يوم من غير مشقة وهو راض عن هذا العمل الذى لا يكلفه جهداً فكرياً شاقاً .

لقد كانت الكتابة عنده كالدم السارى فى عروقه ، فصارت اليوم سماً قاتلا . فلما أنجز قصة « ثلاثة قلوب » كتب يقول : « إن إنجاز هذه القصة عندى بمنزلة عيد . فقد أتممت اليوم السنة الأربعين من عمرى ، والكتاب الخمسين من كتبى ، والسنة السادسة عشرة منذ بدأت أكتب » .

وكان الناس ، إلاّ أخته إلزا ، يجهلون أن جاك كان معذب النفس لأنه كان يخشى أن يجنّ . فقد بلغ الكلال من عقله كل مبلغ ، ولكنه كان مندفعاً إلى أن يكتب كل يوم ، فكان يخشى أن يفضى هذا العبء

إلى انهيار عقله ، وقد توسل إلى إلبزا مرة بعد مرة قائلا : « إلبزا أسألك بالله إذا أنا أصبت بالجنون،فلا تبعثى بى إلى المارستان » .

وفى يناير سنة ١٩١٦ شـد رحاله مع شارميان إلى هوائى ، بعد أن جرب تجربة فى زراعة البساتين النموذجية فأخفقت وكلفته مالاً كثيراً ، ولـكن هوائى لم تبرىء فى هذه المرة لابدنه ولا عقله . فلما عاد عجز معظم أصدقائه عن أن يعرفوه ، فقد أصبح سميناً ، منتفخ الوجه ، خابى نور العينين ، كاسف البال ، يبرح به الألم .

فلما قالت له إلبزا : « ياجاك ليس فى الدنيا كلها رجل يقاسى من الوحشة ماتقاسيه ، فلقد عجزت عن أن تنال الأشياء التى تمناها قلبك » ، قال لها : « كيف عرفت ربك؟ »

ولـكن النار اتقدت قليلا فى البدن الخابى ، فـكتب جاك أقصوصتين من أحسن أقاصيصه مرتداً بهما وفيهما إلى أيام المغامرة المجيدة فى شبابه .

وفى يوم الثلاثاء ٢١ نوفمبر ١٩١٦ ، أتمّ تدبير أمره حتى يسافر فى اليوم التالى إلى نيويورك ، ثم تحدث حديثاً هادئاً مع إلبزا ، ثم همّ بأن يأوى إلى فراشه ، فمشت معه فى البهو الطويل الذى يفضى إلى مكتبه وتركته هناك وأوت إلى مخدعها .

وفى الصباح جاء خادمه اليابانى إلى إلبزا والرعب بادٍ على أساريره ، فهرعت إلى الشرفة التى ينام فيها جاك ، فألفت أخاها فاقد الوعى ، ووجدت على الأرض زجاجتين صغيرتين ، وعلى المائدة دفتراً عليه أرقام ـ أرقام تدل على المقدار المميت من المورفين الذى تجرعه .

ومات جاك فى تلك الليلة ، فحزن العالم لموته . وقد أفسحت صحف أوربة لموته مكاناً أوسع مما أفسحت لنبأ وفاة الإمبراطور فرنسوا جوزيف النمسوى الذى توفى قبله بيوم واحد . أما حزن أمريكا فتراه متجلياً فى صورة سيدة رفعت صحيفة بيديها ثم صاحت بجماعة مرحة من الفتيات والفتيان : « كفّوا عن الضحك، لقدمات جاك لندن » .



فى طريقها إلى الشرق الأوسط



إن منتجات شركة « وليامز » المشهورة فى جميع أرجاء العالم ، مصنوعة بمهارة خاصة تكفلها خبرة مئة عام فى صناعة أرقى مستحضرات الزينة للرجال .

وسيكون فى وسعك أن تنعم بأفخر مستحضرات الحلاقة حالما تعود العلاقات التجارية إلى سابق عهدها . وحينئذ ستجد منتجات « وليامز » فى أشهر متاجر الشرق الأوسط .

ويمكنك أن تثق من حصولك على أفضل حلاقة وأكثرها راحة حين تستعمل :

كريم وليامز الفاخر للحلاقة : يحتوى على مادة « لانولين » الملطفة التى تتيح لك حلاقة ناعمة دون أن يتهيج الجلد

أكوا ﭬلفا : أشهر لوسيون فى العالم للاستعمال بعد الحلاقة . مُبرِّد ، منعش ، نقى ، ذكى الرائحة .

كريم جليدر وكريم إسكواير للحلاقة بدون فرشاة : خاليان من المواد الشحمية أو اللزجة ، مصنوعان خصيصاً بحيث يتيحان للذين يحلقون كل يوم ، حلاقة ناعمة دون أن يلتهب الجلد .

قلم صابون وليامز للحلاقة : مشهور برغوته السخية الندية ، اقتصادى للغاية ، يخدمك ستة أشهر يعطيك خلالها أنعم الحلاقات وأكثرها راحة .

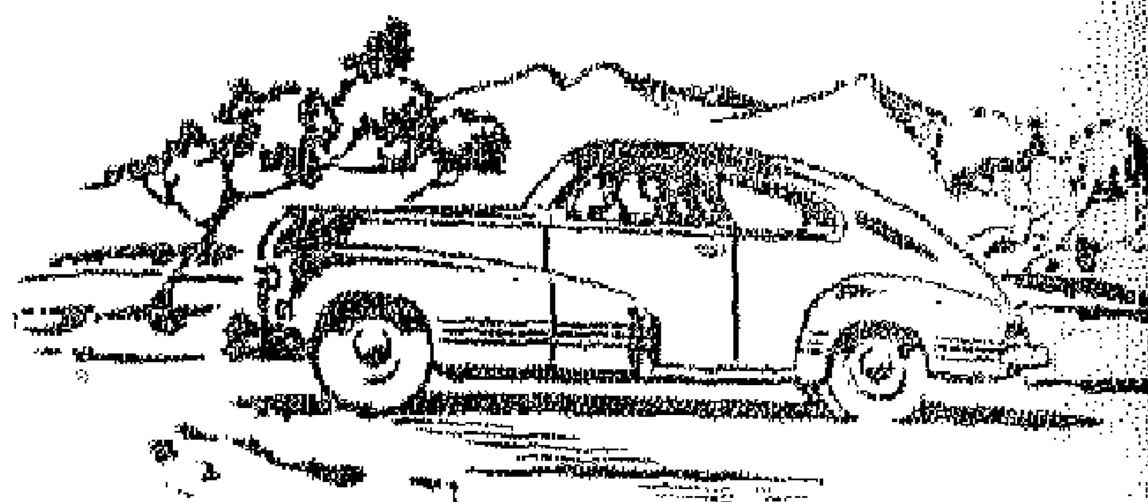
The J. B. Williams Co., GLASTONBURY, CONN., U.S.A.

شركة ج . ب . وليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ أكثر من ١٠٠ سنة

ى أين ؟

تحوّل إلى أوتو-لايت





ركّب مجموعة من شموع احتراق « أوتو ـ لايت » التي صممت خاصة لجهاز الإشعال ، فترى شعلة حياة جديدة تتقد في محركك المجهد وقد صممها رجال يصممون نظم الإشعال الكاملة لأشهر السيارات إن شموع احتراق « أوتو ـ لايت » تعين سيارتك على قيام أسرع ، وعلى أداء أعظم وعلى اقتصاد في الوقود . تحوّل إلى « أوتو ـ لايت » ، وأطلب معداتها الكهربائية للسيارات .

THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY
Export Division, Chrysler Building, New York, 17, N.Y., U.S.A.

شموع AUTO-LITE

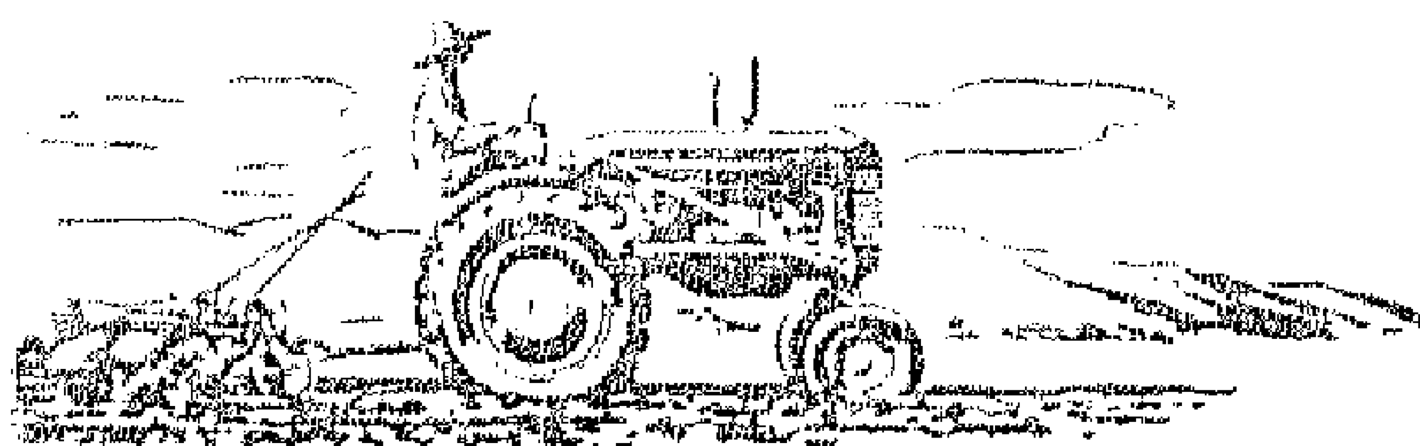
بطاريات . أسلاك . أجهزة للقيام . مولدات

إن قاعدة الهرم الاجتماعي راسية على الأرض الزراعية
الغرض من مصنوعات « إنترنشونال هارفستر »
هو أن تعين الإنسان على أن يستخرج من الأرض ـ
الطعام اللازم لإقامة أوده وتزويده بالطاقة والنشاط .

في نظر الشعوب العريقة ، كانت الوحدة الوثيقة بين الإنسان والتربة ، هي حقيقة الوجود الأولى ؛ ولا يزال الإنسان مرتبطاً أوثق ارتباط بالأرض . . . فمن الأرض يخرج الطعام الذي يقيم أوده ويزوده بالطاقة والنشاط ، والألياف للثياب التي تقي جسمه وتحفظ عليه حرارة بدنه التي لا غنى عنها ؛ والخشب ليبني به ملجأً يوقيه الريح والمطر والثلج ، والمعادن فيصنع منها أدواته . وكل إنسان يبذل مجهوداً منتجاً ، مهما كان بعيداً الصلة بحرث الأرض ، هو في الواقع يعمل في الأرض .

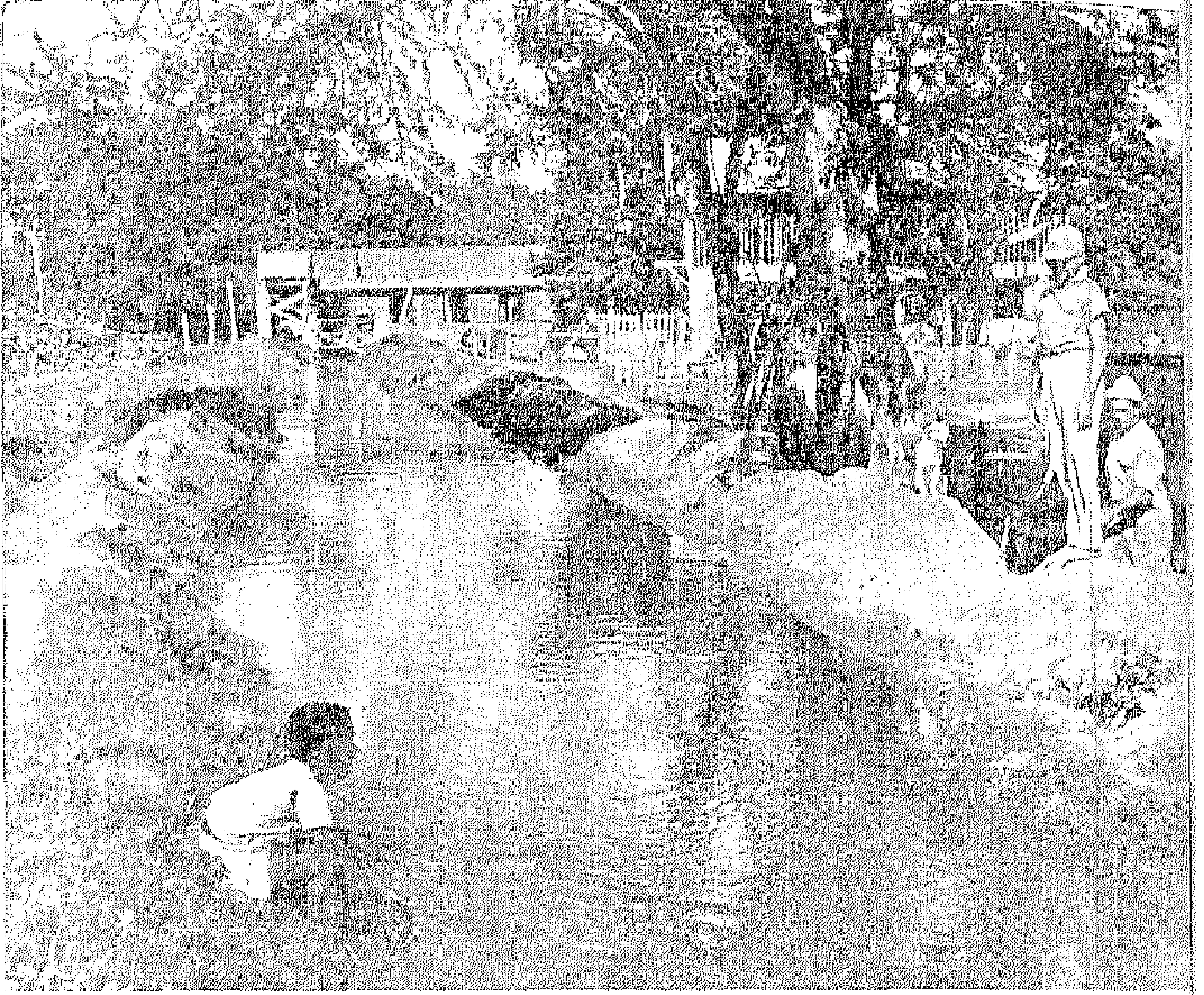
ومنتجات « إنترنشونال هارفستر » تخدم الزراعة في جميع أرجاء الأرض ، بما كينات الزراعة التي تعين الناس على أن يزيدوا ما يستخرجونه من الأرض على وجه أوفر وأجدى .

INTERNATIONAL HARVESTER EXPORT COMPANY
Harvester Building — Chicago 1, U. S. A.





INTERNATIONAL HARVESTER



الماء الذي يهب الحياة

إن الماء المنساب انسياباً هادئاً فى ترع الرى، هو الحد الفاصل بين الأرض المجدبة التى لاتنتج، والأرض الخصبة التى تنتج محاصيل وافرة .

فالظفر بهذا الماء الذى يهب الحياة تجد مئات من الزراع فى أمريكا اللاتينية ، يعتمدون على محركات « كاتربيلر ديزل » ، وسبب اعتمادهم عليها أن هذه الماكينات المتينة قد بنيت حتى تزود صاحبها بالقوى تزويداً ثابتاً ، يوماً بعد يوم ، وأسبوعا بعد أسبوع ، دون توقف .

والصورة التى تراها فوق هذا الكلام ، صورة مزرعة موز من مزارع شركة جرينادا فى جمهورية سانتو دومينجو ، حيث تجد محرك « كاتربيلر ديزل » يدفع ٣٥٠٠ جالون ماء فى الدقيقة ، ٢٤ ساعة فى اليوم . وأنت تجد اسم « كاتربيلر » فى العالم أجمع رمزاً للقوة الثابتة الاقتصادية المضمونة .

CATERPILLAR TRACTOR CO., PEORIA, ILLINOIS. U.S.A.

CATERPILLAR DIESEL

ماركة مسجلة

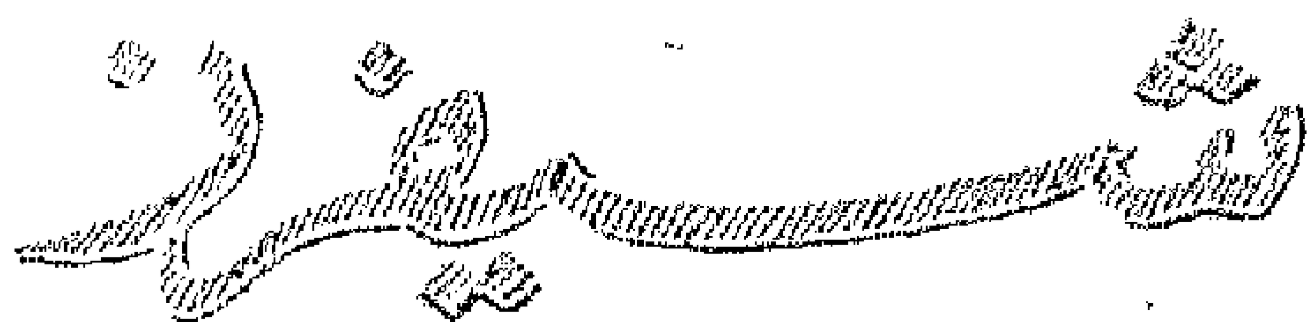
محركات . جرارات . ممهدات الطرق . معدات جرف التراب

"تريومف" ڤاليانت

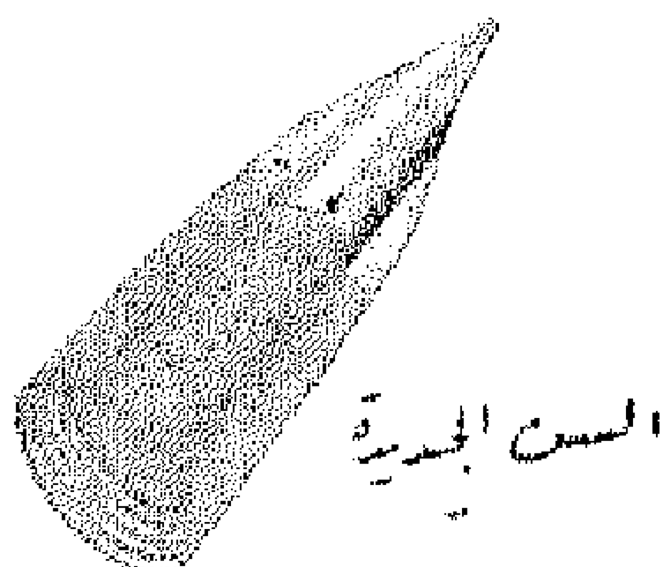
القلم الممتاز لرجل الأحلام

كلمة إلى الزوجات لاغنى عنها

سيدتى . . . إليك أكمل هدية إلى رجل أحلامك — قلم شيفرز « تريومف » ڤاليانت ! إنهُ قلم كبير متين . ولكنهُ أيضاً رشيقٌ دقيق الاتزان . إن سنهُ الأسطوانية المصنوعة من ذهب عيار ١٤ قيراطاً (لايف تايم پوينت) أمتن وأنعم وأبقى على الزمن ! إن قلم شيفرز « تريومف » ڤاليانت ، هو قلم الوقار وجمال الشكل ، قلم الأداء الكامل الذى لم تصنع أداةٌ للكتابة تضارعه من قبل W. A. Sheaffer Pen Co., Ft. Madison, Ia., U.S.A.



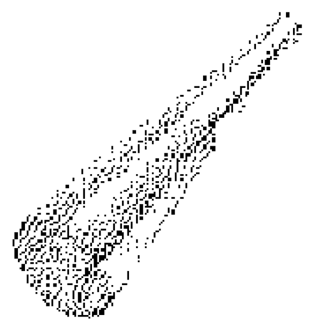
أقلام الحبر "تريومف" أقلام الرصاص "فاينلاين"



السن الجديدة

لايف تايم

مضمونة للعمر بلا تحفظ ، لذمة أول من يشترى القلم ، والإصلاح مجاناً إذا أرسلت إلى مصنع شيفرز



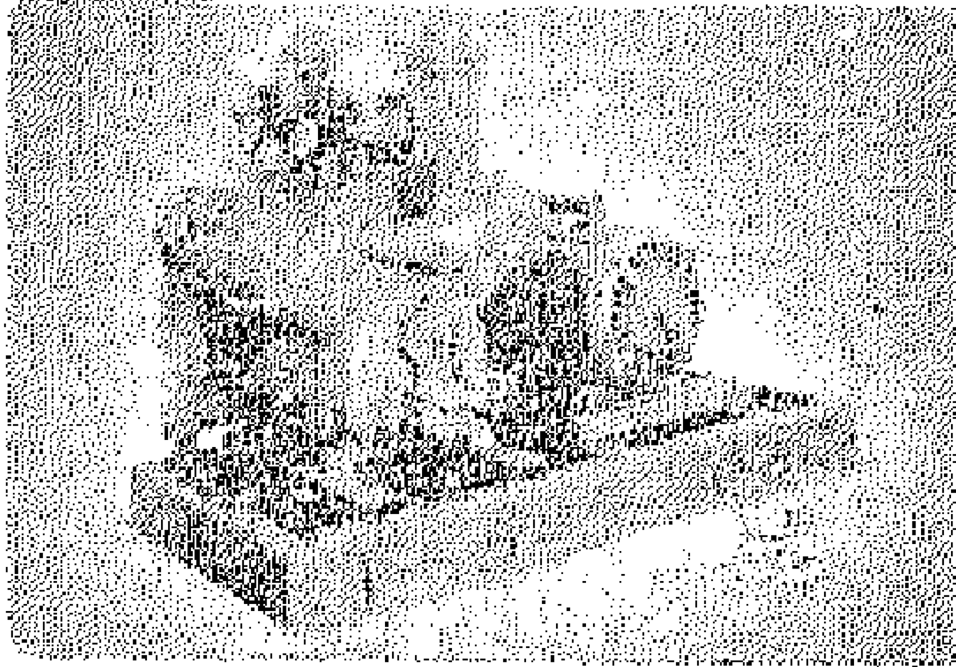
طرف أقلام الرصاص

فاينلاين

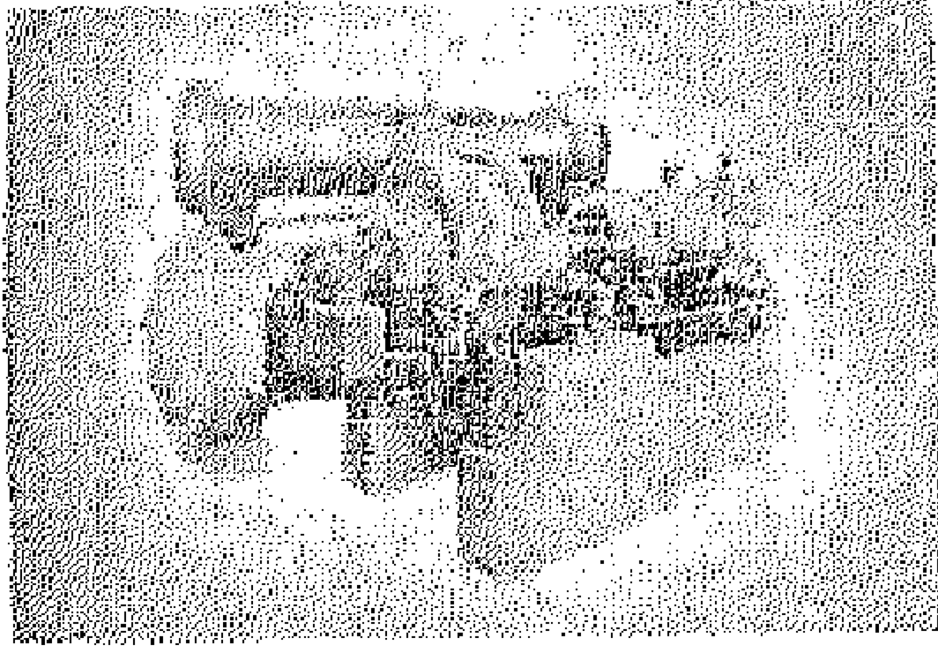
يقلل من تقصف الرصاص

فاينلاين

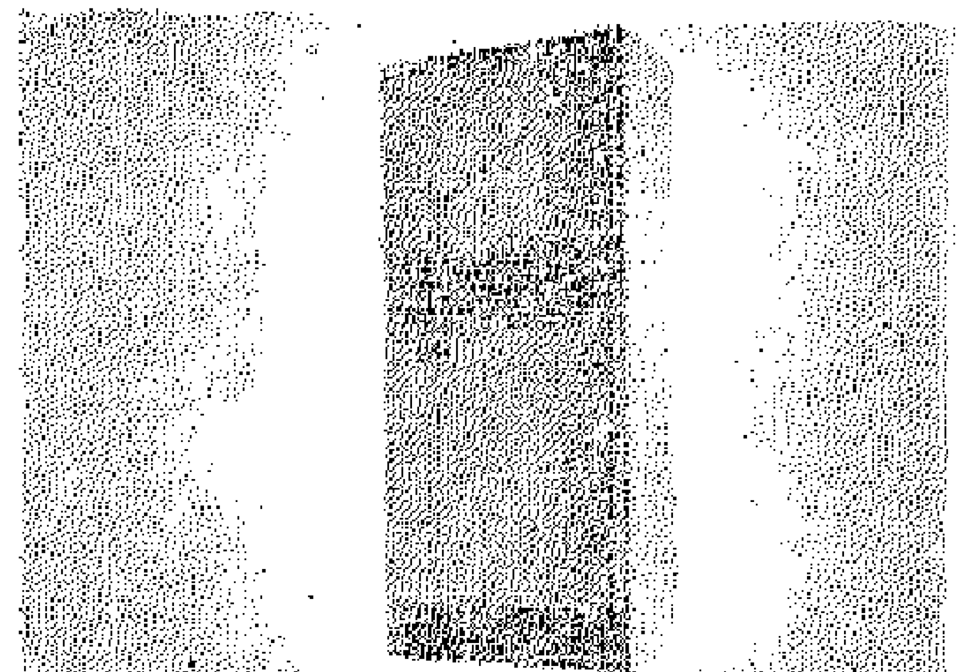
كيف تستخرج الأرباح من الهواء



معدات « ورذنجتن » للتبريد : مجموعة HS وHF تتفاوت سعتها من ٣ إلى ١٠٠ طن يوصى بها أهل التجربة ، لتكييف الهواء ، والتبريد .



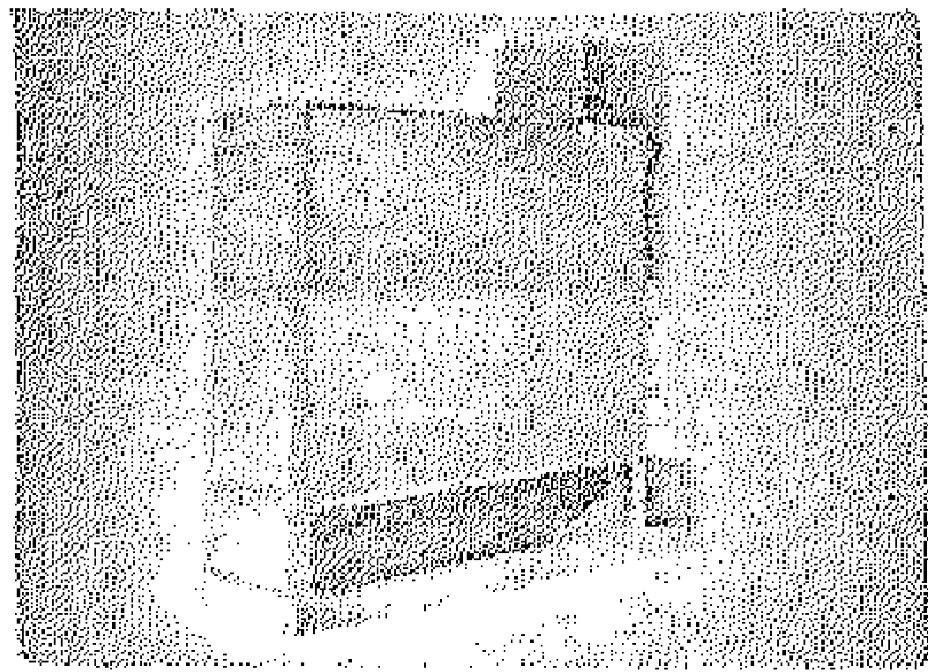
أنظمة « ورذنجتن » للتبريد بالقوة الطاردة : تتفاوت سعتها إلى أن تبلغ ١٥٠٠ طن لتكييف الهواء في المصانع والمتاجر الكبيرة .



وحدات « ورذنجتن » المستقلة لتكييف الهواء تتفاوت سعتها من ٣ إلى ٥ أطنان . يمكن تركيبها وتشغيلها في بضع ساعات بعد تسلمها



وحدات « ورذنجتن » لمعالجة الهواء . معلقة في السقف أو مثبتة على الأرض . أحجام متغيرة حتى يبلغ مقدار الهواء الذي تعالجه ١٢٫٠٠٠ قدم ، لأنظمة تكييف الهواء المركزية .



أجهزة « ورذنجتن » للتكثيف بالتبخير « فريون ١٢ » ، « مثيل كلوريد » أو « أمونيا » تشغل مساحة أقل وتحتاج إلى ماء يقل ٩٠٪ عما تحتاج إليه المكثفات التي تبرد بالماء .

إذا غنى مسرح أو مطعم أو متجر بقـالة ، مكتب ، أو أي مكان آخر للتجارة أو الأعمال ، زويد موظفيه وعملائه بالراحة التي يتيحها الهواء كيف ، عاد إليـه الزبائن مرة بعد مرة ، زادوا ما ينفقونه فيه من مالهم ، أما الموظفون كون عملهم أكمل وأتم ، فتزداد الأرباح . هذا هو السبب الذي يفسر لماذا يعد المال الذي رف في تركيب معدات تكييف الهواء ، إنما مال أحسن تشغيله .

فلكي تظفر بخير ما يستطيع مالك أن قريه ، احرص على أن تفحص مجموعة الأجهزة التي تعرضها عليك شركة « ورذنجتن » وكذلك خبرتها وتجربتها الواسعة ، ومهما تكن مشكلاتك كبيرة أو صغيرة ، فإن مهندسي « ورذنجتن » يعنون بها أصدق عناية .

WORTHINGTON PUMP
& MACHINERY CORP.
Export Division Harrison, New Jersey, U.S.A.
لنا مكاتب ووكلاء في جميع أنحاء العالم

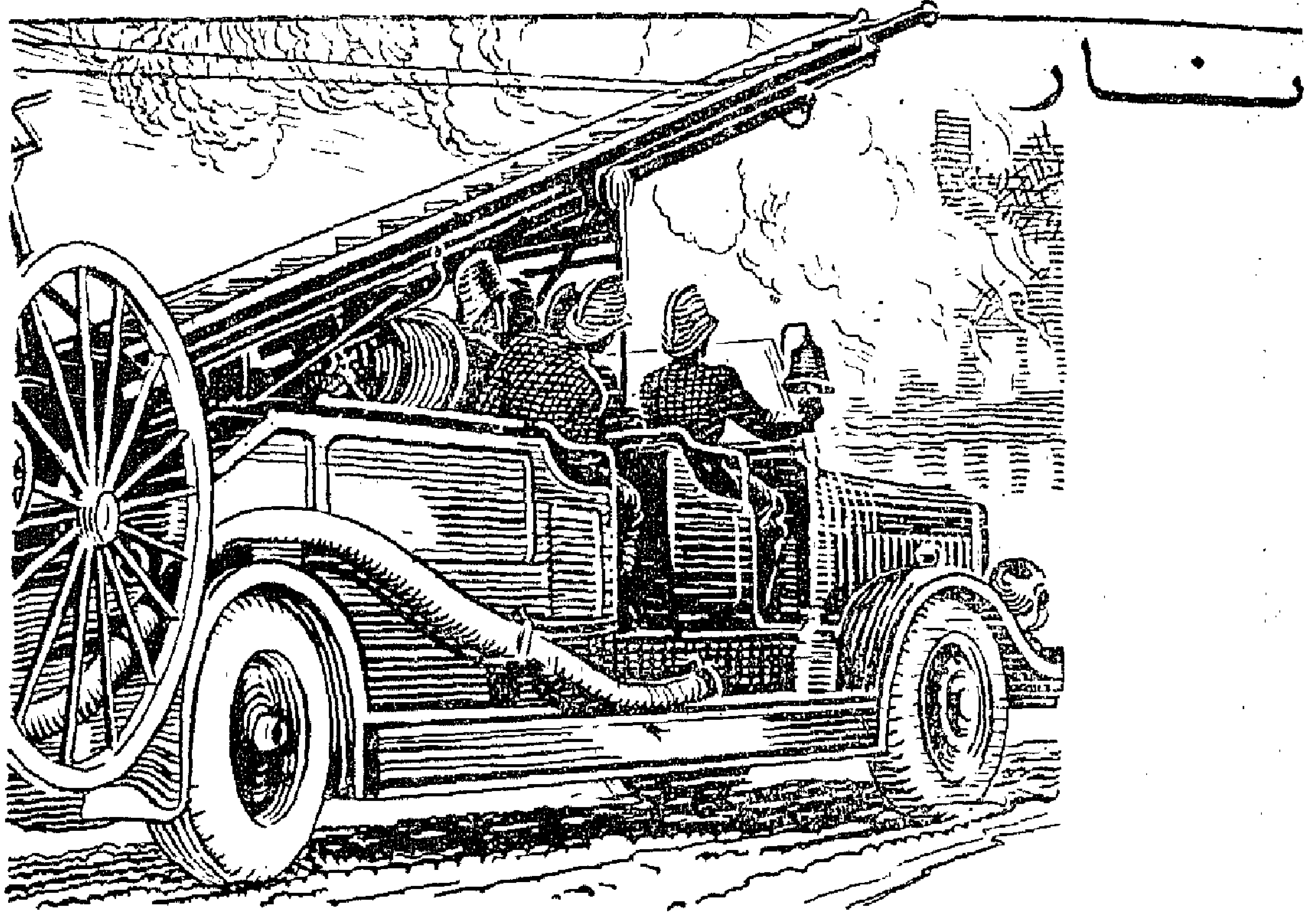
WORTHINGTON



شعار القيمة العالية في جميع أنحاء العالم

مضخات . ضاغطات . محركات . مولدات تربين . بناء . معدات . تبريد

24 F. 7.4



إن النار خطر دائم لا تعرف له حدود ، لا فى السلم ولا فى الحرب . وقد يبلغ الأذى الذى تسببه النار فى تركيا فى سنة عادية ، مبلغاً يقدّر بألوف عديدة من الجنيهات ، ولا تزال النار بعيدة عن أن تتم سيطرة الإنسان عليها ، ولكن الصناعة الكيميائية البريطانيـة ، قد خفضت خفضاً كبيراً ما يجده الناس فى النار من تهديد لحياتهم وأملاكهم . فالتعرّض لخطر النار قد نقص بإعداد موادّ مركبة بالكيمياء لا تمسها النار بأذى ، حلت محلّ المواد القابلة للاشتعال التى تستعمل فى البناء ، وبتهيئة وجوه كثيرة من التحسين فى عزل أسلاك الكهرباء وحبالها ، وبصنع الأفلام السينمائية التى لاتلتهب ، وبكشف مواد وطرائق كيميائية لمعالجة الخشب ، بل ولمعالجة المنسوجات ، فتصير قادرة على مقاومة النار ، وبالبحث العلمى فى أسباب الانفجار فى مناجم الفحم ومطاحن الغلال ومصانع التقطير وما أشبه ذلك .

وقد صنع الباحث الكيميائى ، لرجال المطافىء مجموعة من الأسلحة تعينه على الكفاح ـ دفاعاً وهجوماً . فالثياب والنظارات المصنوعة من الأسبستوس (حجر الفتيلة) تمكن رجال المطافىء من الهجوم على النيران . والأجهزة التى تطفىء النار زودت بمواد خاصة تمكنهم من التغلب على النار فى أول اشتعالها — مثل نيران البترول . وأشهر هذه المواد وأعمها رغوة هى ثانى أكسيد الكربون وتترا كلوريد الكربون ، فهى تضرب فوق النار غشاء من غاز لا يتفاعل مع غيره من المواد . وثمة مواد أخرى للإطفاء تحتوى على بيكربونات الصودا وحمض ، فيختلطان ويتفاعلان بيسر ساعة تحتاج إلى ذلك . أما أجهزة التنفس التى تحمى لابسها من الدخان والأبخرة فهى انتصارات رائعة للحذق والبراعة فى الكيمياء . والحروق تعالج الآن علاجاً مجدياً بمواد ركبت فى المعمل الكيميائى .



IMPERIAL CHEMICAL INDUSTRIES - LONDON - ENGLAND

الموزعون الوحيدون فى القطر المصرى والسودان

الصناعات الكيماوية الإمبراطورية

(مصر) شركة مساهمة — مصر

فى فلسطين ، سوريا ، شرق الأردن ، لبنان ، العراق

الصناعات الكيماوية الإمبراطورية (الشرق) المحدودة

يافا

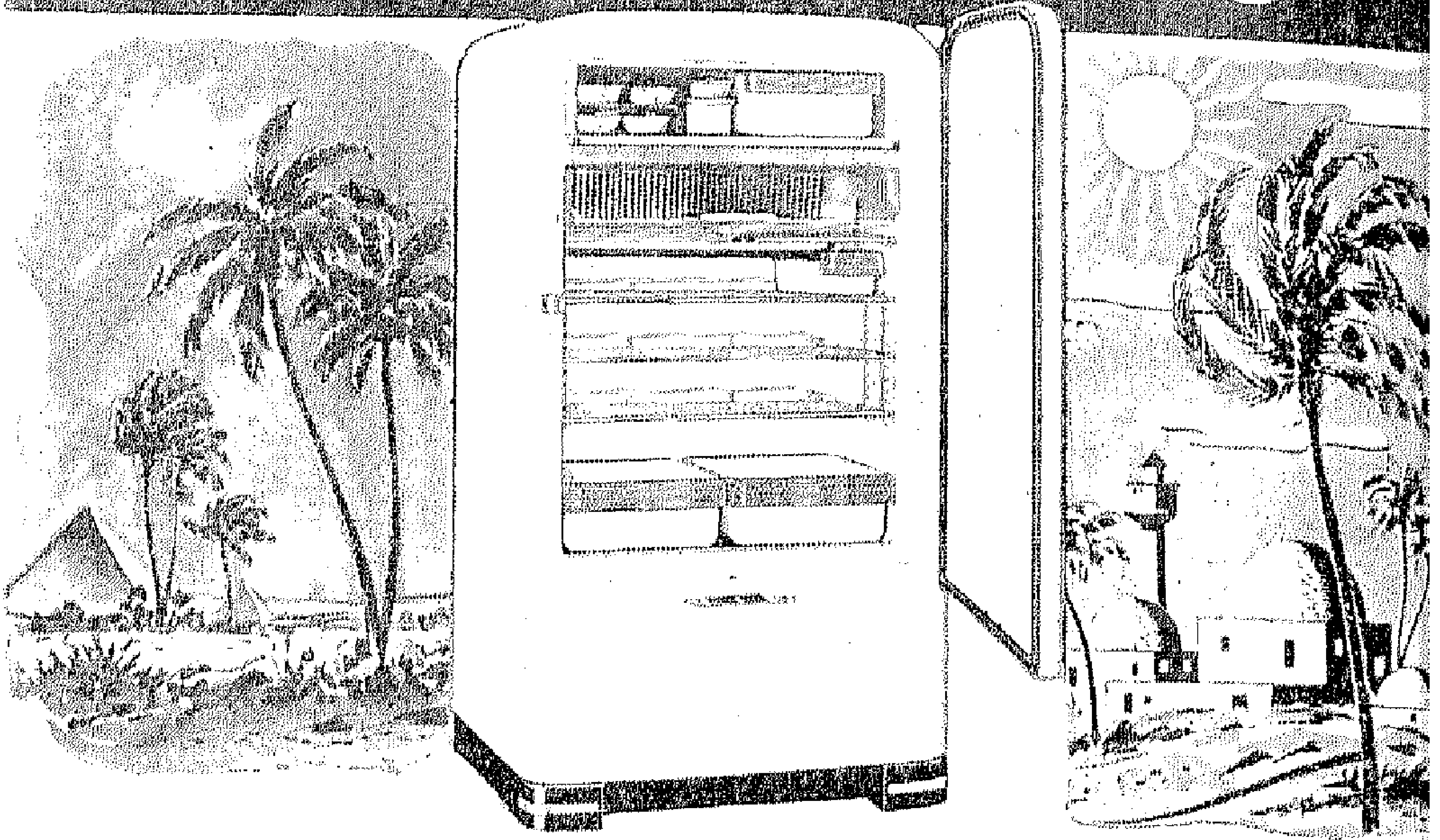
شحنة من الفتنة

من مصانع «كاسونز»
بمانشستر (إنجلترا) خرجت
أحدث الروائع فى أنواع
«أحمر الشفاه» البريطانية فى
خمسة ألوان جديدة . وقد
روعى فى صنعها أن تكون
ممتازة فى مادتها ولونها ،
فهى تحتل اليوم مكان الصدارة
فى صالونات التجميل فى
جميع أنحاء العالم .

Cussons أحمر شفاه

84, Brook St., Grosvenor Square, London W. 1. ENGLAND.

تعمل فى كل مكان وفى كل زمان



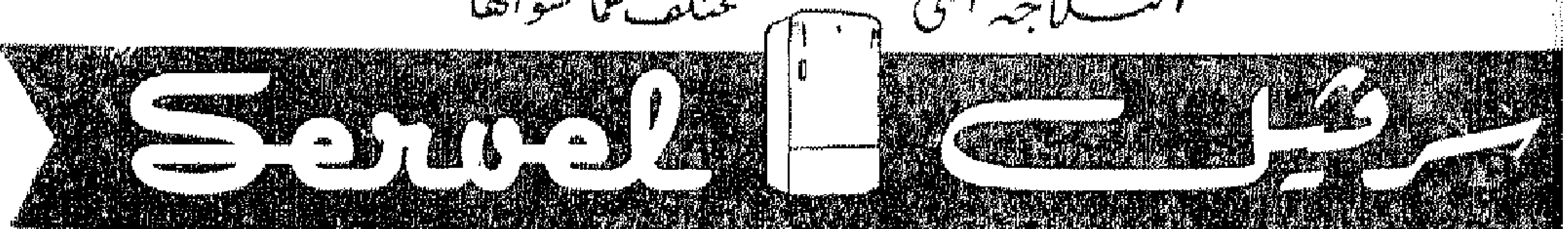
ثلاجة سرڤيل تعمل بالكيروسين ، أو الغاز الطبيعى أو الغاز الصناعى ، أو البوتين ، أو البروبين

ـبريد يحفظ الطعام
ـقدار كبير من مكعبات الثلج

أى مكان نسكنهُ – وفى أى وقت تريدهُ – تجد ثلاجة « سرڤيل » دائماً قادرة على أن تزودك ـد الثابت المستمر الذى يحفظ غضارة الأطعمة ـة التلف ، ويحفظ رائحتها الطيبة أيضاً . وثلاجة ـڤيل » لا تعتمد على أسلاك أو خطوط تمدها ـ مهما كانت . ونظام التبريد فيها كله يعمل بلهب من الكيروسين أو الغاز . وليس فيها محرك ... ـلا متحرك خليق أن يتآكل أو يحدث صوتاً .

وتبريد « سرڤيل » الذى يحفظ الطعام ، يحفظ الفواكه والخضر شهية أياماً كثيرة ... حتى فى أشد الأقاليم حرارة . وجوفها الرحب يجعل من الميسور حفظ الأطعمة التى تشغل مكاناً كبيراً . ثم إنك تجد دائماً مقداراً كبيراً من مكعّبات الثلج للمشروبات المبرّدة . وهى ذات تصميم جميل ، بيضاء مصقولة لامعة ، وتدوم سنين كثيرة . هذه الثلاجة هى نفس ثلاّجة « سرڤيل » المستعملة فى جميع أقطار المعمورة فى أكثر من مليونى بيتٍ ومتجر . فإذا ما اقتنيت ثلاجة « سرڤيل » ، وجدت أنك تملك فى حيازتك أحدث ثلاجة فى العالم وأعظمها ضماناً .

الثلاجة التى تختلف عما سواها



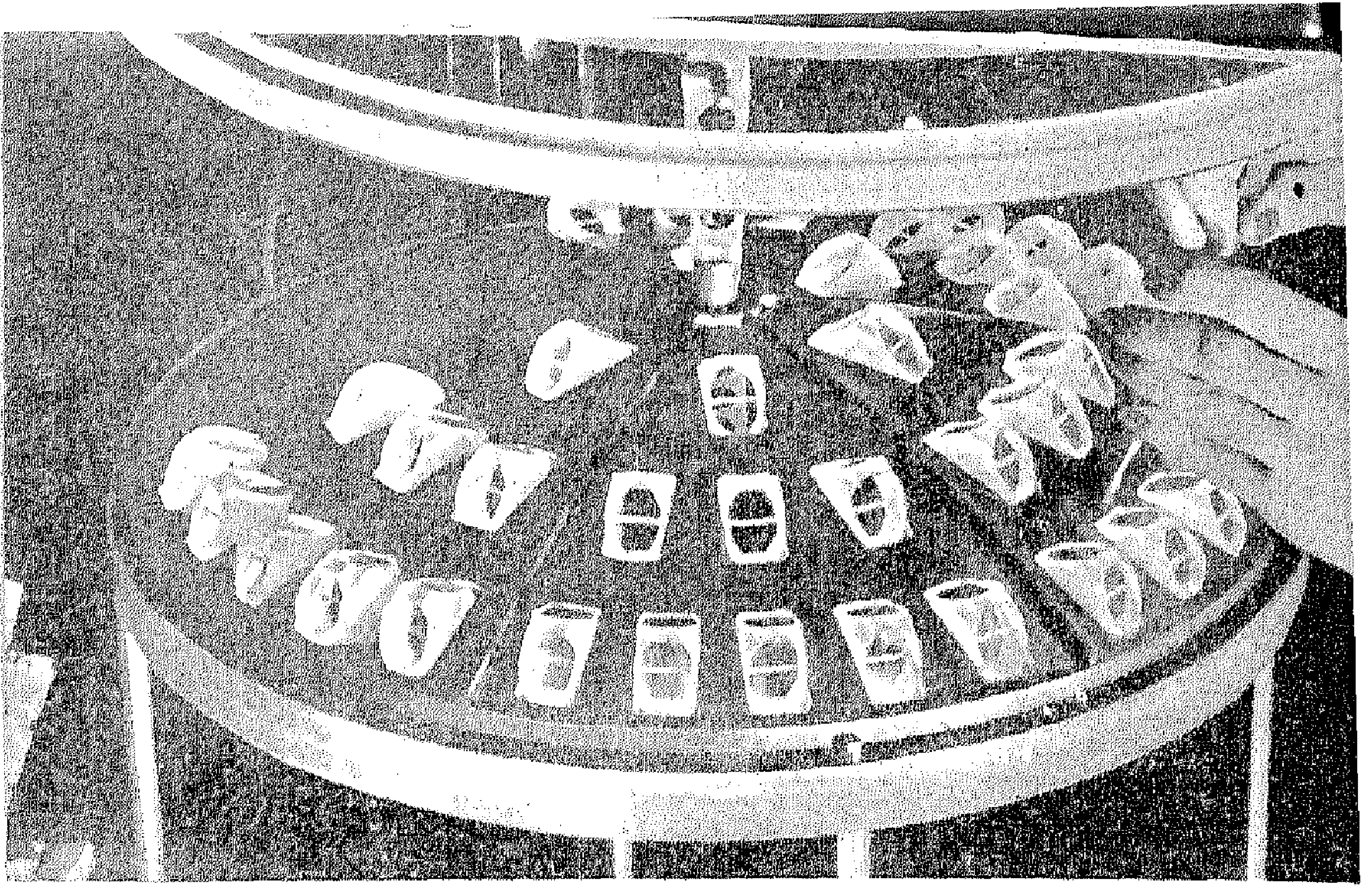
Servel, Inc. International Division, 20 Pine Street, New York 5, N. Y., U. S.



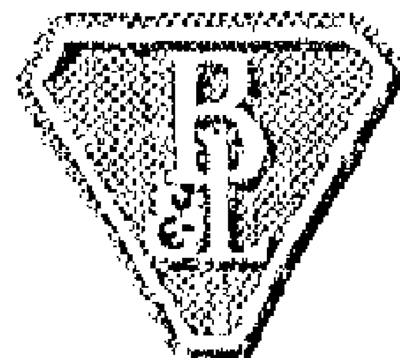
THE PARK-R PEN COMPANY
Janesiville, Wisconsin, U.S.A.

الوكلاء العموميون :
الشركة المصرية لعموم التوريدات
١٣ ش قصر النيل بالقاهرة - مصر

يكتب كتابة جافة بمداد سائل



ار منشورات الزجاج لمعالجتها « بالكوت »



[تتمة مقالة الغلاف]

علاج المرضى وتقديم الدواء لهم . وكانت سيدات المبرة يتحلين المطايا قاصدات إلى القرى
ائية لإسعاف أهلها . وقد علم جلالة الملك بما نزل بشعبه هناك ، وبأريحية سيدات
ة محمد على ، فترك عيد ميلاده فى القاهرة وشدّ رحاله إلى الصعيد فواسى المصابين ،
مل بعطفه وتشجيعه كرائم السيدات اللواتى بادرن إلى الغوث .

وكذلك فعلن فى كفاح الحمى الراجعة فى أوائل السنة الماضية .

على أن عمل المبرة ليس مقتصراً على فورة من النشاط حين تشتد الحاجة ، بل هو
ان متصل ، وينبغى أن يتصل وأن ينمو شهراً بعد شهر ، وسنة بعد سنة . وجلّ نفعه
نسانى فى اتصاله واطراد نموّه . فللمبرة مستشفى فى المرج ، ودار للنقاهة ولعلاج الذين
ابون بالحوادث فى المعادى ، ومستوصف فى أسيوط ، أنشئت جميعها فى سنة ١٩٤٥ .
العام الماضى أنشأت المبرة مستشفى فى الإسكندرية ومستوصفاً فى الزقازيق ، ومستشفى
أسيوط . وفى هذا العام أنشأت مستوصفاً فى طنطا وآخر فى المنيا .

وللمبرة فضلا عن هذا كله ، مستوصف فى حى عابدين ومستشفى كبير حديث النظام
مصر الجديدة ، وقد غير اسمه منذ عهد قريب فجعل « مستشفى الأميرة شيوه كار
ة محمد على » تخليداً لذكر الأميرة شيوه كار واعترافاً بمالها من يد بيضاء على هذه المبرة .

والمبرة هيئة تزخر بالحياة ، ونطاق نشاطها يتسع اتساعاً مطرداً فيكاد يكون فى حكم
ستحيل أن تحصر الآن الأعمال الإنسانية التى تتولاها ، أو عدد المرضى الذين نالوا العلاج
ضلها أو مدى ما أسدته من عون طبى أو وزعته من طعام على المحتاجين والملهوفين .

ويبلغ عدد أعضائها نحو ١٨٠ من أميرات مصر وكرائم نسائها ، وجميعهن متطوعات
ون بأعباء العمل ، ولا ينين على التردد على منشآت المبرة لمواساة المرضى والإشراف
معالجتهن وإدارة الشئون المالية .

وليس للمبرة دخل سوى ما يتبرع به أعضاؤها ، وما تتلقاه من جود الخيرين ، وما تجمعه
أوراق اليانصيب والحفلات التى تنظمها لهذا الغرض . وكانت الأميرة فائقة عزت هانم
أوقفت وقفاً للأعمال الصحية فرأى جلالة الملك أخيراً أن تعطى مبرة محمد على
تجمد من مال هذا الوقف نحو ٨٠ ألف جنيه لبناء مستشفى جديد فى حى عابدين
راض النساء والولادة والاطفال .

فهذا عمل إنسانىّ نبيل تنهض به سيدات مصر . وهو معركة من المعارك الدائرة
الحرب التى تشنها مصر على المرض والفاقة ، فابذل له ما تستطيع وإن قلّ .

يسر مجلة المختار ان توجه

نداء إلى أهل الخير

تدرك نساء مصر اليوم أنه ينبغى لهنّ أن يتدبرن مشكلات أمتهنّ ، وأن يساهمن فى حلها ، فليس يسعهنّ أن يهززن أكتافهن وأن ينفضن عنها مما يقع عليها من تبعات .

قلب النظر كيف تشاء فى نواحى النشاط التى أقبلت عليه نساء مصر ، تجد بينهنّ المدرّسة التى تدرّس ، والطبيبة التى تعالج ، والمحامية التى ترافع ، والسيدة التى تبادر إلى الخير ، والفتاة التى تتأهب فى المدرسة وفى البيت لتكون أمًّا لجيل جديد من المصريين يعرف كيف يحيى حياة زاخرة بالصحة والمعرفة والرغبة الوطنية الصادقة فى العمل النافع المثمر .

ولعلّ مبرة محمد على ، من أبلغ الأدلة على أن المرأة المصرية التى نالت حظاً وافراً من الثقافة والثروة ، لا تهمل ما يقع عن كاهلها من تبعات خطيرة حيال الفقير والعليل والجاهل من أبناء أمتها .

وإن تاريخ هـذه المبرة وذكر اللواتى حدبن عليها وبذلن لها من نفوسهنّ وأموالهنّ وما أسدينه من خير لكفيل بأن يكون دليلاً على صدق خدمتها، ونداء بليغاً إلى وجوب موآزرتها حتى تمضى فى مهمتها الوطنية الإنسانية على نطاق يطّرد سعة ونفعاً .

وقد أنشئت مبرّة محمد على فى سنة ١٩١١ على يدى الأميرة عين الحياة لمعالجة المرضى مجاناً . وكم من فكرة إنسانية تكمن أحياناً ثم تثب إلى التحقيق وثباً . وحسبك أن تذكر أن سيدات المبرة اشتركن أفضل اشتراك وأنفعه فى مكافحة وباء الملاريا الفاتك الذى تفشى فى مديريتى قنا وأسوان فى الأشهر الأولى من سنة ١٩٤٤ لتعلم طرفاً يسيراً من خدمتها الإنسانية النبيلة . وقد أعدت المبرة فى ذلك الكفاح الطعام والكساء لأهل المديريتين ، وأشرف أعضاؤها على توزيعها غير عابئات بالمشقة والخطر . وأنشأن مطاعم للمرضى بغير لقاء ، واشترك أطباؤها

[التتمة على الصفحة السابقة]

١٩٤٧

من آيات العرب — ٥

حكمة الكلام

قال زُبَيد اليامى: أسكتتنى كلمة ابن سعود عشرين سنة: من كان كلامه لا يوافق فعله فإنما يوبخ نفسه ... فوت الصواب أيسر من خطل القول ... قال يزيد بن المهلَّب: أكرهُ أن يكون عقل الرجل على طرف لسانه ... وقال آخر: ما رأيت أحداً يتكلم فيحسن، إلا أحببت أن يصمت خوفاً من أن يسيء ... بلغنى عن أسامة عن ابن عون عن الحسن قال: جلسوا عند معاوية فتكلموا وصمت الأحنف؛ فقال معاوية يا أبا بحر، مالك لا تتكلم؟ قال: أخافكم إن صدقتكم وأخاف الله إن كذبت ... وقالوا: رُبَّ كلمة تقول دعْنى.

AL-MUKHTAR min READER'S DIGEST - Vol 9, No. 49, SEP. 1947

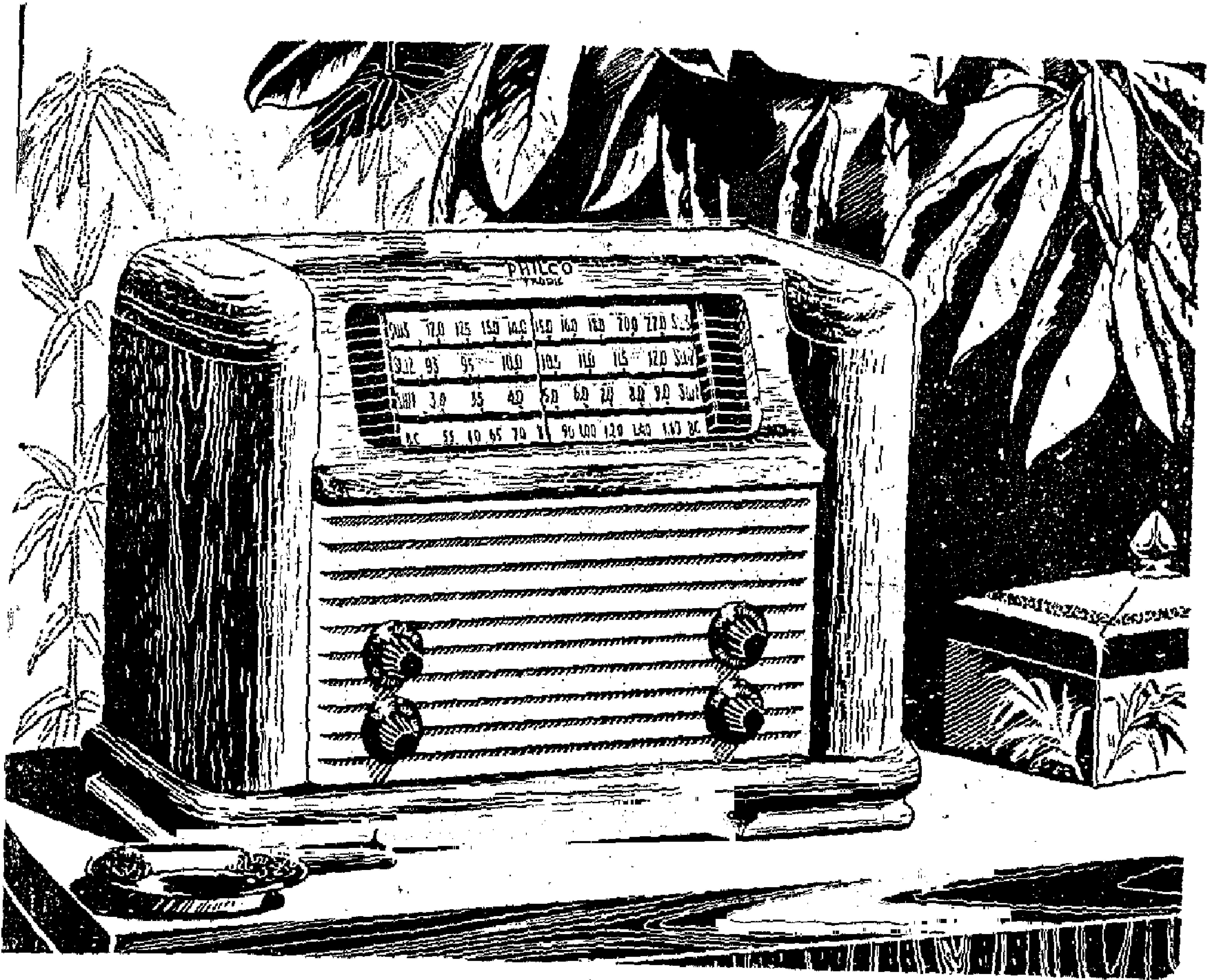
الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير: فؤاد صروف. مدير التحرير: محمود محمد شاكر. مدير الإدارة: ولم ف. جلبى.
مصر والسودان: النسخة ٣ قروش. الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً. الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن
والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً،
وفى سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً.
العنوان: ١٤ شارع القاصد، القاهرة — تليفون: ٤٢٢٦٤

الطبعات الدولية

مطبعة مصر ش.م





يضبط أى محطة بدقة حد السّلاح

بفضل الضبط الكهربائى الجديد للموجات المستعرضة
مزية لن تجدها إلا فى راديو فيلكو!

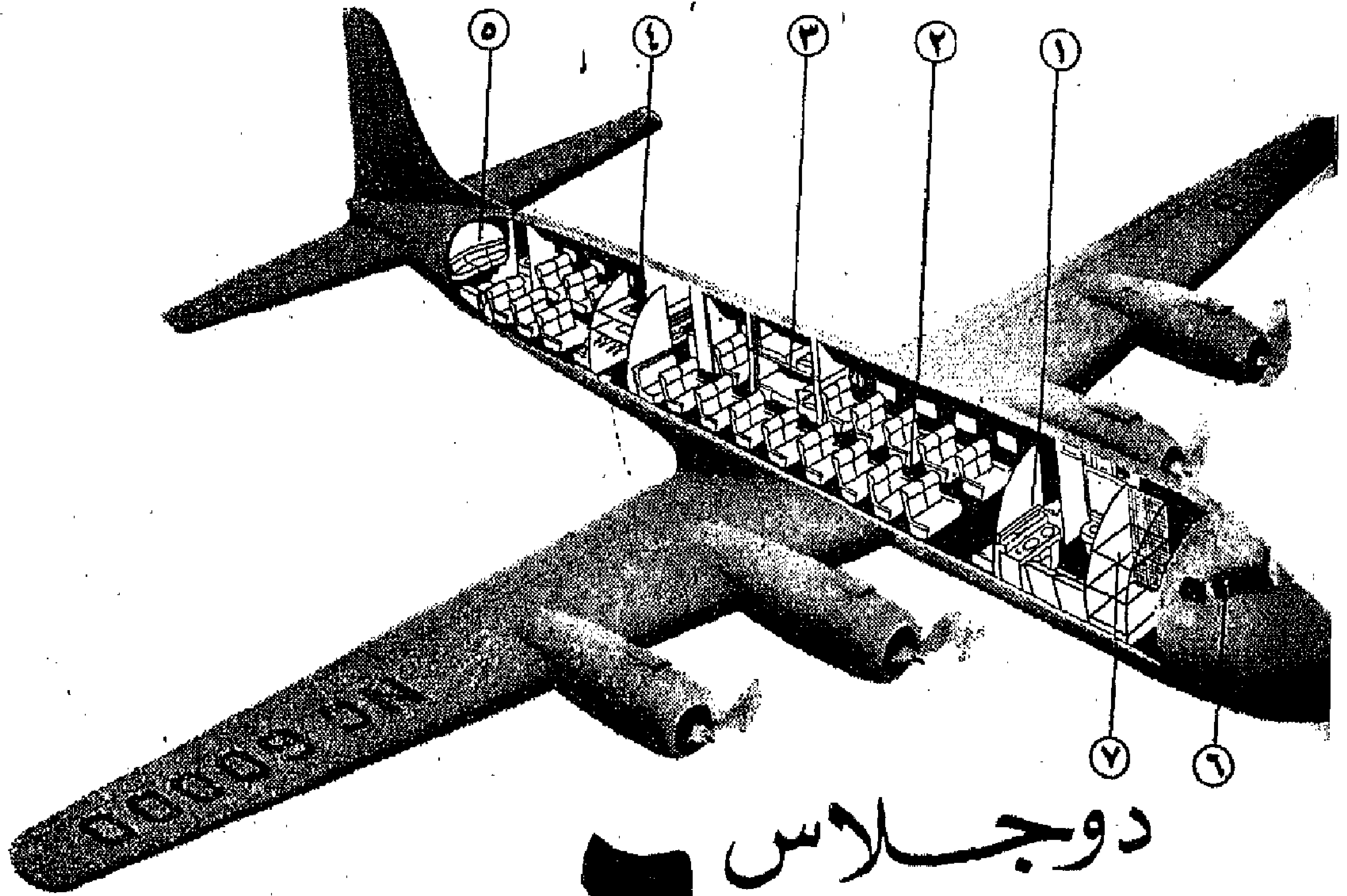
يلتقط أبعد محطات الموجة القصيرة بالسهولة التى يستقبل بها المحطات المحليه

« فيلكو تروبيك » ٨٢٨ تقدم باهر للاستقبال الممتاز لأى محطة فى العالم، مهما كانت بعيده!. أربعة موجات مستعرضة للضبط تتيح إذاعة كاملة على الموجة القصيرة. نغم جميل منقطع النظير. صندوق أنيق من خشب الجوز المحبب. شاهده لدى متعهد « فيلكو ».

فيلكو

المشهور بالجودة فى جميع أرجاء العالم

ILCO INTERNATIONAL CORP. 50 Broadway, New-York 4, U.S.A.



دوجلاس د. س. ٦

تقدم الطائرة الجديدة

التي وافقت عليها الهيئات الرسمية في حكومة الولايات المتحدة

٦،٥ ـ حجرة فاخرة لراحة السيدات وأخرى للرجال ، تضمن فيهما خلوة تامة .

٢ ـ بوفيه جديد يتيح أطعمة منوعة من أجود الأصناف .

٣ ـ كراسي مريحة للطيران في النهار ـ حجرات تصلح الواحدة لشخصين ـ ولها تهوية خاصة بها .

٤ ـ حجرة ركاب يضبط فيها ضغط الهواء ضغطاً آليًّا ، موافقاً لكل ارتفاع فوق سطح البحر ، إلى ارتفاع ٣٠ قدم .

٦ ـ حجرة الطيران مزودة بكل أداة ووسيلة جديدة للانتفاع بها في أحوال الطيران المختلفة .

٧ ـ مكان الأمتعة يسهل ملؤه وإفراغه ، فيمنع التأخير في المطارات.

تحسين في المواد التي تبطن بها الطائرة لخفت الصوت ، فيقلّ هدير الطائرة إلى أدنى حد .

سرعة طيرانها العادي تفوق ٣٠٠ ميل في الساعة ، وتستطيع أن تمضي في طيرانها إلى غايتها ، بمحركين اثنين وحسب إذا لزم الأمر ، وقوة كل منهما ٢١٠٠ حصان

إنّ طائرات « دوجلاس د. س. ـ ٦ » وهي أضخم طائرة ركاب صنعت حتى يومنا هذا ، هي نتيجة عمل جماعة مؤلفة من ٥٠٠٠ من أحذق وأبرع مهندسي الطيران في العالم .

وقد أنفق « مهندسو دوجلاس » أكثر من ٢،٦٠٠،٠٠٠ ساعة في اتقان تفاصيل التصميم الذي وضع لطائرة « دوجلاس د. س. ـ ٦ » ، وأنفقت ٢٠٠،٠٠٠ ساعة أخرى في المعامل لامتحان المحركات والأدوات والأجهزة حتى يُضمن عملُها في كل حالة من حالات الطيران يمكن أن يتصورها العقل . وأنفقت ٩٠،٠٠٠ ساعة ـ منها ٥٠٠ ساعة طيران فعلي ـ في برنامج لامتحان الطائرة وهي في الجوّ ، حتى تثبت كفايتها في الطيران . ولن تجد طائرة لها ما لهذه الطائرة من سجل حافل بالهندسة العلمية والامتحان الدقيق .

فإذا ما رحلت رحلتك الأولى في طائرة « د. س. ـ ٦ » شعرت كما شعرت حين طرت في طائرة « د. س. ـ ٣ » أو طائرة « د. س. ـ ٤ » ذات المحركات الأربعة ، فإن نفسك امتلأت ثقة ببراعة « دوجلاس » الهندسية التي تخرج للناس أضخم طائرات النقل في العالم .

DOUGLAS AIRCRAFT COMPANY, INC., SANTA MONICA, CALIF., U.S.A.



ت" دوجلاس" تنقل أكبر عدد من الناس إلى أكثر عدد من البلاد

السنة الخامسة

المختار
من
ريدرز دايجست

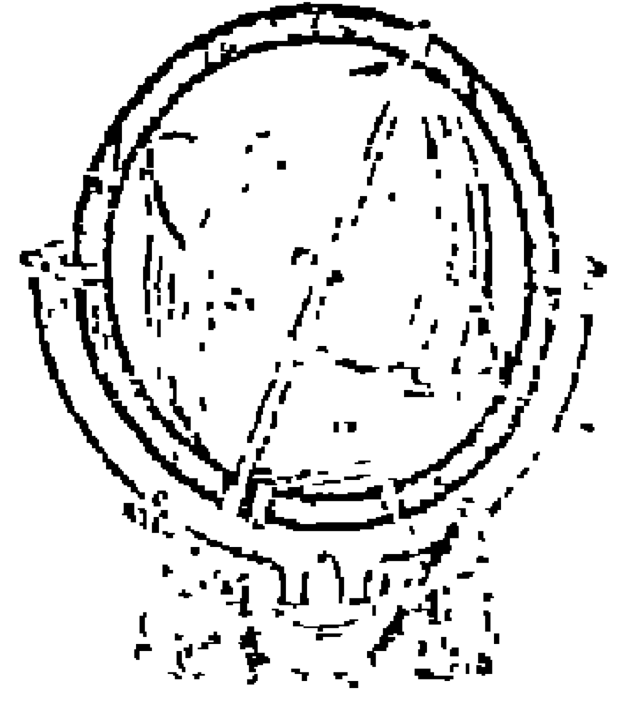
المجلد ٩
العدد ٤٩

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

سبتمبر ١٩٤٧

رحلة في رحاب الفضاء

موريس ماركي
مختصرة من مجلة ((ماك كول))



ركبت سيارتي في مدينة باسادينا بكاليفورنيا ، ومضيت مصعداً في طريق وعر إلى قمة الجبل، فلما بلغتها صرت على مسافة ٥٠٠ ميل من القمر ! وقد خيل إلى أن التحديق إلى القمر من هذه المسافة القصيرة ، فيه شيء من التقحم عليه. فصفحته الفضية تبدو لي الساعة كأن فيها ندوباً من بثور، والأخيلة الرائعة التي تتراءى للمحبين وهم ينظرون إليه ، ليست سوى أفوهات ضخمة وجبال تذهب ممعنة في الجو البارد .

فرحلة ساعة بالسيارة قد أفضت بي إلى مرصد جبل ولسن ، حيث وجدت أكبر منظار في العالم، فلما وضعت عيني على عدسته نفذت ببصري إلى مسافة بعيدة تجل عن القياس في رحاب الفضاء التي لاتنتهي .

وكنت قد اطلعت على الحقائق عن هذا المنظار ، فأول شيء استوقفني أنه منظار ذو مرآة ، لامنظار ذو عدسة، والمرآة قرص ضخم من الزجاج ، قطره مئة بوصة ، وقد صب زجاجها في فرنسا ، ثم نقلت إلى أمريكا. فظلت طائفة من الرجال ست سنوات متوالية دائبة على صقلها حتى صار سطحها مقعراً تقعيراً بالغ الدقة . وفي كل يوم يصقل سطح المرآة بالقطن والمادة التي يصنع منها أحمر الشفاه . والمرآة نفسها مركبة في قعر أنبوب يتجه طرفه الآخر إلى الفضاء ، فإذا التقط سطح المرآة صورة جرم من أجرام السماء ، انعكس عنه بواسطة مرايا أخرى أحكم تنسيق مواقعها ، على لوحة تنظر إليه

من خلال عدسة . والأنبوب مركب على قطعة من الصلب تشبه النير ، والنير طافٍ على زئبق يملأ إناء كالطبل . ومجموع هذه الآلات يزن مئة طن ، ولكن أجزاءها ركبت أحسن تركيب فصارت متوازنة ، فيسهل تحريكها فى تتبع النجوم المرصودة وهى سائرة فى أفلاكها .

وماذا تستطيع أن ترى بهذا المنظار ؟ أول ذلك أنك تستطيع أن ترى ألف مليون نجم ، والرجل الحديد البصر لايستطيع أن يرى بالعين المجردة أكثر من ستة آلاف نجم إذا كان جو الليل غاية فى الصفاء . وإذا بصاحبي ، وهو من علماء المرصد ، قد حرك الأنبوب الكبير ، وطلب مني أن أنظر مرة أخرى . فلم أر فى أول الأمر سوى وهج مضطرب . فلما تعودت عيني رؤية اللألاء المضطرب الصادر من الصورة المعكوسة عن المرآة ، رأيت رسماً غير واضح يمثل شيئاً يشبه القرص أو العجلة ، وكان مركزه لامعاً مستطيلا ، وتنطلق منه ألسنة طويلة منحنية كأنها من ضباب . وقد اضطربت الصورة قليلا فى لمعانها ، ثم استقرت وصارت ثابتة .

وقال صاحبي : « أنت الآن تنظر إلى السديم الحلزوني فى صورة المرأة المسلسلة من صور النجوم . وهذا السديم كون كالكون الذى نحن جزء منه ، وهو يدور حول شمس ، والبقعة اللامعة فى مركزه هى شمسه ، والألسنة المنحنية هى الكواكب السيارة والنجوم فى سحب مستطيلة كدرب التبان أو نهر المجرة ، والضوء الساقط فى أنبوب المنظار صدر عن ذلك السديم منذ مليون سنة أو نحوها ، ولم يزل يقطع الفضاء منذ ذلك اليوم بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية . ولعلك لاتجد هذا السديم فى مكانه اليوم ، فكل مانعرفه هو أن السديم كان فى مكانه ، على هذا الشكل الذى تراه ، منذ مليون سنة ، يوم صدر هذا الضوء منه .

وفى الفضاء سُدُم لا تحصى كمثل هذا السديم ، بل قل ملايين من الأكوان . وأكثرها أضخم من كوننا ، ومنها أكوان تبتعد عن مجموعاتنا الشمسية بسرعة عشرة آلاف ميل فى كل ثانية ، والنجوم الواقعة فى مركز بعض هـذه الأكوان ، وهى شموسها ، يبلغ قطرها ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل أو أكثر ، أى أن قطرها يفوق بعد الشمس عن الأرض ضعفين أو يزيد .

وأدار الأنبوب مرة أخرى ، فإذا فى زجاجته ضوء لامع متوهج ، هو ضوء طائفة جميلة من الدقائق الصغيرة تتلألأ كأنها مثات من حجارة الماس منثورة على بساط من المخمل الأسود .

فقال صاحبي: «هذا عنقود النجم الكبير بجورة هرقل. فأنت ترى الساعة بعينك ١٢٠ نجم وقد اجتمعت معاً، وهى تبعد ٣٠ ألف سنة ضوئية تقريباً».

ثم مضى فى حديثه وأنا أنظر إلى هذه الظواهر البديعة: «قلما ننظر من خلال زجاجة المنظار فى أثناء تأديتنا ماعلينا فى المرصد، بل يكاد عملنا يكون منحصراً فى الصور الضوئية، ولا تنس المطياف (الإسبكترسكوب)، فالمطياف ينبئنا مم تركبت النجوم، وأى وجوه من التغير تطرأ عليها فى ألوانها المستعرة، وإذا انتفعنا بالآلات الصالحة، كان فى وسعنا أن نقيس قياساً دقيقاً مقدار الحرارة المنبعثة من النجم. وليس يخفى عليك أن هذه النقط المتلألئة فى رحاب الفضاء القصية، تنبعث منها حرارة يصل منها إلى الأرض مقادير قليلة جدا»

والمعامل التى تدرس فيها هذه المقاييس وتبوب وتعارض وتقارن، قائمة فى مدينة باسادينا، ولكنك تجد دائماً طائفة من الرجال على قمة الجبل، وقد خلفوا أسرهم وراءهم عند السفح. فإذا حل فصل الشتاء وغصت الطرق بالثلج والصخور المنحدرة، وصار الطريق مستحيلا على السيارة، ذهب هؤلاء الرجال إلى المرصد على أقدامهم، يسيرون تسعة أميال حتى يبلغوا ارتفاع ستة آلاف قدم، فقد صدر أمر المدير أن يحرص رجاله على الانتفاع بمعدات المرصد الثمينة فى كل دقيقة، وأن لا يدعوها وشأنها قط.

وفى المرصد خمسة أو ستة من العلماء ينفقون حياتهم كلها فى دراسة الشمس، فلا تطلع الشمس إلا وترى أدواتهم مهيأة لدراسة أشعتها، فتتبع صورتها خلال منظار خاص، حتى تستقر وهى تتلألأ على قطعة مربعة من الورق الأبيض، فإذا هى دائرة لامعة عليها بقع من ظلال قائمة تكبر وتصغر، فهذه هى بقع الشمس. ويلوح أن هذه البقع هى كتل ضخمة من الغاز الآخذ فى البرد، وليس غازاً ملتهباً، وهى تنطلق من جوف الشمس إلى سطحها. وعساها تكون غازات قد تم احتراقها أو غازات ميتة بطبيعتها غير قابلة للاشتعال فى مبدأ أمرها. وهذه البقع فى زيادتها ونقصانها، تذهب وتعود فى دورة رتيبة من الزمن، فتحدث فى جو الأرض اضطرابات كهربائية مغنطيسية عنيفة، فتضطرب أمواج الراديو وأسلاك البرق. وليس ثمة ريب فى أنها تؤثر فى حالة الجو. وقد يتمكن العلماء فى المستقبل من أن يتنبأوا بما تكون عليه حالة الجو على مدى بعيد، من دراسة نشاط البقع الشمسية.

وأدار صاحبي فى أثناء الحديث أنبوب

المنظار، فإذا جسم كالخوخة جميل ذهبي اللون قد صار فى نطاق البصر ، وهو يتلألأ قليلا، وكان يبدو قريباً حتى خيل إلى أنني أستطيع أن أمد يدى فألمسه

فقال صاحبى : « هــذه هى الزهرة ، أقرب الكواكب السيارة إلى الأرض ، وحجمها يكاد يكون مماثلا لحجم الأرض ، وبعدها عن الشمس قريب من بعد الأرض عنها ، فأحوال الجوّ على سطحها تقارب أحوال الجو على سطح الأرض ، فهى لذلك أدنى الكواكب السيارة إلى توفّر الأسباب على سطحها لحياة تماثل الحياة على الأرض . ولكننا لا نستطيع أن نتبين حقيقة ذلك كله ، لأن الغيوم تغشى الزهرة تماماً ، ولم يتح لأحد أن ينظر إلى سطحها . وهــذه الغيوم تدلّ على وجود بخار الماء ، والماءُ ضرورى للحياة كما نعهدها ، فوجود هذه الغيوم قد يؤخذ دليلا من الأدلة على أن أسباب الحياة موفورة على الزهرة .

فقلت : « وما قولك فى المريخ ؟ »

فقال : ليس بيننا أحد استطاع أن يرى شيئاً يقنعه بوجود أحياء عاقلة على المريخ — بل قل بوجود أحياء على الإطلاق ، فالبرد شديد هناك لبعد الكوكب عن الشمس . ويلوح أن جو المريخ فيه بخار الماء ، لأن الغيوم تكثر وتقلّ ، والخطوط البادية على سطحه لها شىء من التنسيق والانتظام .

« ويرى بعض أهل النظريات العلمية أن هذه الخطوط تمثل شبكة من الترع صنعها الناس، ولكن الفصل فى ذلك شىء مستحيل. فالناس ، كما نعرف الناس ، لا يستطيعون أن يعيشوا على سطح المريخ، لأن برده قارس، ولكن قد يوجد على سطح المريخ أحياء عقلاء يصوّبون نظرهم إلينا ويقولون : ليس فى قدرة الناس أن يعيشوا على الأرض، فحرّها كفيل بأن يقتلهم » .

ثم عدّل صاحبى المنظار تعديلا يسيراً وهو يقول : « سوف أتيح لك الآن أن ترى أروع المشاهد جميعاً » .

فرأيت زُحَل، غريبة الأجرام ، زحل ومن حوله حلقاتهُ التى تدور — ثلاث حلقات تحيط بالكرة البرتقالية اللون ، صورة من الضياء الخابى ، وكوكب بعيد متفرد فى رحاب الجوّ الأسود .

قال : « ليست الحلقات مركبة من غازات أو سوائل — بل هى أجسام صغيرة تدور حول الكوكب السيار كما يدور القمر حول الأرض ، والحرف الداخلى لنطاق الحلقات يبعد ٧٠٠٠ ميل عن سطح زحل، ويغلب أن يكون الفرق بين الحلقات الثلاث، إنما هو فرق فى كثافة الأجسام التى تتألف منها كل حلقة . والحلقات رقيقة

كحد السيف، ويجىء يوم فى خمس عشرة سنة فلا نستطيع أن نراها لأنها تكون على مستوى واحد مع خط النظر فلا نُرى حرفها الدقيق » .

فقلت : « هذا شىء كالذى يراه النائم فى نومه ، ومن العجب أن يكون فى وسعى أن أجلس وراء هذا النظار وأراه رأى العين . وما أعجب أن يعلم المرء أنه لن يجد فى السموات كلها شيئاً كمثل هذا ! »

فقال : « إن النجوم مؤلفة من الغبار الكونى الذى لا يزال يدور حتى يجتمع فيما يشبه الكرة ، ثم ربما تفاعلت العناصر الداخلة فى تركيب الغبار من غازات وجوامد فتتقد وتشتعل » .

فقلت : « أتسمح لى أن أرى النجم المعروف باسم يد الجوزاء ؟ »

فوجد النجم وضبط صورته فى المنظار ، فرأيته يتوهج ، فهو مليون شمس فى شمس واحدة . وخيل إلىّ كأننى أسمع هدير الأتون المستعر الذى لا ينقضى له استعار منذ بدء الخليقة إلى أن يحل ذلك اليوم الذى يفقد فيه الزمان ما ينطوى فيه من معان . وتذكرت ذلك التشبيه الذى أورده جيمس جينز فى أحد كتبه : « نجم يد الجوزاء هو أكبر شىء عرفه الإنسان . والإلكترون هو أصغر شىء عرفه . وإذا تدبرنا حجم الإنسان وجدناه وسطاً بين حجم يد الجوزاء وحجم الإلكترون » .

فذكرت لصاحبى ماخطر لى . فقال : « وقد قال جينز أيضاً : إن فى الكون من النجوم كمثل حبات الرمل على جميع شواطىء الأرض. وهذا قول قد يشق تحقيقه ، ولكنه صادق فى مبداه ، لأن عدد نجوم السماء يكاد يكون شيئاً لاحد له .

« ومنذا الذى يستطيع أن يدرك ماتحتويه هذه الرحاب التى لايدركها البصر ولا التصور ؟ »

فقلت : «مستحيل علينا أن نرى النهاية» .

فقال : « لأنه ليس ثمة نهاية » .

فلما هبطت من قمة الجبل ، بدت لى المدنية أصغر شأناً وأقل وقعاً فى النفس ، وأحسست أن مركبات الترام ، ودور السينما ومبانى المكاتب الشاهقة ، ومحطات تعبئة الوقود ، قد فقدت مالها من خطر فى حياة الناس كل ثانية من ثوانى أيامهم . والمرء يحس بالدعة والتواضع ، متى ألقى ببصره إلى هذه الأجرام الهادرة فى رحاب الفضاء ، النافثة ناراً مع أنفاسها ، الحارسة لأبواب اللانهاية . وهو يحس بالدعة والتواضع أيضاً ساعة يعود إلى هذه الكرة الحقيرة من التراب التى تدور دوراناً لانفع فيه ، فى زاوية صغيرة من رحاب الفضاء .

تحليـل دقيق لحـالة العالم اليـوم
تنشره احدى الصحف العالمية العظيمة

بعـد مـؤتمـر مـوسكو

مختصرة من افتتاحية صحيفة ((نيويورك تايمز))

مؤتمر موسكو الخطير ليعد معاهدات عقد الصلح مع ألمانيا والنمسا ، فلم يوفق إلى ما يريد ، بل أخفق أعضاؤه في الاتفاق على المبادىء التي ينبغي أن تقوم عليها المعاهدات ، مع أن قواعدها وضعت في ميثاق المحيط الأطلسي ، وفي اتفاقات طهران ويالتا وبوتسدام ودستور هيئة الأمم المتحدة .

أما ما فعله مؤتمر موسكو فهو أنه امتحن أغراض روسـيا وأغراض الغرب امتحاناً دقيقاً ، فأثبت الامتحان أن الدول المؤتلفة التي انتصرت في الحرب لا تزال عاجزة عن تشييد صرح السلام ، وإذن فلابد من أن تظل الريبة والخيبة تقضان مضاجع الناس.

أما أسباب هذا المأزق فقد صارت قيد التاريخ . فقد نصت الاتفاقات التي عقدها الحلفاء زمن الحرب على تجريد ألمانيا من سلاحها ، وتطهيرها من النازية ، وجعلها دولة ديمقراطية ، وسلخ بعض أراضيها عنها ، وإقامة نظام الحكم فيها على قاعدة ((اللامركزية)) السياسية والاقتصادية ، مع الاحتفاظ بها وحدة سياسية اقتصادية تستطيع أن توفي مال التعويض المفروض عليها من فائض رأس مالها الصناعي ، وأن تعول نفسها دون معونة من الخارج . ثم إن الاتفاقات التي عقدت زمن الحرب نصت أيضا على جعل النمسا دولة حرة مستقلة ، وأن تعامل معاملة بلد تم تحريره ، وأن تعفى من كل تعويض

وقد حاولت الولايات المتحدة وبريطانيا أن تحققا هذه الأغراض في مؤتمر موسكو بجعل ألمانيا دولة ديمقراطية مؤلفة من دول تتمتع بالاستقلال الذاتي ، وتحكمها حكومة اتحادية ذات سلطان محدود ، وأن تكون سعة أرضها بحيث يتيسر لها أن تعول العدد المتضخم من سكانها دون مغالاة في توسعها الصناعي ، حتى لا تصير خطراً على السلم مرة أخرى . وأرادت الولايات المتحدة أن تثبت حسن نيتها فعرضت أن تعقد محالفة طويلة الأجل بين الدول الأربع الكبرى ، غرضها أن تبقى ألمانيا مجردة من السلاح ، فيكون ذلك ضماناً لسلامة الجميع وأمنهم . أما فرنسا

فقد قبلت من هذا النهج ما يكفى لقيام تآزر يكاد يكون كاملا بين دول الغرب .

أما روسيا فقد أنكرت الاتفاقات المعقودة زمن الحرب فى شأن ألمانيا والنمسا ، وحاولت أن تعرض شروطاً جديدة على الدول المغلوبة وعلى شريكاتها فى النصر ، فقد طعنت فى جعل مقاطعة السار جزءاً من الوحدة الاقتصادية الفرنسية بحجة أن هـذا العمل « تقطيع لأوصال ألمانيا » ، ولكنها أصرت على أن تضم إلى روسيا نفسها وإلى بولندة نحو ربع أرض ألمانيا الصالحة للزراعة ، وأن تطرد من تلك الأرض سكانها الألمانيين ليعيشوا فى الريخ بعد انقطاع نحو ربعه منه . ولو تم عمل كهذا لكان لزاماً على الحلفاء الغربيين أن يختاروا أحـد أمرين : إما أن يعيدوا ألمـانيا دولة صناعية ويروجوا لمصنوعاتها فتنافس مصنوعاتهم ، وإما أن يكفلوا لهـا الطعام على حساب شـعوبهم ، أو يدعوها تتضور حتى تلقى بنفسها فى أحضان الشيوعية .

وقد حرصت روسيا فى الوقت نفسه على مطالبة ألمانيا بأن توفى تعويضاً يزيد على ثلاثين بليون ريال بالسعر الراهن ، وأن يكون معظمـه من إنتاجها السائر ، وأن يكون نصيب روسيا منه خمسين فى المئة . ومؤدى هذا أنه لزام على الدول الغربية أن تنفق من رؤوس أموالها على تعزيز الصناعة الألمانية حتى تصير قادرة أن توفى هذه المقادير ممـا يفيض عن حاجتهـا . فإذا تم ذلك قبضت روسيا بيدها القوية على الصناعة الألمـانية من طريق التعويضات المطلوبة .

وقد أصرت روسيا على قيام دولة ألمانية تقبض على زمام السلطان فيها حكومة مركزية تتجه فى نظامها إلى مثال النظام القائم فى روسيا ، وأن لا يكون الحكم فيها للأحزاب السياسية التى تظفر بالأكثرية وحسب ، بل أيضاً لاتحادات العمال التى أخذت الإدارة الروسـية تخضعها للهيمنة الشيوعية ، وأن يشترك مع الأحزاب واتحادات العمال فى الحكم ، هيئات معروفة توصف بأنها «ديمقراطية» و«مقاومة للفاشية» وهى شيوعية فى لبابها

وسعت روسيا إلى تعزيز سلطانها فى النمسا بالاستيلاء على الأموال النمسوية التى فى متناول يدها بحجة أنها « مقتنيات ألمانية » ، فلما حالت دون عقد المعاهدة مع النمسا ، تمكنت من أن تحتفظ بجيوش روسـية فى ڤينا ، وبخط المواصلات اللازم لها فى قلب البلقان .

لم تكن شروط روسيا هذه سوى خطة للسيطرة على أوربة ، والمأزق الذى بلغـه مؤتمر موسكو فى موضوع معاهدتى الصلح مع ألمانيا والنمسا ، ليس هو الشىء الوحيد الذى يدل على الهوة التى شقتهـا المطامح الروسية بين روسيا والغرب .

وأنت ترى هذه الهوة أيضاً في البلقان حيث تحاول روسيا أن تحيل دوله جماعة من الجمهوريات السوفيتية ، على الرغم من العهود الخطيرة التي قطعتها زمن الحرب بأن تتيح للبلاد الأوربية التي تم تحريرها ، فرصة لاختيار حكومات حرة قائمة على إرادة الشعب .

وذلك واضح في بولندة . فقد نصت وثيقه بوتسدام على انتخابات حرة ، فلما تمت كانت مهزلة ، وطرحت حكومة لوبلين التي تؤيدها روسيا كل زعم بأنها حكومة تمثل إرادة الأكثرية .

وهو واضح في الصين أيضاً ، حيث تنكرت روسيا لعهودها بأن تسدى العون العسكرى والأدبى لحكومة الصين القومية دون غيرها ، في مقابل الامتيازات التي انتزعتها من الصين بإلحاح الحكومة الأمريكية .

وهو واضح في كوريا ، التي تقرر أن تعد دولة مستقلة تم تحريرها ، ولكن روسيا حرصت على قسمتها ، وسعت إلى إخضاعها لسلطانها بأساليب أوضح من الأساليب التي اتبعتها في ألمانيا .

وهذه الهوة واضحة أيضاً في المأزق الذى بلغته المباحثات في شأن القنبلة الذرية ، فقد عرضت الولايات المتحدة أن تنزل عن القنبلة إذا تم الاتفاق على ضمانات وافية ، ولكن روسيا دأبت على رفض هذا العرض . وهى واضحة أيضاً في عمل الأمم المتحدة التي كادت روسيا تشله باللجوء إلى حق الاعتراض ، وبرفضها أن تشترك في عمل الهيئات النوعية التابعه لها . وهى واضحة في مساعى روسيا لإرجاء إنشاء القوة البوليسية الدولية .

وخلاصة القول أن خطة روسيا بينة في جميع أرجاء الأرض ، وليس لهذه الخطة أى صلة بضمان الأمن ، بل هى مسيرة بدافعين أصيلين — روح التوسع المأثورة في تاريخ روسيا ، وروح الشيوعية المتعصبة التي ترى العالم غير السوفيتى عدواً لدوداً ، وترمى في آخر الأمر إلى قيام ثورة عالمية . وإن اللثام ليتكشف يوما بعد يوم عن أن الأغراض التي تسعى روسيا إليها مناقضة للعهود التي قطعتها زمن الحرب ، بل يتكشف عن أن هذه الأغراض تزداد وتتسع وفقاً لما تتوسمه من الضعف في الدول التي يحتمل أن تكون خصوماً لها .

إن ما كسبته روسيا من مكاسب إقليمية وسياسية واقتصادية ، هو أعظم ما كسبته أية دولة بعد أية حرب . ومع ذلك ترى روسيا ماضية في خطة التوسع — عن طريق الضغط السياسى والعسكرى كما ترى في ألمانيا والنمسا ، أو عن طريق الحكومات التي

تماثلها كما ترى فى شرق أوربة ، أو عن طريق التغلغل والطابور الخامس والحرب الأهليـة كما ترى فى اليونان والصين ، أو عن طريق العرقلة المقصودة لـكل سعى يبذل من أجل السلام والتعمير . ولن تجد خطة أفضل من هذه الخطة لحفظ العالم متردِّياً فى هوَّة الاضطراب والمصاعب الاقتصادية، وجعله مهيأ بعد حين للشيوعية.

وليس فى الحالة الحاضرة سوى أمل واحد . فمن المعقول أن روسيا لا تستطيع اليوم أن تخوض غمار حرب، وأنها لا تريد قيام حرب ، وتدل التجربة على أنها لا تلبث أن تتراجع إذا وجدت نفسها أمام مقاومة حازمة ،كما فعلت فى إيران وتريستة . فمرونة الروس وقدرتهم على مطابقة سياستهم لما تقتضيه الحال ، هى التى ينبغى أن تكون قاعدة لسياسة الغرب ، إذا ماقدِّر للعالم أن يخرج من هذا المأزق الذى ارتطم فيه .

وينبغى أن تقوم سياسة الغرب على ثلاثة أصول : ينبغى أن تتفق دولهُ على أن تملأ كل فراغ يغرى الروس بالتوسع ، فقد بلغ توازن القوى مبلغاً عظيما من الدقة ، حتى إذا خضعت دولة أخرى للسيطرة الروسية كان ذلك خليقاً أن يجرّ فى أثره انحراف قارة بأسرها إليها . ثم ينبغى لدول العالم الغربى والدول التى ترضى أن تنضم إليها ، أن تنظم حالها وتدبر أمرها حتى تحقق أغراض السلام والرخاء ، دون أن تنفض يدها من الدول الواقعة الآن وراء الستار الحديدى ، فهـذه هى الطريقة الوحيدة لإنقاذ العالم الغربى من الإفلاس ، ولإقامة الدليل لروسيا نفسها ، على عظم المنافع التى تجنيها إن هى انضمت إليه . وأخيراً ينبغى لسياسة الغرب أن تعنى أدق عناية بمصالح روسيا المشروعة ، حتى يتجنب الغرب عداء طاغيًا خليقاً بأن يصير خطراً على السلام .

فإذا سار الغرب على سياسة كهذه السياسة، كان ثمة أمل فى الخروج من المأزق ، وفى أن تجد روسيا ودول الغرب أسباباً للتفاهم بينهما تغرى بالتعـاون والتآزر من أجل المصلحة المشتركة . وهذه السياسة تنطوى أيضاً على أقوى رجاء يعقده الناس على أن تـظل فكرة « الأمم المتحـدة » وفكرة « عالم واحد » بمنجاة من الضياع والبوار .



صورة لاذعة : المرأة كالعقرب تشقُّ طريقهـا فى الحياة بلدغ من يقف فى سبيلها . [ديل كولنز]



مختصرة من كتاب
« أسكار وايلد ، حياته وفكاهته »
تأليف هسكيث بيرسون

سمع جراهم روبرتسون صديقه اسكار وايلد يقص هذه القصة مرارا ، وكانت ذاكرة روبرتسون قوية قوة خارقة ، فالرواية التالية تكاد تكون مفرغة فى كلمات وايلد نفسه .

كانت عمتى جين قد بلغت من الكبر عتيًّا ، وكانت شديدة الكبرياء ، تسكن وحدها فى بيت قديم فخم منعزل فى مقاطعة تبرارى . وما كان أحد من جيرانها يزورها ، ولو فعلوا لما سرّها أن تراهم ، فقد كانت تخشى أن يروا الطرق فى أرضها وقد علتها الحشائش والأعشاب ، أو الغرف المغلقة وقد حال لون أثاثها ورياشها. ثم إن السيدة نفسها قد ذوى جمالها وانفضّ عنها أصحابها ، وفقدت ما كان لها من سلطان فى ريفها ، فما هى إلا عجوز لا أنيس لها ، وقد أبلى الدهر أيامها .

وكانت السنون تمرُّ بها وهى جالسة وحدها فى غسق حياتها ، لا تعرف شيئاً عما يحدث فى سائر الدنيا . ولكن جاء شتاء فإذا العمة جين قد أخذت تحس بموجة من الروعة والاهتمام تكتسح جيرتها . فقد نزل قوم طارئون على المنطقة فى البيت الجديد الذى شيِّد على الأكمة ، وهم يتأهبون لإقامة حفلة راقصة لم يسمع أحد بمثلها من قبل . هذه أسرة ريان الواسعة الثراء . فقالت العمة جين : « من تكون أسرة ريان ؟ إنى لم أسمع بها من قبل . ومن أين أتوا ؟ » فلما علمت أن هذه الأسرة ليست عريقة ، ولا نبتت فى مكان معروف ، وأنها تشتغل بالتجارة ، وقع ذلك عليها وقع الصاعقة .

وقالت العمة جين : « ترى ماذا يظن هؤلاء المساكين ؟ ومن ذا الذى يهمه أن يلبي الدعوة إلى حفلتهم ؟ » فقيل لها إن كلّ مدعوٍّ سوف يلبيها ، بل لقد لبّاها كلُّ مدعوّ ، وسوف تكون حفلة رائعة .

فلما عرفت العمة جين ذلك سخطت سخطاً عظيما . بئس ما انتهى إليه أمر هذه البقعة ! والذنب ذنبها ، فقد كان ينبغى عليها

أن تكون فى الطليعة ، ولكنها اكتفت أن تقبع فى دارها وهى سابحة فى بحار التأمل ، بدلا من أن ترفع راية النضال بيدها . ويومئذ حزمت العمة جين أمرها على أمر خطير : سوف تقيم حفلة راقصة فخمة ، وسوف تعود سيرتها الأولى فى المجتمع ، فتبين للناس كيف تفتح السيدة الكبيرة بيتها للضيوف والزوّار والحفلات والمآدب . وإذا كانت القاطعة قد نسيتها وأغفلت أمرها ، فلتنقذنّ القاطعة من أهل الوقاحة الذين طرأوا عليها .

وهبّت من فورها تعمل ، فأعادت طلاء بيتها القديم ، وجددت أثاثه ورياشه ، واهتمت باستئصال الأعشاب وزرع الشجر والزهر ، وأمرت بإعداد العشاء فى لندن ، وبإحضار فرقة الموسيقى منها ، وتعاقدت مع طائفة كبيرة من الندل لخدمة ضيوفها . فكل شىء تعده لهذه الحفلة ينبغى أن يكون أحسن شىء وأفضله — ولن تعبأ بالنفقة ، فهى سوف توفيها مهما كانت ، ولو وقفت ما بقى من حياتها على هذه التوفية .

وأخيراً جاءت الليلة العظيمة فأضيئت أرضها على مسافة ميلين بمصابيح ملوّنة ، وازدهى البهو والدرج بالأزهار والرياحين ، وكانت أرض حجرة الرقص ناعمة لامعة كأنها صفحة المرآة . ونزلت العمة جين من غرفتها لابسة ثوباً فاخراً والماس يتألق عليها ، فهبّ رجال فرقة الموسيقى ثم انحنوا ، ومضت هى فوقفت عند باب المرقص .

وظلت هناك تنتظر ، ومرّ الوقت ، وصار الخدم يتبادلون النظر متسائلين ، وضبط الموسيقيون أوتار آلاتهم مرتين أو ثلاث مرّات ليبينوا عن حماستهم وشوقهم إلى العزف ، ولكنّ أحداً من الزوّار لم يحضر . ومع ذلك فقد ظلت فى ثوبها الجميل واقفة تنتظر عند باب المرقص . الساعة الحادية عشرة ، الساعة الثانية عشرة ، منتصف الساعة الأولى .

وأخيراً التفتت إلى الموسيقيين وانحنت تحييهم وقالت : « تفضلوا وتعشوا . لن يحضر أحد الليلة » . ثم صعدت إلى حجرتها حيث وافتها منيتها — أى أنها لم تفه ببنت شفة بعد ذلك ، ثم جاءها أجلها بعد ثلاثة أيام .

ولم يعلم الناس إلا بعد وفاتها بزمن طويل ، أن العمة جين نسيت يومئذ أن ترسل رقاع الدعوة إلى ضيوفها .

كانت النجوم كأنها جواهر الماس على بساط من المخمل الأسود [وليم لوك]

ما دار فى الخفاء من اجتماعات تحدى فيهـا امبراطور اليـابان الزعماء العسكريين وفرض عليهم التسـليم

كيف سلمت اليابان

الكولونل بونر فلرز
مختصرة من مجلة «السلك السياسى الخارجى»



وقفت ذات يوم فى خريف سنة ١٩٤٥ بباب السـفارة الأمريكية بطوكيو، فأقبلت سيارة فخمة سوداء ونزل منها يابانى فى بزة رسمية مدنية وعلى عينيه نظارات، فشددت قامتى وأديت له التحية العسكرية، فلما أنزلت يدى اقترب منى فتناولها وصافحنى بقوة، وتبادلنا عبارات المجاملة، ثم استدرنا وسرنا جنباً إلى جنب ودخلنا السفارة.

وهكذا أتاح لى منصبى، وهو كاتم أسرار الجنرال ماك آرثر، أن ألقى هيروهيتو إمبراطور اليابان. وقد تسنى لى بعد ذلك أن أعلم منه ومن وزارته ما خفى وراء قصة تسليم اليابان من حقائق لا يكاد يصدقها العقل.

وتثبت هذه الحقائق إثباتاً قاطعاً أن روسيا أفسدت مراراً محاولة اليابان عرض الصلح على الحلفاء قبل تسليمها بسـتة أشهر، إذ كانت روسيا قد عقدت عزمها على أن تجمع فى يدها عوامل السيطرة على الشرق، أرضه وسياسته، ولهذا جعلت من خطتها أن تدخل الحرب فى أوفق وقت لها.

ويرجع قرار الإمبراطور بالتسليم ومحاولته الاستعانة بالوساطة الروسية إلى يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٤٥ بعد أن احتلت جيوش ماك آرثر مدينة مانيلا، وقبل انفجار أول قنبلة ذرية فى اليابان بتسعة أشهر. فقد استدعى

كان الكاتب بونر فلرز ضـابطا فى هيئة أركان حـرب ماك آرثر، وكان موكلا بشن حرب الأعصاب على اليابان الى يوم تسليمها. ثم طار الى طوكيو مع ماك آرثر وظـل سنة سكرتيرا حربيا له، ثم سـكرتيرا عاما لمجلس الحلفاء سبعة أشهر أخـرى. وقـد فحص أقوال وزراء اليابان وكبارها، وراجع الامبراطور نفسـه بعض هـذه المـذكرات ولخص الصراع الذى دام عشرين سنة بينه وبين العسكريين.

الإمبراطور الأمير كونوى الذى تولى رياسة الوزارة ثلاث مرات، والمعروف بميله إلى السلم، وانعقد مؤتمر فى القصر، وأخذ الإمبراطور يذرع أرض الحجرة وهو مضطرب الأعصاب، ثم صرح بغير مواربة أنه مؤمن بأن الهزيمة محققة، ولكن العسكريين مصممون على مداومة القتال، فهم يقولون إن ما يشترطه الحلفاء من التسليم بلا شرط ولا قيد لا يعنى إلا إلغاء النظام الإمبراطورى.

وقال كونوى للإمبراطور إنه لا يعتقد أن أمريكا سوف تواصل الحرب لا لشىء إلا لرغبتها فى القضاء على الأسرة الإمبراطورية. فأقره الإمبراطور على رأيه، ولكنه قال إن العسكريين يسيطرون على كافة طرق المواصلات، ولذلك يستحيل الاتصال رأساً بالولايات المتحدة. وكان أكبر همّ الإمبراطور أن يعرف هل يساعده كونوى فى مفاوضات التسليم، فسارع كونوى بالإعراب عن استعداده للمساعدة. ومنذ ذلك اليوم أخذ الإمبراطور يزداد شدة فى معاملة العسكريين.

فقد لفت نظرهم إلى أنهم دأبوا على الكذب فى تصوير سير الحرب، حتى بلغ بهم الأمر أنهم أنبأوا الجنود بأن الجيوش اليابانية قد نزلت على شاطىء أمريكا الغربى، وأن عدد ما يدعون إغراقه من البوارج يزيد على كل ما تملكه الولايات المتحدة منها، ثم أنبأهم أنه أمر هيروتا وزير الخارجية أن يفتح باب مفاوضات الصلح بصفة غير رسمية، وذلك عن طريق السفارة الروسية فى طوكيو. فوقع هذا التقريع وقع الصاعقة على العسكريين، ثم وافقوا بعد لأى على قرار الإمبراطور آملين أن تحول وساطة روسيا دون هجومها على منشوريا.

ولكن ماليك، سفير السوفيت فى طوكيو، استقبل هيروتا استقبالاً فاتراً، وظل يراوغ فى محادثاته معه أشهراً عديدة، واشترط فى مقابل الوساطة وحدها شروطاً عجيبة حملت العسكريين اليابانيين على التشدد من موقفهم. وعلم الإمبراطور أثناء ذلك عن طريق ساتو، سفير اليابان فى موسكو، أن روسيا لا ترحب بالصلح ترحيباً تاماً، وترفض الدخول فى مباحثات إلا على أساس التسليم بلا شرط ولا قيد، مع أنها ليست فى حرب مع اليابان.

وحينئذ اعتزم الإمبراطور أن يخطو خطوة جريئة، فأسند فوراً منصب رياسة الوزارة إلى كانتارو سوزوكى، وهو رجل صعب المراس، يبلغ من العمر ٧٧ سنة، ومعروف بميوله إلى السلم، حتى إن الثوار من الشباب العسكرى أطلقوا عليه الرصاص سنة ١٩٣٦، ولم يتركوه إلا ظنًّا منهم أنهم قد أصابوه. وأراد الإمبراطور أن يبرهن للحلفاء بهذا التغيير على رغبة اليابان فى

الصلح. ولما كانت صداقته مع رئيس وزراته الجديد، صداقة قديمة العهد، فقد شعر الإمبراطور لأول مرة منذ بدأت الحرب أنه يجد بجانبه زعيما يركن إليه ويثق به. وأفضى إلى سوزوكى فى اجتماعات سرية أنه أصبح لا يثق بهيئة أركان الحرب، ولا يفهم لماذا تركب رأسها وتواصل حرباً لا أمل فيها، وإنها الجريمة أن تعرّض نفوس أخرى للهلاك.

ولشد مادهش الإمبراطور وسوزوكى حينما لم يصلهما أى عرض للمفاوضة من قبل الحلفاء، ومر الوقت بطيئاً من شهر إبريل إلى شهر مايو. هذا وعزم الإمبراطور على إنهاء الحرب يزداد يوماً بعد يوم، وأنزلت غارة واحدة من القلاع الطائرة على طوكيو ١٨٥٫٠٠٠ إصابة بسكانها. وكان الإمبراطور نفسه حين يمشى فى حدائق قصره كئيباً واجماً، يلتقط أحياناً منشورات أمريكية ألقتها الطائرات تنذر بغارات أخرى مماثلة. ومع ذلك دأب العسكريون على الادعاء بأن الأمريكيين إذا نزلوا الشواطىء اليابانية، فإنهم سيرتدون مندحرين، وتحل بهم خسارة جسيمة تزيد من قوة مركز اليابان عند طلب الصلح.

واستمرت القنابل تنهال من الطائرات على المدن اليابانية الكبرى، على حين انصرف الإمبراطور وسوزوكى إلى العمل سراً طوال شهرى مايو ويونيو بغية الوصول إلى صيغة مقبولة للتسليم، وأسر الإمبراطور إلى حاشيته أنه عازم على إنهاء الحرب، غير عابىء بما سوف يصيبه هو نفسه. وأخيراً استطاع سوزوكى بعد معركة حامية فى المجلس الأعلى، أن ينال موافقة أعضائه على محاولة الاتصال رأساً بموسكو سعياً للسلم. ولكن هؤلاء الأعضاء، لم يستطيعوا حتى بعد صدور ذلك القرار أن يحملوا أنفسهم فعلا على بدءِ المفاوضات. وكان هذا التأخير آخر قطرة طفح بها كأس الإمبراطور المتعب المكدود، فانتظر أياماً ثم أصدر فجأة أمره إلى المجلس الأعلى بأن ينفذ قراره فوراً.

وفى يوم ٢٢ يونيو أمر الإمبراطور أن يذاع بالراديو بيان « فى ألفاظه تلميح » يكشف عن عزمه على أن يتولى بنفسه قيادة اليابان دون أن يخضع للبرلمان أو للجيش والأسطول.

ونظراً لتحكم العسكريين فى طرق المواصلات ومنعهم الاتصال المباشر بالولايات المتحدة، فقد أمر الإمبراطور سوزوكى فى ٧ يوليو أن يطلب من روسيا أن تأذن بأن يسافر إلى موسكو مندوب يمثل الإمبراطور. وكان اختيار الإمبراطور قد وقع فعلا على كونوى للقيام بهذه المهمة، وترك له كامل الحرية فى الاتفاق على السلم

بأى ثمن ، حتى التسليم للحلفاء بلا شرط ولاقيد ، وذلك ليتسنى للإمبراطور أن يعلن موافقته على نتيجة المفاوضات قبل أن يصل خبرها إلى العسكريين .

ولكن هذه الخطة أخفقت أيضاً ، فأرسلت يوم ١٠ يوليو برقية إلى موسكو يطلب فيها استقبال الأمير كونوى ، وتلاحقت الأيام دون أن يرد الجواب . وبعد وصول هذه البرقية بأربعة أيام غادر ستالين ومولوتوف مدينة موسكو إلى بوتسدام ، وهما لائذان بصمت عجيب وأخيراً أرسلت موسكو يوم ٢٢ يوليو برقية تطلب فيها « بيانات أوفى عن أغراض بعثة الأمير كونوى » ، فأجاب الامبراطور أن اليابان تود أن تتوسط روسيا فى السلم. ولم يرد أى جواب عن هذه الرسالة الثانية.

وكانت الحكومة الأمريكية على علم بهذه الخطوات كلها إلا مفاوضات السفير ماليك . وعلاوة على ذلك فإن مستر هوفر الرئيس السابق للولايات المتحدة ، أبلغ الدوائر العليا فى وشنطن فى سهر مايو أن تعيين سوزوكى مغزاه أن اليابان مستعدة لإلقاء السلاح ، لو تيسر إبلاغها أنهم سيتساهلون معها فى أمرين : الأول الاحتفاظ بالإمبراطور ، والثانى تأليف حكومة يابانية حرة حسب الأوضاع التى تختارها . وكان من رأى هوفر أن مثل هذا العرض يتيح للولايات المتحدة أن تعقد مع اليابان صلحاً عاجلا ، فلا يبقى مجال لمشكلات مع روسيا ، إذ لم تكن يومئذ فى حرب مع اليابان . ولا أعلم ما هى الخطوات التى اتخذتها الحكومة الأمريكية للانتفاع بهذه الفرصة من شهر مايو إلى شهر يوليو. والواضح أن انفجار القنبلة الذرية لم يكن هو الذى حمل الإمبراطور على اتخاذ قراره بالتسليم، ولم يكن له أى تأثير فى حسم الحرب.

وفى يوم ٢٦ يوليو صدر تصريح بوتسدام ، ورأى فيه الإمبراطور وأحزاب الأحرار أنه يصلح أساساً للتسليم ، ولكنه لم يرض المجلس الأعلى . ثم انفجرت القنبلة الذرية الأولى يوم ٦ أغسطس ، وتبعتها الثانية بعد ثلاثة أيام، وأعلنت روسيا الحرب على اليابان وفى يوم ٩ أغسطس اتخذ المجلس الأعلى قراراً بقبول تصريح بوتسدام مع إبداء أربعة تحفظات : بقاء الأسرة الحاكمة ، والامتناع عن احتلال اليابان ، وأن تتولى اليابان بذاتها تجريد جنودها من السلاح وترحيلهم إلى أوطانهم، وأن تتولى هى أيضاً تسليم الأشخاص المسئولين عن الحرب.

ووثق هيروهيتو كل الوثوق من أن هذه الشروط لن تؤدى إلى وقف غارات الحلفاء الجوية ، ولهذا أصدر أمره إلى المجلس الأعلى

بأن يجتمع قبيل منتصف الليل فى القصر الإمبراطورى المؤقت، وهو كوخ صغير مقام فوق أعمق مخبأ ضد الغارات فى اليابان. وهناك، بين أطلال طوكيو وعلى ضوء النيران الخابيـة المنبعثة من حرائق تجتاح أرجاء طوكيو ليلا ونهاراً، بدأت أخطر مناقشة فى تاريخ اليابان. وكانت ليلة صيف حارة رطبة، يطن فيها حول مائدة الاجتماع بعوض منتشر من المياه الآسنة فى الخندق المحيط بالكوخ. واتخـذ زعماء اليابان أماكنهم وهم يتصببون عرقاً، وترتجف أبدانهم من الاضطراب والرهبـة، وحضر الاجتماع الإمبراطور، وسـتة من أعضاء المجلس الأعلى، والبارون كيشيرو هيرانوما رئيس المجلس الخاص.

وتكلم الرجال العسـكريون واحداً بعد واحد — وزير الحربية، ورئيس هيئـة أركان الحرب، وقائد الأسطول، وعارضوا جميعاً فى التسليم، وقد فارقهم ماعرفوا به من رباطة الجأش، فبكوا جميعاً وارتفعت أصواتهم وهم يتوسلون أن يمنحوا مهلة من الوقت، فالتسليم فى رأيهم أمر لا يتصور، بل ينبغى الاستمرار فى الحرب. وحينئذ تدخل سـوزوكى رئيس الوزراء الشيخ ورأسه تهتز من التأثر والتعب، وطلب أخذ الأصوات. وهو لم يكن يجهل أن تعصب العسكريين قد يؤدى إلى تدبير انقلاب فى الحكم وقتل كل من يقف فى سبيلهم — لم يجهل ذلك وهو الذى لا يزال فى بدنه رصاصتان حين حاول هؤلاء العسكريون اغتياله منذ عشر سنوات. ومع ذلك لم يهن عزمه، وبدأ الأعضاء يعطـون أصواتهم واحداً بعد واحد.

ولم يتحول العسكريون الثلاثة عن معارضتهم فى التسليم إلا على شريطة أن يتم على أيديهم تجريد الجنود من السلاح، وأن تنجو اليابان من الاحتلال، وأعطى الأربعة الباقون أصواتهم فى جانب التسليم بشرط واحد، هو بقاء الأسرة الحاكمة.

وتقضى التقاليد المرعية التى لم تنقض فى يوم من الأيام، أن تصدر قرارات المجلس الأعلى بالإجماع، فإذا بالإمبراطور يقطع صمته ويتكلم، وأخذ يبين للأعضاء بهدوء أن خطط العسكريين ظلت منذ بدء الحرب بعيدة عن الحقائق: ثم استطرد يقول: « إن التدبر فى حقائق الأمور يدل على أن من العبث الاستمرار فى الحرب، وتحمل المزيد من الخسارة فى النفوس والأموال. لقد ظللت أصغى إلى المعـارضين فى إنهاء الحرب، ولـكنى لم أغير رأيى، فإننى أضع ثقتى فى الحلفاء وشروطهم، وأريد أن أقبل شروطهم كما هى »، وتريث قليلا ثم قال

فى لجة الآمر ، وهو أول أمر وجهه الإمبراطور إلى المجلس الأعلى : « أريدكم أن توافقوا جميعاً على هذا الرأى » .

وطال الاجتماع إلى الساعة الثالثة صباحاً ، وسالت دموع الأعضاء ونكسوا رؤوسهم حينما انتهى الإمبراطور من خطبته . وقطع وزير الحربية الصمت الشامل وركع ، ثم زحف إلى الإمبراطور فأدار له الإمبراطور ظهره باحتقار. وارتفع صوت وزير الحربية حتى انقلب صراخاً حاداً وهو يقول :

« أناشدك أن لا تسلم ، فلا تزال لدينا خططنا. » ثم ظل يزحف حتى مد يده إلى معطف الإمبراطور ، ولكن الإمبراطور تولى عنه مزدرياً ، ثم تمهل لحظة وقال مرة أخرى : « أريدكم أن توافقوا جميعاً على رأيى » ثم غادر الحجرة

وانصرف الأعضاء مع الفجر بعد أن أطاعوا أمر الإمبراطور ، وأرسلوا برقية إلى السويد وسويسرا لتبليغها إلى الولايات المتحدة وبريطانيا والصين وروسيا ، وتتضمن البرقية قبول تصريح بوتسدام بدون قيد ولا شرط ، وذلك على شريطة أن تبقى الأسرة الإمبراطورية وأن لاتمس حقوق سيادتها . ولكن الصراع مع العسكريين الذين خضعوا مؤقتاً لرهبة الإمبراطور لم يكن قد بلغ نهايته ، إذ أرسل الحلفاء بعد ثلاثة أيام رسالة يقولون فيها :

« إن الحكومة اليابانية فى المستقبل ، ينبغى أن تكون وليدة رغائب الشعب اليابانى كما يعبر عنها فى حرية تامة » ،فأخذ المجلس الأعلى ينازع فى هذا الطلب بغضب ، ورجع العسكريون إلى المطالبة بمواصلة الحرب مستندين إلى أن رد الحلفاء يتضمن القضاء على نظام الحكم الإمبراطورى . وكانت الطائرات الأمريكية تلقى فى ذلك الوقت على جميع أرجاء اليابان منشورات تتضمن تصريح بوتسدام ورد اليابان .

رفع الماركيز كيدو حامل أختام الإمبراطور وأحد خلصائه أحد هذه المنشورات إلى الإمبراطور ، وكان كلاهما يخشى شر الجيش الذى تفرقت قواته على الشواطىء وهو غير عالم بمدى الدمار الذى حاق بالمدن ، فربما ثار إذا علم بقرار التسليم . ومما يخاف أيضاً أن يخدع بعض المتهورين من الضباط جنودهم حتى يعتقدوا أن أمر الإمبراطور مكذوب عليه ، ثم يحرضونهم على مواصلة القتال ، ولكن الإمبراطور كان يعلم أن الشعب قد ضاق ذرعاً بالغارات ، وأصبح يدرك حقيقة الأمور ويرحب بالتسليم . فإذا أريد منع المعارك الدامية ، فلا بد من إذاعة مرسوم إمبراطورى بإنهاء الحرب فوراً .

وفى صباح ١٤ أغسطس أصدر

الإمبراطور أمره إلى المجلس الأعلى بالاجتماع مرة أخرى . ولما بدأ الرؤساء العسكريون يعارضون فى التسليم بشدة ، نظر إليهم الإمبراطور نظرة التهديد وقال : « إننى لم أتخذ قرارى بقبول تصريح بوتسدام إلا بعد تدبر طويل ، ولم يطرأ ما يحملنى على تعديله . فإنه إذا لم تنته الحرب فى هذه الآونة ، فإن كيان اليابان السياسى لن يتعرض وحده للضياع بل إن الشعب اليابانى نفسه سيحل به الفناء . . . وأطلب إليكم، رغبة منى أن يفهم شعبي ما أريد ،أن تعدوا مشروع المرسوم الإمبراطورى » ، ثم نظر مرة أخرى نظرة التهديد إلى الحاضرين وقال: «أريدكم أن توافقونى جميعاً على ذلك» . وما جن الليل حتى كان مشروع المرسوم الإمبراطورى قد أعد ، وأنجز الإمبراطور تسجيله فى الساعة الحادية عشرة ، وتأهب رسول يحمله إلى محطة الراديو لإذاعته على الأمة .

وفى تلك اللحظة تمكن ألفان من الجنود المعارضين من النفوذ إلى داخل سور الكوخ، ولكن شريط التسجيل أودع فى خزانة الإمبراطور قبل أن يتمكنوا من الدخول. وتكرر هجوم الجنود على الكوخ ست مرات يحاولون الظفر بالشريط وبالمركيز كيدو ، وقد عقدوا العزم على قتله جزاء له على ما كان له من شأن فى التسليم . واحتمى كيدو فى مخبأ سرى بقبو الكوخ ، على حين لجأ الإمبراطور إلى مكان آخر من الكوخ خشية أن يقتل هو أيضاً . وقام جنود آخرون بإشعال النار فى مسكن سوزوكى حتى تركوه رماداً . وفى الساعة الرابعة صباحاً انتحر أنامى وزير الحربية لمحاولته قلب الحكم ،ولمعارضته الإمبراطور . وبعد الساعة الثامنة صباحاً بقليل ، وصل الجنرال تاناكا قائد استحكامات الجبهة الشرقية ، وحمل الجنود على التفرق . فانتحر ضابطان .

ثم انصرف الجنرال تاناكا وأطلق على نفسه الرصاص . ولما نزل الليل كان المرسوم الإمبراطورى قد أذيع ، وسمعت الأمة كلها صوت إمبراطورها يخطرها بتسليم بلاده .

ولما كان الإمبراطور هو رئيس الدولة فى اليابان ، فلا جرم أن يتحمل من الوجهة القانونية نصيبه من التبعة التى يحملها رجاله من زعماء اليابان — تبعة إثارة الحرب . ولكن هذا لا ينفى أن الإمبراطور قد جرأ على مقاومة المتعصبين من الرجال العسكريين ، وانتزع منهم سلطانهم ، وأرغمهم بقوة إرادته على التسليم .



ضوء على تجارة تؤثر فى كل بيت

الأسبرين هو الأسبرين

روجر وليم ريس

ذهبت منذ عهد قريب إلى مخزن أدوية وطلبت زجاجة فيها مئة قرص من أقراص الأسبرين .

فقال البائع : « أتريد زجاجة بسبعة قروش أو زجاجة بتسعة قروش ، أو بإثنى عشر قرشاً ، أو بتسعة عشر قرشاً أبيعها لك بسبعة عشر قرشاً ؟ »

فقلت : « أيها أفضل ؟ »

فابتسم الرجل كالضجر الملول وقال : « جميعها سواء . إن الأسبرين هو الأسبرين »

فألح على الفضول فأردت أن أستطلع ، فمضيت أشترى الأسبرين حيث وجدته . وكنت أقوم برحلة ، فاشتريت عشرات من زجاجات الأسبرين من ذوات المئة قرص ، فى ولايات ومدن شتى . فدفعت أول يوم فى الزجاجة الواحدة سبعة عشر قرشاً ، وتسعة قروش ، وعشرة قروش . ودفعت فى اليوم الثانى عشرة قروش ، وسبعة قروش وخمسة قروش . وبعد أسبوع ظفرت بزجاجة ثمنها قرشان ونصف قرش . ثم اتفق لى ذات ليلة أن اشتريت زجاجة بقرش ونصف قرش ، وقد كان هذا أقل سعر دفعته فى زجاجة تحتوى مئة قرص ، أما أعلى سعر دفعته فكان سبعة عشر قرشاً .

استقر بى المطاف فى مدينة شيكاغو ، فيممت شطر الجمعية الطبية الأمريكية وسألت : « ما الفرق الصحيح بين بعض هذا الأسبرين وبعضه الآخر ؟ فليس يعقل أن تشترى الشىء بقرش ونصف قرش إذا كان يحمل اسم شركة بعينها ، ثم أن تشتريه هو نفسه بسبعة عشر قرشاً لأنه يحمل اسم شركة أخرى » .

فردت على الجمعية الطبية الأمريكية : « ذلك ممكن . وقد فعلته . إن الأسبرين هو الأسبرين ، وقد شاءت له الأقدار أن يكون أحسن مسكنات الألم وآمنها مغبة * ولعله أقواها » .

ومن ثم ذهبت إلى طائفة من شركات صنع العقاقير الكبيرة أسأل عن الأسبرين ، فأرونى بواطى من الصلب مملوءة بالحمض « الأسيتيل ساليسيليك » — الاسم العلمى ،

---

* قليل من الناس من يؤذيه الأسبرين ، فينبغى لهم أن يتجنبوه . وقد وجد الأطباء حديثاً أن الأسبرين يبطىء تخثر الدم وقد يمهد لحدوث نزف خطير . فاذا كنت تفرط فى أخذ الأسبرين فقل ذلك لطبيبك والطبيب الذى يعالج أسنانك .

للأسبرين — وكان الاسم المكتوب على بعضها اسم « شركة داو الكيميائية » ، وعلى بعض آخر اسم « شركة مونسانتو » .

وهاتان الشركتان تصنعان ٩٠ فى المئة من الحمض الأسيتيل ساليسيليك الذى يستنفد فى علاج أهل أمريكا من الصداع . والشركات الكبيرة التى تصنع العقاقير لا تكاد تعدو فى صناعة الأسبرين تحويل السحوق إلى أقراص . وهذا شبيه بأن تتولى شركتان كبيرتان صنع كل السكر الناعم الذى يستهلكه الشعب ثم تشتريه منها مئة شركة أخرى فتحيله بالضغط إلى قطع من السكر .

فأى ضروب الأسبرين أفضلها ؟ إن المشتغلين بهذه الصناعة مجمعون على أن السكر هو السكر ، وعلى أن الأسبرين هو الأسبرين .

وقد عرفت سراً آخر من أسرار هذه التجارة ، فقد زرت أحد المصانع المستقلة التى تصنع الأقراص من أية مادة كيميائية يريدها التاجر أن تصنعها ، فهم يشترون مثلا مسحوق الحمض الأسيتيل ساليسيليك بالجملة ، ثم يصنعون منه أقراصاً ويعبئونها فى زجاجات يكتبون عليها « أسبرين » ويتقاضون من التاجر قرشاً ونصف قرش عن كل مئة قرص — إذا اشترى مليون قرص أو أكثر.

وقد قابلت مدير الإعلان لشركة كبيرة تصنع الأسبرين وعقاقير أخرى لا يحصرها العدّ ، فقال لى والأسى يملأ جوانحه : « لشدّ ما نصبو إلى الإعلان عن الأسبرين الذى نصنعه ، ولكننا عاجزون عن الاهتداء إلى شىء يسعنا أن نصفه به » .

بيد أن الآخرين يحاولون فتراهم يقولون فى إعلاناتهم : « ليس ثمة من يصنع أسبريناً أفضل من الأسبرين الذى نصنعه نحن » . أو « لن تجد أسبريناً أفضل من هذا الأسبرين » أو « لن تجد بين مسكنات الألم ما يضارع هذا الذى نصنعه » ، أو « خير الأسبرين » — ومن المحقق أن هذا الكلام كله ليس خير إعلان يذاع !

وقد لقيت صديقاً قديماً كان يشتغل بصناعة العقاقير ، فلما عرف أنى مهتم بمسألة الأسبرين ضحك وقال : « ظل أصحاب الشركة ... يتساءلون طوال عملى معهم متى تنكشف الحقيقة فى خدعة الأسبرين » .

وثمة أمران عن الأسبرين ينبغى أن تذكرهما : أما الأول فهو أن الأسبرين يخدّر الألم ولكنه لا يبرىء من الداء ، لأن الألم ليس سوى عرَض من أعراض المرض . ومن الخطر أن تخمد الألم دون أن تبحث عن سببه .

وأما الثانى فهو أن كل أنواع الأسبرين سواء ، فوفر مالك واشتر أرخص الأنواع .

نصيحة تتيح لك أن تطرح عن نفسك أعباء العمل الثقيل .

كيف تتخلص من تكاليف العمل

وليم رايلى

مختصرة من «ذى أمريكان مجازين»

كيف تجد عملك الذى أنت فيه ؟ أهو تكليف تؤديه أم متعة ترتاح إليها ؟ فإن تجده تكليفاً فأعقل العقل أن تنفض يديك منه قبل أن ينصرم الشهر التالى . والتكليف هو أن تعمل شيئاً لا تجد فى عمله متعة ولا لذة . وعمرك أقصر وأغلى من أن تبدده فى أداء شىء تضيق به صدراً ، أو أن تتحامل على نفسك فتعاشر قوماً لا تحبهم ، أو أن تجهد نفسك فى التماس مهارة أنت خلو منها ومن أسبابها .

وقد دلنى الفحص والاستقصاء على أن أكثر أهل أمريكا يكرهون العمل الذى يزاولون، ويتمنون أن لو زاولوا عملاً سواه . وقد عرفت كتاب حسابات يودون لو قدر لهم أن يكونوا معلمين أو مستكشفين ، وعرفت باعة يحبون أن لو كانوا نجارين . وقد جرى بينى وبين فتى هو نجل محام من أثرياء المحامين ، وكان يدرس القانون كارهاً لدراسته ، فقال لى فى حديثه : « سأفرغ من هذه الدراسة على وجه من الوجوه » ، وكان يتمنى فى أعماق قلبه أن يتخصص فى دراسة علم طبقات الأرض .

والمرء إذا زاول عملا لا يحبه انقلب فصار كئيب النفس مهتاج الشعور ، وما أسهل ما يعتريه التعب ، وهو خليق أن يكون فريسة لسوء الهضم والأرق . وإذا ألح عليه إحساسه بأنه أخفق فيما يريد ، صار ثائراً ساخطاً على هذه الدنيا التى يعيش فيها .

وقد جاء يستشيرنى شاب صحفى نصحه الناصحون أن يزاول الصحافة لما أتاح الله له من قدرة وبراعة فى الكتابة ، ولكن الشاب كره عمله وأبغضه . ولما كان بطبيعته غير قادر على المنافسة ، فقد تأخر وأبطأ وتقدمه سواه ، وكان دائم الحنين إلى مزاولة التعليم .

وقد زينت له أن يتولى التعليم فى إحدى

مدارس الصغار ، بيد أنه أصبح الآن لا يكف عن الكتابة فى أوقات فراغه ، وإذا به يحسُّ لأول مرة فى حياته أنه أصبح راضى النفس مجتمع العزم قويًّا على العمل .

وليس من الضرورى فى كل الأحوال أن تغير نهج عملك جملة واحدة . وقد درست شأن رجل من مديرى الأعمال فى شركة صناعية ، وكانت أعصاب الرجل على وشك أن تنهار ، فكانت نتيجة الفحص أنه كان يزاول عملا يتعلق بتصريف «الأشياء» على حين أن هواه أن يعمل عملا يتعلق بمعاملة « الناس » . فكانت نصيحتى أن يظل فى إدارة الأعمال ، على شريطة أن يلتمس عملا آخر يتيح له أن يعامل الناس ويخدمهم . ولم يمض شهر حتى كتب إلىّ يقول إنه صار مديراً لأحد المستشفيات .

وقد يكون التحول الفاجىء من عمل إلى عمل أمراً غير صالح فى كثير من الأحوال، ولكنك تستطيع دائماً أن تهتدى إلى العمل الذى تحبه وتؤثره ، بأن تجرب أعمالا أخرى فى أوقات فراغك ، ثم دبر أمرك وخطتك على أن تنتقل من هذا العمل إلى ذاك رويداً رويداً وفى زمن محدود . وهذا هربرت هوفر (رئيس الولايات المتحدة السابق) أحب أن يصير مهندساً ، فقبل أن يعمل كاتباً على الآلة الكاتبة حتى يستطيع أن يوفق إلى عمل فى إحدى الشركات الهندسية.

ورأس الأمر فى ذلك أن تتشبث بالخطة التى تضعها ، فإذا تهاونت وأخذت تلتمس لنفسك الأعذار فى تأجيل تنفيذها ، فقد كتب عليك أن تبقى حيث أنت . وقد سمعت آلافاً من الناس وهم يعتذرون بأعذار عن تقصيرهم . وإليك بعض الأعذار التى تكثر على الألسنة :

١ — « ليس عندى مال » . وقد جرى مرة حديث بينى وبين رجل فى الخمسين من عمره ، وكنت قد رأيته مكبًّا على مكتب يرسم بعض الرسوم الهندسية ، فذكر لى أنه لم يزل منذ صباه يحبُّ أن يرسم مناظر من الطبيعة . فقلت له : «هل تتفضل فترينى بعض رسومك ؟» فأجابنى : «مهلا، فإنى لم أرسم قط ، فلم يتوفر لى قط مالٌ يكفينى فى أيام انقطاعى للرسم » .

٢ — « لم يتسع لى الوقت » . فهذا فتى يخدم فى إحدى محطات البنزين أراد أن يصير محاسباً ، وقد أخبرنى أنه اضطر إلى الانقطاع عن دروس المحاسبة بالمراسلة ، لأن الوقت لم يتسع له ، بيد أننى رأيت أن وقته فى الأسبوع الماضى قد اتسع له حتى حضر مباراة الكرة ، وذهب إلى السينما ، ولعب بعض القمار، وقضى ساعتين فى إحدى الحانات .

٣ ــ « أهلى لا يريدون » . كثيراً ما تجد الزوجات يمنعن أزواجهن أن « يتهوّروا » فى تغيير العمل الذى يزاولونه، خشية أن يطول وقت انشغاله بالعمل، أو أن يقل أجره ، أو أن يكون فى العمل الجديد إزراء بمكانة الأسرة بين الناس . ولكن من الممكن أن ينال الرجل رضى المرأة متى تشبث بما يريد ، ومتى بين لها نفع ذلك التغيير وجَدْواه عليه فى حياته .

أعرف رجلا كان فى الثامنة والثلاثين من عمره،فضاق صدره بعمله ، وكان رئيس العمال فى أحد المصانع . وانتهى رأيه إلى أنه يحبُّ أن يكون طبيباً فى قريته التى نشأ فيها وأنفق فيها أيام صباه . وهو اليوم يعمل بالليل ميكانيكيًّا فى حظيرة سيارات ، ويدرس الطب نهاراً . ولم يعد هذا الرجل يحس بشىء من ضيق الصدر ، بل أصبح يحس بالزهو لأنه أتمّ ما أتمّ .

وقد اهتديت إلى ثلاثة دوافع لها أكبر الشأن فى تقرير مقدار نجاحك فى أى عمل تزاوله :

١ ــ قدرتك على أداء العمل .

٢ ــ قدرتك على معاشرة الناس الذين تعمل معهم .

٣ ــ صدق رغبتك فى أداء العمل .

وأقل هذه الثلاثة شأناً فى ضمان نجاحك هو قدرتك على أداء العمل ، وأما أهمها وأخطرها فهو رغبتك فى أدائه. وقد عنيت شركة كبيرة بدراسة دوافع الرجال الذين يبيعون منتجاتها، واهتمت خاصة بمعرفة مقدار رغبتهم فى العمل الذى يؤدونه ، فكانت عاقبة ذلك أن قل عدد من يستقيلون من عملهم أو يخفقون فيه . وجربت هذا الأسلوب شركة صناعية أيضاً فوفقت إلى مثل هذه النتيجة .

وقد اهتدى توماس إديسن إلى أسلوب بسيط فى اكتشاف رغبات الموظفين الجدد، فهو يرسل هؤلاء المبتدئين يطوفون بالمعامل والورش ليستطلعوا طِلْعها ، وهم مكلفون أن يقدموا فى كل يوم تقريراً يتضمن ما يقترحونه وما ينتقدونه . وقد كان بين هؤلاء فتىً نال شهادة امتياز فى الكيمياء وتقدم يطلب عملا يتعلق بالكيمياء ، بيد أن تقاريره دلت على أن مقترحاته فى هذا الباب ليست لها قيمة أو خطر ، وأما مقترحاته فى شئون الإنتاج فكانت ذات شأن ، فكان من البين أن هذه الشئون كانت أقرب إلى نفسه وأحب ، فعين فى قسم الإنتاج .

وقليل من الشركات تتيح لموظفيها الجدد أن يمارسوا ضروباً مختلفة من الأعمال فى الأسابيع الأولى من استخدامهم، ثم يسألونهم

عن أى هذه الأعمال يؤثرون . وأنا على يقين من أن هـذا خير أسلوب لفحص استعدادهم للعمل ، بيد أن أرباب الصناعة يتجاهلون كل التجاهل حوافز الرغبة حين يستخدمون رجالاً لأعمالهم .

وملايين من الناس لا ينالون نجاحاً كبيراً لأنهم يخفقون فى حسن معاملة الناس. وأنت إذا كنت دائم التصادم مع من تعامل من الزملاء والشركاء ، فإن عملك خليق أن يكون مشـقة لا تطاق ، أما إذا كان المرء حسن التأتى والرفق فى علاقته بالناس ، فهو خليق أن يجد فى كل عمل لذة ومتاعاً . وقد كشف اللورد شيستر فيلد عن سر حسن معاشرة النـاس حين كتب إلى ولده : «دع الناس يستمتعوا بحب أنفسهم وإيثارها قليلا ، وأنا زعيم لك بأنهم سيحملون لك فى نفوسهم أجمل الحب » .

وأنت خليق أن تزداد لعملك حبًّا وبه استمتاعاً إذا أنت التمست الوسائل التى تجعله أجود وأكمل . فانظر فيما تعمل وتبين لنفسك أىّ نواحيه تسـتثير قدرتك على الإبداع فيه .

هذا ، وخير وسيلة إلى نيل السعادة هو أن تبـذل كل ما يدخل فى طوقك من مهارة وحماسة فى العمل الذى أنت أشد له إيثاراً وحبًّا ، فإنك سوف تحس أن لهذا العمل هدفاً ينتهى إليه ، وغاية لا بد من إدراكها ، وزهواً فى نفسك بإتمامه ، فهو بذلك حرىٌّ أن لا يكون تكليفاً ثقيلا . فالطبيب الذى امتلأ قلبه حياة وإحساساً بالحياة ، لن يحسَّ أنه تكليف ثقيل حين يغادر حفلة ساهرة لكى يستقبل مولوداً جديداً .

وقد أكثر الناس من الاهتمام بشـأن ما ينبغى أن يعملوا ، منصرفين عن الاهتمام بشأن ما يؤثرون أن يعملوه . وقد كتبت الطيارة أميليا إيرهارت تقول : « لقـد عبرت المحيط الأطلسىّ طائرة لأنى أحببت أن أفعل ذلك . فإذا كان هذا مما يسمونه « نزوات المرأة » فإنه لخيرٌ أن أحرص على نيل أقصى ما يتاح لى منـه . ولست أظن أن أمثال هذه النزوات شىءٌ يعتذر منه أى إنسان كان ، ذكر أو أنثى .

« فأنت إذا عبرت الأطلسى طائراً ، أو وقفت تبيع فى دكان جزّار ، أو عملت فى بناء إحدى ناطحات السحاب، أوجلست تقود سيارة ، فإن أقوى ما يظهر من قوتك إنما يظهر لأنك أحببت كل الحب أن تعمل هذا العمل بعينه ، وأن تعمله حريصاً على إجادته كل الإجادة » .



فررت مع زوجتى

لكاتب متنكر

كنت أنا وصاحبتى قد بلغنا من العمر مبلغاً يتيح لنا أن نكون أحكم رأياً وأصدق نظراً ، فكلانا كان متزوجاً وله أولاد . فلما تبينا أن صداقتنا صائرة إلى شىء أروع وأعمق أثراً فى النفس ، قرّ رأينا فى آخر الأمر أن نفترق أسبوعاً تتدبر فيه أحسن تدبر موضوع فرارنا معاً . ومن حسن الحظ أننا عدلنا عن فكرة الفرار ، ويسرنى أعظم السرور أن صاحبتى سعيدة اليوم كل السعادة مع زوجها .

أما أنا فقد دفعتنى حكمة خفية إلى شراء تذكرتين للسفر إلى أوربة . فلم تكد تنقضى عشرة أيام حتى كنت أنا وزوجتى فى لندن ، وبعد أسبوع ذهبنا إلى رومة ثم إلى باريس ، وقد عدنا بعد ذلك إلى بيتنا ونحن أسعد ما يكون الزوجان . وقد تكشف لى خلال ذلك أن أفتن «صاحبةٍ» هى هذه المرأة التى فتنتنى منذ اثنتى عشرة سنة حتى تزوجتها .

وكل فتىً فى السادسة عشرة يدرك أن القرب والجوار أقوى مؤلف بين القلوب ، وأنه لو اتفق لفتى وفتاة أن يقذف بهما الموج على جزيرة غير مأهولة لكانا خليقين أن يعقد الحبُّ بينهما . ولكن إذا أخذت الهوة تتسع بين زوجين ، أتراهما يعالجان المشكلة بالتقرب والتدانى ؟ ومع ذلك فقد ثبت لى من تجربتى الخاصة أن التدانى خليق أن يكون أفضل علاج .

وكنت قبل أن أفرّ مع زوجتى قد اختلفنا على مسائل المال وتربية الأولاد ، واشتد بيننا الخلاف فى الرأى على شئون الدين والجنس حتى أوشك بيتنا أن ينهار . ولم يقدر لنا أن نفهم مشكلتنا على حقها إلا بعد أن رحلنا تلك الرحلة ، فأتيح لنا فى خلالها أن يعرف أحدنا رأى الآخر وحقيقة نفسه ونوازعه . ولما كانت مشكلتنا هى مشكلة يعانيها كثير من الأزواج ، فأودّ أن أثبتها هنا : قلّ من الأزواج من يخص زوجه ببعض وقته حتى يتاح للزوجين أن يُبقيا على صلة الزواج الوثيقة بينهما . وأنا أقول هذا وأنا أعلم أن نطاق ما يهتمُّ به المرء ينبغى أن يتسع على مرّ السنين . بيد أننى أدركت أنا وزوجتى أن اهتمام كل منا على حدة بما يؤثره من أعمال وشئون ، لا يترك لنا سوى بقايا مجهدة من عقولنا

نعالج بها مشكلات الأسرة الخطيرة . وقد كنت رجلا من رجال الأعمال نال منه التعب ، وكانت هي أمًّا وربة بيت أرهقها الجهد ، فلما نال الإعياء من أعصابنا صار الشجار أمراً لا مفرّ منه .

أما اليوم وقد تبينا مبلغ حبّ كل منا لصاحبه ، فقد صرنا ندرك أنه من الخير لنا أن نتجنب بحث مسائل الأسرة إذا كنا متعبين . وفرارنا معاً من البيت مرة بعد مرة ، كان له أثر بيّن في جميع علاقاتنا ولا سيما في شئون المال . وقد كنا قبل ذلك نختلف ، فأصرّ على أن نشترى سيارة جديدة ، وتصرّ زوجتى على أن تنفق المال على زخرفة البيت . أما اليوم فكلانا يحرص على توفير ما نستطيع توفيره من المال لنرحل معاً رحلة جديدة . فلما صارت أعيننا على هدفٍ واحدٍ نتوخاه ، ازداد التدانى بين آرائنا في شئون المال .

وقد كلفتنا رحلتنا الأولى إلى أوربة ١٣٠٠ ريال ، ولكننا استطعنا فيما بعد أن نستقلّ سيارة نطوف بها في بعض بلادنا ، فلا تزيد نفقة الرحلة على نفقتنا في البيت سوى أربعة ريالات في اليوم ، وفي وسع من يشاء أن يجعل النفقة أقل . وتحرص زوجتى على حثّ كل زوجين أن يعنيا بتدبير رحلة ، وإن كان تحقيقها غير مستطاع قبل سنوات . اشتر خرائط الطرق ، واقرأ ما تناله يدك عن الأماكن التى تنتظر أن تعرّج عليها أو تقيم فيها ، تجد أن ذلك يحفزك إلى تدبير أمور مالك ونفقاتك تدبيراً تزداد به على الأيام حذقاً وتوفيقاً .

وقد تعترضنى فتقول : « ألا يقع الشجار بين الزوجين لكثرة ما يتصاحبان ؟ » ربما كان ذلك حقاً ، ولكن من الغريب في أمرنا نحن ، أن الخلاف بينى وبين زوجتى لم يصلح من أمره أن نفترق أياماً قليلة ثم نعود إلى الاجتماع بعد الافتراق . والمثل يقول : « إن الفراق يزيد القلب شجىً وحنيناً » ولكنه قولٌ لا يصدق إلا على قلبين كانا ساعة الفراق على خير ما يرجى من صفاء وحبّ . وقد جربنا ذلك ولكنه لم يجدنا شيئاً ، فكنا إذا افترقنا بعد خلاف ثم عدنا ، نلفى سبب الخلاف قد خمدت سورته قليلا ، ولكن الفراق لم يستأصله ، فلوح الزجاج المكسور لا يجبر كسره بأن تبتعد عنه وحسب .

فإذا ما تلبّد الغيم في سماء حياتنا اليوم عدنا أدراجنا لائذين بينبوع سعادتنا ـ فردوسنا الذى نكون فيه معاً وفي عزلة من الدنيا . فنحن نعرف أننا كنا يوماً ما كآدم وحوّاء في جنتنا الخاصة بنا ، حيث ننسى فروضنا الاجتماعية فترة من الزمن .

ففى أيام الخطبة وأوائل عهد الزواج ، كان الناس يحرصون على أن يتيحوا لنا أن يختلى كلٌّ منا بصاحبه ، ولا تزال حاجتنا ماسة إلى هذه الخلوة ، بل جميع الأزواج فى حاجة إليها . ولن تستطيع أن تفلت من التلفون الذى يزعجك بجرسه وأنت تهمُّ بعناق زوجتك إلا إذا فررت ، وينبغى لك أن تفرّ أياماً أو أسابيع من تأدية ما يجب عليك أن تؤديه لجماعتك أو أسرتك . وقد يخيل إليك أن هذا شىء منافٍ لخير المجتمع ، ولكنه فى الحقيقة ضربٌ من أحسن ضروب الخير العام ، لأنه يضمن دوام الزواج وسعادته . وإذا أنت تعلمت فى أوائل عهد الزواج كيف تنعم بصحبة زوجتك بمعزل عن المجتمع ، فقد هيأتما نفسكما للفترة التى يتزوج فيها أبناؤكما وتقل ضرورات الحياة فى المجتمع إلى أوفى حدّ .

وقد كان خلافنا فى مسائل الدين يزعجنا فلما صرنا نرحل فى الحين بعد الحين إلى بلاد لا نعرفها ، ألفينا أنفسنا ندخل معابد الله دون تفرقة بين مذهب ومذهب ، فنرى الناس على اختلاف ألوانهم وأعمارهم يدخلونها أيضاً ليتعبدوا ، فإذا بنا ندرك أن الفروق الطفيفة بين شعائر العبادة لا شأن لها فى حقيقة الدين ، فوثق هذا الإدراك ما بيننا من أواصر المودّة .

ونحن إذا ألفينا أنفسنا فى أرض غريبة فيها ما يدعو إلى اهتمامنا ، أحسسنا أن بين عقولنا ونفوسنا توافقاً عجيباً . فالمشاهد الجديدة تثير فى عقولنا آراء جديدة ، وتتيح لنا موضوعات لا عهد لنا بها فنتباحث فيها . وقد خالطنا فى رحلاتنا طوائف من الهنود الحمر ، وتسلقنا بيوت « البوبلو » المنقورة فى الصخر ، وتحدثنا مع فلاحى طائفة المورمون وصيادى السرطان على ساحل « مين » وطالبى حجارة الجمشت الكريمة فى كندا . وكنا فى مبدأ الأمر نفترق فى الليل ، فقد أخذ كل منا كتباً فى موضوعات تعنيه دون صاحبه ، وكنا ننوى أن نقرأ هذه الكتب فى الليل ، ولكننا تبيّنا أن ضوء مصباحنا لا يكفى إلا لقراءة كتاب واحد . فأدركنا أن يد الله قد أرادت أن تجمع بيننا ، فجعلنا نقرأ كتاباً واحداً بصوت عال ، فأقرأ أنا فترة فتصغى زوجتى إلى ما أقرأ ، ثم تتولى القراءة لى ، كما كنا نفعل فى أوائل عهد زواجنا .

وقد لقيت منذ عهد قريب رجلا فى مطعم ، فإذا صلة الألفة المفاجئة تتوثق بيننا كما يقع أحياناً بين قريبين ، وكان هذا الرجل قد استردّ لساعته فردوسه وحواءه . فمنذ أسابيع قليلة تعطلت سيارته وهى على مسافة بعيدة عن بيتهما ، فجاء رجل ليصلح ما بها ،

اقترح على الزوجين أن يذهبا يتمشيان في الغابة ، فإصلاح المحرك يستغرق الأصيل كله . قال صاحبي : «وبعد الغداء قصدنا إلى الغابات ، وإذ كنا نتمشى فيها أحسست — ثم تردَّد وجعل يعرك غطاء المائدة بأصابع مضطربة — أحسسنا أن كلينا أدنى إلى صاحبه مما كنا منذ ثلاثين سنة ، وأدركنا أن هـذا القرب شيء ما زلنا نفتقده منذ زمن طويل . ومنذ ذلك اليوم دأبنا على أن نخرج بسيارتنا إلى أماكن نستطيع أن نستمتع فيها بالتمشى وحدنا مسافات طويلة » .

وأعرف زوجين استردَّا ما كان بينهما من وحدة موثقة ، بأن عمدا إلى السير أميالا كثيرة مرة كل أسبوع للاشتراك في جماعة ألفت للغناء . وقد كانا كلاهما قبل الزواج عضواً في هذه الجماعة ، وكان رأيهما أن اهتمامهما بالموسيقى صلة من الصلات التى توثق ما بينهما طول الحياة . ثم ضعف هذا الاهتمام ، فلما واجها ما يواجهه الزوجان في الكهولة من انصرافهما عن الاهتمام بأشياء يشتركان في حبها ، عزما أن يعودا إلى جماعة الغناء التى كانا ينتميان إليها ، وأضافا إلى ذلك قرارهما أن يمشيا إلى مكان الاجتماع .

فإذا كنت لا تظفر من زوجتك إلا بقبلة فاترة على الخد حين تعود من عملك ، أو إذا كان زوجك يعود كل ليلة إلى البيت متأبطاً أوراقاً كثيرة تستغرق وقته ، فقد آن لكما أن تفرَّا معاً . أو إذا كان أحدكما قد آنس من نفسه ميلا — يغلب أن يكون عابراً — إلى ذكر أو أنثى ، فلمَ لا يجرِّب أن يفر مع الشخص الذى كان فيما مضى يحبُّه حبًّا حقاً ولا يحبُّ غيره ؟ فالزوجان اللذان تزوجا عن حبٍّ وفهم ، لا يزالان هما الزوجان برغم ما طرأ على نفوسهما من فروق . فإذا اتخذت هذا الرأى نهجاً لك فأنت الظافر لا محالة .

فينبغى أن تفر مع زوجتك وإن كان أحدكما غير مفتون بإنسان غير صاحبه . فرَّا معاً كلما سنحت الفرصة لأن في هـذا الفرار درعاً واقية من الانسياق مع الغواية . بيد أن الغرض الذى أتوخاه من قص قصتى إنما هو أن أحث المشرفين على الزواج ، أن يضيفا العهد التالى إلى مواثيق الحب التى يتبادلونها :

إنى أعـد غير حانث أنى إذا غويت فعزمت أن أفر مع إنسان آخر ، فإنى أفر معك أولا مدة أسبوعين على الأقل إلى مكان يتاح لنا فيه أن نكون أوثق ما يكون الائتلاف والاندماج بين شخصين ، كما يكون شأننا في شهر العسل .

ولو استطعت لجعلت هذا الموثق شرطاً مكتوباً في كل عقد زواج يعقد .

نصبنا شبكة
وقع فيها المجرم آل كابونى



فرانك . ج . ولسون
مختصرة من مجلة « كولييرز »

ذات يوم من سنة ١٩٢٨ تركت أنا وزوجتى بيتنا ويممنا شطر مدينة شيكاغو ، ولم نكد نفعل حتى قلت لها : «مهمتى أن أطارد رجلاً اسمه كرلى براون» . ولو قلت لها إن كرلى براون هذا هو اسم مستعار للمجرم آل كابونى ، لارتدت بالسيارة على أعقابها ، ولحملتنى على أن أتخذ لنفسى صناعة محترمة مأمونة كإصلاح أوتار الآلات الموسيقية .

وقد كانت مهمتى أن أنقب عن أدلة تثبت أن آل كابونى يتهرب من توفية الضريبة على دخله ، فقد قرر فى السنوات السابقة أن ليس عليه ضريبة يؤديها ، أو أن دخله ليس شيئاً مذكوراً .

كان فرانك ولسون رئيساً للشرطة السرية الأمريكية ، وقد روى حادث آل كابونى للكاتب هارد هويمان فكتبه .

وكان « آرث مادن » وكيل مكتبنا فى شيكاغو قد أخبرنى أن الوصول إلى الحكم على كابونى بالتهرب من ضريبة الدخل ، مستحيل ، كالوصول إلى إغلاق رهن على القمر . فهذا الرجل الذى يتمنطق بالماس ويلبس ثياباً زاهية ، له فى مدينة شيكاغو سطوة ونفوذ . وهو يدير أعماله مستتراً وراء طائفة من أتباعه ، ولا يحجم عن الأمر بقتل من يرى قتله حتى يمنع الناس من التدخل فى شئونه ، وقد يبلغ عدد الذين يقتلون خمسين فى السنة .

عينت الحكومة لى ولمساعدىّ الثلاثة حجرة فى مبنى البريد العام . وقد كانت حجرة لا نوافذ لها ، وكان زجاج بابها مكسوراً ، وطلاء جدرانها متقشراً ، وليس فيها سوى مائدة واحدة فاتخذتها قاعدة لمهمتى .

وقد قضيت أشهراً وأنا أبحث على غير

طائل فى المصـــارف ومكاتب القروض وسجلات الصحف ، وجست الشـــوارع الضيقة الرثة فى أحياء الفجور ، فلم أعثر على دليل يدلنى على أن كابونى يتلقى ريالا واحداً من أندية القمار والمراهنة على الخيل،أو من المواخير وحانات الخمر المهربة . وعلمت أن « جيك لنجل » أحـد المخبرين فى صحيفة شيكاغو تريبيون قد رؤى فى صحبة كابونى فى شيكاغو وميامى ، وسمعت أشياء حملتنى على الظن أن عمل لنجل لم يكن قاصراً على نشر أحاديث كابونى وأخباره ، فذهبت إلى صاحب الجريدة « روبرت مكورميك » وقلت له إن الحكومة الأمريكية يسرُّها أن تظفر بمعاونة لنجل فى طرادها ، فقال : «سأبعث برسالة إليه حتى لا يضنّ عليك بأية معونة » . فلم يكد ينقضى اليوم التالى حتى لقى لنجل مصرعه فى قطار النفق،وقد كان ذلك فى أكثر أحياء المدينة ازدحاماً بالناس .

ففت ذلك فى عضدى ، ومرت سنتان لم ألق فيهما سوى الخيبة ، فهذا اسم كابونى على الصفحات الأولى من الجرائد كل يوم، والناس يتناقلون فى أحاديثهم أنه ينال جعلا معلوما على كل صندوق ويسكى يدخل مدينة شيكاغو ، وأنه يدير ألف حانة سرية يباع فيها الشراب الذى يحرمه القانون ، وألف مكتب للمراهنة على الخيل ، وخمسة عشر نادياً للقمار ، وطائفة من المواخير ، وأنه يسيطر على خمسة أو ستة من مصانع الجعة وتقطير الخمر ، وكان قـد اشترى قصراً فى فلوريدا ، وما ينفقه على المآدب لا يقل عن ألف ريال فى الأسبوع ، ولا تراه إلا ماضياً فى سيارات ضخمة فخمة سريعة ، ولا ينام إلا وقد لبس منامة ثمنها ٥٠ ريالا ، وقد أمر مرة بصنع ٣٥ بدلة ثمن كل منها ١٣٥ ريالا . وأما عدد الرجال الأشداء المسلحين التابعين له فيبلغ ٧٠٠ وهم مزودون بالأسلحة السريعة النار والسيارات المدرعة .

ولكن إقامة الدليل على أنه مسرف مبذر لا يكفى ، فلا بد للمحاكم من أن تظفر بالدليل على إيراده ، حتى يثبت أنه يتهرب من تأدية ضريبة الدخل .

وذات ليلة بلغ منى اليأس ، فعزمت أن ألخص جميع الحقائق والأخبار التى جمعتها وكدستها مع مساعدىَّ الثلاثة ، فلما كانت الساعة الواحدة من الصباح ، كان الإعياء قد نال من عينىَّ ، فجعلت أجمع أوراقى لأنصرف ، فارتطمت اتفاقاً بخزانة تحفظ فيها الملفات فلم أكد أمسها حتى رأيت بابها قد أقفل من تلقاء نفسه ، فبحثت عن المفتاح فلم أجده ، فسألت نفسى ، أين أضع هذه الأوراق ؟ فبحثت فوجدت خارج الحجرة مخزناً وفيـه خزانة تملأها ظروف ملاها

الغبار . فقلت لنفسى ، يحسن بى أن أضع هذه الظروف القديمة على المائدة ، وأودع أوراقى فى الخزانة حتى الصباح .

وجدت فى مؤخر الخزانة رزمة ثقيلة ملفوفة بورق أسمر ، فدفعنى الفضول إلى قطع الخيط الذى ربطت به، فوجدت داخلها ثلاثة دفاتر، قيدت فى أحدها حسابات تحت عنوان « دخل نقدى خاص» فجعلت عينى تثب فوق الأشياء المقيدة : « قفص طائر» «٢١» ، « نرد » « فارو » « روليت » « مراهنات خيل » . إذن هـذه يوميات جماعة تتولى عملا مالياً ضخماً، ويبلغ إيرادها كل يوم ٢٠ ألف ريال إلى ٣٠ ألف ريال. وقد زاد صافى الربح فى ثمانية عشر شهراً على نصف مليون ريال (كان تاريخ الدفاتر سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦) .

فسألت نفسى : «من ذا الذى يستطيع أن يدير نادياً للقمار يبلغ دخله هذا المبلغ؟» وإذا الجواب يصدمنى صدمة عنيفة — ليس هناك سـوى ثلاثة هم : « فرانكى ليك » و « ترى دراجن » و « آل كابونى » . ولكننى كنت قد فرغت من تحقيق قضية ليك ودراجن ، فلم يبق سوى ثالثهم — آل كابونى .

كنت قد عثرت على هذه الدفاتر فى حملة شنها رجال الشرطة بعد اغتيال مساعد النائب العام فى الولاية فى سنة ١٩٢٦ فأخذتها من نادى « السفينة » الذى يعد من أفخم أندية القمار الكبيرة فى شيكاغو، وكان أهل الترف والثراء فى المدينة يختلفون إليه ويراهنون فيه بنحو ثلاثة ملايين ريال فى السنة ، فهذا إذن سجل ثابت يبين «إيرادا»، فإذا استطعت أن أثبت أنه يخص آل كابونى ، فقد ظفرنا بأساس قضية تقام عليه .

وأغلب الظن أن آل كابونى أدرك أن الشبكة أخذت تضيق عليه . وقد كان لى بين رجال العصابة رجل من خيرة رجالنا المتسترين — «إدى أوهار ». وبلغنى ذات يوم أن إدى يريد أن يقابلنى ، فلما لقيته رأيته ثائر النفس والدم يكاد ينبثق من وجهه، فقال : « ينبغى لك يافرانك أن تغير الفندق الذى تقطنه ، فقد جاء الفتى الكبير بأربعة من سفاحى نيويورك ليفتكوا بك ، وهم يعرفون أين تحتفظ بسيارتك ، ومواعيد ذهابك وإيابك . فينبغى أن تترك الفندق اليوم » .

فشكرت له ما فعل ، وحدثت زوجتى بالتلفون وفاجأتها بأننا سننتقل إلى فندق بالمر حيث كانت تؤثر أن نكون ، وتركت خبراً عند إدارة الفندق الذى كنا فيه أننا مسافرون إلى « الجنوب » . وفعلاً مضينا فى سيارتنا إلى المحطة — ومنها إلى فندق

بالمر ، فتحيَّرت زوجتي ، وعسى أن يكون سفَّاحو كابوني قد تحيَّروا أيضاً .

وبعد قليل لقيت إدى مرة ثانية فقال : « إن الفتى الكبير قد عرض ٢٥ ألف ريال على من يفتك بك » .

فلما نشرت الصحف أن كابوني قد عين مكافأة لمن يأتي برأسي ، قرأت زوجتي الخبر وهي رابطة الجأش ، ولم تعقب عليه بكلمة سوى قولها : « لابد من العودة إلى بيتنا » . ولكنني أقنعتها بالعدول عن رأيها ساعة وعدتها بأن نظل معاً معظم الوقت ، فالنساء يعتقدن أن أبدانهن منيعة على الرصاص .

وقد أكببت خلال ذلك على دراسة خطوط الدفاتر التي أخذت من نادي « السفينة » ، وأظن أننا جمعنا خطوط جميع المجرمين في شيكاغو — من دفاتر الانتخاب ، وحسابات التوفير ، ومحاكم الشرطة . ونبذنا كل خط لا شبه بينه وبين الخط في هذه الدفاتر ، فلم يبق أمامنا سوى رجل واحد اسمه « لو شمواي » ، فقد كان خطه على ورقة بنك مطابقاً كل المطابقة للخط الذي في دفاترنا . وبعد بحث علمت من أحدهم أن شمواي في فلوريدا ، وأنه في أكبر الظن يعمل في حلبات سباق الخيل أو سباق الكلاب . ولم أتبين من أوصافه شيئاً سوى أنه « رجل ضئيل حسن الأدب مهذب أنيق نحيل لا يؤذي أحداً — فليس من طراز الرجال الذي يألفون حلبات السباق » .

فلما كان شهر فبراير سنة ١٩٣٠ كنت في حلبة فلوريدا ، وعيني على الرجل الذي لم أزل أطارده منذ ثلاث سنوات . فهنا آل كابوني جالس في مقصورة وعلى جانبيه غانيتان تتلألأ الجواهر عليهما ، وكان يدخن سيجاراً طويلا ، ويحيي وفوداً من الأتباع جاءوا ليصافحوه ، ونظرت إلى وجهه السمين المتهدل ولونه الأغبر وشفتيه الكثيفتين المطبقتين والشحم المتدلي تحت ذقنه — والندبة المشهورة على خده ، فخطر لي أن الشرطي في الريف إذا أمر بالقبض على رجل فليس عليه إلا أن يتقدم إليه ويقول له : « أنت أسيري الآن » . أما أنا الساعة ، فأعجز من عصفور ، وإن كانت قوة الحكومة كلها من ورائي تشد أزري .

وبعد ليلتين رأيت « الرجل الضئيل النحيل المهذب » ، يعمل في حلبة سباق الكلاب ، فتبعته بعد الفراغ من السباق إلى بيته ، وذهبت إليه في الصباح وهو يفطر مع زوجته ، وطلبت منه أن يسير معي ، فلم أكد أفعل حتى امتقع وجهه واغبرّ ، فلما أخذته إلى مبنى الحكومة قلت له غير موارب : « إنني أبحث مسألة ضريبة

الدخل لرجل يدعى ألفونس كابونى » .

فازداد وجهه شحوباً وغبرة ، ولكنه تمالك نفسه وقال : « انت مخطىء ياصاح ، فأنا لا أعرف آل كابونى » .

فوضعت يدى على كتفه وقلت : « لك أن تختار إحدى اثنتين ، فإذا أبيت أن تسايرنى، أرسلت فى أثرك إلى حلبة السباق محضراً يناديك باسمك ومعه أمر بالقبض عليك ، أفهمت يا لو . ومتى علمت العصابة أن الحكومة قد تبينت أمرك ومقرك ، فيغلب أن يفتكوا بك قبل أن تتمكن من أن تدلى بشهادة .

« فإذا كان هذا شيئاً لا يروقك، فقل لى كل ما تعرف ، أنبئنى بحقيقة هذه الدفاتر فقد كنت محاسب نادى « السفينة » ، وفى وسعك أن تبين حقيقة كل نبذة فى الدفاتر ، وفى وسعك أن تقول من كان رئيسك ، وأنا أتعهد لك أن أكتم السر حتى يوم المحاكمة ، وسوف نوفر لك الحراسة ليل نهار، وأضمن لك أيضاً أن لا تترمل زوجتك»

فارتعش لو كأنه وتر مشدود ، ثم سلم بما أريد ، فأخرجته خفية من فلوريدا وخبأته فى كاليفورنيا على بعد ثلاثة آلاف ميل .

بيد أنه كان لزاماً علينا أن نثبت أن هذا الدخل وصل حقاً إلى آل كابونى . فبحثنا بحثاً دقيقاً مستفيضاً جميع الصفقات المالية التى تمت فى منطقة كابونى بشيكاغو ، فتبينا فى آخر الأمر أن رجلا اسمه « ج. س . دنبار » قد حمل أكياساً ممتلئة بالنقد إلى « بنك بنكرت » وطلب فى مقابلها شيكا على البنك بمبلغ ٣٠٠,٠٠٠ ريال .

فقضيت مع الشرطى « نلز تسم » فى البحث عن « دنبار » وكان اسمه الحقيق « فريد ريز » حتى لحقنا به فى مدينة سان لويس . فبعثنا إليه برسالة مع فتى يسلمها إليه يداً بيد ، واستصدرنا أمراً بحضوره إلى المحكمة للشهادة ، فأزعجته الرسالة لأنها كانت أمراً من جماعة كابونى بأن يفر إلى بلاد المكسيك . وقد التزم الصمت فى أول الأمر ، ولكن بعد أن قضى أسبوعا فى حبس تكثر فيه الحشرات، وقد كان يكرهها ويخشاها ، استسلم لما نريد ، فقد رضى أن يبوح بما عنده إذا نحن أبعدناه عن هذه الحشرات . فسرنا به إلى شيكاغو حيث مثل أمام المحلفين فى سواد الليل البهيم : فأيدت شهادته أن أرباح نادى « السفينة » كان مالا دخل جيوب كابونى . ثم رحلته مع حرس من رجال الشرطة إلى جنوب أمريكا ليبقى هناك حتى تحتاج المحكمة إليه .

وفى خريف سنة ١٩٣١ جاءنى « إدى أوهار » قبل محاكمة كابونى بأسبوعين ، وقال : « إن رجال كابونى قد وضعوا كشفا

يحوى أسماء الناس الذين يحتمل أن ينتخب المحلفون منهم. وهم ماضون فى رشوتهم واحداً واحداً — فهم يعطون مالاً لمن يأخذ مالاً ، أو يعدون من يتطلع إلى منصب سياسى بأن يعينوه على الظفر به ، أو يهبون هبات إلى الكنائس ، أو يعمدون إلى العنف إذا تطلب الأمر .

وأعطانى إدى كشفاً بعشرة أسماء وعنواناتهم وقال : «هذه أسماء من الكشف الخاص بالمحلفين وأرقامها على الكشف من ٣٠ إلى ٣٩ » .

ذهبت فى صباح اليوم التالى مع النائب العام الأمريكى جورج جنسن إلى غرفة القاضى جيمس ولكرسون المعين للنظر فى قضية كابونى ، فما كدنا نلقى نظرنا عليه حتى شعرنا بالثقة به ، وقد خيل إلينا أنه ندٌّ لكابونى . وقد صدق إدى ، فالأسماء التى أعطانيها وافقت الأسماء المرقومة ٣٠ إلى ٣٩ فى كشف المحلفين ، ولكن ذلك لم يزعج القاضى ، بل قال مطمئناً : « هاتوا قضيتكم كما دبرتم ياسادة ، وأنا كفيل بما ينبغى » .

ويوم بدأت المحاكمة شققت طريقى شقاً فى زحام من المراسلين والمراسلات والمصورين ، ودخل آل كابونى قاعة المحكمة مرتدياً حلة كلون الخردل ، وجلس إلى مائدة محاميه على بضع أقدام منى ، وجلس قربه حارسه الأثير عنده — « فيل أندريا » ، ونظر أندريا إلى الجمع المحتشد نظرة الازدراء ، ثم أحاط رئيسه بعنايته وأصلح له كرسيه ، ورأى على كتفه خيطاً فرفعه مترفقاً فى رفعه.

فلما دخل القاضى ولكرسون فى ردائه الأسود خيل إلى أن كابونى يكاتم ضحكه من وراء وجهه المستدير ، فقد صار المحلفون أصدقاءه بالإغراء والإرهاب ، ولن يطول الوقت حتى يعيدوه إلى ما كان عليه — سيد مدينة شيكاغو .

ودعا القاضى إليه سكرتير المحكمة، وقال بلهجة هادئة حازمة : « أمام القاضى إدواردز قضية أخرى يبدأ نظرها اليوم ، فاذهب إلى غرفته وعد إلىَّ بجميع محلفيه، وخذ محلفى هذه الغرفة إليه » .

وقد حدث هذا التبديل دون ضجة أو اضطراب ، فامتقع وجه كابونى متأثراً بيأس المقامر الذى قامر بآخر مايملك — ثم خسر.

ومضت المحاكمة على سننها، وثبت الرجلان اللذان اعتمدت عليهما — شمواى وريز — فلم يتزعزعا ، مع أن كابونى وفيل أندريا كانا ينظران إليهما نظرات الحقد والتهديد.

وقد جعلت عينىَّ على أندريا ، فلما نهض ليتمطى قليلا فى أثناء استراحة المحكمة خيل إلى أن فى جيبه الخلفى الأيمن شيئاً بارزاً . ولكننى حدثت نفسى فقلت ليس فى الدنيا

مجرم يجرؤ على أن يدخل حرم المحكمة وفى جيبه مسدس . ورأيته يتمطى ، فأمرت أحد رجالى أن يبعث إليه من يقول له إن صحفيًّا يروم أن يراه ، وسرت فى أثره وهو خارج من المحكمة ، وسار به فريق من رجالى فى الرواق ، فلما صرنا أمام غرفة القاضى ولكرسون دفعته إليها وقلت :

« اعطنى المسدس ! » فأعطانيه .

« اعطنى الرصاص ! » فأخرج حفنة من الرصاص من جيبه .

وقطع القاضى ولكرسون المحاكمة ليحكم على أندريا بالسجن بستة أشهر لامتهانه المحكمة ، فلم يكد يفعل حتى زمجر كابونى : « ليس يهمنى ما يكون مصير أندريا ، فهو مغفل ، ولو حكم عليه بعشر سنوات لما عنيت بالأمر » .

فهذا دليل على أن كابونى أخذ ينهار .

وانتهت المحاكمة فى أواسط أكتوبر ، فلما عاد المحلفون من مشاورتهم أدركت أننا قد حزنا النصر .

فقال القاضى : « وبماذا حكمتم ياسادة ؟ »

فإذا الجواب : « مذنب » .

وإذا الجمهور المحتشد فى المحكمة قد أخذ يتفرق كما يتفرق النظارة بعد مشاهدة رواية تمثل ، وجعل الناس يهرعون — المخبرون والمحامون وغيرهم ، كلهم جعل يعدو ماعدا كابونى ، فقد تهالك على المائدة أمامه ، كأن هراوة قد هوت على أم رأسه .

فلما عدت إلى زوجتى صاحت : « لقد نلت نصراً مؤزراً ، وما خامرنى شك أبداً فى أنك أنت المنصور » . ثم تنهدت وقالت : « أفى وسعنا الآن أن نعود إلى بيتنا ؟ »



حصاد السنين

مات قاضى مشهور بحكمته وعدله حتى أحبه الناس حبًّا جمًّا ، فأرسل مريدوه والمعجبون به طاقات كثيرة من الزهر وضعت حول نعشه . وجاء زنجى شيخ ليحيى القاضى تحية الوداع الأخيرة ، فلقيه ابنه وقال : « انظر يا عم إلى هذه الأزهار الغضة الكثيرة التى بعث بها أصدقاء أبى » .

فقال الزنجى : « قضى أبوك أيام حياته يبذر البذور التى أنبتت هذه الأزهار » .

الضحك خير دواء

كانت الليلة قارصة البرد ، وكان الرجل الذى يقود السيارة مشهورا بضعف بصره ، ولكنه مضى فى قيادتها برغم الصقيع المتراكم على زجاج نوافذها . وقد تفادى الاصطدام مرة أو مرتين ولما يكد ، فترفق صاحبه فى الاقتراح عليه أن يزيلا الصقيع عن زجاج الحاجز الأمامى عسى أن يعينه ذلك على القيادة فقال: «وما نفع ذلك، وقد نسيت نظارتى فى البيت ؟ » .

منذ أسابيعْ ذهبت أرملة حسناء الى مدير مصنع يحفر فيه المرمر والرخام ، وطلبت منه أن يحفر لها العبارة التالية على تمثال صنعته لتنصبه على قبر زوجها: «ان حزنى على فقدك أعظم من أن أطيقه» . ثم عادت اليه منذ أيام فى ثوب العرس وطلبت منه أن يضيف فى آخر العبارة كلمة: «وحدى»

قرع البائع المتجول باب البيت ليعرض بضاعته على أهله ، ففتحت له حسناء سمراء، فحياها وهو يبتسم وقال: «أتأذنين لى أن أحدث زوجك؟» فقالت : « آسفة ، فقد رحل فى عمل ، ولن يعود قبل ثلاثة أسابيع» . فنظر البائع المتجول الى الفتاة الفاتنة وقال: «لا بأس، ففى وسعى أن أنتظر» .

قال المعلم : « الأرقام لا تكذب » وضرب على ذلك مثلا : « اذا كان فى وسع رجل أن يبنى بيتا فى اثنى عشر يوما ، ففى وسع اثنى عشر رجلا أن يبنوا بيتا فى يوم واحد » .

فعقب الطالب على قول معلمه : «واذن، ففى وسع ٢٨٨ رجلا أن يبنوا هذا البيت فى ساعة واحدة، وفى وسع ١٧٢٨٠ رجلا أن يبنوه فى دقيقة واحدة، وفى وسع ١٠٣٦٨٠٠ رجل أن يبنوه فى ثانية واحدة . أو خذ مثلا آخر . اذا كان فى وسع سفينة أن تعبر المحيط فى ستة أيام، ففى وسع ست سفن أن تعبره فى يوم واحد .

« الأرقام لا تكذب » .

« يخيل الى يا جون ، أنك متعب اليوم ، فما خبرك ؟ »

« خبرى يا صاحبى أننى لم أعد الى بيتى الا بعد أن أسفر الفجر، وكنت أخلع ثيابى حين استيقظت زوجتى وقالت : « ولم بكّرت فى النهوض من فراشك ياجون ؟» . وآثرت أن أتجنب مناقشتها فتظاهرت بأنى انما ألبس ثيابى ، وتركتها تغط فى نومها وجئت الى المكتب » .

هارلند مانشستر
مقتطفات من مجلة « العلم العام »

أنفضى بنا الطاقة الذرية إلى عصر حافل بالطاقة المحركة الرخيصة، فتغنينا عن الزيت والفحم ؟ إن طائفة كبيرة من الشركات معنية اليوم بمشروعات هذه الطاقة، مستعينة بطليعة العلماء والمهندسين . وينتظرون فى أمريكا أن تصير مصانع توليد الطاقة الذرية فى هانفورد وأوك ريدج متأهبة لتوليد الطاقة النافعة فى بحر سنة أو نحوها . والمشروع بسيط ، ففى الوسع تحويل الحرارة إلى قوة أو القوة إلى حرارة. ومصنع هانفورد يولد فى كل ساعة قدراً من الحرارة يعدل القدر الذى تظفر به من حرق ٧١٠٠ جالون من زيت الوقود ، أو ٣٨ طنًّا ونصف طن من الفحم .

ومن أعصى المشكلات التى تعترض الانتفاع بالطاقة الذرية، مشكلة صنع حواجز أقدر على حجب إشعاعاتها الخطرة المؤذية . فترى علماء نواة الذرة فى أرجاء الدنيا يبحثون عن حاجز أخف وزناً وأقل ضخامة من الحواجز الثقيلة المصنوعة من الرصاص أو الأبرق . وفى وسعنا أن نعكس إشعاعات الحرارة بلوح رقيق من الألومنيوم ، بدلا من أن ندع حواجز ضخمة تمتصها . وفى وسعنا أيضاً أن نحنى أشعة الضوء فى أنبوب مصنوع من اللوسيت فنردها إلى المصدر الذى صدرت عنه . وليس ثمة ريب فى أن العلماء لا يغفلون هذه الخواطر فى بحوثهم .

فإذا لم نظفر بالحواجز الخفيفة التى تحجب الإشعاع، ظل الانتفاع بالطاقة الذرية قاصراً على المصانع الثابتة التى تولد القوة المحركة ، وعلى السفن والقاطرات والصواريخ والطائرات التى تطير بغير قائد أو ملاح . ولم يقم دليل ما حتى اليوم ، على أن الطاقة الذرية ستكون من الناحية الاقتصادية أجدى كثيراً وأفضل من وسائل توليد القوة المعروفة الآن ، ولكنها قد تكون نعمة كبيرة فى مناطق لا تجد فيها فحماً أو قوة مائية محركة . وقد تيسر لحاملة طائرات أن تطوف حول الكرة مراراً دون أن تتوقف لكى تتزود بالوقود .

ولكن ينبغى لنا أن لا نتبع نهج الرجال الذين صنعوا السيارات الأولى ، يوم ركبوا على عربات الخيل محركات البنزين. ومحاولتنا أن ننتفع بالطاقة الذرية فى المحركات المألوفة اليوم ، هى من هذا القبيل . بل ينبغى أن تحول الطاقة الذرية تحويلا مباشراً إلى

قوة كهربائية ، دون أن تحوّل الطاقة الذرية أولا إلى حرارة . ويرى الدكتور ج . أ . هتشيسن ، أحد علماء معامل الأبحاث فى شركة وستنجهاوس، أنه قد يكون فى الوسع ابتكار أسلوب يتيح لنا أن ندسّ أقطابا فلزية فى كوم اليورانيوم ، فنستخرج بها قوة كهربائية ، كما نفعل فى بطارية .



كان توليد الطاقة الذرية حتى الآن قاصراً على تحطيم الذرّات الثقيـــلة فى عنصرى اليورانيوم ٢٣٥ والبـلوتونيوم ، ولكن الشمس تولد قوتها بإدماج ذرّات الإيدروجين الصغيرة بعضها فى بعض وتوليد ذرات الهليوم وهى أكبر منها . وقد يتيسر للإنسان أن يعرف كيف يصنع ما تصنعـه الشمس ، فتزداد القوة التى يولدها ألف مرة . أو قد يتمكن العلماء الذين يستطلعون سر الأشعة الكونية فى أمريكا وروسيا ، من أن يكشفوا حيلة لتفتيت ذرات الإيدروجين . وخليق بالناس أن لا يستهينوا بقول من يقول إنه قد يجىء يوم يستطيع فيه الناس أن ينجزوا عمل العالم كله بوساطة محركات تسير بالطاقة الذرية، وأن هذه المحركات سوف تكون من شتى الأحجام حتى تلائم كل عمل ، وأن مصدر قوتها سيكون العناصر الرخيصـــة الكثيرة فى الأرض .

لقد بلغت سرعة الطائرات مبلغاً هائلا، فصار الطيّـار كأنه مسمَّـر فى مقعده ، وصار لزاماً على شركات الطيران ، إذا أراد أحد الطيارين أن يهبط من الطائرة بمظلة ، أن ينسفوه نسفاً من مقعده بمادة متفجرة . وسوف يجىء يومٌ يجد فيه الناس أن زيادة سرعة الطائرات بين مكانين على سطح الأرض شىء لا جدوى فيه . فإذا كنت ذاهباً لحاجة مسافة ربع ميل ، وكانت سيّـارتك فى العادة تقطع خمسين ميلا فى الســاعة ، أفتحرص ساعتئذ على أن تزيد سرعتها إلى ثمانين ميلا ؟



يتوقع العلماء أن تهدم فى المستقبل غير البعيد أعمدة أسلاك التلغراف والتلفون فتباع حطباً للنار ، ويحلُّ محلّ التخاطب بأسلاك التلغراف والتلفون ، شبكة أو شبكات من الأمواج الدقيقة ، فينتفع فيها بأمواج لا يزيد طولها على بضع بوصات، فتحمل كلّ الرسائل التى تريد أن تحملها إياها، من أخبار وصور وإذاعات صافية ومحادثات تلفونية، وبرقيات، وصور ومشاهد ترى عن بعد (تلفزة) . وفى الولايات المتحدة اليوم شركات أربع تجرّب شبكات من هذا القبيل . أما أجهزة

الراديو للإذاعة وللالتقاط ، فسوف تبلغ من صغر الحجم مبلغا يجعلها شائعة فى الجيوب كأقلام الحبر .

ولنا أن نتوقع تقدماً عظيما فى التغذية . ومن أبرز الأسئلة فى هذا الباب : أيستطيع الناس الذين يفتقرون إلى البروتين أن يظفروا بشرائح «لحم» مصنوع من الخميرة ؟ أيكون فى وسعنا أن نغذى حيواناتنا بمواد بروتينيــة مصنوعة من نشارة الخشب ؟ أيظفر أبناؤنا أو حفدتنا بأسنان سليمة من الآفات بشرب ماء يحتوى على عنصر الفلور ؟

وعسى أن يكون أعظم هــدف يتوخى العلماء أن يدركوه ، هو مجاراتهم لفعــل التركيب الضــوئى الذى يتيح للنبات أن ينتفع بضوء الشمس فى تركيب السكر والنشا والبروتينات والدهن والشحم والسلولوس. فإذا أثمرت مباحث العلماء — من أمثال أوجين رابنوفتش فى جامعــة إلينوى — فقد يدخل البشر عصراً ذهبيًّا آيته وفرة الطعام لجميع الناس فى هذه الدنيا .



هل تعلم ؟

أن أعظم حكم بالإعدام فى التاريخ كان الحكم الذى وقعه فيليب ملك أسبانيا فى شهر فبراير سنة ١٥٦٨ ، فقد حكم فيــه بالإعدام على ثلاثة ملايين نفس — هم الشعب الهولندى كله يومئذ ! ؟

وأن أعظم حفلة زواج فى التاريخ تمّت فى ســنة ٣٢٣ ق . م فى مدينة سوسة فى بلاد فارس ، يوم عقد الإسكندر ذو القرنين زواج عشرة آلاف جندى من جيشه المقدونى على عشرة آلاف امرأة فارسية ؟

وأن أستاذاً فى جامعة هارفرد وعد بأن « يأكل قميصــه » إذا ثبت أنه أخطأ ، ففعل . فقد أخذ قميصهُ وأذابه فى حمض ، ثم عدّل الحمض بمادة قلويّــة ، ثم صفى السائل ، وأخذ المادة المترسبة فبسطها على كسرة خبز وأكلها ؟

شاب غامض الأصل ، يحب الحرية ، ناضل فرانكو
فى سـنة ١٩٣٧ نضالا عنيفاً ، ولا يزال يناضل

شعب يناضل عن حريته

ارفنج والاس

مراسل عاد من رحلة دامت ستة أشهر فى أوربة

مختصرة من صـحيفة « ذى كاثوليـك ورلد »

منذ بضعة أسابيع خلت ، اجتمع فى باريس ذات ليلة رئيس جمهورية أوزكادى ومعه عشرة من وزرائها ، وهم رجال خصصت مكافأة لمن يأتى برأس أحدهم حياً أو ميتاً . وقد جلس هؤلاء الرجال ساعات وهم يتناقشون بلسانهم الغريب . وأخيراً قام رجل منهم ، وأومأ بالتحية إلى رفاقه ، ثم انصرف . (جمهورية أوزكادى قسم من شمال أسبانيا الغربىّ يسكنه شعب الباسك) .

ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى كان هذا الرجل يمشى متنكراً فى ثياب صياد سمك ، ثم عرج على مقهى فى مدينة بلباو ، وهى أكبر مدينة فى إقليم الباسك فى شمال أسبانيا . ولم تلبث الحوادث بعدئذ حتى تعاقبت تعاقباً سريعاً عنيفاً .

لم يكد الناس يغادرون دور السينما فى آخر الليل حتى روّعهم صوت انفجار هائل ، فاندفعوا إلى الميدان الكبير حيث رأوا تمثال الجنرال مولا ، أحد قواد فرانكو ، قد أصبح ركاماً يتصاعد من جوانبه الدخان . ولما أصبح الصباح اجتمع هذا الجمهور نفسه ليشهد وهو مغتبط القلب ، ما يلقاه شرطة الفالانج الإسبانى من عناء وهم يحاولون إنزال علم من أعلام أعداء فرانكو ، وكان مرفوعاً على برج شامخ من أبراج إحدى الكنائس . ولم يكد يقبل الليل حتى سرهم ما سمعوا من أنباء عن قطار نسف غير بعيد من جسر فى جبال البرانس ، وكان القطار محملا بالجنود المرتزقة والذخائر .

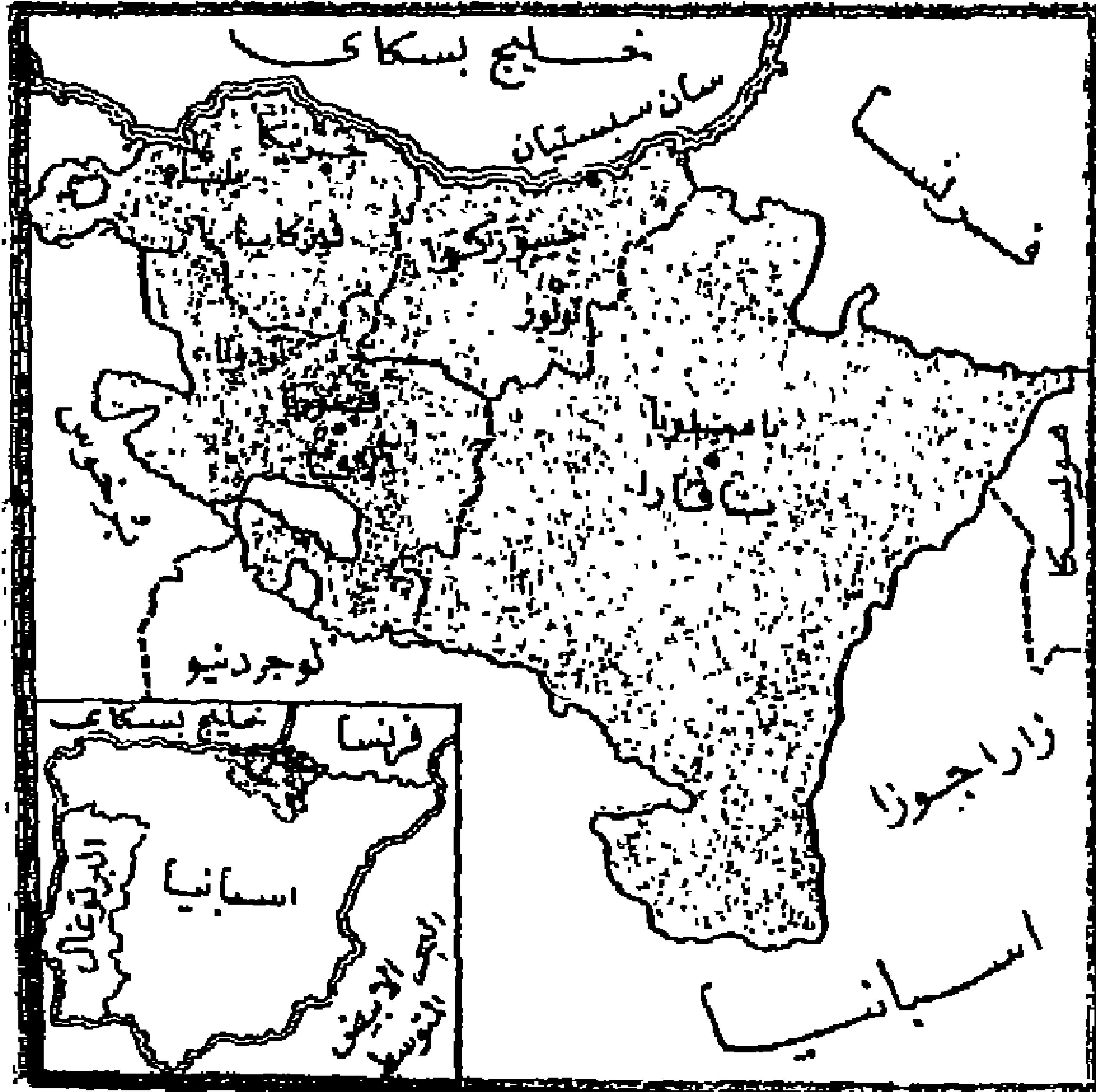
وبعد أيام قرأ رجال الباسك تفاصيل هذه الحوادث فى صحيفتهم التى ينشرونها كل نصف شهر ، وهم يطبعونها فى باريس وينقلونها إلى قلب أسبانيا حيث يتولى توزيعها خفية بعض باعة الصحف . فكذلك علم أهل الباسك المضطهدون أن حكومتهم المنتخبة انتخاباً ديمقراطياً ، والتى لم يروها منذ عشر سنوات ، لا تزال تبذل جهدها . وهذه الحكومة هى الرأس المدبرة لشئون جمهورية الباسك التى كادت تنسى هى وأهلها البالغ

عددهم ١٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة . وهى تعتمد فى ذلك على الهبات التى تتلقاها من رجال الباسك المقيمين فى أوريجون ويوتاه وكاليفورنيا وإيداهو بالولايات المتحدة ، ومن ثمانى جمهوريات فى أمريكا الجنوبية .

والباسك مسرفون فى الشراب ، مشهورون بعفة اللسان والورع ، وهم فلاحون وصيادو سمك، ولكنهم من أغمض أهل الأرض نسباً ، فهم ليسوا بأسبان ولا فرنسيين ولا ينتسبون إلى أى أصل معروف ، ولا يدرى أحد من أين أتوا ، ولم يهتد علماء الآثار إلى شىء يدل على أصلهم فيما عثروا عليه من أحجار أو تماثيل ، ولم يقف المؤرخون على شىء مدون من أخبارهم ، وأعيى علماء اللغات أن يعرفوا أصل لسانهم القديم. وأما عاداتهم قديمها وحديثها فهى عادات غير مألوفة تحير الألباب. وهم يكرهون الألقاب ، ويأبون أن يخاطبوا الغريب بلفظ التبجيل كالسيد مثلا . وأيام كان النبلاء وحدهم هم أصحاب الحق فى التمتع بالحرية الشخصية ، حل الباسك هذه الشكلة بأن أعلنوا أن الباسك جميعاً من النبلاء ،فكانوا يعدّون بيوتهم قلاعاً . وقد تمتعوا بحرية الفرد قبل أن يعرفها الإنجليز بقرنين كاملين.

وهم شعب متناقض فى حياته ، فهم جزء من إسبانيا ولكنهم يحتقرون الإسبان ، وتسعة وتسعون فى المئة منهم كاثوليك ولكنهم يحاربون فرانكو الكاثوليكى ، وهم حلفاء لأهل اليسار من الإسبان، ولكنهم يأبون أن يكون بينهم وبين هؤلاء صلة فيما وراء ذلك.

وقد ألف الباسك الحرية ، وعاشوا شعباً ديمقراطياً لا طبقات فيه منذ مئات السنين . وقد كانوا أحراراً حتى أخضعتهم الحكومة الملكية الإسبانية لسلطانها نحو قرن من الزمن . فلما كانت سنة ١٩٣٦ صوتت للحرية ثلاثة أقاليم من أقاليم الباسك ، فأصبحت مستقلة استقلالا ذاتياً ، وظلت هذه



الجمهورية العجيبة قائمة عشرة أشهر بالضبط .

ويومئذ جند الباسك جيشاً عدته ١٠٠،٠٠٠ مقاتل، وأسطولا فيه ٣٠٠٠ بحار يقودون سفناً حربية كانت فيما مضى من سفن الصيد، ورفعوا على جيشهم وأسطولهم علمهم المثلث الألوان من أبيض وأحمر وأخضر. وتولت هذه الجمهورية سك نقودها، وطبعت لنفسها كتباً لمدارسها، وتولت تدريب شرطتها، وأنشأت المدارس ، وسنت القوانين ، وحصلت الضرائب ، ولم يتركوا لمدريد سوى شئون الجمارك والشئون الخارجية .

ولما كان الباسك يملكون نحو ٦٩ فى المئة من مصانع المواد المتفجرة فى أسبانيا و ٥٣ فى المئة من أسطولها التجارى ، ويسيطرون على جانب عظيم من مناجم التعدين وأعمال البنوك ، فمن أجل ذلك غزاهم فرانكو بجيوشه . وقد عمد سلاح الطيران الألمانى إلى مدينتهم المقدسة جرنيكا فجعلها هدفاً يجرب فيه الضرب المركز بقنابل الطائرات ، فقتل من أهلها ٢٥٠٠ نسمة . وقد حارب الباسك حلفاء فرانكو الإيطاليين ، فلما حاصرتهم الفرقة الإيطالية وهم على صخرة مساحتها عشرة أميال مربعة قبلوا أن يسلموا على شريطة أن لا يلقى بهم فى قبضة الفلانج من شيعة فرانكو ، ولكن لم يمض يوم حتى سلمهم الإيطاليون إلى الفلانج.

وقد فر نحو ٢٠٠،٠٠٠ من الباسك ومعهم رئيس جمهوريتهم الذى لم يمض على انتخابه إلا قليل ، ورحلوا عن البلاد إلى الخارج ، وذهب معظمهم إلى فرنسا . ورئيس الجمهورية « أجير » رجل له وجه كوجه الصقر ، واسع المعرفة جم النشاط وهو الذى يجمع شمل هؤلاء الباسك .

ويشرف أجير على أعمال وزارتين: إحداهما حكومة المنفى وهى مؤلفة من سبعة من الوطنيين المحافظين، وثلاثة من الاشتراكيين المعتدلين ومعهم شيوعى واحد . والوزارة الأخرى هى وزارة المقاومة ، وهى تتولى العمل فى داخل إسبانيا منذ سنة واحدة . ورجال هذه الوزارة يسيرون سيرة مزدوجة ، فهم من جمهور أهل المدينة نهاراً ، فإذا أظل الليل صاروا من الدعاة والمخربين . وهم يتلقون الأوامر من باريس، فيوقدون بذلك الفتن والهياج فى شمال إسبانيا .

ففى شهر سبتمبر الماضى أقيم مهرجان بحرى فى سان سبستيان ، فإذا مئات من أخشاب طافية عليها أعلام الباسك تدخل ميناء المدينة ، وبذلك أوقعوا الفساد فى المهرجان. ومنذ دخل الصيف الماضى وأعلام الباسك لاتزال تظهر كل أسبوع مرفوعة على أبراج الكنائس . وقد أقيمت مباراة لبطولة كرة القدم ، فقبل أن تبدأ المباراة بساعتين إذا

بالملعب كله من طرف إلى طرف قد رسم عليه شعار الباسك . ويصبح الناس يوماً ، فإذا الصحف المهربة تغمر أقاليم الباسك ، وإذا محطات الإذاعة السرية تسخر من الزعيم فرانكو ، وإذا العمال يضربون وهم جلوس فى أماكنهم لا يعملون شيئاً .

والرجل من الباسك لا يخفى أنه يعد جاره الإسبانى إنساناً لئيماً دساساً حليف كسل ، ويعد نفسه إنساناً حراً مجاهداً طيب السريرة كريم الطباع شديد البأس وفياً بعهده ، حتى إنه ليأبى أن يكتب عقداً ويوقع عليه ، ويرى أن وعده بلسانه هو الميثاق الذى لاينفصم . وقلما يتعدى الرجل منهم حدود القانون ، فإذا تعدّاها كان عقابه عقاباً غليظاً . وهو يحمى ما يملكه ويعتز به ، فإذا قطع له أحد إحدى شجرات فواكهه أو أتلف له طاحونة، فربما أصرّ على أن يكون الإعدام عقوبة هذا المعتدى .

وحب الرجل منهم لملكه وقريشه هو الذى جعله عدوّا لدوداً للشيوعية . وأهل الباسك لايدفعون ضريبة عن الماء والملح والطعام، ويعجبون أشد العجب حين يعلمون أن هذه «الحقوق المؤبّدة» خاضعة للضريبة فى البلاد الأخرى . وهم لاعهد لهم بحرب الطبقات، إذ لم تكن عندهم طبقات قط . وهم يعدون أنفسهم من الرأسماليين، فلايصيخون لشىء من حجج الشيوعيين أو الفوضويين.

ويلقى الباسك اليوم لدى بعض الدوائر نقداً شديداً لأنهم يتعاونون مع أهل اليسار من الجمهوريين الإسبانيين، ويصرح الرئيس أجير فى صدد الدفاع عن حكومته وعن شعبه المضطهد بأن الباسك والجمهوريين حليفان ، ولكنهما متباينان أشد التباين . وهو يقرر أنه لا يكنّ لحلفائه هؤلاء ودّا خالصاً ، لأن مذهبهم السياسى لا يطابق مذهب كنيسته ، وأنه إنما يعاونهم لأنهم هم حكومة إسبانيا الدستورية المنتخبة انتخاباً صحيحاً ، ولأن عدوهم عدو له هو أيضاً .

وماذا يكون مصير الباسك الكاثوليك المحافظين الذين يريدون الانفصال بشئون أقاليمهم ، إذا قامت بعد سقوط فرانكو حكومة جمهورية إسبانية تكون مناهضة للكنيسة وضالعة مع أهل اليسار ؟ لقد جرت بينى وبين زعماء الباسك أحاديث ، فعلمت منها أن الجمهوريين قد أعطوهم عهداً وميثاقاً إذا ناصروهم فى قتال فرانكو ، وهذا هو الميثاق :

يوم تسقط حكومة فرانكو يستردّ الباسك استقلالهم الذاتى الذى كان لهم فى سنة ١٩٣٦ ، فيعودون مرّة أخرى أحراراً يحكمون أنفسهم بأنفسهم ، متمتعين بحرية الصحافة وحرية الدين ، ولا يكون لمدريد

سلطان عليهم إلا في الشئون الخارجية وشئون الجمارك ، وبعض شئون أخرى لا خطر لها .

يقول الرئيس أجير : « لما عزمت بريطانيا على سحب سفيرها من إسبانيا ، قابلت الدكتور جوزيه جيرال الذي كان زعيم الجمهوريين ومعه رجل بريطاني معروف من الدبلوماسيين . وقد طلب منا السياسي البريطاني أن نبدي آراءنا بصراحة في أمر إقصاء فرانكو ، فكان جواب الدكتور جيرال أننا لا نريد حرباً أهلية ولا سفك دماء، بل نريد أن تفرض العقوبات الاقتصادية حتى يخرج فرانكو ، وتؤلف حكومة ائتلافية من الأحزاب المنفية، ونريد أن نتمتع بحرية الكلام وحرية الصحافة والنظام. ثم نريد بعد ذلك أن تجرى انتخابات عامة لا يكون لروسيا ولا بريطانيا إشراف عليها ، بل تشرف عليها طائفة من الأمم التي لا مصالح لها في بلادنا ، أو تشرف عليها هيئة الأمم المتحدة نفسها » . وقد أيدت الدكتور فيما قال .

« فمن أجل ما نريده من رفع الظلم والاضطهاد ، ومن أجل أن نظفر بالحرية في أرض حرة خالصة لأهل الباسك، آثرنا أن نربط سياستنا بسياسة الجمهوريين . أما في غير ذلك من الشئون كالإدارة والمقاومة، والإصلاح ، والعادات ، وأسلوب الحياة ، فجمهورية أوزكادى تنبرى للجهاد في سبيل ذلك كله بمفردها غير مستعينة بأحد » .

الرد الرفيق

كانت مدام دوستايل الفرنسية من أذكى نساء عصرها ، ولكنها لم تكن على حظ يذكر من الحسن ، بل كانت دميمة . وكان كبار عصرها يفدون على «صالونها» ، ففي أحد الأيام دخلت « الصالون » سيدة كان جمالها رائعاً ، فهجر الرجال جميعاً ــ ماعدا واحداً ــ مدام دوستايل ليستقبلوا السيدة الفاتنة . فالتفتت مدام دوستايل إلى الرجل الذي ظل جالساً إليها ، وقالت وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة : « قل لي بربك يا أمير ، ولا تخش الصراحة ، لو كنت أنت وأنا وهذه الحسناء في زورق وهبت عاصفة وانقلب الزورق ، فأي المرأتين تنقذ ، أتنقذ الحسناء أم تنقذني ؟ »

فانحنى الأمير وقال : « سيدتي ، إنك تحسنين السباحة »

هكذا ينبغى ان توثق الأواصر بين الشعوب

لويس ماتوكس ميلر
مختصرة من مجلة ((هايجيا))

فرر الجراحون السلوڤاك أن حالة طبيب الأطفال الشاب" لاترجى ، فقد كان يشكو علة خطيرة فى الكليتين تستدعى جراحة عاجلة ، ولكنه كان يعانى أيضاً مرض النزف الوراثى — هيموفيليا — فخشى الجراحون السلوڤاك أن تكون عاقبة الجراحة موتاً محققاً .

وفى ذلك الوقت من الصيف الماضى ، كانت بعثة طبية مؤلفة من أربعة عشر طبيباً أمريكياً من المتخصصين تجوب أنحاء تشيكوسلوڤاكيا، وتيسر لرجال الطب الذين نهكتهم الحرب أسباب العلم بالعقاقير الجديدة، وبأساليب الجراحة التى استحدثت فى الولايات المتحدة خلال الأعوام الستة التى قضتها تشيكوسلوڤاكيا مبتوتة الصلة بسائر العالم أيام الحكم النازى . فسئل هؤلاء الأساتذة أفى وسعهم أن يسدوا عوناً ما إلى هذا الطبيب الشاب ؟

فكان ردهم قولا أذهل الجراحين السلوڤاك، فقد عزم الأمريكيون أن يقوموا بالجراحة دون أن يخشوا عواقبها . ذلك بأن المواد الجديدة التى تمنع النزف قد أتاحت لهم أن يمنعوا النزف لساعته، وإن كان نزف رجل مصاب بالهيموفيليا .

وهذا الأسلوب الجديد فى الجراحة الذى أنقذ حياة الطبيب الشاب ، ليس سوى أسلوب واحد جديد جاءت به البعثة الطبية الأمريكية إلى تشيكوسلوفاكيا ، وأتاحته لأطبائها فى أثناء زيارتها التى استغرقت شهرين كاملين . وقد تتبع أهل البلاد أنباء حالة الطبيب وغيرها فى صحفهم كما يتتبع الهواة أنباء مباراة رياضية. وكان الصحفيون والمصورون يسيرون فى أثر الأطباء الزوار أينما ذهبوا ، فينقلون أخبارهم إلى الشعب . ولم يقتصر عمل البعثة على نقل أحدث أنباء الطب إلى أطباء تشيكوسلوفاكيا المجاهدين

الكرام ، وإلهاب شعلة الحماسة فى صدورهم ، بل لمس عملها وترا حساسا فى قلوب الأمة التشيكوسلوفاكية كلها. فلما آن أوان رحيلهم كتبت إحدى صحف العمال مقال وداع جاء فيــه : « هكذا ينبغى أن تكون الأواصر بين الشعوب » .

نشأت هذه «الجامعة الطوافة» الفريدة من إيمان جماعة تعتقد أن خدمة الإنسانية خير من كل دعوة إلى مذهب من المذاهب. ففى أواخر سنة ١٩٤٥ عاد الدكتور موريس فيشر بفكرة جريئة من إيطاليا، حيث كلف أن يدرس مشكلة سوء التغذية . فقد وجد أن الأساليب المتبعة فى أوربة لإغاثة أهلها وإعانتهم على النهوض، يعوزها شيء جوهرى لا غنى عنـه . فالأغذية والثياب والعقاقير وأدوات الجراحــة ليست كافية وحــدها لتحقيق الغرض ، ولا بد من الاستعانة بأهل الخبرة والتجربة من الأطباء. والمناطق التى نالها دمار الحرب كانت أمسّ المناطق حاجة إلى الأطباء .

خـذ تشيكوسلوفاكيا مثـلا : أغلق النازيوّن المدارس الطبية جميعاً بين سنة ١٩٣٩ وسنة ١٩٤٥ ،واضطهدوا الأطباء، وأقاموا سدًّا بينهم و بين سائر العالم . فكان رأى الدكتور فيشر أن إرسال العقاقير والأدوات الطبية الجـديدة إلى الأطباء البواسل الذين نجوا، عمل لا يجدى جدوى كبيرة ، لأن هؤلاء الأطباء لا يعرفون كيف ينتفعون بهـا . فتعليم الطب أولى بالتقديم فى هذه الأصقاع .

كيف السبيل إلى ذلك؟ قرّ رأى الجماعة التى أوفدت الدكتور فيشر أن تعد بعثة لهذا الغرض ، والتمست العون من الدكتور إروين كون ، وهو طبيب أمريكى المولد تشيكوسلوفاكى الأصل ، وقد درس فى جامعة براج ونال إجازتها الطبية ، وكان طبيباً فى الجيش الأمريكى فى الحرب العالمية الثانية .

كان مطلب الدكتور كون الأول ، أن تؤلف البعثة من أطباء مشهود لهم فى فروع الطب التى توفروا عليها . ولكن أيمكن أن تستغنى عن هؤلاء الأعلام مدارسهم المرهقة التى يدرسون فيها والعيادات الغاصة بالقصاد ؟ واتفق الرأى على تذليل العقبة بإيفاد البعثة فى الصيف خلال الإجازة ، على أن يعودوا قبل استئناف الدراسة فى الخريف .

وقد أحاطت الشكوك بالمشروع فى أول الأمر ، ولكن التحمس للفكرة ذلل العقبات ، وعين الدكتور بول هوايت المختص بأمراض القلب فى جامعة هارفرد رئيساً للبعثة ، وأغرى كثيرين من أصحاب

الأسماء اللامعة فى الطب بقبول الانضمام إليها للتعليم ، وكان بينهم برنشويج من جامعة شيكاغو ، ودافيدوف من جامعة كولمبيا ، وروفنستين وماك لود وهولت من جامعة نيويورك ، وبلاس من جامعة أيوا ، وكراير وأوب من جامعة هارفرد .

وقد أعد كل متخصص من هؤلاء الأساتذة الأدوات الخاصة بفرعه والعقاقير والصور ، وما استطاع أن يحمله معه من الكتب والمجلات الطبية — التى لا تقوَّم بمال فى تشيكوسلوفاكيا .

وقامت عقبة فى وجه البعثة يوم تبينوا أن جهاز تخثير الدم بالكهرباء الذى يستعمله دافيدوف فى حقن النزف من الأوعية الدقيقة فى جراحة الأعصاب، لا يتيسر له أن يدور بالتيار الكهربائى المستعمل فى تشيكوسلوفاكيا . فاستفتى الشركة التى تصنع الجهاز ، فعلم أن إعداد جهاز جديد يصلح للانتفاع به فى هذه الحالة يستغرق عادة أربعة عشر شهراً ، ولكن الشركة وعدت بإعداده قبل إبحار البعثة .

وقد اجتمع شمل أطباء البعثة فى براج فى ٣ يوليو ١٩٤٦ . وكان الدكتور كون قد نظم له جدول الطواف والتدريس أدق تنظيم ، وجعل بين المحاضرات فترات من الوقت لزيارة المرضى فى عنابر المستشفيات، وللفحص وإجراء الجراحات . فإذا بقى شىء من الفراغ فقد وقفه على المناقشة مع الأطباء التشيك المتلهفين على كل جديد فى صناعتهم .

وكانت كل حالة يختارها الزوار للفحص والعلاج ، تمثل مبدأ جديداً أو أسلوباً جديداً فى الطب لا يعرفه الأطباء التشيك . وقد فحص الدكتور برنشويج وهو يطوف عنابر المرضى ، امرأة تعانى قروحاً مستعصية فى الأمعاء ، ولو عولجت بالجراحة لوجب أن يستأصل الجراح أوراماً متشعبة ، وأن يقطع جزءا من الأمعاء ، وأن ينشىء لها معدة جديدة . وإذا الدكتور برنشويج يلتفت إلى الدكتور إمرى روفنستين العالم المشهور بالتخدير ويسأله: «أنقوم بالجراحة؟» فذهل الأطباء التشيك ساعة سمعوا السؤال مستغربين أن يكون للتخدير أستاذ خطير .

وقد لاحظوا خلال الجراحة أن الجراح كان يتلقى الإشارة تلو الإشارة من الطبيب القائم على التخدير : أأنت مستعد ؟ أنمضى؟ أنقف لنقل الدم ؟ وكذلك تلقى الأطباء التشيك على صورة رائعة مبدأ جديداً من مبادىء الجراحة، ثم توسع الزوار فى بسطه لهم فى محاضراتهم . وخلاصة هذا المبدأ : أن الطبيب المخدر هو الذى يقدر هل يمكن القيام بالجراحة أو لا يمكن ، فالجراحة تنفذ

حياة المريض ، ولـكن التخدير الصحيح هو الذى يعين المريض على احتمالها .

وكان الدكتور دافيدوف خلال ذلك يشرح أصول جراحة الأعصاب ، وهى نوع من التخصص فى الجراحة لم يعره الأطباء التشيك حقه من العناية والتقـدير . فالجراحات الدقيقة فى المخ كانت نادرة ، ولا يتولاها إلا بعض شيوخ الجراحـين ، أماجراحات الأعصاب الدقيقة فكانت أندر. وقد رأى الأطباء الشبان من أهل تشيكوسلوفاكيا الدكتور دافيدوف يجرى هذه الجراحات، فتبينوا التقدم العظيم الذى يتيحه الانتفاع بالجهاز الكهربائى لتخثير الدم ، وبمشتقات الدم — مثل الفبرين والترومبين — التى تقف النزف على التو . فلما رأوا ذلك أخذتهم حماسة لا توصف .

وعرض عليهم الدكتور جيمس طمسن المنشار الكهربائى الدوار الذى لم يقع عليه من قبل نظر طبيب من أطباء العظام فى تلك البلاد ، وبين لهم كيف يستعملون صفائح الفيتاليـوم والمسامير الدوارة فى علاج الكسور — وقد كانت هذه المواد مكدسة فى مخازن هيئة الإغاثة والتعمير ، ولـكن أطباء البلاد لم ينتفعوا بها ، لأنهم كانوا يجهلون كيف يكون الانتفاع بها .

وأعيد تنظيم الطرق المتبعة فى عيادات الأطباء فى علاج الأمراض المعدية ، والانتفاع بوسائل التحصين ، واستعمال العقاقير . وقد هال الأطباء الزوار فى أول الأمر ، مارأوه من سوء استعمال عقاقير السلفا والبنسلين، ثم تذكروا أن هذا العلاج الكيميائى إنما خطا إلى الأمام أيام كان الظـلام يرين على تشيكوسلوفاكيا فى عهد الحكم النازى .

ولما كان العلاج بالبنسلين ميداناً واسعا متشعباً، فقد كان لزاماً على الزوار أن يقصوا قصته على منوال مختصر رائع . فابتكروا طريقة بارعة ، وصاروا إذا حلوا فى بلد ما يلقى كل طبيب حديثاً مختصراً لايستغرق أكثر من خمس دقائق ، فيصف العـلاج بالبنسلين من ناحية اختصاصه هو،ثم يطلب من الأطباء المستمعين أن يوجهوا إلى أى طبيب من الزوار مايروقه أو مايهمه من الأسئلة .

عاد الأساتذة الزوار إلى براج فى أواخر أغسطس ، وقد بلغ منهم النصب والإعياء . فقد قطعوا فى شهرين أو أقل ٢٣٧٥ ميلا كان أكثرها فى سـيارات بالية ، وألقوا ٢٢٦ محاضرة ، وعقـدوا ٩٣ مؤتمراً ، وطافوا فى ١٥٩ عنبراً من عنابر المرضى ، وأجروا ٢٨ جراحة . ولـكن نجاح البعثة سرى مسرى الكهرباء ، ولم ينحصر فى الأطبـاء بل جاوزهم إلى الشعب ، فكان

الناس يحيون الأطباء بأسمائهم فى الشوارع وأسواق القرى ، ويعربون لهم عن الشكر وعرفان الجميل .

وقد أدرك الأطباء الزوار قبل رحيلهم أنهم قضوا على تقليد متبع فى تعليم الطب فى تشيكوسلوفاكيا. فقد كان أساتذة الطب هناك مقيدين بما أخذوه عن الألمان من الاهتمام بالتعليم النظرى ، وإهمال العمل بين المرضى فى العيادات والمستشفيات — وهو الأسلوب الذى يدعو إليه الأطباء فى العصر الحديث — وكان الأستاذ التشيكى لايزال، كما كان أسلافه من قبل، يلقى محاضرته من منبر ، ثم يختفى فى مكتبه لايجرؤ أحد على أن يدنو منــه ، ولكنّ الأساتذة الزوّار دأبوا على تقريب الأطباء التشيك منهم فى المنابر والعيادات وغرف الجراحة، وأغروهم بالسؤال واستدرجوهم إليه . ورأى بعض الشيوخ من الأساتذة التشيك ماحدث ، فهزوا رؤوسهم متشككين فى نفعه ، فهذه الصلة الوثيقة بين الأستاذ والطالب ليست شيئاً معقولاً ، ولكن أكثر الأطبــاء أعجب بما رأى ووافق عليــه .

إن تنقيح برنامج دراسة الطب فى تشيكوسلوفاكيا على هذه الأصول خليق أن يكون ذا شأن عظيم فى المستقبل . ويرى الدكتور أوب أنْ ليس مايمنع تشيكوسلوفاكيا أن تصير مركزاً عظيما لتعليم الطب فى أوربة، فألمانيا والنمسا لن يتاح لهما ذلك قبل سنين كثيرة ، فينبغى لدولة فتيّة نزاعة إلى التقدم أن تتولى عنهما هذه المهمة .

وقد بلغ عــدد الأطباء التشيك الذين طلبوا أن يلتحقوا بالجامعات والمستشفيات الأمريكية مبلغاً يفوق ما تتســع له هذه المعاهد . ولكن الكتب والمجلات الطبية أخذت تتدفق على تشيكوسلافاكيا . وهيئة الصحة التابعة للأمم المتحدة قد أغرت الجماعة التى نظمت هذه البعثة، بتنظيم بعثات أخرى على مثالها توفد هذه السنة إلى النمسا والمجر. وتحقيق هذا الغرض صار اليوم ممكناً ، فإن أطباء تشيكوسلوفاكيا قد جعلوا الشرارة التى خلفتهـا البعثة الطبية فى أرضهم لهباً متوهجاً.

فى أواسط القرن الثامن عشر كشف لينيوس العالم النبــاتى السويدى سرَّ التناسل فى النبات ، فصدم رأيُـهُ أهل الدين المسيحى صدمة قوية ، فمنعت مؤلفاته من طائفــة كبيرة من البلدان الأوربية .

« هـذا رجل جبّار غيّرت آراؤه ومخترعاته وجه الحضـارة ، وعسى أن تثبت الأوراق التى خلّفها أنه لم يقل كلمته الأخيرة بعد »

عبقرى غريب :

نيقـولا تسـلا

هارلند مانشستر

مختصرة من صحيفة «بلتيمور سنداى سن»

منذ ثلاث وستين سنة نزل مدينة نيويورك شابٌ صربى مديد القـامة مرهف الملامح ، اسمـه نيقولا تسلا ، ولم يكن فى جيبه سوى قرشٍ واحدٍ ورسالة إلى المخترع إديسون ، بيد أنه كان يحمل فى ذهنه ذخيرة لا تقوَّم بمـال — رأياً لا عهد للناس بمثله من قبل فى طريقة نقل الكهربائيـة ، فقدِّر لهذا الرأى أن يجعل الحضارة الصناعية اليوم شيئاً ممكناً .

وكان عمل تسلا الأول فى مصنع توليد القوة الكهربائية الذى أنشأه إديسون منذ سـنتين لإضاءة بضع مئات من المبانى فى نيويورك . وكان هذا المصنع كسائر المصانع فى ذلك العهد ، يولد تيّاراً مباشراً يمكن إرسـاله مسافة قصيرة وحسب . وقد رحل تسلا إلى أمريكا راجياً أن يدخل فيها اختراعه الجديد ، الذى صار شيئاً مألوفاً فى أيامنا ، ولـكنه كان يومئذ شيئاً جديداً كل الجدّة لا عهد للناس به . وكان هـذا الاختراع محرِّكاً يسير بالتيار المتردد الذى يسهِّل نقل التيار مسافة طويلة بنفقة معقولة .

ولو لم يطلع تسلا على الناس بهذا الاختراع لشق عليهم أن يظفروا بالشبكات الكهربائية العظيمة التى تمتدُّ خطوطها فوق الآكام والوهاد ، ولظلت المدينة الكبيرة فى حاجة إلى مئات من مصانع توليد القوة الكهربائية، ولظلّ عـدد البيوت التى تستمتع بهذه القوة قليلاً .

ولد تسلا فى قرية سميلجان فى يوغسلافيا سنة ١٨٥٦ ، وكان الصبىُّ منذ طفولته متوقد الذهن سابقاً للداته، وكان إذا حرص أبوه على تخبئة الشموع ليمنع فتاهُ من القراءة طول الليل ، يصنع قالباً يفرغ فيه الشمع حول فتيل ، ثم يقرأ على ضوئه . وكان يطوِّف فى الجبال وهو يتمثل فى ذهنـه « مخترعات » ، كمثل أنبوب طويل يمدُّ

تحت المحيط الأطلسى لنقل البريد .

وقد تناوبت الأمراض على تسلا غير مرة فى حداثته ، فأقنع أباه بعد أحد الأمراض التى أصيب بها أن يعفيه من الانتظام فى سلك رجال الكنيسة كما كان يريده أن يفعل ، وأن يأذن له متى تم له البرء أن يلتحق بمدرسة للهندسة . وكذلك أرسل تسلا يوم كان فى التاسعة عشرة من عمره ، إلى مدرسة صناعية فى مدينة جراتز بالنمسا ، ففتنه ما رأى ساعة عرض أحد الأساتذة على الطلاب محركا يسير بالتيار الكهربائى المباشر ، وكان قد جاءه من باريس ، ولكن الفُرَش فى المحرك كانت تحدث شرراً كثيراً .

فقال تسلا فى شىء من التطاول : إنه فى الوسع أن يصنع المحرك بغير فُرش بين الجزء المركزى الدوّار فى المحرك ، والأقطاب الخارجية الثابتة ، وذلك لكى يمنع الاتصال المباشر .

وقال تسلا متحمساً : إن هذا المحرك الذى وصف لا يولد شرراً ، ويكون أهون تسييراً ، ويمكن تسييره بتيار « متردّد » من الكهرباء .

فصاح به الأستاذ : « هذه فكرة مستحيلة » ، وكانت جميع كتب الدراسة يومئذ تؤيد رأى الأستاذ . ولكن تسلا كان مستيقناً من صدق رأيه ، وقد ظل ست سنوات يختزن فى ذاكرته العجيبة صور التفاصيل المختلفة التى تدخل فى بناءِ المحرك الذى يتصورهُ ويريده .

وقد كفّ عن طلب العلم فى جامعة براج بعد سنة من دخولها ، لأنه أحسّ أن أبويه يضحيان بشىء كثير من أجل دراسته ، ونال عملا فى شركة التلفون فى بودابست عاصمة هنغاريا ، ولكنه كان ينفق كل دقيقة من وقت فراغه على إتقان محركه . فأفضى به المجهود المتصل ليل نهار إلى إعياءِ أعصابهِ وانهيار صحته ، بل صار يشكو من أنه يسمع طقطقة قوية إذا ما حطّ الذباب على المائدة أمامهُ .

ومن حسن حظه أن تولى أمرهُ صديق لهُ ، ففرض عليه أن يستريح وأن يتريض حتى استرد عافيته . وكانا ذات يوم يتمشيان فى الحديقة العامة ، فإذا تسلا يصيح : « لقد وجدتها » ، فقد تمّ له فى آخر الأمر تصوُّر محركه على أتم وجهٍ وأكمله ، ورفع عوداً عن الأرض ورسم به رسماً سريعاً على الرمل ، وقد ظل يطوف حول هذا المحرك المرسوم نصف ساعة « يسيّره » ويقفه عن السير ، ثم يسيره مرة أخرى ، والناس يمرون به ويحدّقون إليه عجباً وتساؤلاً . وقد تمكن من أن يبتكر طريقة تتيح له أن يرسل موجة من تيار متردد فى لفة من السلك حول

طبلة المحرك المستديرة، فيصير الحقل المغنطيسي دائم الدوران ، فيجذب الطبـــلة معه في دورانه .

وقد أضاف إلى هـذه الدورة موجة ثانيـة من تيار متردد لا تجاري الأولى في حركتها ، ثم أضـاف موجة ثالثة ، فكأنه كان يزيد عدد الأسطوانات في محرّك ما زيادة مطردة . فكان هذا الرسم هو مبدأ طريقة نقل التيـار الكهربائي التي توصف بكلمة « بوليفاز »، وهي ذات شأن لا غنى عنه في عصر الصناعة الحديثة .

وقد صنع تسلا المحرّك الذي تصوّره وحلم به فلم يدهشه أن يراه محرّكا صالحاً .

فلما لم يجد من يؤازره من أصحاب المال في أوربة ، شدّ رحاله إلى أمريكا ومعه رسالة إلى إديسون من مهندس أمريكي كان قد لقيه. فلما خرج من بيته مهرولاً إلى القطار الذي يقله إلى الميناء ، أدركه في الدقيقة الأخيرة ، ولكنه تبين أن تذاكر السفر قد سرقت منه، وسرق ماله أيضاً ، فلم يثنه ذلك عن عزمه ، فوثب إلى القطار ، وسافر إلى أمريكا مستعيناً بحسن حديثه وذلاقة لسانه .

رأى إديسون هذا الفتى الوسيم الخفيف المترفع الذي لا تكفّ يداه عن الحركة ، فأمسك في أول الأمر عن السكون إليه ، وحرص على أن يعهد إليه بأعمال تقتضي منه أن تتسـخ يداه وأن يلطخهما الشحم والزيت ، ولكن نشاط تسلا الزاخر وذكاءه اللامع انتصرا في آخر الأمر، فسلم إديسون على تردّد بأن الفتى الطارئ « رجل ممتاز ».

وقد طلب تسلا أن تسجل له سلسـلة من المخترعات وظفر بما طلب . وبعد سنة أو نحوها أنشأ لنفسه معملا يصنع فيه محركاته القائمة على مبـــدأ « التأثير الكهربائي » . وفي سنة ١٨٨٨ تلا رسالة في معهد المهندسين الكهربائيين الأمريكيين كان لها دويّ شديد ، ولم يكد يجد أحداً يشاركه الرأي بأن « التيـار المتردّد » هو سرّ التقـدّم في الانتفاع بالقوة الكهربائيـــة . ولم يشذ على هذا الإجماع سوى جورج وستنجهاوس، فاشترى حقوق المخترعات التي سجلها تسلا، وعهد إلى تسـلا في الإشراف على صنع

المحركات الجديدة ، والمولدات الجديدة اللازمة لتوليد التيّار المتردد .

وكان أهل الصناعة فى تلك الأيام يرتابون أشد الارتياب فى التيار المتردد لشدة ارتفاع الضغط الكهربائى الذى يولده . وحاول إديسون أن يحمل المجلس التشريعى على أن يسنّ قانوناً يحرم استعماله ، وأشار غيره إلى أن هذا التيار هو التيار الذى يستعمل فى الكرسى الكهربائى للإعدام ، وأن إرساله على أسلاك يصبح خطراً عامًّا . فرد عليهم تسلا ردًّا رائعاً ، إذ عرض بدنه لتيار متردد قوته مليون ڤولت . وحقيقة الأمر أن قوة التيار لم يكن لها شأن فى حسم التجربة ، لأن تسلا استعمل فيها تياراً عالى التردد إلى درجة عظيمة ، فلم يسبب له ألما ، ولكن التجربة كلها كان عرضاً رائعاً .

وقد نال تسلا انتصاره العظيم الأول على مرأى من الناس سنة ١٨٩٣ ، يوم استعمل اثنى عشر محركا من محركاته ليضىء ٩٠ ألف مصباح فى معرض شيكاغو ، فكان ضياء باهراً . فلم تكد تمضى ثلاث سنوات حتى أُفحم معارضو التيار المتردد يوم أضيئت المصابيح فى مدينة بفالو ، وكان التيار الذى أضاءها قد جاء من المولدات الضخمة الجديدة التى ركبها تسلا عند شلالات نياجرا ، وهى تبعد ٢٢ ميلا عن بفالو

لم يطل مقام تسلا مع وستنجهاوس ، فقد آل إليه مال غير قليل من بيع مخترعاته المسجلة ، فأقدم على مشروعات كثيرة فى معمله الذى أنشأه فى نيويورك . وكان قد قهر مواطن الضعف فى بدنه بالرياضة الدقيقة ، وصار الآن يلتزم فى حياته ومعيشته نظاماً صارماً ، بل ذهب به الوهم إلى أن مضغ اللبان يؤذى صحته . وكان يستريب بالنساء ويتجنبهنّ ، ويتطلع إلى عهد يصير فيه العمال قوماً قد نفيت من حياتهم نوازع الجنس ، فلا يستمدون النشاط والقوة إلا من حبهم للعمل الذى يؤدونه .

ولم يكن له سوى نزوة واحدة يستسلم إليها ، فقد كان يذهب فى الساعة الثامنة من كل ليلة لابساً ثياب السهرة إلى مطعم دلمونيكو أو فندق والدورف القديم . فكان رئيس النُدُل يسير بهذا الرجل المديد المترفع إلى مائدته الخاصة فيجلس إليها ، وإلى جنب صحنه كوم من فوط المائدة ، وإذا به ينظف كل أدوات الطعام بهذه الفوط ، ورئيس النُدُل ينظر إليه ويغالب نفسه على رباطة جأشه . وكان إذا دعا ضيوفاً إلى العشاء نظف لهم جميع أدوات المائدة أيضاً . وكان يأمر بطعام شهى يطبخ وفقاً لطرائق خاصة به ، وبألوان من النبيذ المعتق . فإذا دقت الساعة العاشرة نهض ومضى إلى

معمله ليقضى ليله فى البحث والتجربة .

وقد كان تسلا كمثل ليوناردو ده فنشى، واسع الاطلاع ، شديد الاهتمام بضروب شتى من المعرفة ، وكان رائداً فى ميادين من العلم تجلّ عن الحصر ، ينتقل من ميـدان إلى ميدان ، وكان قليل الصبر على أن يستمسك بفكرة يبحثها حتى يتم الانتفاع بهـا أوفى انتفاع فى الصـناعة والتجارة . وقد جرب التجارب فى الإضاءة الـكهربائيـة بأنابيب ممتلئة بالغاز — وهى طليعة الإضاءة بالنيون والمصابيح المتألقة فى يومنا هذا . وكشف ما للتيـارات الـكهربائية القصيرة الأمواج من أثر فى رفع حرارة الجسم ، وأشار إلى نفعها فى معالجة المرضى .

وأذاع تسلا فى سـنة ١٨٩٣ مبدأ « ضبط الراديو » ، وأجرى تجارب موفقة فى النقل اللاسلكى ، وتوقع أن تنشأ شبكة تعم الأرض لنقل الأنباء والموسيقى وأسعار الأوراق المالية والمواقيت ، فتكون هذه الأخبـار متاحة لكل من يشترى جهـازاً لاقطاً قليل الثمن، ثم تنبأ أيضاً بإذاعة الصور والرسوم إذاعة لاسلكية .

فلما كانت سـنة ١٨٩٨ ظهرت سفينة غريبة فى البحر أمام ساحل نيويورك ، ولم يكن فيها إنسان ، ولـكنها كانت تروح وتجىء مسرعة فى رواحها ومجيئها ، كأنها تطيع يداً إنسانية تديرها وتوجهها ، وقد كانت هذه السفينة هى سفينة تسلا التى يهيمن عليها بأشعة الراديو ، وكانت طليعة الطـائرات والسفن والقذائف الحديثـة التى توجه أو تسدد بالأشعة . واقترح أن يصنع صاروخ يسدد بالراديو ، شبيه بالقنابل الصاروخية الموجهة التى استعملها الألمـان فى الحرب العالمية الثانية . وتنبأ بصنع أسلحة لا يحدّ تأثيرها بحدود المكان ، فلا تنجو مدينـة من أثرها . وحذر الناس من إطلاق الطاقة الـكامنة فى جوف الذرّة ، ففى ذلك كارثة تنزل بالإنسانية . ومن أروع مخترعاته شىء سماه « لفة تسلا » ، وأنت لا تجد اليوم نظاما من أسلاك الراديو المذيعـة ، ولا أداة من أدوات الإشعال فى السيارة ، خالياً من جهاز يرتد فى أصله ومبدأه إلى « لفة تسلا » هذه .

ومن الأغراض العظيمة التى اتجه إليها تسلا فى أواخر حياته، نقل القوة الـكهربائية نقـلا لاسلكيًّا . وقد آزره فى مشروعه هذا المالىّ جون جاكوب أستور ، فبنى معملا للبحث أخفاه فى جبال كولورادو . ولن تجد سجلا وافياً لتجاربه فى هذا المعمل، ولـكن روى أنه وفق إلى إضاءة مصابيح وإدارة محركات صغيرة أقيمت على مسافة ١٥ ميلاً من معمله .

فلما دلف إلى الشيخوخة اعتزل الناس وصار شاذ الأطوار . وكان يقصر طعامه على اللبن المغلى والخضر، عسى أن يعمّر إلى المئة. وكان قلما يخرج من حجرة الفندق الذى نزل فيه فى أيام الشتاء، وكان يحرص على جعل حرارتها ٣٢ بميزان سنتجراد ، وكان يلصق الورق على شقوق الأبواب والنوافذ حتى لا يتسرب الهواء إلى جوفها .

وقد نهج فى حياته كلها نهجاً صارماً لا يؤنسه حبٌ أو حنان ، فلما أوفى على ختامها ، غلبه على أمره حب غريب للحمام، فظل هذا الرجل النحيل الصموت سنوات يلتمس الأماكن التى يجتمع فيها الحمام ، فينثر عليه الحب من كيس يحمله، حتى ألف الناس رؤيته يفعل ذلك. فلما صار عاجزاً عن الخروج، طلب أن يجلبوا الحمام العليل إلى حجرته ، فيتولى تمريضه ورعايته حتى يبرأ ، فيظل ساعات كل يوم يربت له على ريشه ويعجب به .

وكان فى اليوم العاشر من يوليو كل سنة يقيم حفلة لرجال الصحافة ، فيلقى عليهم ما يعنّ له من خواطر عن مستقبل العلم ، وكانت هذه الخواطر تزداد كآبة وتجهماً سنة بعد سنة. وقد كان يحدثهم عن السيطرة على « القوة الكونية » والهيمنة على أشعة تستطيع أن تهلك ملايين من الناس ، وتكف محركات الطائرات عن العمل وهى على مئات الأميال من مصدر الأشعة .

وقد روى أن أحد الصحفيين قال : «لو قال هذا القول رجلٌ سوى تسلا لقلت إنه رجل مخبول » ، ولكن الصحفيين الآخرين لم يجاروا زميلهم فى حسن ظنه .

وقد توفى تسلا فى ٧ يناير سنة ١٩٤٣ فى السادسة والثمانين من عمره ، مخلفاً فى أوراقه مجموعة ضخمة من الآراء والمخترعات المسجلة لم تمحّص بعد . وعسى أن تضم هذه الأوراق آراءً تفضى إلى فتوحات علمية لم تطف بخيال ، وتدلنا على أن تسلا لم يقل كلمته الأخيرة بعد .



يقع رجال شركات التأمين فى الحين بعد الحين على محاولات غريبة للتهرب من الإجابة عن بعض الأسئلة فى طلب التأمين . وقد تردد رجلٌ فى الإجابة عن سبب موت والده ، ثم كتب : « كان أبى ساعة موته مشتركا فى اجتماع عام ، فهبط المنبر الذى كان واقفاً عليه ، فورد موارد الهلاك » . وقد أظهر البحث والاستقصاء بعد ذلك أن أباه قد شُنِق .

عجائب حياة الحمام

موريس مترلنك
مؤلف « حياة النحلة » و « حياة الأزهار » و « حياة النملة »
مختصرة من كتابه « الحمام والعناكب »

حبت الطبيعة الحمام بأجنحة بديعة ، وحس رائع على تبين الاتجاه ، وقدرة عجيبة على القيام برحلات طويلة ، بيد أنه مع ذلك لا يزال طائراً ديدنه الكسل والتسكع والدلال ، ويخيل إلىّ أن هدفه الوحيد فى الحياة إنما هو ولادة النسل ولادة لا تنقطع ، فأنت ترى إناث الحمام كثيراً ما تضع البيض لذرية جديدة قبل أن تفرغ من تربية نشئها الصغار . والأجيال من صغار الحمام تتوالى فى سورة من التناسل ، فالحمام طير قد استرقته نوازع الحب والجنس ، فتراه يتكاثر كأنما يخشى موتاً يطارده .

وقد أهدى إلى أحد أصحابى منذ سنة زوجاً من الحمام ذكراً و أنثى ، فبلغ عدد نسلهما اليوم ٣٢ حمامة ، فإذا انقضت سنة أخرى بلغ العدد ٥١٢ حمامة ، وفى السنة الثالثة ٨٠٠٠ حمامة ، ذلك بأن صغار الحمام تبدأ وضع البيض حين تبلغ الشهر السابع أو الشهر الثامن من عمرها . وهذه الجماعة من الحمام التى تبلغ ثمانية آلاف تحتاج من الطعام إلى مقدار يهولنى أن أحصيه . وليس فى وسعى أن أصد هذا الغزو ، إلا إذا رميت بالنار كل بالغ من الذكور والإناث ، وهذا شىء لا أستطيع أن أتصوره ، فلذلك لا أنفك أفكر فى نهاية هذه المأساة الغريبة ، لأن الحمام لا يهجر المكان الذى ولد فيه إلا إذا حلت به كارثة عظيمة .

وزواج الحمام لا يفصم عروته سوى الموت على الغالب ، فتمر السنوات واحدة فى إثر واحدة ، وعروة الزواج بين زوجين من الحمام متينة على عهدها . ولكنك تجد من الحمام من يخرج على القاعدة كما ترى بين البشر .

والحمام لا يزال يختال فى مواكب الحب ، ويقضى معظم وقته على السطوح أو فى الطرقات التى غمرتها الشمس بضيائها ، ويخيل إليك وأنت ترى الصغار ترفّ من حول أبويها ، أنها تغدق القبلات عليهما ، بيد أنها فى

الحقيقة لاتفعل شيئاً من هذا، بل هى تطلب منهما الطعام . وهى لاتفعل ذلك بأن تفتح مناقيرها كأقصى ما تستطيع أن تفتحها ، كما تفعل سائر الطيور، ولـكنها تدس مناقيرها فى مناقير آبائها — فتخرج لها طعاما كالعصيدة أو الحساء مما سبق لها أن أكلته . وهـذا منشأ وهم أطلقوا عليه اسم «قبلة الحمام» ، وعسى أن تكون هذه القبلة حين تتبادلهـا حمامتـان كبيرتان ، ذكرى وحسب لما ألفتاه فى صغرهما من طلب الطعام .

والحمام لايعنى إلا عناية قليلة ببناء الوكر ، ومرجع ذلك إلى غريزة قديمة فى الأسلاف التى انحدر منها. وأنت ترى الحمامة الذكر يتخير بضعة أعواد طويلة صلبة ، ثم يحملها مختالا بها بين أقرانه ، ثم يمضى بها إلى زوجته ، والزوجـة تأبى أن تغضب زوجها فتبذل جهدها فى ثنى الأعواد، ثم تترفق فى نبذها ، فإذا جاء موعد وضع البيض ، وضع البيض وانفلق على أرض عارية .

وفترة حضانة البيض مقسمة تقسيما دقيقاً ، فترقد الأم على البيض لتحضنه منذ الساعة الثالثة أو الرابعة بعد الظهر إلى العاشرة أو الحادية عشرة من الصباح التالى ، وفى بحر هذه الفترة ترى الحمامة الذكر يختـال ويهدل ليسترعى اهتمام زوجته ، أو يراقبها كأنه يستريب فى حرصها على رعاية البيض ، فإذا كانت الساعة الحادية عشرة حل محلها فى حضانة البيض ، فيتاح لها أن تنشر جناحيها وأن تلتقط فضلات الحب التى تتركها لهـا الجماعة تكرما وتفضلا . فإذا حان موعد عودتها إلى الحضانة ولم تعد ، ترى زوجها قد ذهب يطلبها بين لداتها المشغولات بالثرثرة أو الاغتسال أو الاستمتاع بقسط من غفوة أو راحة، ويدفعها دفعاً إلى العودة، وينقرها نقراً إذا اقتضى الأمر ذلك .

والفضائل الاجتماعية تكاد تكون منتفية من حياة الحمام . فلن يخطر لها أن تدفع عن نفسها حيواناً معتدياً ، وهى لو شاءت أن تتضامن فى الدفاع لأوردته موارد الهلاك . وإذا هجرت الآباء صغارها لمرض طرأ عليها أو لنزوة ألحت على آبائها أو لموتهم ، ماتت الصغار جوعاً . ومهما ارتفع صياح الصغار فى طلب الغوث، فلن تجد زوجاً من أزواج الحمام المجاورة المنصرفة إلى تربية صغارها ، يهبُّ إلى نجدة الصغار الجياع المهجورين .

والحمامة تكاد تكون عاجزة عن أن توفر لنفسها ماتحتاج إليه ، وماتجمعه من الأوراق الخضر وبعض الحبوب ، لايكاد يكفى لبعض طعامها . والحمام ليس طائراً نهماً ، فحسبه حفنة قليلة من حبوب الذرة ، ومع ذلك تراه قانعاً أن يشارك سائر الدواجن والعصافير ماعنده — وهو لايفعل ذلك لأنه مضياف

كريم ، بل لأنه لم يبلغ من الذكاء مبلغاً يهديه إلى أن ما يؤخذ منـــه لن يُردّ عليه — وهذه حقيقة لايجهلها الـكلب .

يعد الحمام واليمام رمزاً للطهر واللطف، وهذا وهم ينبغى أن يفضح ، فهى شرسة على قدر الأسلحة الضعيفة التى زودتها بها الطبيعة، ويكثر الشجار بينها بالمناقير والأجنحة . وفى كل جماعة منها حمامة ذكر ، كبير الجثة شكس الطباع ، يستبد بالجماعة ويحكمها حكم الطاغية. والحمام حريص كالدجاج على حضانة بيضه ، بيد أنه إذا انفلق البيض عن نشء جديد ، تراه لايعرف الهوادة ولا الرحمة مع النشء الذى سبقه ، ولا يكاد النشء الأول يتعلم كيف يلتقط طعامه حتى يقذفه من العش وإن كان لا يزال عاجزاً عن الطيران. وقد التقطت أحد هذه الصغار الذين نبذتهم آباؤهم ، فألفيته أعمى ، فجربت جاهداً أن أعيده إلى أبويه ، فراحت تجربتى أدراج الرياح ، ثم حاولت أن أحمل أبوين آخرين على تبنيه فلم أوفق إلى ما أردت. والدواجن تسىء إلى المرضى من جماعتها ، أما الحمام فلا يفعل ذلك ، ولـكنه لايعبأ بالمرضى شيئاً .

ومن ضروب الحمام الأنيس ضرب يطلقون عليه وصف « الراهبة » ، وهى حمامة لها رأس كأنه مقنع بقناع ، فإذا نظرت إليها من جانب الرأس خيل إليك أنه أشبه ما يكون برأس سيدة طوقت عنقها بطوق عريض من الفرو . وثمة حمامة بيضاء كالثلج تملأ صدرها هواء وترد رأسها إلى وراء حتى يلمس ذيلها العظيم القائم كالعمود ، المنتشر كالمروحة . ومن الحمام طائفة يطلقون عليها وصف « المرتعدة » لأن الهالة الفخمة التى تحيط بالرأس لاتزال ترتعش زهواً أو حباً. وإذا أردت الجمال الخالص فدونك الحمامة البيضاء التى لايداخلها ريب فى شىء أو إنسان فتلبى نداءك حين تدعوها ، وتأكل من يدك ، وتجثم على كتفك ، وقد اتخذت فى العصور القديمة رمزاً للمحبة والسلام .

فإذا طلبت الأشياء الغريبة الفزعة التى خلقتها الطبيعة ، وجدت حمامة يصفونها بوصف « المنتفخة » ، لأن لها قدرة غريبة على أن تنفخ زقها حتى يصير حجمها ضعفى حجمها السوى ، ويغور رأسها فى الريش فلا تكاد تراه ، فكأنها مصابة بتضخم العنق من آفة تصيب الغدد الدرقية ، فيحول ذلك دون قدرتها على التقاط طعامها أو دون طيرانها ، ويمنعها أن تزق صغارها ، فتعهد بها إلى حمام آخر ، وقد يثقب هذا الكيس المنتفخ فى عراك يدور بينها وبين زوجها ، أو قد يفجر كما يفعل «البلون» الذى يلعب به الأطفال . وبرغم هذه المتاعب جميعاً ترى الحمامة « المنتفخة » مزهوة بما خصت به ،

فإذا فرغ كيسها من الهواء لسبب ما ، ترى الحمامة من يأسها كالزهرة الذاوية، فما عليك ساعتئذ سوى أن تأخذ قصبة رفيعة وتنفخ الهواء فى هذا الكيس ، فتعود الحمامة إلى ماكانت عليه من الاختيال .

ومن غرائب الحمام أيضاً حمامة تحلق فى الجو فى خط مستقيم، وتتقلب فيه كما يتقلب أهل الألعاب البهلوانية من الطيارين ، وليس لذلك سبب معروف سوى أنها تجد فيه متعة عظيمة . فتراها تنقض أو تنحرف على حين فجأة ، أوتطير فى دائرة، أوترتفع فى خط لولبى أو تمايل ، أو تسقط مسافة « كالورقة الميتة » .

أما حمام الزاجل فهو أعجبها جميعاً ،لأنه ينطوى على سر عظيم ركب فيه.فقد طويت جوانحه على معرفة الاتجاه الذى يجعله حراً يذهب حيث يشاء. ونحن نعرف أنه إذا وضعت حمامة فى صندوق مقفل وأرسلت بالسكة الحديدية من مدينة جانت فى البلجيك إلى مدينة همبورج فى ألمانيا ، ثم أطلق سراحها هناك ، فإنها تحلق وتدور فى الهواء بضع مرات ، ثم تمضى، فلا تنقضى ساعات حتى تعود إلى وكرها فى جانت، والمسافة بين المدينتين ٢٨٠ ميلا ، وهى تعرف معرفة لا تخطىء وكرها وألوفاً من سطوح المدينة التى عاشت فيها .

وأحدث الآراء فى تعليل هذا الحس الخفى،حس معرفة الاتجاه فى حمام الزاجل، يقرر أن مركز هذا الحس هو قنوات الأذن الداخلية ، التى تفعل، كما يقول هذا الرأى ، فعل محطات لاسلكية تتبين بعض ضروب الإشعاع . ومما يعزز هذا الرأى ، أن بعض الباحثين قد وجد أن قدرة حمام الزاجل على تبين الاتجاه تضطرب اضطراباً كبيراً فى جوار محطات الراديو العظيمة .

هذا آخر ما انتهى إليه الرأى. وما أروع الأسرار التى ينطوى عليها أصغر الأحياء وأقلها شأناً وأضألها جثماناً !



روى المثال المشهور جاكوب إبستين أنه كان يصنع تمثالا نصفيًّا للعالم أينشتين ، فكان العالم لا ينى وهو جالس للمثال ، عن سرد الأقوال التى تنطوى على سخرية من الأساتذة النازيين ، ولا سيما أن مئة منهم أجمعوا فى كتاب كتبوه على التنديد بنظرية النسبية ، فقال أينشتين : « ولو كنت على خطأ لكان حسبى أستاذ واحد » .

ينبوع شباب العقل

مختصرة من «ذى اميركان مجازين»
مارى مليت

ألكسندر جراهم بل مخترع التلفون كان عالماً ومخترعاً عظيماً فلما ناهز الخامسة والسبعين من عمره قال أحد المقربين إليه: «أعجب ما فى الدكتور بل أنه أدنى إلى شباب العقل من الذين لم يبلغوا نصف عمره. فكأنه قد كشف ينبوع الشباب العقلى، فيعب منه فيبقى على الأيام يقظاً زاخر الحياة».

وقد رويت لرجل من كبار أهل التربية آراء الدكتور بل فى الدرس والتحصيل وكيف ينبغى أن يكونا فقال لى: «إذا دأب أحد الناس على هذه الخطة أتيح له أن يحصل من المعرفة أكثر مما يحصله فى جامعة».

وقد قال الدكتور بل: «إن تربية العقل لا تقتصر على أن تتذكر أشياء تسمعها أو تقرأها، بل ينبغى للعقل أن يدبر أمر تربيته ومنهجها، ولا يسعه أن يفعل، إن لم يفكر، فالعقل الذى لا يفكر يكاد يكون عقلا لا جدوى فيه.

«وقد تدبرت كيف يعلم المرء نفسه بنفسه، فانتهيت إلى ثلاث قواعد أو إلى قاعدة لها ثلاثة أركان: راقب، تذكر، قارن.

«فالقاعدة الجوهرية الأولى فى كل تربية هى مراقبة الحقائق الملموسة، فإن لم تفعل فقد أهملت المادة التى تصنع منها المعرفة، ثم تذكر ما شاهدت ولاحظت، ثم قارن بين الحقائق التى لاحظتها، فإذا بك تفكر من تلقاء نفسك تفكيراً ينتهى بك إلى أحكام، وهذه الأحكام هى معرفة حقاً، وهى معرفة خاصة بك.

«هذا النهج فى طلب المعرفة هو الذى جعل جون بروز عالماً عظيماً، ومورجن ماليًّا عظيماً، ونابليون قائداً عظيماً. وأبدع ما فى الأمر أن طلب المعرفة على هذا المنوال ليس فرضاً تؤديه، بل متعة رائعة.

«ما سرُّ القصة البوليسية؟ أليست هى سلسلة متوالية من ملاحظة الحقائق وتذكرها، ثم المقارنة بينها ـ حتى ينتهى بك ذلك إلى استخراج نتيجة؟ والسواد من الناس يستمتع بمطالعة هذه القصص، لأنهم يدأبون على غير وعى منهم وهم يطالعون، على الملاحظة والتذكر والمقارنة، محاولين أن ينتهوا إلى النتيجة الصحيحة ـ معرفة سر اللغز.

« وفى وسعنا أن ننهج النهج نفسه فى طلب المعرفة ، وأن تكون متعتنا أعظم وأروع . وأهم شىء فى طلب المعرفة هو أننا قد نظفر ونحن نطلبها ، بشىء قد قدر له أن ينفع الناس .

« ومهما يكن من أمر فإن هذا الطلب يزيد ثروة نفوسنا ، ويفتح أمام أعيننا نوافذ نطلُّ منها فنرى أشياء ممتعة . أتذكر أنك فتحت المعجم ذات يوم لتبحث فيه عن تعريف كلمة بعينها ، فلم تظفر بمعان كثيرة أخرى ؟ أما أنا فلا أذكر أنى فتحته يوماً ولم أعد منه بذخيرة لم أطلبها ، ومثل هذا يقع لى حين أفتح موسوعة للبحث عن حقيقة رأى أو واقعة .

« وليس فى وسعنا أن نعمل أتفه الأعمال دون أن ينطوى ذلك العمل على مبدأ ما من مبادىء العلم ، وليس فى الدنيا ما هو أفتن للب من أن تدرس هذه الأفعال وأن تحاول الدخول إلى كنهها .

« فإذا أردت أن تربى أولادك ، فاذكر أن الشىء الجوهرىّ فى تربيتهم هو حثهم على أن يستطلعوا حقائق الأشياء بنفوسهم . وجه إليهم الأسئلة ، ولكن دعهم يبحثوا عن الجواب ، فإذا وصلوا إلى الجواب الخاطىء فلا تقل لهم إنهم قد أخطأوا ، ولا تكشف لهم عن الجواب الصحيح . بل وجه إليهم أسئلة أخرى تهديهم إلى خطأهم ، فيحملهم السؤال بعد السؤال على توسيع آفاق بحثهم .

« ولأضرب لك مثلا . افرض أنك تريد أن تعلم ابنك الصغير شيئاً عن الرطوبة وتكثفها ، ففى وسعك أن تقول له إن فى الهواء قطيرات من بخار الماء ، تخرج مع أنفاس الناس ، وأن بخار الماء يتكثف إذا توافرت له أحوال بعينها ، أى أنك تطلعه على نتيجة وصل إليها فريق من أهل البحث ، ثم تطلب منه أن يتذكرها .

« ولكن امتنع عن أن تقول له شيئاً من هذا ، واحرص على أن تقدم له كوباً فارغاً ، واطلب منه أن يتنفس فيه . فيرى الرطوبة على الزجاج ، فاسأله من أين جاءت الرطوبة . ثم اطلب منه أن يتنفس على سطح الكوب ، ودعه يجرب ذلك بكوب ساخن وبآخر بارد . بل دعه يجرب التنفس على سطوح أخرى غير الكوب . ولا تتول عنه عمل التفكير ، بل احرص على أن يلاحظ ما يحدث ، وعلى أن يتذكر ما حدث فى كل تجربة ، وأن يقارن بينها ، فعندئذ ينتهى إلى نتيجة .

« وأنا أعتقد أن تربية النفس عمل يدوم مادامت الحياة ، وهى تربية تأتيك منقادة إليك ، لا يحول دونها شىء ، إذا عودت عقلك أن يسير على هذه القواعد الثلاث » .



مارشال : وزير خارجية أمريكا

جون هرسى
مختصرة من مجلة « كوليرز »

يروى عن الجنرال جورج مارشال أيام كان يكدح فى سبيل النهوض بأعباء منصبه رئيساً لهيئة أركان الحرب فى جيش الولايات المتحـدة ، أنه أفضى ذات يوم لأحـد أقربائه بقوله: «لو خيّرت لأحببت أن أتولى منصباً كمنصب وزير الخارجية ، إذن لاسـتطعت أن أقيم فى الريف فى دارى ولاقتصر عملى على بضع ساعات كل يوم فى وشنطن. تلك هى الراحة البديعة ».



ولـكن الأحوال قد تغيرت منذ ذلك اليوم ، فإن منصب وزير الخارجية أصبح باستثناء منصب رئيس الولايات المتحدة ، أكثر مناصب الحكومة الأمريكية إرهاقاً لمتوليها ، إذ ينبغى لوزير الخارجية فى هـذه الأيام التى تتلاحق فيها المؤتمرات المضنية أن يتوفر له إشراق الذهن وقوة الجسد . ولعل هذه الصفات لا تتوفر اليوم فى رجل توفرها فى الجنرال مارشال ، فإنه وقد بلغ السادسة والستين من عمره يتمتع بنشاط ذهنه وبدنه.

وهذا النشاط لم يأته عفواً، فقد حرص الجنرال دائماً على العناية ببدنه وكان إبان شبابه متفوقاً فى الألعاب الرياضـية ، كما دأب حينما تولى منصب رئيس أركان الحرب ، على أن ينهض من فراشه كل صباح قبل منتصف الساعة السابعـة ليمتطى صهوة جواده ويخرج للنزهة نصف ساعة ، ثم يبدأ عمله فى منتصف الساعة الثامنة .

وهو حريص أيضاً على أن يصيب من راحة النـوم قدراً كافياً ، كما أنه يلزم الاعتدال فى أعماله كلها ، فهو لا يدخن قط ولا يشرب من الخمر إلا قليلا .

فاعتداله ومواهب عقله هي التي تسبغ على بدنه ثوب العافية . أمّا ذهنه فكأنه مركب من خزائن منفصلة تحتوى كل منها على عدة أضابير ، فاذا فرغ من عمله فى إحدى الخزائن أغلق بابها وفتح أخرى . وهذه الموهبة تجعله قادراً على أن يركز كل انتباهه فى العمل الذى يتولاه فى لحظة دون أن يساوره شيء من القلق على العمل الذى أتمه، وهو بعد ذلك رجل لا يعدل عن رأى سبق له أن بت فيه .

أما ذاكرته فهى تدهش معاونيه . وكان وهو رئيس أركان الحرب لا يحمل معه مذكرات حينما يذهب إلى جلسات لجان البرلمان، ولكنه كثيراً ما أدهش النواب بقوله مثلا : «يحتاج الجيش من البنادق السريعة الجديدة إلى ٢٤٠,٥٥٩ عندنا منها ١٦٧,٧٨٩ فينقصنا ٧٢,٧٧٠ بندقية » .

والظاهر أنه يقصى عن ذهنه كل خاطر لا يروقه أو لا ينفعه ، وهذه القدرة العجيبة فى طاقة عقله ، هى بعض أسباب مقدرته الفائقة على العمل .

وكان أثناء الحرب يتتبع تفاصيل مسائل يثير عددها الدهشة ، لا عن جيش الولايات المتحدة وحدها بل عن جيوش أعدائها أيضاً . ودارت المناقشة مرة عن مقر ٥٣ فرقة يابانية خارج بلادها ، فأشار مارشال إلى موقع فى الخريطة وقال : «الفرقة الموجودة هنا أعدت فى الأصل لتكون فرقة مدرَّعة، ولكن عدد دباباتها فى الوقت الحاضر لا يزيد عن قوة ثلاثة آلايات ، وستكمل معدات الفرقة قريباً » .

وأبرز مواهب مارشال فى عمله العسكرى هى مقدرته على استخلاص الحقائق الأساسية من بين ركام التفاصيل الثانوية ، ثم التفكير فى النتائج المحتملة للمسألة التى يدرسها .

وقد ظلت هذه الموهبة فى الماضى كما ستظل فى المستقبل أكبر عون له على الوصول إلى قرارات حاسمة فى عمله الدبلوماسى، ولكن نظراً لأن السياسة عمل جديد عليه ، فلا مفر من أن تتوقف سلامة قراراته على نوع المعلومات التى يقدمها إليه الذين يعملون تحت رياسته .

والفضل فى هذه السكينة التى تعينه على العمل ، راجع إلى ماتبديه زوجه الثانية كاترين تابر براون مارشال من الحصافة وحسن الفهم. أما زوجته الأولى فقد ماتت سنة ١٩٢٧ ، وزوجته كاترين ربة دار قديرة وسيدة كريمة النفس رقيقة الإحساس ، وقد بذلت لزوجها أكبر العون فى سنوات الحرب بأن وفرت له أسباب الهدوء والانتظام فى معيشته . ولم تعلم يوماً ما قط ، ما عدد

الضيوف الذين سوف يدعوهم الجنرال إلى الغداء فى داره ، فهى لا تعلم بهم إلا حين ينبئها عنهم سكرتيره بالتلفون ساعة يغادر الجنرال مكتبه عائداً إلى داره . فإذا وصلها وجد كل شىء قد أعد بإحكام وهدوء ، كأنها كانت تعلم من قبل عـدد ضيوفه فى ذلك اليوم. وهى تصحبه إذا خرج للرياضة مساء، وتعد له النزهات فى الزوارق مع رفقة من أصدقائه ، وتصغى إليه حين يشعر بالحاجة إلى التعبير عن أفكاره وهو مشغول فى تدبر قرار خطير . ثم لايشق عليها أن تتركه فى خلوة حين يزهد فى الكلام .

ولو كان قدر لمارشال أن يكون أعمق دراسة للاقتصاد والسياسة ، لكان خليقاً أن يكون أطول باعا وأشد ساعداً فى المؤتمرات التى سيشهدها ، ولكن حسبه أنه أستاذ ماهر فى فهم العلاقات الشخصية، فهو يدرس من يعاملهم أو يفاوضهم من الرجال بنفس العناية التى يبذلها فى دراسة مايعرض له من المشاكل السياسية . ولذلك فإن خير أسلوب للحكم على مقدار نجاحه فى المعترك البشرى الذى تتمثل فيــه مؤتمرات الصلح يكون بدراسة شخصيته هو نفسه .

فالمشهور عنه فى وشنطن أنه رجل خشن . عبوس ، وهو على خلاف أيزنهاور ، تراه لا يرفع الكلفة إلا مع عدد قليل من أصدقائه القدماء . وقد جرى الرئيس روزفلت ، على رغم ماعرف عنه من ميل إلى مباسطة أعوانه، على أن يناديه دائماً بقوله : « ياجنرال » .

ومع ذلك فإن قلبه لايتأبى على الصداقة المتينة. وإذا قدّرت أنه رجل متحفظ أدركت أن صداقته إذن صداقة وثيقة . وقد نمت فى قلبه أثناء الحرب عاطفة من الصـداقة والاحترام نحو رجل متحفظ آخر ، هو الفيلد مارشال جون ديل ، الرئيس السابق لهيئة أركان الحرب البريطانية ، والذى كان يمثل بلاده فى لجنة أركان الحرب المشتركة فى وشنطن . وقد نشأت بينه وبين جيمس بيرنز وهارى ترومان صداقة متينة .

وقد أشاد الفيلد مارشال جون ديل قبل وفاته بالجـنرال مارشال ، ونسب إليه خلة لها الفضل الأول فى شهرة الجنرال المستفيضة إذ قال عنه : «إن كافة السلطات البريطانية التى عاملت الجنرال مارشال تؤمن بأنه فى كل فكرة أبداها، وفى كل قرار أوصى به ، لم يكن يهدف إلا للمصلحة المشتركة ، فأعماله كلها بريئة من الأغراض الشخصية » .

ولما حل عيد ميلاده الثالث والستين أعد له الجنرال أرنولد حفلة كتم عنه خبرها، وشرب مستر ستمسون وزير الحربية تحية الجنرال وقال : « تعودت بفضل خبرتى فى حياتى الطويلة أن أفرق بين نوعين من

رجال الحكم : أولهما هؤلاء الذين يصرفون جل همهم إلى التفكير فى خدمة مايتولونه من عمل . وثانيهما هؤلاء الذين يصرفون كل همهم إلى التفكير فيما عساه أن يغنموا من فوائد من عملهم. وأعتقد أن الجنرال مارشال فى مقدمة رجال النوع الأول » .

وإن نزاهتـه ومقدرته على اكتساب الأصدقاء قد صارت اليوم وهو فى منصبه الراهن ، أكبر شأناً وأعظم نفعاً له مما كانت فى منصبه السابق فى الجيش . وقـد أصبحت السياسة الخارجية للولايات المتحدة — سواء أكان فى ذلك خير أم لم يكن — نتاج تضامن شخصى وثيق بين القائمين بأمرها . وكان أول ما فعله الجنرال مارشال ســاعة عاد من نانكنج إلى وشنطن، أن سأل بعض مرءوسـيه عن الأخطاء التى يعتقدون أنه ارتكبها ، فأخبروه بها .

ويختلف الجنرال مارشال عن بقية رجال الحكم فى تهافتهم على الدعاية لأنفسهم فى الصحف ، فهو يتجنبها. وقد لاحقه مراسل صحفى فى الصين ستة أشهر فلم يظفر منه إلا بثلاث كلمات صرح له بنشرها إذ قال : «الحالة دقيقة حرجة» ولكن وزير الخارجية مضطر دائماً إلى لقاء عدد كبير من رجال الصحف ، لذلك يختار المواضيع التى يريد التحدث فيها ولا يزيد عليها .

والمشهور عنه أنه يسارع إلى خدمة الناس، فقلما عاد من ميدان القتال إلا واتصل بكثير من زوجات الضباط لينبئهن بأخبار بعولتهن. وهو يشمل مرءوسيه بلطف عظيم أيضاً ما داموا قائمين بأعمالهم على خير وجه ، فهو لا يطيق إلا ذوى القدرة والكفاية . وقد خبر بعض الضباط كيف كانت قلة تسامحه وعفوه عن الأخطاء سبباً فى تحطيم مستقبل الكثيرين ، بيد أنهم يقولون إن قلة تسامحه تكون حافزاً لهم فى أعمالهم .

ولا جرم أن تكون أعقد مشكلة ورثها المارشال مع وزارة الخارجية هى الاحتفاظ بروابط الصداقة مع روسيا . وقد وقعت فى تاريخ اتصالاته مع الروس ثلاث حوادث تدل على أن الشجاعة لا تنقصه فى القيام بكل عمل يراه صواباً وعادلا ، كما تدل على أنه سيعامل الدول بنفس الطريقة التى يعامل بها أبناء وطنه .

وقد وقعت أول حادثة فى سنة ١٩٤٢ حينما قدم مولوتوف إلى وشنطن للمطالبة بفتح الجبهة الثانية ، وقد أقره الرئيس روزفلت على رأيه دون أن يشفى غليله بجواب صريح ، وكان مارشال هو الذى عدد لمولوتوف الأسباب التى تحول دون فتح الجبهة حينئذ . فالسفن غير متوفرة ، وذكر له عدد السفن اللازمة لنقل حملة برية

وبحرية تعبر المانش ، ونبه مولوتوف إلى أن الولايات المتحدة تخسر من أجل الروس عدداً كبيراً من السفن في طريق مورمانسك. وقد التزم المارشال جانب الصراحة وكثيراً ما كان يطلب إلى المترجمين الروس والأمريكيين أن يترجموا أقواله كما هى حتى لا يقع خطأ فى فهمها ، فكان كلامه هو الذى حسم اللاجاجة والجدال .

ووقعت الحادثة الثانية فى الصين فى العام الماضى حينما تساءل المتسائلون عما تفعل روسيا (وكانت قد اكتسبت بعض الحقوق فى ميناء دايرن فى منشوريا الجنوبية) لو فتح الأمريكيون قنصلية لهم فى ذلك الثغر ، فبدلا من استئذان روسيا والتعرض لرفض الطلب ، أمر الجنرال مارشال بأن يستقل القنصل سفينة حربية ويذهب إلى ذلك الميناء ، فلم يعارض الروس فى مباشرته لأعماله .

ووقعت الحادثة الثالثة فى الصين أيضاً ، إذ عمد الجنرال قبيل عودته إلى بلاده فأخبر السفير الروسى أبولون بتروف بصراحة تامة أنه يعتقد أن التبعة التى تحملها العناصر الرجعية فى الحكومة المركزية ، لا تقل عن التبعة التى يحملها الشيوعيون فى إخفاق المفاوضات الدائرة بين الحكومة المركزية والشيوعيين الصينيين. وأدلى الجنرال مارشال بعد ذلك بتصريحات رسمية أيد فيها أقواله السابقة، ولا شك أنها أزالت ماعساه يكون فى نفس السفير الروسى من ريبة وشكوك .

وينكر وزير الخارجية الجديد أشد الإنكار أن الجيش الأمريكى يسعى إلى السيطرة على السياسة الخارجية فى بلاده ، فهو يقول قبل كل شىء إنه كان يظن أن مهمته قد انتهت ، ولذلك فهو لم يرغب ولم يطلب أن يسند إليه منصب وزير الخارجية وهو أشق منصب تولاه فى حياته . ويعدد السوابق التى تثبت أن الجيش يريد أن ينفض يديه من المسائل المدنية، وبخاصة فى إيطاليا ، فهو يؤمن بأن السلطات المدنية فى الدولة يجب أن تكون فوق السلطات العسكرية .

وأهم من ذلك أنه يعرف أحسن المعرفة فرق ما بين المدنيين والعسكريين فى تنفيذ المسائل السياسية . فالمسائل العسكرية تحتاج فى رأيه إلى شدة وتمسك بالقرارات التى صح العزم عليها ، ولكن السياسة الخارجية تتقلب وتتحول ، كما خبر الجنرال ذلك فى الصين، أما عبارات المواثيق الموقع عليها فقابلة للمط واللف والدوران ولا تستقر على حال .

ولا مفر من مرور وقت طويل قبل أن نتبين مقدرة مارشال على تنفيذ المبادىء التى ذكرت آنفاً ، لأنه ظل نصف قرن يمرن نفسه على العقلية العسكرية وما تتطلبه

من صلابة واستقامة ورجولة وصراحة .
وقد تعدم صراحته وأمانته وحسن نيته أن تجد ما يماثلها عند من يتعامل معهم من وزراء خارجية الدول الأخرى ، وهو قد يعوزه أحياناً أن يجد فى مرؤوسيه ما يتطلبه من طاعة وإخلاص ، ولكنه لا يجهل الصعاب التى تواجهه . وقد قال مرة : « هيهات فى شئون السياسة أن تدرك ما يفكر فيه مخاطبك ، فهو يبتسم لك ويركلك فى وقت واحد » .

ويختلف الناس فى حكمهم على نجاح مارشال فى منصب وزير الخارجية ، ولكن الإجماع قد انعقد فى وشنطن على أنه رجل ذو مواهب كثيرة ، فقد قال عنه ترومان فى حياة روزفلت إنه « أعظم أمريكى فى الوقت الحاضر » . ووصفه تشرشل ـ بالرغم مما لقيه من معارضة لسياسته ـ بأنه « المنظم الحقُّ لأسباب انتصار الحلفاء » .

أما رجال البحرية ، فألسنتهم تثنى عليه ، ويقول بعض ضباط الجيش الذين كانوا من رؤسائه ثم تخطاهم ، إنهم يرحبون بالعمل تحت رياسة مرءوسهم السابق . وهو فوق ذلك موضع احترام الصحفيين المعروفين بالميل إلى الانتقاص من أقدار الناس . وليس فى وشنطن رجل واحد يرضى أن يغتاب مارشال ، وإن كانت الغيبة متفشية فى تلك المدينة .

ولعل شهرته الفائقة بلاء عليه ، فإن تكرار الثناء الذى هو جدير به قد حمل الجمهور على الاعتقاد بأنه يستطيع بعصاه السحرية أن يحقق السلم بمفرده ، ولكن أعماله بعد توليه منصبه تنبىء بأنه خير من يعلم أنه رجل كبقية البشر يشغل منصباً ثقيل الأعباء . وإنه ليدرك أيضاً أن الرجال الذين يعاملهم هم من البشر أيضاً ، وهذا دليل على الطريقة التى ينتظر أن يسير عليها فى إدارة سياسة بلاده الخارجية .

وقد ودّ الجنرال منذ سنين عديدة أن يعتزل العمل ويأوى إلى داره فى الريف ، ولكنه أجّل اعتزاله حينما طلب إليه أن يذهب إلى الصين ، ثم أن يتولى منصبه الراهن . وهو رجل لا تنقصه الحكمة حتى يدرك أنه مهما طال صفاء ذهنه وقوة جسمه وصدق عزمه ، فإنه من المستحيل عليه أن يتم مهمته بالنجاح الذى أتم به مهمته العسكرية ، وأنه إذا ظفر بثناء التاريخ عليه ، فلن يسمع هذا الثناء بأذنيه وتطيب له نفسه ، ولذلك فإن قبوله لمنصبه الأخير دليل على وثوقه بنفسه وتنزهه عن الأنانية .



مدارس جديدة تعد الصغار لحسن الاستمتاع بالحياة في فصول تدرس فيها مشكلات العواطف بين الناس.

علموا صغاركم كيف يعيشون

هوارد ويتمان

مختصرة من مجلة « ومانز هوم كومپانيون »

لعل أعظم خيبة منيت بها مدارس الصغار في هذا العصر، أنها حاولت أن تعلمهم كل شيء سوى فن الحياة. فتراهم يشبون، فإذا بعضهم لايزال غرًّا في شئون القلب فينكبون بها في حياتهم كباراً. وإذا البعض الآخر مضطرب النفس، فيكون مصيره إلى مستشفى أمراض العقل. وآخرون تعذبهم ضروب من العواطف، لاتزال تلح عليهم حتى ينهاروا.

والحرص على أن يكون للتعليم أثر قوى في نفوس المتعلمين، حمل المدارس في ولاية ماريلند الأمريكية على تنظيم منهج جديد في التعليم سمته « منهج العلاقات الإنسانية». وربما كانت تسميته بمنهج العواطف البشرية أصدق دلالة على معناه الصحيح.

وقد قال إدمند بوليس مدير هذا المنهج: « إن هدفنا هو أن نمكن الصغار من أن يشبوا فإذا هم أهل شخصيات قوية، فيستطيعون أن يخوضوا بحر الحياة المتلاطم في سفينة لاتضطرب ».

ثم وصف لى كيف يطبق هذا المنهج الجديد.

يقرأ المدرّس في الفصل قصة تمثل موضوعاً من الموضوعات الثلاثين التي يدور المنهج عليها، كمثل « مشكلات العواطف في البيت » و « الشعور بالضعة أو مركب النقص » و « أثر العواطف في البدن ».

وبعد أن يتم قراءتها يعمد الصغار إلى تحليل قوى النفس العاطفية التي تتأثر بالحالة التي تصفها القصة، ثم أشخاص القصة أنفسهم وما يعانونه من مشكلات، ثم يسأل المدرس تلاميذه: هل أحسوا بهذه العواطف تضطرب بها نفوسهم؟ وماذا فعلوا؟ وتعقبها مناقشة حرة صريحة، فلا يتردد الصغار في الاعتراف بما جاشت به نفوسهم من العواطف الرديئة أو الخسيسة. فإذا تبين الصغير أنه

ليس الفتى الوحيد فى الدنيا الذى نطق بالكذب ، أو الذى شعر بالخوف ، أو الذى ألح عليه الطمع ، كان لذلك أثره العظيم فى صحة نفسه وسلامتها .

وقد كانت القصة التى قرئت فى فصل « العواطف الرديئة » تدور على جندىّ ألح عليه الخوف ففر من فصيلته زمن الحرب.

فقال المدرس : « ليس ثمة ريب فى أن الخوف عاطفة رديئة ، فما هى العواطف الأخرى التى من هذا القبيل ؟ »

وإذا التلاميذ يردون عليه واحداً بعد واحد ، فذكروا عشراً منها أو أكثر : البغضاء ، والغضب ، والهم ، والحسد ، والغيرة ، والخجل ، وما أشبه ذلك .

وقالت جوان : « ظننت مرة أنى أضعت أحد كتبى المدرسية ، فخشيت أن تؤنبنى على ذلك ، فقلقت نفسى وجفانى النوم » .

فقال المعلم : « وكيف انتهت الحادثة ؟ »

فقالت : « وجدت أن الكتاب لم يضع ، فقد كان خوفى وقلقى عبثاً » . وقد ألفى المعلم نفسه فى غير حاجة إلى أن يستخرج العبرة الخلقية من هذه الحادثة ويثبتها فى نفوس التلاميذ ، مبيّناً أن كثيراً من الأشياء التى تقلق نفوسنا هى من قبيل الأوهام .

وسرعان ما صار أشد الصغار تكتماً ينطلقون فى حديثهم ، وقد كان من الواضح أن تفتيح الأبواب عن مكتوم شعورهم ، قد سرّى عنهم وأراحهم .

ثم ترى المدرس قد ثبت فى نفوسهم أن جميع هذه العواطف شىء طبيعى لاشذوذ فيه ، فينبغى أن لايخافها أحد . ثم أفضى الحديث إلى التمييز بين المخاوف الحقيقية والمخاوف الموهومة : المخاوف التى تحمينا وتوقينا ، والمخاوف التى تضعف قدرتنا على التفكير أو العمل .

ووقف الفتى ديك وقال : « كنت يوم كنت طفلا صغيراً أخاف أن أدخل وحدى فى قبو البيت » .

فسأله المدرس : « وكيف تغلبت على هذا الخوف ؟ » .

فقال : « دخلت القبو وحدى مرة واحدة، فكان ذلك حسبى . لم أجد فيه جنًّا ولا أشباحاً ، فلم أشعر بالخوف قط » .

ثم تولى المعلم اختصار مادارت عليه المناقشة : « ينبغى أن نتذكر أننا كثيراً مانخاف شيئاً لأننا نجهله ، فينبغى لنا إذن أن نواجهه، وينبغى لنا أن نعيش مع الخوف وأن نقهره شيئاً فشيئاً، وأن لاندعه يتراكم فى نفوسنا فيؤذينا فى قابل أيامنا » .

وقد طوّفت فى هذه المدارس ، فتبين لى أن المشكلات التى يواجهها الصغار عديدة متنوعة لا تحصى . ووجدت فى أحد الفصول

فتاة بترت ساقها ، فلما اجتمعوا لدراسة « التغلب على مواطن الضعف فى الجسم » وقفت وقالت : « أودّ أن تحرصوا على معاملتى كما تعاملون سائر الطلاب ، ولست أريد أحدا أن يحمل لى كتبى إلى المدرسة » . فأحس سائر الطلبة لساعتهم بالراحة ، وأحست هى بها أيضاً ، فليس بهم حاجة إلى التهامس عنها ، أو التظاهر بأنهم لم يلاحظوا أنها ذات عاهة ، فقد صارت واحدة من الجماعة.

وكان فى فصل آخر طالب من أبناء المهاجرين ، وكانت لهجته الإنجليزية غريبة ، فأحس أنه فى عزلة عن رفاقه . وذات يوم قرئت قصة فى فصل « العلاقات الإنسانية » ، وكان فى القصة شخص يتكلم الإنجليزية بلهجة غريبة ، ففهم الطلبة مغزى القصة ، فقضى فهمهم على تعصبهم ، وصاروا أقرب إلى الفتى الغريب وأحدب عليه .

ومن أهم أسباب المتاعب التى يعانيها الصغار علاقة الفتيان بالفتيات ، فيعينهم المعلمون على ردّها إلى أربعة بواعث أصيلة فى نفوس الناس : المحافظة على الكيان ، المغامرة ، الاهتمام بالجنس الآخر ، طلب الظهور . فكان مما يثلج الصدر أن تسمع الفتيات يتحدثن حديثا صريحاً لا رياء فيه ، عن الاهتمام بالجنس الآخر ، وعدّه قوة محركة فى حياة البشر .

وكان مما يبعث على الاطمئنان أيضاً أن ترى هؤلاء الصغار يربطون بين هذه القوة الأصيلة وعاطفة الحب ، بدلا من أن يربطوها بما يعد مخجلا أو فاحشاً . وقد قال لى ناظر إحدى المدارس : « لقد عمد طلبتى من تلقاء أنفسهم إلى محو الكلمات البذيئة أو الصور من جدران المراحيض » .

والدراسة فى هذه الفصول تعالج مشكلة التوتر فى الأسرة من أصولها ، فيتعلم الصغار عن طريق المناقشة خلق التسامح فى نظرتهم إلى جميع العلاقات المضطربة والمشكلات التى لا يخلو منها بيت .

وقد كان أحد التلاميذ مضطرباً شديد الاضطراب ، لأن أمه كانت تفرض عليه أن يغسل الصحون ، فكان ذلك صدمة قوية لنفسه ، ولكنها تبددت وذهب أثرها ساعة سمع غيره من الصغار يعلنون أنهم يغسلون الصحون أيضاً . فخرج من الفصل مستبشراً ضاحكا .

وذكر فتى آخر كيف كان أبوه يعاقبه مرة بعد مرة من أجل « أشياء تافهة » ، فبعد أن بحث الموضوع فى الفصل ، أدرك الفتى أن أباه قد وضع نصب عينيه مثلا عالية أراده أن يسمو إليها ، وأن كل تقصير يسير من ابنه ، كان يخيب أمله خيبة عظيمة — فأبوه يحبه حباً عميقاً .

ولعل أعجب شيء في منهج « العلاقات الإنسانية » هو بساطته . فليس الصغار فى حاجة إلى معلم خاص ، وقد قال لى مستر بوليس مدير المنهج : « كل مانحتاج إليه إنما هومعلم تنطوى جوانحه على حب الخير ، وطائفة من الخطط للفصول أحكم إعدادها وتنسيقها » .

وقد قصر بوليس منهجه فى أول الأمر على الصغار الذين فى الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمرهم . فالفتيان والفتيات فى هذه السن قد بلغوا من العمر مبلغاً يمكنهم من أن يفهموا مشكلاتهم ، ولكنهم لا يزالون على ما فطر عليه الصغار من إطلاق النفس على سجيتها ، بيد أن هذه الدروس جربت فى صغار أصغر منهم سنا فكانت موفقة .

وهذا الضرب الجديد من التعليم يمكن الصغار من أن يفهموا أنفسهم ، والفهم طريق إلى التسامح مع أنفسهم ، ثم إلى التسامح مع سائر الناس ومحبتهم . والمنهج يزيد من قدرة الصغار على الاستمتاع بالحياة ، ويؤهلهم لحياة أحفل بثمار العمل والبهجة ، ويضعهم فى أول الطريق المفضى إلى ما يعدّ أعظم ذخائر الحياة الإنسانية : سكينة النفس .



سدنى سوكلسكى كاتب من كتاب هوليوود ومخرجٌ فى إحدى شركات السينما ، وهو يكره الرحلة فى الطائرات أشد الكره ولا يطيقها ، بيد أنه مضطرٌ فى الحين بعد الحين أن يركب متن الجو بين هوليوود ونيويورك . فإذا لم يكن له بدٌّ من أن يطير ، تراهُ قد أقبل على المطار ومعهُ طبيبهُ ، فيدخل الطائرة ويقعد فيها قعدة المستريح ، ويربط حول وسطه حزام الأمان ويقول لطبيبه : « هيَّا » . وإذا الطبيب يحقن ذراعه بمخدر خفيف . فلا تنقضى أربع عشر ساعة ، حتى يبدأ سوكلسكى يفتح عينيه ويتململ ثم يسأل : « أين أنا » فيقول له الحاجب : « أنت الآن فى مطار نيويورك . أتريد سيارة يا سيدى ؟ » .

وعسى أن تكون هذه الطريقة خير طريقة ابتكرها الناس للتغلب على متاعب الطيران . [بول جايكو فى مجلة « إسكواير »]

زعيم بريطانيا زمن الحرب يسرد الحقائق عما صنعته بريطانيا في الحوادث الدامية التي حدثت في اليونان سنة ١٩٤٤

حقيقة ما حدث في اليونان

ونستون تشرشل

مقتطفات من مجلة «لايف» وصحيفة «نيويورك تايمز»

إذا شئتُ أن أكشف اللثام عن مسألة اليونان، فلا بدّ لي من الرجوع بها إلى ما جرى في خريف ١٩٤٤ وشتائها. فقد كانت الحرب دائرة بيننا وبين ألمانيا الهتلرية لردّ طغيانها ودفع بطشها في اليونان، فلم تدّخر بريطانيا سلاحاً أو معونة إلا أمدّت بها كلّ من يطيق أن يقتل أحداً من الألمان. فلما دنا الحلفاء من النصر، صار من الممكن تحرير البلاد المحتلة. وإذا قدر لشعبٍ أن ينزل به عسف الحكم النازيّ ثلاث سنوات أو أربعاً، فإنه لعسير بعدئذ على أي أجنبيّ أن يتبين رأي أهله فيمن يؤثرون أن يكون له حكم بلادهم، وأي ضرب من ضروب الحكومة يبتغون. ففي مثل هذه الأحوال يرى العالم الديمقراطي أن يستفتى سواد الشعب وعامته سرًّا وبغير إرهابٍ يخافونه.

وتحت ظلال الحماية البريطانية تيسر لأهل اليونان أن يجروا انتخاباً حضره مراقبون من البريطانيين والفرنسيين والأمريكيين، ودعي لحضوره أيضاً مراقبون من السوفيت. وقد قررت لجنة المراقبين أن هذا الانتخاب كان صحيحاً نزيهاً، بل لعلّ البلقان لم تشهد منذُ قديم الأزمان انتخاباً حرًّا سوى هذا الانتخاب. وهذا شيء نعرفه اليوم أحسن المعرفة، ولكن منذ سنة خلت كان الرأي القائل بأن « أثينا بأمجادها الخالدة » ينبغي أن تكون حرة في تقدير مصيرها عند صناديق الانتخاب، قولاً يسخر منه في كثير من محافل أهل اليسار، وقام الشيوعيون يتصايحون بنا ويندّدون. ومع ذلك فقد قضى الأمر وتمّ الانتخاب.

ولم يكن يتردد في الخاطر يومئذ سوى سؤال واحد: هل يقدر لهذه الحكومة اليونانية التي جاءت على عقب هذا الانتخاب أن تستهدف بل أن تسقط على يد شيعة السوفيت أو العصابات الشيوعية المسلحة؟ وهل يمكن أن يعد هذا العمل كله مظهراً من مظاهر الديمقراطية؟

وقد وقف المستر دين أتشيسون القائم بأعمال وزير خارجية أمريكا أمام لجنة مجلس

النواب الأمريكى فى مارس الماضى ، فقال ما يلى : « إن قيام حكومة يسيطر عليها الشيوعيون فى اليونان ، يعدّ خطراً يهدد سلامة الولايات المتحدة » .

وهذا بعينه هو ما ساورنا فى أثينا فى ديسمبر ١٩٤٤ ، فقد كنت رئيساً للحكومة البريطانية ، وكنت أنا وزملائى فى الوزارة نعمل متفقين بلا خلاف بيننا . فكنت أنا أشعر أيضاً بأن « قيام حكومة يسيطر عليها الشيوعيون فى اليونان ، يعد خطراً يهدد سلامة بريطانيا » ، ويهدد القضية العامة ، قضية الحرية . ولست أشك أن حكومة العمال الراهنة تشاطرنا هذا الرأى نفسه . وفى ديسمبر ١٩٤٤ أصبحت الحالة فى اليونان حرجة من جراء انقلاب يخشى أن يحدثه الشيوعيون فى الحكومة باستخدام العنف وسفك الدماء على نطاق واسع .

ولما لاذ الألمان بالفرار ، أعيدت إلى أثينا حكومة بينها وبين الحلفاء علاقات رسمية ، وقد وافق الرئيس روزفلت على هذا العمل كل الموافقة . وكان ملك اليونان وأخوه يحبّان أن يعودا إلى بلادهما على رأس هذه الفئة القليلة ، بيد أن السياسة البريطانية كانت قد تعهّدت منذ زمن بعيد بأن يستفتى الشعب اليونانى فى مسألة الحكم الملكى ، فاستجاب الملك لرغبتنا وبقى فى لندن ينتظر رأى الأمة اليونانية . وكنت أرمى بهذا إلى إقناع أهل اليسار بأن السياسة البريطانية فى اليونان تقوم على إرادة الشعب اليونانى التى يعرب عنها وهو حرٌّ مختار لما يريد .

وقد مضى الرئيس باباندريو على رأس حكومة مؤلفة من جميع الأحزاب تضم ستة من الوزراء الشيوعيين ، فلما نزل أثينا قوبل بمظاهرات ترحب به ، فتجددت الآمال وخيل إلينا أن عهد القلاقل قد ذهب إلى غير رجعة .

بيد أنه كانت هناك عصابات شيوعية لم يبذل معظمها إلا جهداً قليلا أو لم يبذل جهداً قط فى مجاهدة الألمان ، بل كانوا يختزنون ما نعطيهم من السلاح حتى يستعملوه فى أغراضهم الخبيثة ، فلم تلبث هذه العصابات أن انحدرت من الجبال زاعمةً أنها هى منقذة اليونان ، وأن الحكم لها لتحكم البلاد بسلطان النظام الجامد، ثم تسربت وتغلغلت فى أثينا التى يسكنها نحو مليون نسمة ، وبدأت تشنّ هجوماً عنيفاً دامياً على مراكز الشرطة ، وعلى غيرها من مؤسسات الحكومة المزعزعة الحائرة التى وصلت إلى البلاد منذ عهد قريب . وقد بذل الوزراء الشيوعيون الستة أقصى جهدهم فى إضعاف القوّة الحربية الخاضعة لسلطان الحكومة ،

وفى الإكثار من العناصر الشيوعية التى تندمج فى هـذه القوة . وفى نفس الوقت حرصوا كل الحرص على أن يطالبوا زملاءهم الوزراء بالاعتدال والمسالمة والتسامح ، فنالوا فى خلال شهر نوفمبر قسطاً وافراً من تساهل هؤلاء الوزراء .

وفى أوائل ديسمبر انقضّ المغيرون الشيوعيون على أثينا ليستولوا عليها، وصاروا يقتلون كل من يعترض سبيلهم حتى أصبحوا على بعد نصف ميل من مقرّ الحكومة . وفى تلك اللحظة نفذ الوزراء الشيوعيون ما كانوا تآمروا عليه منذ زمن طويل ، وما حرصوا على الدقة فى توقيته ، فانسحبوا من الحكومة وطاروا فراراً لينضموا إلى الفئة التى ظنوا أنها هى الشيوعية المظفرة .

وفى ذلك الوقت قمت من جوف الليل وكتبت برقية إلى الجنرال سكوبى الذى دخل أثينا على رأس ٥٠٠٠ جندى ليعاون فى طرد الألمان ، وذكرت له إنه منذ الساعة فى حِلٍّ من أن يعدّ نفسه محايداً بين الأحزاب اليونانية المتصارعة ، بل عليه أن يؤازر الرئيس باباندريو ، وأن لا يتردّد فى إطلاق النار على المغيرين الشيوعيين . وقد وصله هذا الأمر فى حينه ، فقسمت الجنود البريطانية فرقاً صغيرة ، وخرجوا يطلقون النار على المهاجمين الشيوعيين الذين ظنوا أن الأمر قد تمّ لهم واستتبّ ، فأخذوا يتراجعون من هول المباغتة، وبذلك أتاحوا للبقية الباقية من الحكومة اليونانية أن تلمّ شعثها وتدبر أمرها .

وفى تلك الأسابيع هب أولئك الذين يعدون من أهل اليسار فنالونى بقوارص الكلام . وقامت صحيفة التيمس وصحيفة المنشستر جارديان ومعهما طائفة كبيرة من الصحف الأمريكية يندّدون « بعدوان الاستعمار البريطانى فى اليونان » . ولم يقتصر الأمر على هـذا ، بل كان موقف وزارة الخارجية الأمريكية أيضاً هو موقف المنتقد الذى لا يرحم ، بل إن الرئيس روزفلت الذى كنت لا أفتأ أطلعه على سرّ سياستنا ، قد لاذ بالصمت فلم يرد على سيل البرقيات التى أرسلتها إليه محتجًّا على هذا الموقف .

وبينا كان القتال دائراً فى أثينا ، دخلت المدينة تدريجاً فرقتان أو ثلاث فرق من الجنود البريطانية ، فظللنا نقاتل أربعين يوماً دفاعاً عن حياة أثينا وإنقاذاً لها من الهلاك ، وأخذنا نطرد الشيوعيين عن بقعة بعد بقعة ، وعن حىّ بعد حىّ ، ومن منزل بعد منزل حتى تقهقروا ثم جلوا عن المدينة بعد أن أصابتهم خسائر فادحة . وقد قتل الشيوعيون فى حين انسحابهم نحو ٢٠٫٠٠٠ نسمة من الرجال والنساء والولدان، لا لشىء

جنوه بل لأنهم يكرهونهم ، أو لأنهم كانوا فى طريق انسحابهم . ولكن كانت عاقبة ذلك كله ان أنقذت أثينا والشعب اليونانى ، ونجوا من أن يصيروا دولة شيوعية جامعة.

وبعد جهد جهيد وعناء شديد أتيح للشعب اليونانى أن يختار بملء حريته نوع الحكومة التى يرتضيها . وعلى أساس هذا العمل الذى تم يومئذ ، تيسر للولايات المتحدة أن تقف اليوم موقفها فى شأن اليونان .

وأنا أعتمد فى هذا الأمر كله على وثيقتين لا مغمز فيهما : الأولى ، تقرير وفد اتحاد العمال البريطانى الذى يرأسه السير والتر سترين ، فقد زار هذا الوفد أثينا فى يناير ١٩٤٥ فرأى عياناً تلك الأخاديد الواسعة يزال عنها ترابها فتنكشف عن صفوف من جثث القتلى الذين ذبحهم الشيوعيون . وقد رفعوا تقريرهم كاملا صادقاً إلى البرلمان، ورضى الشعب البريطانى عن شهادتهم وقبلها . أما الوثيقة الثانية فهى الانتخاب العام الذى تم فى اليونان فى مارس ١٩٤٦ تحت إشراف لجنة من الأمريكيين والفرنسيين والإنجليز ، وقد شهد الرئيس ترومان أنه تعبير حر صادق عن الرأى العام اليونانى . أما التشهير بالاستعمار البريطانى فى اليونان فقد كان باطلاً وهراء محضاً ، فلم نكن نبتغى شيئاً سوى أن نتيح لليونان فرصة كريمة حتى تنتعش ثانية ، وبذلك نؤدى لها فرضاً واجباً أخذناه على عاتقنا محافظة على ما كان بيننا منذ زمن بعيد من مودة وتحالف .

وأنا أسجل هذه اللاحظات عن ماض قريب ، لأن الناس صاروا اليوم أسرع نسياناً ، ولأنه ما من صورة إلا ولها حواش تحيط بها وتبينها . والصورة التى ينبغى علينا اليوم أن نتأملها وأن نحاول تقدير ما فيها ، صورة هائلة ، فهى تضم كل عواطف الجنس البشرى ، وكل سياسات الدول الظافرة ومخاوفها. وبما تقدير هذه الصورة تقديراً صحيحاً ، يتوقف مستقبل البشر ومستقبل السلم فى هذه الدنيا .



صورة لفظية

كان الحاجز بين الحجرة والحجرة من الرقة بحيث تستطيع أن تسمع مَن فى الحجرة المجاورة وهو يغيّر رأيه . [جرين وسارة لوريمر]

نساء اليوم ونساء الأمس

جيمس ف. بندر
مدير معهد الأواصر البشرية
ملخصة عن مجلة «ذى نيويورك تيمس»

هل المرأة اليوم اطول وانحف مما كانت منذ ٥٠ سنة ؟

نعم فإن الطول الوسط لفتيات الجامعات فى سنة ١٨٩٢ كان ١٦٨ سنتيمتراً فزاد اليوم إلى نحو ١٧٢ ، ويمكن أن يقال بوجه عام: «إن انتشار التعلم اقترن بازدياد النحول» ، فإن النساء فى جميع الأعمار تنقص أوزانهن اليوم عما كانت بالأمس . وقد قدر متوسط نقص وزن المرأة فى فترة عشر سنوات من هذا القرن، فكان النقص نحو ١ر٤ كيلو جرامات .

هل يختلف قوام المرأة اليوم عما كان منذ ٥٠ سنة ؟

نعم فقد كان أجمل خصر فى العقد الأخير فى القرن الماضى هو الذى يكون محيطه ٤٧ سنتيمتراً ونصف سنتيمتر ، وقلما كان يتهيأ هذا الخصر لامرأة إلا باستعمال المشدات . أما المرأة اليوم فقد أصبح منكباها أعرض، وصدرها أكمل نمواً ، وعضلات بطنها وظهرها أقوى وأبرز ، وساقاها أنحف ، وخصرها أقل نحولاً ووهناً ، وثمة كذلك نقص فى الردف ، وإن كان محيط الردف والذراع قد زاد عن ذى قبل .

هل كبرت اقدام النساء عما كانت؟

نعم ، فمنذ عشرين عاماً كان مقياس القدم السوية فى قوالب صنع الأحذية ٤ ب فأصبح فى هذا العام ½ ٧ ب .

هل اصبح الشيب اسرع الى نسائنا اليوم مما كان منذ ٣٠ عاما ؟

نعم، فإن الشيب المبكر أسرع نزولاً بشعر النساء اللواتى يعشن فى بلاد متحضرة .

هل اصبح عمر المراة اليوم اطول من عمرها منذ ٥٠ سنة ؟

نعم فإن متوسط عمر المرأة منذ ولادتها يبلغ الآن ٦٩ سنة ، فهى أطول عمراً من زميلتها منذ ٥٠ سنة بثمانية عشر

ماً. أما الرجل اليوم فعمره أطول من عمر
يله منذ خمسين عاماً بخمسة عشر عاماً.

هل النساء المعاصرات اشد رضى بحظوظهن من نساء الماضي ؟

كلا، فبالرغم من رقي المرأة الاجتماعي والاقتصادي السريع، فإن ثمة أقلية كبيرة منهن يندبن حظهن من حيث هن نساء، وأشد ما يؤرقهن من حيث هن ربات بيوت هو الوحشة والعجز عن الحصول على متع خارج البيت.

هل يعد نساء اليوم اقل استمساكا بقواعد الأخلاق ؟

نعم، ففي استفتاء حديث وجه هذا السؤال إلى كثير منهن: «أتظنين أن النساء أصبحن في السنوات العشر الأخيرة أشد استمساكا بالفضيلة أو أقل تعلقاً بها، أو هن كما كن من قبل ؟» فقال ١ر١١ في المئة ممن أجبن على السؤال إنهن أشد استمساكاً، و ٤ر٥١ في المئة إنهن أقل تعلقاً، و ٢ر٥ في المئة قلن إنهن لا يعرفن.

هل المرأة المعاصرة اذكى من اسلافها ؟

نعم، فمنذ نصف قرن كان كثير من الجامعات يأبى على المرأة أن تدرس دراسة منتظمة في الجامعة، ويحكم بأنها عاجزة عن هذه الدراسة. ثم تبين من بعد أن النساء أقوى على العمل العقلي الرجال مع تكافؤ الزمن، وأدق في القيام بهذا العمل.

هل وفق النساء الى عمل ا من عملهن القديم يوم اتيحت لهن مقاليد الاشراف على الأعمال ؟

كلا، فقد ظهر من بحث م سنة ١٩٢٨ أن المرأة في رياستها أشد من الرجل اهتماماً بالمسائل الشخصية، وأ منه تقبلا للنقد، يغار بعضهن من بـ وقلما ينسجمن في العمل مع نساء أ وليس للعدل عندهن قيمة.
هذه الآراء من بحث آخر

هل اصبح ال نوعا افضل من الا

كلا، ويقولون
ذلك إن الأمهات أخ
القرن، يلقين تربية أطفالهن على الداب فال اليوم مرهفو الأعصاب، وهم لذلك أقل انسجاماً في الحياة ومطابقة لمقتضياتها من أقرانهم في الماضي.

الغيوم هي الجبال السابحة في رحاب الفضاء. [روبرت لويس ستيفنسن]

هـذه هي مقالة المختـار التي أوحت بفكرة الفلم المصري الممتاز : «المنتقم»

عيون

يرتد إليها البصر

لويس ماتوكس ميلر

في هذا الفلم ترى البطلة نور الهدى تقرأ على البطل أحمد سـالم هذه الكلمات التي توحي اليه بالرجاء : « منذ بدء التاريخ ، والناس يتطلعون الى ذلك اليوم الذي يستطيع فيه الطب شفاء آفة العمى ، وقد اجريت مئات من التجارب لهذا الغرض وباءت كلها بالفشل حتى أنه منذ عشرة اعوام فقط كانت عملية تطعيم القرنية تعـد من المعجزات . أما اليوم فيكاد يكون في كل مدينـة كبرى في الولايات المتحـدة أطبـاء عيون يمارسون هذه الجراحة الشاقة بنجاح ، ويردون الى العمى أبصارهم ، ...قا انَ تطعيم القرنيـة لا يبرىء من كل أنواع العمى ، ولكن أكثر من ...ين من بين مئـة أعمى تنزل بقرنياتهم آفات يمكن شفاؤهم بهـذه ...ـة منها . نعم انها معجزة العلم في العصر الحـديث . » واليك ...تار :

... إلى النور شخص عاش ...امس ، ففي كل يوم ردّ البصر إلى أعمى. ... فالجراحة المعروفة كانت نادرة يوماً ما، ... تراها اليوم تردّ البصر على ...٥ أعمى كل سنة في مدينة نيويورك وحدها .

والقرنية هي الغلالة الشفافة التي تكسو حدقة العين وإنسانها كأنها زجاجة الساعة، والتي ينفذ فيها النور . وقد أدرك الجراحون منذ سـنين أن من الممكن أن تفتح كوة دقيقة في القرنية التي مسّها كدَر من حادث أو مرض ، ثم تركّب على هذه الكوة رقعة صافية مستعارة من قرنية سليمة ، فيرتد إليها البصر . على أن الأطباء قلما يوفقون إلى عين سليمة الأنسجة يقطعون منها هذه الرقعة الصافية ، فإن مثل هذا النسيج يجب أن يؤخـذ من شخص استؤصلت عينه لأذى أصابها ولم يؤثر في القرنية ، أو من ميت كان قد أباح لهم أن يأخذوا من عينيه مايرد البصر على العميان. فكان العميان الذين قيدوا أسماءهم في دفاتر الجراحين ،

يقضون شهوراً مضنية وهم يترقبون يوماً يأتيهم بعين تنقذهم من العمى .

على أن هذا كله قد تغير الآن ، فقد أسست طائفة من مستشفيات نيويورك أول مصرف للعيون فى العالم ، واتفقت هذه المستشفيات أن تتصل بأولياء الموتى ساعة الموت ، أو بمن تدهمهم الحوادث بين الحين والحين ، فيقتضى علاجهم استئصال العين ، فقبلوا أن يرسلوا هذه البضاعة النفيسة إلى مكان بعينه ، حتى تكون قريبة المنال إلى كل جراح تخصص فى ترقيع القرنية .

ومنذ أعلنت هذه الخطة استجاب لها الجمهور، وأقبل عليها لفيف عظيم من الناس ليبذلوا معونتهم ، وتطوع كثيرون فأوصوا أن تودع عيونهم بعد موتهم فى هذا المصرف، ووهب له آباء كثيرون أعين أبنائهم الذين يولدون موتى ، فإن أعين المواليد تغ
أعين الكبار لأن الرقع المسته
الجراحة متناهية فى الصغر

وفى الولايات المتحدة اليو
تتعاون لبلوغ هذه الغاية فى
وعرضها. وقلما يضطر طبيب اله
ترقيع القرنية ، وكادت تنقر
المرضى المنتظرين ، وأصبح البصر ير
عشرات ومئات من العمى ، فقد تم تنفيذ أضخم برنامج لرد البصر كان حتى الآن .

وإن قصص ما حدث لأولئك العمى الذ
ردت إليهم أبصارهم، لتتنوع كتنوع ا
البشرية نفسها ، ولكنها كلها رائعة

فهذا شاب عمى منذ ١٧ ...
قرنيته ، وقد عاد إلى طبيبه منزه
إنه بعد أن برم بانتظار دوره فى
تطوع فى الجيش، ونجح فى الكشف
دون أن يشتبه أحد فى سلامة عينيه .

وهذا شاب آخر فقد البصر منذ ٢٢
أصاب عينيه وهو رضيع، رشاش ...
وتعلم فى مدرسة عميان بطريقة
وعاش عيشة موفقة بعض ا
قرأت أمه عن ترقيع ... الة
العيون ، فا
العيون

« لقد قرأت الساعة يادكتور أن العيون
لازمة لترقيع القرنية ، فهل يمكن
نعمل عينا ولدى فى ردّ البصر
ن الناس ؟ »
لأب الشاب الأوراق المطلوبة ،
رجال الصليب الأحمر بسيارتهم إلى
ـفى ، فأخذت عينا الوليد المتوفى
ضعتا فى سائل معقم فى إناء مختوم ،
تا إلى مصرف العيون . وفى اليوم
قل الصليب الأحمر كل عين منهما
فى ،فردت رقعة من أولاهما البصر
لِ أسرة كبيرة ، وقد عمى فى
لصبا منذ بضعة شهور ،
نابة أعماها
سعد .

ولقد ألّف مصرف العيون بين قلبين متحابين ، يوم أصيبت طالبة فاتنة من طالبات التمريض بسَبَل فى العين ، وهو مرض تتكاثف فيه القرنية تكاثفاً يفضى إلى العمى ، فذهبت إلى نيويورك لترى أتصلح جراحة ترقيع القرنية فى مثل حالتها ؟ فكانت صالحة ، فلما برئت صارت ممرضة عند الطبيب الذى رد إليها البصر .

ثم وفد على نيويورك طبيب كندى شاب يبتغى ترقيع قرنيته ، وكان مرضه شبيهاً بمرض هذه الممرضة ، ولعل ذلك هو الذى جعلها تعنى بالطبيب الشاب وتمرضه مخلصة متفانية ، أو لعله سبب آخر . فقد تزوجا وهما اليوم فى كندا حيث يحاول الطبيب الشاب أن يقيم من بناء حياته ماقوضته كوارث الأيام .

أمثال هذه القصص سوف تصبح
بعد أن استحال مصرف العيون
ن مؤسسة محلية إلى مؤسسة
ـب مجلس إدارة هذا المصرف
ء العيون وعظماء القوم . ويجدّ
ناق خدماته للمستشفيات ،
إدارته لاينى يعمل فى تيسير
دراسة لتخريج عدد كبير من الأطباء
لقادرين على ترقيع القرنية . وهذه الجراحة
وإن لم تكن خطرة إلا أنها من الدقة

بمكان . وليس بين أطباء الولايات المتحدة جميعاً أكثر من بضع عشرات من الأطباء لديهم ما يؤهلهم لإجرائها .

وترمى هذه المؤسسة إلى غرض آخر ، هو تشجيع البحث عن خير طريقة لحفظ نسيج القرنيــة أمـداً طويلا ، إذ ليس فى الإمكان اليوم أن تحفظ

العيون الموهوبة أكثر من بضــعة أيام

إن أولئك الأجواد الذين يهبون ء

للمصرف بعــد الوفاة لكى يستعار

جراحات رد البصر ، إنما يهبون

والنور لبيوت لا يدركها الإحصا

إذا مات خلف للناس أشياء قل

ما ينفع الأحياء كما تنفعهم عيناه .



مرجريت ستراب فتاة فى الثامنة والعشرين من عمرها ، وقد

بالأسطول ، وقد جلست ذات مساء فى دارها تقرأ مجلة ، ثم الت

« كنت أقرأ فى مجلة ريدرز دايجست (المختار سـبتمبر ٩٤٦

ترقيع القرنية ، وهى التى تتيح الانتفاع بعين واحد من النا

من يحتاج إليها . أفلا ترين أنه يجمل بى أن أوصى بع

ويومئذ يستطيع من أقام طول حياته فى الظلام ، أ

وكذلك يتاح لى أن أظلّ حيّة حتى بعد

فقالت أمها : « أجل ياعزيز

على السبيل إلى هبة عينيك ، بـ

ولم يكد ينقضى أسبوعان

بالغ ، فنقلت على عجل إلى المستش

وتذكرت أمها ما كانت ابنت

البصر على إنسان من الناس . وف

نيويورك سلم الطرد إلى مستشفى العي

منــذ بدأت هذه القصة ، نجد رجلا كان ي

« آيات الله وعجائب الطبيعة » بعينى مرجريت

مراسـل صحفى يعود الى ڤينا التى كانت عاصمة مرحة ضـاحكة لامبراطورية عظيمة ، فاذا هى اليوم مقسـمة ، تتحكم فيها الشرطة .

ڤينا ـ مدينة الفزع

فردريك سوندرن
مختصرة من مجلة «ذى نيوليدر»

الصراع دائر بين الولايات
وسيا من أجل السيطرة
ان الجنرال مارك كلارك ،
ية تمثل فرنسا وبريطانيا
ام الذى يدير شئون
مد يوم محاولات
ثى الاحتلال
سيطرة
اب

الروسى ، وأنت ترى أهلها اليوم قوماً قد أظلهم الفزع وروّع قلوبهم .

وقد لقيت موظفاً من السوفيت ، فقال لى فى ساعة ترك فيها الحذر : « كان الجيش الأحمر أينما ذهب أعدى عداة الشيوعية الدولية » ، وأهل ڤينا يرون هذا الرأى ، فالجندىُّ الروسىُّ الجهم المتقلب الأهواء الذى لا يؤمن جانبهُ ، قد غـدا رمزاً للاستبداد كأسوأ ما كان الجستابو فى عهد
لر . فقد حل الرجل الذى يمثل الشرطة
السوفيتية (النكفيدا) ، والرجل
إليه بالتنظيم السياسىّ ، محل
ستابو وممثل الحزب النازى . وقد
إحدى الصحف : « وأنا أرى
ب الفريقين وأغراضهما متماثلة » .

قناة نهر الدانوب مدينـة ڤينا
رين ، فلم تكد تنقضى دقائق على عبورنا
القناة حتى سألنى سائق السيارة وهو من
أهل ڤينا : « أترى فرقاً ما ؟ فنحن الآن

المنطقة الروسية » . كانت الشوارع التى
ڤينا منها لساعتنا غاصة بالناس ، حقاً كان
معظمهم رث الثياب نحيلا لقلة الغذاء ،
ولكن الشوارع كانت زاخرة بالنشاط ،
المقاهى عامرة ، وحياة المدينة سائرة على
مألوف عادتها .

ولكن الشوارع فى المنطقة الروسية
كانت ساكنة ، وتكاد تكون مقفرة
من الناس ، وكان الناس يسرعون
فى سيرهم ، وما كانوا يتلكأون للتجمع
عند منعطفات الطرق ، كما يحب أهل ڤينا
أن يفعلوا ، وخيل إلينا أن كل إنسان تلح
عليه ريبة فيما يأتى وما يذر .

وقال لى سائق سيارتى كالقلق المتردد :
« ليس فى وسع أحد أن يعرف ما عسى أن
يحدث فى الشارع ، فقد يرى أحد الجنود
الروس دراجتك فتستهويه ، أو معطفك
فيريده ، وإذن فلا مفر لك من أ...
ما يريد . وأنت تعلم أنهم قوم يحـ...
فلا يترددون فى إطلاق النار ...
شيئاً نادراً ، بل إنه كثير ولاسـ...
فلذلك نمضى سراعاً إلى عملنا فـ...
فإذا انتهى العمل عدنا إلى بيوتـ...
على شىء ، ونعتصم بها » .

كان الساعاتى الشيخ فى حانوته الصـ...
من أشد أنصار الشيوعية قبل الحرب —

وهو رجل ضخم شديد المراس...
طويلان وصوت كصوت الر...
النازى زمام الحكم فى النـ...
طويلا فى المعتقل . فلما دخلت
فيه ثلاثة ضباط من الروس ، -
المستريب إلى بزتى الأمريكية
الشيخ بأنه لا يعرفنى . وأخيرا...
الضباط ، وإذا بالشيخ يعانقنى -
وهو يقول مرتعش الصوت...
يا صديقى القديم . . ما...
سامحنى إذ لم أبادرك بالتـ...
فهؤلاء الروس لا ...
الأمريكيين »

ثم سار بى ...
وإذا هـذا ...
خزا...

نت شيوعيًّا ، وظللت كذلك
ع على وصول الجيش الأحمر
نيت يومئذ الرجال الذين
صف «المنظمين السياسيين» .
افهم أكثر مما كنت أخاف
ى» ، وقد تهدج صوته وهو يتكلم
« ظننا فى أول الأمر أن ركونهم
والنهب والقسوة الشديدة ،
بعية من عواقب الحرب ،
على وتيرته الأولى كلّ
على أن تقول كلمة خوفاً
ليعتقلوك فى الصباح
لجستابو يفعلون ،
ث هذا لطائفة
تخرجون

وقد حرص الرجل كلّ الحرص على أن يستوثق من انفرادنا ، ثم دسّ كتلة من القطن فى سمّاعة تلفونه ، ثم همس فى أذنى : « إن رجال النكفيدا يعمدون إلى جميع حيل الجستابو وأساليبهم . ربّاه ! كنت أظن أننى شيوعىّ ، ولكن هؤلاء الناس جفاة لم يهذبهم شىء » .

ثم زرتُ بعد ذلك صديقاً قديماً ، وهو كهل متحذلق من ضباط البوليس ، وقد أنبأنى أنهُ حدث منذ بضعة أيام أن سار جنديان روسيان بفتاتين لم تدركا العشرين من عمرها ، ودخلا بهما الحديقة العامة الرحبة فى ڤينا ، فلما ذادت الفتاتان عن شرفهما ، أطلق أحد الجنديين النار على الفتاتين كلتيهما ، فماتت إحداهما ، وجرحت الأخرى جرحاً خطيراً ، وفرّ الجنديان. ونقلت الفتاة المصابة إلى المستشفى ،
الليلة دخل المستشفى ثلاثة من رجال
ثياب مدنية ، ولم يعبأوا بالقائمين
، ولفوا الفتاة وهى لم تزل
أغطية سريرها وانطلقوا بها
ثم انقطعت أخبارها . ثم تنهد
قال : « ونحن لا نملك حق
هم . وقد أمرنا بأن ننسى ما حدث »
هزّ كتفيه كأنه غير حافل وقال :
يخيل إلىّ أن الحياة البشرية لا قيمة لها

ولا معنى فى نظر السلطات الروسية . وقد رأيت جنوداً من الروس يحكم عليهم بالإعدام لأنهم وجدوا سكارى فى الشارع . ثم رأيت غيرهم قد اعفى عنهم بعد أن قتلوا أو اغتصبوا لأنهم راعوا الحذر والحيطة فيما فعلوا ».

وقد همنى أن أستطلع ما كان مصير العمال فى ظل الحكم الروسى ، فأخبرنى ميكانيكى فى مصنع كبير ، كيف كان المشرف الألمانى يسوق العمال سوقاً بغير رفق أو رحمة. فلما دخل جيش المارشال كونييف مدينة ڤينا كاد العمال يجنون فرحاً ، واصطفوا فى الشوارع لكى يحيوا محرريهم . فلم تكد تنقضى فترة يومين حتى دعاهم المشرف الروسى إليه ، فقال إن المصنع يشتغل الآن لحساب الاتحاد السو‍ فلا بد من المحافظة على النظام أتم محا قال الميكانيكى : « وقد عسر علينا أن أن الرجل الذى يخاطبنا لم يكن مديرنا النازى الـ

«وحال العمال

فقد فرض علينا

التى تجمع كل كـ

إن نصيبنا من الطعام والأجر وأنت لا تستطيع أن تفوه بـ نقل أحد المخبرين كلامك إ الروسى فى المصنع ، ويوم بطاقة الطعام ، أو تجعل

« وقد أرسـ الشهر الماضى مئة مـ المصنع الذى أ روسيا ، فـ « عقوداً مختارين إ قيل لهـ توة أ

حتى الآن نجاحاً كبيراً .

تمر بوتسدام ، وقع الرئيس
ناروه في شرك أحكم الروس
حبائله . فقد اتفقوا على أن
يا على سبيل التعويض ، جميع
التي كانت خاصة بالألمان في منطقة
بي بالنمسا ، ولم تدرك وشنطن
وان ، أن الألمان في عهد
اشتروا » سبعين في المئة
ية ، وأن الروس عزموا
سبه الألمان في عهد
الألمانية في النمسا
وإذن فروسيا
نابع زيت
بدار

أن يحققوا ما اقترحه عليهم الروس من إنشاء احتكار سوفيتي نمسوى للزيت ، وأيدهم الجنرال كلارك في ذلك ، رد المارشال كونييف من فوره بأن قلل موارد فينا من الغاز والزيت من ٧٠ في المئة إلى ٢٠ في المئة من الحد الأدنى الذي يكفي حاجتها . وقد أنقذ الجنرال كلارك الموقف يومئذ بما قدمه للمدينة من مخازن الوقود التابعة للجيش الأمريكيّ ، ولكن قدرة القيادة الأمريكية على بذل مثل هذا العون محدودة .

وقد قال أحد النمسويين الذين يصنعون الصلب بعد أن بلغ منه اليأس : « ماذا أستطيع أن أصنع ؟ فأنا أعتمد على الفحم الذي يستخرج من حوض الدانوب الأسفل، ومن البيّن أن هذه المنطقة هي السوق لبضائعي في المستقبل . وحوض الدانوب الأسفل خاضع لسيطرة الروس من يوغسلافيا اريا ورومانيا . وقد جاءني جماعة لروس منذ عهد قريب وبينوا لي خليق أن ألقاهُ من المصاعب ض الدانوب ، إن لم يكن للاتحاد تب في عملي . فإذا رضيت أن نتقل إلى أيديهم ، ضمنوا

السوفيتي تطبق
نقاً للضرورات

السياسية . وقد لقيت رجلا موظفاً فى وزارة الأخبار ، وكان فيما مضى نازياً قحًّا ، فصارحنى برأيه . وكنت قد أصغيت إليه يلقى خطبة بعد عرض فلم روسى لا يُعَدُّ فى رأى الذين ألفوا أفلام الغرب شيئاً يستحق الذكر ،فقال فى خطبته : « وسوف ترون فى هــذا الفلم أن مستقبلنا الثقافى لن يكون مرتبطاً بالغرب الواهن المنحط ، بل بالشرق الزاخر القوة » .

فسألته بعد الخطبة لِمَ فعل ما فعل ؟ فقال : « إن بطاقة الطعام الروسية لها شأن عظيم فى هذه الأيام ، فإذا صرنا من أتباع روسيا ، وهو أمر لا مفرّ منه ، صار لسيرة الرجل الذى يقدّم الولاء لها ، شأن أعظم من شأن البطاقة » . وهذا بوجه عام هو موقف الذين ينفذون أوامر الكرملين فى ڤينا .

وقبيل رحيلى عن ڤينا جاءنى ر
من كبار موظفى الحكومة النمسوية ، و
زمناً يذرع الغرفة لا يستقر له قرار ، و
رجل مستقيم مؤمن بالديمقراطية ،
عذاب فظيع على أيدى النازي
« إن سيطرة الروس
من القوة مبلغاً تع

نمسوية عن مقاومة أوامر مو
تكن أحكام معاهدة الصلح »
فمنذ سنة أو نحوها كانت
بمجاعة خطيرة ، وأرادت موس
الحكومة الجديدة الاشتراكية الد
برأسها المستشار فيجل ، فقطع ال
كونييف كل الطعام الصاد
أغنى مقاطعات النمسا بموا
سائر جهات النمسا . فباد
والبريطانيون إلى العمل قبل
وأرسلوا على جناح السرعة
المخزون لجيوشهم ،
مجاعة عامة .
قال : « وا
المعاهدات
والأ



ع مسحورة

ة وأنا أتنقل من
انت أكثر عملى
ت صحفياً
ل

ولكن خيل لمحرر الحوادث فى جريدتنا وهو رجل محنك، أن مستر راسين يعرف عن الجريمة أكثر مما بدا من أقواله ، فانتدبنى لكى أتولى استطلاع ما فى نفسه .

كان مستر راسين رجلا طويلا نحيلا فى بداية العقد السابع من عمره، مغضن الوجه حاضر الابتسامة، وجلسنا فى غرفة الاستقبال ببيته الواسع ، ورحت أسأله الأسئلة المألوفة فى مثل هذه الأحوال، وسرعان ما أحسست كأنى أسمع حفيفاً وراء الجدران ، تقطعه بين الحين والحين صيحات مكتومة .

تلفت نحو مصدر هذه الأصوات وقلت متسائلا : « جرذان ؟ »

فقال : « كلا إنه السنجاب » .

قلت : « ولكن كيف تأتى للسنجاب أن يصل إلى جوف الجدران ؟ »

قال : « هذا بيت قديم ، وفيه صدوع كثيرة تتيح للسناجيب أن تنفذ إلى جوف بدران . وقد أعطانى صاحب البيت ة كبيرة للسنجاب جعل فيها طعماً من ، أضعها فى الطابق العلوى فلا تفتأ احداً حيناً بعد حين . وقد علمنى فى حوض مملوء بالماء فأغرق عندما اصطدت أول لى إغراقه ، فقد ، وكان مقعياً ، فجعلت

دنى كلما صدت سنجاباً أن أركب الترام في آخر الخط وأطلق سراحه هناك .

« ولكن ينبغى أن ترى ما يفعل هذا الحيوان فى غرف السطوح ، إنه يجر صحفاً كلها فيدخلها فى جحره ، ويفعل مثل ذلك بالملابس ، بل بأى شىء يستطيع أن يجره على البلاط. تعال نصعد لتراه بعينيك» .

وتبعته إلى غرف السطوح فقال لى :

« إنى آوى إلى هذا المكان أحياناً فأجلس فى هدوء ،وبعد برهة تخرج السناجيب من جحرها هذا فلا تلق بالها إلىّ كأننى قطعة أثاث . أتريد أن تراها ؟ »

فقلت : « نعم ! »

فقال : « اجلس هنا هنيهة ، وستراها وهى تخرج ، وأقم ما أحببت أن تقيم لأنى خارج ، وسأدع باب البيت مفتوحاً لتخرج متى تشاء » .

وما هى إلا لحظة حتى خرج من الجحر سنجاب فوقف برهة يبصبص بذنبه الكثيف، ثم قفز خلف بعض الحقائب ، وظهر ثانيةً حاملا معه صداراً من الصوف أخضر ، وراح ينوشه ثم يدعه ويقفز ناحية ليعود فينوشه من جديد . وخرج من الجحر سنجاب آخر وجرى نحو الصدار ، وبدا لى كأنه يريد أن يعاون رفيقه، ولكن السنجاب الأول طارده حتى ألزمه الجحر .

واستغرق نقل الصدار إلى الجحر ساعة، واستغرق جذب أحد كميه إلى داخل الجحر ساعة مثلها ، ولكن وسط الصدار استعصى على الدخول ، فالتمس السنجاب بين ثنايا الصدار طريقاً إلى خارج الجحر ، وراح يحشره فى الجحر حشراً بمخلبيه الأماميين ، حتى أدخله ثم اختفى وراءه فى الجحر .

ولما عدت إلى الجريدة ألفيت محرر الحوادث ثائراً يصيح بى فى أى داهية كنت؟ فلما أخبرته أنى كنت استجوب مستر راسين، طلب منى أن أذهب فأقول ذلك لرئيس التحرير . ونظر إلىّ رئيس التحرير نظرة صاعقة ، ثم قال لى إننى مطرود منذ اليوم. وعرفت فيما بعد أن مستر راسين بعد أن تركنى فى السطح عاد إلى أنابيب المجارى التى وجدت فيها جثة زوجته ليبحث عن نظارة وقعت منه هناك ، فضبط وسيق إلى مكتب التحقيق حيث اعترف بأنه قاتل زوجته ، ونشر اعترافه فى الصفحات الأولى فى كل الجرائد التى صدرت ذلك المساء إلا جريدتنا .

وهكذا تركت مهنة الصحافة .

نشأت منذ صغرى مولعاً بالطبيعة ، فأما وقد أصبحت عاطلا فقد رحت أرقب الطيور والحشرات والحيوانات فى المدينة .

إن ثمة عالماً من الحياة يموج بالكائنات بين الحشائش ، وتحت الأوراق الذابلة والصخور ، وعلى لحاء الشجر وتحت هذا اللحاء . وهناك ألوف من الكائنات تختلف أحجامها من جزء من البوصة إلى بوصتين أو ثلاث بوصات أو عشر بوصات، وهى تقضى حياتها حيث لا تقع عليها عين بشر — كائنات دقيقة كأنها فى غرابة شكلها كعجائب المخلوقات التى نراها فى الأحلام . ومع ذلك فكل منها مخصص لأداء عمل بعينه فى الحياة .

وكلما استولى علىّ اليأس وأنا أبحث عن العمل دون جدوى ، ذهبت إلى بستان فقضيت فيه ساعة أو ساعتين أرقب هذه الحشرات، فأحس كأن دنيا البشر قد امحّت من خاطرى، أو كأننى تعاطيت مخدّراً أعطل ذاكرتى ولكنه لم يترك أثراً باقياً بعد زواله.

وفى أصيل يوم من الأيام نظرت فى حفرة فرأيت على ورقة نبات ضئيل بقة خضراء كأنها مثلث دقيق ، لها عينان جاحظتان ورائحة كريهة ، فانبطحت على الأرض أرقبها متعجباً من شكلها الغريب ، ورأيتها تزحف إلى طرف الورقة ثم تنقلب إلى أسفلها حيث كانت دودة لها على ظهرها صفان من نكت صفراء ترعى آمنة مطمئنة . ثم رأيت البقة المنتنة تخرج من رأسها شيئاً طويلا كالخرطوم ذا مفاصل ، ينتهى بمثل الإبرة ، ثم تهاجم الدودة بعنف كأنها فارس يطعن برمحه تنّيناً هائلا .

نفذت إبرة الخرطوم فى جنب الدودة ، وسرعان ماشرعت البقة خرطومها فى الهواء والدودة من فوقه تتلوى ، وظلت البقة كذلك دون حراك ممسكة بهذا التنين المتلوى الذى يبلغ وزنه خمسة أضعاف وزنها.

وخمـــدت حركة الدودة بعد لأى ، واسترخت حيث هى وفقدت الحياة ،فأنزلت البقة خرطومها ، وتخلصت من الدودة على حافة الورقة ، وذهبت إلى سبيلها . فاقتربت من الورقة ، وأمسكت بالدودة فألفيتها قد هزلت وباتت كجراب أجوف ،فإن البقة قد امتصت كل ما فيها من عصير الحياة .

إن مراقبة شتى أنواع النمل ومحاولة كشف أسرارها قد تستغرق أجيالا طوالا. وثمة نوع من النمل يربى قطعاناً من منّ النبات ويعيش عليه . وهناك فصيلة أخرى من النمل لا تعمل شيئاً سوى زرع حدائق ضخمة تحت الأرض من عش الغراب تقتات به ، ويأتى نملٌ من فصيلة أخرى فيلتصق بسقف هذه المسارب،وتظل شهوراً معلقة هناك تطعم على ما تقوتها به الأخريات، إلى أن تصير أشبه بالبراميل الصغيرة فتأكلها الأخريات . ومع ذلك فالنملة ليست إلا نوعاً

واحداً من الحشرات بين بلايين من مثلها تعيش على وجه البسيطة .

خرجت ذات ليلة بعد مغرب الشمس ، وامتلأت خياشيمى بالرائحة القوية الباردة الندية المنبعثة من الأرض والأعشاب ، وسمعت ضجة صرصار على مقربة منى يحجب عنى ضوضاء المدينـة ، ثم وجدت نفسى منبطحاً على الأرض ، كأنى كنت فى حقل بعيد فى أرض الريف .

وسمعت فجأة من حولى جلبة أصوات . هذا صوت امرأة تقول : «لم لا يستدعى أحدكم الإسعاف؟» وهذا صوت رجل يقول: « لعله ثمل ، أعينونى فنقلبه على ظهره » .

وانقلبت فجلست فى مثل لمح البرق ، فتبينت حولى جمعاً من الناس، ومضت لحظة وهم سكوت شاخصون إلىّ كأنى جثة ميت عاد إلى الحياة ، ثم انحنى على واحد منهم فى النهاية وسألنى : « أأنت بخير ؟ »

قلت: « نعم أنا بخير» ثم نهضت فالتمست الطريق وأنا أهرول ، وكنت أحسّ بوقع هذه الأعين التى تتبعنى ، وأشعر بوجهى يلتهب من شدة الخجل .



لواذع هوليوود

لقى ممثل مزواج ذات يوم فتاة مرحة حسناء فحيته وقالت : « ألست تذكرنى ؟ فقد طلبتَ منى أن أتزوجك منذ عشر سنوات » .

فتثاءب الممثل وقال : « وهل فعلت ؟ »

نزلت جماعة من السياح مدينـة هوليوود وذهبت فى الليل إلى ملهى مشهور ، فلم ينفكّ أفرادها عن التحديق فى الكواكب الذين يحيطون بهم . وقد حرصت إحدى الفتيات على التحديق فى المغنى بنج كروسبى فلم ترفع عينها عنه . وأخيراً التفت إليها وانحنى لها فقالت : « أليس هذا شيئاً غريباً ؟ لقد رأيت عدداً وافراً من الأفلام التى مثل فيها ، حتى ليخيّـل إليه أنه يعرفنى » .

خرجت جماعة إلى السهول لتخرج فيها أجزاء من فلم ، فلقيت شيخاً من الهنود الحمر كان يزوّدها بأنباء الجو وما ينتظر أن تكون ، فعجبت لدقة أقواله وصحتها . ثم جاء يوم ، أبى فيه الشيخ أن يتنبأ بحالة الجو فى اليوم المقبل ، فسأله المخرج عن سر ذلك فقال الشيخ « تعطل الراديو » .

كيف تستطيع أن تنجو من أمراض النفس المدمرة

لو لم يكن عملى أن أعظ الناس لكنت خليقاً أن أكون طبيباً نفسياً. وفى العالم اليوم ألوف من هؤلاء الأطباء وعياداتهم غاصة بطلاب العلاج، ولكن الشىء الذى يبعث على الفجيعة هو أن يكون عدد الذين ترهقهم الحياة فتنهار نفوسهم، أكثر كثيراً مما يتسع وقت الأطباء النفسيين لعلاجه. وأنت تتلفت فيمن حولك فتجد مايهولك من عدد الناس الذين تتوسم فيهم الذكاء، فتراهم تؤودهم الحياة بمشكلاتها العاطفية، فيقعون فى حبائلها ولات ساعة نجاة.

بيد أننا لن نوفق إلى حل هذه المشكلة بزيادة عدد الأطباء النفسيين. وأكبر مشكلة يعانيها أبناء هذا العصر، ليست أن تجد طبيباً نفسياً يستطيع أن يغوص فى أعماق عقول الناس ونفوسهم، على الفاسد والخبيث من أفكارهم وعواطفهم، بل هى أن تجد وسيلة تمنع الفساد والخبث أن يتسللا إلى أعماق النفوس، فيتوقى الناس بذلك ضرورة الالتجاء إلى الطب النفسى.

ولقد قضيت سنين كثيرة أحاول أن أعظ الناس وأرشدهم سواء السبيل، فأجدنى اليوم أرى رأياً فى هذا الموضوع، لخصه الدكتور هدفيلد كبير الأطباء النفسيين فى بريطانيا أحسن تلخيص حين قال: « إننى مقتنع بأن الدين عامل من أجدى العوامل وأقواها فى إدراك سكينة النفس والطمأنينة والثقة، التى تشتد إليها حاجة كثيرين من الناس لكى ينعموا بالصحة والقوة. وهذا قول رجل مشتغل بعلوم

العلاج النفسى، ولاشأن له فى فلسفة الدين».

جاءنى ذات ليلة شاب كنت أعرفه ، وكان قد حاول منذ ساعة أن ينتحر بشنق نفسه — فانقطع الحبل . فقضينا ساعتين نتجاذب أطراف الحديث ، فخرج بعدها وهو يقول : «أحس كأنى مخلوق جديد فى عالم جديد » . وقد حدث هذا منذ سنين فلما لقيته آخر مرة قال: « أنا على خير حال» فمنذا الذى يستطيع أن يذكر هذا الشاب دون أن يذكر أيضاً أن هناك شباناً كثراً أشرفوا على الانهيار العاطفى، دون أن يكون لذلك الانهيار ضرورة قاهرة ، فحاولوا أن ينتحروا ولم ينقطع الحبل ؟

حقا إن الذين صار الدين فى حياتهم سرا من أسرارها ، قد كشفوا فى الحياة نهجاً يمكنهم فى كثير من الأحيان ، أن يدرأوا عن أنفسهم ضرورة الالتجاء إلى الطب النفسى .

وأحد الأركان التى يقوم عليها هذا النهج هو : سكينة النفس. فما أكثر الناس الذين لايجدون فى دخيلة نفوسهم ملاذاً يلوذون به من صخب الدنيا وضجيجها ، فتلفهم لايقر لهم قرار. وقد قال الفيلسوف هوايتهد إن الدين هو مايصنعه المرء فى ساعة وحدته ، فإذا صح هذا التعريف ، فهؤلاء قوم لادين لهم، لأنهم لايدرون شيئاً عما يصنعونه ساعة يكون أحدهم فى عزلة وعلى انفراد ، سوى أن يفروا من العزلة إلى تيار الحياة الصاخب، فقوام حياتهم حركة دون تأمل ، وضوضاء بغير سكون ، فلا غرو أن تفضى بهم هذه الحياة التى لا تسكن ولا تستقر، والتى لايجدون ملاذاً منها فى ذوات نفوسهم ، إلى نهج يؤثر فى عواطفهم تأثيراً مدمراً. وشخصية الإنسان لم تخلق لتسير على هذا النهج فى الحياة فالذين يحاولون السير عليه ينتهى بهم المطاف إلى عيادة الطبيب النفسى .

وثمة ركن آخر هو : كرم النفس وصفاء النية . إن عيادات الأطباء النفسيين غاصة بجماعة من الناس دأبوا منذ سنين على أن يستروا وراء بشرهم وإيناسهم ضغائن متأصلة فى نفوسهم وغضباً مكتوماً وحسداً يمزق أحشاءهم . وقد يكون السبب الأصيل لهذه الضغائن خافياً عن الرجل الذى يكظمها فى دخيلته، فالتحليل النفسى كفيل بأن يكشفه. بيد أن الضغينة المكتومة فى نفس صاحبها، قد تنتقل إلى أى شخص يلتقى به فتنصب عليه، ويومئذ يسهل على صاحب الضغينة أن يلقى تبعة إخفاقه على كاهل ذلك الإنسان الذى صار هدفاً لضغينته . وأنت تجد عاقبة ذلك مآسى تقطع نياط القلب ، مآسى أسر تشتت شملها ، ومآسى رجال ركبتهم الخيبة فى أعمالهم .

وكرم النفس دواء نافع . ولا تصدق من يقول لك إن كرم النفس وصفاءها شيء كالمثل الأعلى لا يجدى فى هذه الحياة الدنيا ، بل سوف تجد أن أخـذ الذين يجحدون الفضل ويناصبونك العداء ، بكرم النفس وصفاء النية ، هو من الأسرار التى تتيح لك أن تدرك صحة العقل وصحة العاطفة جميعاً . ولست أعرف ما هو رأيك فى قول بولس فى رسالته إلى أهل كورنثوس حين قال : « ... الإيمان والرجاء والمحبة ... ولـكن أعظمهن المحبة » . بيد أنى أرى أن قوله عـلاج نفسى نافع يوقينا عثرات كثيرة .

وركن ثالث من أركان الحياة العاطفية الصحيحة هو : الـكرامة وعزة النفس . والرجل العاقل لا ينفك ينقد نفســه ويؤاخذها ، ولـكنه إذا أذن لنفسه أن يستبد بها شعور تحقير النفس ، فقد ذهبت ريحه وكان من الخائبين . والرأى الشائع بين الناس هو أن الزهو وعزة النفس هما أعظم لعنة يصاب بها رجل . وكثيرون من الناس الذين يتظاهرون بالزهو والعجب ، إنما يتوسلون بالغطرسة ليستروا بها نفوساً مريضة تحقرهم فى نظر ذواتهم . ومعظم الحالات التى يعالجها الأطباء النفسيون ، يكشفون فى أعماق نفوس أصحابها شعوراً كامناً بالإثم والغضاضة واحتقار النفس .

فإذا أردت تقويم هذه الحالة بالدين، وكان التوجيه الدينى فاسداً تفاقمت الحالة ، ولذلك ترى الأطباء النفسيين يستريبون فى جدوى علاج هذه الحالات برجال الدين ، وبعضهم يشتد فى مقاومة الالتجاء إليهم، لأنهم يجدون أن التوجيه الدينى إذا كان فاسداً يفضى فى بعض الحالات إلى ندامة تستبد بالنفس ، وتلح عليها من أجل زلات وهفوات ، وإلى تخويف الناس مما يهددهم من عقاب ؛ فينتهى بهم الأمر إلى أن تتأصل فى نفوسهم عقد نفسية ليس لها سبب صحيح أو معقول . والتسليم بهذا الاعتراض لا يعنى أنه ينبغى لنا أن نلتمس العلاج فى الابتعاد عن الدين ، بل ينبغى أن نلتمسه فى الدنو من جوهر الدين وحقيقته .

والرجـل إذا ظل يقول لنفسه ، إنه مخفق لا يصلح لشيء ، استطاع أن يحل نفسه من التبعات الواقعة على كاهله ، وانتهى إلى اليقين بأن السعى لا يجـدى شيئاً . والدين الصحيح يقضى على هذه الأعذار قضاء مبرماً . بل لو سلمنا بأن شعور الرجل بالإثم له ما يسوغه ، وأن آثامه فى الماضى لا تزال تسيطر على عاداته وتلح عليه فى طوايا ذاكرته ، فإنه ولا ريب يجد فى التماس الدين الصحيح بلسما شافياً .

فى مصحة أقيمت لعلاج الذين يدمنون الخمر والمخدرات ، كان لى صديق أدمن الخمر حتى صار لها كالعبد الرقيق ، وكان يومئذ يتماثل للشفاء من آثار سورة من سورات السكر والعربدة ، وقال الأطباء إنه فى حال لا يرجى له شفاء منها . وكان ذلك رأى أهله وصحبه ، بل رأيه فى نفسه . وكان صاحبي إلى ذلك رجلا لا يؤمن بالله ، ويدعو إلى إنكاره ، فلم يجد فى حياته أحداً أعلى منزلة وأسمى كلمة من أطبائه وأصحابه ، فيقول له إن حبل رجائه لم ينقطع . وفى سعيه المحموم إلى الظفر شىء يستمد منه العون النفسى ، دعا الله وهو متردد أن يمد إليه يد المعونة . فهذا الدعاء كان آخر حبل واهٍ يتعلق به ليقيه من الهبوط فى هوة لا قرار لها من احتقار النفس والقنوط . ومنذ ذلك اليوم لم تمتد يده إلى كأس من شراب ، وهو الرجل الذى أنشأ جماعة « إرشاد المدمنين »*

وثمة ركن آخر من أركان الحياة الصحيحة هو : بذل النفس فى رعاية الناس أو أعمال الخير . فالشخصية الإنسانية لم يقصد بها أن تكون منطوية على ذاتها ولا همّ لها سوى مأربها الخاص . وإذن فينبغى لكل امرىء يطلب الحياة الصحيحة أن ينطلق من إسار ذاته ، وأن يجد غرضاً حقيقاً بأن يعكف على إدراكه ، وأن يجاهد جهاداً نافعاً ، أو أن يتيم بحب يستغرقه ، أو أن يستكشف عملا يستأثر بعنايته ويتحدى قدرته ، أو أن يندفع فى مغامرة رائعة ، أو أن ينطلق فى عمل الخير . فالقول المأثور عن عيسى عليه السلام : « من أضاع حياته من أجلى يجدها » هو قاعدة جوهرية من قواعد الحياة الصحيحة .

والمبالغة فى العكوف على الذات مرض . فلذلك ترى أن المصابين باضطراب الأعصاب ليسوا من الناس الذين بلاهم الحرمان ، بل من الناس المستمتعين بنعم الحياة . فهؤلاء يجدون أسباب العيش مهيأة لهم موفورة بين أيديهم ، ولا يجدون شيئاً رائعاً خليقاً بهم أن يعيشوا من أجل إدراكه . وكثيراً ما تراهم يحاولون الفرار من سجن عواطفهم الخبيسة ، بالعربدة أو الفجور وغيرهما ، وهم يظنون أن ذلك هو طريقهم للتعبير عما يعتلج فى نفوسهم . ولكن هذا التعبير عما يعتلج فى النفس لا يسمو إلى غرضه النبيل إلا إذا بذل المرء ذاته غير ناظر إلى مصلحة أو نفع خاص ، فى سبيل أناس أو أعمال يؤمن بها ويحبها ، وهذا

* كنت سكيراً ، المختار مارس ١٩٤٦ ص ٤٨

قول مازالت الديانات تدعو إليه منذ أقدم العصور ، والدكتورجوردن ألبورت أستاذ علم النفس فى جامعة هارفرد يقول : « من المفارقات أن يكون التعبير عن الذات محتاجاً إلى قدرة المرء أن يتفانى فى طلب أغراض ليست لها صلة بالذات فى المقام الأول » .

ومن وراء هـذه الأركان تجد ركناً آخر قد يكون أهمها شأناً هو : الإيمان بالحياة نفسها وأن لها معنى وهدفاً . وإنكار الدين له فى هذا الباب أثر نفسىٌّ مدمر . ولو كان إنكار الدين انصرافاً عن الإيمان بالدين وحسب لكان شـــيئاً يجوز أن نتغاضى عنه ، ولكن الإنكار الذى يحيل الكون إلى مجموعة هائلة من البروتونات والإلكترونات تسير على غير هدى ، ليس لها ربٌّ واحد يحركها ، ولا غرض روحى، ولا مصير تنتهى إليه سوى الفناء الكونى — ليس انصرافاً عن الإيمان بالدين وحسب ، بل هو إنكار أصيل للحياة نفسها ، ومالها من هدف ومعنى سام .

والنتيجة التى ينتهى إليها منطق الشك هى أن تحمل كثيرين من الناس على أن يقولوا : « وما الفائدة على كل حال ؟ » . أما الأثر النفسى فهو أن يلوذ الناس بالاستهتار الذى يدمر الخلق . وقد قال أحد المرضى للدكتور يونج العالم النفسى : « لو كان فى وسعى أن أحقق أن لحياتى شيئاً من المعنى والغرض لما جئتك بهذا السخف عن اضطراب أعصابى» . والشخصية الإنسانية لا يمكن أن تنمو وتزدهر فى نفوس تعتقد أن الحياة كلها عقيم وباطل . فليس بالأمر العجيب أن عصراً يكثر فيه انصراف الناس عن الدين، هو عصرٌ يكثر فيه أيضاً انصراف النـاس إلى عيادات الأطباء النفسـيين ، وأكبر المأساة أنهم كثيراً ما يلتمسون فيها عوناً فلا يجدونه .

والثقة بأن الحياة لها قيمة جوهرية يجب أن يسايره إيمان بأن فوق قوتنا قوة تعيننا على أن نحى حياة أعظم وأنبل . ومتى كثرت مطالب الحياة ومهامها واقترنت بشعور القصور والضعف، كان لا مفر للمرء من أن يشرف على الانهيار . وقد قال ماركوس أوريليوس الإمبراطور والفيلسوف الرومانى « ينبغى للمرء أن يدعم بنيانه من الداخل ، فإن لم يفعل تقوض الهيكل حتى يسوّى بالتراب » . ولو شرحت هـذا القول على ضوء علم النفس الحديث لرأيته يزداد قوة على قوته . فأعباء الحياة فى هذا العصر تجعل الاعتماد على الإيمان والشجاعة واتزان النفس وقدرتها على الاحتمال ، شيئاً لا غنى عنه .

[البقية صفحة ١٣٢]



الانسان ترجمة حياته على لسانه

مختصر كتاب بقلم

جورج ر. ستيوارت

هذا تاريخ فاتن لتطور الانسان ، يروى كما يجب أن تروى قصة جيدة ممتعة : ببساطة وسرعة وحسن خيال . وجورج ستيوارت ينفث الحياة والفكاهة فى قصة يدفنها المؤرخون عادة تحت اكوام من الحقائق المحيرة .

وكثيرا ما ترى هذا المؤلف يبالغ فى اظهار أشياء أهملها غيره من المؤرخين ، أو تراه يهمل ما بالغوا هم فى اظهاره . وقد تجد أن بعض نظرياتك العزيزة عليك قد طارت شعاعا ، ولكنه لا يسعك فى هذه الأيام الحافلة بالشك الأليم فى المستقبل ، الا أن تستمد أملا جديدا من تشبث الانسان ببقاء الحضارة ، واستمرار تقدمه .

والمستر ستيوارت أستاذ فى جامعة كاليفورنيا ، وقد اشتهر بالابتكار فيما يكتب ، وبالدقة فى جمع الحقائق ، وله كتب كثيرة مشهورة .

الإنسان: ترجمة حياته على لسانه



أنا الإنسان، أشعر وقد ارتفعت بى السن بعض الارتفاع، برغبة فى الترجمة لنفسى. والباعث لى على ذلك هو أنى ضجرت أشد الضجر من شتى التراجم التى كتبت عنى، فإنها أولاً سيئة التقسيم تكاد تكون مقصورة على ثلاثة الآلاف السنة الأخيرة، وإن كان ما فعلته فى هذه المسافة من الزمن لا يعادل فى خطر الشأن ما فعلته قبل ذلك. ثم إنها ثانياً تحيل ما هو بسيط فى حقيقته فتجعله معقداً مملاً.

وهى تكدس أكواماً من اللغط والتفاصيل عن أمور من مثل قيام الدول وسقوطها، وقد يكون هذا ممتعاً ولكنه قليل الجدوى لأنه يفضى فى النهاية إلى التعقيد والسآمة. وأنت إذا قرأت معظم كتب التاريخ لم تهتد إلى حقيقة «الإنسان» لأن ما فيه من ذكر الرجال وتراجمهم يحجب عنك هذه الحقيقة.

ومهمتى أسهل من مهمة المؤرخين لأنى أكتب عن الإنسان، وليس يعنينى أن أبين أى أجناسى أو قبائلى أو أفرادى فعل هذا أو ذاك، وإنى لأرجو أن لا أخلط السؤال الجوهرى: «ماذا كان؟» بالسؤال الذى هو دونه شأناً وهو: «من فعل هذا؟» فلا بد إذن من البداية، ثم أنحدر بعد ذلك على الأيام.

وأنا الإنسان، أستطيع أن أتتبع أصلى إلى حيوان لَبُون بدائى، وهو حيوان يتسلق الأشجار، وقد عاش نسله فيها قروناً لا عداد لها، وقد ترك هذا الزمن الطويل الذى قضيته فى الوثب والترجح بين الأغصان أثراً بيناً فى هيئتى.

انظر إلى كفى، فإنى عظيم الاعتزاز والزهو بها، ومع ذلك لم تكن فى الأصل إلا أداة لوقايتى من السقوط من الشجرة.

ثم إن حيوانات الأشجار كان لا يسعها إلا أن تعنى بالصعود والنزول كعنايتها بالسير إلى أمام وخلف. وكانت كلما تسلقت تعتدل فى وقفتها، ولهذا تعلمت بسهولة أن تقف وتقعد فى اعتدال، وفى وسعك أن ترى أن هذا يصدق على القردة والدببة والسنجاب. وهكذا يرجع اعتدال قامتى إلى تسلق الشجر.

وانظر الآن إلى الحواس . ويبدو أن اللمس أقدمها عهداً ، وقد أوتيته الخلائق التى لا عيون لها ولا آذان ، وما زال اللمس هو الحاسة الأساسية عندى ، وكان أسلافى يعتمدون أيضاً إلى حد كبير على الشم ، وهو وثيق الصلة بالذوق ، وله فضل كبير فى الاهتداء إلى الطعام . ولكن يبدو أن سؤالا نشأ على الأيام عن قيمة الشم والنظر والسمع ، وهنا أيضاً كانت حياة أسلافى فى الأشجار هى التى زودتهم بالجواب . فقد كان الشم قليل الجدوى على مسافة من الأرض إلا إذا كان الحيوان صغيراً جداً ، والرائحة إذا بقيت على امتداد غصن من الأغصان ، فإنها لا تعبر المسافة من شجرة إلى شجرة ، أما الصوت فإنه يسمع على الشجرة كما يسمع على الأرض . على أن النظر خير وأجدى لأنه هو الحاسة التى تعين على الوثب بإحكام من فرع إلى فرع . ومن هنا كان ترتيب الحواس عندى أن الشم أقلها قيمة ، والسمع أوسطها ، والنظر أعظمها ــ وهذا ما تصلح به الحياة فى الأشجار .

ومن الاعتماد على البصر جاء اعتياد الحياة فى النهار ، وقد صارت حياة أسلافى متوقفة على النور إلى حد يبعث على الرثاء ، وقد تبعتهم فى هذا أنا الإنسان .

والرمى والتسديد ــ أى إصابة الشىء لا مجرد الإعراب عن الغضب ــ من صفاتى الخاصة ، وإنها لجزيلة النفع ، فإنه لا يكاد يكون هناك مخلوق آخر يقدر على ذلك ، ويظهر أن للرمى علاقة بالأشجار لسبب بسيط ، هو أن أى شىء ينفصل عنها يسقط ، وتستطيع أن تلاحظ أن كثيراً من حيوانات الأشجار ــ حتى السنجاب ــ تسقط قطعاً من اللحاء أو غيره على الحيوانات التى تحت الشجر ، وسقوطها يربك الحيوان الذى على الأرض بل يفزعه ، ويبعث على سرور الذى فى الشجرة . ولا شك أن الإسقاط أو القذف الجزاف مختلف جداً عن الرمى بالمعنى الصحيح ، ولكنه البداية على ما يظهر .

ولم يكن أسلافى ــ وإن كانوا أتم ما يكونون تهيؤاً للعيش بين الأغصان ــ يستطيعون أن يعيشوا بينها طول الوقت ، فقد كان عليهم أن يهبطوا إلى بركة أو جدول طلباً للماء ، ومتى صاروا على الأرض فإنهم كانوا ولا شك يتجولون قليلا ليستمتعوا بذلك ، وكانوا يجدون فى الوقت نفسه بعض أنواع من الطعام .

وهذا يفضى بى إلى نقطة حاسمة فى تاريخى : الهبوط من الشجر إلى الأرض . وهناك نظريات معقدة لشرح هذا التحول ،

ولكنه ككثير غيره في قصة حياتي ، من أبسط المسائل ، فإنه بعد كل ما يقال فيه ، ليس إلا ضرباً من الهجرة . وأدعى الأمور إلى الهجرة الزحام ، والمفروض أن أسلافي كانوا مما يسمى « الحيوانات الموفقة » أى أنهم مهيأون تهيئة حسنة لأسلوب حياتهم ، وكانوا لا ينفكون ينتشرون في أى منطقة من مناطق الغابات يسكنونها . وعلى الأيام ، بعدد لا يحصى من آلاف السنين ، بلغوا طرف الغابة حيث يختلط الشجر بنبات الأرض والحشائش ، وفي مثل هذه الرقعة كان أسلافي يقضون على الأرض وقتاً يزداد طولا على الزمن ، ثم يكرون راجعين إلى الشجر ليلا .

وأخيراً كان مالا بد أن يكون ، فقد أبعد بعضهم في تجواله ، أو أطال التلبث في منتجع طيب يؤثره ، أو تأخر لأن شوكة دخلت في قدمه . ويدخل الليل ، فتضطرُّ هذه الجماعة — وهى الأولى من جنسها — أن تقضى الليل على الأرض ، فترعد وتنتحب من الرعب ، وهى لا تدرك ما حدث ، فتجرى على عادتها ، فتصعد إلى ظهر صخرة ، أو تزحف داخلة في لفائف من الشجيرات وإن كانت أصغر من أن تسمح بالتعلق بها ، وترتعد وتنتحب مرة أخرى حين يحلو لك الليل، ولعل طائفة من ذئاب الليل وقعت عليها ، أو لعل الحظ قد ساعفها فسلمت .

ومن المحقق أن ما وقع مرة ، قد تكرر باطراد تبعاً لازدياد إلفهم للأرض ، واضطرارهم إلى الإبعاد في التجوال . وقد تعلموا كثيراً بحكم التجربة التى أكرهوا عليها ، مهما بلغ من بطئهم في ذلك ، أن البير يعجز عن تسلق بعض النجود الصخرية كعجزه عن تسلق الشجر ، أو أن شجيرة شائكة قصيرة تحير الأسد وتعييه . والمهم أننا نعلم على وجه التحقيق أن الأمر انتهى بهجر الشجر حتى عند النوم .

وهذا الهبوط من الشجر
وإن كان قد حدث تدريجاً
على مسافة من الزمن تبلغ
عدة قرون ، كان بمثابة
أزمة بالغة . فقد كان السؤال الذى ارتهنت به بقية القصة كلها هو : هل تعود هذه المخلوقات إلى المشى على أربع ، أو تواصل ما اعتادته أيام سكنى الشجر من المشى على رجلين ؟

وقد عاد القرد البابون الذى هبط أيضاً إلى الأرض بعد زمن طويل من الحياة في الشجر ، إلى المشى على أربع ، وبهذا سار في طريق الحيوانات التى تعيش على الأرض ،

وصار أشبه مايكون بالكلب،فله فك المحارب وأسنانه،والعقل الضيق الذى يكون مع هذه. ثم إنه لما كان يستخدم قادمتيه فى المشى فإنه لا يستطيع أن يتخذ منهما يدين .

على أن أسلافى صاروا على الأيام أكثر تعويلا فى المشى على الرجلين ، وبهذا تركوا يدىّ حرتين أستعملهما كما أشاء ، غير أنى وإن كنت مزهواً بيدى ، أرى أن قدمى هى فى الحقيقة أكبر ما يميزنى . فإنى بعد أن تطورت قدمى التى قصرتها على المشى والعدو دون غيرها تقريباً ، نجوت من أن أصير كالغورلىّ التى تصاد وتحفظ فى قفص ، فإنها حيوان لا يداه صالحتان ولا رجلاه ، والأربع كلها بين بين .

ولما هبط أسلافى من الشجر أصبحوا لا يحتاجون أن يتعلقوا بالأغصان، ومع ذلك لم يستخدموا أيديهم فى الوقوف أو المشى ، فصارت أيديهم لا عمل لها ، وفى وسعهم أن ينتفعوا بها دائماً فى أشياء كثيرة ، بعضها سيىء ولكن كثيراً منها عظيم النفع ، وبعضها ينطوى على جرأة فى التجريب ، والواقع أن هذه الأيدى العاطلة غيرت كل شىء تدريجاً وصنعت الحضارة .

وعلاقة اليد بالقدم ممتعة ، فالقدم أشبه بشخص يضحى بنفسه ، ويخضعها لمصلحة العمل ولا يظفر بتشريف وتمجيد ، وإن قدمى لشىء منقطع النظير فى الطبيعة ، أما يدى فإنها تفوق بعض الشىء يد القرد . والمرء حين يفكر فى اليد وأنها تساعده على استعمال الآلات ، ينسى أنه لولا المشى على القدمين لما استطاع أن ينقل آلة من مكان إلى مكان إلا إذا حملها بفمه .

ولا بد أن قدمى تطورت ببطء فى الفترة الطويلة التى تلت الهبوط من الشجر والعيش على الأرض ، وقد يظن الناس أن هذه الفترة كانت حافلة بالمصاعب ، وأن هذا المخلوق الذى هجر الشجر خليق أن يلفى نفسه عاجزاً بعض الشىء فى بيئة غير مألوفة . والواقع أن الأمر قد يكون على نقيض ذلك فإن الكفايات التى تكون عادية فى أسلوب قديم من أساليب الحياة ، قد تكسب صاحبها مزايا كالمعجزات فى حياة جديدة . مثال ذلك أن الحياة على الأرض تلائم حاسة الشم ، وقد كان أسلافى لا نظير لهم تقريباً فى إنماء حاسة النظر، وبهذا صارت لهم مزية سلاح سرى على الحيوانات الأخرى التى تعيش على الأرض .

ثم إن حيوانات الأرض المفترسة تعيث ليلا فى الأغلب، ولما كان أسلافى قد تكيفوا على مقتضى الحياة فى الشجر ، فإنهم كانوا يسعون فى النهار، ولذلك قلما كانوا يتعرضون لببر . يضاف إلى ذلك أن معظم حيوانات

الأرض لا قدرة لها على التســلق ، فما دام أى واحد من أسلافى على مقربة من شجرة يثب إليها، فقد كان فى وسعه أن يطمئن بل أن يجترىء ويتوقح ، ولا شك أنه كثيراً ما كان يعابث جاموسة إلى آخر لحظة ، ثم يثب إلى غصن ويستمتع بما يراه على الوحش المهاجم من دلائل الخيبة .

وكان هؤلاء الذين هجروا الشجر ، يعيشو منذ البـــداية جماعات جماعات ، وكانت الجماعة وهى على الأرض — كما كانت إذ هى على الشجر — ترتاد وتأكل فى حيثما كانت تجد طعاماً ، وكان هناك فى الأرض المحشوشة المكشوفة فضلا عن بيض الطير ، والثمار ، والجوز ، والبراعم ، طعام جديد جيد هو بذور النبات الناضجة . ولا شك أن هذا الذى هبط إلى الأرض حديثاً والذى كان بطىء الخطو ضعيف الفك ، لم ينقلب فجأة صائداً عظيماً، فكان يدع الأرانب تمضى دون أن يخطر له أن يتعقبها ، أما الغزلان والثيران البرية فكانت فى نظره كأنها مخلوقات فى عالم آخر .

وكانت الجمـــاعة تتحرك على مهل ، وتنتجع وهى سائرة ، وأحسب أن أجرأ الذكور وأنشطها كانت تبعد فى تجوالها ، حول أطراف النُّجْعة ، وفى الوسط تصيب الأمهات والصغار طعامها ، ولما كان كل واحد يمشى محنى الظهر ، فقد كان من السهل أن يركب الصغير ظهر أمه ، ويلف ذراعيه وأصابعه الصغيرة على شعر رأسها الطويل .

وإذا آذن الحال بالخطر ، ذهبت الأمهات والصغار أولا ، وتولى الآباء حماية الجماعة المتراجعة ، وهم يطلقون صيحات التحدى . ومع أن الجماعة فى جملتها كانت تستطيع الدفاع عن نفسها إلا أن الحيوان المفترس الرابض على أحد الجناحين ، كان يستطيع أن يبطش بالهرم الضعيف ، أو الحدث الأحمق ، وبكل من يتخلف مصادفة أو لمرض ، ولكن الجماعة فى جملتها كانت تزداد نشاطاً لأن الضعفاء منها كانوا أكثر تعرضاً للفتك بهم .

وهكذا استطاعت الجماعة، على نحو ما، أن تبقى . ولم تكن المشكلة الكبرى الناشئة عن ترك الشجر والنزول إلى الأرض ، مشكلة الدفاع أو الطعام ، وإنما كانت العود أو عدم العود إلى المشى على أربع . ولو أنها كانت قد عادت إلى ذلك لكانت الأربع قد صارت أربع أقدام شبيهة بالأكف ، بل لفقد خير العقول كل وسيلة للإعراب عن نفسه .

وقد امتد عهد الحياة على الشجر إلى عدة آلاف من القرون ، وقد قدروا المدة التى تطلبها التكيف على مقتضى الحياة على الأرض وتطور القدم وغير ذلك بستة ملايين من

السنين ، وهذه مسافة من الزمن أطول جداً من التى انقضت بعد ذلك ، لأننا فى نهايتها نصل إلى تاريخ حديث بعض الشىء — حوالى مليون سنة قبل الميلاد .

وقد كنت إلى الآن أشير إلى « أسلافى » لأنى أشعر أنى أختلف اختلافاً جوهريًّا عن ذلك المسخ الشبيه بالقرد الذى هبط من الشجر . وسأكف من الآن فصاعداً عن كل ذكر للأسلاف ، وأعد نفسى ، أنا الإنسان ، قد ولدت لأنى حزت الأشياء الخمسة الجوهرية : الأدوات ، والكلام ، والنار ، والطبخ ، والثياب .

وقد كان استعمالى للأدوات أسبق ، وأظنه كان سهلا جداً ، فقد اعتدت وأنا أعيش على الشجر أن أقبض على الغصن ، فلما هبطت إلى الأرض ومشيت على رجلين ، كنت ولا شك أشعر أنه يكون أبعث على راحتى أن يكون ثم شىء أمسكه بيدى الفارغتين ، وكان من الطبيعى جداً فى البداية . وقد انقضت الحاجة إلى إمساك غصن حقيقى ، أن التقط عوداً ميتاً واقعاً على الأرض ، (حتى فى أيامنا هذه يحب الناس أن يمشوا وفى أيديهم العصىّ) .

ولما صار العود فى يدى ، أصبح لى آلة تصلح لإسقاط الثمار والجوز ، وتحولت عادة حمل العود إلى شىء نافع ، ثم صرت إذا أفزعنى هجوم مباغت ، أضرب بالعود دون أن أتخلى عنه — فصار هراوة .

والأرجح أن الآباء من البداية كانوا أصلح لاتخاذ الأدوات وأقدر على ذلك من الأمهات اللواتى كانت أيديهن مشغولة بتعهد صغارهن ، أما الآباء فأيديهم فارغة ، فمن السهل عليهم أن يحملوا العصى والحجارة ، وأن يزدادوا حذقاً فى استعمالها . وقد ظل الحال كذلك إلى الآن ، فإن الأم بالمعنى الصحيح فى أيامنا هذه خليقة أن تخلط فى التفريق بين المِنْحت والبزال .

أما عن صنع الآلات فأظن أنه ليس ثم فرق كبير بين استعمالها وصنعها ، فإن مجرد التقاط عود هو من بعض الوجوه صنع لآلة وقطع عود ميت من شجرة أدخل فى باب الصناعة . على أنى حتى من بداية هبوطى إلى الأرض كان عندى من الآلات أكثر مما أعرف ماذا أصنع به .

وكانت الأغصان — أصدقائى القدماء — أسرعها إلىّ ، ولكنى على الأرض لم ألبث حتى ألفت العظام أيضاً ، وكثيراً ما كنت فى تجوالى أذود النسور عن نهش رمة أيل أو ثور . وكانت أمامى مجموعة كاملة من الآلات — عظام الفخذ وهى صالحة لاتخاذها هراوات للضرب ، والقرون أو روقها كثقاب ، وألواح الكتف للجرف والحك ، ولم يكن

يقعد بى غير قلة تجربتى ، فإنه ما كان يسعنى أن أستعمل مجرفاً ولا شىء عندى أجرفه ولا فكرة لى عن الجرف .

وبعد مدة (أعنى بضعة ملايين من السنين أو نحو ذلك) أحسبنى بدأت أتعلم شيئاً عن الحجارة وأن أحملها معى كأنما هى عصى، فإن لها منافع خاصة مستمدة من الغلظ والثقل والصلابة . وهى تصلح للقذف، ولكل أنواع الدق وخاصة لكسر الجوز. ولعلى أيضاً تعلمت أن الجذور المريئة يمكن الحصول عليها بحفر الأرض، ومن الأحجار ماهو صالح للحفر .

وكان يحدث أحياناً وأنا أحفر أو أدق أن يضرب الحجر حجراً آخر فينكسر وإذا بى بعد أن كان الذى فى يدى حجراً مستديراً واحداً قد صار شيئاً جـديداً مختلفاً حاد السن يمكن أن يجرح اليد ــ شيئاً يدعو إلى العجب ، ويصلح للعب والانتفاع به .

وهكذا كثرت الأدوات المهيأة فى عالم حافل بالأعواد والحجارة والعظام ـــ متى نما العقل الذى يستطيع أن يستعملها .

وفى هذا النماء العقلى كان استعمالى اللغة أعون شىء لى . وما من أحد يدرى على وجه التحقيق كيف نشأت اللغة ، وما يزال أصلها من الموضـوعات الممتعة التى تتعادل فيها قيم النظريات، والنظرية التى أرانى أميل إلى الأخذ بها هى أنى كنت أ كثر أنيناً وزجراً وعواء ونخيراً من كثير من الحيوانات، وكانت دواعى الكبح لهذا كله ضئيلة ، ولم أ كن محتاجا أن أقضى الساعات الطويلة فى الاجترار فى صمت، أو أن أجوب الغابات متسللا مخففاً الوطء ، أو أن أقضم خلسة فى سكون مخافة الانقضاض علىّ ، وكان معظم أصواتى يعبر على نحو ما ، عما أشعر به فى اللحظة التى أنا فيها ، وكانت كل نبحة أو صرخة أو غمغمة ، عبارة عن جملة غامضة فى الحقيقة .

وهذه كانت بداية اللغـة الحقيقية التى صارت حادثة كأعظم ما مر من الحوادث ، وكانت فوائدها البديهية اجتماعية تيسر العمل واللعب معاً ، ولـكن لعل مزيتها العظمى أنها آلة أقدر من العصى والحجر على إفادة السيطرة على العالم . ذلك أن اللغـة ليست مجرد أداة لنقل الخواطر ، بل هى أيضاً أداة للتفكير نفسه .



أما عن النار، فإن كثيراً من الحطب المتفحم قد وجد فى كهوف إنسان بكين، وهو عريق فى القـــدم والبدائية ، حتى إن العلماء لا يعدونه إنساناً بل إنساناً قرداً . فاستعمالى للنار إذن سابق فى التاريخ للعهد الذى صرت فيه إنساناً حقيقياً.

ولا بد أنى كنت وأنا فى الشجر أرى الحرائق يضرمها البرق،ولا بد أن جماعاتى قد لاذت بالفرار فزعا من الوقدة،أوأحاطت بها النيران . على أن حرائق البرق قلما كانت تتسع ، وأكثرها كان يتقد قليلا ثم يهمد ولم يكن الحريق الصغير من شأنه أن يرعب ولا سيما فى النهار حين يكسف نور الشمس وهج اللهب ، وأنا مخلوق شديد الفضول والتطلع، ولم أكن فى النهار هيابة ، ويخيل إلى أن بعض جماعاتى دنت شيئاً فشيئاً من حريق صغير ، والذكور فى الطليعة ، وكل واحد فى قلبه القلق والخوف ولكنه لا يحب أن يهرب قبل أن يهرب الآخرون ، ولم تنتشر النار ولم تلسعهم ، فلما كان الحريق التالى ، ازدادوا جرأة على الاقتراب .

وما كان من الممكن فى البداية أن تكون للنار فائدة ما . فهى لم تكن أكثر من شىء نادر يشاهد . وأحسبها بعد ذلك صارت لعبة، حين أقبل بعض أهل الجرأة ، وتناول عوداً مضطرما وراح يلوح به ، ومع الأيام صارت خصائص النار معروفة ، فهى تأتى على الشعر وتحرق الجلد ، و « تتغـذى » بالأوراق والأغصان الجافة ، والمطر والماء « يقتلانها » ، وكانت تبـدو كأنها تموت تحت الرماد ، ولكن الريح تعيد إليها الحياة وكذلك النفخ بالفم ، وبفضل هذه المعارف تيسر بعض القدرة على السيطرة على النار .

ولعل أول « انتفاع » لى بها كان حين تعلمت أن الحيوانات المفترسـة التى تعيث ليـلا تخشاها ، فبينما كان اللهب يرتفع مستعراً حيال الأشجار ، كان الببر يدور متذمراً ولكنه يحرص على الابتعاد ، ولهذا صرت إذا نزل الظلام وما يغرى به من اليأس ، أو مالت النـار إلى الخمود ، أنتفع بما تعلمته وأنا ألعب ، وغذيت النار وزودتها بما يُؤَرِّثها إلى مطلع الفجر .

ولا بد أنى فى البرد لاحظت أن النار تشع حرارة لذيذة ودفئاً كالشمس ، ولكن الأقرب إلى الاحتمال أن صلتى الوثيقة بالنار لا ترجع إلى هذه الأسباب، بل إلى اهتدائى قبل ذلك إلى الطبخ . ولعل التعبير بلفظ « الطبخ » آنق من أن يطلق على ما لم يكن أكثر من رمى قطع اللحم فى النار ، ولكنه ليس ثم لفظ آخر ، وقد كنت ، وأنا على الشجر ، نباتياً على الأكثر ، ويستفاد من حالة أسنانى أدهاراً طويلة بعد هبوطى إلى الأرض أنى ظللت كما كنت تقريباً وأنا على الشجر ، من حيث الطعام ، وفى كل هذه القرون كنت إذا مررت بثور سقط من فوق صخرة فمات ولم يزل دمه حاراً ، أدعه ،

فإنى بهذه الأسنان التى لا تختلف كثيراً عن أسنانى الحالية ، وبالفك الذى لى ، لم يكن يسعنى بسهولة أن أغرز أنيابى فى الجلد السميك ، ثم أهوى على ألياف العضلات تحته .

غير أن الأدوات والنار غيرت كل هذا ، فقد استطعت بحد الحجر المكسور أن أمزق الجلد وأقطع اللحم ، وبالنار أن ألين اللحم الشديد بحيث تستطيع مضغه أسنانى الضعيفة وفكى ، وهكذا صرت على الأيام آكل لحوم — وكانت نتائج ذلك أهم مما قد تظن .

فإنه لما كان اللحم المطبوخ مركزاً وأسهل هضما ، فقد قل ما احتاج إليه من الوقت للأكل ، وللانطراح بعد ذلك فى فتور فاتسع الوقت للتفكير واللعب ، على أنى لم أكن أستطيع إلى ذلك الحين أن أنقل النار بسهولة ، فكان هذا باعثاً قوياً على الاستقرار فى مكان . وأهم من ذلك كله أن حب أكل اللحم جعلت منى صائداً ، وهكذا أعان الطبخ — كغيره من الأمور الخمسة الجوهرية — على تسييرى على الدرب إلى المستقبل .

وقد كثر الجدل (ولا أحد يدرى على وجه التحقيق) حول الثياب ، وهل كانت فى الأصل للزينة ، أو لما يسمى بالأغراض المجدية مثل الوقاية من البرد . وأنا أرى أنها نشأت عن فكرة عملية هى التوقى من الأذى .

ولما شرعت أجرى على رجلين ، تعرضت للخدش والحك بكل شجيرة وغصن تلك الأجزاء الرقيقة من جسمى التى ترى فى الحيوانات الأخرى مزودة بعناية تحت البدن ، فكنت لهذا مضطراً أن أحاذر فى الأرض الوعرة الكثيرة الكلأ ، وحتى مع الحذر لا بد أنى كابدت آلاماً بل أذى خطيراً ، وما كدت أتعلم أن أسلخ جلد الحيوان وأن أربط أطرافه وألفه على بإحكام ، حتى كأن كل شىء يدعونى إلى العمل على وقاية نفسى ، وأنا أرى أن ما اتخذته للتوقى صار يعد فيما بعد زينة أيضاً ، ثم أدى ذلك إلى نشوء فكرة الحياء .

وإلى هنا ، بعد أن اهتديت إلى الأشياء الخمسة الأساسية ، أكون قد بلغت بقصتى ما يسمى العصر الحجرى القديم ، وأنا أشك فى أن الحجر كان استعماله فى ذلك الزمن أكثر من استعمال الخشب أو العظم ، والفرق هو أن الخشب والعظام تبلى بسرعة أما الحجر فقد يبقى على حاله زمناً طويلا ، ومن هنا نشأت بطبيعة الحال الفكرة القائلة

إن قبائل ذلك الزمن استعملت الحجر ولم تكد تستعمل شيئاً غيره .

وذلك أيضاً كان الزمن الذى ظهر فيه الإنسان ساكن الكهوف ، غير أن كثيراً من الأوهام توجد أيضاً فى صدره ، فإنه فى معظم أرجاء العالم تقل الحاجة إلى العيش فى الكهوف ، والأرجح أن الجماعات كانت تؤثر الفضاء وتضرب فى الأرض هنا وههنا ، وتتعلم أن تنقل نارها معها فى تجوالها ، ولكن المضارب لا تترك أثراً بالقياس إلى الكهوف، التى لعلها اتخذت للسكنى فى الشتاء عدة أجيال . ومن هنا تعد فكرة العصر الحجرى، وفكرة سكنى الكهوف، راجعتين إلى إرباء العناية بالدليل الميسور على العناية بالدليل غير الميسور .

كانت أقدم آلاتى الحجرية أدوات القطع ولا خير فى محاولة الفصل فى هل كانت فأساً أو مطرقة أو غير ذلك . فما كانت إلا قطعة مستديرة تقريباً من الحجر بريت بحيث يكون لها حد خشن أو حدان من الجانبين ، ويسهل حملها باليد ، فكانت لهذا سلاحاً ماضياً عند التشابك فى القتال ، ومن الممكن استعمالها أيضاً للدق والحفر والحك ، وإسقاط الثمار عن الأشجار ، وإذا قذفت من مسافة قريبة ، على وشق وِاثب ، فإنها كافية لثقلها أن تجعله يتهافت .

وعلى مدار القرون حلت محل هذه الأداة الفؤوس اليدوية والمناحت والمجارف وما إليها ، وقد حدث التغيير ببطء شديد حتى لقد استغرق أدهاراً لا سنة أو قرناً . وأحسب أن كثيراً من التغيير قد حدث دون أن يشعر به أو يدركه أحد . ولنتأمل مثلا الهاون وقد كان أداة يتخذها الأولون ، ولا يزال متخذاً إلى الآن فى المعامل والصيدليات ، فإنى لما بدأت أكسر الجوز ، كانت الطريقة الطبيعية لذلك أن أضع الجوزة على صخرة مستوية السطح وأدقها بحجر ، وما من صخرة تكون ملساء كل اللاسة ، ولهذا كان الجوز يتدحرج إلى ما هناك من تجويف فى الصخر ، وعلى كر السنين صار الدق يعمق التجويف حتى صار أشبه بكأس صالحة للاحتفاظ بالشىء المدقوق فى مكان واحد . وهكذا ظهر الهاون بطبيعة الحال ودون أن يفكر أحد فى أمره .

ومن الوسائل الأخرى لإحداث التغيير ما يسمى فى العادة «الاختراع» وسأمثل لذلك بما لعله أول اختراع عظيم ، أعنى ما ربما كان أول شىء يخرج إلى حيز الوجود بفضل عمل إنشائى مفاجىء ينبثق من عقل موهوب . والواقع أنه وإن كان قد ظهر فى أوليات العصر الحجرى ، إلا أنى أعده عملا بارعاً يستحق المقارنة بالقاطرة البخارية والطائرة،

لأنه أول مثال لفكرة أساسية عن الصناعة، ولا يمكن أن يكون قد حدث مصادفة، ولست أستطيع أن أتصور أنه جاء تدريجاً شيئاً فشيئاً على القرون. وأبسط مايفسر به هذا الاستكشاف أن نردّ الفضل فيه إلى لحظة من الإلهام تمر بعقل فرد موهوب.

ولنا أن نعترض أن قبيلة هذا الفرد كانت تتخذ رماحا من الخشب الذى يقوى على احتمال صهر النار، وتستعمل أطراف الحجارة الحادة كالسكين أو المجراف، فومضت فى ذهن هذا الفرد فكرة، وتخيل الأداتين مجتمعتين على صورة جديدة تحت الشمس — الحجر بثقله وحدة سنه، موصولا بالخشبة الطويلة الخفيفة القوية.

ولم تكن الفكرة فى ذاتها كافية، فقد كان عليه بعد ذلك أن يهتدى إلى طريقة تثبيت الحجر فى الخشبة. وهذا أيضاً لم يحدث تدريجاً على مر القرون، فإن الفكرة بمجردها لا تنحدر من جيل إلى جيل، ولهذا فإن بنا حاجة إلى أن نفترض أن صاحب الفكرة اهتدى إلى الوسيلة العملية أو أنه بمعونة اللغة، أفضى بالفكرة إلى من هو أكثر كداً وأحذق يداً فربط سن الحجر إلى الرمح بسير من الجلد، والأرجح أنه فى النهاية انتحل الفضل فى الفكرة أيضاً.

وإذا رد المرء بصره عن العصر الحديث إلى هذه الأداة التى تبدو له بسيطة جداً، فقد يميل إلى الاستخفاف بها، غير أنها انطوت على جماع ما تقوم عليه أعقد آلة حديثة، تصنع بضم مئات وآلاف من الأجزاء بعضها إلى بعض.

وأرانى أنا الإنسان أتحدث عن الطبخ وبعض الأسلحة كأنما قيمتها الوحيدة أنها تؤتينى السيطرة على العالم المحيط بى، غير أنها فى النهاية قلبت أساليب حياتى فى الجماعة، فكان من جراء ذلك أن حدث تغير عظيم أثر فى كل شىء آخر وقع بعد ذلك. وكان الذى حدث هو هذا: لما صنعت الرمح وتعلمت الطعن به ورميه، صار عندى سلاح جيد بديع، ومن ذلك الحين أخذت قبائل كثيرة تزداد تحولا عن الرعى إلى الصيد. وما زال جانب كبير من حياتى يجرى على مقتضى أساليب التفكير التى نشأت عن عادات الصائد وأساليبه.

من ذلك على سبيل المثال أن الصيد أوجد تفاوتا شديداً بين أفراد الجماعة، لأنه يتطلب قوة عضلية حرة. وكانت الأمهات قد انحازت إلى الجماعة الراعية، ولم يستطعن ومعهن أطفالهن أن يسايرن الصيادين، ومن هنا أرى أن الآباء كانوا هم الذين يصيدون من بداية الأمر، وبهذا وجدت لأول

مرة ثغرة واسعة بين الصياد ، ومن يتولى أمر النار .

ثم إنه بينما كان الصيادون بعيــدين ، كانت الأمهات ومعهن الأطفال يتجولن ويجمعن الجوز والجذور وبذور النبات فى مواسمها ، بل أستطيع أن أتخيل عهداً طويلا كان الصـائدون فى خلاله منهومين باللحم المشوى يحشون به بطونهم ، ولـكن الأمهات اللواتى كن أكثر تعلقاً بالعادات المتبعة كن أشد إقبالا على الأطعمة الأخرى (وحتى إلى الآن أرى إناثى يكتفين فى الغداء بالسلطة ، ويقلن لذكورى كلوا خضركم المطبوخة) .

ولما كانت المصادفة تولد التغيير ، فإن أسلوب حياتى الجديد جاء بعادات جديدة ، فقد زالت الحاجة إلى الاقتصار على أكل الثمار والبذور فى حيث توجـد ، وصار الصائد يحمل الظبى القتيل ، أو يترنح تحت ثقل مقتطع من حيـوان ضخم ، وكانت الأمهات أيضاً يرجعن بأطفالهن من تجوابهن إلى حيث النـار الموقدة والأمن والروح . وهكذا صارت النـار التى توقد للجماعة وتتخذ للطبخ ، نقطة مركزية . وإنى لأكشف عند مداخل الـكهوف القديمة عن آثار المواقد ، ولعلى حتى فى تلك الأيام كنت قد بدأت أربط بين «الموقد والبيت» .

وثم أمر آخر عظيم الخطر . ذلك أنى كنت قد صرت قبل الميلاد بنحو مئة ألف سنة ، شبيهاً من حيث البدن بما أنا عليه اليوم ، ومخى فى مثل حجم المخ الحديث ، ومن ذلك الحين إلى الآن صار ما يطرأ على البدن من التغير قليل الشأن فى هـذا التاريخ . وسأدع ذلك وأروى ما حدث من التغيير فى أساليب العيش ، وهو تغير يمكن أن يحدث فى زمن وجيز . أما تطور البدن فقد استغرق زمناً مديداً جداً . مثال ذلك أنى لو كنت اضطررت أن أكون صائد وحوش ونما لى مثل الأسنان الطويلة التى للذئب أو النمر ، لاستغرق هـذا التطور مليون سنة ، ولـكنى استطعت أن أخترع الرمح وأبلغ به درجـة الـكمال ، وأتعلم استعماله ــ كل ذلك فى بضعة أجيال .

وأقول باختصار إن أعظم فرق بينى وبين الحيوانات هو أنها تكيفت على ما يقتضيه العالم المحيط بها ، أما أنا فقد استطعت ، إلى حد ما بطبيعة الحال ، أن أغير العالم حتى يصبح صالحاً لى . من ذلك أنه إذا اشتد البرد كان كل نوع من الحيوان يموت أو يرحل إلى مكان أدفأ ، أو تنبت على بدنه فروة كثة ، أما أنا فأوقدت النار ، وارتديت الثياب ، وبذلك خلقت عالماً (على مقربة من النار أو داخل الثياب) أعيش فيه مرحاً ولا شعر لى .

والناس ينظرون عادة إلى هؤلاء الأوائل المستوحشين نظرة الرثاء والعطف ، ولكنى لست واثقاً أن حياتهم كانت تدعو إلى الرثاء ، فقد استمتعوا بكل مناعم العيش الأساسية ، ولعلهم كانوا أتم استمتاعاً بها وأقل همًّا ممن جاءوا بعدهم . ولما كانوا لا يعرفون الحياة الرغيدة ، فإنهم لم يشتاقوا إليها، وكان الفرد يستطيع إلى حد ما أن يصنع ما يشاء ، وكانت القبيلة يستغرقها ما يثيره فى النفس الطراد اليومى ، لا « العمل ».

وقد كان ولا يزال لمثل هذه الحياة فى الواقع فتنتها العظيمة لى ، فبعد ذلك بزمان طويل ، وفى خلال القرون التى انتشر فيها العمران فى أمريكا الشمالية ، كان آلاف يهجرون الحضارة ويشاطرون قبائل الهنود حياة الصيد والقنص ،ولكن لم أجد ما يثبت أن هنوداً انصرفوا عن حياتهم وذهبوا من تلقاء أنفسهم ليعيشوا فى المدن .

وفى هذه الفترة الأخيرة من العصر الحجرى القديم ، تعلمت كيف أوقد النار بطرق شتى ، وكنت أيضاً أصنع آلات وأدوات أجود وأصلح ، واهتديت إلى استعمال الإبر،والأرجح أنى استطعت بذلك أن آخذ من الثياب ما هو أوفق ، ومن المحقق أنى صنعت الخرز واتخذت الحلى ، وشرعت أنعم بالحياة من وجوه أخرى أيضاً ، فاستعملت قناةً من القصب وأبواقاً من العظم لعزف بعض أنواع من الموسيقى البسيطة،واتخذت بعض الطقوس والرقص، غير أن أهم ما فعلته فى ذلك الوقت كان شيئاً آخر أقوى تحريكا للنفس .

فقد اخترعت القوس،ولا بد أنه كان اختراعاً حقيقياً ، ومن العسير أن يتبين المرء أية سلسلة من التطورات أدت إلى ظهور هذا الاختراع شيئاً فشيئاً ، فما كانت هناك مواد كثيرة سهلة المتناول توحى بفكرة القوس، ولا بد أن رجال القبائل تعلموا صنع السيور وعقد العقد ليتسنى لهم أن يشدوا رأس الحربة أو السنان إلى القناة ، غير أن وتر القوس يحتاج إلى سير أطول وأقوى جداً، ولم تكن السِّيَةُ اللينة الانعطاف من الأشياء المألوفة ، ثم إن السنان أو النصل يجب أن يكون متيناً صلباً لا لدناً .

وهكذا يكون أسهل تعليل لهذا الاختراع — كما هو الحال فى اختراع الحربة نفسها — هو أن نفترض إلهام العقل المبدع . وقد كان تأثير مخترع القوس فى تغيير مجرى التاريخ كتأثير أى مخترع كبير غيره من قبله أو بعده.

ذلك أن القوس أولا سلاح جيد يستعمل للحيوان المتوسط الحجم ، فليس من السهل أن يقتل السهم فيلا أو جاموساً ،

ولكنه كان أمضى سلاح استعملته لرمى أى حيوان من الغنم إلى الغزلان ، والحيوانات التى من هذا الحجم أصلح ما تكون للطعام، فإن من الصعب أن تطعم قبيلة برمتها أرانب وسناجيب . ثم إن معظم لحم الحيوان الضخم قد يفسد قبل أن يؤكل،أما الغنم والغزلان والأبقار فإنها موفورة لصغرها ، وهى من الجسامة بحيث تزود الطاعمين بمقدار حسن من اللحم .

وتوفر الطعام مؤداه ازدياد عدد الأطفال الذين يكبرون،وهذا معناه اكتظاظ الأرض بالسكان ، فاضطر رجال القبائل أن يحملوا القسى ويخرجوا للصيد فى أرض أخرى ، فوجدوا أن السهم يفتك بالصائد الرامح من قبيلة أخرى كفتكه بغزال ، وقد ظل كل نظام عسكرى فى خلال عشرات من آلاف السنين يقوم إما على القوس وإما على التروس والدروع للتوقى من السهام .



وقد عرفت الذئب من أقدم الأزمنة، فيوم كنت لا أزال أنتجع كانت جماعاته تتربص أحياناً على جانبى جماعاتى ، فتصيب متخلفاً أو طفلا كما يحدث فى الهند إلى يومنا هذا . وبعد أن أصبحت صائداً صارت جماعاتى وجماعات الذئاب تعيش فيما يشبه الحياد المسلح ، وكان كل من الفريقين أمهر وأخطر من أن يحاول الفريق الآخر صيده .

ولا أدرى أين كانت الخطوة التالية ، ولكن أحسبها كانت فى الجنوب فى أرض دافئة ، لأن الذئب فى غابات الشمال كان ضخم العظام طويل الأنياب ، فكان إذا صادفته بين أشجار البلوط يهجم على عنقى . أما فى الأدغال الحارة والصحراوات الجرداء فهو أصغر جرماً ، فكان إذا رآنى يلوذ بالفرار وذيله بين رجليه كما ينبغى أن يفعل حيوان أمام رامح .

ولما اخترعت القوس صار اللحم عندى أوفر مما كان فى أى وقت مضى ، ولعلى أسرفت فى الصيد حتى تركت الذئب يتضور، وبدأت فى الليالى أرى عينيه تومضان ، إذ يدنو من النار،وأسمعه يقضم بنهم ما رميته من العظام التى عليها بعض اللحم ، ولما كان جائعاً ، فقد بدأ يظهر قبل دخول الليل ليلقط ما عسى أن يجد ، وكنت أدع له رأس الشاة وأحشاءها ، وكان يبقى على مسافة منى لا يعدوها ، فقد عرف مدى رميتى للحجر وهل سأرميه أو لا أرميه بحجر .

ثم كان يتفق أن أجد جرواً فى غابة — مخلوقاً صغيراً مطمئناً يكسوه الشعر ويمشى على بطنه السمين ، ويتطلع إليك بعينين

واسعتين — فكنت أخفض الفأس المرفوعة وأحمله إلى الحلة ، فيلعب زمناً مع الصغار ، حتى إذا نبتت وبرزت أنيابه ، صار بريق عينه أحدّ ،وذهب يتسلل وينضم إلى الذئاب الشهب التى تطوف بالنار . ولكن مثل هذا الذئب كان لا يعود قط ذئباً صريحاً ، فقد كان أكثر اقتراباً من النار ، وكان يتذكر الأطفال الذين لاعبوه ولاطفوه .

وعلى مر القرون صارت هذه الحيوانات الشهباء التى تغشى النار فى الغسق ، تجزينى أضعاف أضعاف ما كنت أرمى به إليهم من التوافه ، فقد كان عواؤها فجأة فى فحمة الليل ينبئنى أن النمر قد دنا ، وكانت تتبع جماعة الصيد لتأكل ما يتخلف من الصيد، وكانت وهى تتبعنى ، إذا رأت دُبَّة تتعرض لى ، تهجم عليها من خلفها ، فتدير وجهها إليها ، فيتاح لى أن أرميها بسهم . وأخيراً انضمت إلى الطراد وشاركت فيه، ولما كانت مفطورة على الصيد،فقد تعلمت متى تربض فى سكون، ومتى تتعقب أثر الرائحة ، ومتى تثب وهى تعوى على الظبى الجريح .

وإنه لجانب عجيب من تاريخى لا يكاد يتصوره المرء لولا أنه وقع فعلا . وهكذا عشنا معاً بتبادل الأخذ والعطاء ، وإن كان الأرجح أن هذا يرجع إلى زيادة التقارب البطىء بين جماعتى وجماعات الذئاب ، أكثر مما يرجع إلى الترويض .

وهكذا على كر القرون صار الحيوان الطفيلى حارساً ،وزميلا فى الصيد،وصديقاً، وازداد دنوًّا من النار (ولا يزال إلى الآن يرقد قريباً من النار ، وينشر أذنه باهتمام إذا سمع صوتاً غريباً — ثم يحدث نفسه أن هذا صوت الصبى جارنا إذ يعود إلى البيت — وينام ليحلم بأحلام قديمة إذ يطارد النمر ، ويستيقظ لينظر مرتاباً إلى هذا الواغل الجديد : قطة البيت) .

وأخيراً عسى أن أكون قد اعتقدت أنى أسعد مما كنت قبلُ — فى يدى القوس، وعلى آثارى الكلب فى الغابات والمخارم ، وأن لى أن أعيش مرحاً إلى الأبد . ولكن هذا لم يكن مقدوراً .

إن أول انقلاب عظيم فى حياتى (بعد أن أصبحت إنساناً حقاً) كان حين أربى تعويلى على الصيد ، على تعويلى على الانتجاع. والآن بدأ انقلاب عظيم ثان، فقد اهتديت إلى إنتاج الطعام ، وبهذا استطعت تدريجاً أن أعتمد فى زادى على الزراعة وتربية الماشية.

وقد كان اهتدائى إلى إنتاج الطعام من خطر الشأن بحيث لم يعدله شىء آخر مما فعلته بعد ذلك ، فقد هيأ ذلك أساساً لكل حضارة ، على أن هذا التوفيق العظيم — كما

يحدث أحياناً — لايكاد يبدو صعباً كغيره مما هودونه، فإن زرع الحنطة يمكن أن يجىء على مراحل سهلة كثمرة للانتجاع، وكذلك ترويض الغنم ثمرة الصيد .

وحتى حين كانت جماعاتى لاتزال تتجول طلباً للنجعة ، تعلمت كثيراً مما هو جوهرى لها حين شرعت تزرع ، إذلابد أنها لاحظت أن نجوم النبـات الخضر تذوى فى الحر ، وتخضر وتربو بعد المطر . وكانت جماعاتى فى الأرض الجافة صـيفاً تلاحظ أن النبات يخرج بعد أول مطرة فى الخريف .

وكذلك فطنت على الأيام إلى حقيقة النمو البسيطة، من البذور فإن أى واحد يقلع عوداً من الشوفان أو الشعير كثيراً ما كان يرى مايبقى من البذرة — الجذر يخرج منها فى اتجاه ، والعود فى اتجاه آخر . بل إن بعض النبات مثل الفول ، كان يبـدى هذا علانية ، فيخرج أنصاف حبات على أعواده فوق الأرض . وأحسب أن فهم حقيقة البذور كان سهلا .

وتعلمت جماعاتى فى عهد النجعة أمراً آخر جوهريا، فقد كان من متاعبها الكبيرة فى حياتها الأولى فى ذلك العهد أن الأمر يكون إما سعة عظيمة وإما شدة وضنكا ، لأنه متى نضجت بذور الحشائش صار هنالك من الطعام فوق مايمكن أكله حتى ولو اجتمع الناس والغزلان وغيرها من الحيوان. ولكن الرؤوس بعد قليل تنفتح ، ويسقط الحب وينتثر على الأرض حيث لايستطيع أن ينتفع به غير الطير والجرذان . ومثل هذا كان يحدث للأقوات الأخرى. فكان المنتجعون الأولون يكظون بطونهم فى الصيف والخريف ، ويسمنون ، ليكونوا أقوى على احتمال قلة المحصـول فى الشتاء ، والربيع ، ولكنهم مالبثوا أن اقتدوا بكثير من الحيوانات فتعلموا أن يدخروا مايزيد على الحاجـة ، لا فى بطونهم بل بخزن الجوز وبذور الحشائش فى الكهوف .

وظل المنتجعون زمنـاً طويلا يجمعون طعامهم وينافسهم غيرهم ، فالطير كانت تأكل التوت ، والحيوان يرعى الحشائش الناهضة المستوية ، والخنازير تقبل على أصول الجوز ولكن الناس، ولاسيما بعد أن تعلموا الخزن والادخار ، بدأوا يعدون هؤلاء المزاحمين واغلين متطفلين . ثم نشأ أسلوب جديد فى الكلام .

« فليعهد إلى صبى أن يذود الطير عن شجرنا ! » .

« يجب أن نقيم الليلة حيث ترد النار الثيران عن حقلنا » .

ومتى بدأ قوم يفكرون على هذا النحو ويقولون « أشجارنا » و « حقلنا » فقد

خطوا الخطوة الأولى فى سبيل الزراعة .

وهكذا يكون الأرجح أنى أوليت النباتات رعايتى وحميتها من طلابها ، واحتفظت بها لنفسى ، ثم تعلمت أن أحميها من النباتات الأخرى ، كأن أنزع الشجيرات التى تخنق شجرة التين الغضة . ثم حدث ماهو أصعب قليلا حين أدرك العقلاء أن الأشـــجار والحشائش تحتاج إلى الوقاية من الناس أيضاً ، فإنه إذا قصف أحـــدهم الأغصان ليقطف الثمر كانت النتيجة أن يقل الثمر فى العام التالى ، وكان معنى هذا مد الفكر مسافة عام ، ولكن البصر كان قد صار فى مقدورهم فمنعوا الأحداث من إيقاد نار بجانب جذع نخلة ، وبينوا حماقة الرقص فى أرض معشوشبة مرجوة الخير .

وقد ساعدت هذه الأعمال على المحافظة على النمو الطبيعى ، ويسرت حصول القبيلة على قدر حسن من القوت ، ولم يكن من الصعب الانتقال من هذه الحالة إلى أنواع معينة فى الفلاحة البدائية . على أن قوام الزراعة هو غرس البذرة ، ولا بد أن بعضهم فى يوم ما ، غرس بذرة آملا أن يجنى فيما بعد محصولا .

وليس فى وسعى أن أعرف أى شخص كان هذا ، ولا أى نوع من البذور غرس ، ولكن التخمين ممكن . فأولا لا يمكن أن تكون هذه البذرة بذرة شجرة ، فإن نمو الشجر يستغرق زمناً طويلا . وأغلب الظن أنها لم تكن بذرة قمح أو شعير لأن زراعة هذه الحبوب تثير مشاكل خاصة ، وفضلا عن ذلك فإنها لم تكن بذرة طعام أساسى . ومن المحتمل جداً أن البذرة الأولى كانت بذرة شىء نادر لذيذ الطعم يغرى الناس باشتهائه .

وإذا اعتبرنا الاحتمالات جميعاً ، فإن الأرجح أن تكون بذرة نوع من البطيخ فإن هذا هو الذى قد يرغب بعضهم فى الاستزادة منه . ومن السهل أن يجد البذور الكبيرة ويقتنيها ، ثم إنه إذا جرب بعضهم غرسها فإن أوراقها التى تخرج يسهل تمييزها وهـــذا يسهل اقتلاع النباتات الأخرى ، وهو ما تعلمه المنتجون . ومتى بدأت البذور تخرج رؤوسها فإن العود ينمو بسرعة ويظلل كثيراً من النبات غيره ، وبعد زمن وجيز يطول العود ويمتد ، وبعد قليل ينوّر ، ومتى بدأ النـــور يذوى فإن أى إنسان يستطيع أن يرى الثمار الصغيرة ، فيتحلب فمه عليها . وهى تكبر بسرعة ، وإذا كانت البذور قد غرست قريباً من الحلة ، فإن الكلاب تذود عنها الغزلان والماعز حتى تنضج الثمار ، فالمحصول التى تجىء به بذرة واحدة قد يكون جديراً بما يبذل فى سبيله ، لأنه يؤتى طرفة لذيذة لا سبيل إليها بغير ذلك ،

في حين أن محصول مئة حبة من القمح والشعير لا يجيء بقدر من الطعام له قيمة.

وهكذا يكون من المحتمل أن الحديقة سبقت حقل القمح ، وأخلق أن يكون الغرض من الغرس إنتاج هذه الأطايب والحصول بفضل ذلك عفواً على (فيتامينات) وذلك قبل التعويل على الزراعة للحصول على الكفاية للعيش، وكان مصدرها في ذلك الوقت الصيد عند معظم القبائل . وقد جاء في التوراة أن العبرانيين المتضورين ذكروا قدور اللحم والخبز والسمك في مصر ولكنهم كانوا أشد اشتهاء للخيار والبطيخ والكراث والبصل والثوم . ومن هذا القبيل أيضاً أن الله في البداية غرس حديقة في شرقي جنة عدن ، فهو لم يزرع حقل شعير .

على أنه بعد زمن غير مديد صارت هناك حقول شعير ، وحقول قمح أيضاً ، ولكن القمح لم يكد يعوض متاعب الغرس حبة حبة ، أو حتى تلاً فتلاً ، ولم يكن من السهل تمييز أعواده من أعواد الحشائش الأخرى ، ولهذا لا يسهل اقتلاع الأعشاب الضارة — الخارجة معه .

غير أن هذا قد لا يكون عسيراً في بلاد جافة ، ولهذا يمكن أن يقال إن زرع القمح لعله بدأ في بلاد قليلة المطر مثل سورية ، لأنه في البلاد الجافة تقل الحشائش البرية ، ففي الوسع زرع القمح في أرض تكاد تكون عارية من قبل، ثم يصبح علينا أن نجلب الماء إلى البذور بطريقة من طرق الري — إما بحمل الماء في قرعة ، وإما بتحويل ماء ينبوع أو جدول لينحدر على الحقل . ومتى بدأت الأعواد تطول بسرعة ، فإنه لا يكون هناك إلا القليل من الأعشاب التي تنمو بجانبها ، فيكون لنا حقل قمح . وتبعاً لسير الأمور ، صار نهجي ، أنا الإنسان ، رهناً بزرع نوعين مما يسمى الحبوب ، ومستقبلي (وليس هذا تخميناً فإنه جلي في تاريخي) في أيدي هؤلاء الذين تعلموا في السنين الأولى كيف يزرعون القمح والشعير .



كان الكلب قد روض وأصبح أليفاً منذ عدة آلاف من السنين على الأقل ، ثم تلته الغنم والماعز والخنازير والأبقار ، وكانت كلها تطلب وتصاد من أجل لحمها عدة قرون قبل أن تصبح أليفة .

فلما كانت الغنم قد تغيرت عن أصلها أكثر مما تغير سواها من هذه الحيوانات ، فإن هذا يدعو إلى الظن بأنها أول ما سيطرت عليه ، وإذا أردت أن تكوّن فكرة عما

عساه حدث ، فتصور حالة قبيلة معينة حوالى عام ١٠,٠٠٠ قبل الميلاد .

ولنفرض أن هـذه القبيلة كانت نازلة فى سلسلة من الجبال المنخفضة يحيط بها سهل صحراوى . وعلى جوانب الجبال كان رجال القبيلة يجمعون البذور والثمار ، ويصيدون السمّان والأرانب ، ولكن موردهم الرئيسى للطعام كان الغنم البرى .

غير أن رجال القبيلة تعلموا على الأيام استعمال القسى والسهام وازدادوا حذقا فيه ، فكثر ما يظفرون به من الغنم فى العام ، وازداد تبعاً لذلك تعداد القبيلة ، مع ازدياد عدد الأطفال السمان الأصحاء الذين يلعبون حول نار الجماعة ، وبعـد بضع سنين قليلة أصبح الصبية صيادين ، وراحوا يقتلون عـدداً آخر من الغنم ، وما هى إلا فترة وجيزة حتى صار ما يقتل من الغنم أكثر مما يولد من نتاجها حتى فى سنوات الخصب .

ثم انتقلت الحال بالقبيلة من الرغد إلى الضيق ، فكان الصائدون يعودون جياعاً وأيديهم فارغة ، وراحت الأمهات يبحثن عن التوت ويحفرن الأرض طلباً للجذور التى كن يزدرينها أيام الخصب واللحم السمين ، ولعل هـذه الحالة كانت تتكرر كثيراً وفى أماكن عديدة ، وعلى الأيام صار الصائدون ينظرون إلى أبعد من ذبابة السهم ، وأصبح شيوخ القبيلة الذين عانوا فترة من ندرة الصيد يعبسون ويسخطون إذ يرون الفتيان يقتلون الغنم لا لسبب سوى الاستمتاع بإظهار براعتهم . وكان هناك شىء آخر أيضاً ، فقد بدأوا يشعرون أن الذئاب والنمورة باغية ــ كما أن بعض النـاس ، فى نفس الوقت تقريباً بدأوا يشعرون أن الثيران والغزلان متطفلة على « مراعينا » ، وهكذا شرع الرماة يطاردون الذئاب والنمورة أيضاً .

ومتى بدأت القبيلة فى جماتها تنظر إلى إلى الغنم على أنها « غنمها » فإن فى وسعها أن تشرع فى اتخاذ وسيلة للمحافظة عليها ، وتلك خطوة طويلة فى سبيل تأليفها وترويضها . ثم شرعت تتكلم بعبارات جديدة :

« ابقوا على النعجة مع الحمل ! » .

« إن نمراً قد افترس بعض غنمنا ــ فلنتعقبه ولنقتله ! »

« هل المراعى أخصب على الجانب الغربى ؟ فلنذهب بغنمنا إلى تلك الناحية حين نخرج للصيد اليوم . »

وهـكذا كفَّ رجال القبيلة عن صيد الغنم ، وصاروا رعاة . و قد تم ذلك خطوة خطوة ، وببطء شديد حتى ليتعذر أن نعرف متى حدث ذلك .

لقد أحدثتُ انقلاباً بترويض الحيوانات

الصالحة للطعام وبتعلمى زراعة القمح. وترجع قيمة النصر المزدوج إلى أنى أنا الإنسان أصبحت أعمل مع الأرض والشمس والمطر لإنتاج الطعام ، ولم أعد مقتصراً على الضرب فى الأرض ، هنا وههنا لأجمع أو أقتل ما أنتجت الأرض والشمس والمطر ، ولا على منافسة الذئب والأسد على اللحم ، والماشية والطير على الحبوب ، والعيش من يوم إلى يوم على غير اطمئنان أو ثقة فى الأغلب . ومع أن هذا الذى حدث كله يروى فى بضعة أسطر ، إلا أن القدرة على إنتاج الطعام غيرت أساليب حياتى ، وأساليب تفكيرى أيضاً ، كما غيرها الصيد مرة قبل ذلك بزمان طويل .

لقد كانت حياتى من قبل مدارها مخيم الصائدين الذين يرتادون الغابات بالقسى والكلاب ، فالآن صار مدار حياتى حلة صغيرة من القرويين يزرعون القمح ويتخذون قطعان الغنم والماشية . وقد كانت كل قرية صغيرة عبارة عن عاصمة أو حاضرة لأنه لم يكن ثم ما يكسفها ويحجبها ، وكان القرويون يزدرون قبائل الصيادين والمنتجعين الفقراء الجياع فى الأغلب ، الذين لا يزالون يرتادون السهوب أو الغابات .

وحوالى هذا الوقت تعلمت شحذ الحجارة بدلا من الاكتفاء باتخاذ حجر ذى حد أو سن . ومن هنا أطلق على العصر كله اسم العصر الحجرى الجديد ، وبهذا الحجر المشحوذ صارت لى لأول مرة فأس يمكن الاعتماد عليها عند الضرب بها دون أن أخشى أن يتحطم رأسها حين أضرب . وكانت هذه الفأس الصالحة عظيمة النفع لى فى هذه المرحلة لاقتلاع الأعشاب والشجيرات والأشجار ، وتوسيع حقول القمح الجديدة . ولا بد أن الزراع الأولين كثيراً ما احتاجوا إلى الفأس كحاجتهم إلى المنجل .

وحدثت سلسلة عظيمة أخرى من الاكتشافات ذات صلة بأعمال الحمل والخزن فاهتديت إلى عدة وسائل لذلك فضلا عن استخدام ما يعد أوعية طبيعية مثل القرع .

فأولا يمكن أن تجمع أطراف الجلد فيصبح أشبه بالعَيْبة أو الغرارة ، وقد ربطت الأطراف فيما بعد فصارت غرارة حقيقية ، وقد تبين أن هذه أداة بديعة ، وأنها تحمل حتى الماء . وكان لهذه الغرارة عيوبها . ومنها أنها لا تستطيع أن تظل مفتوحة الفم للملء ولكن على الرغم مما اكتسبته من الحذق فيما بعد لم أستطع أن اعتاض منها سواها . ومع أنى أصنع بعض الأكياس من الجلد اليوم ، إلا أنى لا أزال أستعمل ملايين من الأكياس البسيطة جداً لنقل كل شىء وحفظه — من الماء إلى الفحم والذهب .



وبينما كنت أعمل على تحسين الغرارة كنت — وأنا أعبث على الأرجح — أنسج الحصير من أعواد الأسل. والحصير يمكن أن تجمع أطرافه كالجلد، فلما تعلمت نسج الحصير على هذه الصورة، صارت لي سلة، والسلة شبيهة بالغرارة — وعاء بديع لحفظ الأشياء لخفتها ومتانتها وسهولة تناولها، وما زلت إلى اليوم أستعمل ملايين من السلال لا تختلف كثيراً عن السلال البدائية، بل هي تصنع من نفس المواد.

غير أن السلة لا تصلح لحفظ الماء، ولا بد أني طليتها بالطين للتغلب على هذه الصعوبة، فلما احترقت سلة من هذه السلال — مصادفة — في النار، وجدت أن الطين أحمرّ وصلب، وكنت في ذلك الوقت قد اكتسبت قدراً كافياً من الذكاء، وتنبهت إلى علاقة السبب بالمسبب، فتعلقت بالفكرة الجديدة وبدأت أصنع القدور. وكنت في البداية أقلد الأشكال الطبيعية بل أشكال السلة أيضاً، غير أني بعد قليل تعلمت أن أصوغ القدور على أشكال كثيرة لا يأخذها حصر، وأن أزينها بالرسوم والصور بالألوان.

وقد كان لهذه الأدوات المتخذة لحمل الأشياء وخزنها قيمة عظيمة جداً، لأن ظهور المدن كان متوقفاً عليها، فما يستطيع عدد كبير من الناس أن يعيش في مكان واحد إلا إذا كان القمح الذي يزرع في مكان آخر في موسمه، يمكن أن ينقل إليهم ويخزن عندهم ليستعمل في الفصول التي لا يزرع فيها قمح.

وثم توفيق آخر جليل في تلك العصور التي هي أعظم العصور الإنشائية — هو نسج الثياب. فقد ظل الصائدون عدة قرون لا يرتدون إلا جلود الحيوان، وكانوا يخيطونها بالإبرة والخيط ليجعلوا منها كساء (أو كانت الزوجات والأمهات يفعلن ذلك). والجلود شيء حسن في الجو البارد، ولكني كنت في بعض الأحيان أنشد الوقاية من الشمس، ثم إني كنت قد عرفت فكرة الحياء قبل ذلك بزمن مديد، ولهذا كنت في البلاد الحارة أريد أن أستر بدني دون أن أختنق تحت كساء من الجلد، ومن هنا كان أول ثوب عُرف في البلاد الحارة.

ومن السهل أن يستوحي المرء نسج الثياب من نسج الحصير والسلة، والواقع أن أول ما صنع من الثياب، كان مضفوراً، ولعل وبر النعاج كان أول ما استعمل لأنه يمكن أن يتخذ منه نسج رقيق خفيف، ثم استطاع بعض الماهرين (هذا على الأرجح كان بعد زمان طويل من تعلم الزراعة)

أن يزرعوا الكتان ويهيئوهُ وينسجوهُ ، ثم تلا ذلك على ما يظهر استعمال الصوف .

وهكذا استطعت أنا الإنسان أن أوجد صناعة النسج المعقدة المملة بجميع تفاصيلها من جزّ ، وتمشيط ، وندف ، وغزل ، ونسج ، وتبييض ، وصبغ ، وغير ذلك مما لا يعرفه إلا أهل هذه الصناعة .

وقبل أن يمضى زمن طويل أفضت صناعة الثياب إلى اتخاذ النول ، وهو أعقد أداة اتخذتها إلى ذلك الحين .

وإذا كان ثم شيء تعلمته عن الحياة — وأنا أكر الطرف راجعاً — فذاك أن التغير يولد التغير على ما يظهر، ولست أرى هذا بجلاء كما أراه فى نفس هذا العصر الدهش، وهو عصر لا يمكن أن يكون بالغ الطول حتى إذا طبقنا عليه المقاييس التاريخية، وألفان من السنين مسافة من الزمن كافية له. ومع أنى قد أضفت إلى إنتاج الطعام الحجارة المشحوذة والأوعية والنسج، إلا أنى لم أكد أبدأ فى سرد كل ما كان من وجوه التغير .

ومن الغرائب التى لاحظتها أيضاً أن أى جديد قد تتفرع عليه أشياء أخرى ، فما كان أحد فى البداية يخطر له أن زرع المحصولات سيقترن اقتراناً طبيعياً باتخاذ الحيوانات . ذلك أن السماد أعان النبات على النماء ، ووفرة الغلة الناتجة يسرت لى إطعام الحيوان وجعلته يعتمد علىّ .

وتأمل نتيجة أخرى لم تكن متوقعة هى ما أدى إليه التبن ، فقد كان القمح يزرع من أجل الحب ، ولكن القرويين ألفوا عندهم مقادير كبيرة من التبن ظهر أن لها فائدة من وجوه شتى . فهى علف لبعض الحيوان ، وهى تجعل النار تتسعر بسرعة، ويمكن أن يتخذ منها الحصير وغطاء الرأس، وهى فراش حسن للرجل والحيوان .

وكذلك كان حال الحيوان أيضاً . فقد كان ترويضه فى البداية من أجل الطعام ، وبعض أشياء أخرى مما يستعمله الصائدون — الجلد والعظام والقرون والأوبار ، ولكن بعض رجال القبائل من أقدم العصور حلبوا النعاج والمعز والأبقار ، وبعد أن روضوا الحيوانات الأخرى حلبوا الأتان والمهر والناقة ، بل كل كبيرة من ذوات الأثداء تستحق هذا العناء . ثم خرج من اللبن كل المنتجات الثمينة التى لم تكن منتظرة مثل الروب والزبدة والجبن ثم الخمائر والطلاء والغراء واللدائن .

وكان تطور الغنم أعجب ما حدث ، فإن شعر الغنم الأصلى المستوحش كان شبيهاً بشعر المعز ، ولا يزال الغنم المستوحش كذلك إلى الآن ، ولكن فروة بعض الغنم بدأ شعرها

يطول، بعد أن صار هذا الحيوان فى كنفى، (بفضل التنوع الطبيعى على الأرجح) ، وكانت هذه الأغنام خليقة فى حياة الاستيحاش أن تجد معوقاً لحركاتها من طول أوبارها، فتتعرض للإبادة ، وقد كان من جراء هذا الطول فى أوبارها أن صارت أقل نشاطاً وأضعف ثقة بنفسها فجعلت تلازم الراعى . وفى هذه الأحوال الجديدة صارت فرصة البقاء لها أكبر ، وسرعان ما وجد الراعى أن جلود هذه الغنم تصلح لاتخاذ أردية دافئة.

وهكذا عاونت الطبيعة بإنقاذ أطول الحيوانات وبراً للنتاج . وبهذا حصلت على الصوف فضلا عن اللحم ، وبهذا أيضاً — فى مستهل التاريخ — صارت الغنم بأصوافها الثخينة مفتقرة إلى كل الافتقار لحمايتها ، ورمزاً للعجز .

صارت الحياة — فيما بين ٦٠٠٠ و ٥٠٠٠ ق . م . — تزداد تعقداً بسرعة ، وأحسب أن فكرة « العمل » ظهرت فى ذلك الوقت ، فإن الناس لم يعودوا يحيون حياة الصائد المغامر، واقتضت الفلاحة أن تكون هناك فى أوقات منتظمة نوبات عمل شاق ليس بالممتع فى كل حال ، وهذا هو العمل .

وهذه الفترة التى شهدت نشوء معنى العمل ، يحتمل أن تكون قد شهدت أيضاً نشوء معنى الفراغ ، فقد كان القروى يقوم بمهمات قد تكون ثقيلة بغيضة إليه، ولكن الوقت الذى كان يقضيه فى الحصول على طعامه الأساسى أقل . ومتى وجد الناس الطعام الكافى والوقت للقعود والحديث والتفكير ، فإن أفكاراً جديدة تدور فى رؤوسهم ، فتتخذ صور اختراعات جديدة وأساليب مستحدثة فى الحياة .

ولست أزعم أن هذا كان عصر سلام ذهبى ، ولكنى حين أحفر منقباً عن إحدى هذه القرى الأولى لا أجد أسواراً أو موانع للدفاع، أما الأسلحة التى أجدها فهى أدوات للصيد لا أدوات للحرب . وكانت جماعة الصيادين تعيش على الأطراف ملتزمة قانون الحربة والقوس ، ولكن هذه كان قليلا عديدها ، وقد تغير من حين إلى حين ولكن القائمين لم يكونوا غزاة إلى ذلك الحين .

ومع أن حياة القرية كانت أشد تعقيداً من حياة الصيد والانتجاع ، إلا أنها لم تكن تتطلب ذلك التعاون الدقيق السريع الذى يتطلبه الطراد ، فإن الفلاح يستطيع أن يعمل وحده ولنفسه ما شاء من الوقت ، ولهذا يكون القرويون أكثر ديمقراطية ونزوعاً إلى الفردية من الصيادين . ثم إنهم لم يكونوا إلى ذلك الحين قد تميزوا بالاختصاص فى ضروب عملهم إلى الحد الذى يؤدى إلى

القضاء على المساواة، فقد كان كلٌّ منهم فلاحاً، ولكنه كان يستطيع أيضاً أن يعمل - وكثيراً ما عمل - كل ما استوجب الأمر عمله، فكان يصيد الحيوان والسمك، وينجر الخشب، ويصنع القسيّ والنبال على سبيل الهواية.

ولما كثر إنتاج الطعام كثر عدد الناس، فراحوا يتوسعون ويزرعون قرى أخرى، ولم تكن متباعدة منعزلة، وكان الأفراد يروحون ويجيئون بينها ويتبادلون الأشياء والأفكار، فتحتك العقول وتشحذ.

ولعله كان يحدث بعد الحصاد أن يحمل اثنان من الفتيان جلدماعز بعد معالجته على طريقة قريتهما، ويجتازا الجبل ويخترقا الغابة، ومعهما قوساهما، فقد كان من المحتمل دائماً أن يلتقيا ببعض أهل الجبال الجوّابين أو يصادفا دباً، حتى إذا بلغا القرية الأخرى أفضيا بما عندهما من أنباء، واستمعا إلى أنباء القوم. ويدور الحديث، ويأكل الطارئان مايقدم إليهما من طعام، ويختلسان النظرات إلى الفتيات، ويسمعان أن نوع القمح الجديد الذي جيء ببذوره من الجنوب فى العام الماضى قد خيب الأمل، ويصغيان إلى ما عند القوم من تعليل لذلك، ويدليان بما يعنّ لهما من رأى. ويرى أحدهما زوجة تستعمل نولا قديم الطراز، فيبين للقوم كيف يمكن تحسينه قليلا، ويضحكان إذ يسمعان قصة جديدة (ليس فيها شيء من الاحتشام) ويقصان مثلها على سبيل المساجلة، ويقال لهما إن بدو الصحراء فى الشمال الشرقى - على مسافة بعيدة جداً - قد قاموا بغارة. ثم يهدون جلد الماعز إلى القروى الذى ضيفهما، فيقابل لطفهما بمثله ويهدى إليهما صدفة مصقولة جاءت من قرية فى الغرب. ثم يعودان إلى قريتهما - وقد أدّيا مهمة السفير والتاجر وحامل الأخبار.

وأحسب أن الحياة كانت قريبة شبيهة بهذه الصورة فى فترة القرون العشرة العجيبة ما بين سنة ٦٠٠٠ وسنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد.

وظهرت القرى على الأيام فى أودية الأنهار، وصارت أكثر عدداً منها فى أى مكان آخر لخصوبة التربة. ولا يمضى إلا زمن وجيز حتى تصبح العشرات منها متقاربة أو متجاورة. وبين هذه القرى - لا بين القرى المنعزلة فى التلال والجبال - يجرى الخيط الكبير الذى ينتظم حوادث قصتى هذه.

وأخذت الحياة تزداد تحولا من البساطة إلى التركيب، فقد صارت هناك محصولات جديدة وطرق جديدة لزرعها ينبغى أن يتعلمها الناس، وتعقد أمر الزراعة حتى صار حسب أى واحد أن يكون فلاحاً،

ولا متسع من الوقت عنـده لبناء بيته وصنع أدواته .

وكذلك كان الأمر فيما يتعلق بالحرف الأخرى ، فبعد أن اخترعت عجلة الفخار ، انتقل عمل الفخار إلى أيدى صناع مخصوصين. وكانت صناعة المعادن من أول الأمر خارجة عن نطاق الفلاح العادى ، وظهر الحداد فى العالم وكان جديداً كل الجدة ، واضطر الفلاح أن ينتج مزيداً من الطعام للمقايضة على الآلات والقدور . ولما كان الفلاّح قد اقتصد بهذا وقتاً طويلا ، فإنه قد صار أرغد حالا ، ولا شك أن الحداد وصانع الفخار كانا يؤثران صناعتيهما على العمل فى الحقول، فكانا هما أيضاً أرغد حالا .

وفى الوقت الذى نزع فيه الأفراد إلى التخصص ، نزعت القرى أيضاً ولا شك إلى مثل ذلك ، وكانت الحبوب هى أساس الحياة ، فإذا كانت رقعة من الأرض صالحة للحبوب على وجه الخصوص ، فإن الناس كانوا يستقرون فيها ، غير أن الخصائص التى تجعل الأرض أصلح ما تكون لزراعة الحبوب ، هى بعينها التى تجعلها غير قادرة على تزويد القرية بحاجاتها الأخرى . ذلك أن الحجارة لازمة لأدوات الزراعـة ، ولا حجارة فى الطين الخصيب . والحطب الذى يوجد هناك غير نفيس ، أو لا شجر هناك . وزراعة الحبوب لا تلتئم مع اتخاذ المراعى ، وقد ينظر المرء ويحدق حتى تخرج عيناه فلا يجـد ركاز النحاس فى أرض بين نهرين .

وهكذا أخذت بعض القرى تنمو وتكبر وتتعقد فيها الحياة لأن أسر الفخارين وصناع الأدوات والتجار عاشوا فيها ، وأما وقد أخذت هذه القرى تصبح إلى حد ما مركزاً للصناعة والتجارة ، فإنه يحسن أن نبدأ باستعمال لفظ جديد ، فنسميها مدناً .



ولك أن تعد زمن الفصل التالى حوالى سنة ٤٠٠٠ ق . م . وهـو عصر تدهور القرية ونشوء المدينة . وقد ظهر الرق فى كل المناطق التى نشأت فيها المدن، وكانت الرغبة فى الاستكثار من الرقيق هى أكبر ما أغرى بالحرب ، وصـارت تجارة الرقيق حرفة وصناعة أدت إلى تجويد فن الغزو ، ولعله كان أحدث عهداً من الرق، لأن الغزو لم يكن فى الحقيقة إلا ضرباً من الاسترقاق بالجملة

ولما توطدت أركان المدن حقاً ابتداء من سنة ٢٥٠٠ ق . م . تقريبـاً حدث تطور ملحوظ فى مجال الترف والرفاهية ، وهذا يبدو على الخصوص فى الفنون . وقد

حفظ الزمن كثيراً من هذا الإنتاج الجديد : مبانٍ ومقابر ، وتماثيل ، ونقوش، وفخار ، وخزف ، وقطع بديعة من المعادن المصوغة، وزجاج ، وتوابيت ، وغيرها من أشغال الخشب والعاج ، وطلاء الجدران، بل بعض الآثار الأدبية أيضاً ، وكانت هذه الفنون كلها مقصورة على الأقلين .

وما من قطر واحد كان يستطيع أن يخرج كل المواد النادرة المنشودة ، ومن هنا اتسع نطاق التجارة ، فخرجت القوافل والسفن إلى البلاد الأخرى أو إلى القبائل المتخلفة التي قد يكون عندها ما تقايض عليه من ذهب وفراء أو أفاويه أو أعشاب سحرية . وهكذا أخذت صناعة السفن وفن الملاحة في الرقي بعد سنة ٢٥٠٠ ق . م .

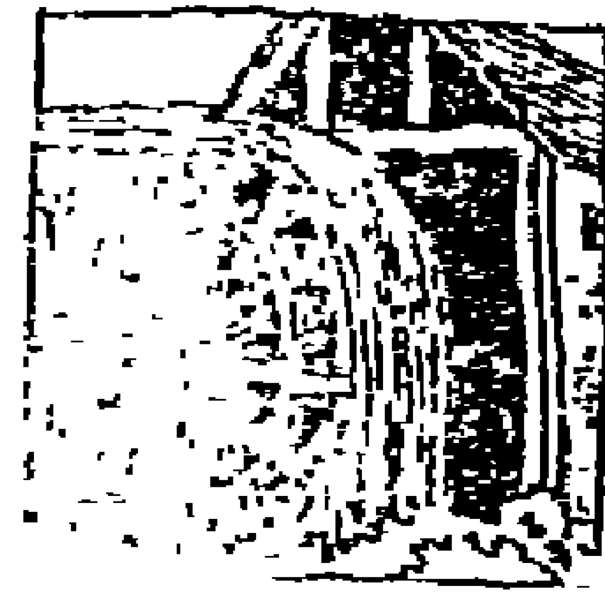
وحوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م . بلغت الدنيا حالة لم يطرأ عليها تغيير جوهري خلال ثلاثة آلاف سنة وأكثر بعد ذلك .

وباختراع الكتابة تخرج قصتي « إلى نور التاريخ » ويبدو أن الكتابة — ككثير مما عرف الإنسان ، جاءت على مراحل بطيئة، فبدأت بالصور ، ثم تلا ذلك التصوير المبسط المصطلح عليه الذي يشبه الرسم بالعود ؛ وأخيراً صارت هذه الصورة المبسطة تعبر عن الكلمة بدلا من أن تعبر عن الشيء .

ثم جاء اختراع الحروف الأبجدية فيما بعد ، وليس من الميسور إلى الآن ردها إلى ما قبل ١٥٠٠ ق . م

وقد سهلت حروف الهجاء كل شيء ، بحيث أصبح في وسع كل إنسان — من الوجهة النظرية — أن يقرأ ويكتب ، غير أن الواقع هو أن القراءة والكتابة ظلتا على مدار القرون مقصورتين على الكتبة وعلى قلة ضئيلة ، وبقي الأرقاء والفلاحون وكثيرون من أهل الطبقة العليا أيضاً ، ولا سيما النساء ، أميين كالنسانيس .

أما ما حدث في الآلاف الأخيرة من السنين فمدوّن ومعروف . وإني إذ أكتب هذا في منتصف القرن العشرين بعد الميلاد، أرى في تاريخي عصرين عظيمين من عصور الإنشاء والخلق : أولهما بدأ بتعلم الزراعة وترويض حيوانات الطعام ، وقد امتد هذا العصر بضعة آلاف من السنين وظهرت فيه القرى، واستمر إلى أن أبطأت حضارة المدن . وثاني هذين العصرين العظيمين بدأ حوالى سنة ١٠٠٠ ق . م . ولا يزال مستمراً على ما يظهر . وقد كان هذا العصر وما زال هو عصر الاستكشافات من جغرافية وفنية صناعية ، وما انفكت تحدث فيه تطورات عميقة في نظام الجماعة.



وقد وُصفت أنا الإنسان بأنى أهيم بالأدوات ، واتخذ الكتّاب هذا الوصف سخرية منى ، فكأنهم يريدوننى أن أكون أشدَّ هياماً بالشعر منى بالمحاريث . بيد أنى أجد شيئاً يقال فى الدفاع عن الأدوات ، فقد أفادتنى القوة والسلطان على العالم الذى يحيط بى ، وقد لاحظت على الدهور ، أن العصور التى تزخر بالمخترعات الجديدة، تبتكر فيها أيضاً أساليب جديدة للحياة والاجتماع .

ومنذ ألف سنةٍ أو أقل دخلت عهداً من حياتى ، جمعت فيه بين الأدوات الجديدة والانتفاع بالأدوات القديمة على وجه جديد . وقد ألف الكتاب أن يعدُّوا البارود والطباعة أعظم المخترعات فى أوائل العصر الحديث ، بيد أنى أرى أن الانتفاع بقوة الماء ، كان أخطر شأناً وأسبق عهداً .

ولعلَّ طواحين الهواء اخترعت فى العصور القديمة ، ولكن الانتفاع بها على نطاق كبير تأخر عن الانتفاع بطواحين الماء . وقد ازداد الانتفاع بقوة الماء والهواء ازدياداً بطيئاً ، ومهما يكن من أمر فإن وجود طواحين الحبوب كان فى حد نفسه ذا قيمة لا تقدر فى الدلالة على وجوه الانتفاع بالقوة فى المستقبل ، وكانت كلُّ طاحونةٍ أو عجلة يديرها الماء الجارى حجة ناهضة على الرق والعبودية . فالعبد الرقيق قد يغنيك عن دفع أجر له ، ولكنك مع ذلك مضطر أن توفر له الطعام ، وإذن فالاستعانة بالماء على الطحن كان أقل نفقة من الاحتفاظ بالرقيق وإن وفيت للطحان أجراً عن عمله .

وفى أوائل العصر الحديث اكتشف البحارة نفع البوصلة وطريقة استعمالها بيد أن حذقهم فن الملاحة ضد اتجاه الريح كان أخطراً شأناً . وعلى الرغم من براعة الفينيقيين واليونانيين ، كانت شعوب العالم القديم ألصق باليابسة ، فإذا سلكت البحار ظلت محاذية للسواحل . أما الشعوب التى عزمت على عبور المحيط الأطلسى فقد كان حتما عليها أن تتقن الملاحة ، أو أن تقبع فى بلادها . وقد حذقت الملاحة ، ثم تدرجت صعداً فى بناء السفن، وأمعنت فى سلك البحار .

فكان ذلك عصراً حافلا بآيات الريادة والاستكشاف ، والأسماء الثلاثة البارزة التى يصح أن تتخذ رمزاً دالا على ذلك العصر ، هى أسماء كولمبوس ، ومجلان ، وكوبرنيكس . وقد عاش الثلاثة فى عصر واحد وتمت مكتشفاتهم فى قرن واحد .

وقد رحل كولمبوس إلى بلد أذهل الناس خبره ، فلم يسعهم إلا أن يطلقوا عليه وصف « العالم الجديد » ، فكأنه فتح

أمام عيون الناس طريقاً إلى اللانهاية . ثم جاءت رحلة مجلان حول الأرض ، فكأنها قالت إن للانسان حدوداً ، وأن هذه الحدود قائمة على كرة ليست بالكبيرة ، وأن سفينة صغيرة تستطيع أن تدور حولها فى زمن ليس بالزمن المديد. أما كوبرنيكس فقد كان أبعد الثلاثة رحلة ، مع أنه ظل مقيما فى داره ، وقد أدرك فى أثناء رحلته أن هذه الكرة الصغيرة ليست مركز الكون، بل هى واحدة من كرات كثيرة ، ولعلها من أصغر الكرات حجماً .

كولمبوس ، مجلان ، كوبرنيكوس — ماذا ترانى صنعت بمكتشفاتهم فى الفترة القصيرة التى مرت عليها ؟ أما أمريكا التى كشفها كولمبوس فقد جعلتها جزءا من عالمى أنا الإنسان ، وأنت تنظر إليها اليوم فلا تعدها حلما بعيداً ، أو أملاً أو عالما جديداً ، فما هى سوى قارتين تقطنهما شعوب كثيرة بينها حدود وحواجز .

أما مجلان فأرانى لم أكد أفعل شيئاً بما كشف ، وأفرادى لم يكادوا يبدأون النظر إلى أمم الأرض على أنها أمة واحدة وعالم واحد ، ومع ذلك فإن اسم مجلان خليق أن يصير الرمز الذى يطلق على العصر الذى وقفت الساعة على أعتابه .

وأما كوبرنيكس ، فأرانى لا أزال أداعب الآراء التى طلع علينا بها كأنها وهم من الأوهام ، ولا تزال القدرة على الرحلة إلى كوكب سيار آخر ، بعيدة عنى ، كما كانت الرحلة حول الأرض بعيدة عن ذهن الناس فى عهد الرومان .

وحوالى سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد ظهر الملوك ، والنبلاء ، والأحرار ، والعبيد ، والأرقاء، ولكن الملوك كانوا أبعد مايكونون عن السلطة المطلقة ، وكان الأرقاء قليلا عديدهم، ولم يكن ثمة فاصل حاسم بين النبلاء والأحرار، ولا بين الأحرار والعبيد، واحتفظ الفرد بقدر من الإدراك لقيمته وحريته ، وبتقاليد التمرد على سلطة الملوك المتزايدة .

وصاحب هذا الكفاح نمو الحكم التمثيلى وأساليبه ، وكان هذا أهم تطور اجتماعى فى ألف سنة ، فقد كان من الممكن فى قبيلة أو قرية أن تتقرر الأمور ذات الصفة العامة بأن يدعى الآباء إلى اجتماع ، ولكن إذا انتشرت القبيلة فى رقعة واسعة ، أو كبرت القرية فأصبحت مدينة تتبعها قرى ، فإنه لم تكن هناك طريقة عملية فى ذلك العالم القديم، يتسنى بها للبعيدين أن يتركوا أعمالهم ليشهدوا اجتماعا .

غير أن الأوربيين ابتكروا طريقة اختيار ممثل لكل منطقة ، ثم يجتمع هؤلاء الممثلون

فى مجلس أو برلمان ، وقد يسرت هذه التجربة إيجاد أداة يستطيع بها الأفراد أن يعملوا معاً فى بلاد كبيرة دون أن يخضعوا لحكم ملك أو مدينة كبيرة . فمهّد ذلك لقيام الديمقراطيات الكبيرة .

وإنى لأجد فى الوقت الحاضر أن ائتلاف المدن والديمقراطية أقوى مما كان فى أى عهد مضى ، وأن كل الدلائل تشير إلى استمرار النشاط والحيوية . ويبدو أن الديمقراطية تتيح للفرد فرصة فيها حرية لم يتم مثلها له فى ظل المدنية القائمة على نظام الملكية والاسترقاق .



أما من حيث المستقبل فإن أول سؤال هو : « أترانى سأبقى زمناً آخر ؟ » أظن ذلك .

ولاشك أن هناك احتمال نظرى بأن يحدث اصطدام فلكى يمحونى ، أو قد أطلق أنا قوة ذرية تقضى على . ويقول البعض إنى قد أبيد نفسى بالحرب ، والواقع أن الحرب قد تعصف بسكان مدينة أو إقليم ، ولكنك لن تجد حرباً معروفة وإن اقترنت بالوباء والمجاعة ، قد محت كل الشعب الذى خاضها . فأنا لا أرى احتمال القضاء على وجودى عن طريق الحرب .

ولنتصور شر حرب تدخل فى الإمكان إلى الآن — عالم منقسم إلى معسكرين متعاديين ، متكافئين وكل منهما يحطم الآخر بالقنابل الذرية ، وحتى إذا حدث هذا فإن إبادة الإنسان تقتضى أن توجه القنابل إلى جميع الأكواخ الصغيرة ، وجميع الغابات العظيمة ، وكل قرية للإسكيمو على حافة الجمد القطبى ، وأعتقد أن جمع الأفراد القادرين على صنع القنابل الذرية وإطلاقها سيقضى عليهم أولا ، وأن الدمار العام سينقطع حينئذ بطبيعة الحال تاركا كل حلة بعيدة بغير أذى .

وثم سؤال أكثر دوراناً على الألسنة ، وهو : هل ستبقى الحضارة ؟

أظن ذلك . ومع أنه سهل علىّ أن أتصور القضاء على الإنسان ، إلا أنه يبدو لى أن الحضارة شجرة معرقة الجذور متينة ، فعلى الرغم من كثرة اللغط بقيام الدول وسقوطها فإن الحضارة لم يقض عليها فيما مضى ، وإذا كنا نعنى « بالحضارة » ما يشبه الإمبراطورية الأشورية أو الرومانية ، فإن هذه قد بادت ، ولكن إذا عنينا بالحضارة جملة أشياء من مثل الزراعة وصناعة المعادن والتقاليد الاجتماعية — فإن المدينة لم تنقرض قط ، ولم تخسر الدنيا على ما يظهر أى شىء مهم منها . وهكذا تظل قصتى مسايرة للحضارة ومستمرة على الرغم من أشد الحروب تدميراً ،

كانت عندئذ أبسط نظاماً وأقرب أصولها الأولى .

أما من حيث التطور الاجتماعى فى تقبل ، فإنه لم يظهر إلى الآن سوى ين اجتماعيين سايرا الحضارة . أحدهما م الملكية والعبودية القديم ، والثانى هو م الديمقراطية الحديثة . والتاريخ إلى ب النظام الأول ، ولكن لست من منين بأن التاريخ يعيد نفسه (وأقصى يقال أنه يعيد نفسه على نحو ما يتكرر صوت المصوغ فى اللحن الموسيقى — مع تقل من نغمة إلى نغمة) . وأعتقد أن المسألة تحل إلى الآن من الناحيتين ، وقد يستمر صراع زمناً ، أما أيهما تكون له الغلبة د مئة عام أو خمسمئة ، فلا أدرى ، فقد قام الماضى نظام الملكية والعبودية واستمر سبب واحد ، ذلك أنه لما أربى عدد الناس لى موارد الطعام صارت المشكلة واحدة أماً وهى : هل يهوى الجميع إلى حضيض لوجود ، أو يهوى معظمهم ، ويحيي الأقلون حياة أرغد ؟ وكان الأمر الثانى هو الجواب فى كل حال .

على أن عند الديمقراطية حلا ثالثاً — ن يعيش الجميع عيشة طيبة . وعلى الديمقراطية كى تبقى وتخرج هذا الحل إلى حيز العمل ، ن تصبح أحزم تدبيراً وأن لا تظل مستعدة للتأثر بكل ذى لسان ذرب يضع قدمه على عتبة الباب . ولما كانت الديمقراطية قد ارتضت أن تحمل المسئولية المشتركة عن رغد الجميع ، فإن عليها أن تصمم وتحزم أمرها على أن تحل مسألة كفالة المساواة فى الفرص لجميع الناس .

وسواء أقام نظام الملكية والعبودية ، أم قام نظام آخر من الديمقراطية ، فإنى أستطيع أن أتنبأ وأنا واثق من صدق فراستى ، بأن العالم كله فى مدى قرن أو قرنين سيتحد فى ظل حكومة واحدة . ويبدو لى أن العالم تضاءل من جراء تقدم الآلات الحديثة ، فصار التوحيد لا مفر منه.



وها أناذا قد بلغت ختام قصتى إلى يومى الحاضر. وإذا سألتنى : « هل كان تاريخى حسناً أو سيئاً ؟ » ، فكل ما يسعنى أن أجيب به هو أنه سواء أكان تاريخى حسناً أم سيئاً ، فإن قصته ممتعة ، وكأنى بالأرض والمخلوقات الأخرى لم تتغير إلا قليلا على قدر ما أذكر . وحسبى أنى على الأقل قد فعلت ما فعلت وابتكرت ما ابتكرت !

ولهذا أقول إنها ليست قصة ممتعة فحسب ، بل إنها أجود قصة وأمتعها فى العالم !

[تتمة من صفحة ١٠٠]

فاليقين بأن هناك قوة فوق قوتنا نستمدُّ منها القدرة على عمل ما ينبغى أن نعمل ، وعلى احتمال ما ينبغى أن نحتمل ، هو سرُّ أولئك الرجال الذى اكتملت رجولتهم فصاروا أهل قوة وثبات وشجاعة فلا ينثنون أمام الصعاب . وقد قال الفيلسوف وليم جيمس إن ذات الإنسان الواعية متصلة بحقيقة روحية أوسع من ذاته ، وهى تؤثر فى الكون الذى يحيط به ، وفى وسعه أن يظل على صلة مجدية بها . والجهل بهذه المعانى يفضى بكثيرين إلى الانهيار .

ومحصل كل هذا واضح ، فأنت لن تجد شيئاً أجدى على الناس فى تجنب الحاجة إلى أطباء النفس كتجديد اليقين الدينى . وأقصد بالدين هنا جوهر الدين — أن ينشىء المرء فى دخيلة نفسه ملاذاً تخيم عليه السكينة فيلوذ به ، وأن يصرف من نفسه شياطين البغضاء والضغينة بكرم النفس وصفاء النية ، وأن يحرر نفسه من العكوف على ذاتها حتى تندفع فى عمل نبيل شعاره « أن يبذل خير ما فى النفس لخير الناس » ، وأن يحل محل الاستهتار الذى يضنى النفس إيماناً مظفراً بأن للحياة معنى أبديا وقصداً ، وأن يستمد من معين النفس قدرة على احتمال أعباء الحياة .

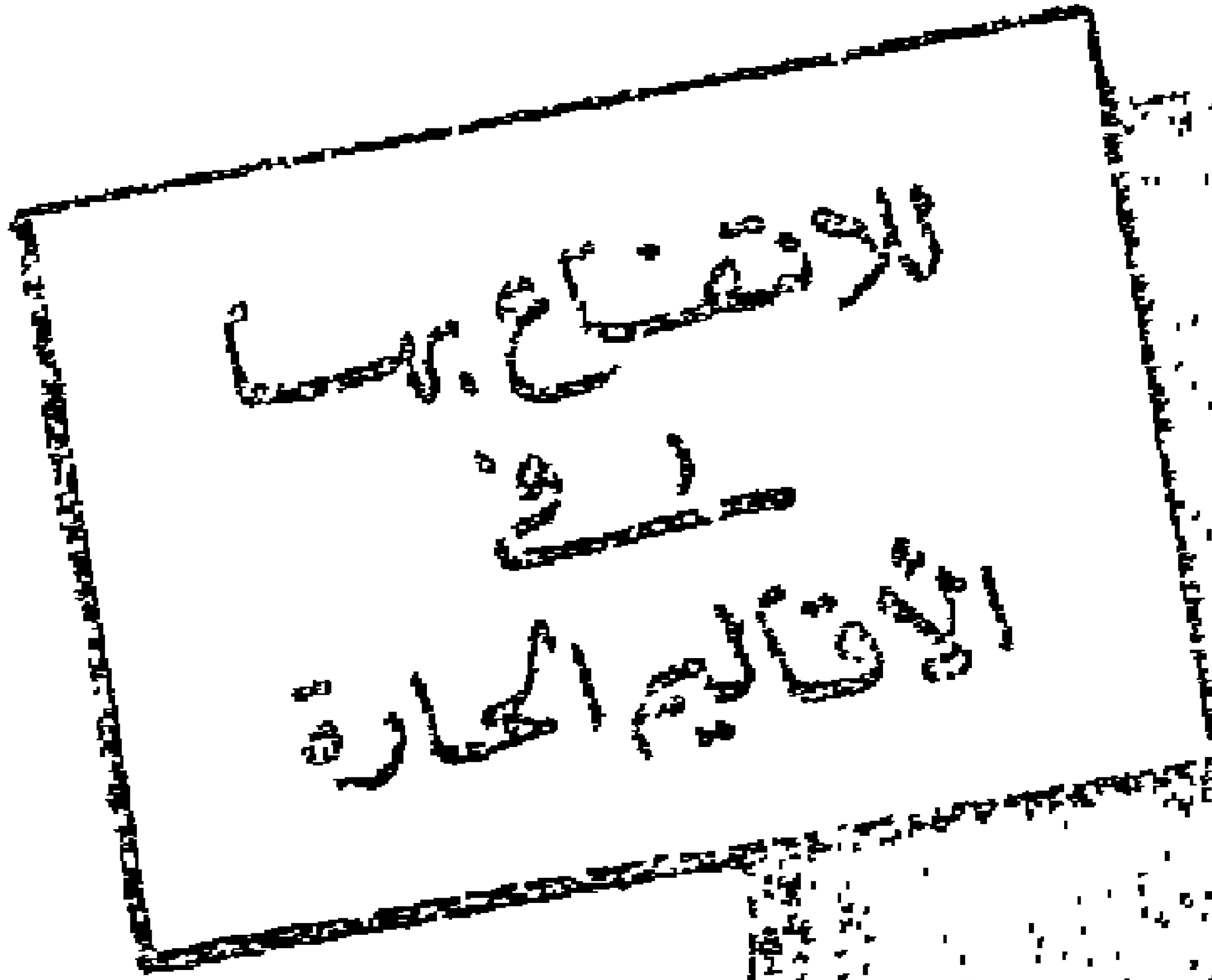
وستظل عيادات الأطباء النفسيين مزدحمة بالقصاد . ففى طوايا نفوس الناس اضطرابات عاطفية أعمق من أن يجدى العقل الواعى والإرادة فى علاجها ، وهى كالأمراض والآفات الموروثة ، لاتقع تبعتها على المصاب بها . غير أن تجديد اليقين الدينى خليق بأن ينقذ كثيرين من الأمراض النفسية التى يتعرضون لها ويصابون بها . وقد تذكرت وأنا أرى وفود الناس التى يطرد ازدحامها بأبواب العيادات النفسية ، قصة رجل سأل أحد الحكماء : « ترى ماذا تصنع لو وقعت فى مثل هذا المأزق ؟ » فكان ردُّ الحكيم : « كنت أتوقى الوقوع فيه ، ياصاحبي » .

على بساطه

فى أثناء رحلة الرئيس ترومان إلى المكسيك ، ذهب لمشاهدة بركان باريكوتين ، فحدّق إليه وأطال التحديق ، فسأله رئيس جمهورية المكسيك مارأيه فيه فقال : « إنه لبركان هائل ، ولكنه لا يكاد يكون شيئاً مذكوراً إذ قيس بالبركان الذى أجلس عليه فى وشنطن ! » [مجلة « ليبرتى »]

صممت خصيصاً

واختبرت خصيصاً ...

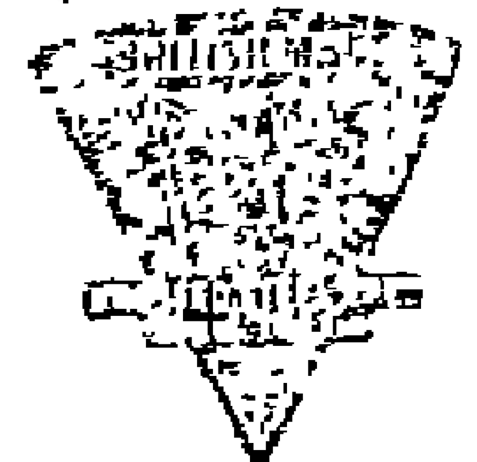


ثلاجات « برست كولد » "Tropic Tested" مصنوعة فى إنجلترا ، ومختبرة فى جميع مراحل صناعتها اختباراً دقيقاً . وقد روعى فى تصميمها أن تلاوم جميع أحوال الإقليم ودرجات الحرارة . وهى تضم جميع التحسينات الحديثة وتؤدى خدمة كاملة بأقل مصروف وأعظم يسر فى صيانتها . أما تركيبها فهو البساطة بعينها .

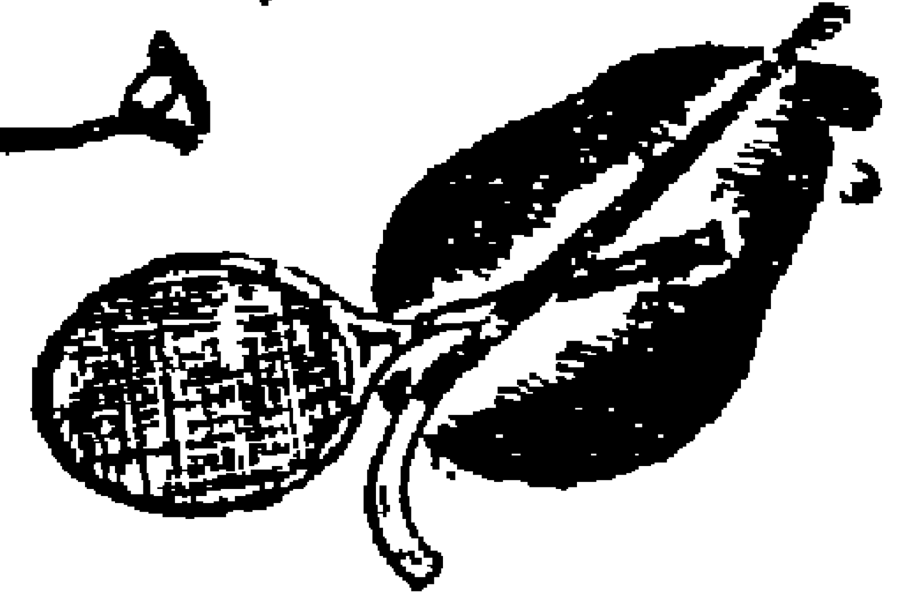
طراز ( ) الرسوم أعلاه حجرة صنعة ... طراز فريد ... مكون بمثابة من ألواح ... من الأولاد للاحوم ... ومطلية ... ناسية تبقى على ... تارات ... الثلاجة ... الحرارة والرطوبة فى المناطق الاستوائية .

PRESTCOLD

شركة E.A.S.T. ٣ شارع ... بالقاهرة ، القطر المصرى . شركة إنجنيرنج آند مانيوفكتشرنج لمتد ص ب ١١٩ تل أبيب ، فلسطين . أمريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) لمتد ص ب ١٧٦ حلب ، سوريا . أمريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ص ب ١٧ بغداد ، العراق . كولانى هادى وشركاه (السودان) لمتد ص ب ٢١٥ الخرطوم .



شركة بريسد ستيل ليمتد



هذا هو الدليل القائم..

"... على أن الشركات الكبيرة لا تقصر اهتمامها دائماً على إنتاج المنتجات الضخمة .."

لو سئلت عرضاً عن الطب البيطرى والمطاط لما خطر لك أن هناك صلة بين طبيب بيطرى شاب كان يخترق قرية إرلندية منذ ستين سنة وهو راكب عربة من عربات الفلاحين، وبين كرة الجولف التى يلعبون بها اليوم — أكان يخطر لك ذلك ؟ وهذه الصلة نفسها ما كانت لتخطر لنا ، لولا أننا اطلعنا منذ عهد قريب على مناحى نشاط ذلك الجبار الصناعى الذى ضم شتى كرة الأرض تحت لوائه — هيئة « دنلوب » للمطاط

كنا نعلم طبعاً ، أن هذه الشركة العظيمة تصنع أشياء أخرى كثيرة عدا إطاراتها المشهورة . وكنا نعلم أنها تصنع أنواعاً متعددة من معدات الرياضة. وقد رأينا اسمها محفوراً مثلا على مضارب التنس الممتازة ، وكرات الجولف. ولكن الذى أدهشنا وكشف جهلنا هو مدى الاهتمام العظيم والدقة والإحكام التى وقفتها هذه الشركة الزاخرة النشاط ، على صناعة معدات الرياضة وأدواتها، فى أيامها الماضية — ثم فى عهدها الحاضر أيضاً

فكيف يتسنى لنا أن نعلم اليوم ، أن فى شمال انجلترا الصناعى ، قسماً عظيماً فى مصانع الحكومة الكبيرة للطائرات قد تحول على أيدى « دنلوب » إلى صنع كرات الجولف وكرات التنس دون غيرها ، وعلى نطاق بلغ من السعة مبلغاً لا تصدقه حتى تراه بعينيك ؟

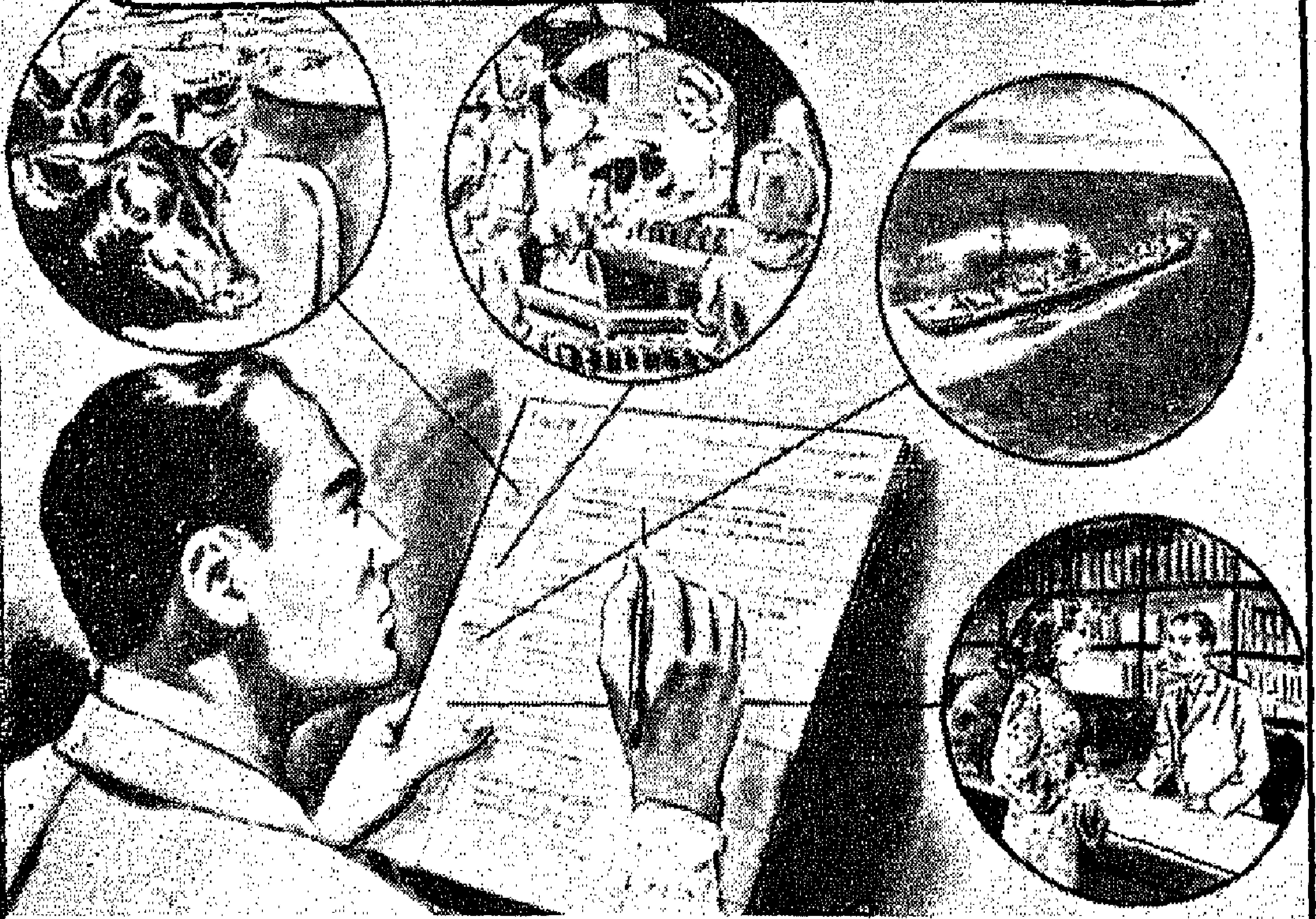
ويلوح لنا أنك لن تجد ضرباً من ضروب الرياضة لا يصنع لها دنلوب أدوات ومعدات من الطبقة الأولى. فإذا امتطيت جناحين وحلقت بهما ، ثم هبطت أرضاً تدور فيها مباراة رياضية فى أى بلد من بلاد العالم، فإنك تجد « دنلوب » هناك ممثلا فى مضارب للتنس (راكت) وكرات للتنس وأحذية للتنس ، وكرات للجولف ، ومضارب لرياضة البادمنتن، ومضارب لرياضة سكواش راكيت . وكرات لها (ومن بواعث الأسف عند رجال الشركة على ما علمنا أنهم عاجزون من أن يصنعوا شيئاً لرياضة مصارعة الثيران — وهذا عجز مفهوم) .

وفى طليعة الأشياء التى يفخر « دنلوب » بصنعها لأهل الرياضة تجد كرات الجولف التى يضمنون — دون تعهد كتابى — أنها تجعل السمكة لاعبة ممتازة من لاعبى الجولف ..!

ولما كنا فى خلال حياتنا الصحفية لم تتح لنا الفرصة للعب الجولف فقد حاولنا أن نحقق هذا الزعم بين لاعبى الجولف من أصحابنا المطبوعين على الرقة واللطف. وعلى أنهم أقروا أن قدرة اللاعب لها شىء قليل من الأثر فى إحكام قذف الكرة — فقد وجدناهم يؤيدون بوجه عام زعم الشركة وقد قالوا إن كرات الجولف «٦٥» تحتمل من الضرب أكثر كثيراً من غيرها قبل أن يشوه شكلها. وهذا فى رأينا هو الدليل القائم على أن معدات الرياضة التى يضعها « دنلوب » هى أكثر من فرع ثانوى متفرع على صناعة الإطارات المشهورة . بل يلوح لنا ، على الضد من ذلك ، أنه إذا كان فى وسعك أن تمارس رياضة ما ممارسة موفقة دون أن تستعين بإحدى معدات الرياضة التى يصنعها « دنلوب » فأنت إذن لاعب ممتاز حقاً



.. حتى يفوق الكمال الذى تدركه غداً
الكمال الذى أدركته اليوم



تقتفى كل أثر

إن مصنوعات «سويفت» توزّع فى أعظم أسواق العالم، بعد أن تشحن ألوفاً من الأميال عبر البحار. ولكن «سويفت» يظلّ متتبعاً لها أينما ذهبت.

فكل خطأ يكتشف، أياً كان مكانه، ترى «سويفت» قادراً على أن يقتفى أثره، بوساطة نظام دقيق وضعه فى مكاتبه، حتى يعرف معرفة دقيقة المكان الذى كان أصل الخطأ.

وهيئة «سويفت» العظيمة الضخمة، تعمل بدقة كدقة الساعة، وهى مهيأة لمواجهة كل حالة وكل احتمال، حتى تضمن أن تكون مصنوعاتها ساعة تصل إلى يد المستهلك، جديرة بتلك الشهرة والجودة، اللتين تمثلهما بطاقة «سويفت».

COMPAÑIA **Swift** INTERNACIONAL

Av. Corrientes 389 - Buenos Aires - Rep. Argentina

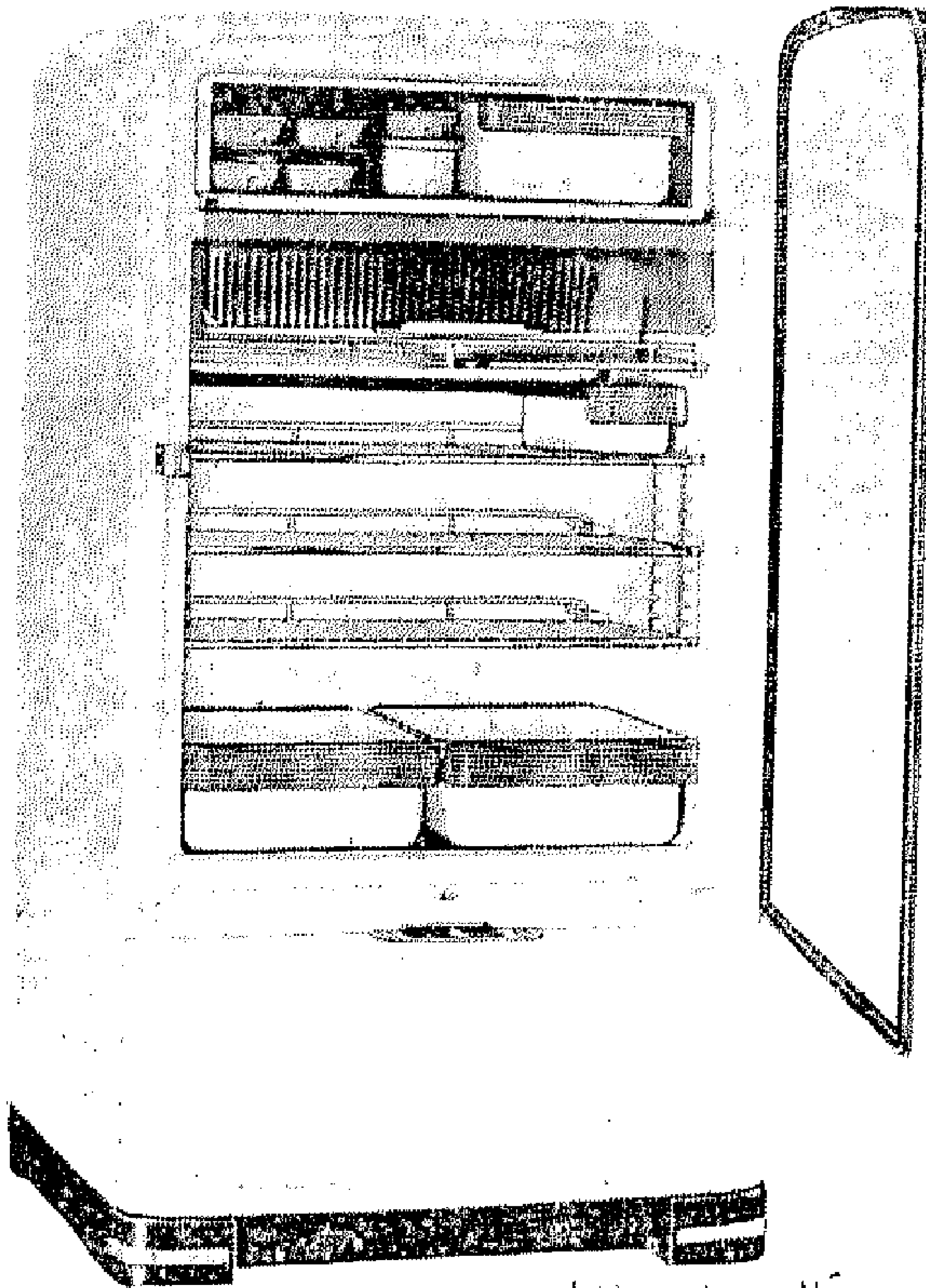
شركة "سويفت" الدولية

مصانع فى الأرجنتين واستراليا والبرازيل، ونيوزيلندا وأوروجواى توزع

منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

تعمل فى كل مكان
وفى كل زمان

مقدار كبير من مكعبات الثلج
تبريد يحفظ الطعام



"سرڤيل" تعمل ...

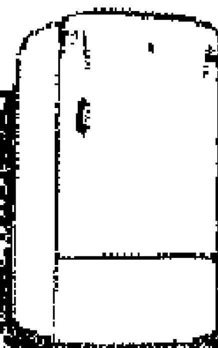
بالكيروسين أو بالغاز الطبيعى
أو الغاز الصناعى أو الغاز المعبأ

قد يخيل إليك أنها معجزة ، ولكنها حقيقة واقعة لاشك فيها . إن ثلاجة « سرڤيل » التى تدور بالغاز ، تصلح للاستعمال فى كل مكان — فى المدن ، والمزارع ، وفى البيوت والمتاجر . وذلك لأن نظام التبريد فيها يعمل بلهب صغير من الغاز وعمر ثلاجة « سرڤيل » أطول ، أيضاً . وليس فيها آلات تتعطل ... وليس فيها جزء واحد متحرك يمكن أن يصاب بخلل .

حتى فى أشد الأقاليم حرارة ، ترى ثلاجة « سرڤيل » ببردها الثابت قدرة أن تحفظ الثمار والخضر الطازجة ، غضة مشهية أياما كثيرة . وجوفها الرحب يسهل عليك أن تحفظ فيها مواد الطعام التى تستغرق مقدار كبير من قطع الثلج المكعبة ... فى أى وقت تريدها . وثلاجة « سرڤيل » مصممة تصميماً جميلا رشيقاً ، وسطحها الأبيض المصقول يدوم سنوات كثيرة .

وليس ثمة عجب فى أن يشيع استعمال ثلاجة « سرڤيل » الغازية فى كل العالم ، وأن يتمتع بها أكثر من مليونى بيت ومتجر

الثلاجة التى تختلف عما سواها

Servel  **سرڤيل**

Servel, Inc., International Division, 20 Pine St., N.Y. 5, N. Y., U.S.A.


البطلة (نور الهدى) تقرأ من المختار على البطل (احمد سالم)

المنتقم

أجمع الفنيون
والنقاد والجمهور
على أن فيلم

أروع ما اخرجت السينما المصرية
قصة ، واخراجا ، وتصويرا ، وتمثيلا

بطولة

احمد سالم و نور الهدى

بالاشتراك مع :

دولت أبيض • بشاره واكيم • محمود المليجى • لولا صدقى
محمد كامل • محمود السباع • حسين كامل • ثريا فخرى • زكى ابراهيم
والمطرب عبد العزيز محمود

اخراج صلاح ابو سيف تصوير احمد خورشيد

إنتاج : شركة الشرق الأدنى للفنون (عبود وشركاه)
توزيع : شركة الفيلم المصرى (منصور وشركاه)

هذا شيء يزيد ابتسامتك
جمالا
وفتنة



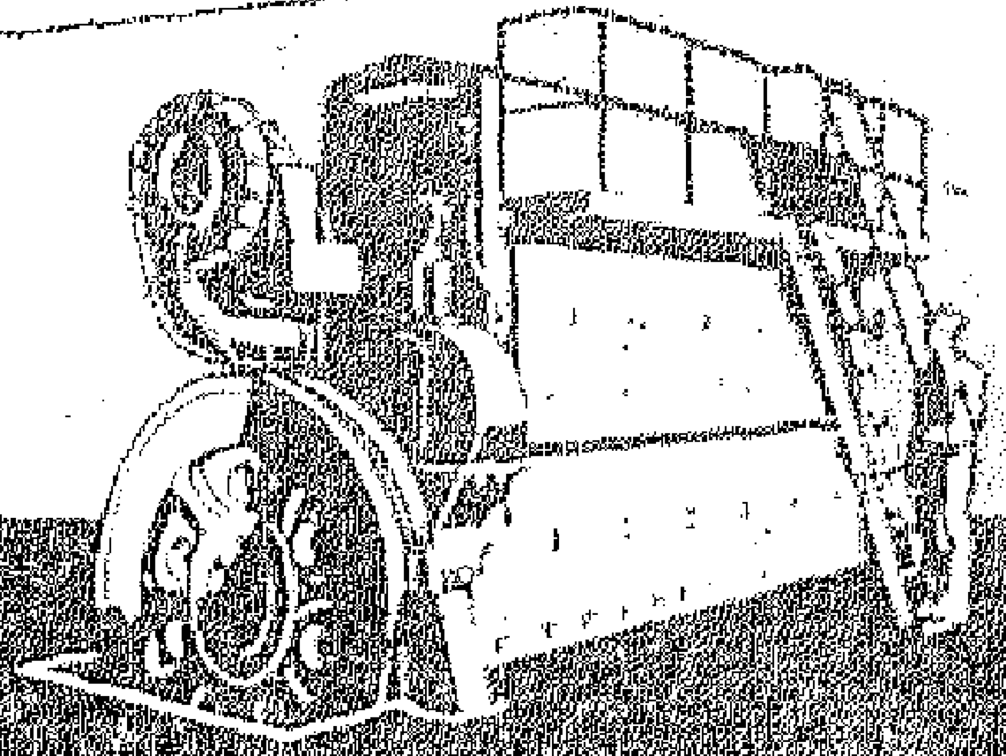
إن تلألؤ الأسنان البيضاء ، حين تنفرج الشفتان ويفتر الثغر ، لهو مشهد من أجمل المشاهد . ومهما تكن أسنانك خابية اللمعان اليوم ، فإن معجون «كولجيت» للأسنان يزيل عن الأسنان ما يدبغها أو يغير لونها ، ويكشف البياض الذي حبتها به الطبيعة . فالبياض الباسم في أسنانك موجود — الآن — وينتظر أن يكشف عن حسنه .



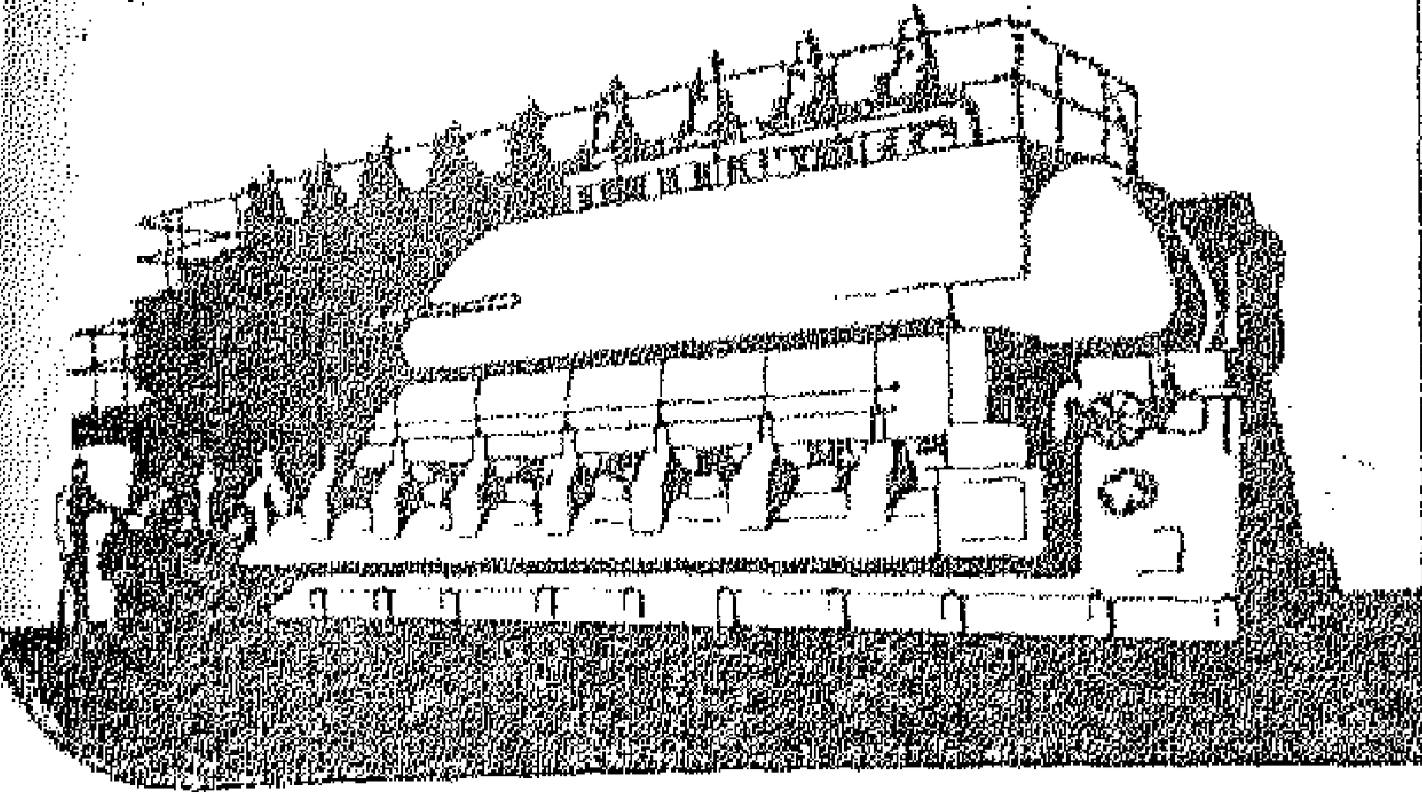
COLGATE
معجون أسنان كولجيت

يضمن لك
ابتسامة بيضاء

أربع دورات : أحجام غير محملة أو محملة إلى قوة ١٦٤٠ حصانا



دورتان : أحجام آلية أو محقونة بالهواء من قوة ٧٥٠ إلى ٨٠٠٠ حصانا



نوردبرج ديزل محركات تؤدي عملها أداء اقتصاديا

سواء بوقود الزيت أو الغاز

كن على ثقة من أنك ستظفر بأكبر فائدة من وقودك بتركيب قوة « نوردبرج ديزل » ومهما تفاوتت أنواعه من الثقيل إلى القير الجيد ، إلى الغاز الطبيعي ، فستجد إحدى آلات « نوردبرج ديزل » صالحة للانتفاع بهذا الوقود أتم انتفاع ، مع توليد القوة اللازمة بنفقات بخسة تماما تجارى .

ويسر ممثلينا أن يزودوك بما تريده من التفاصيل عن هذه الآلات الاقتصادية التي يعتمد عليها .

في القطر المصري والسودان ، الحبشة ، شرق الأردن ، فلسطين ، تركيا ، قبرص ، سوريا ولبنان

الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة
١٦ ب ، شارع سيزوستريس بالإسكندرية
٢١ شارع سليمان باشا ، القاهرة

العراق : **الشركة العراقية للملاحة ليمتد**
٢٨٢/٩ شارع المستنصر . بغداد
وشارع الملك فيصل . البصرة

الحجاز : **أميريكان إيسترن كوربوريشن** ، جده
إيران : **أميريكان إيسترن ، ش . م . م** ، ٩٣٦ شارع شاه ، طهران . وبناء نادي البحرية الأمريكية سابقاً ، خورامشهر

NORDBERG MFG. Co. Milwaukee, Wisconsin, U. S. A.

NORDBERG ماكينات ديزل


كوكا كولا
Coca-Cola

[تتمة رسالة الأمير]

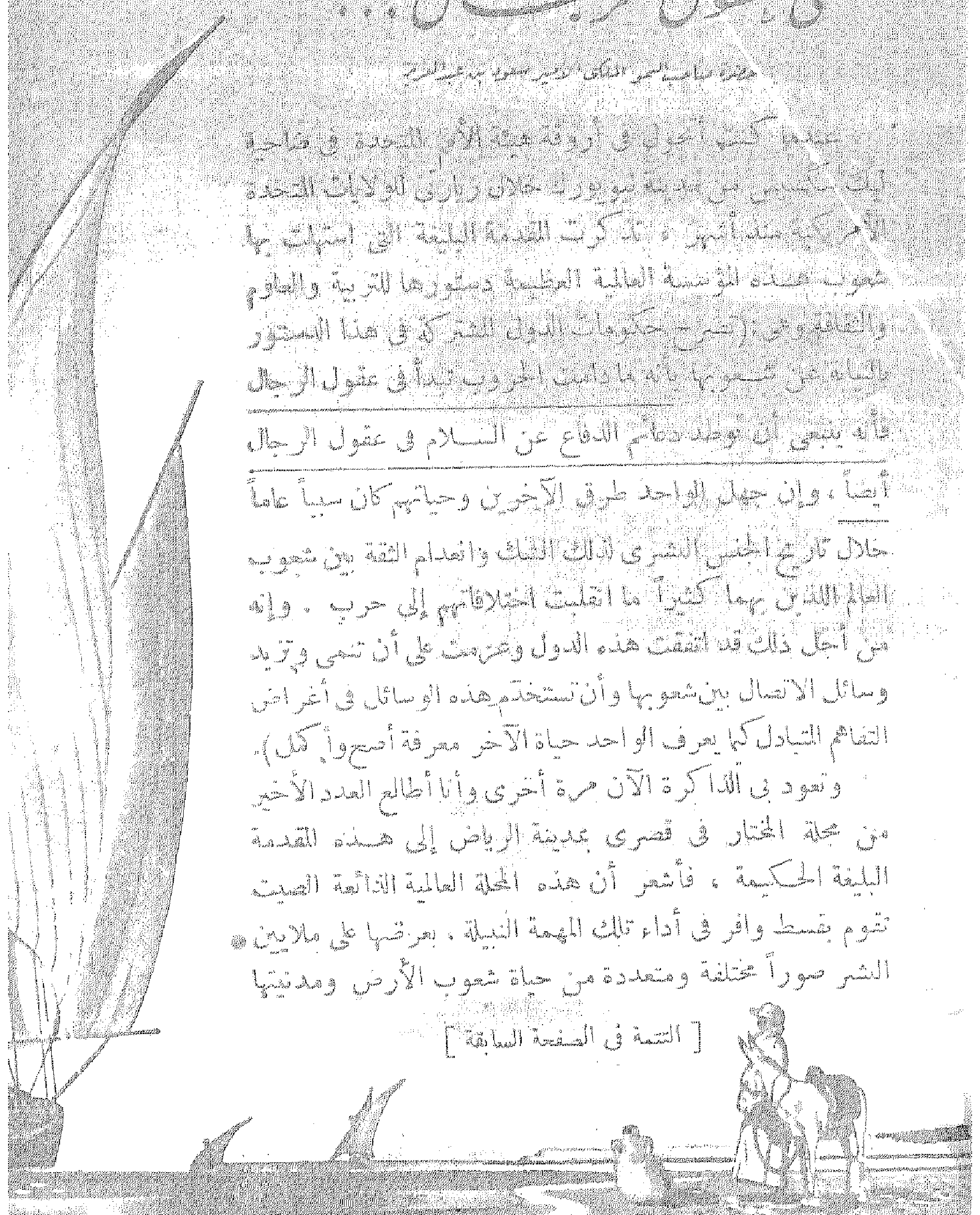
ووسائل عيشها وأساليبها الاجتماعية والثقافية ، فيتعرف الناس بعضهم على بعض فى هذه الصفحات الجذابة الممتعة بحسن العرض ومتين الأداء .

وإنا لنرجو أن تقوم المختار فى طبعاتها الأجنبيـة بتعريف الملايين من قرائها على الأماني العربية والأهداف السامية التى تستهدفها الشعوب العربية اليوم ، وأن تحمل إليهم الصور الصحيحة عن المثل العليا التى أضافها العرب إلى تراث المدنية العالمية فى كل زمان ومكان .



يتشرف المختار أن يكون بين الأعلام العرب الذين شاركوا فى إعداد المقالات التى نشرت على الغلاف . وكان غرضها العام توجيه القرّاء إلى الحياة الزاخرة النافعة الحافلة بالشجاعة والتفاؤل والخير . وذكر ما للمختار من نصيب فى التمهيد لهـذه الحياة حضرات : الأستاذ محمود أبو الفتح (سبتمبر ١٩٤٣) ، والدكتور حافظ عفيفى باشا (أكتوبر ١٩٤٣ وسبتمبر ١٩٤٦) ، الدكتور على توفيق شوشه باشا (ديسمبر ١٩٤٣) ، محمد على علوبة باشا (يناير ١٩٤٤) ، الدكتور محمد حسين هيكل باشا (مارس ١٩٤٤) الأستاذ عباس محمود العقاد (مايو ١٩٤٤) ، أميل زيدان بك (يوليو ١٩٤٤) . فخامة رئيس الجمهورية السورية وفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ، الدكتور حسنى سبح والأستاذ أحمد سامح الخالدى (سبتمبر ١٩٤٤) ، الأستاذ ميخائيل نعيمة (أكتوبر ١٩٤٤) المغفور له سعد الله الجابرى ، فارس بك الخورى (ابريل ١٩٤٥) . الدكتور حسن صادق باشا (يونيو ١٩٤٥) ، حرم ابراهيم الدسوقى فوده ، السيد حبيب أبو شهلا . الأستاذ أنيس المقدسى (يوليو ١٩٤٦) ، صاحب الجلالة الملك عبد الله بن الحسين . عبد الرحمن عزام باشا (سبتمبر ١٩٤٦) ، الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى (أكتوبر ١٩٤٦) ، الدكتور فيليب حتى ، السيد صائب سلام (نوفمبر ١٩٤٦) ، السيد حميد فرنجية . الأستاذ أحمد عيسى (ديسمبر ١٩٤٦) ، السيدة نجلاء صعب ، الدكتور إبراهيم عاكف الألوسى ، السيد محمد جلال محمد ، السيد صبحى المحمصانى (يناير ١٩٤٧) ، الأستاذ سليم بك حسن (مارس ١٩٤٧) ، صاحب السمو الملكى الأمير سعود بن عبد العزيز (سبتمبر ١٩٤٧) .

وقد نُشر العطف الملكى السامى
فى صدر مختار فبراير سنة ١٩٤٤



ديوان شعر ولي العهد

في عقول الرجال ...

صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد العزيز

عندما كنت أتجول في أروقة هيئة الأمم المتحدة في ضاحية ليك سكسس من مدينة نيويورك خلال زيارتي للولايات المتحدة الأمريكية منذ أشهر، تذكرت القدمة البليغة التي استهلت بها شعوب هذه المؤسسة العالمية العظيمة دستورها التربية والعلوم والثقافة، من (نحن حكومات الدول المشتركة في هذا الدستور بالنيابة عن شعوبها بأنه ما دامت الحروب تبدأ في عقول الرجال فإنه ينبغي أن توطد دعائم الدفاع عن السلام في عقول الرجال أيضاً، وإن جهل الواحد طرق الآخرين وحياتهم كان سبباً عاماً خلال تاريخ الجنس البشري لذلك الشك وانعدام الثقة بين شعوب العالم اللذين بهما كثيراً ما انقلبت اختلافاتهم إلى حرب. وإنه من أجل ذلك قد اتفقت هذه الدول وعزمت على أن تنمي وتزيد وسائل الاتصال بين شعوبها وأن تستخدم هذه الوسائل في أغراض التفاهم المتبادل كما يعرف الواحد حياة الآخر معرفة أصح وأكمل).

وتعود بي الذاكرة الآن مرة أخرى وأنا أطالع العدد الأخير من مجلة المختار في قصري بمدينة الرياض إلى هذه القدمة البليغة الحكيمة، فأشعر أن هذه المجلة العالمية الذائعة الصيت تقوم بقسط وافر في أداء تلك المهمة النبيلة، بعرضها على ملايين البشر صوراً مختلفة ومتعددة من حياة شعوب الأرض ومدنيتها

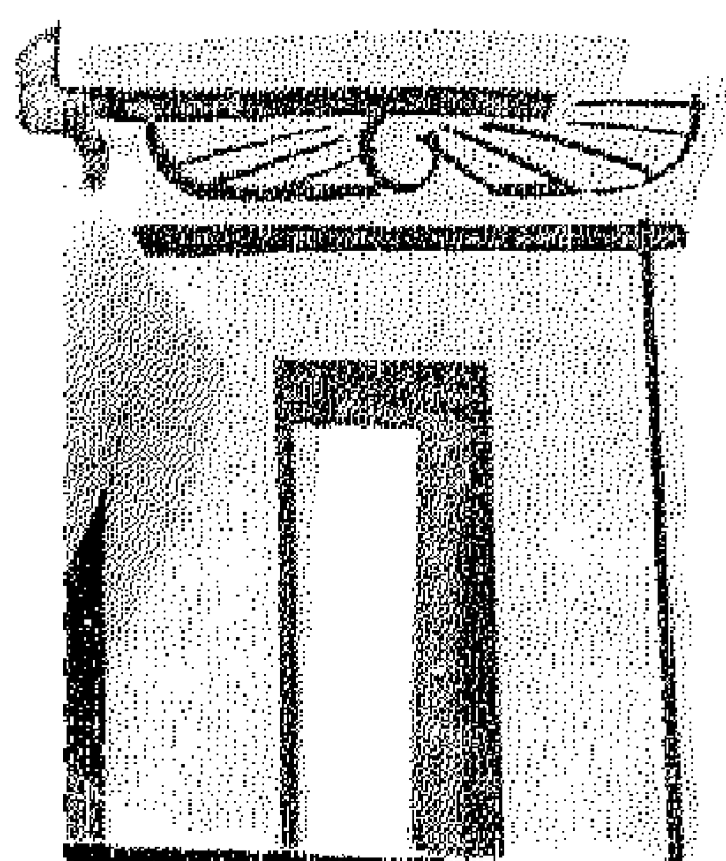
[التتمة في الصفحة السابقة]

٣ قروش

المختار من ريدرز دايجست



اكتوبر ١٩٤٧





الظــلم والقــوة

قال معاوية : إنى لأستحى أن أظلم من لا أجد له ناصراً علىّ إلا الله . وقال الأحنف : ما عرضتُ النَّصَفة (العدل) على أحدٍ فقبلها إلا تداخلنى منه هيبة ، ولا ردّها أحدٌ إلا طمعتُ فيه . قال غلام لعمه حين أراد أن يجازيه لسهو وقع منه : يا عمّ إنى قد أسأتُ وليس معى عقلى ، فلا تسىء أنت ومعك عقلك . قيل لأعرابى : أيما أحبّ إليك ، أن تلقى الله ظالماً أو مظلوماً ؟ فقال : ظالماً . قيل : ويحك ! ولِمَ ؟ قال : ما عذرى إذا قال لى خالقك قوياً ثم جئت تستعدى كما يستعدى الضعفاء !

AL-MUKHTAR min READER'S DIGEST - Vol. 9, No. 50, Oct. 1947.

الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر .
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش . الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن
والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً .
وفى سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً
العنوان : ١٤ شارع التاسد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

الطبعات الدولية

مطبعة مصر ش م م




إذا أردت الضمان
فاختر لنفسك
القلم المضمون
واترمان
ما زالت أقلام « واترمان » مضمونة منذ ٦٠ سنة ، وهي لا تزال شيئاً ذا نفع مضمون .
أسنان الأقلام مصنوعة باليد من ذهب عيار ١٤ قيراطاً وتجد منها مجموعة عجيبة ، من أسنان صلبة ومرنة ، توافق كلّ يد وكلّ خطّ .
املأ قلمك بسرعة ويُسر ، ونظافة — بحركة « واترمان » المضمون التي تملأ القلم بدفعة واحدة .
Waterman's
أقلام حبر • أقلام رصاص • حبر
Waterman Pen Co Ltd "The Pen Corner" 41, KINGSWAY, LONDON, W.C.2

پاركر "٥١"
أكثر الأقلام طلبًا في العالم

الوكلاء العموميون
الشركة المصرية لعموم التوريدات
١٣ ش قصر النيل بالقاهرة - مصر

صارت هذه الأداة الممتازة للكتابة معروفة فى كل لغة ، وفى كل قارة من قارات الأرض فالاستفتاءات التى تمت بين ركاب طائرات كليبر بان أميريكان ، التى تطير بين نيويورك ولندن ، قد أثبتت أن الأصوات التى نالها قلم « پاركر » فاقت جميع الأصوات التى نالتها الأقلام الأخرى مجتمعة . والإستفتاءات التى تمت فى ٢١ بلداً مختلفاً تثبت أن الزهو بحيازة قلم « پاركر ٥١ » المشهور ، شىء يعم العالم أجمع

THE PARKER PEN COMPANY
Janesiville, Wisconsin, U.S.A.

يكتب كتابة جافة بمداد سائل



أشهر عطر
وأحبه إلى الناس

عطر « ياردلى » ، اللافندر الإنجليزى ذو الشذا الشيق ، للشباب ولأصحاب القلوب المرحة . إنهُ كاللحن العذب ، يهمس باسمك فى قلوب الذين يحبونك .

تجد هذا العطر وكذلك جميع منتجات "ياردلى" معروضة فى جميع المحلات الكبرى فى كل مكان

YARDLEY

33 Old Bond Street London

اللافندر الإنجليزى

السنة الخامسة

المختار من ريدرز دايجست

المجلد ٩
العدد ٥٠

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

أكتوبر ١٩٤٧



كان الليل رطباً بارداً فى الخارج ، أما فى غرفة الجلوس الصغيرة فكانت النار مشتعلة تتوهّج . وجلس الولد وأبوه يلعبان الشطرنج ، وجلست قريباً منهما سيدة عجوز بيضاء الشّعر تتسلى بأعمال إبرتها .

قال المستر هوايت : « لا أظنّ أنه سيحضر الليلة » .

ولم يلبث ولده هربرت أن قال : « لقد جاء » ، إذ سمع وقع أقدام متثاقلة مقبلة نحو الباب .

وهبّ الشيخ عَجِلاً إكراماً للضيف ، وأسرع إلى الباب ، ثم عاد ومعه رجل طويل القامة ضخم الجسم ، وقدّمه إلى زوجته وولده قائلا : « الجاويش موريس » .

وصافحهما الجندى ، واستوى على الكرسى الذى قدم إليه قريباً من النار ، وجعل ينظر إلى مضيفه نظرة الراضى وهو يعدّ الشراب والكؤوس .

فلما شرب الكأس الثالثة تلألأت عيناه وبدأ لسانه ينطلق ، وأحاطت به أبصار هذه الأسرة الصغيرة ، وصغت أسماعها إلى هذا الزائر البعيد الدار وهو يحدثهم عن المناظر العجيبة ، وعن الحروب والأوبئة ، وعن الشعوب الغريبة .

ثم سأله المستر هوايت : « لقد ذكرت لى طرفاً عن مخلب قرد ، فما الذى كان من خبره ؟ »

فأسرع الجندى يقول : « لا شىء »

ومهما يكن، فهو شيء لا يستحق أن يُروى».

وثار فضول السيدة فقالت: «مخلب قرد!»

فأجاب الجندي من فوره: «إنه شيء مما يمكن أن يسمى سحراً».

وشخصت إليه أبصار الثلاثة شوقاً إلى سماع الخبر.

وبدأ الجندي يتكلم ويده في جيبه كأنه يبحث عن شيء فقال: «إذا وقع بصرك عليه، لم تر شيئاً سوى مخلب صغير كسائر المخالب، وقد جفّ حتى صار كالمحنّط».

ثم أخرج من جيبه شيئاً، فأشاحت السيدة بوجهها فزعة، ولكن ولدها أخذه وجعل يقلبه ويتفحّصه.

ثم قال المستر هوايت: «وأيّ عجيب فيه؟»

قال الجنديّ: «لقد أودع فيه السحرَ شيخٌ من فقراء الهند، وقد أراد أن يدل به على أن بيد الأقدار تصريف حياة الناس، وأن الذين يخالفون عن أمرها يصيبهم ما يسوءهم من البلاء. والسحر الذي أودعه في هذا المخلب يتيح لثلاثة رجال أن ينال كلّ منهم ثلاثة أشياء يتمناها لنفسه».

وقد بلغ من جدّه في حديثه ولهجته أنْ شعر سامعوه بأنهم أساءوا شيئاً ما في سخريتهم واستهزائهم بما يقول.

ثم قال هربرت: «ولم لا تتمنى ثلاث أمنيات؟»

فنظر إليه الجندي نظرة الكهول إلى الشباب الأغرار، ثم قال بصوت هادىء: «لقد فعلت»، وعلا الشحوب وجهه الأكلف.

فقالت الزوجة: «وهل أدركت حقاً ما تمنيت؟»

قال الجندي: «نعم»، واضطرب فاصطدمت الكأس بثناياه القوية.

فسألته السيدة: «وهل تمنى أحدٌ سواك؟»

فأجابها الجندي: «لقد نال الرجل الأول أمانيه الثلاث» ولست أعرف أمنيتيه الأوليين، ولكنّه تمنّى الثالثة أن يموت. وكذلك آل إليّ هذا المخلب».

وقد كان في لهجته من الجد ما جعل الصمت يجثم على الجماعة.

وأخيراً قال المستر هوايت: «إذا كنت قد نلت أمانيك الثلاث، فلا خير في حرصك عليه بعد اليوم يا موريس. وفيم حِرْصك عليه؟»

فأومأ الجندي برأسه ثم قال متمهلا: «هو الوهم فيما أظن. وقد فكرت يوماً

أن أبيعه ، ولكنى لن أفعل ، فحسبهُ ما أحدث من أضرار حتى اليوم » .

ثم رفع يده فجأة وألقى بالمخلب فى النار ، فصرخ المستر هوايت ثم انحنى وأخرجه من النار ثم قال :

«إذا لم تكن لك فيه حاجة، فهبنى إياه» .

فقال الجندىّ مصرًّا : « كلا ! وإذا آثرت أخذه ، فلا تلمنى إذن على ماتلقى من شرٍّ » .

وأخذ المستر هوايت يفحص هذا المخلب فحصاً دقيقاً ثم قال : « وكيف تستخدمه ؟ » فقال : « ضعه فى يمناك ثم ارفعها ، ثم تمنَّ جهْرةً ، ولكنى أحذرك سوء العاقبة » .

خرج الضيف وأغلق الباب ، فأخرج المستر هوايت المخلب من جيبه ونظر إليه نظرة المرتاب ثم قال متمهلا : « لست أدرى ماذا أتمنى ، هذه هى الحقيقة » .

فقال ولده : « أليس مما يسرّك أن توفى ثمن هذا البيت؟ إذن فاطلب ٢٠٠ جنيه، وذلك حسبك » .

وابتسم والده خجلا من سرعة تصديقه لما يسمع ، ولكنّه رفع الطلسم فى يده ثم تمنى : « أريد مئتى جنيه » ثم صرخ صرخة مفزعة ، فأسرعت إليه زوجته وولده .

قال الشيخ : « لقد تحرك فى يدى ، وتلوّى كالثعبان وأنا أدعو » .

وعادوا ثلاثتهم وجلسوا عند النار يصطلون ،حتى فرغ الرجلان من التدخين، وسمعوا للريح فى الخارج دويًّا أشد مما يعهدون ، وأجفل الشيخ فزعاً حين سمع باباً ينصفق فى الدور الأعلى . وخيم على الثلاثة صمتٌ غريبٌ كئيبٌ جثم عليهم حتى حانت أوبة الشيخين إلى فراشهما .

وقال هربرت وهو يودعهما : « يخيل إلىّ أنك ستجد المبلغ مصروراً فى صرّة كبيرة فى وسط فراشك،وسترى على الصوان شيئاً مخيفاً جاثماً ينظر إليك ويرقبك » .

وأصبح الصباحُ وجلسوا على مائدة الفطور والشمس ترسل عليها أشعتها المتلألئة ، فأخذوا يتضاحكون من مخاوفهم بالأمس ، وكان المخلب الضامر البشع ملقى على منضدةٍ إلقاءً يدلُّ على قلة الاكتراث به ، وقلة إيمانهم بقوته ونفعه .

ثم قالت السيدة : « كيف آمنّا بهذا الهراء الذى سمعناه ؟ أفى أيامنا هذه ينال أحد أمانيه بالدعاء ؟ »

فقال المستر هوايت : « لقد قال موريس إن الأمانىّ تتحقق وتجىء عفواً حتى يخيل إليك أنها إنما تحدث مصادفة واتفاقاً » .

وقام هربرت وغادر المكان وهو يقول : « إذن فلا تبدّد المال حتى أعود إليك » .

وضحكت أمه وراحت تشيعه إلى الباب ، وأتبعته بصرها وهو يسير ماضياً إلى عمله .

ومضى بعض النهار ، فلما جلس الشيخان إلى غدائهما لاحت من السيدة التفاتة فرأت ما أثار اهتمامها — إنه رجل مريب يغدو ويروح خارج الدار . كان ينظر إلى الدار متردداً ، كأنه يغري نفسه بالدخول . واقترن ذلك بما طاف في عقلها من أمر المال المتوقع . وكان الرجل حسن الملبس ، على رأسه قبعة من حرير جديد لامع . وجعل يقف عند الباب ثلاث مرات متردداً ثم ينصرف ، فلما جاء في الرابعة وضع يده على الباب وفتحه ، ثم اجتاز الممر .

دخل الغريب ووقف قلقاً لا يطمئن ، وجعل يختلس النظرات مما حوله ، وأخيراً قال وهو يخرج من جيبه لفافة قطن : « لقد أمرتُ أن أزوركم — بعثت بي إليكم شركة مو وموجنز » .

ففزعت السيدة وابتدرت تقول : « ماذا حدث ؟ ماذا جرى لولدي هربرت ؟ هل أصابه سوء ؟ »

فأومأ الزائر كالموافق ثم قال على مهل : « أصيب إصابة شديدة . لقد علقت به إحدى الآلات » . ثم سعل وسار متثاقلا إلى النافذة ثم قال : « لقد بعثتني الشركة لكي أعزّيكما في هذا المصاب الجلل » ، قال ذلك مُشيحاً عنهما لا يلتفت يمنة ولا يسرة .

خرست الألسنة، وشحب وجه المرأة ، وشخص بصرها ، وخفت تنفسها . أما زوجها فقد غشيت وجهه أمارات من الحزن والأسى ، لعل مثلها قد غشى وجه الجندي عندما نال أول ما تمنىّ .

وواصل الزائر حديثه فقال : « عليّ أن أبلغكما أن الشركة لا تتحمل شيئاً من تبعة موته ، ولكنها تقدر ما أسداه لها ولدكما . فهي تقدّم إليكما مبلغاً من المال تعويضاً عما أصابه » .

فأفلت المستر هوايت يد زوجته ، ثم استوى قائماً ، ونظر إلى زائره نظرة المرتاع، وانفرجت شفتاه عن هذه الكلمة : « كم ؟ »

فجاءه الجواب : « مئتا جنيه » .

ولم يشعر الشيخ بصرخة زوجته ، وابتسم ابتسامة شاحبة ، ومدّ يده كأنه أعمى لا يبصر ، ثم هوى إلى الأرض جَسَداً لا يعي .

ودفن الشيخان ولدهما في المقبرة على بعد ميلين أو نحوهما ، ثم عادا إلى بيتٍ تعمره الأحزان والصمت . ومرت الأيام عليهما حتى سلما تسليم اليائس الذي لا حول له ولا قوة .

وبعد أسبوع أو نحوه هب الشيخ من نومه فجأة ومد يده فإذا هو وحيد في فراشه، وانتهى إليه صوت بكاء خافت عند النافذة، فاستوى في فراشه وأنصت.

ثم قال بصوت رقيق: «تعالى، وإلا أصابك البرد».

قالت الأم: «إنه على ولدى أبردُ»، ثم عادت تبكي من جديد.

ثم سكتَ نحيبها، وكان فراش الشيخ دفيئاً، والنعاس غالبٌ عليه، فأغفى إغفاءة حتى أيقظته صرخةٌ مفزعة ندّت عن امرأته.

وجعلت تصرخ: «مخلب القرد! مخلب القرد!»

فهبّ فزعاً: «أين؟ ماذا جرى؟»

قالت: «أريده! لقد حفظته ولم تتلفه، أليس كذلك؟»

فقال متعجباً من حالها: «هو في غرفة الجلوس، ما حاجتك إليه؟»

فضحكت وبكت معاً وقالت وهي كالمولهّة العقل: «لقد خطر ببالى. أنسيت الأمنيتين الباقيتين؟ إننا لم نتمنّ سوى واحدة».

فقال متجهّماً: «ألم يكن فيه ما كفانا؟»

فصاحت صيحة الظافر: «لا لا، سنتمنى مرة أخرى»، فأسرع وأحضرهُ وتمنّ أن يرتدّ ولدك حيًّا مرة أخرى».

واستوى الرجل جالساً في فراشه، وألقى الغطاء عن أوصاله المرتجفة وصاح بها: «ربّاه لقد جننتِ!» وأشعل ثقابةً وأوقد الشمعة.

فقالت متوسلة متلهفة: «أحضره، أسرع وأحضره. لقد نلنا أول ما تمنينا، فلم لا ننال الثانية؟»

فقال الشيخ: «كان ذلك عفواً واتفاقاً».

فصرخت وقالت له وهي تدفعه إلى الباب: «اذهب، وأحضره، وتمنّ».

فنزل في الظلام يلتمس طريقه إلى المنضدة ووجد الطلسم في مكانه فاستولى عليه الخوف خشية أن تتحقق الأمنية المضمرة في نفسه، فيرى ولده المشوّه ماثلاً بين يديه قبل أن يتحرك من مكانه. ونضح جبينه عرقاً بارداً، وتحسس طريقه حول المائدة، ودلف مهتدياً بالحائط حتى بلغ السلم وهذا الطلسم المشئوم في يده.

فلما دخل الغرفة خيل إليه أن كل شيء قد تغير حتى وجه زوجته، فهو شاحب متلهف، وبلغ منه الخوف حتى رأى كأن في وجهها شيئاً لاعهد له به من قبل، فارتاع منها وذُعر.

فصاحت به: «تمنّ».

فقال : « كفى ، إنها سخافة وعمل غير صالح » .

فعادت تقول : « تمنّ » .

فرفع يمناه وقال : « أتمنى أن يعود إلىّ ولدى حيًّا » .

وسقط الطلسم على الأرض ، فنظر إليه وهو يرتعد ، ثم هوى على كرسى وأوصاله ترتجف ، أما المرأة فقد دلفت إلى النافذة ورفعت الستائر ونظرت نظرة الظامىء الملهوف .

وبقى الرجل جالساً فى مكانه حتى ارتجف من لذع البرد ، وجعل ينظر بين الحين والحين إلى شبح تلك المرأة العجوز وهى ترسل بصرها من النافذة . واحترق أكثر الشمعة حتى صار تحت حافة الشمعدان ، فكان طرفها المشتعل يحدث أشباحاً وصوراً على السقف والجدران ، ثم خفق خفقة شديدة ثم انطفأ . وانقلب الشيخ إلى فراشه وقد خامرت قلبه السكينة ، فاستراح إلى إخفاق الطلسم فى تحقيق ما تمناه . وبعد دقيقة أو اثنتين لحقت به امرأته العجوز فى صمت وأسى .

ثم سمعا دقاً على باب البيت .

فهبت المرأة جافلة تصرخ : «ما هذا ؟ » وتردد فى البيت صدى دقة أخرى .

فقالت وهى تبكى : « إنه ولدى هربرت ! إنه ولدى هربرت ! »

وقامت تجرى تريد باب الغرفة ، ولكن زوجها كان أسرع منها ، فأخذ بساعدها وشدّ قبضته عليه وقال لها بصوت خافت : « ماذا تفعلين ؟ »

فقالت وهى تنتحب وتحاول الخلاص منه : « إنه ولدى ، ولدى هربرت . لقد نسيت أن بيننا وبين المقبرة ميلين . دعنى أفتح الباب » .

فتوسل إليها الشيخ : « سألتك بالله لا تفعلى » .

فجعلت تبكى وهى تجاهد للخلاص منه : « أتخاف ولدك أيها الرجل ؟ دعنى . أنا آتية يا هربرت ، أنا آتية » .

وسُمعت طرقة ثالثة ثم أخرى ، وتخلصت المرأة فجأة من قبضة زوجها ، وعَدَتْ خارجة من الغرفة ، وأسرعت إلى الباب . وسمع زوجها رنين السلسلة وهى تفكها ، وصوت المزلاج وهو يرفع ببطء وقوة ، ثم جاءه صوت العجوز وهى تلهث من الجهد : « أدركنى . هذا المزلاج الأعلى ، إن يدى لا تستطيع أن تناله » .

ولكن زوجها كان فى شغل عنها ، كان يحبو كالمجنون على يديه وركبته باحثاً عن المخلب . آه لو أعانه الله فوجده قبل أن يدخل هذا الشىء البيت ! وتردد فى البيت صدى طرق

شديد متتابع ، وسمع الرجل صرير كرسي قربته امرأته من الباب لتبلغ المزلاج . ثم سمع صوت المزلاج وهو يرفع ، وفى هذه اللحظة عثر على مخلب القرد ، فجن جنونه وتمنى ثالثة الأماني وآخرها .

فسكن الطرق فجأة وإن بقى صداه يتردد فى البيت ، ثم سمع البـــاب يفتح ، واجتاحت البيت هبة ريح باردة ، وانتهى إليه عويل امرأته وصراخها من هول الخيبة والإخفاق ، فامتلأ قلبه شجاعة طارت به إلى جانب زوجته ، ثم طارت به إلى باب البيت لينظر .

رأى مصباح الشارع يرسل ضوءه على شارع موحش ساكن لا أنيس فيه .



عالم بطبائع النفوس

أتيح لى فى أثناء الحرب أن أرقب عن كثب عمل الطبيب الفرنسي الشهير لوميتر فى علاج الجرحى من الجنود . وذات ليلة دخلت غرفة الانتظار فى المستشفى فرأيت جنديًا فرنسيًا متين الأسر وفى بدنه جراح بليغة ، وكانوا يهيئونه للجراحة . بيد أن النزف كان قد أحاله شاحب الوجه ، خابى العينين ، بارد اليدين ، وكانت نبضاته ضعيفة لا تكاد تحس ، وسريعة يبلغ عددها ١٨٠ فى الدقيقة . وقد دهشت أعظم الدهش حين رأيت لوميتر يجس نبضه ثم يطرح ذراع الجندى بغير شفقة لما هو فيه من ألم ، ثم يرغى ويزبد ، ويدعو الجندىّ المتألم جباناً رعديداً ، غير مدخر كلمة من كلمات المعجم الفرنسي فى تأنيبه وتعنيفه .

وخرجت مع لوميتر وأنا ذاهل عن نفسى ، فلما أبعدنا عن الجندى قال : « عدْ إليه الآن ، وجسّ نبضه ، وأخبرنى بما تجد » . فعدتُ ، فإذا معجزة قد تمت . فقد رأيت الفتى قد قام قليلا متكئاً على إحدى كوعيه وهو يهزّ إصبع يده مشيراً بها إلى الطبيب مهدداً متوعداً ، فلما جسست نبضه، لم أكد أصدق ساعتى : ١٢٠ فى الدقيقة . فعدت إلى لوميتر وأنبأته بما كان فقال : « مُرْهم أن يأتونى به لإجراء الجراحة » .

وقد تمت الجراحة على خير وجهٍ . [الكولونيل أسكفورد يلى]

هذا نقد صريح لسـوء الأحوال الصحية فى ألوف من المطاعم والمقاهى ، وفيه عبرة من أمريكا خليق بحكومات الشرق العربى وشعوبه أن تنتفع بها .

أمراض تقدم مع الطعام

هوارد ويتمـــان

مختصرة من مجلة "وومانز هوم كومبانيون"

بلغت القـذارة فى المطاعم الأمريكية مبلغاً عظيماً حتى صارت كأنها وباء عام متفشٍ . وتدلُّ الإحصاءات الحديثة التى جمعتها مصلحة الصحة العامة فى الولايات المتحدة على أن ما بُلِّغ عنه من الإصابات بأمراض تنتقل بالطعام أوفى على ٢٣و٧٦٥ إصابة فى سنة ، ورجال المصلحة يقدرون أن التبليغ عن الإصابات الناشـئة من قذارة الطعام ، لا يشمل أكثر من ٥ فى المئة من عددها الحقيقى . فمن العسـير على المرء أن يعود أدراجه ليبحث عن ملعقة أطعمته سموم المكروب العنقودى فأورثته الغثيان والإسهال ، أو أن يتعقب كوباً أخذ طفله المحموم من حافته الملوَّثة باللعاب ، سمومَ المكروب السبحىّ دون ذنب جناه .

ومنذ أشهر قليلة شنت مدينة نيويورك حملة مشهودة لكفاح هذا الوباء ، فتبين وينسـتين مدير الصحة العامة ألواناً شهية لم تذكر فى قوائم الطعام ، تقدَّم فى المطاعم حتى الفاخر منها . وقد جاء فى تقريره : « لقد وجدنا الأطعمة عرضة للجرذان والفئران ، وألفينا الزبالة مكشوفة يحمل الذباب والصراصـير أقذارها إلى موائد الطعام ، ورأينا أسـباب التبريد غير وافية بقواعد الصحة ، والأكواب موسومة بأحمر الشفاه الملوَّث بالمكروبات ، والملاعق والشوك عليها بقايا من طعام الآكلين ولعابهم ، وكانت وسـائل التعقيم قذرةً ، ومخزونات الطعام تعجُّ بالحشرات » .

ووجد مفتشو الصحة فى مناطق أخرى بالولايات المتحدة أن أنابيب القمامة تقطر على موائد تحضير اللحوم ، وتبيَّنوا فى آنية حفظ المكرونة آثار زحف الجرذان عليها فى الليل ، وصناديق الزبالة تموج بعلق الذباب (الذى سرعان ما يبلغ أشدَّه ويلوّث الأطباق والأطعمة بأرجله المثقلة بالمكروبات) ، ووجدوا غرائر الدقيق تعجُّ بالحشرات .

إن تبادل الأطباق بين أفراد البيت الواحد شيء قليل الحدوث ، ويرى العلماء أن انتقال العدوى من أحدهم إلى الآخر من هذا الطريق غير ذي خطر إذا كانت أدوات الطعام تغسل بالصابون والماء الساخن إلى أقصى ما تستطيع اليد أن تحتمله من الحرارة ، ثم تغمس في ماء حرارته ٦٠° سنتجراد ، بيد أن الأمور تختلف في المنازل التي يكون فيها مصاب بمرض معدٍ ، فإن غسل الصحون حينئذ يجب أن يلقى من العناية ما يلقاه في المطاعم العامة ، بحيث توضع الصحون النظيفة في ماء حرارته ٧٦° سنتجراد مدة دقيقتين على الأقل ، أو نصف دقيقة في ماء يغلى .

وقد وجد أحد المفتشين مطعماً يجمع فيه أحد عماله بقايا الزبد من صحون قدمت فيها للروّاد، ثم يجعلها أقراصاً جديدة تقدّم لمن يليهم ، ورأى آخر يجمع كسر الخبز المتخلفة على الموائد ثم ينتفع بها في صنع حلوى مؤلفة من العنب المجفف والخبز واللبن. وثمة ألوف من المطاعم تحتذى هذا المطعم وتنسج على منواله . بل وجدت الخدم في أحد المطاعم ينشفون الصحاف المغسولة بالفوط القذرة التي استعملت على موائد الطعام — فوط مسح بها الآكلون أفواههم، وأستطيع أن أتخيل أن بعضهم قد استعملها ليتلقى فيها الرذاذ المتطاير من الفم والأنف عند العطاس .

وقد خصصت مصلحة الصحة الأمريكية معامل صحية متنقلة للتفتيش . ففحصت ٥٠,٠٠٠ إناء من آنية الطعام وأدواته في ٤٥٠٠ مطعم منتشرة في ١٥٤ مدينة ، فلم تجد سوى ٢٨ في المئة منها خالية من مقادير خطيرة من الجراثيم . وتجلى من فحص اللاعق في ثماني مقاهٍ ومقاصف للشراب الخفيف في مدينة كبيرة ، أن معدل ما يوجد على الملعقة الواحدة يبلغ ٢٨٠٠ مكروب ، مع أن الحدّ الأقصى السليم الذى تسمح به قواعد الصحة العامة هو مئة مكروب وحسب ، وبلغ معدّل المكروبات على الأكواب في هذه المقاهي والمقاصف نفسها ٣٩٠,٠٠٠ مكروب ، وعلى كؤوس البيرا في ١٩ حانة ٧,٠٠٠,٠٠٠ مكروب .

وفحص أحد البكتيريولوجيين ٥٤ نموذجاً من الماء الذى تغسل فيه الصحون في المطاعم ، فوجد أن ملء ملعقةٍ من هذا الماء تحوى ٤٠٠,٠٠٠ مكروب على المعدل ، وارتفع معدّل الميكروبات في بعض نماذج

الماء إلى ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ مكروب — وهو معدّل أشبه ما يكون بتلوّث مياه المجارى.

إن رجال الطب لا ينفكون يبينون لنا أن الفناجين واللاعق والأكواب الملوّثة تؤدى إلى الإصابة بالأنفلونزا والسل والدفتيريا والالتهاب الرئوى والحمى القرمزية والسعال الديكى والزكام والتهاب الفم واللوزتين وحمى التيفود والدوسنطاريا والنكاف الوبائى والحصبة ، أما ما يصيب أكثرنا من العلل المكروبية التافهة فشىء كثير . ومنذا الذى يستطيع أن يحصى المرّات التى شعر بها بالضيق أو بالاضطراب او انحطاط القوة ؟ وقد تحدّث نفسك فتقول : « لعلّ منشأ ذلك شىء أكلته » ، وهو حكم يكاد يكون صائباً ، فليس منشأ علتك ما أكلت على الأكثر ، بل منشؤها قذر على شىء أكلته .

وقد أصيبت جماعة من الناس بعد أن شربوا شراباً خفيفاً كعصير الفواكه ، يعبأ فى زجاجات فى مصنع ، فذهب مفتش الصحة إلى المصنع وأفرغ السائل من الآلة ، فهاله ماوجده فى مقرها من طبقة من القذر سمكها بوصتان ، وكان فى جوف الإناء كثير من الصراصير ، وعلى حفاف الزجاجات ملايين من المكروبات تنتقل إلى شفاه الشاربين .

بيد أن أكثر الضرر لا يرجع إلى الأوضار السافرة التى تغثى لها النفس ، وقد قدّر أحد مفتشى الصحة أن ٩٠ فى المئة من الأساليب المتبعة فى غسل الصحون فى المطاعم ، قليل الغناء محفوف بالخطر . وإبادة البكتريا تقتضى أن تغمس الصحون بعد غسلها مدة دقيقتين على الأقل ، فى ماء ساخن درجة حرارته ٧٦° سنتجراد ، وغاسل الصحون لا يطيق أن يغمس يديه فى مثل هذا الماء ، فينبغى له أن يصفّ الصحون على حامل خاص من الخشب ، ثم يغمسه بالصحون المصفوفة عليه فى الماء ، أو أن يستعمل آلة صنعت خاصة لغسل الصحون . فإذا رأيت غاسل الصحون يغسلها غير مستعين بالحامل الخشبىّ ، فاعلم أنه يحفز المكروبات إلى التكاثر — إلا إذا كان يستعين بمطهّر كيميائى يذيبه فى الماء .

وثمة جماعات قليلة من الناس لا تكفّ عن مكافحة القذر فى المطاعم ، فاحرص على أن تكون جماعتك منها . وإذا وجدت الأمور على غير ما يرام فى المطعم الذى تأكل فيه ، فاكتب إلى قسم الصحة فى حكومة بلدك ، فيرسل إليك نسخة من النظم التى وضعها لمثل هذه المنشآت ، وطالب السلطات الصحية بأن تعينك على فرض هذه النظم على المطعم فرضاً دقيقاً .

واذكر دائماً أن القليل من الذين يبيعون

الطعام أو يحضرونه لك طبعوا على الشر أو يقصدون الأذى قصداً ، ولكن أكثرهم يجهل الحقيقة، فينبغي لكل جماعة من الناس أن يكون فيها مدرسة لباعة الطعام ومحضريه يلزم بالدراسة فيها جميع عمّال المطاعم .

واحرص على أن يكون المطعم الذى تطلب الطعام فيه ، مطعماً تتوفر فيه جميع شروط النظافة التى تحرص عليها فى بيتك . فإذا أتاك الخادم بكوب ورأيت حافته ملوّثة بأحمر الشفاه ، فلا تتجاوز عن ذلك مبتسماً ، فهذه العلامة الحمراء هى إنذار بالخطر ينبغى لك ولأهلك ولجماعتك كلها أن تعيروها اهتمامكم . والخير العام يقتضيك أن تحذر مدير المطعم ، فإذا لم يجد التحذير فادع مفتش الصحة العامة وأطلعه على ما كان ، فلك الحق كل الحق أن تعمد إلى الكفاح، إذا جاءك المال الذى شقيت فى جمعه بالمرض محمولاً إليك على طبق من فضة .



أوصى فلان . . .

● كان لنا جار نصّ فى وصيته على أن يأخذ أبناؤه صندوقاً أعده وأوصده ووضعه فى خزانة ، وأن يحرقوه أمام محاميه دون أن يفتحوه . وقد ظن الأبناء أن الصندوق يحتوى على أوراق خاصة ، فأعدّوا موقداً وأشعلوا فيه النار ثم حملوا الصندوق المصنوع من الورق المقوى ووضعوه فى النار ، ووقفوا ينظرون إليه يأكله اللهب وفى قلوبهم حزن وانقباض ، وإذا هم يرون الصواريخ متعددة الأشكال تنتثر منه فى الفضاء — فقد كان ذلك آخر « مقلب » يدبره أبوهم الذى كان لا يكف عن الدعابة والمزاح .

● منذ سنوات مات رجل بغير عقب ، وخلف رسالتين مختومتين ـ إحداهما باسم محاميه ، والأخرى باسم رجل عهد إليه أن يتولى دفنهُ . وقد تمّ الدفن وفقاً لوصية الرجل فى الساعة الرابعة صباحاً ، فلم يشيّعهُ إلى مثواه الأخير سوى أربعةٍ من أصدقائه تحاملوا على أنفسهم ليقوموا بواجبهم الأخير نحو صديقهم الراحل فى تلك الساعة . ولكنهم نالوا جزاء ما فعلوه ، لأنهم وجدوا حين فتح المحامى الرسالة المرسلة إليه ، أن الراحل قد أوصى فيها بتوزيع ثروته البالغة ٤٠٠ ألف ريال على الذين يشيعونه حتى يواريه التراب .

أريحية كريمة حولت مدينة طاف بها طائف الهلاك ، فصارت مقر تجربة شهيرة نافعة في تربية الشباب .

تربية الشباب في مزرعة

ألفون ل . هاو

مختصرة من صحيفة « ونفريوست »



في مكتب رجل موفق من رجال الأعمال ، وقف فتى كالجرد الثائر . كان وجهه جهماً نحيلاً ، وكانت ثيابه رثة حال لونها ، تتدلى على بدنه النحيل فضفاضة دهلهلة مشبكة بدبابيس ، فقد كان صورة للفتيان الذين لفظتهم الإنسانية فراحوا يهيمون على وجوههم .

صافحه الرجل الجالس وراء المكتب وقال : « مرحباً بك ، فهذه الدار دارك ، وما هي إلا دقائق حتى أفرغ من الأعمال التي بين يدىّ » . ومضى يقلب الأوراق ، ويفحص توائم الحساب ، ويتحدث بالتلفون .

وقف الفتى ينتظر أن تلقى عليه موعظة ، فقد جرّب هذا من قبل وصار يحفظ هذه المواعظ عن ظهر قلب . لقد ظلّ طيلة حياته لايسمع سوى التوبيخ والتعنيف والوعظ ، وقد حاولت أمه أن تنشئه فتى قويماً فعجزت ، ثم توالى عليه من بعد رجال الشرطة ، حتى مَثَل بين يدى القاضى .

كان حقاً فتىً فاسداً — فقد ساقه رجال الشرطة إلى المحكمة مراراً لأنه كسر نافذة ، أو نشل مشتريات سيدة فى الشارع ، أو سرق أشياء من مخزن . وكان القاضى إذا جاءوه بالفتى يعنفه ويعظه ، ثم يخلى سبيله على أن يظل

تحت المراقبة . وقد دأب القاضى على ذلك حتى عيل صبره ، فأوشك صباح اليوم أن يحكم على الفتى بإرساله إلى إصلاحية الأحداث لولا قائل يقول : « لِمَ لا تسألون كال فارلي فلعلّهُ يرضى أن يقبله فى مزرعة الأحداث ؟ »

وقف الفتى فى مكتب فارلى يجيل عينيه القلقتين فى الصور التى تغطى الجدران — فهذه صور جماعة من أشهر أبطال الرياضة من أمثال دمسى وتنى بطلى الملاكمة ، وهى تمثلهم يبتسمون ابتسامة عريضة ويصافحون رجلا ، وجعل يطيل النظر فى هذا الرجل الذى يصافحونه ، ثم يحوّله إلى هذا الرجل الجالس أمامه وراءَ المكتب : إنهما رجلٌ واحدٌ ، ما فى ذلك شكٌّ .

فيسأله : « هل كان جاك دمسى صديقك حقاً ، ياسيّد ؟ »

فقال فارلى : « بلا ريب ، هو صديقى ، فقد عرفته منذ عشرين سنة » . ثم يأخذ يقصُّ عليه شيئاً فشيئاً أنه كان بطلا من أبطال المصارعة فى الجيش الأمريكى ، وأنه جاب الأقطار مع تنى بعد أن ظفر بلقب بطل الملاكمة فى الجيش الأمريكى ، وأنه احترف المصارعة بعد ذلك زمناً طويلا حتى استقر به المطاف فى ولاية تكساس ، فانصرف عن المصارعة إلى التجارة .

فخفف هذا الحديث من جفاء الفتى وجهامته ، وحلّ عقدة لسانه ، فإذا به وهو لا يدرى ، يروى قصته . وكان فارلى يعرفها قبل أن يقصها عليه : فقد كان فتى لا أب له فى الكوخ الرث الذى يسميه بيتاً ، وكانت مدرسته شارعاً حقيراً فى الحى الفقير الذى يقيم فيه ، ومقهى للمقامرة ، وأكواخاً قائمة على جانبى السكة الحديدية . وكان معلموه فتياناً على غراره ، ولكنهم كانوا أكبر منه سنًّا وأكثر تمرساً بأسباب العيش المريرة القاسية .

وإذا فارلى يفاجئه بسؤال : « أسمعت فى حياتك عن أولد تاسكوزا ؟ » فهذه بلدة حطّمها الدهر ، واقعة إلى الشمال الغربى على مسيرة أربعين ميلا . وقد اعتاد تجار قطعان الماشية الغفيرة التى تحشد كل عام للبيع ، أن يقفوا بقطعانهم فيها طلباً للماء من ينابيعها ، وفيها دار محكمة قديمة ، ومقبرة دفن فيها طرداء القانون .

قال فارلى : « لقد أنشأنا فى تلك البلدة مزرعة لا نسمح لأحد بأن ينزلها سوى الغلمان ، فهم يحلبون البقر ، ويعنون بالماشية والدواجن ، ويتعلمون فى مدرسة ، كل ذلك متاحٌ لهم فى المزرعة نفسها . فإذا ذهبت إلى هذه المزرعة أتيح لك أن تأكل

طعاماً ريفيًّا جيداً وافراً ، وأن تتعلم أن تمتطى صهوات الجياد ، وأن تردّ الشارد من الماشية بالحبال ، وأن تلعب الكرة ، وأن تمرّن عضلاتك حتى تقوى وتشتدّ . ولن تجد أحداً يصيح فى وجهك صياح المعنِّف ، وما عليك إلا أن تؤدى عملك ، وتراعى بضع قواعد قليلة ،وأن ترعى قطعان الماشية . فهل يروقك أن تفعل ذلك ؟ »

إن ذلك يروق الفتى ولا ريب ، فأى شىء يعمله خير من أن يرسل إلى إصلاحية الأحداث !

أنشأ فارلى « مزرعة الأحداث » منذ تسع سنوات ، لأن رجال الشرطة دأبوا على أن يذهبوا إليه بصغار جياع فى ثياب رثة ، عسى أن يجود عليهم بطعام يشبعهم ، أو بزوج من الأحذية يقيهم الحفاء . بيد أن هـذا الجود فى الحين بعد الحين لم يجدهم جدوى دائمة . وظل الفريق المهمل من غلمان البلدة أكبر مصدر للمجرمين الذين يقدمون إلى محاكم الجنايات .

وأخيراً انتهى فارلى إلى الرأى بأن « ما يحتاج إليه هؤلاء الأحداث ، إنما هو مكان فى الريف يتوفر لهم فيه الطعام الجيد والهواء النقى » ، فأقنع صاحب الأرض التى تحيط ببلدة « أولد تاسكوزا » ، بأن يهب أرضه ومئة وعشرين فداناً لهذا المشروع ، وافتتح مزرعة الأحداث فى أول مارس ١٩٣٨ ، فكان فيها الناظر وزوجته وستة من غلمان الشوارع جمعوا من البلدة التى يقطنها فارلى .

وأنت تزور هذه المزرعة اليوم فترى فيها منشآت تبلغ قيمتها ربع مليون ريال، ويقيم فيها سبعون غلاماً . وهى مفخرة المنطقة التى أنشئت فيها ، وإليها يفد المعنيون بتربية الصغار من كل حدب ، ومنذ عهد قريب اتخذتها إحدى شركات هوليوود موضوعاً لفلم رائع نافع .

وقد أنشئت « مزرعة الأحـداث » وأديرت وكفلت نفقاتها بفضل فارلى وغيره من رجال الأعمال ، دون أن تستندى أكفّ الجمهور للتبرع لها بالمـال . وهى لاتتلقى العون المالىّ من رجل بعينه ، بل تقوم دليلاً شاهداً يثلج الصدر على أريحية قوم فعلوا الخير تلبية لنداء الخير فى نفوسهم .

كان أول بناء شيّد فى المزرعة بناء يضم غرف التدريس وحجرة الرياضة البدنية ، فجمع له ١٢٫٠٠٠ ريال من هنا وهناك ، وتبرعت له جماعة الحطّابين بالخشب ، وتبرعت نقابتا السباكين والكهربائيين بالعمل . وتلاه بناء فسيح للاجتماع يضمّ مطعماً ومكتبة ومَقِيلاً ، فجمع له نادى

روتارى خمسة عشر ألف ريال ، وأمر مديرا شركتين من شركات الزيت بمدّ أنبوب طوله ثمانية أميال لينقل إلى هذا البناء الزيت والغاز للطبخ والتدفئة، فكلفهما مدّه سبعة وعشرين ألف ريال .

وجاد أفراد من الفلاحين على المزرعة بالعجول والبقر الحلوب والخيل ، ووهبهُ سروجىٌّ عدداً من السروج ثمنها ألف ريال، وتبرع طبيبان من أطباء الأسنان والعيون بعلاج الغلمان مجاناً ، وعرضت إحدى شركات الغسل والكىّ أن تغسل ملابس غلمان المزرعة دون مقابل ، وُعنيت رابطة تجار الأثاث بمبانى المزرعة فزودتها بكل ماتحتاج إليه من أثاث ، وقدّم الفلاحون مقادير كبيرة من علف المواشى . وتعهّد عشرات من الأهلين — من الكتبة إلى مديرى البنوك — بأن يدفعوا أقساطاً من المال ، لتغطية نفقات المزرعة التى تبلغ ٢٧٠٠ ريال كلّ شهر .

وفى العام الماضى تلقت المزرعة أكبر هبة جاد بها فرد واحد من الناس . فقد أشرف رجلٌ يدعى دوايت أكستل على سن التقاعد، فوهب لمزرعة الأحداث مزرعة له ثمنها ١٢٥٠٠٠ ريال ، وهى على مسيرة ١٠٠ ميل إلى الجنوب الغربى من تاسكوزا . وسوف تستخدم هذه المزرعة لتخريج كبار الأحداث، فيتمون تعليمهم فيها ويعطون أجراً على عملهم .

فلِمَ وفّقت مزرعة الأحداث هذا التوفيق العظيم ؟ إنك تجد الجواب فى زيارة واحدة إلى هذه المزرعة ، أما أهل الولاية فيحجُّون إلى هذه المزرعة كل عام .

فحين تصل إلى المزرعة يخفُّ إلى استقبالك غلام مهذّب يحتفى بك ويرجوك أن توقع اسمك فى سجل الزوّار . ثم تقابل جاك هاردن ناظر المدرسة العملاق وزوجته الحسناء . وقد تلتقى أيضاً بماجنولد المدرّب الرياضى وزوجته ، وينهض ماجنولد والزوجتان والمسز إفلين كار بعبء التعليم كله فى مدرسة المزرعة التى اعتمدتها إدارة التعليم فى الولاية .

وأنت ترى حين نطوّف فى أرجاء المزرعة أن كلّ غلام من الغلمان « يشعر ويعمل كأنه مدير المزرعة المسئول عنها » ، فيدهشك ماتراه من تحوُّل عصبة من أشقياء الشوارع ، إلى صبية مهذبين يقدرون التبعة ويحملونها ، ولا يداخلهم غرور فيما يفعلون .

والأسلوب الذى أفضى إلى هذا التحوُّل ليس فى رأى هاردن ، معجزاً ولا معقداً ، فهو يقول : « كل ما نصنعه إنما هو أن نتيح لهؤلاء الأحداث لوناً من العيشة

البيتية لم يُتح لهم فى طفولتهم ، وأن نرشدهم بعض الإرشاد ، وأن نبذل لهم شيئاً من العناية والحب ، لم يبذله لهم أحد من قبل ».

وكل غلام يطرأ على المزرعــة فى حاجة إلى أن يذوق طرفاً من « نظام » المزرعة الذى ليس كمثله نظام ، فإذا أصرّ الغــلام على التدخين ، حرص هاردن على أن يقدم له سيجارة مشتعلة بعد أخرى ، حتى يضيق بالتدخين ذرعاً . وإذا كان بذىء اللسان دعاه أحد الصبية إلى لبس قفازى الملاكمة ، فيؤدبه تأديبـــاً . وإذا أهمل حلب البقر أو غسل الصحاف ، اصطف غلمان المزرعة جمياً فى صفين وأذاقوا الغلام المسىء عذاب التشهير . ولن تجد فتى مهما كان شـديد المراس ، قادراً على أن يحتمل وحشة العزلة التى يفرضها عليه سخط زملائه وأقرانه .

ولا يزال كال فارلى هو مرشد المزرعة ، وقد أجمل مبدأها فى قوله : « إذا أتحتَ بيتـــاً لأى غلام من غلمـان الشوارع ، ووفـّرت له بعض الهواء النقى ، وفرصة ليرفع مستوى معيشته بمراعاة قواعد قليلة لازمة لحياة الجماعة ، فلن تراه مرتدًّا برضاه إلى مألوف حياته القديمة ، بل يصير من أخيار النـاس وأحفظهم للجميل . ففى نفس كل غلام عزة كامنة ، ولسنا نفعل سوى أننا نحاول أن نهتدى إليها » .



حقائق من خرافات

حذارِ من أن تحلق على جناحى عدوّك .

[ايسوب فى خرافة « السلحفاة والطير »]

حذارِ أن تركن إلى صديق خذلك فى ساعة ضيق .

[ايسوب فى خرافة « الصاحبان والدب »]

يسير عليك أن تزدرى ما يعجزك أن تنالهُ .

[ايسوب فى خرافة « الثعلب والعنب »]

لن تجد سوى الجبان يحتقر الجلالَ وهو يحتضر .

[ايسوب فى خرافة « الأسد المريض »]

لن يصدّق الناس كذاباً ولو قال الحقّ .

[ايسوب فى خرافة « غـلام الراعى »]

دَين الحُرّ

وليم ف . ماك درموت

كان يوم ١٧ فبراير ١٩١٥ يوماً كسائر الأيام فى « مصرف التوفير الغربى » بمدينة شيكاغو — إلى أن كانت الساعة الواحدة والثلث بعد الظهر .

كان المصرف بناء صغيراً فى الحى الإيطالى، وكان صرافه فى تلك الساعة يتناول طعام الغداء ، ولم يكن فيه سوى فرنسسكو روتى مؤسسه، الذى كان فيما سلف من الأيام سقّاء لجماعة من عمال السكة الحديدية ثم صار قصّاباً .

فاقتحم دار المصرف عليه ثلاثة رجال ، فسدّد اثنان منهم مسدسيهما إلى عنق روتى ، وسارا به إلى حجرة المرحاض وأوصدا بابها عليه . أما ثالثهم فقد جمع كل النقد الذى نالته يداه ، ثم ولوا الأدبار لا يلوون على شىء .

ولو وازنت بين هذه السرقة وسائر سرقات المصارف، لوجدتها سرقة صغيرة لا تتجاوز ٢٢٠٠ ريال ، ولكن هذه السرقة أخرجت لنا قصة من أروع قصص الأمانة والشرف ، تلاحقت حوادثها فاستغرقت واحداً وثلاثين عاماً .

كان مصرف التوفير الغربى مؤسسة من تلك المؤسسات التى كانت تمتاز بها الجاليات الأجنبية فى المدن الأمريكية فى مستهلّ هذا القرن . ذلك أن الشعور بالوحشة وثّق الآصرة بين جماهير المهاجرين ، وكتبت عليهم الفاقة أن يعيشوا عيش الاكتفاء والصَّغار ، وكان أعزّ مناهم وهم يكدحون الساعات الطوال ، أن يوفروا بعض المال ماوسعهم التوفير، ليدفعوه قسطاً من ثمن بيت يتوقون إليه . وكان يخبئون ما يدخرونه من المال فى طوايا الفرش أو فى الخزائن ،



أو يودعونه عند صديق يأتمنونه من أبناء وطنهم الأول ، وكثيراً ما كان هذا الرجل ينشىء مصرفاً خاصًّا صغيراً ليدير حركة الودائع .

ولقد نشأ روتى نشأة الشظف والعسر كما نشأ جيرانه الذين اشتغلوا فى المصانع ، فكان يدرك قيمة الريال الذى يكسبه المرء بكده وعرق جبينه . فلذلك شقَّ عليه وثقل على نفسه أن يستهين بالحوادث التى توالت بعد أن سرق مصرفه .

فلما أقبل رجال الشرطة للتحقيق ، حتى جاء فى أثرهم مخبرو الصحف والمصوّرون ، ولم تكد تنقضى ساعات حتى خرج باعة الصحف ينادون على ملاحق صحفهم ، وإذا أصحاب الودائع فى المصرف يهرعون إليه ليستردوا ودائعهم .

واقترح رجال الشرطة على روتى أن يغلق المصرف أبوابه ، فقال لهم : « إن ذلك يزيد الطين بلة ، فنحن إذن خليقون أن نفقد ثقتهم » . وقد كان يعلم أن المصرف سليم وأن التأمين كفيل بتعويض المال المسروق. فوقف هو والصراف يدفعون للمودعين أموالهم ، حتى إذا حان موعد إغلاق المصرف، ارتقى روتى مقعداً وأعلن للجمهور أن الأبواب ستبقى مفتوحة حتى ينجز لكل من كان يعامله ما يريد .

وفى صباح اليوم التالى فتح المصرف أبوابه على مألوف عادته ، ولكن الضربة التى أصابته كانت ضربة قاضية . وكان فى وسع شركة التأمين أن تعوّض المصرف ماله المسروق ولكنها كانت عاجزة عن تهدئة النفوس الثائرة ، فصفى روتى كل الممتلكات التى استطاع أن يصفيها ، وأضاف إليها كل ريال يملكه ، بل اقترض من أقربائه ما وسعه الاقتراض ، باذلاً جهد اليائس ليصدّ حركة سحب الودائع، ثم أعقب ذلك تصفية المصرف وإعلان الإفلاس ، فلما تمّ ذلك ظهر أن مئتين وخمسين من أصحاب الودائع قد خسروا ١٨ ألف ريال .

وكذلك قضت السرقة التى لم تستغرق سوى ثلاث دقائق على عمل روتى وبيته ومدخراته وكل ما تملكه يداه تقريباً ، وتركته وهو وزوجته وأطفاله الخمسة بغير عمل يرتزق منه ، ولم يبق لهم من حطام هذه الدنيا سوى قطع قليلة من الأثاث واثنى عشر ريالا . وجاء رجل فنقل ما تبقى لروتى من متاع بيته إلى شقة ضيقة رثة تبرع له بها أحد أصدقائه إلى حين، وتقاضى منه أجرا للنقل أحسن سجادة بقيت عنده وكل ما يملكه من نقد .

بيد أن روتى سبق له أن قهر الفاقة ، ففى وسعه أن يقهرها مرة أخرى . فعاد

قصّاباً كما كان وجعل يتقاضى ١٩ ريالا في الأسبوع ، ورمّم دراجة قديمة فصار يركبها بين بيته ومقر عمله حتى يوفر على نفسه أجر الانتقال بالترام .

ولكن الشيء الذي نغّص على روتى حياته وأقضّ مضجعه، كان شبح الدين البالغ ١٨ ألف ريال !

وقال له صاحب مصرف آخر : « لست أنت الملوم يا روتى ، فقد كانت السرقة أشبه بمصيبة من مصائب القدر ، واللوم واقع على الناس أنفسهم لأنهم هرعوا إلى سحب ودائعهم فأفضى ذلك إلى إفلاس المصرف » .

فردّ روتى : « قد لا يكون هذا الدين ديناً في عرف القانون ، ولكنه دين في عرفي أنا ، إنه دين شرف » .

وقد كان الشرف سجية ورثها جيل عن جيل من أسرة روتى . ومن ذكرياته التي لم يبلها الزمان ، ذكرى غارة شنتها الذئاب على مزرعة صغيرة مجدبة في إيطاليا ، كانت أسرة روتى قد استأجرتها من صاحبها ، وكان الرزق الذي ينتزعونه من الأرض بشق النفس ، رزقاً ضئيلا . ولكنهم كانوا أهل هناءة وسعادة بما يصيبونه من خبز وخضر ، وما يتهيّأ لهم في الحين بعد الحين من صيدٍ ، وما يعمر نفوسهم من إيمان دينيّ راسخ . وقد كان بيتهم حظيرة يسكنون أحد جانبيها ، ويحفظون ماشيتهم في الجانب الآخر .

وذات ليلةٍ اقتحمت الذئاب مرعى المزرعة ومضت تفتك بغنم صاحب الأرض ؛ فلما بلغه نبأ ما حدث ، أمر أسرة روتى أن تغادر الضيعة قبل أن يحل الليل ، وطلب منهم أيضاً أن يوفّوه قيمة ما خسر كاملا غير منقوص .

فقال الأب فورتوناتو روتى : « سوف أوفّيه ، فقد كانت الغنم في عهدتى ، فشرفي يقضي بأن أوفي عنها » .

وفي تلك الليلة حملت الأسرة أمتعتها القليلة ومضت تتسكع إلى القرية حيث آواها بعض الأقارب في منزلهم ، ولكن ماذا عساهم يفعلون ؟ بل لو قدر لفورتوناتو أن يستأجر مزرعة أخرى لكان جلّ ما يستطيعه أن يعول أسرته وحسب . فكيف يستطيع إذن أن يفعل ذلك ، وأن يسدّد ما عليه من الدين في الوقت نفسه ؟

فيومئذ خطر له حلّ واحد لا ثاني له ــ أن يهاجر إلى أمريكا ، فراح فورتوناتو يلتمس من المال سؤالا واقتراضاً ، مبلغاً يكفيه حتى يسافر هو وابنه الأكبر إلى أمريكا في عنبر سفينة من السفن . وفي أمريكا اشتغلا خمس سنين عمالا في السكك الحديدية ، فكان أجرهما معاً لا يزيد على

ثلاثين قرشاً فى اليوم . فلما توفر عندها أربعمئة ريال عادا إلى إيطاليا ودفعا ثمن الغنم ، ثم رحلت الأسرة كلها إلى أمريكا .

وقد جال كل هذا فى ذهن روتى حين فكر فى دين الشرف الذى آلى على نفسه أن يوفيه ، فأرسل إلى أصحاب الودائع الكلمة الآتية : « أتعهد لكم بأن أسدد لكم مالكم كاملا متى صار ذلك فى وسعى ، فأرجوكم أن تثقوا بى » .

ولو كان هذا الدين الذى أخذهُ روتى على نفسه ١٨ مليون ريال لما كان جمعُه أصعب منالا من ١٨ ألف ريال ! وقد قضى السنوات العشر الأولى وهو فى كفاح للظفر بأسباب العيش وحسب ، فترا كمت عليه النفقات ، ورزق بطفل خامس ولم تكد تمضى أربع سنوات حتى أصيبت زوجته الودود المخلصة بمرض عضالٍ أودى بحياتها .

وقد حرص روتى فى خلال هذه الشدائد على «صندوق دين الشرف» أعظم حرص ، فكان يودع فيه القروش والملاليم حتى صارت مبلغاً غير يسير . وكان يركب دراجته كل يوم إلى حانوت القصاب مسافة ثلاثة أميال ، فإذا تراكم الثلج على الطريق كان يذهب إليه راجلا ، فإذا جنّ الليل كان يرقع أحذية جيرانه ، وكان أولاده الكبار يبيعون الصحف أو يحملون الرسائل والطرود ، ويودعون المال القليل الذى يكسبونه فى « صندوق الدين » .

وقد مضى زمن طويل حتى جمعوا المئة الأولى من الريالات ، ولكن جمع المئة الثانية والمئة الثالثة استغرق زمناً أقل . ثم كان لزاماً على روتى أن يتدبر كيف يوزع المال الذى بدأ يتجمع عنده ، وما يكون نصيب كل من الدائنين وعددهم ٢٥٠ دائناً ، لو وزّع المال عليهم جميعاً . وما لبث حتى تبيّن له ذات ليلة ما ينبغى أن يفعل ، فحسم الأمر .

فقد جاءه فى تلك الليلة نبأ دائن أصيب بمرض خطير ، وزوجته وأولاده لا يملكون شروى نقير . وكان مصرف روتى المفلس مديناً لهذا الرجل بمبلغ ١٧١ ريالا ، فهرع روتى إلى صاحبه المريض وسدّد له دينه كاملا . وما إن فعل حتى قبض المريض على ذراعيه بيدين ضعيفتين وجعلت الدموع تنهمر من عينيه معبرة عن شكرانه تعبيراً يعجز عنه لسانه . فاتضح لروتى المنهج الذى ينبغى أن ينهجه ـــ أن يبادر بسداد المال إلى أشدّ المودعين حاجة إليه .

وبعد أشهر قليلة تناهى إلى روتى خبر أم أرملةٍ غدت عاجزة عن كفالة أولادها ، فقد طغى عليها المرض حتى ضعفت ثقتها بقدرتها على النهوض بهذا العبء أو رجع ،

روتى أوراقه ، فتبين أن مصرفه مدين لها بمبلغ ٣٩٠ ريالا ، فزارها وأعطاها مئة ريال من جملة المستحق لها ، واتفق معها على توفية الباقى أقساطاً شهرية كل قسط منها ١٠ ريالات — وهو مبلغ يكفى لسداد إيجار شقتها فى قبو منزلٍ من المنازل .

وحدث أن ربّ أسرة ضئيل المرتب قد شاع اليأس فى نفسه لأن بيته أوشك أن يباع سداداً لمال مصلحة الضرائب ، فتذكر أنه كان قد أودع مالا فى « مصرف التوفير العربى » وأن روتى قد تعهد بأن يسدّد ما عليه ، بيد أن ذلك كان منذ عشرين سنة ! وقد بحث عن عنوانه حتى اهتدى إليه، فكتب إليه يستنجزه ؛ فلم تكد تنقضى أربع وعشرون ساعة حتى كانت الضريبة قد أُدّيت ، وأنقذ البيت من الضياع .

وبعد زمن عرضت على روتى صفقة فى سوق اللحم فعقدها ، وأخذ من ربحه فيها ما يلزم للعيش ، وأودع بقيته فى « صندوق الدين » . وكذلك صار يملك بعد هذا الزمن الطويل ما يكفى من المال لتوفية كل ما عليه .

وقد صارت مهمته يومئذ أن يبحث عن المودعين القلائل الذين لم يسدّد لهم مالهم ، أو عن ورثتهم . وقد توسل روتى إلى ذلك بمكاتب سماسرة العقارات ، ورجال شركات التأمين ، وسجلات المواليد والوفيات ، وكشوف المدارس والمعاهد ، بل أخذ يعلن فى الصحف طلباً للعناوين التى لم يوفق إليها . وما لبث حتى جاءته رسالة فى نشرة إحدى شركات الأخبار هدته إلى ثلاثة فى كاليفورنيا طال بحثه عنهم ، فلما استوثق من أشخاصهم ومن المبالغ التى يستحقونها ، أرسل إليهم المال . وقد أرسل إلى أول الثلاثة تحويلا بمبلغ ١٢٩ ريالا ، فردّ عليه الرجل شاكراً له فضله . وأرسل إلى الثانى مبلغ ١٥٠ ريالا فردّه إليه شاكراً وطلب منه أن يوزعه على الفقراء . وأرسل إلى الثالث ١٣٠ ريالا فردها هذا أيضاً وطلب أن تعطى لأبناء روتى .

وقد عمد قسيس الحىّ إلى ذكر البحث الذى يقوم به روتى، وطلب من رواد كنيسته أن يبلغوا روتى بالتلفون اسم أى إنسان لا يزال له على روتى دين لم يسدّد . وفى أصيل ذلك اليوم زارته سيدة فأنبأته بخبر زوجين بلغ منهما الكبر يقطنان بلدة على مسيرة تسعين ميلا ، وقالت الزائرة : « لقد قالا لى مرة أنهما لم يستردّا ما خسراه فى مصرفك، وهما الآن فى أشد البؤس والفاقة » .

كان ركام الثلج يغطى الطريق ، ولكن روتى ركب سيارته إلى تلك البلدة البعيدة، فوجد الزوجين العجوزين البائسين . كان

الرجل لا يكاد يبصر شيئاً ، والمرأة مريضة طريحة الفراش ، ولم يكن فى البيت من فحم الوقد سوى قدر يكفى يومين وحسب. قال لهما إنه جار قديم من جيرانهم ، فأخذوا يتذاكرون الماضى البعيد ، ويستعيدون فى مخيلتهم صورة المخزن على ناصية الطريق ، وحانوت السلع القديمة ودكان الحداد والكنيسة وغيرها من معالم البلدة ، حتى استوثق روتى من أن الرجل هو الرجل الذى يريد ، فكاشفهما بالغرض من زيارته.

فتنفس الرجل الصعداء وقال : « كأنك هبطت علينا من السماء . وقد كان لى بعض المال فى مصرفك ، ولكننى حسبت أننى قد فقدته إلى الأبد . بيد أنى ... » وتقطعت أنفاسه وخفت صوته — « بيد أنى لا أملك مستندات تثبت حق ، فما عندى دفتر أو سجل » . فطمأنه روتى وقال : « لست فى حاجة إلى مستندات » .

وفى آخر السنة الماضية، انقضت إحدى وثلاثون سنة على سرقة مصرفه ، والتأم شمل أسرته بعد أن فرقتها الحرب . وقد وجدوا فى «صندوق الدين» مبلغاً يربى على ما بقى من ديونهم.فاقترح أحدهم : «لنرسل إلى كل فرد من المودعين الباقين بطاقة معايدة مع تحويل بالمبلغ المستحق له » ، وشرعوا من فورهم ينشئون الرسالة التالية :

« تحية من أسرة روتى ، ١٩١٥ — ١٩٤٦ . ففى سنة ١٩١٥ اضطر أبونا فرنسسكو روتى أن يغلق مصرف التوفير الغربى ، بعد حادثه السطو عليه ، ولكنه وعد المودعين أن يردّ إليهم مالهم يوما ما ، وقد كانت رغبته الصادقة ورغبتنا فى بحر هذه السنين ، أن ينجز هذا الوعد . فيسرنا أننا قد وفينا بعهدنا، فنهنئكم بالعيد ونتمنى لكم أن تعود عليكم الأعوام بالعافية والسعادة » .

فلما أرسلت البطاقة الأخيرة ، تنهد فرنسسكو وقال : « أنا الآن حر طليق » .



نهاية مغامرة

وقع أحد التجار فى حب فتاة تعمل فى ملهى ، فاستعان بوكالة لاستطلاع الأخبار على تعقبها وتقديم تقرير له عنها ، فجاءه التقرير التالى : « سمعة الفتاة حسنة ، وصفحة ماضيها نقية ، ولها أصدقاء كثيرون ، ومنزلة اجتماعية عالية . بيد أن الوصمة الوحيدة المقرونة باسمها ، هى أنها شوهدت فى الأيام الأخيرة فى صحبة تاجر متهم فى أخلاقه ! »

روسى مشهور يفضح أســطورة
ذائعة من أساطير الدعاية

الديمقراطية الأولى
التى دمرتها الشيوعية

ألكسندر كرنسكى
رئيس الوزارة سابقاً ، ورئيس
الحكومة الروسية المؤقتة الثانية سنة ١٩١٧

مختصرة من مجلة « الحديث الصريح »

منذ عهد قريب طوّفت فى المدن الأمريكية ألقى سلسلة من المحاضرات ، فكان الناس يسألوننى عن أسطورة من أكبر أساطير الدعاية فى عصرنا هـذا ، ومؤدى هذه الأسطورة أن الشيوعيين هم الذين قضوا على الاستبداد القيصرى فى روسيا .

والحقيقة أنهم لم يفعلوا شيئاً من هذا . فالحكم الذى قضى عليه البلاشفة بالقوة والخداع ، لم يكن الحكم الملكىّ أو القيصرى ، بل كان الحكم الديمقراطىّ الجديد ، المعروف بحكم كرنسكى .

فى اليوم الثانى عشر من شهر مارس سنة ١٩١٧ انهار الحكم القيصرى فى روسيا ، فكان ذلك بدء الثورة الروسية العظيمة .

ويومئذ قام الحكم الديمقراطىُّ الوحيد الذى عرفتهُ بلادى فى تاريخها المحزن .

ولم يشترك فى هذا الحادث الفاصل أحدٌ من زعماء الشيوعية الذين قبضوا على زمام الحكم فيما بعد ، فقد كانوا جميعهم تقريباً — لنين وتروتسكى وستالين — خارج البلاد أو فى السجن أو فى المنفى . ثم إن هذا الانقلاب الهائل أخذهم على غرّة ، فما كانوا يعتقدون أن وقوعهُ مستطاع بمثل هذه السرعة . وكان لنين قد كتب من زوريخ إلى أصدقائه يقول إنه لا يرى لجيله أملاً فى أن يشهد قيام ثورة فى روسيا . وقد قال لى أتباعه فى بتروغراد قبل حدوث الانفجار ببضع ساعات : « ليس ثمة دلائل تدلُّ على ثورة ، فنحن اليوم فى مستهل عهد طويل من الرجعية القيصرية » .

ولم يبدأ البلاشفة فى التجمع فى العاصمة الروسية إلا بعد العفو السياسىّ الشامل الذى أصدرته الحكومة الديمقراطية المؤقتة . وقد وصل لنين وزينوفيف بعد سقوط آل رومانوف بشهر كامل — وكان ذلك فى القطار « المختوم » المشهور الذى هيأه لهما القيصر الألمانىّ .

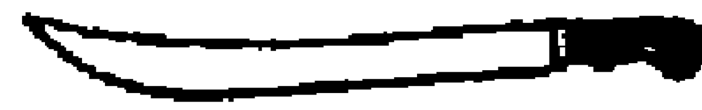
فكيف كانت روسيا التى عاد إليها هؤلاء الزعماء ؟ إليك شهادة لنين ، قال :

« إن روسيا اليوم هى أكثر البلاد المحاربة حرية ، فلست تجد فيها استبداداً

بجماهير النـاس » ، وقد قال ذلك فى بيان أصدره قبـل الثورة البلشفية التى وقعت فى ٧ نوفمبر ١٩١٧ ببضعة أيام، فقضت الثورة على الحكم الديمقراطىّ فى الشهر الثـامن من حياته .

وقد نشر الشيوعيون أسطورة قضائهم على القيصرية ، ليسـتروا وراء نشرها جريمتهم فى خنق الديمقراطية الروسية الأولى. وترى جماعات الشيوعية تحاول اليوم فى كل مكان أن تقبض على زمام السلطان بالأسلوب نفسه : يتظاهرون بأنهم «حماة الديمقراطية» وينضوون تحت أعلام الحرية، لكى يهيئوا لها الضربات التى تدمرها . ولنين نفسه لم يعترف إلا بعد انتصاره ، بأن العبارات التى أعرب فيها عن حب الحرية لم تـكن سوى خداع مقصود .

وليس فى وسعك أن تلوم الشعب الروسى لوقوعه فى شرك البلاشفة يومئذ ، فالعالم كان حديث عهـد بأساليب الحكم الجامع الحديث . ولـكنك لن تجد عـذراً اليوم للملايين من العمال والفلاحين ورجال الفكر فى الغرب الديمقراطى ، إذا هم وقعوا فيه . فالمحنة التى تعانيها بلادى ينبغى أن تكون لهم إنذاراً يخيفهم من شر العواقب .



المرأة دائماً ...

منذ عهد قريب زار مدينة نيويورك محافظ مدينة فرنسية ، فطوّفوا به ليشاهد أشهر معالمها ، فلما صعد إلى أكبر ناطحات السحاب ، وقف أمام برجها قليلا ، وأجال نظره فيما حوله ، وجعل يضع يده على فمه ثم يومىء بها كأنه يوزع القبلات وهو فى نشوةٍ مما يرى ، ثم جعل يقول : « آه إن هذا يذكرنى بمفاتن المرأة » .

فقال مضيفه متحيراً : « ولِمَ يذكرك هذا المشهد بمفاتن المرأة ؟ »

فقال المحافظ : « كلُّ شىء يا سيدى ، يذكرنى بمفاتن المرأة » .

[لترد ليونز]

● إن كان ممّا يثقل على نفسك أن تنتقد أصدقاءك ، فلا بأس بأن تفعل ذلك . أما إذا كان هذا مما يسرُّك ، فيومئذ ينبغى لك أن تمسك لسانك .

[أليس ديور ميلر]

طريقة صالحة تنقذ ألوفاً من الناس من زواج كتب عليه أن يخيب

حل جديد لمشكلة الطلاق

جريتا بالمر

مختصرة من مجلة "يور لايف"

من الممكن اتقاء كثير من حوادث الطلاق ، لو تولى رجل من عقلاء الرجال مناقشة الفتى والفتاة فى أمر زواجهما قبل عقد الزواج . وعسى أن تكون خير نصيحة هو باذلها لكثير منهم: أن «تمهل!» أو « لا تتزوج » .

وفى أمريكا معهد يعد الفتيات لممارسة الحياة التى يحياها كافة الزوجات فى بيوتهن، وقد نصح كثيراً من فتياته بمثل هذه النصيحة ، فكانت عاقبة ذلك أن كانت نسبة اللواتى لم تنفصم عروة زواجهن من طالبات هذا المعهد، ستة أضعاف النساء اللواتى بقين فى عصمة أزواجهن من غير طالباته ، وذلك مع اطراد الزيادة فى نسبة الطلاق عامة فى أمريكا . وقد دل إحصاء أجرى منذ عهد قريب على أنه لم يطلق من طالبات المعهد سوى واحدة من كل عشرين امرأة .

وقد وضع مناهج الدراسة فى هذا المعهد الدكتور هنرى بومان . فالفتيات هناك يستمعن إلى محاضرات عن الزواج ، فإذا غزا الحب قلب إحداهن ، وجدت أيضا من تستشيره وتستنصحه من الأساتذة ذوى الرأى . ولن يفوتك أن تسمع الدكتور بومان وهو يردد هذه النصيحة لكثير من الفتيات حين يطلبن مشورته : « إنك إذا أردت أن تكونى محامية أو ممثلة، كان عليك أن تتمهلى حتى يتم استعدادك لممارسة ما تؤثرين . ومثل هذا التأنى لاغنى عنه أحيانا فى أمر الزواج . انتظرى سنة ، فذلك أحرى بأن يكون أنفع وأجدى فى عشرتك لهذا الرجل » .

وتستند نصائح المستشارين إلى عبر مستخلصة من حوادث وقعت . وإليك عشرة ضروب من الزواج يحذرون الفتيات منها :

١ — أن الزواج الذى يتم بعد تعارف قصير المدى ، خليق أن يفضى إلى المتاعب . وإذا كان إعجاب كل منهما بصاحبه فتنة طارئة ، فهو لا محالة صائر إلى الضعف

والزوال . وتدل الإحصاءات على أن الأزواج الذين نشأت بينهما معرفة استمرت خمس سنوات قبل الزواج ، يتاح لهم من السعادة فى حياتهم ، مالا يتاح قليل منه للذين لم يمض على تعارفهم قبل الزواج أقل من ستة أشهر . ونسبة الطلاق بين الذين يتزوجون بعد خِطبة لا تدوم إلا ثلاثة أشهر أو أقل ، تبلغ ثلاثة أضعاف نسبة الطلاق بين الذين تدوم خِطبتهم سنتين أو أكثر.

هذه فتاة أرادت أن تتزوج رجلا لم تعرفه إلا منذ ستة أيام . وقد كان مما حفزها إشفاقها من أن لا تجد زوجاً بعد الحرب لقلة عدد الرجال ، وزادها عجلة فى أمرها أن خطيبها كان قد أمر بالسفر إلى ميادين القتال خارج بلاده ، وهذا بلا ريب حجة عليها لا حجة لها ، فاستطاع المستشارون أن يقنعوها أن مثل هذا الزواج المستعجل ، كان خليقاً أن يكون موفقاً لو أتيح للزوجين وقت كافٍ لحسن التعارف بعد الزواج ، غير أن الفراق الطويل بعد زواجه بها ، يضعف الأمل فى بقاء زواجهما . فرضيت الفتاة أن تتمهل . فلم تكد تمضى سنة حتى سلا كل منهما صاحبه .

وفى أيام السلام أيضاً يجد المقدمون على الزواج ما يدفعهم إلى العجلة . أما الذين يسرعون إلى الزواج لغير داع سوى شدة الصبابة ، فمقضىّ على زواجهم بالإخفاق ويحرص الدكتور بومان على أن يبين للفتيان والفتيات : « أن كل زواج لا يقوم على أساس من العقل والروية ينهار كأنه بنى على رمل » .

٢ — أن الزواج الذى يتم بالمراسلة محفوف بالخطر . فقد ظل فتى وفتاة سنتين يتراسلان كل يوم ، فاشتد الحب بينهما ، ولم يجدا ما يدعوهما إلى إرجاء زواجهما أكثر من أسبوع بعد عودة الفتى من ميادين القتال . فلما التقيا استولى عليهما الحياء والارتباك ، ولكنهما تجاهلا ذلك كله : ألا تدل الرسائل التى تبادلاها على أن كلا منهما يعرف صاحبه معرفة وثيقة ؟

هكذا ظنَّا ، أما الدكتور بومان فقال : « كلا ، فإن كلا منهما لا يعرف إلا صورة صاحبه التى أرسلها إليه ، وكلاهما توهم لنفسه شخصاً فأحبه . فلما التقيا وجهاً لوجه لقاء لا يتيح للحديث بينهما أن يكون منمّقاً مختاراً كما تعوّدا فى رسائلهما ، أحس كل منهما أنه غريب عن صاحبه لم يلقه إلا الساعة . فالرسائل التى دارت بينهما لم تنفع فى تعريف كل منهما بصاحبه » .

٣ — ومثل هذا أيضاً خليق أن يقع بين فتى وفتاة يكثر لقاؤهما ، ولكن هذا اللقاء يتم فى أحوال تختلف اختلافاً كبيراً

عن الأحوال التى سوف يعيشان فيها بعد زواجهما . فقد نشأ بين طالب وطالبة حب شديد ، وقد كان أهل الطالبة ممن ألفوا الحياة فى الفنادق ، فنشأت وهى لا تهتم بإنشاء بيت لنفسها. وأما الفتى فكان يظن أن جميع النساء كأمه التى تفخر بحسن إدارتها لشئون بيتها . وكان ثمة فروق أخرى بين نشأة الفتى ونشأة الفتاة .

فلما عملا بالنصيحة فتمهلا ، أتيح لهما أن يتزاورا ويعرف كل منهما كيف يعيش أهل صاحبه ، وأتيح لهما أن يتبينا كثرة ما يحتاجان إلى تغييره حتى يوافق كل منهما صاحبه ، وأتيح لهما أيضاً أن يدركا ما الذى يتمنى كل منهما فى زواجه . فلما تزوجا بعدئذ صارا بمنجاة من كل مفاجأة كانت خليقة أن تقوض زواجهما ، لو كانا تزوجا قبل ذلك بسنة واحدة .

٤ — وهذه فتاة حارت بين اثنتين : أن تتزوج أو أن تختار لنفسها عملا تزاوله مدى الحياة ، فلما لقيت فتاها نفت الحيرة من قلبها وقالت لنفسها : « هذا أمر ندبره بعد زواجنا ، أما الآن فأهم شىء هو أن نتزوج أولا » .

قال لها المستشارون : « إذا لم تؤخرى هذا الزواج ظللت حائرة بين زوجك وعملك ، فتعمدين إلى عمل يستغرق بعض وقتك ليكون ملاذاً لك إذا منيت بالخيبة فى زواجك . نعم إن فى وسع النساء أن يجمعن جمعاً موفقاً بين العمل والزواج ، ولكن ذلك لا يتم إلا إذا حزمن رأيهن على أيهما يضحين به يوم تأتى ساعة الفصل » .

٥ — ولعل من أكثر ضروب الخطبة شيوعاً وأجدرها بأن ينهى الشبان عنها ، هى الخطبة التى يعتمد فيها الخطيبان الشابان على تدبير يبدو حسناً موافقاً ، فإذا هبت عليه نسمة من حقائق الحياة تفرق بَدَداً .

فهذان فتى وفتاة لم يكن عندهما سوى قليل من المال فدبرا أمرهما أن يمارس كل منهما عملا بعد الزواج ، وكانا يظنان أنه حسبهما من الحياة حجرة واحدة يأكلان فيها وينامان ، فسألهما المستشار : « وماذا تصنعان إذا رزقتما بولد ؟ » . إن من الواضح أن الولد سوف يرهقهما عسراً ، ويجعل الحجرة ضيقة كل الضيق .

لقد نسيا أن أكثر المتزوجين يرزقون بأولاد ، وأن كل زواج يبنى على تأجيل زمن الأمومة عرضة للخطر ، فإن ثلاثة أرباع الأزواج الذين لم يرزقوا بأولاد ، ينتهى بهم الأمر إلى الطلاق — أى تسعة أضعاف الطلاق بين من رزقوا بأولاد .

يقول الدكتور بومان : « إنه لخير للمرء

أن يطيـل زمن الخطبة حتى إذا ما تزوج كان فى سعة تجعله يعدّ الطفل نعمة عليه لا نقمة » .

٦ — كل زواج فيه بين الزوجين فروق لا يصلحها مرُّ الأيام، خليق أن يكون وخيم العواقب ، وذلك كالزواج بين المختلفين فى الجنس أو الدين .

٧ — أحبت فتاة فتى عرفته دون أن تلقى بالاً إلى أنه كان منـذ عهد قريب قد خطب لنفسه فتاة أخرى . وقد أكد لها الفتى أنه قدسلا تلك كل السلوان، والحقيقة أنه كان مدفوعاً إلى خطبة أى فتاة يلقاها من جراء خيبته فى خطبته الأولى ، فهو لذلك خاطب خطر .

وقد تزوجت الفتاة برغم تحذير مَن استشارتهم ، وسرعان ما حملت منه . وقبل أن يأتى ميعاد ولادتها ، تأجّج حب الفتى للفتاة التى كان قدخطبها أولا، فطلق زوجته لـكى يتزوجها ، ولم يقع بصره على ولده قط . يقـول الدكتور بومان : « كانت أسباب الخيبة فى هـذا الزواج ماثلة منذ يوم العرس » .

٨ — كل زواج يكون الدافع إليه رغبة المرء فى أن يفرّ من حالة لا يطيقها ، مقضى عليه بالخيبة . فهذه فتاة نالت عملا فى مدينة كبيرة ، ولـكنها كانت غير راضية عن هذا العمل ، ولم يكن لها سوى قليل من الأصدقاء . ثم لقيت فتى ظنت أن الحياة معه فى شقة صغيرة أبهج من سهرها وحدها فى غرفة موحشة بالفندق. فلم يكن لزواجها أساس من الحب أو التوافق ، فلم تمض سنة حتى انفصمت عروة هذا الزواج .

يقول الدكتور بومان : « لا يسعد بعد الزواج إلا من وجد حظًّا من السعادة قبل زواجه . فالزواج لا يداوى علة فى النفس قد أعياك دواؤها » .

٩ — وهذا فتى نشأ فى مزرعة ، فهو لا يرى السعادة إلا فى حيـاة المزرعة ، وكانت الفتاة التى لقها ممن ألفن العيش فى المدينة . وكان زواجهما خليقاً أن يكون محفوفاً بالنـكد ، لاختلاف نشأتهما ، بيد أن الدكتور بومان وافق على زواجهما ، فلِمَ فعل ذلك ؟

ذلك لأن الزوجين كليهما أدركا أن عليهما أن يبدّلا من أخلاقهما تبديلا كبيراً، وأخذا يحتالان على إحداث هذا التبديل بكل ما استطاعا . فقضت الفتاة صيفاً كاملا فى ضيافة أسرة الفتى ، فكانت تهبّ من نومها فى الساعة السادسة كل صباح، فتحلب البقر وتعمل عمل نساء الفلاحين . وأخذ الفتى يبحث عن مزرعة فى جوار ناس تحمد عشرتهم ممن ألفوا العيش فى المدن .

وخصص من ماله نصيباً لشراء الكتب والمجلات حتى تظل زوجته على صلة بحياة المدينة . وهما اليوم زوجان موفقان .

١٠ — وهذه فتاة قد أولعت بحب أبويها ولوعاً شديداً، فكان أعظم ما تتمناه أن ينتقل فتاها فيسكن معها فى بيت أهلها، ويشاركها حياتها التى ألفتها وهى فتاة صغيرة. فلما اقترح عليها المستشار أن تنتقل مع زوجها إلى مدينة بعيدة عن أهلها جن جنونها . فالفتيات والفتيان الذين يرتبطون بآبائهم ارتباطاً وثيقاً، لا يزالون فى قيد يمنعهم من أن يوفقوا فى الزواج . ولو تزوجت هذه الفتاة قبل أن يتم نضجها، لمنيت فى زواجها بالخيبة. فلما أطاعت رأى المستشار وتمهلت سنتين نضجت وعاشت زوجة سعيدة .

ولا يرجى التوفيق فى هذه الضروب العشرة من الزواج ، إلا إذا كان الزوجان على خلق عظيم ، حتى يتيسر لهما أن ينجحا فيما هو مظنة الإخفاق . بيد أننا نرى أن كل إخفاق يمنى به زواج منها ، يُرَدُّ دائماً إلى أخطاء وقعت بعد عقد القران ، كأنْ يقول أحدهما : « إنه شديد الغيرة » أو « إنها كثيرة النقار » أو « لشد ما تغيرنا جميعاً » .

وأكثر هذا الزواج مكتوب عليه الإخفاق قبل أن تطبع رقاع الدعوة إلى حفلة العرس .

ويقول الدكتور بومان : « إن النصيحة التى تسديها إلى المتزوجين ، لا تجدى نصف ما تجديه هذه النصيحة إذا أسديتها للمقدمين على زواج لا يكاد يرجى له توفيق » .

كان الأستاذ بلاك رجلاً وسيماً ولكنه كان يهمل هندامه ويدع شعرهُ يطول حتى ينسدل على رقبته وكتفيه ، حتى صار منظره وهو يمشى فى شوارع إدنبره شيئاً مألوفاً يغرى بالسخرية . وذات يوم استوقفهُ صبىٌّ من مسَّاحى الأحذية ، وكان رث الثياب قذر الوجه ، وقال : « أتمسح حذاءك يا سيدى ؟ »

فالتفت الأستاذ، فراعه ما رأى من رثاثة وقذر فقال : « لا يابنى ، ولكننى أمنحك ثلاثة قروش إذا غسلت وجهك » .

فقال الفتى : « حسناً ياسيدى » وعدا إلى السبيل القريب فغسل وجهه وعاد فانبسطت أسارير الأستاذ ، وقال : « أحسنت يابنىَّ ، إليك القروش الثلاثة » .

فردَّ الفتى عليه كالرجل الكريم وقال : « احتفظ بها ياسيدى ، وقصَّ بها شعرك » .

[كتاب « حديث فكه »]

هــذه طبــائع البشــر

كانت فترة انتظار بين قطارين فى مدينة صغيرة ، فرحت أتجول فى شوارعها حتى بلغت حانوت الزهر، فدخلته فلم أجد فيه سوى غلام يتأنى فى اختيار بعض الورود الحمر الجميلة . فقالت بائعة الأزهار : « أرجوك أن تكتب على هذه البطاقة الاسم والعنوان، حتى نرسل الورود إلى من تريد » .

فقال الغلام : « سوف آخذها بنفسى ، وأرجوك أن تكتبى لى على البطاقة هذه الكلمة : عيد سعيد يا ماما » .

وخرج الغلام مزهوا بما حمل ، فنظرت إلىّ البائعة ونظرت إليها فابتسمنا . وبعد ثلث ساعة كان القطار يسير بى الهوينا فى ضواحى المدينة ، وكنت أنظر من النافذة، فتبيّنت الغلام سائراً على قدميه ومعه العلبة التى تضم الورود — فقد كان داخلا بوابة مقبرة ريفية صغيرة . [جانيت جالو]

● عدت منذ أيام إلى مسقط رأسى فدهشت حين رأيت هنرى الشيال يرفع حقيبتى الضخمة ، ورجلا من كبار تجار البلدة (ولنسمه براون) يرفع الحقيبة الخفيفة . فاستبد بى الفضول ، فعدت إلى المحطة فى صباح اليوم التالى لأستقصى ، فوجدت المستر براون يعاون هنرى فى حمل أمتعة الركاب وتحميلها على عربة النقل . ولاحظت أنه لا يحمل سوى الحقائب الصغيرة ، وأنه يحملها بذراع ممدودة أمامه ويسير بها ، فسألت هنرى : « بربك قل لى ماسر ما أراه من معاونة المستر براون لك فى عملك ؟ »

فقال : « انكسر مرفقه منذ أسابيع ، فلما رفعت الجبيرة عنه أمره الطبيب أن يمشى ساعة كل يوم وهو يحمل بيده شيئاً ثقيلا — قطعة حديد أو ما كان من قبيلها . وقد ظل المستر براون يفعل ذلك فى بيته حتى كاد يجن جنونه ، وقال إنه صار يرى هذا حمقاً وغفلة . وذات يوم قال لى وهو يهزل : « ينبغى لى يا هنرى أن أجىء إلى المحطه فأساعدك فى حمل الأمتعة ، بدلا من أحمل الحديد فى البيت » ، فقلت له : « تجىء أيام أحتاج فيها إلى المعونة » ، فما كان منه إلا أن فعل . وقد مضى عليه أسبوعان وهو يساعدنى فى عملى ساعةً كل يوم، وقد أخذت ذراعه تستقيم » .

[هيلين هنجوفورد]

● عنيت وأنا ممرضة بغلام مقعد فى الثامنة من عمره ، وذات يوم طلب منى أن أقرأ له رسالة جاءته من العمة سو ، فكانت كأنها مذكرات تكتب كل يوم وإليك نص بعضها :

«عزيزى فرانكى: سوف نذهب كلانا اليوم إلى الحقل لننفض الحشرات عن نبات البطاطس. فنأخذ عصا ووعاء، ونمسك الوعاء تحت الحشرات العالقة بالنبات، ثم نسقطها بالعصا، وقد كان فى وسعنا أن نميت الحشرات بسم من السموم، فلو فعلنا وجاءت البقر وأكلت ورق النبات لأصيبت بالتسمم. ومتى امتلأ الوعاء بالحشرات، بينت لك ما ينبغى أن نفعل».

وقد تحدثت الرسالة أيضاً عن كلب، ووصفت نزهة فى الخلاء عند غدير القرية، وانتهت بقصة عن جنية ترسم صوراً ملونة لأجنحة الفراش.

أما فرانكى فلم تقع عينه فى حياته على العمة سو، ولكنه كان دائم التطلع إلى رسائلها، وكان يعيش فى هذه الرسائل عيشة غلام من أبناء الفلاحين الأصحاء، يقفز فوق حواجز المزارع، ويتسلق أشجار التفاح، ويعدو فى الحقول وكلبه يعدو فى أثره.

وكنت ذات يوم قرب القرية التى ترسل العمة سو رسائلها منها، فدخلتها وسألت ناظر مكتب البريد عن العمة سو وهل يعرفها. فقال: «عندنا امرأة اسمها مس سو ريد، ترسل كل يوم رسائل إلى صغار فى المستشفيات» ثم التفت وقال: «ها هى ذى مقبلة».

فنظرت فرأيت سيدة فى كرسى يتحرك على عجلات، وهى تحرك العجلتين بيديها وتتقدم فى بطء نحو مكتب البريد. فقال ناظر البريد: «لم تزل مس ريد مقعدة منذ كانت فى الثانية عشرة من عمرها. وليس لها عمل سوى أن تكتب هذه الرسائل. ووالله لا أدرى أين تجد كل ماتكتبه فيها». [إرين دريل]

● كنت واقفاً أمام حانوت القرية ساعة رأيت دراجة مقبلة بسرعة، وكان على الدراجة سيدة عجوز شمطاء، وسرعان ماوقفت أمام الحانوت، وترجلت عنها وجلست على حافة الشرفة وأخرجت ورقة كبيرة وأكبت على قراءتها بعناية. وكنت أفكر فى سؤال أطرحه عليها دون أن يكشف عن فضولى، وإذا بها قد التفتت إلى وأشارت إلى الكتابة الكثيرة التى على الورقة، وقالت:

«مرضت مرضاً شديداً فى الشتاء الماضى، فصارحنى الطبيب بالحقيقة وقال إنه يخشى أن لا يمتد بى العمر إلى الربيع المقبل. فوضعت لساعتى كشفاً بالأشياء التى ينبغى أن أصنعها قبل أن أموت». ثم ابتسمت ابتسامة عريضة وهى تلوح بورقتها وقالت: «وهذا الكشف يزداد يوماً بعد يوم، حتى ليخيل إلى أنى سوف أعمر إلى المئة».

وقد كان ركوب الدراجات أحد تلك الأشياء، وها هى ذى قد أتقنته فأخذت قلماً، وخطت خطاً عريضاً أسود، فشطبت «ركوب الدراجات» من كشفها!

[م. ج. إدوردز]

« أهم فرد فى الدنيا هو الطفل الرضيع »

ينبغى للأطفال أن يحيوا

حلم لويس موركيو الذى صار حقيقة

ميشيل سكالى

مختصرة من مجلة « ذى پان أميريكان »



منذ عهد قريب أقيم فى منتيفيديو عاصمة أوروجواى، تمثال من البرونز يمثل شيخاً جالساً ، فى وجهه صرامة وجدّ ، وعلى منكبيه وشاح الجرّاح ، وبين يديه طفل ضاحك يحاول أن يخطو خطواته الأولى فى الحياة ، فترشده يدا الرجل إلى سواء السبيل . بيد أن رأسه القوى مستو على كتفيه، وعينيه المغرقتين فى التفكير شاخصتان إلى الأفق البعيد .

ولا يسعك أن تدرك ما قصد إليه المثال فى تمثيله، إلا إذا عرفت قصة لويس موركيو. فقد كان الأطفال بين يديه كالصلصال بين يدى المثّال ، فلما جعل يصوغهم كما يريد ، رأى صورة بعيدة — صورة سلالة جديدة من الناس . وكان موركيو إذا ألقى نظره على طفل وليد ، يرى أباً من آباء الجيل التالى ، وفرصة تتيح له أن يزيد قوة شعبه ويقضى على بعض أسباب ضعفهم .

وأهل أوروجواى اليوم من أقوى شعوب البشر وأصحها ، وأكبر الفضل فى ذلك لهذا الرجل — لويس موركيو . فمعدّل الوفيات بينهم هو أقل معدل للوفيات فى شِقّ الكرة الغربى ، وهو أقل من مثيله فى الولايات المتحدة . ومعدل وفيات الأطفال الرضّع عندهم أقلّ من ٨٠ فى الألف من المواليد ، أما فى جمهوريات أمريكا اللاتينية فيفوق هذا المعدل ٢٠٠ فى الألف على تفاوت بينها . فالطفل الذى يولد فى أسرة فقيرة فى أوروجواى الصغيرة ،أدنى إلى بلوغ الشباب

السليم من أى طفل آخر فى العالم كله .

بيد أن الإحصاءات تدلُّ على أن حظ موركيو نفسه فى الحياة كان حظاً تافهاً يوم ولد فى سنة ١٨٧٦ من أب إيطالىّ مهاجر كان إسكافاً ، فقد كانت الحمى الصفراء والجدرى والكولرا والطاعون تجتاح جمهورية أوروجواى ، وكان معدل العمر المتوقع للطفل الوليد يومئذ لا يتجاوز ٢٥ سنة ، وكان الغالب أن تفقد كل أسرة ربع أبنائها قبل أن يبلغوا سن المدرسة .

وكان المرض لا يفتأ يصيب الأطفال العشرة الذين أنجبهم موركيو وزوجته ، وكان الطبيب لا يبرح يتردد على بيتهم ، ففتن الفتى لويس بأسرار الطب ، وآلى على نفسه أن يصير طبيباً ، ولكن الأسرة فقيرة ويعوزه المال ، فاختط لنفسه خطة تفضى به إلى ما يريد ، فصار أولا محاسباً خبيراً ، ثم جعل يشتغل بالمحاسبة لطائفة من التجار فى الليل ، ويحضر دروس الطب فى النهار .

كانت مدرسة الطب فى منتيفيديو لا تضم فى العقد التاسع من القرن الماضى سوى حجرتين اثنتين للدراسة ، ومكتبة صغيرة على رفوفها كتب مضى زمانها ، ومدرّج رثّ يختلف إليه الأطباء فى الحين بعد الحين ليعرضوا مشاهداتهم على الطلاب . ولم يكن فيها معمل للأبحاث ، ولا غرفة للجراحة .

وكان موركيو وزملاؤه التسعة فى الدراسة يتلقون العلم عن الأطباء فى أثناء مرورهم على المرضى فى المستشفيات والملاجىء ، فكأنهم « صبيان » يأخذون صناعة عن كبارهم .

وفى هذه البيئة تخرج لويس موركيو الشاب النحيل الرث الثياب ، فصار الدكتور موركيو فى سنة ١٨٩٢ ، وكان من أوائل مرضاه طفل فى الثانية من عمره ، بلغت منه علة لم يرها الدكتور موركيو من قبل إلا فى الكبار من الناس ، فوصف للطفل جرعة مخففة من الدواء الذى درجوا على وصفه للكبار ، فلما عاد إلى عيادته وراجع كتبه ، اتضح له أن هذا الدواء خليق أن يقتل الطفل ، فعاد أدراجه يعدو فى الشوارع ، فأدركه واستطاع أن ينقذه من الهلاك ، ولكن المحنة هزّته هزّاً عنيفاً .

ومن ثم أخذ الشكُّ يساور موركيو فى الطريقة الشائعة لعلاج الأطفال على أنهم رجال صغار ، وجعل يفكر فى وجوه الفرق بين أبدان الصغار وأبدان الكبار . وحدث نفسه فقال : لعل السنوات الأولى فى حياة المرء هى التى تقرر مصير صحته . وانتهى من ذلك إلى الرأى بأن الطفولة هى أهم ميادين الطب جميعاً . ثم قرأ عن طائفة من الأطباء فى باريس كان يستكشفون هذه المسائل ، فأخذ يقتر على نفسه ويقترض ما وسعه

حتى جمع ما يكفيه للعيش سنتين ، ثم هجر عيادته وهو فى الخامسة والعشرين ، وأبحر إلى فرنسا راكباً من ركاب الدرجة الثالثة .

وفى «مستشفى الأطفال المرضى» بباريس ، أصاب موركيو ما يريد . فدأب على الاستماع لمحاضرات الباتولوجيا التى يلقيها الأستاذ شاركو المشهور ، وملأ مئات الصفحات بأقوال فورنييه أكبر بحاثة فى مرض الزهرى فى ذلك الحين ، وفتح له معهد باستير أبواب أحسن معامل الأبحاث فى ذلك العهد .

ثم عاد إلى منتيفيديو وهو المتخصص الفرد فى أمراض الأطفال . وكان فى وسعه أن ينشىء عيادة خاصة تدر عليه مالا وفيراً ، ولكنه آثر أن يكون مدرساً فى مدرسة الطب وطبيباً زائراً لملجأ الأيتام . وكان يعالج من ٣٠ مريضاً إلى ٤٠ مريضاً كل يوم من أبناء الفقراء ، ثم يعود إلى طلابه بصفوة ما خرج به من تجاربه ، ثم يختار نخبة من الطلاب ويعهد إليهم بدراسة حالات معينة أوفى دراسة وأدقها ، فكان ذلك أول نظام من نوعه فى أوروجواى .

وسرعان ما اكتشف موركيو أن أكثر من ٥٠ فى المئة من وفيات الأطفال الرضع مردُّها إلى ضرب من ضروب « المغص » — كالدوسنطاريا وسواها من حالات التسمم بالبكتريا . وكان الأطباء يعالجون هذه الحالات عادة بإعطاء المصابين قليلا من المسكنات لتهدئة الطفل المصاب . فعلّم موركيو تلاميذه أنه ينبغى لهم أن يبحثوا عن أصل العلة — أهو القـذارة ، أم الطعام الذى لا يلائم الطفل ، أم التعرض لضروب العدوى

وفى ملجأ الأيتام شنّ حرباً على الأساليب القـديمة المتبعة التى جعلت الملجأ بؤرة للأمراض . فكان الأطفال اللقطاء مثلا يرسلون إلى المراضع فى بيوتهن فيرضعنهم لقاء أجر معين ، فكان ذلك يفضى فى أكثر الأحيان إلى انتقال الزهرى الموروث من الأطفال إلى المرضعة ، ثم منها إلى ابنها . وقد حطم موركيو حلقات هذه السلسلة الأثيمة ، بالحرص على فحص اللقطاء فحصاً دقيقـاً ، وإرضاعهم من زجاجات اللبن ، إذا لم يكن بدٌّ من ذلك . وقد أسفر فحص المرضعات وبيوتهن ، عن إقصاء المرضعات اللواتى كنّ يحملن الجراثيم . وقضى على ما عهد من تفشى الأوبئة فى الملجأ بعزل الأطفال الطارئين على الملجأ زمناً معيناً .

وقد أثار موركيو عاصفة من الاستياء والمعارضة حين اقترح أن يلغَى « المهد » ، وهو وعاء أسطوانىّ الشكل ينشئونه فى جدار الملجأ من ناحية الشـارع ، فتلقى فيه الأم وليدها إذا أرادت أن تخلص منه ، ثم تدق جرس الباب ، وتهرع فتختفى عن الأبصار .

وكان أهل أوروجواى يرون أن هـــذا « المهد » أفضل من إلقاء المواليد عند الباب أو قتلهم ، وأرحم بهم . بيد أن موركيو أقام الحجة على أن « المهد » يغرى بالسفاح ، وبيّن أن كثيرين من الأطفال يقضون نحبهم لأن أطباءهم كانوا تعوزهم حقائق عنهم لا يعرفها غير أمهاتهم .

على أن هذه الحملة ظلت تتعثر زمناً بلا طائل ، فتوســل بخطة جديدة . فقد وجد أن كثيرات من الأمهات اللواتى لم يتزوّجن ، يؤثرن أن يكفلن أولادهن لو أتيح لهنّ عمل يرتزقن منه فاتفق معهن على أن يتولين عمل المرضعات وأنشأ مكتباً جديداً لقبول الأطفال فى الملجأ بعيداً عن أعين الناس ، وأغرى كثيرات بالالتجاء إليه ، ويسّر لهنّ الظفر بعمل يعملنه ، وحثهنّ على زيارة أطفالهنّ . ودعا الآباء المترددين كذلك ليزوروا فى الخفاء أبناءهم الذين تحدروا من صلبهم بغير زواج . فكان جزاء موركيو أن زاد عدد الأطفال الذين ينقذون من وصمة اللقيط والتشرد ، ويعدّون للحياة فى الأسرة حياة صحيحة . وبعد زمن صار الناس يزدرون « المهد » وقلّ أيضاً عدد الذين يولدون سفاحاً .

وقد تمّ لموركيو الظفر بتأييـــد طائفة كبيرة من كبار القوم لرأيه : « إن الطفل هو أهم فرد فى الوجود » ، وأقنع الحكومة بأن تنشىء مدرسة لطب الأطفال ، ثم نظم لخريجيها جمعية لأطباء الأطفال كانت فى منزلة دراسة عليا دائمة . وقد ظل بعض تلاميذه يعملون تحت إشرافه حتى جاء أجلهم . فلما ذاعت شهرته صار المتخصصون فى طب الأطفال يشدون الرحال إليه ليأخذوا عنه ، بيد أنه لم يفتأ يصف نفسه بأنه « أقدم التلاميذ عهداً فى هذه الدراسة » ، وكان لا ينى يحذر تلاميذه الذين وخط الشيب رؤوسهم فيقول : « إذا لم تتعلموا شيئاً جديداً كل يوم ، فتلك بداية الموت » .

والطفل فى أوروجواى اليوم طفل لا ندّ له بفضل جهود موركيو . فالقانون لا يعترف بوجود طفل ولد من سفاح ، ولكل وليد حقه فى أن يأخذ اسم أبيه ونصيبه من ميراثه . وصار مجلس الأطفال القـومى ، الذى يعد وصيًّا شرعياً على كل طفل فى أوروجواى ، يمحص أبوة كل مولود ، وينفذ القوانين التى تضمن لكل طفل أن يبدأ الحياة دون عائق شرعىّ يعوقه ، ويكفل للأم المعسرة طعاماً صحياً وافياً فى أثناء الحمل ، وللجنين أن يولد فى دار « المهد » تحت إشراف الدولة . أما الأم العامل فتتاح لها إجازة من عملها : شهر قبل الولادة وشهر بعدها . وتتولى الممرضات زيارة

الأطفـال فى بيوتهم للإشراف على نموهم إذا كان يشق على أهل الطفل أن يلتمسوا معونة الأطبـاء . وقد أنشئت دور خاصة لرعاية أطفال الأمهات العاملات فى ساعات العمل ، حتى يبلغ الصغار السنة الثالثة .

فإذا ما أشرف الطفل على سن المدرسة الابتدائية طُعِّم بالطعوم الواقية من الجدرى والتيفوس والدفتريا والسل . أما الأطفـال الذين بلغ منهم الهزال لسوء تغذيتهم ، والذين يعدون عرضة لعلل الرئة والقلب والروماتزم ، فيرسلون إلى واحدة من المدارس العشرين التى أنشئت فى الهواء الطلق فى أرجاء البلاد ، فيتاح لهم فيها نظام دقيق من الطعام واللعب والراحة . وفى الصيف ينقل ألوف من ضعاف الأطفـال ذكورا وإناثا ، إلى ساحل البحر ، فيقضون أسبوعين كاملين بغير مقابل ، فتحسن صحتهم وتقوى أبدانهم باللعب المنظم والطعام المغذى .

وقد جاوز أثر الجهود التى بذلها موركيو حدود بلاده ، ففى سنة ١٩٢٧ دعا موركيو إلى إنشاء معهد دولى أمريكى لحماية الأطفال ، وذاع يومئذ أثره النافع حتى شمل الشق الغربى كله من كرة الأرض . ومقر هـذا المعهد فى منتيفيديو عاصمة أوروجواى ، وهو عمد بالحقائق النافعة كل متخصص فى طب الأطفال ، وكل هيئة لرعاية الأطفال ، وكل مصلحة للصحة فى حكومات أمريكا اللاتينية. وهو أبداً متأهب لكى يجيب على كل سؤال يوجه إليه عن شئون الطفل الصحية من أصغر طبيب ، ولكى يبدى الرأى فى كل تشريع ، أو فى إنشاء هيئات حماية الأطفال ووسائل تدبير المال اللازم لها .

ودستور القوانين الصحية الذى دعا موركيو إلى سَنِّه فى أوروجواى لحماية حقوق الأطفال ومعالجتهم ، صار اليوم متبعا بعد تعـديلات يسيرة فى معظم دول أمريكا اللاتينية . وأنت تجد اسمه قد أطلق اليوم على مراكز متعددة لرعاية الطفل ، من جمهورية بيرو إلى جمهورية المكسيك .

ويوم مات موركيو فى سنة ١٩٣٥ كان قد صار فى عداد العظماء من رجال الطب . وقد كان أحد القلائل من الأجانب الذين انتخبوا أعضاء فى أكاديمية الطب الفرنسية. وقد عنيت روما وغيرها من المدن العظيمة بتكريمه ، وشيعت أوروجواى جثمانه إلى القبر فى احتفال يليق بوزير خطير ، وأقيمت الحفلات لتكريم ذكره فى طائفة كثيرة من الجمهوريات الأمريكية .

وقليل من الأطباء من خلّف مثل هذا الإرث الضخم لمثل هذا العدد من الناس !



صور غريبة من حياة شعب عجيب

بلاد الصقيع والنار



بليك كلارك

البرد فى أيسلندة بالقدر الذى يوهمه لبس اسمها (أرض الثلوج) ، فمع أن المنطقة المتجمدة الشمالية هى أقصى حدود البلاد من جهة الشمال ، فإن التيار الدافىء المعروف بمجرى الخليج ، يجعل جو أيسلندة أشبه بجو المناطق الواقعة على بعد ٢٥٠٠ ميل إلى الجنوب . وأشد درجات البرد التى عرفتها ريكجافيك عاصمة البلاد ، هى السبع تحت الصفر ، وفى العالم أنحاء كثيرة فى المناطق المعتدلة أشد منها برداً فى فصل الشتاء.

ولما كانت الغدران فى أيسلندة لا يجمد ماؤها ، فقد اضطر ولاة الأمور فى العاصمة أن ينشئوا ساحة من الثلج الصناعى حتى ينزلق عليها الأولاد ليتقنوا رياضة الانزلاق.

وأول مكان رأى فيه الأوربيون ماء ساخناً وبخاراً ينبثقان من جوف الأرض ، هو نقطة تبعد مئة ميل عن مدينة ريكجافيك حيث توجد فوّارة تقذف ماء ساخناً إلى ارتفاع ٢٢٠ قدماً فى الهواء ، وهى تقذفه طول اليوم بلا انقطاع منذ عدة قرون .

ويستدفىء عامة أهل مدينة ريكجافيك بالماء الساخن المستمد من الينابيع الحارة. وقد كانت هذه التدفئة تقتضى قديماً ثلاثين ألف طن كل سنة من الفحم الغالى المستورد من الخارج. وهذه الينابيع الحارة تستعمل اليوم أيضاً لتدفئة ٧٩ حوضاً من أحواض السباحة التابعة للمجالس البلدية . وهنالك برنامج للانتفاع بالينابيع الحارة فى جميع أنحاء الجزيرة ، ومتى أنجز هذا البرنامج فستكون أيسلندة هى البلاد الوحيدة التى

يصبح ثمن الحرارة فيها رخيصاً كثمن الماء .

والماء الساخن الذي يفيض من سخانات البيوت يحول إلى أنابيب المستنبتات الزجاجية وراء مدينة ريكجافيك ، فيساعد ذلك على نمو الطماطم والفلفل والخيار والشمام ، فضلا عن أزهار الخزامى والقرنفل والسوسن وغيرها فى جميع فصول السنة .

وقد استطاع صيادو السمك من أهل أيسلندة منذ عصور متطاولة، أن يستخرجوا وهم فى البحر ماء الشرب من جوف المحيط ، ذلك بأن فى بطن المحيط على كثب من الساحل ، ينابيع ماء عذب ساخن ، وسخونته ناشئة عن نيران البراكين . ومن السهل أن يتجه المرء إلى النقطة التى يتدفق منها ذلك الينبوع ويدلى دلوه فى الماء الفائر ويستقى ماء عذباً .

ويصطاد الصيادون ما لا يقل عن ألف برميل من سمك « الرنجة » كلما خرجوا للصيد . ففى منتصف الصيف يصبح ماء البحر أحمر ، إذ يطفو على سطح الماء عدد هائل من سرطان البحر ، وإذ ذاك تندفع بلايين لا تحصى من أسماك الرنجة إلى حيث تجد الغذاء الوافر . وتتكاثف تلك الأسماك فى الأماكن الضحلة من السواحل ، حتى ليدفع بعضها بعضاً صعداً حتى تراها تصبح ظاهرة على وجه الماء . ويبلغ متوسط ما يصطاده أهل أيسلندة من السمك فى العام تسعمائة مليون رطل ، وهو ما يعادل سبعة آلاف رطل لكل فرد منهم .

وفى أثناء الحرب أمدت أيسلندة بريطانيا العظمى بنحو ٣٥ فى المئة من حاجتها من السمك، وهو يعادل تسعة أعشار صادرات أيسلندة من السمك .

ومنذ وضعت الحرب أوزارها أخذ ما تصطاده السفن البريطانية من السمك يزداد بالتدريج ، وأخذ ما يستورد من أيسلندة ينقص . أما روسيا فقد صارت من أهم عملاء أيسلندة . والأرجح أنها ستشترى فى هذا العام نصف ما تصطاده أيسلندة من السمك. واتساع نطاق التجارة بينها وبين روسيا قد أفضى إلى نمو نفوذ الحزب الأيسلندى الشيوعى ، فقد أصبح عدد أعضائه فى مجلس النواب عشرة من مجموع عدد الأعضاء وهو اثنان وخمسون .

ويستطيع المرء فى أيسلندة أن يصطاد سمكا مطبوخاً معداً للأكل، ذلك أن بجوار مكان فى البحر يعرف باسم « لوجار » نبع ماء غالٍ يتدفق فوق ماء بارد من جدول

يجرى من أحد الجبال . فيصطاد الصياد سمكة من الماء البارد ثم يغطسها فى الماء الغالى ، ثم يخرجها مطبوخة معدة للأكل وهى لا تزال عالقة بالصنارة .

وأيسلندة من أصح بلاد العالم ، ففى سنة ١٩٤٤ هبطت نسبة الوفيات فيها إلى ٩ر٤ فى الألف ، وهو الرقم القياسى فى ذلك العام . وفى سنة ١٩٣٨ سجل الأيسلنديون نسبة منخفضة لوفيات الأطفال بلغت ٢٧ر٨ فى الألف فى السنة الأولى من حياة أولئك الأطفال . ومع أن مرض السل هو فى مقدمة الأمراض التى تودى بحياتهم ، فإن ظله قد أخذ يتقلص بفضل البرنامج الهائل الذى يحرص الأهالى على تنفيذه لمحاربة ذلك المرض فى أدواره الأولى . أما ثانى أسباب الوفاة فهو الشيخوخة .

وأهل أيسلندة من أوائل الشعوب الغربية التى استعملت الطباعة ، وذلك فى سنة ١٥٣٠ . وقد بلغ عدد الكتب المطبوعة التى ظهرت فى أيسلندة قبل سنة ١٦٠٠ أكثر من أربعين كتاباً . وقد اتفق النقاد على أنه ما من بلاد ، سوى اليونان قديماً ، بلغت فيها الآداب هذا المستوى الرفيع الذى بلغته فى أيسلندة . ففى قرن واحد اشتهر فيها ثمانية وعشرون رجلا من أعلام الأدب الذين ترجمت مؤلفاتهم إلى اللغة الإنجليزية . وحامل لواء الأدب فى الوقت الحاضر هو « هالدور لاكسنس » ، وقد كانت رواية « الشعب المستقل » من أروج الكتب فى الولايات المتحدة فى سنة ١٩٤٦ .

وليس للأمية أثر فى أيسلندة ، فكل شخص بالغ قادر على القراءة والكتابة ، والقوانين الخاصة بالتعليم تنفذ بكل شدة . والأولاد الذين يسكنون فى جهات نائية فى الأرياف ، يجتمعون معاً فى أحد الحقول بضعة أسابيع ، ثم ينتقلون بكتبهم وأقلامهم إلى حقل آخر ، ويتولى أحد المعلمين الإشراف على تعليمهم .

ولو عاد تشوسر (الشاعر الإنجليزى الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر) إلى لندن اليوم ، لما فهم الإنجليز كلمة مما يقول ، ولكن لو عاد « إريك الأحمر » — شاعر أيسلندة الذى عاش قبل تشوسر بخمسمئة سنة — لاستطاع أهل ريكجافيك أن يفهموا عنه بكل سهولة . ذلك لأن لغة الأيسلنديين لم تتغير إلا قليلا ، بحيث يستطيع طلبة المدارس العالية أن يفهموا مخطوطات القرن الثالث عشر كما يفهمون أى صحيفة تنشر فى الوقت الحاضر .

أما جامعة أيسلندة فقد أنشأها طائفة من المقامرين وبنوها بأموال جمعوها من بيع أوراق اليانصيب الوطنى ، وكان ثمن الورقة نحو ١٨ قرشاً ، وكان الأهالى يتخاطفون هذه الأوراق ، ولا يزال ذلك إلى اليوم ، فيتم السحب مرة كل شهر. وتختلف الجوائز من ٢٥ ريالا إلى ١٥٠٠٠ ريال. وقد أنشىء هذا اليانصيب سنة ١٩٣٣ ، وبلغ دخله فى سبع سنوات ٥٠٠٠٠٠ ريال. وللجامعة ريع آخر من أرباح مسرح للسينما بمدينة ريكجاڤيك.

إن أيسلندة هى فردوس الفنانين ، ففى كل منزل من منازل أهلها صورة من صور المناظر الطبيعية من تصوير أحد رجال الفن الأحياء . وهنالك لجنة برلمانية تدفع أجوراً مقررة لمشهورى المصورين والنحاتين والكتّاب والمؤلفين ، كما تدفع إعانات لغيرهم ، وقد اشترت نحو ٤٠٠ صورة للمتحف الوطنى من عمل كبار المصورين المعاصرين . وكل شخص — حتى جماعة السكيرين — مجبر على مساعدة الفن .

والغرامات التى تفرض على الذين يخالفون قانون المسكرات ، تضاف إلى الأموال الموقوفة على الفنون .

ومنذ أكثر من ألف سنة ، أيام كان الاستبداد هو نظام الحكم الوحيد فى العالم ، كان لأهل أيسلندة مجالس محلية ومجلس نيابى كبير يسمى آلتنج. وقد ظلت أيسلندة هى الجمهورية الوحيدة المستقلة فى العالم نحو ٣٠٠ سنة ، ثم دخلت الجزيرة تحت حكم النرويج ثم الدنمرك . ولما غزت ألمانيا الدنمرك فى الحرب العالمية الثانية ، عادت أيسلندة جمهورية مستقلة مرة أخرى .

وفى سنة ألف بعد الميلاد دان أهل أيسلندة بالمسيحية بعد مناقشة عظيمة فى المفاضلة بين المسيحية والوثنية ، فى اجتماع عام عقده المجلس النيابى وحضره كل فرد من أهل الجزيرة تقريباً .

ولما وصل الفريقان المتناقشان إلى مقطع الخلاف بينهما ، اتفقا على تحكيم «ثورجير» أحد الزعماء الشيوخ. فظل هذا الزعيم يومين متواليين يدرس المسألة فى خيمته ، ثم حكم بوجوب اتخاذ ديانة واحدة هى المسيحية ، على أن يؤذن للذين يأبون قبول هذه الديانة بأن يعبدوا آلهة الشعوب الشمالية سراً فى خلواتهم. وقد أعلن أحد الزعماء أنه سيدين بالنصرانية وهو على البر ، أما إذا كان فى البحر فعبادة « أودين » (كبير الآلهة فى أساطير الشمال) هى التى تجعله يشعر بالطمأنينة والأمن .



إن منطق الحيـوان يملأ نواحي الغاب ، ومن أمتع الأشياء أن يحرص المرء على دراستها وفهمها .

لغة الحيوان في الغاب



ألن ديفو
من "نيتشر مجازين"

وقفت مستتراً ببعض الشجر أرقب ثلاثة من صغار الثعالب تلعب ، وأمهن على باب الوجار تتبعهن البصر راضية مطمئنة ، وإذا بصغير من الثلاثة يعدو موغلاً في المرج ، وكان أصغر من أن يباح له أن يخرج وحيداً يطوف في أرجاء هذا العالم . فاستوت الأم قائمة ، و « سددت » أنفها إلى الناحية التي ذهب فيها — وبقيت على هذه الهيئة ساكنة صامتة لاتتزحزح . ولم يند عنها صوت يسمع ، ولكن لم ألبث قليلاً حتى رأيت الصغير عائداً أدراجه ، فتلفت يمنة ويسرة ثم سدد بصره إلى أمه ، فلم تحول بصرها عنه ، وإذا الصغير يسرع إلى وجاره كأنما كانت تجذبه بخيط لاتراه العين .

ومضت سنوات فعثرت على قصة مثلها رواها عالم مشهور من علماء الحيوان ، ثم لاحظت أيضاً أشياء شبيهة بهذا الذي رأيت، فكان مثل هذا التفاهم بحديث لايسمع له صوت ، حافزاً لي إلى تقصي تلك الأعجوبة التي لاينقضي منها عجب — ألا وهي لغة الحيوان في الغاب .

يتفاهم بعض الحيوان بأسلوب شبيه بأسلوب البرق (التلغراف) ، وقد أتيح لي مرة أن أتسمع محادثة جرت دون صوت يسمع أو إشارة ترى . وبعض الحيـوان يبين عن نفسه بالإشارة والحركات .

فالنحلة العاملة إذا وجدت زهرة حافلة بالرحيق ، عادت طائرة إلى الخلية، ثم تشرع ترقص محومة في الفضاء رقصاً غريباً خاصاً يدل دلالة واضحة على معنى رسالتها المستعجلة . فيفهم سائر النحل فحوى هذا العمل ، فإذا به ينضم إليها واحدة في إثر واحدة ، ثم لايلبث الجمع أن يندفع كله قاصداً ينبوع هذا الرحيق .

والأرانب إذا أرادت التعبير عن الغضب والهلع ، ضربت وجه الأرض بأرجلها

ضرباً شديداً . وللفأر الضئيل الجسم الأبيض القـدمين أسلوب كهذا فى التعبير عما فى نفسه ، ومن عادة هذا الفأر أن يحوز لنفسه قطعة من أرض الغابة يجعلها حمىً محرّماً على سواه ، فإذا اعتـدى على أرضه معتدٍ من فئران أخرى غازية ، أرسل هذا الفأر صوتاً ينهاها عن انتهاك حماه .

وإذا وطىء عالم الحيوان مخلوقٌ يُخشى شرُّه ، كالإنسان مثلاً ، فللحيوان عشرات من الأسـاليب فى تناقل الإنذار بمجيئه . فربما كان الغراب مثلاً أول من يلمح هذا الخطر ، فإذا به ينعبُ محذّراً منذراً ، فلا يلبث سائر الطـير والسناجيب أن تتناقل هذه الرسالة وتذيعها فى كل مكان .

وأنثى البط البرىّ ترسل النذير بالخطر إلى قومها ، بأن ترسل صـوتاً أجش ثم تنطلق مسرعة فى الجوّ . أما الحَجَل فيطير مسرعاً مسافة قصيرة متنقلاً من شجرة إلى شجرة وهـو يصفق بجناحيـه تصفيقاً شديداً . وأنثى الدببة إذا أرادت أن يسرع إليها ولدها نازلاً من أعلى شجرة تسلّقها ، ضربت بكفها جذع الشجرة . أما القُنْدس ساكن الماء ، فهـو إذا فزع ضرب وجه الماء ضرباً شديداً بذنبه الضخم.

ويذكر علماء الحيوان أن الذئب إذا زاد طعامه عن حاجته ، دفن جزءاً منه فى التراب وخلّفَ هناك شيئاً من رائحته عالقاً بالمكان ، فيفهم سائر الذئاب فحوى رسالته حق الفهم . والذئب « يفصح عن نفسه » مرّةً بعد أخرى بأن يخلف رائحته حيث يريد ، فتفهمها الذئاب أجـود الفهم ، كما يفهم الرحالة من الناس إذا قرأ مذكرات كتبها رجل سبقه إلى هذه الرحلة .

والذئاب والثعالب — وهى فى الحقيقة من فصيلة الكلاب — تعيش فى عالم لا تعدّ أرضـه أرضاً وحسب ، بل هى « أرضٌ مفعمة بالرائحة المعبِّرة » . ويقول الأستاذ ف . بايتندجك الهولنـدى الذى تولى التجارب الشهيرة فى دراسة نفسية الكلاب إن الكلب مشغولٌ أبداً « بحديث » لا ينقطع بينـه وبين سائر الكلاب التى فى ناحيته ، وذلك بأن يحرص كل الحرص على التشمُّم والتنقل من شجرة إلى شجرة .

وليس « الكلام » قاصراً على الحيوانات السامية ، فالسرطان الذكَرُ يتكلم بكلام الحبّ بأسـلوب يروعك قرب شبهه من أسلوب البشر . فهو إذا أراد أن يتودد إلى الأنثى رفع مخلبه الضخم ولوّح لها به ، فإذا اقتربت منه أخذ يرقص حولها على أطراف أصابعه وهو يضرب الهواء بالمخلب الضخم مشيراً بإشارات متتابعة كأنه يعـبر عن عواطف ثائرة لا يطيق الإفصاح عنها ،

وقلما يخفق فى أفهامها معنى ما يريد .

والأساليب التى يلجأ إليها الحيـوان فى التعبير عن نفسه كثيرة مختلفة كاختلاف هذه المخلوقات نفسها وكثرتها . فأنثى الظباء إذا أرادت أن تقول لخشفها : « اتبعنى » ، شالت بذيلها الكث مرةً واحدةً ، حتى يُرى بياضه الباطن . والخنفساء إذا أرادت أن تعبر عن المخافة ضربت جدار جحرها فى الشجرة برأسها حتى يُسمع له صوت . وأنثى الحُباحب (حشرة مضيئة فى الليل) تصعد عند الغسق إلى رأس ورقة من العشب وترسل من مؤخر بدنها بريقاً متتابعاً ، إذا رآه الذكر علم أنها تدعوه إلى نفسها .

والطائر الطنان الذكر يعبر عن حبه للأنثى بلغة هى شعر محضٌ وعاطفة ، فهو يستقلّ فى الهواء على جناحين يرتعشان ، ثم يظل يترجح أمام عينى الأنثى كأنه رقاص ساعة ، ثم يشتدُّ مبعداً فى ترجّحه من طرف إلى طرف ، ولايزال يعلو ثم يعلو حتى تراه ينقذف فجأة إلى أعلى مصعداً إلى أكثر من ٦٠ قدماً . ويحوم لحظة فى أجواز الفضاء ، وإذا به ينقضُّ فجأة فيحوم أمامها وهو معلق يلمع كأنه درة متلألئة .

ومن أعجب أساليب التفاهم بين الحيوان ، هو أسلوب الحديث بين الطائر الذى يسمى « الهادى إلى العسل » والحيوان المعروف باسم « أبو كعب » أو آكل العسل . فهذا الطائر يحب أكل يرقات النحل حتى تكون كالدود ، وآكل العسل منهومٌ بحب العسل . والطائر الهادى إلى العسل لا قِبَل له بالتغلب على جماعات النحل الثائرة الساخطة ، أما آكل العسل فهو قصير الرجلين فلا يستطيع أن يقطع المسافات الطويلة بحثاً عن خلايا النحل ، فترى الهادى إلى العسل يطير مطوّفاً فى أنحاء الغابة باحثاً عن شجرة فيها خلية نحل ، ثم يرتد مسرعاً إلى ذلك القابع الصابر فيحوم فوق رأسه وهو « يقول » له بصوت رفيع عال : « شِرْ ، شِرْ » ، ويدلفُ آكل العسل متثاقل الخطو على أثر الطائر المرفرف بجناحيه . ولما كان هذا الحيوان فى وِقاءٍ من جلده الكثيف الشعر فلا يضره لسع النحل ، فهو يهجم على الخلية ويمزقها إرباً إرباً ، ثم يجتمع هو والطائر على المائدة الشهية .

ونمل الشجر فى المناطق الاستوائية « يتكلم » فينتقل كلامه من شجرة إلى شجرة ، وذلك بأن يدق دقاً شديداً على لحاء الشجر وورقه حتى يسمع لدقه صوتٌ كأنه صوت انهمار رَذاذ من مطر . أما أسراب الفيلة فلا تكفُّ لحظة عن غمغمة تسمع من حديث وإشارة : وهى لغة أداتها الإشارة بالآذان والخراطيم . وفى أمريكا رجل اسمه

جاك ماينر متخصص فى دراسة الإوزّ البرى، وبلغ من علمه بلغتها أن أصحابه يزعمون أنه يستطيع أن يدعو سرباً طائراً من الإوز إلى النزول حيث يختفى ، بأن « يخـبر » الإوزّ، على طريقتها ، بأن ههنا بركة صالحة وطعاماً وافراً .

وقد استطاع بعض علماء الحيـوان أن « يحادثوا » الدببة والأيايل والبوم . وقد عرفت رجلاً من قدماء الحطابين ، وهو اليوم يسكن المدينة ، يتسلى فى الحين بعد الحين بأن يطل من النافذة ويتكلم بكلام الذئاب ، فما هو إلا أن ترى الـكلاب التى ظلت أليفة قروناً متطاولة ، قد نسيت هذا الإلْـفَ ، ووقفت شاخصـة متحفـّزة قد ثارت واستجابت للغـة أسلافها القدماء فى الغابات .

وأغرب كلام الحيوان هو مايكاد يكون تفاهما بغير صوت أو رائحة أو إشارة أو أى حركة أخرى . وقد ذهب بعض علمـــاء الحيوان إلى أنه ضربٌ من الاستشفاف « تلبثى » ، وذهب آخرون إلى أنه ليس إلاضرباً من الحواس اللطيفة التى بلغ لطفها مبلغاً تعجز عن إدراكه حواس الإنسان . وينكرآخرون ذلك كله إنكاراً باتاً . وأستطيع أنا أن أروى ، غير متحيِّز إلى فئة ، خبر هرّتين عندى هما « سيم » و « سام » بينهما علاقة لاتنفصم من الأخـوة والودّ . وهما لا يختلفان أو يفترقان إلا فى شىء واحد : فإن « سيم » يحب الخروج إلى الصيد ، أما « سام » فيحب الـكسل ، فيقضى الساعات قابعاً فى البيت ، ولـكن بعد الشُّقة بينهما حين يفترقان ، لا يمنع فيما يظهر أن يظل بينهما ضرب من التفاهم والاتصال .

فقد يخرج «سيم» أحياناً يتصيَّـد فيغيب نصف يوم ، وإذا بى أرى « ســام » يهب من مضجعه على مكتبى يقظان فزعاً ، ويرفع أذنيه متلهفاً ، ويميل برأسه كالمنصت المصغى، وماهو إلا أن يعدو نحو الباب ، فإذا فتحت له الباب انطلق كأنه سهم مقـذوف ، إلى الحقول تارة وإلى الغابة تارة أخرى .

ولو بدا لى أن أخرج فى أثره، لما خامرنى ريبٌ فيما سوف أجد . فهذا الصياد «سيم» قد ولى وجهه شطر البيت ومعه صيد صاده لساعته ، فعرف « سام » خبر صاحبه ، وإن كنت لاأدرى كيف عرف .

قد تقول إنه عجبٌ لايصدق . نعم ربما كان كما تقول ، ولـكن ما أكثر مانجهـل مما يدور فى طوايا حواس الحيوان ونفوسها، حتى لترى أن أكثر العلمـاء علماً وتجربة لايصر إصرار العنيد على إنكار اللغة الصامتة التى يتفاهم بها حيوان الغاب ، أيًّا كانت طبيعة تلك اللغة .

فى الدفاع عن طابع مسكين ، صدم الاستبداد صدمة لا تزال أصداؤها ترن إلى يوم الناس هذا .

قضية زنجر

الصحافة أمام القضاء

دونالد كلروس پيتى

افرض أن صحيفة « نيويورك جورنال » نشرت على قرائها أن حاكم نيويورك رجل مرتش ، ثم افرض أن محرر الصحيفة ألقى بعد أيام فى غياهب السجن ، وأن أعدادها جمعت من حيث تباع ، وأشعلت فيها النار ، فلم يبق فى البلد سوى صحيفة واحدة هى لسان الحكومة تأتمر بأمرها .

نعم كل هذا من باب الفرض فى أيامنا هذه ، ولكنه كان حقيقة واقعة قبل أن تقررت فى أمريكا حرية الصحافة . وقد كان الموظف المرتشى هو وليم كوسبى حاكم مستعمرة نيويورك البريطانية باسم ملك الإنجليز ، وكان مشهوراً بقسوته ، وبأنه يمد يده إلى خزينة المستعمرة ، ولا يتحرج من ابتزاز المال من أفراد الشعب . أما محرر صحيفة «الجورنال» ، أو بالحرى طابعها ، فقد كان جون بيتر زنجر ، وقد كان ذلك فى سنة ١٧٣٥ فى اليـــوم الرابع من شهر أغسطس ازدحمت غرفة المحكمة بجمهور متلهف — أو بتلك الفئة من الشعب التى أدركت أن قضية هذا الطابع المجهول هى قضية الشعب كله . وكان الرجال الذين جلسوا على منصة القضاء من أتباع الحاكم ، وكان الحاكم نفسه قد أقال رئيس المحكمة الأمين النزيه ، حتى يخلو له الجو ليضطهد الناس كما يشاء ، ثم حظر على أبرع محاميين فى المستعمرة أن يترافعا حين تقدما للدفاع عن المتهم . وإذن فمن يجرؤ الساعة على الدفاع عنه ؟

ذلك بأن حرية المرء فى أن يطبع مايراه ، لم تكن يومئذ سوى شعاع خابٍ من الضوء ، مع أن أهل الدول الديمقراطية اليوم يعدونها شيئاً مألوفاً . وقد فرض الملك هنرى الثامن نظام الرقابة على الكلام المطبوع قبل انقضاء زمن طويل على دخول الطباعة فى إنجلترا .

بل انظر إلى هؤلاء الرجال الأحرار الذين هجروا أوربة إلى أمريكا لينشئوا فيها دولة

حرة ، إنهم كانوا لايفهمون الحرية إلا فى نطاق ضيق — أن يكون المرء حرًّا فى نشر ماترضى عنه الأقلية الحاكمة، ومايوافق آراءها . ولم يكن فى مستعمرة نيويورك فى عهد حاكمها كوسبى سوى صحيفة واحدة اسمها « الجازيت » ، وكان يصدرها رجل كان محتكراً لمطبوعات الحكومة . أى أن الحاكم كان يقبض على زمام الصحافة والقضاء بيده القاسية الملوثة .

فلذلك عمد فريق من الأحرار إلى إنشاء صحيفة «الجورنال» لكى يفضحوا فى صفحاتها فساد الحكم ، وجعلوا مقرّها فى مطبعة زنجر، وكان زنجر نفسه يكتب بعض مقالاتها اللاذعة . نعم إن زنجر لم يكن كاتباً مجيداً ، ولامحدثاً يقيم الكلام على أصوله الصحيحة ، ولكنه كان رجلاً كريم النفس أبياً على الظلم. وكان قد رحل إلى نيويورك من ألمانيا وهو فى الثالثة عشرة من عمره ، وكان حظه من الثقافة قليلاً ، ولكنه تجرأ على طبع الأصول التى جاءه بها أصدقاؤه الأباة ، فلما طبعها وقعت تبعة طبعها على كاهله دون غيره . فلما أمر الحاكم بأن تشعل النار فى نسخ « الجورنال » أبى زنجر أن يكفّ .

ذلك بأن الحق لا ينقلب رماداً ، وقد كان الجمهور يقف أمام النيران المتأججة ، ويقرأ على ضوئها الطبعات الثالثة والرابعة من صحيفتهم التى لاتخاف فى الحق شيئاً . وازداد مايباع من الصحيفة كل أسبوع ازدياداً مطرداً ، فضاق الحاكم بها ذرعاً ، وقررّ فى آخر الأمر أن يودع زنجر غياهب السجن ، وجعل مبلغ الكفالة لخروجه منه باهظاً يُعجز أغنى الناس ، ولاسيما بعد أن حظر عليه أن يتصل بالمحامين ، أو أن يكلم أحداً من الناس سوى زوجته ، وذلك من خلال ثقب فى الباب .

كانت أنة زنجر زوجة تضاهى زوجها شجاعة وإباء ، فمضت فى إصدار الصحيفة تلبية لطلب زوجها ، ولم ينقطع عن الظهور سوى عدد واحد منها . ولكن زنجر واقف اليوم فى المحكمة وعليه عيون القضاة التى لاترحم ، وهو متهم بجريمة كبرى ، وليس له وسيلة للدفاع عن نفسه .

أو هكذا ظن الحاكم ، ولكن الجمهور المحتشد فى غرفة المحكمة الحارّة ، انشقّ ليفسح الطريق لشيخ أشيب الشعر، منحنى الظهر ، يسير بخطىً وئيدة . هذا محامى الدفاع — آندرو هملتون ، أشهر المحامين فى المستعمرات . فقد سمع بمأساة الطابع المسكين ، فرحل على الرغم من الآلام التى تنتابه رحلة شاقة مسافة مئة ميل من مدينة فلادلفيا إلى نيويورك . وقد ظلّ وجوده فى غرفة المحكمة سراً مكتوماً ، ولعل ظهوره

فيا ذلك الظهور الرائع أذهل القضـاة ، وإذا بالوجوه المتغطرسـة قد انقلبت حمراً تحت الشعور العارية البيضاء ، وإذا المحلفون، وهم من عامة الناس ، قد أخذ بعضهم ينظر إلى بعض نظرات تنبيء باهتمام متجدد .

وقد كان آندرو هملتون مهندساً بنَّاء، وهو الذى وضع تصميم « دار الاستقلال » المشهورة فى تاريخ أمريكا ، ولـكنه وضع أمتن بناء وأبقاه يوم وضع الأساس لحقٍ من أعز الحقوق على البشر وأثمنها .

ومع ذلك كان النائب العام برادلى لايزال مقتنعاً كل الاقتناع بأن القضية التى أعدها لايأتيها الباطل ، ساعة وقف وقال للمحكمين قول المتعالى إن الموضوع المعروض عليهم للفصل فيه هو هـذا ولاشىء غيره : هل تولى زنجر طبع الأشياء الـكاذبة التى تحتوى على قذف فى الحاكم الملكى ؟ أما هل تنطوى هذه الأقوال على صدقٍ وحقّ ، فشىء لايسمح للمحكمين أن ينظروا فيـه .

كان هملتون الشيـخ خبيراً بأساليب المحاكم، فوقف وفى وقفته عزة ووداعة وقال : « حضرات القضاة ، إننى أوافق النائب العام على أن الحـكومة مقدسة ، ولـكننى أخالفه فى أن الشكاوى العادلة التى يتقدم بها شعب يعانى حكومة فاسدة ، تعدُّ قذفاً » .

فصاحت النيابة : « هذا كلام سخيف ، والقوانين التى أصدرها الملك تشارلز الأول تقضى بأن كل نقـد يوجه إلى موظف فى الحـكومة قذف، سواء أصدق أم لم يصدق» .

فردَّ هملتون فى لهجة الرجل الرزين : « إن ذلك لا يمكن أن يكون ، فالاتهـام الذى صـدر فى حق زنجر ذكر أنه نشر مطاعن كاذبة ، فـكلمة « كاذبة » لم تكتب عبثاً فى قرار الاتهام » قال : « فإذا دعيت الحقيقة قذفاً ، كان ذلك سيفاً فى يد ملك شرير ، أو جبان فاسد ، يهلك به الأبرياء » .

فهاج النائب العام وقال : « كن حذراً يامستر هملتون فيما تقول ، إياك والشطط »

فقال هملتون وهو يبتسم : « حقاً ، حقاً إن رجال الحـكم لا يُعْـفون من الأخذ بأصول العدالة . وقد يكون فى وسعنا أن نقنع الحاكم بأن مصلحته تقتضيه أن يكون عادلاً . ولـكن ماقيمة هذا كله إذا فرض السكوت على كل رجل يتظلم ، أو إذا اتهمنا بالقذف كلَّ رجل يبث شكواه ومظالمه لجاره ؟ »

فقاطعه أحد القضاة منتهراً وقال : « إن القانون واضح لا لبس فيه ، فالقـذف قد يكون قذفاً ولو كان صحيحاً ، والصدق يزيد من فظاعة الجريمة متى قيل الصدق فى حق موظف من موظفى الملك . فليلزم هملتون الصمت فى هذه المسألة . ولن يصغى القضاة إلى حجته » .

فانحنى هملتون وقال : « أشكر لحضرة القاضي ماقال» . ثم تحول حتى واجه المحكمين وصاح: «ياحضرات المحكمين، إليكم نلتفت الآن للظفر بشهود على صحة الحقائق التى عرضناها ، ثم حُظرت علينا حرية إقامة الدليل عليها . إن الحقائق التى نحن على أهبة إقامة الدليل عليها ذائعة مشهورة ، فلا مَلاذ لسلامتنا سوى عدلكم . ولما كانوا قد أنكروا علينا حرية إقامة الدليل على صحة ماشرنا ، فإننى أستأذنكم فى أن أقرر أن منع الدليل ينبغى أن يعدّ أقوى دليل » .

وفى وسعنا اليوم ، وقد انقضى قرنان من الزمان ، أن نسمع صوته الرنان ونحس السكوت اللهوف المخيِّم على المستمعين . كانوا قد أصغوا إلى النائب المتعجرف بشعره المستعار، وألفاظه القانونية ، وثيابه الموشاة، فلم يغلبهم مارأوا وماسمعوا على عقبولهم . ولكن هذا الشيخ قد استأثر بعنايتهم ساعة قدح الحقائق بالحق فطارت شرارة الحرية .

صاح هملتون: «إن المسألة المعروضة عليكم ليست مسألة قليلة الخطر أو مسألة خاصة ، وهى ليست قضية طابع مسكين تحاكمونه الآن. كلاَّ ! بل هى مسألة قد يكون لعواقبها أثر فى حياة كل إنسان. إنها لأكرم قضية ، إنها قضية الحرية ؛ وكل رجل يؤثر الحرية على الاستعباد سوف يجلكم ويكرمكم ، لأنكم رددتم عدوان الاستبداد بحكم نزيه ، ولأنكم وضعتم أساساً نبيلاً يضمن لنا ولذريتنا ولجيرتنا ذلك الحق الذى منحتنا إياه الطبيعة وأقرته لنا الشرائع ، حق فضح السلطة المستبدة ومقاومتها بقول الحق وكتابته » !

تأججت النار فى صدور القضاة ، وإذا رئيس المحكمة يجمل فى عبارات مثقلة بالتهديد ، خلاصة التهمة للمحكمين ـ فكأنه يوجههم إلى الحكم على زنجر بأنه مذنب .

وخرج المحكمون من مقصورتهم ، فلم تكد تنقضى دقائق حتى عادوا وأصدروا قرارهم بالبراءة . فهز الهتاف أرجاء المحكمة حتى عجز القضاة عن إقامة النظام . وفى اليوم التالى أطلق سراح زنجر، أما الحاكم كوسبى فقد هاله أن تفسد خطته، وأن يهان ، فمرض ومالبث طويلاً حتى مات . وطبعت خطبة هملتـــون ووزعت فى جميع المستعمرات الأمريكية ، وقرأها أحرار إنجلترا باهتمام عظيم ، وكان لها أثر كبير فى بلاد كثيرة .

وهذا المجهود الذى بذله شيخ شجاع منذ زمن طويل آتى ثمره ، فلما وضع الدستور الأمريكى نص فيه على حرية الصحافة فى التعديل الأول لبيان حقوق الإنسان. ومنذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا ، لم يستطع أحد من أهل الحكم أن يقضى على حق الصحافة الأمريكية فى نقد الحكومة مهما كان النقد مرًّا لاذعاً .



ذكرى خالدة

ماري هاريسون سنكلر

لم يكد ينقضى يومان على مأتم أمى حتى ذهبتُ لزيارة صديقتها الأثيرة عندها السيدة ميبل بارتون . وقد خلفت أمى عند وفاتها شيئاً قليلا لا يذكر من المال ، ولكنها خلفت ثروة عظيمة من الذكريات المحبّبة والصداقات الكريمة والأثر الطيّب النافع ، فصحّ عزمى على أن أصنع شيئاً خاصًّا لتخليد ذكرها .

وقالت ميبل فى لهجتها الهادئة : « أودُّ أن أروى لك قصة عساها أن تعينك على ما تريدين :

« مات أبواى فى بحر أسبوع واحد ، فقد قتل أبى فى حادثة سيارة ، وقضت أمى نحبها على أثر نوبة قلبية ، فجزعت أعظم الجزع ، وألح علىّ الشعور بالوحشة وبالنقمة على الحياة . فقد كانا فى الستين من العمر ، وكانا كما كانت أمك زوجين ترفُّ السعادة عليهما ، ولا يبرحان يسديان الخير لمن يحيط بهما من الناس .

« وكنت أعرف شيوخاً وعجائز فى السبعين والثمانين لا يتصفون بهذه السجايا ، فجعلت أسأل نفسى لِمَ تبقى الحياة على أهل الأثرة والعجز الذين لا يسدون يداً إلى أحدٍ من الناس ، ولا يفيضون البهجة على أنفسهم ، ثم تقضى على أبوىَّ المحبوبين فى إبّان نفعهما والحاجة إليهما ؟

« وذات يوم طلب منى أحدهم أن أزور مسز فاريدى ، وهى عجوز مشلولة فى الرابعة والثمانين من عمرها لا تبرح سريرها ، فقد كانت أحد المرضى الذين تولى أبى علاجهم فحملتنى تلك الزيارة على أن أبدّل نظرتى إلى الحياة .

« وقد أخبرتنى مسز فاريدى عن عيادة أبى لها ، وما كان لها من قيمة فى نظرتها ومن أثر فى حياتها ، فألفيت فى كلامها نشوة الزهو ووقع التوبيخ فى وقت واحد .

« قالت : ونحن إذا تقدم بنا العمر يا عزيزتى ، كنا خليقين أن نحسّ بالوحدة والوحشة . وقد سبقنى إلى الدار الآخرة

معظم أصدقائى وأقربائى منذ زمن بعيد ، فما خطر لى ببال أن أجد فى الحياة صداقة كالصداقة التى أنعم بها علىّ أبوك وأمك .

« كان أبوك يزورنى مرة فى الأسبوع ، مع أن بدنى المتهدم لم يكن فيه مكان لعلاج طبيب، وأنت تعلمين كيف كان طبيباً مرهفاً. ثم كانت أمك تعرّج علىّ فى يوم الثلاثاء من كلّ أسبوع ، فتلبث عندى هنيهة يفيض منها النور المشرق على حياتى ، حتى يكون موعد زيارتها التالية . وكانت تجيئنى بكتاب فى كل مرة ، وكنت أحب القراءة كما تعلمين . وكانت فى أكثر الأحيان تقرأ لى بضع دقائق ، فإن لم تفعل اقتصرت زيارتها على الحديث ، فكانت تنقل إلىّ أخبارك وأخبار الأسرة جميعاً ، حتى صرت أجدنى أعرفك يا بنيتى حق المعرفة .

« فلذلك أريد أن أعطيك هدية صغيرة ولما كان أبوك قد امتنع عن أن يطلب منى ما يستحق له عندى من أتعاب ، فإننى أريد أن أعطيك ما وفرته وادخرته من المال فى الأشهر الستة الأخيرة ، حتى يكون لى نصيب يسير فى أى عمل تقدمين على عمله باسمهما . »، وإذا بها تدس لى فى يدى بضع أوراق وقليلا من النقد — وكان مجموعها ٤٧٥ قرشاً .

« وقد أطلعت صديقة لى على هذا الحادث الذى يثلج الصدر ، فاقترحت علىّ ما ينبغى أن يكون التذكار الذى أقيمه لأبوىّ . إنها لم تقترح أن أقيم نصباً لهما ، ولا أن أتولى الإنفاق على غرفة فى المستشفى باسمهما ، ولا أن أنشىء نافذة من الزجاج الملون فى بيعةٍ فيكون ضوءها المتوهج مذكراً بحياتهما المشرقة. فقد كان أبواى لا يقصران زيارتهما على مسز فاريدى من أجل الترفيه عنها ، بل كانا يزوران جميع الشيوخ والعجائز الذين ينتهى خبرهم إليهما ، فعزمت أن أقف عصر يوم الثلاثاء من كل أسبوع على زيارة الشيوخ والعجائز الذين تستبد بهم الوحشة ، وأن تكون هذه الزيارات تذكاراً أقيمه فى دخيلة نفسى لأبوىّ المحبوبين .

«وقد ذهبتُ فى أول الأمر لزيارة بعض أصدقائهما ، فوجدت من ترحيبهم بى ما أفاض الإشراق والسكينة على حياتى التى أقضى معظمها بين أولادى ولداتى . ثم أضفت إلى كشف زياراتى أسماء آباء ثلاثة من صديقاتى هُصِر غصن حياتهنّ فى ميعة صباهنّ ، فكان يسرُّهم أن يستقبلوا سيدة كانت صديقة لبناتهم .

« وقد صار لى اليوم أصدقاء فى ملجأ العجزة ، وهم كمثل مسز فاريدى رجالٌ ونساء تستبدُّ بهم الوحشة ، وقلّ فى الدنيا

ما يستأثر باهتمامهم ، حتى لتراهم يقدرون أحسن تقدير من يذكرهم. ومنذ أيام ذهبت شقيقتى لزيارة سيدة فى الحادية والثمانين ، فأطلعتها كالمزهوّة على بطاقة تحية كنت قد أرسلتها إليها منذ ست سنوات يوم كنت فى إجازة . وقد احتفظت بها هذه السنوات الطوال .

« وقد أحمل أحياناً بعض الهدايا الصغيرة إلى من أزورهم ، وقد يكون ذلك مجلة تحتوى مقالا فى موضوع يهمهم ، أو قصاصة من صحيفة فيها ذكر لأبناء صديق من أصدقائهم . وأنا أضيف إلى المال الذى أعطتنى إياه مسز فاريدى بعض ما أستطيع ادخاره فى الحين بعد الحين ، ثم أقترض منه لأشترى هدايا أحملها إلى من أزورهم ، كطاقة من الورد ، أو بعض الصوف لأشغال الحبك ، أو سترة من صوف تلبسها السيدة التى لا تبرح فراشها ، أو دفتراً للصق القصاصات المختارة من الصحف أو ما يشبه ذلك .

« ولكننى فى أكثر الأحيان لا أصنع شيئاً سوى الإصغاء إلى حديثهم ، وبعضهم يحدثنى حديثاً فيه متعة ونفع ، وبعضهم لا يفتأ يُعرِّج على ماضيه . وحين أنظر فى عيونهم الخابية ، وكيف تتألق ساعة أدخل عليهم ، أحسُّ أن فرحتهم بلقائى هى نعمة تدخل العزاء على نفسى ، وتجدد فيها ذكر أبوىَّ الحبيبين تخليداً يرضيان عنه » .

فلما فرغت ميبل بارتون من حديثها تطلعتُ من خلال الدموع المتحيرة فى عينىَّ فرأيت وجهها الحلو المطمئن .

وقلت : « ما أجمل أن يصنع المرء ما صنعت ، ويخيَّل إلىَّ أنه شىء كان خليقاً بأمى أن تصنعه » .

فقالت : « هو ما تقولين . فالسيدة التى اقترحت علىَّ أن أصنع ما صنعت لم تكن سوى أمك أنت » .



ليست أعظم تحية يستطيع الكاتب أن يظفر بها ، هى أن نستغرق فى قراءة صفحاته حتى ننسى كل شىء آخر ، بل هى ما يقع أحياناً من توقفنا عن القراءة عن غير وعى ، وإلقاء الكتاب جانباً والاسترسال فى التطلع إلى آفاق بعيدة بعيون زال عنها بعض ما كان يغشاها . [تشارلز مورجن]

بريطانيا بين العسر واليسر

فلتون أورسلر
مقتطفات من مذكرات مسافر

في صباح هذا اليوم ، وهو أول يوم أزور فيه لندن بعد الحرب ، سألت عاملة الفندق بالتلفون قائلا :

« هل أستطيع أن أطلب فطورى ؟ »

« نعم ياسيدى . ماذا تحب ؟ »

« أريد بيضتين مقليّتين » .

« وهل عندك هاتان البيضتان ؟ سأصعد إليك لآخذهما » .

« ولكن لا بيض عندى » .

« آه ياسيدى ، ولا بيض عندنا نحن أيضاً » .

وكان ينبغى أن أدرك أن البريطانيين وهم فى السنة الثانية من السلم ، يعانون نقصاً كبيراً فى الطعام والملبس والدفء ، ولكن من الصعب إدراك هذه الحقائق إلا إذا خبرها المرء بنفسه . فما هو إلا حين جلست لتناول فطورى من الخبز الأسمر والمربى الصناعية ، حتى بدأت أدرك ماأنا معرّض له من الجوع والبرد والظلام .

حصة الفرد فى إنجلترا من الطعام : ثلاثة أرباع رطل من لحم البقر فى الأسبوع إذا وفق للظفر به ، وثلث هذا المقدار من اللحم المحفوظ ، وله أن يشترى ثلاث أوقيات من الخبز فى اليوم ، وثلاث أوقيات من الزبد فى الأسبوع ، ومثلها من الزبدة الصناعية ، وبيضة واحدة إن اهتدى إلى من يبيعها له .

ويصرف للفرد ٣٢ بطاقة للملابس : للحذاء تسع بطاقات ، وللجورب ثلاث ، وللقميص من الصوف سبع ، وللبذلة الكاملة ست وعشرون .

قال لى مرة أحد سائق السيارات :

«لقد ضقنا ذرعاً، فإن بطاقاتى أنا وزوجتى تضيع فى شراء ما يلزم لأولادنا ، فأنت تعلم كيف يبلى الصبيان ملابسهم . وهذه القيود قاسية حتى على من كان لديه كفايته من الملابس منذ سبع سنوات، أما عامة الناس فلا يملكون عادة إلا بذلتين واحدة للعمل وأخرى للأعياد . وقد بليت بذلة العمل منذ مدة طويلة ، فلم تبق لى إلا بذلة الأعياد ألبسها كل يوم. هذا والسير ستافورد كريبس المشرف على نظام البطاقات، ينبئنا بأن البطاقات الجديدة لن تعطى لنا إلا بعد شهرين » .

ولا يضاء النور الكهربائى إلا بضع ساعات فى اليوم . وقد تناولت الغذاء مع ناتالى كالموس الخبيرة الفذة فى صناعة تلوين أفلام السينما ، فأخبرتنى أنها حين تستيقظ قبيل الفجر لتلحق ميعاد عملها فى معامل أرثر رانك، وهو أكبر ممول للأفلام فى إنجلترا ، تضطر إلى التزين على ضوء قداحة سجائر .

وقد حدثتنى سيدة وهى فى غضب شديد ، بل قل إنها كادت تصرخ فى وجهى ، وهى من أشهر الأديبات المعروفات فى إنجلترا وأمريكا ، ولهذا فإنى أعفيها من ذكر اسمها قالت :

« إننى أقف فى صف من الناس ساعتين إن أردت شراء خبز أو سمك أو خضر ، ثم إذا عدت إلى الدار لأطبخها لا أجد لبناً ولا بيضاً ولا زبداً، وأغسل الصحون بلا ماء ساخن وبلا صابون .

أما أنتم أيها الأمريكيون المتخمون، فإنكم تأتون إلينا لتجسسوا أخبارنا . وها نحن أولاء بعد مضى سنتين أصبحنا لا نبالى بمس الجوع أو البرد .

ومن السهل أن يضل المرء فى فهم مدلول الانفجار بمثل هذه الشكوى ، وأنا واثق أنها غير عامة بين أفراد الشعب . حقاً إن البيوت لا تزال فى بلاء من القُرّ والمطر المتسرب والرياح الباردة فى هذا الشتاء القارس الذى لم تشهد بريطانيا مثيلا له فى شدته . وقد سمعت مستخدما فى محل لى يتمتم وهو يلف لى ربطة :

« لو أسقطنا خطر الموت وبلاء الرعب، فإن حالنا أيام الغارات الجوية كانت أسعد من حالنا اليوم ، فقد كنا نجد حينئذ مقداراً أوفى من الطعام » .

ولكنى حرت فى أمرى، فهذه دور لندن الكئيبة على نوافذها الزهريات بأزهارها الناضرة تنبىء بأن الربيع وشيك القدوم ، وها هى ذى فرق من الجند تسير فى الطريق تعزف الموسيقى ويلتف حولها الصبيان ، فقلت لسائق سيارتى :

« إنى أرى هؤلاء الصبيان فى عافيـة وقوة »، فأجابنى : « إن خير الطعام مخصص للصبيان ، وهكذا تظل إنجلترا باقية دائماً أبداً كما يقولون » .

ثم أشرق وجهه بابتسامة حزينة وقال : « وهـذا هو سبب ندرة الخمر وارتفاع سعرها وفساد مذاقها ، ولكنها تضحية لها قيمتها » .

ذهبت إلى المسرح برفقة سـيدة جميلة بارعة فى فن الرسم ومعها زوجها وهو محام، وبدأ التمثيل فى الساعة السـابعة بالتوقيت الصيفى ، أى فى الساعة الخامسة من النهار، والجمهور لا يرتاح لحضور التمثيل فى مثل هذه السـاعة المبكرة ، وقد رأيته يصفق لممثل هزلى يقول موجهاً الخطـاب إلى الحاضرين :

«إنكم تأتون هنا قبل أن يتاح لكم وقت تأكلون فيه أو تغسلون فيه وجوهكم . فأنتم تشاهدون الفصل الأول فى ضيق ، والثانى فى عجلة ، وتستسـلمون للنوم فى الفصل الثالث » .

ورأيت الحاضرين وقد ارتدوا المعاطف وفى أيديهم القفازات . وهذا بطل المسرحية يتوالى سعاله ، أما البطلة فلا تنقطع عن العطاس ، ولكن تطلع علينا فى الاستراحة بين الفصول خادمة رشيقة تقدم إلينا كعكا وقهوة ساخنة .

وقالت مضيفتى وأنا أتناول لديها طعام العشاء فى الساعة العاشرة :

« إننا نضيق ذرعاً بالحياة أحيانا ، وقد تهيج أعصابى حتى لا يغمض لى جفن بالليل، ولكنى أحتال على النوم بان أعد أسماء أصدقائى ، فإذا بى أجد أننى قد اكتسبت فى أوقات الشدة عدداً من الأصدقاء يزيد على عدد أصدقائى فى أوقات الرخاء . وقد تم نجاتنا بفضل حرصنا على تنمية هـذه الروابط من الصداقة ، كما يحرص المرء على تنمية زهوره » .

وكنت بعيداً عن اللباقة فى مبدأ حديثى مع تشرشل ، كنت أسير معه وهو يرينى حجرات داره ، فقادنى إلى حجرة يغمرها ضوء النهار وقد امتلأت بالصور ، ففى تلك الحجرة ينصرف السياسى الكبير إلى إشباع هوايته للتصوير ، فاستلفتت نظرى لوحة تمثل تساقط ثلوج الشتاء فقلت له : « هذه أبدع لوحة فى مجموعتك » .

فحدجنى بنظرة ذات مغزى وقال لى بصوته الجهورى الواضح الرنان الذى ذكرنى بنبراته القوية فى خطبه الشهيرة أثناء الحرب — قال : «هذه اللوحة رسمها إنسان غيرى !»،

فأدركت مع الأسف أنها كانت هفوة من لسانى ، ولكنه قال لى بود :

« أصبت ، إن خير لوحاتى ليست هنا » .

وكان تشرشل يرتدى بذلته التى يحبها ويتندر بخبرها مواطنوه من وراء ظهره ، تلك البذلة الفضفاضة المتهدلة التى عرف بها أيام الغارات الجوية . لقيته مبتهجاً محتقن الوجه من أثر سيره على الأقدام ثلاثة أميال ، ثم صعدنا إلى حجرة الاستقبال فى قصره المعروف باسم شارتويل مانور وألقى نفسه مسترخيا فى مقعد بجوار المدفأة ، وقفزت إلى كتفه قطة سوداء وأخذت تراقبنى بعينين تتبدل أضواؤها . هذا هو قصر أجداده الأمجاد ، وقد نام فيه هنرى الثامن ليلة . ويقيم تشرشل فى هذا القصر ضيفاً على الحكومة ، إذ سيأتى يوم يصبح فيه هذا القصر ومحتوياته وكتبه من الأملاك العامة، تخليداً لذكرى جهاد هذا البطل العظيم.

ولقد حدثنى الرئيس روزفلت مراراً عن إعجابه الفائق بتشرشل ، فلما ذكرت له ذلك قادنى إلى إطار معلق يضم رسالة كتبها الرئيس روزفلت فى يوم الذكرى السنوية لرحلتهما إلى طهران ، يقول فيها : « إننى لا أتأخر عن القيام برحلة أطول لأسعد بلقائك » .

وقلت له : « يامستر تشرشل ! إن العلل والأمراض قد حاقت بإنجلترا ، فهل تراها تسترد يوماً ما صحتها وعافيتها ؟ ومن كلام الناس أن لا مخرج من ورطتها الحالية إلا بإخضاع مرافق الأمة كلها لسلطان الحكومة »

فصرخ قائلاً : « هذا كلام الناس ! فليس الإنجليز شعباً تضعضع قواه إذا مالحقته ضائقة تصديقاً لكلام الناس . عندى لوحات أخرى أريد أن أريكها » .

ثم قدم لى مجموعة من الصور تمثل تصميم الموانىء الطافية التى جاء اختراعها مفاجأة مريرة للنازيين ، وأعانت على تحقيق نزول الحلفاء فى شواطىء نورمندى .

وضمت هذه المجموعة أيضاً عدداً من الرسائل ، أولاها رسالة من كبار المهندسين ينبئون فيها رئيس الوزراء بغضب أنهم عاجزون عن وضع تصميم هذه الموانىء الطافية التى يريدها هو ، والرسالة الثانية كتبها تشرشل بخط يدل على القوة والعزم : « فليكن جدالكم مع المصاعب التى تواجهكم لا معى ! »

وبفضل هذا الأمر الصريح وفق المهندسون إلى وضع التصميم الذى كان يبدو لهم من قبيل المستحيلات ، فكأنه يكرر هذا الأمر للإنجليز وهم يواجهون محنتهم الراهنة .

وأخذت وأنا أفارق القصر ألقى آخر نظرة على هذا الرجل العسكرى فى بذلة الغارات الفضفاضة ، وهو واقف فى الشرفة يحيينى باليد الرشيقة يد الفنان ، وإنها ليد قادت الجيوش والأساطيل إلى النصر . وحملتنى السيارة فى عودتى إلى لندن وسط حقول فاح عبيرها فى المساء ، فغمرنى اليقين بأن النصر لا ينعقد لواؤه إلا بمثل ما تحلى به تشرشل من الشجاعة والإيمان .

ولكن ما هى العوائق التى تحول دون استعادة إنجلترا لقواها ؟

وجهت هذا السؤال إلى رجل من أقدر أعضاء وزارة العمال وأسحرهم شخصية، وهو الدكتور ماك نيل وزير الدولة ، والمساعد الأول لمستر بيفن وزير الخارجية .

ذكرت له ماسمعته من انتقادات المحافظين من أن سرعة نفـــاد القرض الأمريكى وضرورة طلب مبلغ آخر من الدولارات ، عوامل تبدد أمل حكومة العمال فى تنفيذ برنامجها، وذكرت له أيضا قولهم إن الحكومة لم تلجأ مرة إلى تأميم بعض مرافق الدولة إلا باءت بالخسران . بل إن أحد النواب العمال ، وهو مستر إيفانز ، وقف فى مجلس العموم ينتقد طلب إنقاص ساعات العمل فقال:

«إن مطلب زملائى العمال هو إطالة الراحة ليتسع من الوقت ما يتيح لهم أن يأكلوا طعاماً أقل مما كانوا يأكلون، ويشربوا جعة أقل مما كانوا يشربون، ويدخنوا سجائر أقل مما كانوا يدخنون » .

وكتب النائب روبرت بوثبى وهو من العمال يقول : « لقد اجتمع علينا بلاء الغارات والبرد والجوع والإعياء ، واحتمل شعبنا من المصاعب وصنوف الحرمان وقلة البهجة والراحة ، ومن فداحة الضرائب سبع سنين كاملة ، فإذا طلب إلى هـذا الشعب أن يصبر زمناً آخر لاتعلم نهايته ، فإنهم لن يثوروا، بل سيسقطون صرعى من الإعياء».

والتفت إلىّ فيكتور ماك نيـل وهو هادىء كأنه يستريب فى كلامى، فأضفت قائلا: « فى باطن أرضكم من الفحم ما يكفى لتدفئة الشعب كله ولإدارة مصانعكم، فلماذا لاتعملون يامستر ماك نيل على استخراجه ؟ »

فأجابنى بنبراته الاسكتلندية التى يفخر بهـا :

«إن عدد عمـال المناجم قد أخذ فى الازدياد ، وكان العمال قد هجروا المناجم لما يلقونه فيها من عناء لتأخر وسائل العمل فيها . أما اليوم وقد قررت الحكومة تأميمها فإنهم يعودون إليها . وأعتقد أن وسائل العمل ستتحسن ، وإن كنت أعترف بأن مقدار الفحم الناتج لايزال قليلا ، وأن بعض العمال يتغيبون عن المناجم » .

« وما الذى يدعوهم إلى ذلك ؟ »

« من أسباب ذلك أن الحوافز إلى العمل معدومة ، فلو ربح العامل بضعة شلنات إضافية ، فأين يصرفها إلا فى ميادين سباق الخيل أو السينما ؟ ذلك لأن متاجرنا خاوية خالية » .

« ألا يكون السبب الأول هو أن العمال قد أصابهم الإعياء ؟ »

« لقد مرت علينا سبع سنين ونحن فى جهاد مرير ، وطعامنا نزر يسير . هذا حق ، ولكن انظر إلى المصاعب التى واجهتنا فى الشتاء الماضى ، إنها نكبات تعجز كل حكومة عن منعها . فقد خسرنا من جراء شدة البرد والفيضان مليون رأس من الأغنام ، وهذا ضياع للحم والصوف ، كما هلك من الماشية ثلاثون ألف رأس ، وغمرت ماء الفيضان نصف مليون فدان ، وخسرنا محصول سبعين ألف فدان من القمح ، وثمانين ألف طن من البطاطس » .

وكل هذا قد حدث فى بلد قد عضه الجوع بنابه . ولقد عجبت كيف لم تستعر الثورة فى البلاد ، وأعربت عن هذا العجب ، ومع ذلك فلم تنهزم الحكومة فى انتخاب فرعى واحد . ومن أجل ذلك يثق ماك نيل بأن الأمة لا تلوم وزارة العمال على ما يحدث .

فقلت له : « يقول خصومكم إنكم وعدتم الشعب بالجنة ، وأنتم اليوم تخشون مصارحته بعجزكم عن تحقيق ما وعدتموه » .

« لقد قدم حزب العمال للناخبين برنامجاً تستطيع أن تقرأه ، فهو مطبوع ويباع بثمن زهيد ، ولم نقطع فيه على أنفسنا سوى عهد واحد : هو تيسير المساكن ، ولم نستطع الوفاء بهذا العهد بسبب تلك الأحوال التى اجتمعت علينا . ولا يزال أمامنا جهاد طويل ، وينبغى أن نصارح الشعب بحقيقة الأمور . وإذا كان لامفر من تخفيض مستوى المعيشة مرة أخرى ، ففى استطاعتنا أن نصبر ، وسنفعل ، فإن لدينا من قوة الخلق مايعيننا على ذلك » .

وذهبت اليوم لزيارة جون ماسفيلد شاعر البلاط ، وسرت إليه فى أصيل عطر ، والشمس لا تزال تغمر الأفق ، فإذا بى أجتاز إلى بيته منطقة غنية بالحقول الجميلة والدور الهادئة ، وقد عرف أصحابها بحب الحدائق والأزهار ، وأخذت أقول لنفسى : لاجرم أن ينبت الجمال حيث تنبت الشجاعة.

ثم وصلت إلى درب ضيق طويل لا يبعد كثيراً عن أكسفورد ، ورأيت فى آخر الدرب داراً ريفية متوسطة الحجم قد خف الشاعر إلى بابها ليستقبلنى . وقد ألف الشاعر ٧٥ كتاباً يتجلى فيها حب الإنجليز

للمغامرة فى البحار ، ولكن الشاعر قد شاخ اليوم فانحنى ظهره وابيض شعره . وأدخلنى حجرة وجدت فيها زوجته واقفة وإلى جانبها إبريق من الشاى تسطع منه رائحة ذكية . وهى سيدة رقيقة يقظة ، وقد ألفيتها ترتدى معطفها وقبعتها ، فالبرد شديد داخل الدار رغم سطوع الشمس . وأخذت أسأل نفسى متعجباً كيف استطاع هذا الشاعر وزوجته مقاومة صعاب السنوات السبع الماضية .

وقد اختار جون ماسفيلد سكنى الريف طلباً للعزلة والدعة ، فلما نشبت الحرب أنشىء بجوار داره مطار تقوم منه الطائرات الأمريكية للإغارة على ألمانيا ، فربما لاحقتها الطائرات النازية حتى يصطخب فوق دار الشاعر ضجيج المعارك الجوية .

وبلغ من معاناة الشاعر لشدة البرد سنة بعد سنة أنْ يبست أصابع يديه بحيث أصبحت لا تقوى على إمساك القلم ، فلم يبق له إلا أن يكتب أغانيه على الآلة الكاتبة .

ولما نظرنا من خلال النافذة رأينا عنفوان فيضان النهر القريب من الدار ، ومع ذلك أخذ الشاعر يتحدث عن تلألىء الماء فوق الأعشاب الخضر ، وعن جمال وجه السماء . وتبينت أن إيمانه اليوم لا يقلّ ثباتاً عن اليوم الذى كتب فيه أغنيته الشهيرة التى يقول فيها إن شجاعة إنجلترا تتجلى عند الشدائد .

وذهبت اليوم لزيارة أسقف كنتربرى، فاستقبلنى بمودة وبشاشة فى قصر لامبث بلندن ، ووجدته قريب الشبه بأبطال الرومان القدماء تنسدل عليه ثيابه فى زهو وخُيَلاء، وأخذ يقول لى : «إن هناك كثيراً من الناس يعتقدون — ووراءهم من يشجعهم على هذا الاعتقاد — أنهم ليسوا إلا قطعاً صمًّا فى آلة كبيرة هى الدولة، وبذلك ارتضوا الرأى الفاسد القائل بأن الفرد لا قيمة له ولا خطر . وهيهات لإنجلترا، بل للعالم كله، أن يأمل النجاة إلا إذا أدرك جميع البشر قيمة التبعة الملقاة على كاهل الإنسان. وضرورة التمسك بالمبادىء الأخلاقية السامية. إن الدين يوصى بالتعاطف والتآزر بين الناس ، وينبغى لنا اليوم أن نجاهد كل الجهاد حتى نقضى على الأنانية وشهوة السلطان » .

وتحدثت فى أكسفورد إلى كبير من رجال بريطانيا هو الأستاذ لويس مدرس الآداب الإنجليزية فى كلية ماجدالين ، وصاحب المؤلفات العديدة فى الأخلاق الدينية . ولا شك أنه لن يشكرنى لأننى نقلت هنا ما يقوله عنه الناس جميعاً : إن أمه مريضة مقعدَة ، ولا خادم عنده ، ولذلك يضطر

أستاذ الجامعة أن يقف فى الصفوف لشراء طعامه كأنه خادم، وهو لا يستريح من الخدمة يوم عطلة ، وعليه بعد ذلك كله أن يلقى دروسه على طلبته، وأن يصحح لهم ما كلفهم به.

جلسنا على مقعد من الخشب تحت ظلال أشجار عتيقة على شاطىء النهر، وأخذ الأستاذ يحدثنى عن شبان الجيل الحاضر وميلهم إلى البحث فى الدين ، وليس هذا بدليل على علو كلمة الدين فى قلوبهم، وإنما الذى يدفعهم إلى البحث هو ما رأوه من إخفاق العقل المجرد مرتين فى إنقاذ آبائهم وأجدادهم من حربين متتاليتين . أما اليوم فقد أصبح المرء لا يخجل من الاعتراف بأنه من المؤمنين ، وينطوى هذا على أمل كبير .

ودارت خواطر كثيرة فى رأسى وأنا عائد إلى وطنى على الباخرة ، فتذكرت كيف منحتُ رجلا فى لندن ثلاث بذلات من الصوف ، فأخذها وقد غمرته الدهشة وطفله يبكى . وجعلت أفكر فى كثير من الآباء والأمهات يكتفون برث الثياب لتوفير البطاقات لملابس أطفالهم . وأفكر فى تلك السيدة التى تحتال على النوم بعدّ أسماء أصدقائها ، وأستاذ الجامعة الذى وقف نفسه على خدمة أمه المقعدة ، فوثقت بأن بريطانيا ستنجو من الأزمة بفضل شجاعة شعبها .



رأى صريح

● قالت امرأة تولستوى الأديب والفيلسوف الروسى : كان لطفه ينبع من « مبادئه » لا من قلبه . وسوف تقرأ فى تراجمه كيف كان يبذل العون للعمال فيحمل عنهم صفائح الماء ، ولكنَّ أحداً من القراء لن يعلم أنهُ لم يُتح لزوجته فرصة للراحة خلال ٣٢ سنة ، أو أنهُ لم يعط ابنه شربة ماء ، أو أنهُ لم يلازم سرير ابنه خمس دقائق ليهوّن علىَّ أنا أن أنال قسطاً من الراحة .

● قالت امرأة أرنولد بنيت الأديب والروائى الإنجليزى : لم أثُرْ لأننى كنت أُكرهُ أن أصنع ما يطلب منى أن أصنع ، بل للهجة التحكُّم التى كان يؤثرها فى طلب ما يريد ، وفى التعبير عن نفسه . وما كان يدور فى خلدى أن الزوج الذى يحبُّ زوجتهُ يستطيع أن يكون جافياً غليظ الكلام ، ولكننى كنت يومئذ غريرة حمقاء .

صغار لن يخطئهم التوفيق

كنت أتنزه مع أسرتي في حديقة عامة فلاحظت أن جميع الصور الشمسية التي نصورها ينقصها أحدنا على الدوام، هو الذي تولى التقاط الصورة. فرجا زوجي صبياً زري الثياب في العاشرة أو الحادية عشرة من عمره كان يراقبنا كالملهوف، أن يتولى هو التقاط عدد من الصور لجماعتنا، وفرح الصبي بالأجر الذي تقاضاه، فراح يبحث عن سوانا.

وزرنا الحديقة نفسها بعد أسابيع، فوجدنا الصبي نفسه في ثوب أنيق، وقد وضع على صدره شريطا كتب عليه بخط كبير: « لا تحطموا كيان الأسرة، دعوني ألتقط لكم الصور، كل صورة بقرشين » ولقد كان عمله يدر عليه ربحاً وفيراً.

رأيت مائدة على إفريز شارع في نيويورك رصت فوقها مجلات فكاهية قديمة، ووضعت فوقها لوحة كتب عليها بخط طفل: « المجلة بسبعة مليمات ». ووقف خلف المائدة صبي في الثانية عشرة من عمره أكلف الوجه، على قسماته سام، فقد كانت تجارته كاسدة. ومررت بعد أيام فألفيته قد استبدل بالمجلات إناء فيه شراب، وعدة أكواب، ورأيت اللوحة مكتوباً عليها «عصير الليمون. الكوب بسبعة مليمات». ولكن تجارته ظلت كاسدة.

وفي الأسبوع التالي رأيت هذه البقعة تموج بالصبيان، في يد كل منهم كوبة من عصير الليمون ومجلة فكاهية في الأخرى، ورأيت على الرصيف رفا صفت عليه المجلات، ومعها إناء شراب وأكواب، ووجدت اللوحة مكتوباً عليها « اشتر كأساً من عصير الليمون باثني عشر مليما تقرأ كل المجلات بالمجان ».

سألت الصبي الأكلف: « أهي تجارة رابحة؟ » فأشرق وجهه وهو يجيب: «نعم يا سيدي، إنها لصفقة رابحة!»

كان لبائع الصحف الذي أشتري منه قليل من الزبائن في الحي، ولكني دهشت إذ رأيته في أصيل أحد الأيام يضع صحيفة على كل باب في الحي، فلما جاء لتحصيل ماله سألته كيف وفق إلى هذا العدد الضخم من الزبائن فأجاب: « لقد وفرت ٢٥ ريالا من عملي في توزيع الصحف خمسة أشهر. ومن هذا المبلغ أخذت أوزع نسخاً مجانية على مئة أسرة طوال أيام الأسبوع، فقرر ٨٢ أسرة منها أن تواصل قراءة الصحيفة التي كنت أوزعها، وبذلك أصبح لدى ١٧٠ زبوناً كلهم يوفى ما عليه ».

أعمى يعلم المبصرين

تشارلز ستيفنسون
مختصرة من مجلة "ذى روتيريان"



من أشهر المعلمين فى مدرسة سوث الثانوية القائمة فى جوار بجزرة مدينة أوماها ، شاب اسمه ، إدوارد كونسيل ، وهو رئيس قسم الدراسات الاجتماعية الذى ينبذ الكتب المدرسية ليتسنى له أن يعد التلاميذ والتلميذات للحياة فى أمة ديمقراطية . وهو أسعد من أعرف .

وأغرب ما فى الدكتور كونسيل أنه أكمه ، مكفوف البصر منذ ولادته ، ومع ذلك ففى وسعك أن تراه فى أى يوم يمشى بخطى سريعة فى شوارع أوماها ، بقامته المديدة ، وصدره العريض، ورأسه المرفوع ، وليس معه عصا يهتدى بها أو كلب يساعده . ولم يتخذ قط لا هذا ولا تلك ، حتى حين اصطحب فرقة المناظرة وطوف بهم فى أرجاء ولاية نبراسكا .

والدكتور كونسيل هو آخر من يزعم أن هذا أمر طبيعى أو سهل على كل أعمى . وقد قال لى : « لست أحب أن أجازف بحياتى ، ولكن الأعمى الذى يحاول أن يكون جزءاً من العالم البصير ، لا بد له أن يفعل أشياء كثيرة ينفر منها بغريزته . وعليه أن يحاول أن يُنسى المبصرين عماه ، والعصا الوحيدة التى يجوز له أن يتخذها هى الثقة بالنفس ، فإذا فقدها فقد كل شىء . ولو أنى تصرفت كما ينتظر من الأعمى أن يتصرف ، لفزت بالرعاية التى يُمنَحها العميان ، ولكنى كنت حينئذ خليقاً أن أصبح منبوذاً موصوماً

بالعمى فى كل نواحى الحياة » . وقد ظل طول حياته يأخذ بهذه الفلسفة ويتوسع فيها ، وفى بدنه من الندوب ما يثبت ذلك .

وإلى أبويه يرجع الفضل فى جلادته. وقد كان أبوه جزاراً فى مجزرة ، وكان يتقصى أخبار ابنه كل ليلة : « وهكذا حملتك عجوز على العودة إلى البيت، وخوفتك أن يصيبك أذى مع الصبية غيرك ، ولكنك مثلهم جسامة ! فانهض إذا وقعت ! »

وتضيف أمه إلى ذلك : « كل إنسان يقع ـ ما عاش ـ والأقوياء وحدهم هم الذين يبلغون القمة ، لأن فيهم شجاعة تجعلهم يتشددون وينهضون مرة أخرى » .

وهكذا راح يلعب ويقفز كل يوم ، ويصطدم بالشجر ، ويعود إلى البيت وهو يظلع وفى جلده خدوش . ولم يعرّفه أبواه ـ قبل أن يبلغ السادسة ـ ما بينه وبين غيره من الصبيان من الاختلاف ، وأن هؤلاء حين « يرون » عصفوراً يفوزون بأكثر من سماع صوته. ثم بعثا به إلى مدرسة داخلية للعميان .

ولم تكن السنوات السبع التالية محتملة إلا من أجل إجازات آخر الأسبوع ، إذ يستقل القطار عائداً إلى أوماها ، ويصغى إلى حركته على القضبان ، ويركب سيارة النقل بلا معين ، ويسرع إلى البيت وإلى الروائح المنبعثة من المجزرة .

ولما بلغ الثالثة عشرة بدأ يدرك أن مدرسة العميان تزيده تحرُّزاً .

ولهذا قصد مدرسة سوث الثانوية وناشد ناظرها أن يقبله فيها وقال له : « لا أستطيع أن أعود إلى مدرسة العميان ، لأنى إن فعلت سأتعلم الخوف من المشى فى الشوارع وحدى، فأرجو أن تتيح لى فرصة فى مدرستك » .

وحاول الناظر أن يصرفه عن مبتغاه ، لأنه كان يخشى على الصبى التعثر .

فقال كونسيل : « لقد اعتدت الوقوع على درجات السلم » . وقد صار يقع فى المدرسة فعلا ، ولكنه كان يذهب إلى المدرسة ماراً بسبع عمارات بغير مرشد ، وكان فى العصر يوزع الصحف فى أربعة من ميادين المدينة التسعة مستعيناً بما يتذكرهُ من لمس بوابة حديدية أو درجة سلم مبرية ، أو انحدار فى رصيف . وكان يزاول التزحلق على الثلج أو بالقبقاب لا لأنه كان يشتهى ذلك دائماً ، بل ليقنع نفسه بأنه غير خائف .

وأتم فى ثلاث سنوات برنامج السنوات الأربع وفاز بأعلى الدرجات، ولم يبزّه فى ذلك أحد إلى اليوم .

واستطاع بفضل جائزة مدرسية قدرها مثتاريال أن يلتحق بجامعة كريتون بأوماها،

وكان يستقل الترام ذهاباً وإياباً ويقطع به اثنى عشر ميلا ، ويعيش بما يكسبه من تفريغ سيارات الشحن ، والنسخ على الآلة الكاتبة والتدريس .

وحمله نجاحه فى التدريس على ما اعتزم من أن يكون معلما ، وبعد أن جربه ناظر المدرسة مرتين ، قال لمفتش المدارس: « أظنه يصلح، إذا أوتيت الشجاعة اللازمة لتعيينه » .

وهكذا عاد كونسيل فى ١٩٣٥ إلى مدرسة سوث الثانوية فى الثالثة والعشرين من عمره ، ونال درجة أستاذ والدكتوراه فى التاريخ الأمريكى فى فترات الصيف من جامعتى كريتون وكاليفورنيا بلوس أنجليس.

ولما خلا منصب مدير لقسم الدراسات الاجتماعية بمدرسة سوث ، ترك المسئولون عنها للمعلمين أن يختاروا مديراً مؤقتاً ، فاختاروا الدكتور كونسيل ، فقام بالأمر خير قيام ، فعين فى العام التالى فى هذا المنصب .

وقد أهمل كونسيل الكتب المدرسية لأن ما يريد تعليمه مرتبط بالحياة اليومية للبلاد، والمدينة ، والجيرة، والبيئة. أما الحقائق عن نظام الحكومة ، فيذهب التلاميذ فى طلبها إلى مستشفى المقاطعة ، وإصلاحية الرجال فى عاصمة الولاية ، وإلى المجلس البلدى ، ليسألوا عما تجنيه أسرهم فى مقابل الضرائب التى تدفعها .

ويقول كونسيل « إن الأطفال لا يستطيعون أن يفهموا علاقة المعلومات التى يتضمنها كثير من الكتب المدرسية بحياتهم اليومية . وإنه لأفضل عندى أن أعتاض عنها بالمجلات والصحف . وإذا استطعت أن أغرى الطالب بقراءتها بانتظام، فإنى أكون قد أفدته أكثر مما يفيده أى منهج متبع » .

لما دخلت على أطراف أصابعى فى أحد فصول الدكتور كونسيل كان الطلبة مستغرقين فى الدرس حتى إنهم لم يشعروا بوجود زائر . وكان كونسيل واقفاً يبتسم لهم، ويسح بفيض من الآراء ، وكان يواجه هذا ثم ذاك ، ويشير بسرعة إلى كل واحد بإصبعه الممدودة . ويحاور الطلبة الخمسة والثلاثين — من بنين وبنات — بحذق ليشركهم جميعاً فى المناقشة .

« حسن يا هارى . أصبت ... وأنت يا هوجو ألا توافق على ما قال ؟ فما رأيك ؟ وأنت يا مارى فتاة، فهل لك رأى آخر؟» لقد كان يلقى بالتلاميذ بعضهم على بعض ويغريهم بالمجادلة ، ويثير الاهتمام ، ويوجه ويرشد ، ومع ذلك اتقى أن يجعل من الأجوبة فوضى محيرة . ثم التفت إلى الفتاة

التي كانت ملاحظتها هي التي أثارت المناقشة فقال : « والآن يا دوروثي . لقد ذكرت جزيرة جوام ، فعينيها لنا على خريطة الحائط » وضحك بعطف ثم قال : « كلا . آسف. أرنا موقعها يا جورج ... أصبت ».

وقد بين لي فيما بعد كيف يستطيع أن يفعل ذلك ، ذلك أنه يحفظ أسماء التلاميذ المئة والأربعين الذين يعلمهم في فصوله الأربعة ويحفظ أصواتهم ، ويربط في ذاكرته الأصوات بالأسماء وبالمقاعد .

أما دوروثي فقد عرف أنها أشارت إلى موقع غير موقع جوام ، لأنه لم يكن في حجرة الدرس حين قعدت غير صمت يشي بالتوتر — لا حركة أقدام تحدث عفواً ، ولا بشيء يدل على أن التلاميذ شعروا أنهم فرغوا من أمر هذه الجزيرة ، وأنهم يستطيعون أن ينتقلوا إلى سواها .

فقلت له على سبيل التذكير : « ولكن هذا الصمت أيضاً كان هناك لما أشار التلميذ إلى الموقع الصحيح » .

قال : «هذا هو الذي يدل على أنه أصاب. ولو كان أخطأ لحدث رد فعل خافت ـ ضحكة خافتة مثلا — كأنما يراد أن يقال : « إنه لا يعرف أيضاً » ، ولكني أدركت أن جورج سيشير إلى موقع جوام بلا خطأ حتى قبل أن يصل إلى الخريطة ، فقد كانت خطواته متزنة تنبىء بالثقة » .

وقد شرح لي أحد تلاميذه السبب — من بعض الوجوه على الأقل — في حب التلاميذ للدكتور كونسيل : « إنه مخلص جداً ، وشديد الاهتمام بعمله ، وعطوف».

والواقع أن كونسيل يبغي أن يكون جزءاً من العالم المبصر حتى أصبح معنياً بكل إنسان فيه . والاهتمام يثير الاهتمام ويولد الثقة .

وعالم المبصرين هو عالمه ، وزوجته من هذا العالم . وهما يتعاونان على الادّخار — فإنها متخصصة في الأشعة السينية — وفي نيتهما أن يبتاعا داراً صغيرة ذات فناء رحيب لطفلهما الذي ناهز الثانية . ويحب كونسيل السينما ، وإن كان يقول : « إنك لا تستطيع أن تدرك مبلغ ما في الحوار أحياناً من السخف إذا لم يقترن عندك بصور تلهيك عنه » .

ويقول كونسيل ناصحاً : « إذا أريد للعميان من الأطفال ان تتاح لهم فرصة، فإنه يجب أن يتلقوا على الأقل بعض التعليم في مدارس البصراء . شجعوهم على أن يكونوا كغيرهم من الأطفال ، ولا تقصوهم عن الحياة اليومية ، وأعينوهم على إفادة الجرأة وقوة الأعصاب ، وعلى الرغبة في تجربة كل شيء . ولا تدعوهم يحزنون على ما أصابهم ، فليست عاقبة الحزن سوى الإخفاق » .

هنا اكتشاف خليق أن يصير « أقوى ضربة سددت إلى علة السرطان منذ اكتشف الراديوم » .

امتحان جديد للسرطان فى أوائله

وليم ل . لورنس

مختصرة من مجلة « ذى نيويورك تايمز »

أذاعت مجلة « سينس » ، لسان المجمع الأمريكى لترقية العلوم ، نبأ الكشف عن اختبار جديد يرجى أن يمهد لتبين سرطان الأحشاء فى أوائله . وقد يصبح هذا الاختبار ، الذى يشبه اختبار الحمل ، سلاحاً من أمضى الأسلحة فى الكفاح الدائر لاستئصال هذا المرض الفتاك ، فإن لم يوفق العلماء إلى الحد من شره أودى بحياة ملايين من الأحياء .

وعلاج السرطان فى بدايته أمر مستطاع ، بيد أن أكثر أنواعه الخطرة ، كسرطان المعدة وسواها من الأحشاء ، لا تتجلى أعراضها إلا بعد أن يستفحل المرض استفحالاً هيهات أن يقوى عليه الطبيب .

وهذا الاختبار هو ثمرة أبحاث لم تزل متصلة منذ زمن ، وقد تولاها طائفة من أهل البحث فى أمريكا وسواها ، حتى انتهت إلى هذا التقرير الذى قدمه للمجمع الأمريكى فريق من رجال قسم الكيمياء الحيوية فى مدرسة الطب بجامعة شيكاغو ، وهم الدكتور هوارد ه. بيرد ، والدكتور برنارد هالبرن ، والدكتور صموئيل ليبرت .

وقد وفق هؤلاء العلماء إلى مشاهداتهم اتفاقاً ، فقد كانوا يحقنون الجرذان بخلاصة كحولية محضرة من بول المصابين بالسرطان ، وكان غرضهم أن يتبينوا : أفى وسع هذه الخلاصة أن تحدث السرطان فى الجرذان ؟

فأذهلهم أن يجدوا ، بعد انقضاء يومين إلى أربعة أيام على الحقن ، أن طحال الجرذ المحقون ، أو غدده التناسلية ، أو كليهما قد تضخم تضخماً كبيراً . وقد أجروا أربعين اختباراً فوجدوا أن معدل التضخم فى الجرذان المحقونة ، بالقياس إلى الجرذان التى لم تحقن ، قد زاد الزيادة التالية : تضخم الطحال ٣٩ فى المئة ، تضخم خصى الذكور ٥٥ فى المئة ، تضخم مبايض الإناث ٧٢ فى المئة . واقترن هذا التضخم باحتقان شديد فى الطحال ، وازدياد غير طبيعى فى خلايا الخصية ، يصحبة نشاط عظيم فى تكوين الحيوانات المنوية فيها .

ثم عمد هؤلاء الباحثون إلى إجراء الاختبارات عينها بخلاصات محضرة من

بول أناس غير مصابين بالسرطان ، وقد أجروا ٢٦ اختباراً فلم يحدث التضخم فيها .

وأعادوا التجربة بخلاصات محضرة من بول ٣٢ مريضاً ، لم يكن كنه مرضهم معروفاً لهم يومئـذ ، فانجلت ست من التجارب عن حصول التضخم ، فثبت بعد ذلك أن كل واحد من هؤلاء الستة كان مصاباً بنوع من أنواع السرطان . وأما بقية المرضى وعددهم ٢٦ فكانوا : إما أصحاء وإما مصابين بأورام قليلة الضرر ، وقد انجلى اختبارهم جميعاً عن عـدم وقوع التضخم فى طحال الجرذان أو غددهم التناسلية.

ويعتقد الأطباء الثلاثة الذين تولوا هذه التجارب أن فى دم المصابين بالسرطان وبولهم مادة مجهـولة ، وسموها بحرف « س » ، وأنها من طائفة المواد الكيميائية التى تعرف باسم « ستيرول » . وهم يعتقدون أيضاً تنبه الغدة النخامية فى الجرذان ، فتزيد ما تفرزه من مادة أخرى وسمـوها بحرف «ى» ، ولعلها هرمون ينبه الغدد التناسلية، وأن هذا الهرمون هو « سر الاختبار البيولوجى للسرطان البشرى » .

فإذا اتضح أن لهذا الاختبار من القيمة مثل الذى تدل عليه التجارب الأولى ، كان أقوى ضربة سُـدِّدت إلى السرطان منذ اكتشاف الراديوم والأشعة السينية ، وصار أسلوباً من الأساليب المتبعة فى كل فحص طبي. فإذا أجرى فى فترات قصيرة ، كان كفيلا بأن يكشف كل سرطان خفىّ فى أوائله حين يكون علاجه وشفاؤه أمراً مستطاعاً.



السكوت أبلغ تعبـير عن الاحتقار . [برنارد شو]



نعرف محامياً من أهل مدينتنا اشتهر ببخله ، فلما برىء من مرض أصابه ، هاله أن يرى « الأتعاب » التى طلبها الطبيب فصاح فى وجهه : « أتطلب كلَّ هذا من أجل علاج دام أسبوعاً وحسب ؟ »

فردَّ الطبيب : « لو علمت يا صاحبى مبلغ اهتمامى العلمىّ بحالتك ، وكيف غالبتُ نفسى حتى رددتها عن السماح بدراسة حالتك على المشرحة ، لما برمت بما طلبته منك » .

[صحيفة الهيرالد فى كايبتاون]

لماذا أطلقوا على توسكانيني لقب « الأستاذ »

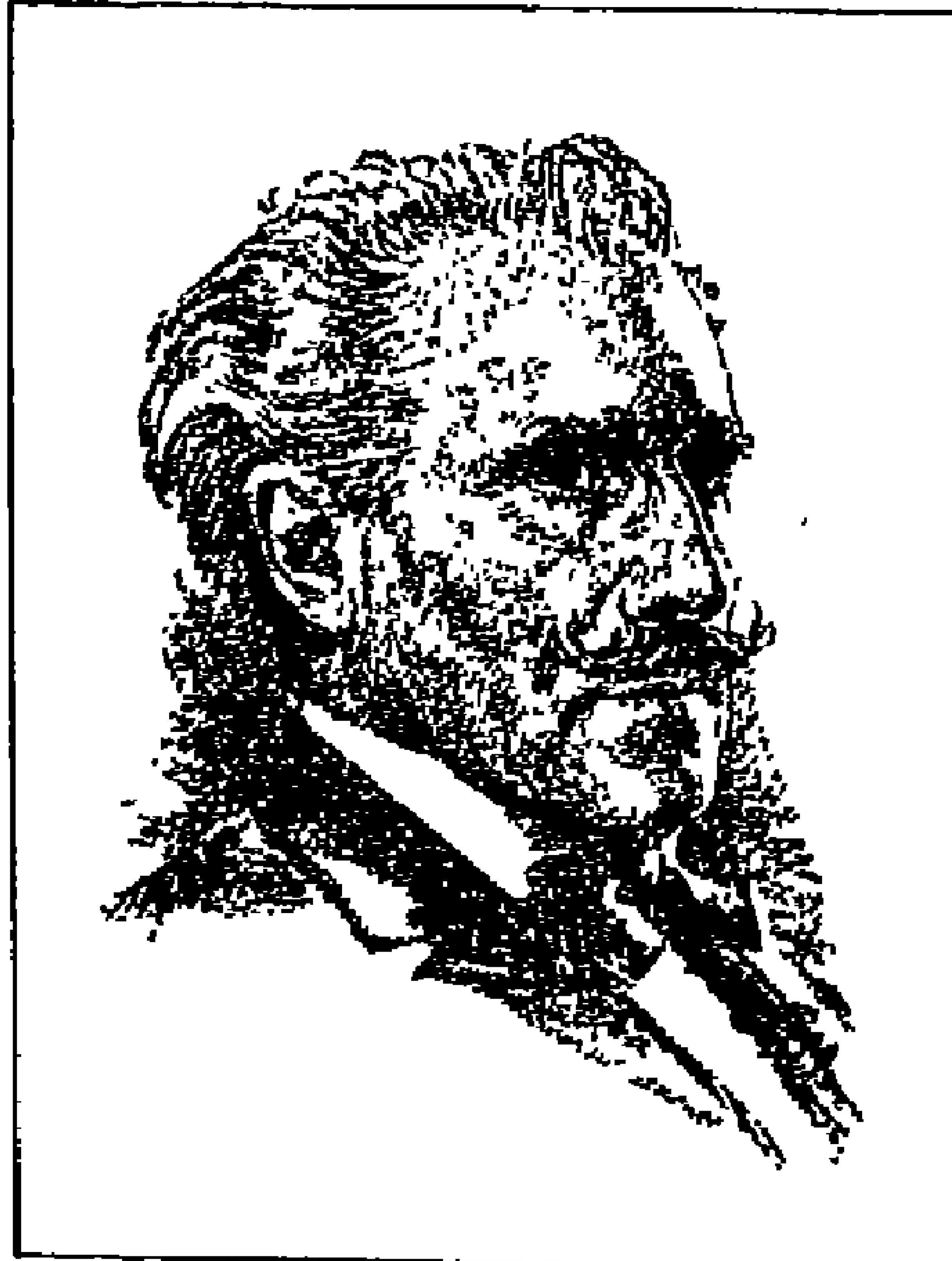
بلغ الثمانين ولا يزال إمام الموسيقيين

آن م. ليسنج   مختصرة من مجلة "ليبرتي"

ولتر توسكانيني ليلة عيد الثمانين لميلاد والده الموسيقار الشهير عما قد يعدّه أبوه أعظم أعماله وأهمها .

فقال الابن : « لا يمكن أن يكون هناك شيء من هذا القبيل في نظره ، وكل ما يتفق أن يكون قائماً به ، يكون أعظم شيء في حياته ، سواء كان هذا الشيء عزف سيمفونية أو تقشير برتقالة » .

وأرتورو توسكانيني في الثمانين من عمره ، ولا يزال كثيرون من المتمرسين بالفن يعدّونه الموسيقي الأول في العالم ، وهو لا ينفك يفوز بهذا اللقب من جديد بعد كل حفلة . وقد اجتمعت له على نحو بديع كل الصفات اللازمة للقيادة الفنية ، وتحلى بغيرة على الكمال في الموسيقى حتى إنه ما من عازف في أوركسترا — سواء كان متعباً أو قلقاً أو فاتراً — وما من مستمع لها كان شارد الذهن ، يسلم من سحره . ولما كان هذا هو عصر الراديو والتسجيل ، فقد امتدت شهرته إلى أقاصي الأرض . وقد طارت مرة امرأة ألفي ميل لتشهد حفلة موسيقية لتوسكانيني في بوينوس إيريس .



وتوسكانيني من أكبر الناس دخلا في تاريخ العزف الموسيقي ، ففي حفلة الافتتاح في اوبرا لاسكالا في سنة ١٩٤٦ بلغ ثمن التذكرة ١٥،٠٠٠ ليرة أي ما يعادل دخل شهر لأسرة من الطبقة الوسطى في إيطاليا اليوم . وكان المسرح يغص بالناس في كل حفلة ، على حين احتشد في الميدان عشرة آلاف نفس يستمعون إلى مكبرات الصوت ،

وقيل إن أجره عن إذاعة السيمفونيات في شركة الإذاعة القوميـــة الأمريكية ، بدأ في ١٩٣٧ بأربعة آلاف ريال بعد خصم الضرائب ، عن ساعة ونصف ساعة . ولا يزال يرفض ما تعرضه عليه هوليوود وهو ٢٥٠,٠٠٠ ريال عن شريط واحد (وإن كان قد تولى قيادة الأوركسترا التي عزفت أنشودة الأمم لفيردي بالمجان لشريط صنعته حكومة الولايات المتحدة أثناء الحرب) والمال لا يغريه إذا لم يكن ما يعرض عليه مما يوافق هواه .

والدعاية الشخصية بغيضة كل البغض إلى الأستاذ ، وهذا الشعور مرجعه إلى اقتناعه العميق بأنه هو نفسه لا قيمة له بالقياس إلى الموسيقى التي يقود عازفها . ويضايقه جداً أن يُدعى إلى الظهور بعد انتهاء العزف ، وكثيراً ما يقول لكبير العازفين ، وهو يتراجع عن المسرح للمرة الثالثة : « اذهب إلى بيتك » ، وعلى الأثر ينهض العازفون وينصرفون حتى لا يضطر الأســتاذ إلى الظهور تلبية لدعوات أخرى .

وهو شديد الحياء ، وأسعد ما يكون حين يتوارى عن أعين الجمهور في مكان الأوركسترا المحجوب. ولم يلق قط في حياته خطبة ، وهو يضيق صدراً بمندوبي الصحف ومصوريها ويقول لهم : « إني رجل من الناس ، وماذا يعنيكم من منظري ، وأين أعيش ، وماذا أحب من الألوان ؟ » وكثيراً جداً ما يصف نفسه بأنه فلاح — فما حاول قط أن يستر وضاعة نشأته .

وهو ابن خياط فقير في شمالي إيطاليا ، ولما بلغ التاسعة التحق بمعهد بارما للموسيقى ، وسرعان ما أطلق عليه زملاؤه من التلاميذ وصف « العبقري » ، وكانوا يتبعونه حين نظم خفية فرقة تعزف مالا يدخل في البرنامج المدرسي ، وقد عوقبوا جميعاً على ذلك . ثم اشتغل بالعزف على الكمان في فرق شتى للأوبرا ، إلى أن قُذِف به ذات ليلة في يونية ١٨٨٦ في ريودي جانيرو ، وهو في التاسعة عشرة من عمره ، إلى قمة الشهرة .

وذلك أن فرقة الأوبرا الإيطالية التي كانت تزور البلاد ظلَّت تناوئ مـدير العزف البرازيلي حتى استقال قبل افتتاح رواية عايدة ببضع ساعات، وحل محله على التعاقب إيطاليان طردهما الجمهور الوطني بالصفير ، ثم تذكر بعضهم عازف الكمان الشـاب الذي درب المغنين على ظهر الباخرة والذي يبدو أنه يعرف بعض الشيء عن الأوبرا .

وقد وجم الجمهور ولزم الصمت حين رأى شابًّا أمرد في مكان القيادة ، ولم يكد توسكانيني يشعر بهذا ، فطوى « نوتة » المدير وهو يعطي أول إشارة بالعزف ،

فذهل الجمهور. وما كاد الفصل الأول ينتهى حتى كان قد صار بطلا، وقد أدار عزف ثمانى عشرة أوبرا فى صيف ذلك العام فى ريودى جانيرو وذلك كله من الذاكرة.

وقد أريق مداد كثيرة على تسجيل عجائب توسكانينى فى قوة الذاكرة، فإنه يستطيع أن يحفظ عدة أوبرات كاملة فى يومين، ويظل ذاكراً لكل دقيقة فيها سنين طويلات. وحدث مرة أن زمّاراً قال له فى فترة الاستراحة بين فصلين، إن خللا أصاب آلته فهى لا تخرج نغمة معينة، فقال توسكانينى بعد لحظة: «لا تقلق، فإن البقية التى سنعزفها ليس فيها هذه النغمة». وبينما كان يبحث عن قطعة مغمورة من الموسيقى المنزلية منذ عهد قريب، قصد إلى البيانو وعزف الجزء الثانى منها، ولم يكن قد رأى «النوتة» منذ اثنين وستين عاماً.

وأذن توسكانينى آية أخرى ليست دون ذاكرته، ففى وسعه وأمامه مئة شدق منتفخ وقوس تروح وتجىء على الأوتار، أن يفطن إلى أهون فتور فى العناية من عازف كان بعيد، أو مزمار مزدوج، حتى يئس الموسيقيون من تفويت أضأل غلطة عليه. وقد يمتنع الأستاذ عن التنبيه إلى الخطأ على الفور، ولكنه يقول فيما بعد: «فى يوم الثلاثاء الماضى فاتتك وقفة قصيرة فى الدور الخامس» أو «لقد وقعت فى نفس الخطأ فى العام الماضى. أكنت تظن أنى لن أسمعه؟»

وقد دفعه طلبه للكمال الفنى من مسرح إلى مسرح، ويكفى أن تقع حادثة تافهة لحمله على الاستقالة على الفور، وعلى القول فى حدة إن هذا العصر لا يستطيع على ما يظهر أن ينجب موسيقيين قادرين على إنصاف عظماء المؤلفين. ومن العسير أن تجد فرقة تستطيع أن تسمعه تلك الموسيقى الصافية الخالية من الشوائب، والتى تطن فى أذنه ولا ينفك ينشدها.

وإذا لم يرض عن تدريب أو أداء فى حفلة، فإنه يركب إلى بيته فى صمت ويأبى أن يحتسى طعاماً. وإذا بلغ سخطه مبلغاً جسيما فإنه يتوقع من الأسرة أن تشاطره الصيام. وحدث أخيرا أن وصف فرقة السيمفونية بأنها جماعة من أطفال المدارس والمغفلين، ووقف التدريب، وانصرف من القاعة وهو يتصبب عرقاً، فأصيب ببرد شديد. وقال أحد رجال الفرقة: «إن هذا الهرم لا يزال على العهد به. لقد كاد يجن!»

وإذا واجه قلة احتفال أو إدراك، أو وقاحة، فإنه يكون فظاً جداً. كما حدث يوم كان يدرب مغنية أولى ردت على تصحيحاته بقولها إنها هى، لا هو، نجم الحفلة. فنظر

إليها الأستاذ بازدراء شديد ، وقال : « أيتها السيدة ، إن النجوم فى السماء ، أما هنا على الأرض ، فنحن موسيقيون مجيدون أو رديئون . وحسبي الله ، فأنت موسيقية رديئة ! »

على أنه من ناحية أخرى يتسامح إذا رأى نقصاً ،متى شعر بالروح الفنى الصحيح. حدث أن مغنية محبوبة من أجل صوتها الرخيم ، وقعت فى عدة أخطاء فى أول تدريب لها مع توسكانينى ، فصاح بها : « إنك أسوأ موسيقية فى العالم ! » وشفع ذلك بقوله بصوت رقيق : « ولكنك كالطائر الغريد » .

ومتى وطئت قدمه أرض المسرح فى تدريب ، فإن عينيه العميقتين القصيرتى النظر ، تومضان ، وتتحرك عصاه كأنها سوط ، ثم تتلو ذلك صرخة عالية . « لا . لا . لا . » وتقف النغمات الأولى من صوت يعتقد العازفون أنهم يحفظونه طرداً وعكسا. ويؤثر توسكانينى التمثيل على الشرح ، فهو مثلا يقذف بمنديل فى الهواء ليعرب عن رغبته فى إخراج صوت خفيف هفاف، وإذا أراد نغمة مترنحة ، وقف وقفة أم تهز طفلا على يديها .

وإذا وقعت الفرقة فى غلطة ، فإنه يصبح كالذى به مس ، فيهز قبضة يديه ، ويكسر العصا ، ويمزق صفحات الموسيقى ، ويدوس ساعته او نظارته التى لاغنى له عنها. وقد حدث مرة بعد أن تحطمت ساعة جميلة كانت مهداة إليه ، أن قدم له العازفون ساعة رخيصة ضخمة كتب عليها : « لأوقات التدريب » .

وقد دون مهندسو المسرح ما يحدث فى أوقات تدريب توسكانينى بغير علمه ، وهى من أمتع ما تتسلى به المحافل الموسيقية، والذين يسمعونها يتعجبون كيف يستطيع أى إنسان أن يتبع تعليمات تلقى فى عنف وفى خليط غير مفهوم من اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية . على أن توسكانينى فى غير أوقات التدريب يستطيع أن يحسن التعبير باللغات الأربع .

وطاغية المسرح هذا من أرق الناس قلباً فى غير أوقات العمل ، والإحسان من سجاياه ولكنه يحرص على كتمانها حتى لايشكره أحد . وقد روى حديثاً أنه أرسل ٣٠،٠٠٠ زوج من الأحذية إلى إيطاليا ، وقد افتتح اكتتاباً لصندوق المعاشات لعازفى السمفونيات بلوس أنجلوس بأن تبرع بإقامة حفلة معهم فى العام الماضى، ولم يتقاض شيئاً وأنفق على الرحلة من جيبه. وفى سنة ١٩٤٤ بعث إليه غلام أمريكى ببطاقة بريد يرجو فيها عزف « سمفونية إيروكا لباتوفون » التى

كان يحبها أبوه الذى قتله الإيطاليون . فبادر توسكانينى إلى وضعها فى برنامج العزف المذاع ، ولم يكتف بذلك بل حاول عبثاً أن يعرف مكان هذا الفتى فلم يوفق .

وتوسكانينى دقيق فيما يتعلق بشخصه كدقته فيما يتعلق بموسيقاه ، فما من أحد رآه فى قميص ، وهو فى أثناء العزف يلبس بنيقة من اللدائن حتى لا تنكسر إذا عرق. ومن عادته أنه يغسل جسمه ويدلكه ويغير ثيابه فى فترات الاستراحة ، ومن أجل ذلك اعتذر مرة عن التخلف عن دعوة إلى المقصورة الملكية فى لندن .

وعلى الرغم من أن توسكانينى طال المقام ثلاث مرات فى الولايات المتحدة ، فإنه لم يكتسب إلا قليلا من ميول الأمريكيين الخاصة وأذواقهم ، ومما أحبه أشرطة « ميكى ماوس » ، وموسيقى الجاز . سافر مرة بالباخرة فى رحلة خيرية مع فرقته السمفونية إلى أمريكا الجنوبية ، فراح لفيف من خيرة العازفين يقيم حفلات رقص حاشدة على ظهر السفينة ولكنهم أخفوا أمرها عنه . فأقبل عليهم الأستاذ ذات يوم عفواً فدهش ووقف يتسمع ، وقد أمرهم فيما بعد أن يدخلوا مقصورته ليعزفوا تحت إشرافه !

على أن الأستاذ لا يزال على نفوره من «النشاز» الذى يسمّونه «الموسيقى الحديثة» فهى على مايقول تؤذى الأذن . غير أن أنصار الجديد الذين ينحون باللائمة على هذا الرجل الهرم من أجل ذوقه المحافظ، يحسن بهم أن يذكروا أن توسكانينى كان رائداً جريئاً للموسيقى التى كانت جديدة فى شبابه؟ موسيقى ڤاجنر، وفيردى، وبرامز وبوتشينى، وديبوسى ، ورافيل — وقد أصبحت كلها اليوم كلاسيكية .

وقد حاول جيلان من عشاق الموسيقى أن يتبينوا السر فى سحره فى قيادته للفرق الموسيقية ، فعزا بعضهم ذلك إلى جمعه بين رشاقته وقوته فى استعمال عصا التوجيه . وذهب غيرهم إلى أن السر مرجعه إلى أذنه الحساسة أو إلى أعاجيب ذاكرته . غير أن كل واحد من هذه العوامل لا يعوز سواه من مديرى الفرق .

ومع أن توسكانينى يعترف بصراحة محببة أنه ما من مدير آخر يدانيه أو يقاس به ، إلا أنه يصرّ على أن مقاييسه الفنية يجب أن تكون القاعدة لا الإستثناء ، ويقول ، وعينه تومض كأنه يحلم : « ليس بصحيح أنى خير مدير فى العالم ، وكل مافى الأمر هو أنى أنا وحدى المجيد » .



قصة رجل تولى شئون البيت والأولاد ، ولكنها ليست كلها بالقصة المحزنة



لن تجد ربة البيت وقتا للحلاقة!

الفريد تومز

مختصرة من مجلة "كوليرز"

في خلال أزمة المساكن انتهى الأمر بأسرتنا إلى منزل ليس بذى سعة كافية ، فاقترحنا أن نتحول إلى الريف حيث أستطيع أن أكتب في سلام، ويستطيع الأولاد أن ينعموا بالشمس ونورها .

فرمتني زوجتي بنظرة حادة : « وما الرأى فى عملى ؟ أأتركه من أجل النمل فى السكر والثعابين فى الحشيش ، ولا أجد حتى داراً للسينما تنسيني وجع ظهرى ؟ تباً للريف ! »

فكان من البديهى أن يحرص أحدنا على التوفيق بين الرأيين، فاقترحت أن آخذ الأولاد إلى الريف وأن تزورنا زوجتى فى أواخر الأسابيع . فسألتنى « أتراك جننت ؟ من الذى سيطبخ ويتعهد هذه الشياطين الثلاثة ؟ » فقلت « آه ، هذا ! سأقوم أنا به . وكل ما ينبغى أن أفعل إنما هو أن أضع لهم النظام » .

ولا أزال أذكر النظرة التى ألقتها عليّ. ثم قالت بلهجة المتفكر . « قد لا يكون هذا رأياً غير سديد » .

وهكذا أصبحت « ربة بيت » سوى أننى رجل . وقد قضيت إلى الآن خمسة شهور وأنا أتعهد صغارى تعهد الأم — وأزداد كل يوم إعجاباً بالمرأة .

وإدارة شئون البيت أشق عمل زاولته، وهى تتطلب استعمال كل العضلات المعروفة — وبعض عضلات أخرى لم تتكون بعد — ويضاف إلى ذلك قدر عظيم من الذكاء ، وجميع الفضائل . وإدارة شئون البيت هى العمل الوحيد الذى يجرى على قاعدة ١٤٠ ساعة فى الأسبوع ، فابتداء من اللحظة المخيفة فى الصباح حين توقظك صيحة الحرب الأولى التى يرسلها الطفل ، إلى أن يجيء الوقت الذى تتهافت فيه وتنطرح لتنام بالليل ، لن تجد دقيقة واحدة تستطيع

أن تقول إنها خالصة لك. وقد أدركت بعد أسبوع واحد حكمة الخالق الذى اختص الرجال باللحى ، فما من ربة بيت يمكن أن يتسع وقتها للحلاقة .

وقد كانت تجربتى فى إدارة شئون البيت موضوع جدل بينى وبين أسرتى وأصدقائى. فأما النساء فقهقهن حين سمعن بذلك ، ذاهبات إلى أن الرجل لا طاقة له بهذا . وأما الرجال فنظروا إلى الأمر نظرة الابتسام والتسامح ، ولم يستغربوا النجاح ، وعدّوه معززاً لرأيهم « الرجالى » فى أن أى إنسان ولوكان أحمقَ مائقاً يستطيع أن يدير شئون البيت .

وقد أصبح أطفالى الثلاثة — لارى وهو فى العاشرة ، والبنتان ، لين وهى فى الثامنة ، وايزلى وهى فى الرابعة — فى أتم عافية وهم فى رعايتى ، ولم يمرض أحد ، ولم يصب ولا بزكام . ولما كنت غير ذى تجربة سابقة فى الطبخ ، فقد كنت مستعداً أن أجرب أى وصفة تبدو لى معقولة . وقد التقطت الوصفات من الإعلانات، ومن إذاعات الراديو ، ومماهو مدون على العلب . على أنى ما لبثت أن تخطيت المرحلة الابتدائية ، فدهش أطفالى الذين اعتادوا الطعام المعقول المنتظم ، حين بدأت تظهر ألوان السمك وفطائر البرتقال والكعك بالصنوبر والتفاح . وإذا كان الأطفال لا يحبون الفاصوليا مسلوقة ، فإنى أقدمها لهم فى صحفة مزدانة ، فإذا صحبتها الدعاية الصالحة كانت أشهى من أن تقاوَم . وكانوا قليلى الأكل فيما مضى ، ولكنى أراهم الآن — وبى من الافتتان ما يكاد ينقلب ذعراً — يقشّون الطعام قشًّا .

وأول ما تعلمته هو أن هناك فرقاً كبيراً بين معرفتك كيف تطبخ لوناً شهياً ، ومعرفتك كيف تقدمه . فكل إنسان يستطيع أن يتعلم كيف يقلى دجاجة ، ولكنك لا تعدّ طباخاً حتى تستطيع أن تضع هذه الدجاجة ومعها الصلصة والبطاطس المعجون والخضر والحلوى والقهوة ، على المائدة وهى سخنة .

وقد سلمت زوجتى بعد بضع زيارات بأن أساليبى وإن خالفت المعهود ، مرضية النتائج . وقد اعترضت على طريقتى فى رصّ الفاصوليا عشرة صفوف وتقطيعها بسكين جزار ، وذهلت حين ألفت قشرة فطيرتى وقد طبع عليها « أعدها فارغة » ، فقلت لها شارحاً : « ليس عندى أسطوانة فأنا أستعمل فى بسط العجينة زجاجة لبن » .

وإنى لأذكر ذلك فأعجب كيف اجتزت الأسابيع القليلة الأولى: فقد ورمت قدماى، وكفاى ، وصار ظهرى يوجعنى ، ورأسى

يدور ، وكنت أستيقظ حول الساعة السادسة صباحاً ، وأنا أشعر كأنى أديت عمل يوم شاق . والنهوض فى الصباح من أثقل الأشياء على من يدير بيتاً ، فإنك لا تكاد تنهض حتى تلفى نفسك فى مأزق ، لأنك لم تهيء الفطور بعد ، فأُعدّ فطائر الحنطة مع الليمون والعسل والزبدة ، فأجد ثلاث مسائل أو أربعاً تنتظرنى ، ولبس بينها واحدة تحتمل الإرجاء — الصحون ، والتنظيف ، والأسرة ومطالب الأولاد وحاجاتهم .

وعلى رأس هــذه تمشيط الشعر ، وقد كنت دائماً عظيم الإعجاب بشعر بنتىّ الذهبى الناعم ، وكنت أظن أنه ينسدل على أكتافهما فى نظام ، من تلقاء نفسه ، فإذا بى أجد أنه يحتاج إلى عشرين دقيقة أو ثلاثين مرتين فى اليوم لتمشيطه ونفض الرمل عنه . ولم أستطع قط أن أنجز العمل فى وقته ، فبعد أن يخرج الأطفال للعب ، وتغسل الصحون ، وينظف البيت ، أجد أن وقت الغداء قد أزف ولم أعدّ الحلوى ولا الفاكهة .

وفى الليل حين يأوى الملائكة الصغار إلى فراشهم ، أشرع فى الكتابة ، ولكن بعد أن أجرى القلم بفقرة واحدة أتذكر أنى وعدت بأن أصنع لهم بعض المرطبات ، ولا بد من الشروع فى عملها على الفور .

ولعل الحياة صارت أشق علىّ ، لأنى كلفت نفسى أشياء تتجاوز واجبات ربة البيت فى العادة ، لأنى وأنا أب كان علىّ أن أعلم الأطفال السباحة ، وأن أعد الطعم لصيد السمك ، وأن أجيب عن أسئلة عن حياة السلحفاة أو قطر القمر . ولهذا نظمت الأطفال على قواعد عسكرية ، فعينت لارى شاويشاً مخوّلا أن يشرف على أداء كل طفل لواجبات معينة — تسوية الفراش ، وغسل الأطباق ، وإعداد المائدة . غير أن لارى سرعان ما أصبح مثالا للشاويش الفظ ، فقامت الثورة أخيراً كما لا بدّ أن تقوم على كل ظلم ، واضطررت أن أحل نظام التعاون محل نظام الجيش ، فصار الأطفال جميعاً يحملون تبعات ، ولكنهم لم يمنحوا سلطة ، وصارت مكافأتهم على قدر ما يقومون به فى سبيل المصلحة العامة .

وكان أول ما رضت نفسى عليــه ، أن أقتصد فى استعمال النواهى مثل : « لا تفعل كذا » و « كف عن كذا » ، وهو ما يسمعه الصغار أكثر مما يسمعه سواهم . ومن عاداتنا الشائعة أن نبعث بالصغار إلى السنما ، أو نلهيهم بالصور المضحكة ، أو نغريهم بالراديو ، حين نريد أن نتخلص منهم . ولما كان هذا كله ليس من شأنه أن يهذب العقل أو يحسن الصحة أو الأخلاق ، فقد رأيت أن أستعين بالصغار على شئون البيت

كلما آذنت الأحوال بظهور المشاكل .

وقد أقنعتنى إدارتى لشئون البيت بأن توزيع العمل فى البيت ، كما هو الآن ، غير عادل ، فقد أصبحت الخادمات فى خبر كان، ولا يزال المطبخ المزوّد بآلات فى ضمير الغيب، فالمرأة لهذا تقوم بأشق المهمتين. وينبغى أن يقتصر عمل ربة البيت على خمسة أيام، ولست أرى سبباً يمنع الزوج أن يتعلم الطبخ فيتولاه يومين فى الأسبوع ، أو لماذا لا يتعهد الصغار على الأقل فى هذين اليومين .

وأخلق بإدارة البيت أن لا تكون مهلكة إذا علمت أن غيرك سيحمل عبئها عنك فى فترات منتظمة ، وإنى لأقول لأمثالى من الرجال الذين قد يسخطهم مجرد التفكير فى ذلك : إن الطبخ ملهاة ممتعة، وإن المرء يفيد من السرور بالأطفال أكثر مما يفيده من قراءة صحف الأحد .

وقد لا تسجل لى الأجيال القادمة أن عملى هذا كان أول خطوة فى انقلاب اجتماعى عظيم ، ولكنى على يقين من أن البعض سيتذكر ذلك ، فبعد خمسة عشر عاماً من الآن ، قد يقول ابنى لزوجته المتحيرة: «هذه فطيرة حسنة يا حبيبتى ، ولكنها ليست فى جودتها كالفطائر التى كان يصنعها أبى » .

نزوة صحفى عظيم

كان جيمز غوردن بنيت صاحب جريدة نيويورك تريبون صحفياً عظيما ، وكان لصحيفته مراسل فى لندن غير حائز لرضاه ، فتلقى المراسل ذات يوم برقية تأمره بالسفر إلى باريس لمقابلة بنيت فيها — فداخله الشؤم مما أمر به .

وكان المراسل يعرف أن بنيت يحب الكلاب ويرى مع من يرون أن الرجل الذى تحبه الكلاب وتأنس إليه ، لا يمكن أن يكون رجلا لا خير فيه ، فعمد قبل سفره إلى شراء شرائح من الكبد ودسها فى جيوب ذيل السترة الرسمية الطويلة التى كان يرتديها .

فلما وصل إلى دار بنيت فى باريس ، ظل ينتظر ساعة كاملة . ثم فتح الباب ، ودخل الصحفى العظيم ووراءه طائفة من الكلاب تبصبص بذيولها وتتشمم ، فلم تكد ترى المراسل حتى وثبت إليه وجعلت تلحس وجهه ويديه .

وإذا بوجه بنيت المتجهم قد انفرجت أساريره وشاع فيه الابتسام ، وبدلا من أن يهوى على المراسل بالتعنيف والطرد ، منحه إجازة أسبوع يقضيها فى باريس على حساب الصحيفة ، وأعاده إلى لندن بعد أن زاد مرتبه زيادة كبيرة.

نجاة وطنى بلغارى من حركة التطهير الشيوعية الدامية

كيف نجوت من بلغاريا

جورج م . ديمتروف
مختصرة من مجلة « ذى نيوليـــدر »



أنا مدين بحياتى لمينارد بارنز وزير أمريكا المفوض فى بلغاريا ، فلولاه لكنت الآن عظاماً نخرة تحت أطباق الثرى . وربما كانت قصة القبض علىّ وفرارى حافزاً للناس إلى إدراك ما يقوم به الممثلون السياسيون أحياناً فى البلاد الأجنبية من أعمال البطولة.

حينما كانت بلغاريا تحارب فى صفوف دول المحور ، كنت أذيع الدعاية للحلفاء من الشرق الأدنى ، وأعدّ الأيام حتى يحين تحرّر البلقان . وفى أغسطس سنة ١٩٤٤ كشفت بلغاريا عن رغبتها فى الخروج من الحرب . وحين كان رسلها فى القاهرة يطلبون من القوات الأمريكية والإنجليزية شروط التسليم ، أعلنت روسيا الحرب عليها فى الخامس من سبتمبر . ولم يقع قتال ، بل أعلنت الهدنة فى العاشر من سبتمبر ، فكانت أقصر حرب عرفها التاريخ ، وهى حرب كان ماوراءها من غلبة الجشع ظاهراً للعيان ، أريد بها تمكين روسيا من القبض على زمام مفاوضات الهدنة .

وسرعان ما تدفق الجنود الحمر داخل البلاد ، وجاءها من موسكو وكيلان مدربان من وكلاء الكومنترن (الحزب الشيوعى الدولى) لتوجيه الأعمال هناك، هما أنطون يوجوف، وتسولا دراجويشيفا ،من ذوى الكفايات فى أعمال القسوة والتدليس، ظلا يمرنان عليهما سنوات فى موسكو . فدراجويشيفا قد قضت فترة التمرين تعالج أفظع ماعرف تاريخ بلغاريا من الجرائم، وقد أدينت وحكم عليها بالإعدام سنة ١٩٢٥ حينما دسّ المتآمرون الشيوعيون قنبلة فى كاتدرائية صوفيا ، فانفجرت وقتلت ١٢٣ وجرحت

٣٢٥، إلا أنها فيما بعد نالتها الرأفة خطأ فأفرج عنها ، ثم عادت الآن هى ويوجوف تعاونهما الجنود والدبابات الروسية للعمل على فرض حكومة موالية للشيوعية فى بلغاريا. ولما كنت السكرتير العام لحزب الفلاح البلغارى، فأنا خليق أن أكون عقبة فى سبيلهما .

فلما عدت إلى صوفيا فى سبتمبر ، اتهمتنى الصحافة والإذاعة اللتان توجههما روسيا ، بأنى جاسوس أجنبى أخدم مصالح بريطانيا والولايات المتحدة . وسارت فى الشوارع جماهير من الغوغاء التى استأجرها الشيوعيون، هاتفة فى صوت واحد : « فليمت جورج م. ديمتروف! فليمت جورج م. ديمتروف! »*

ولكن حياتى وحدها لم تكن تكفى ، فقد أرادوا تعذيبى ليستخلصوا منى «اعترافاً» أتهم فيه القوات البريطانية والأمريكية بالائتمار بالسوفيت . وكان من حسن الحظ أن أصبت بالتهاب رئوى حاد ، ولما كان المريض لا يحتمل التعذيب طويلاً حتى يعترف بل يلقى حتفه عند أول « امتحان » ، فقد أعفونى من السجن وتركونى بمسكنى فى الطبقة الثالثة ، يحرس الباب ويطوق المنزل جماعة من الشرطة السرية الروس .

وظللت طريح الفراش أربعة شهور تصلنى فى كل يوم منها أنباء حركة التطهير الدامية التى أريد بها استئصال شأفة أعداء الشيوعية من بلغاريا ، والتى ذهب ضحيتها ثلاثة أوصياء وتسعة مستشارين و ٢١ من الوزراء السابقين، وأكثر من ألفى موظف أعدموا جميعاً . وكان الكتاب والعلمون و «المفكرون» عامة يرغمون على السكوت رهبة وخوفاً ، أو « يختفون » . حتى لقد بلغ عدد الذين تمت « تصفيتهم » حتى كتابة هذا ما يربى على ٢٥٠٠٠ من البلغاريين ، ولا يزال التقتيل مستمراً .

وسأظل أذكر ماحييت ، مئات الذين خاطروا بالتعرض للضرب والسجن لا لشىء أكثر من أن يقفوا فى الشارع ويتطلعوا صامتين إلى نوافذى . كنت فى نظرهم رمز

---

* جورج م . ديمتروف (لا جورج ديمتروف رئيس اللجنة المركزية للحزب الشيوعى البلغارى) كان السكرتير العام لحزب الفلاح البلغارى الذى كان خليقا أن يستولى اليوم على مقاليد الحكم لو اتيحت لبلغاريا انتخابات حرة . ولما بدأ الملك بوريس يساوم هتلر ، حذره الدكتور ديمتروف من اشراك بلغاريا فى الحرب الى صفوف النازية ، فكان جواب الملك أن أمر بالقبض عليه . وهاجمت الشرطة مسكنه فى مطلع الفجر، ولكنه استطاع أن يفر الى يوغوسلافيا . فلما احتلها الألمان شق طريقه مجتازا البحر الأبيض المتوسط فى قارب صيد الى القاهرة . ومنها ومن بيت المقدس فيما بعد ، استمر يذيع دعايته الدولية ضد النازية .

الديمقراطية، والصوت الذى جرأ على أن يتكلم عن الحرية. هؤلاء هم ذوو الهمم التى سوف تنقذ العالم، والتى تضطرم نارها فى قلوب الملايين ممن يقاسون الإرهاب فى أنحاء العالم.

وطفقت أشحذ فكرى حتى أجد وسيلة للهرب. كان فى جدار واجهة المنزل ثغرة عمقها قدم تمتد فيها أنبوبة المياه. وكنت أخفى حبلا تحت حشية سريرى، فإذا استطعت أن أتدلى بحذاء الأنبوب، فربما عميت عنى أعين الحراس.

وكان الأطباء قد قرروا عجزى عن الحركة، بيد أنى ظللت شهراً أجلس فى كرسى ساعة كل يوم، أحاول رفع جسمى وخفضه معتمداً على ساعدىّ لأقوّى معصمىّ وأصابعى.

وفى أواخر مايو زارنى وزير الصحة الشيوعى ليفحصنى بنفسه. وقد أخفقت ولا ريب فى تضليله، إذ سرعان ما جاء الأمر بحملى إلى مركز الشرطة لاستجوابى. ولما جاء عصر اليوم ارتديت لباس عامل وقلنسوته، وانتهزت فرصة تغيير الحراس، فأدليت الحبل وهبطت. لقد تماسكت قبضتى، وواتانى الحظ، فلم يشعر أحدٌ بذلك العامل الشاحب الذى اتخذ طريقه فى الشارع.

ولم ألبث أن وجدتنى بين أصدقاء، فاقترح علىّ أحدهم أن ألوذ بالوزير الأمريكى فى مسكنه بالضاحية، إذ أن بقائى عنده يحول دون قيام حملة تفتيش وحشية تنزل برفاقى مزيداً من التعذيب والتقتيل. ولما أزعجتُ المستر بارنز عن فراشه فى الساعة الرابعة صباحاً لم يتردد لحظة واحدة فى قبول التجائى إليه. وفى الصباح أبلغ الحكومة البلغارية أنى التجأت إليه معتصما بالعلم الأمريكى.

وفى المساء حاصرت المسكن فصيلة من فرق الشبان الشيوعيين، وخاطب بارنز وزير الخارجية ويوجوف فى شأن سحبهم، محتجاً بأنه يجب أن يتم الفصل فى المسألة بالاتفاق بين الحكومتين، ولكن الفصيلة بقيت خارج الأفنية فى انتظار ما يحدث، فعهد بارنز إلى ستة من الجنود الأمريكيين بمنع الدخول.

وعلى الرغم من أن الشيوعيين لم يدخلوا المكان فقد فتشوا كل سيارة تبرحه، ولم يستثنوا سيارتى الوزير والجنرال جون كرين المندوب الأمريكى فى لجنة قيادة الحلفاء. فاتصل بارنز بوزير الداخلية وأخبره أن أى محاولة لاستمرار ذلك العمل غير المشروع سيلقى مقاومة، ثم بدأ يصحب جندياً مسلحاً فى سيارته، فلم يحاولوا بعدها تفتيشها.

واستيقظت ذات صباح فوجدت فرقة من الجنود الروس قد حلت محل فصيلة الشبان الشيوعيين، فأضحت حماية جنودنا الستة لاوزن لها. وبعد فترة من التوتر عمد فى أثنائها كل أمريكى بالمنزل إلى حمل

سلاحه ، أرسل الكولونيل سفيريدوف قائد الفصيلة الروسية يقول إنه يريد محادثة الوزير ، فلما دخل المشى رأى الدافع الرشاشة عند النوافذ والأبواب ، فاستطاع أن يقنع نفسه أن بارنز لم يكن يخدعه .

ولاشك في أن هذا الروسى قد حضر يطلب أن أسلّم إليه ، ولكنه لم يفعل بل قال له فى شيء من الانفعال : « جئت بحضرة الوزير ، لأعطيك جوازاً روسياً حتى لاتجد صعوبة ما فى اجتياز خطوطنا » .

فأجاب بارنز بأن الممثلين الأمريكيين لايمكنهم الاعتراف بوجود خط روسى ، فهو لذلك لا يجد للجواز أى نفع . فخرج الكولونيل وهو يغمغم .

وفى أثناء ذلك قبض رجال دراجويشيفا على زوجتى ، وفى سبعة عشر يوماً ضربوها ثلاث مرات حتى يغمى عليها . أما الذى نجى حياتها فغضبة كريمة غضبها ونستن تشرشل ، فإنه لما علم بهذه الحوادث أرسل أمراً لانقض له بالإفراج عنها ، وشفع أمره بعبارات شديدة عن غلاظ الأكباد الذين يعنفون بالنساء . فلما وصل الأمر إلى وزير الخارجية البلغارية أجاب قائلاً : «أرجو أن تؤكد لرئيس الوزارة أنه سيفرج عنها غداً» .

قال الوزير البريطانى : « ليس فى سلطتى إبلاغ مثل هذه الرسالة ، فإن علىّ أن أقول أأصبحت طليقة أم غير طليقة » .

وخرجت زوجتى من السجن بعد ساعة . ولكن التدخل لإنقاذ سكرتيرتى مارا راتشيفا التى كانت فى الثالثة والعشرين من عمرها ، جاء متأخراً . فقد ضعفت عن احتمال «الاستجواب» الثانى فماتت ، وأعلن المحققون أنها انتحرت، ولكن الذين أخذوا جثتها من تحت نافذة مفتوحة ، وجدوا فى عظامها رضوضاً وكسوراً ، بل وجدوا يديها وقدميها قد احترقت فصارت فحماً يبساً .

ولما وقفت الولايات المتحدة وبريطانيا موقفاً حازماً ، أذعنت موسكو فى آخر الأمر ، فأعطتنى أنا وزوجتى جوازى سفر ، وشيعنا المستر بارنز نفسه حتى ركبنا الطائرة التى بلغت بنا مأمننا .

إن عرفان الجميل كلمة ضعيفة التعبير عما كنت أشعر به والطائرة تعلو بنا عن الأرض : شعرت أنه يجب أن يتولى كاتب تدوين الثناء ، لا على هذا الممثل الأمريكى وحده ، بل على غيره من الممثلين السياسيين ، وهم كثيرون ، فقد واجهوا أشباه هذه الأزمات بشجاعة ونبل ، ولم ينلهم منها مجد أو تنويه . إن طائفة من تلك الوقائع المستورة ، هى صفحة رائعة من صحف التاريخ .



كلمات يهتدى بها

« الرجل العظيم هو الذى لايزال بين ضلوعه قلب طفل وان كبر »

ـ الحكيم الصينى ، منسيوس (٣٧٢ ـ ٢٨٩ ق.م)

يقول لن يوتانج الفيلسوف الصينى المعاصر ومؤلف كتاب (فن الحياة) :

« الرجل فى العصر الحديث شديد الغلو فى أخذ الحياة مأخذ الجد ، وشدة حرصه على أن يكون من أهل الجد ، هو الذى جعل حياته حافلة بالغصب والمتاعب . ومن الخير أن لاينسى المرء ما لروح الفكاهة من خطر الشأن ، فانها كفيلة بأن تهذب حياة الناس وأخلاقهم .

« وأنا أظن أن أبغض ما فى طغاة الحكام هو افتقارهم الى روح الفكاهة ، فهم أبدا بين متجهم أو متعاظم أو غضوب . أما رؤساء الدول الديمقراطية فهم بسامون ولذلك يحبهم الناس . والرجل من أولئك الطغاة ينتفخ صدره كبرا واعتدادا بنفسه ، حتى يفقد روح الفكاهة ، فيفقد معها كل ذرة من حسن التقدير . وهذا أيضا هو سر التعصب المفضى الى نشوء المتاعب .

« والضحك يصفى النفوس من كدرها ــ نفس الفرد ونفوس الجماعات . فالناس اذا أوتوا نصيبا من روح الفكاهة ، أوتوا رشاد العقل، وبساطة التفكير، ورقة الطباع ، وحسن البصر بشئون دنياهم »

[عن مجلة « ذس ويك »]

برج معجزات التلفون

ملتن سلفرمان
مختصرة من مجلة «ذى ستردای إيفننج پوست»

في قلب مدينة نيويورك بناء شاهق ضخم تكسوه غلالة قاتمة من الدخان، وترتفع من سطحه أعمدة تشد الأسلاك بعضها إلى بعض. ويبدو لك البناء عتيقاً بالياً، بيد أنه مقر معامل البحث التابعة لشركة تلفون بل. وهذه المعامل تضم هيئة من أعظم هيئات البحث العلمى والصناعى في العالم، ولعلها من أعظمها أثراً. وهى عشرة معامل أو أكثر، يشتغل فيها ستة آلاف من أهل البحث رجالا ونساء، وفى حجراتها تولد المعجزات العلمية فى أسباب المخاطبات، وقد ينقضى عليها عشر سنوات أو عشرون سنة أو ثلاثون، قبل أن يتم تمامها وتصبح متاحة ميسرة للناس.

كان ألكسندر جراهم بل مخترع التلفون قد أنشأ معملا صغيراً للبحث فى بوسطن، فلما كانت سنة ١٩٠٧ كانت وسائل البحث التى تنفق عليها شركة بل من مالها قد اتسعت آفاقها، فأقيم لها بناء خاص فى مدينة نيويورك. فعنى جون كارتى كبير المهندسين بأن يضم إليه جميع العلماء والمهندسين المدربين الذين استطاع أن يغريهم بذلك، ثم شدت الجماعة رحالها للتطويف فى الولايات المتحدة باحثة منقبة. وإلى هذه الرحلة ترتد طائفة كبيرة من الصناعات الحديثة، ومنها صناعة الإذاعة اللاسلكية.

فلما وصل كارتى بجماعته إلى سان فرنسسكو، أطلعوه على مشروع إقامة معرض دولى فى سنة ١٩١٥، وقال له أحدهم: « نريد إذا ما فتحت أبواب المعرض أن يكون فى وسعنا أن نتحدث بالتلفون مع نيويورك من سان فرنسسكو. أفى قدرتك أن تحقق لنا هذا؟ »

فقال كارتى: « إنه شىء مستحيل ». وبين معاونو كارتى لأصحاب المشروع

لم يستحيل عليهم أن يحققوا هذا الطلب ، فهم يحتاجون إلى جهاز يضخم الصوت ، فإن لم يجدوه فلا مفر من أن يمتدَّ حبل التلفون ٣٠٠٠ ميل بين المدينتين، وأن يكون قطره أربع بوصات على الأقل . فهذا الحبل يستهلك صنعه ٣٠٠,٠٠٠ طن من النحاس، وتبلغ نفقاته ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال تقريباً . وكان أهـل البحث قد أنفقوا كثيراً من وقتهم وعلمهم فى دراسة ضروب شتى من مضخمات الصوت، ولكن بحوثهم لم تنته إلى شىء يبعث على الرضى التـام . وتوالت الشهور وأنباء الخبراء تترى بأنهم لم يوفقوا إلى الحل المقبول .

وذات يوم فى سنة ١٩١٢ جاء أحـد مهندسى الشركة بشاب اسمه لى ده فورست، كان قد استقال من شركة التلفون منذ سنوات ، ليوالى البحث فى آراء عنَّت له ، فصنع شيئاً أطلق عليه اسم « أوديون » ، وهو جهـاز مصنوع من زجاج وسلك وشمع ، وقد كان جهازاً دقيقاً ضعيفاً غير سلس القادة ، ولـكن ده فورست أصر على أن جهازه يستطيع أن يضخم حديثاً تلفونياً .

فأحال رجال الشركة هذا الجهاز على مهندس شاب اسمه أرنولد ،فلم تـكد تنقضى أربعـة أشهر حتى صرّح أرنولد : « فى وسعنا أن ننتفع به ، وما علينا سوى أن نفرغ منه الهواء ، حتى يصير أنبوباً مفرغاً غاية ما يمكن من الإفراغ » .

فابتاعت الشركة من ده فورست ترخيصاً باستعمال جهازه هذا فى التلفون ، ودفعت ثمنه ٥٠٠٠٠ ريال ، فكان ما دفعته الشركة ثمناً اشترت به سرَّ الصناعة الكهيربيـة (الإلكترونية) . وسرعان ما أحدث هذا السرُّ انقلاباً خطيراً فى طائفـة كبيرة من الصناعات .

ومُـدّ خط التلفـون من شرق القارّة الأمريكية إلى غربها ، وزوّد بمضخم للصوت، أساس تركيبه هو الأنبوب المفرغ ،وذلك فى مواقع بينها مئات من الأميال . وفتح الخط فى سـنة ١٩١٥ ، فأتيح لزوّار معرض سان فرنسسكو أن يسمعوا الحديث التلفونى الصادر من نيويورك على ثلاثة آلاف ميل .

فلما خاضت الولايات المتحدة غمار الحرب العالمية الأولى. انتظم كارتى فى سلك الجيش وعين ضابطاً برتبة كولونيل فى سـلاح الإشارة . وانتظم فى الجيش أيضاً اثنان من علماءِ شركة بل ، وعرضا أن يعاونا مهندسى الجيش فى المخاطبـات اللاسلـكية التى كانت يومئذ لا تزال كالمعجزات ، تبهر الأنفاس . فقال لهما أحد الضباط : « كنت

أحسب أن التلفون هو مدار عملكما » .
فقالا : « هذا حق ، ولكننا ما فتئنا منذ عشر سنوات نعنى ببحوث الراديو أيضاً » .

وفى بحر ثلاثة أشهر أنشأ الباحثان أول طريقة للمحادثة بالتلفون والراديو فى وقت واحد ، فصار فى وسع رجال الطيران أن يتحدثوا من المطار مع الطيارين المحلقين فى طائراتهم ، وفى وسع الطيارين المحلقين أن يحادثوا زملاءهم فى طائرة أخرى محلقة . ولكن هذه الوسيلة كانت لا تزال فى دور التجربة يوم وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها .

وعاد كارتى من ميادين الحرب ، فألفى رجاله يصنعون أشياء شتى غريبة بالراديو . فقد أخذوا الجهاز المرسل من سماعة التلفون وجعلوها ميكروفوناً ، ثم وصلوا به أنبوباً مضخماً قوياً وسماعة تلفون كبيرة جهيرة الصوت ، فكانت هذه أول مرة استعملت فيها هذه الأجهزة لتضخيم صوت الخطيب فى الاجتماعات العامة .

وفى سنة ١٩٢٢ أنشأ مهندسو بل أول محطة للإذاعة .

وقد أكب رجال البحث فى شئون التلفون زمناً طويلا قبل أن تنشر الإذاعة اللاسلكية ، على البحث عن طريقة جديدة لصناعة أسطوانات الفونوغراف ، ثم صنعوا أول جهاز كهربى يحقق هذا الغرض ، وإذا بأحد أعوان كارتى يقول : « لندع الناس إلى تسجيل أصواتهم ثم تدار وتذاع مضخمة كأنها صوت خطيب فى حفلة ، وفى الوقت نفسه نعرض فلماً من أفلام السنما ، فنظفر كذلك بالسنما الناطقة .

وكان المخترعون قد حاولوا من قبل أن يصلوا بين أفلام السنما وأسطوانات الفونغراف ، ولكنهم باءوا بالخيبة — فى رأى أحد الخبراء — لأن صور الفلم المعروض كانت كبيرة ، وأما الصوت الخارج من أسطوانة الفونغراف القديم فكان رفيعاً خافتاً .

فالمخترعون الأوائل كان يعوزهم جهاز يضخم صوت الأسطوانة ، ولكن رجال شركة بل صنعوا هذا الجهاز ، فأخرجوا بضعة أفلام قصيرة ناطقة ، بيد أن رجال صناعة السنما لم يحفلوا بها شيئاً ، وظلوا سنوات متوالية يرفضون أن يعيروا هذه الأفلام أية عناية . وأخيراً قبلت إحدى شركات السنما أن تفعل ، ثم تبعتها الشركات الأخرى على الأثر .

وعين فرانك جويت خلفاً لكارتى على رأس هيئة البحث العلمى فى شركة بل ، فما دنت سنة ١٩٢٧ حتى كان رجاله قد

أحرزوا انتصارات رائعة فى السنما الناطقة ونقل الصور على أسلاك التلفون ، وصنعوا جهازاً لا بأس به للرؤية عن بعد (التلفزة)، وأنشأوا الاتصال اللاسلكى التلفونى فوق المحيط الأطلسى بين أمريكا وأوربة، ولكن جويت لم يقنع بما تم على ما فيه من براعة وروعة .

ذلك بأن نطاق الانتفاع بالتلفون كان آخذاً فى الاتساع اتساعاً مطرداً سريعاً ، ومد أسلاك النحاس التى تكفل تيسير هذا الانتفاع المطرد ، كان أمراً سهلا ولكنه يكلف مالا كثيراً . أفلا يمكن أن يحمل السلك الواحد عدداً من المحادثات التلفونية دون أن يختلط بعضها ببعض ؟ وكان مهندسو بل قد تمكنوا من أن يرسلوا ١٦ محادثة تلفونية على سلك واحد فى وقت واحد، أفلا يستطيعون أن يزيدوا عددها؟ فقال الخبراء : « لا »،لأننا إذا فعلنا أخذت تيارات المحادثات الإضافية « تنضح » من السلك إلى الفضاء .

وفى سنة ١٩٢٩ سجل رجال شركة بل اختراعاً جديدا مكوناً من أنابيب تحتوى كل أنبوبة منها فى جوفه على سلك مركزى، فيحمل الأنبوب تياراً على سطحه الداخلى ، والسلك الذى فى جوفه يحمل تياراً على سطحه الخارجى . فهذا الأنبوب لا تنضح منه إلى الفضاء تيارات سارية فيه . فإذا وضعت ثمانية من هذه الأنابيب فى حبل واحد معزول ، استطعت أن ترسل بها ٥٠٠ محادثة تلفونية فى آن واحد .

وذات يوم فى سنة ١٩٣٧ دخل على جويت عالم رياضى كانت له يد سابقة فى تحسين التلفون وقال : « فى القسم الذى أتولاه عشر فتيات محسنات يتولين العمل على الآلات الحاسبة ، ولكنهن عاجزات عن النهوض بكل ما يطلب منهن ، فلنصنع آلة خاصة فتكون بمنزلة عالم رياضى آلىٍّ ، نعطيها المسألة فتعطينا الجواب » .

وقد استغرق صنع هذه الآلة ثلاث سنوات فإذا هى جهاز ضخم زنته ٢٠٠٠ رطل ، وارتفاعه تسع أقدام ، ولكنها كانت تتقبل ما تعطاه كتابة، وتفكر فيه بدقات مسموعة، ثم تكتب الجواب من تلقاء نفسها ، وفى وسعها أن تجمع وأن تطرح وأن تضرب وأن تقسم . ثم زودت بما يمكنها من أن تعالج المعادلات الدقيقة المعقدة التى تشتمل على الأبعاد والسرعات والاتجاهات وسرعة القنابل ، وكانت تفعل ذلك فى ثوان معدودات ، فصارت بعد نشوب الحرب من أمضى الأسلحة فى مكافحة الطائرات النازية .

وقد اعتزل جويت منصبه فى سنة ١٩٤٠ وخلفه الدكتور أليفر بكاى، وكانت الحرب العالمية الثانية قد نشبت منذ سنة أو أكثر قليلا . وعلى أن الولايات المتحدة لم تخض غمارها إلا فى آخر سنة ١٩٤١ ، فإن ضباط الجيش والأسطول صاروا يتوافدون على معامل شركة بل ليعقدوا فيها مؤتمرات خطيرة الشأن . ومن الأشياء التى استرعت عنايتهم شىء وُصِف بأنه «مرشد الموج»، وكان علماء بل قد عنوا ببحثه فى سنة ١٩٣٤ وهو جهاز مربع مستطيل يرشد أمواج الراديو ويوجهها كما يوجهُ خرطوم الماء الجارى فيه إلى وجهة بعينها .

فقال المخترع : « ولكن الصعوبة فى ذلك أن حجم الجهاز اللازم لتوجيه أمواج الراديو التى طولها نحو مليون كيلو سيكل ، ينبغى أن يكون كحجم بناء ضخم . أما إذا كان طول الأمواج من طبقة بليونى كيلو سيكل أو ثلاثة بلايين كيلو سيكل ، فحسب الجهاز أن يكون عرضه بضع بوصات لا غير » .

فى سنة ١٩٣٤ كانت أمواج الراديو التى من طبقة بليون كيلو سيكل شيئاً كالخيال فى نظر المخترعين ، ولكنها صارت فى سنة ١٩٤٠ أساس جهاز رادار يطلقها فى الفضاء كالأصابع الدقيقة المرهفة تتحسس الأجسام السابحة . وليس فى قدرة سلك عادىّ أن يحمل هذه الأمواج لتوجيهها فى الفضاء ، ولكن « مرشد الأمواج » الذى صنعته شركة بل كان يستطيع أن يسير بها سيراً مأموناً من الجهاز المرسل إلى السلك الهوائى ، ثم إذا ارتدّت سار بها من السلك الهوائى إلى الجهاز الذى يتبينها .

ويوم انتهت الحرب العالمية الثانية كانت القوات المسلحة قد تسلمت ٥٦ ألف جهاز رادار تولت معامل بل تصميمها . وقد نقلوا بعض الأفكار من صناعة التلفون ، فانتفعوا بها فى صنع طرابيد جديدة ، ولغم ممغطس ، وموجّه كهربائى لمدفع مضاد للطائرات ، وقنبلة توجه بالكهيربات لم يكد الأسطول الأمريكى يبدأ فى استعمالها حتى كانت اليابان قد سلمت .

ومن المآثر العجيبة التى تمت لمعامل بل فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، إنشاؤها الاتصال التلفونى الذى لاحق الجيش الأمريكى الثالث حين أخذ يجتاح ألمانيا اجتياحاً سريعاً فى أواخر الحرب . ولو كان اعتماد الجيش على وسيلة الاتصال المألوفة بالتلفون والراديو ، لعجزت هذه الوسيلة عن ملاحقته فى زحفه السريع ، دون الاعتماد على الإذاعة ، ولو عمدوا إلى الإذاعة لاستطاع الألمان أن يسمعوا أو يعرفوا أخبار الزحف .

وكان رجال معامل بل قد ابتكروا قبل الحرب نظاماً للمخاطبات اللاسلكية سموه «نظام التتابع» أو «التلفون الموجّه» وكانوا قد صنعوا أجهزة تصلح للجيش، وأرسلوا طائفة منها إلى الطلائع. فاختار سلاح الإشارة آكاماً تبعد إحداها عن الاخرى ٢٠ ميلا على خط يمتد بين مقر القيادة وطلائع الجيش فى الميدان، وأقاموا على هذه الآكام محطات التتابع، فكانت الأكمة تلتقط الرسالة الموجهة، ثم تضخمها وترسلها إلى محطة الأكمة التى تليها. وقد كانت الأمواج قصيرة تسير فى خط مستقيم، كمثل أمواج رادار، وفى الوسع جمعها وإرسالها فى شعاعة دقيقة، فلا يسهل على أحد أن يتسقط ما تحمله من الأخبار. أما الرسائل التى تنقلها فكانت تلتقط من فورها.

فلما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عاد رجال معامل بل إلى معاملهم وفى رؤوسهم آراء كثيرة جديدة فى موضوع «نظام التتابع» هذا، فقد أحلوا محل السلك الهوائى فى جهاز رادار عدسة من معدن تجمع أمواج الراديو القصيرة، كما تجمع العدسة من الزجاج أشعة الضوء. ثم حمّلوا هذه الأمواج مئات من المحادثات تتم فى وقت واحد. وهم اليوم يجربون التجارب عسى أن يتبينوا منها أيهما خير وأفضل للمحادثات التلفونية البعيدة المدى: طريقة الأنابيب أم نظام التتابع. وقد تدلهم هذه التجارب أيضاً على أى الوسيلتين أفضل للتلفزة البعيدة المدى.

وفى السنة الماضية شرعوا فى وسيلة جديدة للمخاطبات اللاسلكية تعتمد على انتشار الأمواج بدلا من جمعها فى شعاعة ضيّقة وتوجيهها إلى جهة بعينها، وهذه الوسيلة تتيح المحادثة التلفونية بين رجل فى سيارة متحركة وبين بيته ومكتبه. وقد استعملها بعض الصحفيين، فزوّدوا المحررين بأخبار وأوصاف من سيارة كانوا يطوفون فيها.

وقد تم لهم شىء آخر جديد حقاً، فقد صنعوا قبل الحرب جهازاً يلتقط أصوات الكلام ثم يدفعها فى آلة، فتحللها وترسم تموجها على لوحة تتألق، فترى صورة صوتك بعد تحليله على هذا الوجه كأنه صفحة كتب عليها كاتب مختزل.

ثم تعلم بعض رجال بل أن ينظروا إلى هذه التموجات فيفهموا الكلام الذى تمثله، فصاروا يستعملونها للحديث بالتلفون، فالشفاه تنطق، والعيون ترى وتفهم ما يقال. وكان من موظفى بل فتاتان لكل

منهما لهجة خاصة تختلف عن لهجة صاحبتها ، وقد رأتا ذلك فى صور الصوتين . ثم قضتا أسابيع وكل منهما تحاول أن تجعل صور صوتها مطابقة لصور صوت صاحبتها، فلم يكد ينقضى شهران حتى صارت لهجتهما واحدة .

فقال العلماء إذا كانت آلة تصوير الصوت تستطيع أن تحدث هـذا الأثر فى لهجة الفتاتين ، فهى خليقة أن تعين الصم الذين ولدوا صماً ولم يسمعوا صوتاً ما فى حياتهم على فهم ما يقال . فدعوا إلى المعامل كهلا ولد أصم ، وكان يشق عليه الكلام حتى لتراه عاجزاً عن أن يبين لعامل المصعد أى دور فى البناء يريد أن يقف عنده . فأقام شهرين مواظباً على الحضور إلى المعامل كل يوم ، حيث أتيح له أن يدرس صور أقواله كما تبدو على اللوحة المتألقة ، وأن يحاول أن يجعلها كما ينبغى أن تكون لو كان كلامه صحيحاً سليما . فلما انتهت مدة التدريب تحسّن كلامـه حتى كاد رجال العـامل لا يصدقون أنه هو هو حين سمعوه .

ثم جىء بجماعة من الأطفال ولدوا صمًّا ، وكان منهم فريق لايزال فى الخامسة من عمره ، فظلوا يدربونهم ربع ساعة كل يوم خلال ثلاثة أسابيع ، فصاروا بعدها قادرين على أن ينطقوا بكلام مفهوم .

ولن تجد اليوم فى معامل بل من يدهشه أن يسمع أن رجال البحث فيها قد أخرجوا مثل هذه الآلات الغريبة النافعة التى لا صلة بينها وبين الصميم من شئون التلفون . وقد قال أحـد منافسيهم : « إن السبب الوحيد الذى منع هؤلاء القوم من الاستغناء عن التلفون والإقبال على اختراع طريقة لنقل الأفـكار ، هو أنهم لم يتبينوا بعد كيف يستطيعون أن يسجلوا هذا الاختراع » .



ضمير تمثال الشاعر بوشكين

عرضت جائزة منذ زمن فى روسيا لمن يصنع أحسن تمثال لتكريم ذكرى الشاعر بوشكين ، فعرضت على لجنة التحكيم مئات من الرسوم والأمثلة المصنوعة من الطين تمثل بوشكين ، مفكراً ، أو متكئاً ، أو مستلهماً شياطين الشعر ، أو جالساً وسبابته على جبهته . وقد وقع الاختيار فى آخر الأمر على تمثال يمثل ستالين جالساً وهو يقرأ كتاباً ـ هوديوان بوشكين ، فنصب فى الميدان العام .

[ولتر ونشل]

هيئة الأمم: وكيف تدار شئونها

اريك إجلاور

مختصرة من مجلة «هاربرز»

إذا وقفت هنيهة فى مكتب الاستعلامات فى مقر هيئة الأمم المتحدة القائم عند « ليك سكسيس » فى نيويورك ، رأيت الناس لا يكفون عن طلبه بالتلفون . ففى فترة لا تتجاوز عشر دقائق أفضت إحدى فتيات المكتب ببيان مفصل عن حق الاعتراض لفتى مكب على دروسه فى البيت، ثم ذكرت باللغة الفرنسية لسائل آخر أسماء الدول الأربع الأخيرة التى قُبلت أعضاء فى الهيئة ، وأحالت على مكتبة المراجعة سؤالا عن علم ألمانيا الرسمى فى الزمن الحاضر ، ثم ردت على سؤال سيدة فقالت : « يؤسفنى يا سيدتى أننى لا أعرف أسماء جميع العزاب بين مندوبى الأمم المتحدة » .

والإجابة عن الأسئلة التى يطلب الجمهور المستطلع جواباً عنها ، من المهام اليسيرة التى تضطلع بها سكرتيرية الأمم المتحدة فى إدارة تلك الهيئة العالمية . وهذه السكرتيرية جماعة محكمة النظام ، قوامها ٢٧٠٠ موظف من مختلف أمم العالم . وقد نمت فى بحر سنة واحدة من فئة قليلة من الخبراء ، فصارت عشيرة كبيرة من رجال الاقتصاد والقانون ، ومن الكهربائيين والنجارين والسباكين والمصورين والصيارفة وخبراء السياسة وعلماء الاجتماع - يضاف إليهم جيش صغير من التراجمة والمترجمين والمختزلين والكتبة والناسخين بالآلات ، والحراس والحجاب .

ومدار النشاط فى هيئة الأمم المتحدة هو قسم اللغات ، فكل كلمة من ملايين الكلمات التى تكتب أو تقال بصفة رسمية ، ينبغى أن تثبت باللغتين الفرنسية والإنجليزية ، وهما

لغتا العمل في الهيئة . ولما كان مندوبو روسيا وجمهوريات أمريكا اللاتينية لا يخطبون على الأكثر إلا بلغاتهم القومية ، كان للتراجمة الذين يحسنون ثلاث لغات مقام سام وعطاء جزيل .

والتراجمة جماعة مدهشة حقاً من سحرة الفكر والقول ، وعلى رأسهم إمامُهم « أندريه كامنكر » وهو فرنسي ربعة أصلع ، وقد أُثر عنهُ أنه يستطيع أن يهبَّ إلى قدميه على إثر خطبة يستغرق إلقاؤها ساعة من الزمان ، فيترجمها دون أن يرجع إلى مذكرات بين يديه ، حتى يخيل إلى المستمعين وهم يرون إيماءهُ وقوة إلقائه الرائع ، أنه صاحب الخطبة الأصيل .

وأخوه جورج يجاريه مقدرة وبراعة ، وإن كان دونه روعة واسترعاء للأنظار . وجورج مشهور بقدرته الخارقة على ترجمة أعقد الأقوال الفنية بدقة تذهلك عن نفسك . وقد حضر كلاهما جميع المؤتمرات الدولية الكبيرة التي عقدت خلال ربع القرن الماضي .

وأعجب العجب أن التراجمة قلما يدّونون مذكرات، بل يكادون يعتمدون كل الاعتماد على ذاكرتهم العجيبة. وهم يحاولون أن يترجموا الخطب ترجمة دقيقة كلمة كلمة ، إلا أن غرضهم أن يؤدوا صفوة القول تأدية صحيحة واضحة .

والتراجمة في هيئة الأمم المتحدة مذهبان: فالجماعة التي ينتمي إليها أندريه كامنكر وأخوه تعرف بجماعة الترجمة « اللاحقة » ، أي أنهم ينتظرون حتى يفرغ الخطيب من إلقاء خطبته، ثم يترجمون الخطبة مرتين — مرة بالإنجليزية ومرة بالفرنسية . أما الجماعة الأخرى فتعرف بجماعة الترجمة «المصاحبة» فهم يترجمون أقوال الخطيب في أثناء إلقائها. وأفراد هذه الجماعة يجلسون في غرف من زجاج ، ويتكلمون في جهاز للإذاعة أقيم أمامهم . أما المستمعون فمزوّدون بسماعات توضع على آذانهم ، وأمامهم لوحة كلوحة مفاتيح الراديو ، فيصغون إلى اللغة التي يجيدونها . والترجمة « المصاحبة » تصاحب الخطيب حقاً ، ولا تتخلف عن أقواله سوى مقدار كلمة أو كلمتين .

أما الترجمة « اللاحقة » فقد تستغرق ساعتين أو ساعتين ونصف ساعة لترجمة خطبة تستغرق ساعة. وقد أنشىء في مقر هيئة الأمم المتحدة حجرة واحدة مزودة بجميع الأجهزة الغالية اللازمة للترجمة «المصاحبة» ، فوفر الاعتماد عليها في دورة ١٩٤٦ للجمعية العمومية، ١٥٠ ساعة كانت خليقة أن تضيع جزافاً لو كانت الترجمة كلها من النوع « اللاحق » . فلما عقدت الجمعية العمومية دورتها في هذه السنة ، كان في مقر الهيئة

أربع حجر أخرى مزودة بأجهزة الترجمة « المصاحبة » .

ورئيس قسم الترجمـة المصاحبة هو الكولونيل ليون دوستير ، وهو فرنسى تجنس بالجنسية الأمريكية وصار كولونيلا فى الجيش الأمريكى ، فتولى مهمة الترجمة « المصاحبة » فى محاكمات نورنبرج ، وقد عمد إلى تجربة التجارب بجهاز لاسلكى مستقلّ يستطيع المستمع أن يحمـله معلقاً بعنقه بسير من الجلد . وكل جهاز يزن رطلا أو أقلّ ، ويستطيع حامله أن يتصل به بواحـدة من سبع إذاعات تذاع ، وله مفتاح يضبط طبقة الصوت ، وسماعتان توضعان على الأذنين . فإذا اتخذ أحد المستمعين جهازاً من هذه الأجهزة ، صار فى وسعه أن يسير حيث يشاء، أو أن يخرج إلى المطعم لمأكل أو مشرب ، وهو لا يزال يستمع إلى ما يدور فى مكان الاجتماع .

والترجمون الملحقون بالكولونيل دوستير أصغر سناً من جماعة الترجمة « اللاحقة » ، وأجرهم أقل ، فمرتب الكبار نحو ٨ آلاف ريال فى السنة ، ومرتب الشبان نحو ستة آلاف ريال . ومن خيرة مترجميه اثنان : أحدهما أمير روسى فى السابعة والعشرين من عمره اسمه جورج فاسيليشيكوف ، وقد قضى معظم حياته فى فرنسا وإنجلترا . والثانى فتاة أمريكية فى الحادية والعشرين من عمرها ، هى جين سترايت ابنة الصحفى كلارنس سترايت مؤلف كتاب « الوحدة الآن » . ودوستير لا يكفـُّ عن البحث عن مترجمين مقتدرين ، بيد أن معرفة اللغات وإجادتها ليست سوى عنصر فى عُدّة الذين يطلبهم ، إذ ينبغى أن يكون التراجمة أهل ذكاء وثقافة واسعة وصوت حسن ونطق واضح . وهو يعتقد أنهم يبلغون ذروة الإجادة إذا استغرقهم العمل وصاروا كأنهم فى نشوة . وقد عهد إلى أحدهم أن يترجم إلى الروسية خطبة للسناتور كونالى فى دورة الجمعية العمومية فى سنة ١٩٤٦ ، فاستغرق فى عمله استغراقاً ، فلما ضرب كونالى المائدة أمامه بجمع يده جاراه المترجم فيما فعل ، فكاد وقع قبضته على المائدة يؤذى آذان المستمعين إليه بسماعات .

وفى قسم اللغـات جماعة كبيرة من المترجمين مستعدّون أبداً لترجمة أية وثيقة من أية لغة كانت — ولا تستثن اللغة الأردية ولا اللغة البوشتوية . ولكل لغة من اللغات التى تستعمل فى الاجتماعات الرسمية كاتب خاصٌّ بها يجلس قرب المترجمين ويدوّن الخطب بالاختزال . ويحل محله زميل له فى الحين بعد الحين ، فيخرج ليملى ما دوّنه بالاختزال على إحدى الكاتبات بالآلة الكاتبة ،

ثم يعود فيحلّ محلّ زميله ، وهكذا دواليك حتى يتمّ نقل الخطبة . وفى خلال ذلك تعد الكاتبة نسخة الورق المشمع بالآلة الكاتبة حتى تصنع منها نسخ ، وتوزع على الصحفيين . فإذا بدأ جروميكو مثلا يلقى خطبته فى الساعة الثالثة ، بدأ رجال الصحافة يتلقون أجزاء الخطبة منسوخة فى الثالثة والنصف ، فلا توافى الساعة السادسة حتى تكون نسخ الخطبة المنسوخة معدة للتوزيع فى الإنجليزية والفرنسية والروسية .

ولعلّ أعقد مهمة تنهض بها سكرتيرية الأمم المتحدة هى مهمة توفير الطعام لآلاف الموظفين والمندوبين ووفود الزوار والمتفرجين . والمطعم القائم فى قبو فسيح بالطابق الرئيسى يقدم ٥٠٠٠ وجبة كلّ يوم ، ولا يقفل بابه لا فى النهار ولا فى الليل .

أما حجرة الأكل الفاخرة التى خصصت للمندوبين فتفتح أبوابها منذ الساعة ١١ صباحاً إلى الساعة الثالثة بعد الظهر ، فيؤمها كل من يسعه أن يدفع ريالين فى ثمن الغداء . ورأس الطهاة إيطالىّ ، وليس له سوى شكوى واحدة ، فهو يقول : « إننى أجتهد أن أعدّ لوناً أوربيًّا من الطعام كلّ يوم ، ولكنهم يفضلون الطعام الأمريكىّ . وقد أعددت السمك الروسىّ والكافيار للمائدة « البوفيه » ، ولكنّ سكرتير جروميكو لا يكاد يلقى إليها نظرة ، فهم يكثرون من طلب لحم الديكة الرومية ولحم الخنزير ، والأرز » . وترى البريطانيين ، على غير ما تتوقع منهم ، يشربون الكوكا كولا ومقادير كبيرة من القهوة ، ويندر أن تراهم يشربون الشاى .

وأشق عمل تنهض به سكرتيرية الأمم المتحدة ، هو العمل الذى يؤديه قسم الأمن ، فهو يشرف على الحراس ، وينظم أوراق الاعتماد ، ويتولى الوقاية من النار ، ويتعاون فى عمله مع شرطة مدينة نيويورك ومكتب المباحث الجنائية العام .

ورئيس قسم الأمن رجل اسمه « فرانك بجلى » ويعاونه فى عمله مئة أو نحوها من الرجال والنساء . ويرى بجلى أن من حق الجمهور أن تتاح له حرية الدخول إلى القاعات التى تعقد فيها اجتماعات الأمم المتحدة ، وأن يغشى منطقتها دون أن يعترضه معترض ، حتى يقع ما يثبت خطل رأيه . ولم يحدث حتى الآن حادث ما يدل على أن الجماهير التى تؤم مقر الأمم المتحدة كانت غير أهل لثقته . ولا يقع فى العادة من الحوادث المستهجنة سوى حادث واحد فى الأسبوع ، وأكثر الإساءة تصدر عن المتعصبين من أهل الدين ، والناس الذين تثيرهم مسائل الأجناس ، والسكيرين ، والمصابين باضطراب الأعصاب .

والنساء شر من الرجال، لأن إقصاءهن عن مقر الأمم المتحدة أعصى وأشق، والطريقة المألوفة فى إبعادهن هى أن يسير معهن من يستدرجهن إلى الحـديث حتى يتخطين السور، ثم توصد الأبواب وراءهن .

وقلما تجد بين موظفى السكرتيرية من لا يفاخر بانتسابه إليها . وهى لا تزال فى مستهلها، والعمل فيها لا يفتح أمام صاحبه باب الثروة ولا يمهد له طريق التقدم السريع . وأنت تجد نصف موظفى السكرتيرية أو أكثر من نصفهم، لا ينال الموظف منهم مرتباً يزيد على ٣٥٠٠ ريال فى السنة . وخمسون منهم أو أقل ينال أحدهم مرتباً يزيد على عشرة آلاف ريال فى السنة، ومع ذلك يتلقى قسم الموظفين كل أسبوع خمسمئة طلب للالتحاق بالسكرتيرية، وهى مكتوبة بكل لغة من لغات الأرض تقريباً .

وليس لزاماً على طالب الالتحاق بالسكرتيرية أن ترشحه حكومته لذلك أو أن توصى به . وقد تقدم كثيرون من رعايا البلقان بطلباتهم من تلقاء أنفسهم، فقبل بعضهم . ولكن السكرتيرية لم تتلق من روسيا سوى الطلبات التى أوصت بها حكومتها، فحكومة السوفيت يعز عليها أن تستغنى عن رجالها الذين أحسن تدريبهم لأنها تحتاج إليهم، فتراها قلما تستجيب للطلبات المتكررة التى تتقدم بها إدارة الموظفين فى سكرتيرية الأمم المتحدة .

وينبغى لكل موظف جديد أن يحلف اليمين على أن يجعل سلوكه ملائماً « لمصالح الأمم المتحدة، لا لشىء سواها »، ثم ينبغى له أن يتعهد بأن « لا يطلب ولا يقبل تعليمات من أية حكومة أو أية سلطة خارج هيئة الأمم المتحدة فى تأدية عمله » .

ويسلم رجال الأمم المتحدة أن بعض موظفى السكرتيرية لم يكتسبوا بعد النظرة الدولية الكاملة . وقد يتفاوت شعورهم بين العطف العام على وطنهم، إلى الانتفاع انتفاعاً مباشراً بوسائل الأمم المتحدة لخدمة مصالحهم القومية، غير أن الرجاء معقود على تأصل فكرة الولاء لهيئة الأمم المتحدة على السنين، وفقاً لازدياد ثقة الناس والأمم بنفعها وقدرتها على حفظ أمن العالم، ذلك بأن مبدأ ولاء المرء للعالم أولا، ولوطنه ثانياً، هو الأساس الذى تقوم عليه هيئه الأمم المتحدة .

لن تجد رجلا يبلغ به انهماكه فى عمله مبلغاً يعوقه عن الإفاضة فى الحديث عن شدة انهماكه

فى مدرسة الفنون والصناعات بكاليفورنيا ١٧٨٢ طالباً من طراز جديد ، يتعلمون ويتكسبون فى آن واحد .

بصيرة فى مدرسة

فرانك تايلر

مختصرة من مجلة « كنترى جنتلمان »

لما دخل الشاب إدورد سنتوس مدرسة الفنون والصناعات فى كاليفورنيا ، أحضر معه بقرتين ممتازتين من بقر هولشتين بدلاً من النقود . ولم يكن غرضه أن يعلِّم البقرتين ، بل أن يحلبهما فيكسب بعض نفقاته فى الجامعة ، وأن يتدرب على أصول تربية البقر لأنه عزم أن ينشىء لنفسه مصنعاً للألبان .

وأنت تطوّف فى هذه المدرسة فترى طائفة من الطلبة يملكون أنعامهم وماشيتهم التى فى أرضها . فهذا طالب اقتنى خنزيرة يريدها أن تكون طليعة لقطيع من الخنازير الخالصة النسب ، يربيه فى مزرعة له فى المستقبل ، وهذا طالبٌ آخر يربى سرباً من دجاج ليجهورن البيضاء المشهورة ، وهذا طالب ثالث يسكن أهله المدينة ولكنه اقترض مالاً من مصرف المدرسة ليشترى به خرفاناً ، وهذان طالبان اشتركا فى استئجار سبعة أفدنة مجاورة لأرض الجامعة ليزرعا فيها الشوفان ونباتاً من نباتات العلف فى أثناء إكبابهما على دراسة الآلات الزراعية .

والأرض التى تقوم عليها مدرسة الفنون والصناعات ، عبارة عن مزرعة كبيرة يديرها الطلبة ، مساحتها ٢٠٣٨ فداناً ، تكثر فيها الأنعام لصناعة الألبان ، والمواشى لتجارة اللحوم ، والخنازير والغنم والخيل والدجاج ، وتزرع فيها الخضر والحبوب وأشجار الفواكه . وقد وصف هذا المعهد بأنه « جامعة معكوسة » لأنه ينبغى للطالب فيها قبل أن يشرع فى تلقى العلوم والآداب ، أن يحذق عملاً يعينه على كسب المال إذا اضطر إلى قطع دراسته . ومجلس إدارة المعهد يحث كل طالب على أن يشترك فى عمل من الأعمال التى تدرُّ ربحاً على أصحابها .

إن كثيرين من رجال التعليم العالى فى كاليفورنيا يخالفون آراء الدكتور جوليان مكفى رئيس هذا المعهد ، ولكن هذه الآراء قد امتحنت مدة اثنتى عشرة سنة . ويرضى

الرئيس مكفى أن تؤخذ الشهادة على صحة آرائه من أقوال الطلبة وأفعالهم .

فنى خلال أربع سنوات قضاها إدورد سنتوس فى المعهد ، استطاع أن يوفى جميع نفقاته ، وأن يقتنى بقراً لبوناً ثمنه ٣٫٥٠٠ ريال ، وقد حذق عملا منتجاً ، ونال درجة علمية ، وكان من أبطال كرة القـدم بين أقرانه . وأما الطالب الذى اقتنى الخنزيرة ، فقد خرج من المعهد وهو يملك نواة قطيع من أخلص الخنازير أصلاً وسلالة ، وهو يُعَدُّ اليـوم فى طليعة الذين يربونها فى الولاية كلها . أما الطالبان اللذان توافرا على دراسة الآلات الزراعية ، فقد ظفرا بمناصب حسنة فى شركات الآلات الزراعية .

فى سـنة ١٩٣٣ عزم مجلس الولاية التشريعى أن يقفل أبواب هذا المعهد توفيراً للمال ، فلم ينقـذه من تلك الخاتمة سوى بلاغة مكفى ، فعرض يومئذ أن يظل متولياً رئاسته لكى يقيم الدليـل على أن جامعات الولاية تدرّب الطلبة تدريباً يبعد بهم عن العمل ، بدلاً من أن تعدهم للعمل ، فسلم له المجلس فى آخر الأمر ، وخصص له فى الميزانية ٧٥ ألف ريال ، ليـدير بها مكفى معهده مدة سنتين .

وقد اقـترض المعهـد ثلاثة آلاف ريال من مصرف البلدة ، وجعلها رأس مال يقترض منه الطلبة مايحتاجون إليه لأعمالهم. فطالب السـنة الأولى الذى لايستطيع أن يجىء إلى المدرسـة ببقر أو غنم ، يعرض أمره على « لجنة رأس مال المشروعات » ، فيصف لها مشروعاً يروم تنفيذه ، فإذا كان صالحاً أذن له باقتراض المال اللازم ، وأمضى صكاً بما يقترض . أو قد يشترى محركاً مستعملاً ، أو آلة من آلات الزراعة القديمة ، فيصلح مايشترى ويبيعه ، أو قد يشترك مع جماعة فى تربية قطيع صغير من الماشـية ، أو سرب كبير من الدواجن ، أو زراعـة بعض الغلال على أساس تعاونى .

تبلغ النفقات السنوية فى مدرسة الفنون والصناعات بكاليفورنيا ثلاثمئة ريال ، تشمل نفقات التعليم والطعـام والإقامة . ولجنة « رأس مال المشروعات » تعين كل طالب لا يملك مالاً فى أول الأمر . ومع أن الحيوانات التى يملكها الطلبة تربى قطعاناً قطعاناً فى حظائر المدرسة ، إلا أن كل طالب مكلف أن يعنى بتربية مايخصه ، وهو يحتفظ بدفاتر يسجل فيها نفقات العلف والتربية ، فإذا بيع شىء منها ، حسب حساب الربح الصافى ، فيأخذ الطالب ثلثيه ، ويردّ الثلث الثالث إلى صندوق رأس مال المشروعات . وقد استطاعت لجنة هذا المال أن ترد منذ زمن طويل مبلغ ٣٠٠٠ ريال كانت اقترضته

من مصرف البلدة ، وصار مبلغ «رأس‌مال المشروعات» اليوم ٩٠٫٠٠٠ ريال جمعت من حصة ثلث الأرباح . وكل مال يزيد على ٩٠٫٠٠٠ ريال ، يرسله مكفى إلى خزانة الولاية — عسى أن يعينه إذا طرأ عليه عسر واضطر أن يطلب من مجلس الولاية بعض المعونة .

ونظام العمل الحر فى هذه المدرسة شىء جدير بالاهتمام ، فللطلبة مخازن يبيعون فيها البيض ، والدجاج المذبوح المعد للطبخ ، والثمار والخضر واللبن والزبد ، بالأسعار الجارية فى سوق البلدة . والمدرسة تبيع أيضاً القمح والتبن والذرة واللحوم على أنواعها . ولجنة « رأس مال المشروعات » تتجر اليوم بضروب الحيوانات المؤصَّلة،وقد ظفرت قطعانها فى السنوات الأخيرة ثلاث مرات بجوائز الامتياز فى معارض الماشية .

وقد زرت المدرسة منذ عهد قريب ، فرأيت قسم الألبان يضم ١٢٠ بقرة أصيلة ، منها ٧٥ بقرة فى حوزة الطلبة ، وقد بلغ دخله من بيع الألبان ومنتجاتها ٣٠٫٠٠٠ ريال فى سنة ١٩٤٥ . أما قطعان العجول التى تتخذ من أجل لحمها، فكانت مؤلفة من ٢٥٠ عجلاً أصيلا من نوع « هير فورد ». وكان قسم الخنازير يضم ٧٥٠ رأساً . ورأيت فى المرعى القائم على منحدر الأكمة ٢٥٠ خروفاً يرعى ، أما حيوانات اللحم التى كانت ملكا للطلبة ، فقد كانت قيمتها ٥٥ ألف ريال ، وقد شمل قسم الدواجن ٥٠٠٠ طير بلغ مجمل دخلها فى السنة ٣٥٫٠٠٠ ريال .

ومع أن تطبيق منهج المدرسة على فلاحة البساتين والهندسة كان عملاً شاقاً ، فقد تمكن مكفى من أن يبث فى هاتين الدراستين شيئاً كثيراً من روح الاستقلال والعمل الحر . فلجنة المشروعات تقرض المال لمن يرغب فى شراء آلة أو سيارة ، أو محرك طائرة أو سيارة نقل ، فيرمِّم مايشترى ثم يبيعه . وتقرض المال أيضاً لمن يروم أن يشترى فسائل نباتات الزينة أو البذور ، أو الأسمدة للحاصلات . أما الآلات التى تولد الطاقة للمدرسة ، فيتولاها الطلبة الذين يتخصصون فى دراسة محركات ديزل والقوة الكهربائية .

وفى قسم الاستنبات ، يشرف الطلبة على استنبات النباتات والشجيرات وبيعها ، ويتولون تجميل أرض المدرسة والأراضى التى تحيط بمنازل الأساتذة . أما طلبة قسم البساتين فيشتغلون فى بستان صغير من بساتين الفواكه أو كرم من كروم العنب ، أو مزرعة من مزارع التوت .

كانت مدرسة الفنون والصناعات تضم

١٥٠ طالبــاً يوم تسلم مكفى مقاليدهـا ، أما اليوم فعددهم ١٧٨٣ طالبــاً . وقد حمل رئيسها فريقاً من الأغنياء على أن يهبوها ما تزيد قيمته على مليونى ريال من الأرض والمبانى والمعدات والمواشى وغيرها .

وقد برهن نمو المدرسة هذا النمو العجيب على أن رأى مكفى فى إقامة مدرسة يصفونها « بالجامعة المعكوسة » ، هو رأىٌ صحيح مُجْدٍ ، أو هو كذلك على الأقل فى المدارس التخصصة فى الزراعة والهندسة .

وهو يقول : « أرى أن المهمة الأولى التى ينبغى أن تضطلع بها هذه المدرسة هى أن تدرّب الطالب على عمله . وهذا التدريب يحدّد له أين يعيش وكيف يعيش . فهذا أهمُّ مرحلة فى حياته ، أما مرحلة الثقافة فتأتى فى المنزلة الثانية » .



كيف نخدم العالم ؟ !

● ذهب المخترع وستنجهاوس ذات يوم إلى الكومودور فندربلت لكى يطلعه على الفرامل الجديدة التى صنعها للسكك الحديدية — الفرامل التى تعمل بضغط الهواء ، فصرفه فندربلت بقوله إنه لا يجد متسعاً من الوقت ليضيعه على الحمق والمجانين !

● أثبت إريكسون المخترع السويدى فى سنة ١٨٢٨ لمجلس مدينة لندن أن عربة المطافىء البخارية نافعة فى كفاح النار ، ولكن المجلس أبى أن ينتفع بها ، وظل نظام المطافىء قائماً ٣٢ سنة بعد ذلك على رفع الماء ودفعه بمضخات تحرك باليد .

● أصرّ المتمولون الذين أمدوا روبرت فلتون بالمال ليصنع سفينته البخارية ، على كتم أسمائهم حتى لا يتعرضوا للسخرية لأنهم أيدوا بمالهم مشروعاً خيالياً كمثل هذا المشروع .

● اعترض هنرى مورتن ، رئيس معهد ستيفنز الصناعى ، على الذين يكبرون تجارب إديسون فى الإضاءة الكهربائية فيصفونها بأنها نجحت نجاحاً عجيباً ، ثم قال : « فكل من له إلمام بهذا الموضوع يعرف أنها أخفقت إخفاقاً ذريعاً » .

في أيام الثورة كافح في سبيل العقل والرحمة في الدين ، وفي سبيل حقوق الإنسان .

كدح شاعر غنائي عظيم

ماكس إيستمان



أقبل صبيان صغيران اسمهما جلبرت ، وروبرت ذات صباح من عام ١٧٦٦ على معلم فى قرية ألواى الصغيرة بأسكتلندة الغربية ، ليتعلما القراءة والكتابة والترتيل ، وكان روبرت فى السادسة ، وجلبرت فى الخامسة ، وقد كتب عنهما المعلم يقول : إن جلبرت « أنشط خيالا » وأنه « أذكى » من روبرت ، وأن « أذن روبرت بليدة بلادة ملحوظة » وأن صوته « غير قابل للضبط والتهذيب »

فلا تحاول إذن أن تقطع برأى فى أمر ولدك فى السادسة من عمره ، فإن جلبرت قد صار فلاحاً كادحاً ، وصار روبرت من أعظم شعراء التاريخ وأكبر حجة فى أغانى بلاده ، وناظم خيرها أيضاً .

وقد بلغ روبرت هذا المبلغ وإن كان لم يتعلم فى المدرسة إلا بضعة أشهر ، وعلى الرغم من مصاعب تتعاظم المجتاز . وكان أكبر أخوة سبعة فى أسرة ريفية بلغ من سوء حالها وفاقتها أن ظلت سنوات لا ترى اللحم على مائدتها ، فقد كانت أرضها جرداء كنوداً ، والأب شيخاً هرماً سقيما . ولما بلغ روبرت الخامسة عشرة كان رئيس العاملين فى الحقل وكان قوياً شديداً مزهواً باستقامة خطوط أخاديده ، غير أن العمل المجهد أتعب قلبه ، وكان إذا اعترته نوبات دوار يثب فى حوض فيه ماء بارد موضوع إلى جانب سريره لهذا الغرض ، على سبيل الاحتياط . وكان الموت قد اختاره للحصاد المبكر .

وكانت نزعته إلى الاستقلال تعوقه أيضاً ، فلما بلغ الخامسة والعشرين وشرع ينظم قصائد جليلة كان لا يزال يفلح الأرض من شروق الشمس إلى غروبها ، ويعيش على نصيبه من دخل الأسرة — ٣٥ ريالا فى العام .

على أنه ينبغى أن لايستخاص من ذلك أن روبرت برنز كان « فلاحاً غير مثقف » فما من أحد يستطيع أن يبلغ مرتبة العظمة فى الأدب بغير كد عقلى ، والمعجزة هى أن برنز قام بهذا الجهد ، فكان بعد الكدح فى نهاره يقرأ كالنهم كتب التاريخ والفلسفة واللاهوت ، وكل ما تصل إليــه يده من الأدب ، وعلم نفسه الترقيم الموسيقى واللغة الفرنسية ، ويقــول فى رسالة من رسائله بقيت : « عالجت أن أفهم مبادىء الهندسة لإقليدس إلى جانب موقد أبى فى ليالى الشتاء فى أول موسم أمسكت فيه المحراث » .

« والكبرياء والعاطفــة » هما الخلتان النفسانيتان اللتان أتعبتاه ، ولو أنه كان فى بلد أكثر ديمقراطية من أسكتلندة فى القرن الثامن عشر، لما كان الأمر مشكلا ، فما كان حظه منهما يجاوز مايستطيع الرجل أن يحيي به فى جماعة ديمقراطية . ثم إنه كان يعرف حق الكبرياء ومداها ، ومن قوله فى ذلك :
« ينبغى أولا أن نعين مستوى أخلاقنا ، ومتى عرفنا بعد الفحص التام أين نقف ، وماقدرها ، فإن علينا أن نكافح فى سبيل ذلك على اعتبار أنه ملك لنا » .

ولكن العاطفة كانت خليقة أن تتعب برنز فى حينما يكون من الأرض ، فقد كان مفطوراً على الحب كما كان مفطـوراً على الشعر — وكانت فيه رقة قلب وغزل مرح لاتستطيع الفتيات أن يقاومنهما ، وكان يؤمن بالحب إيمان المجاهد . وقد أسس فى صباه جمعية للمناظرة يقضى قانونها بأن «على كل رجل صالح للعضوية أن تكون له معشوقة أو أكثر » ، وقد توخى النزول على هذا الحكم طول حياته ، ذاهباً إلى أن « تجارب حياة العزوبة والزواج تثبت أن الحب هو أول مسرات الحياة » .

وإذا أغضينا عن قصـيدة حب صبيانى أو قصيدتين ، فإن سيرته كشاعر تبدأ بروح المرح والفكاهة ، فكان ينظم القطـوعات الفكاهية الحافلة مع ذلك بعاطفة الحب ، فى حيوانات الحقل ، أو قصائد السخرية :

« بعضهم ينظم الشعر ليهجو به جاراً ،
« وبعضهم ينظمه (ياللعبث) من أجل المال المنشود .
« أما أنا فأنظم للتسلى » .

وكان ينشد هــذا التسلى وهو يزرع الشعير فى الحقل ، أو يحلب الأبقار . وذاع شعره بين من يعرفــون كيف يضحكون ويبتسمون ، ولكنه بلغ السابعة والعشرين قبل أن يجمعه فى ديوان ، وكانت الطبعة محلية فلم يطبع سوى ٦١٢ نسخة ، وقد سددت تكاليف الطبع من ٣٠٠ اشتراك بيعت فى البلاد المجاورة ، وكان بعض القصائد

تقليداً لمأثور الشعر الإنجليزى ، ولكن خيرها كانت من الذهب الإبريز الصافى ، وكانت منظومة باللهجة الأسكتلندية .

كان برنز ينظم للتسلى ، ولكنه كان له تأثير أخلاقى وسياسى لم يكن إلا للقليلين من أبناء عصره ، فقد كان برنز معلماً لأسكتلندة كما كان هومر معلماً لليونان ، وكان شاعر الديمقراطية بمعنى لاتجده فى أى شاعر سواه ، لأنه لم يكتب عن الشعب ، وللشعب فحسب ، بل كان الشعب يقرأه أيضاً .

وكان برنز يكره الطغاة والمنافقين والمتعصبين ، ويسخر منهم ويركبهم بالضحك والعبث ، أما حيال كل شىء آخر فيه حياة ، فكان يفيض رقة تأبى إلا أن تتبدّى . وهذا الجمع بين النقائض هو الذى يجعله يقف مستفرداً قوياً بين الشعراء والناس .

ولعل المغفرة هى من بين الفضائل التى لقنها مواطنيه ، وبث روحها بقوة . وكان مختبئاً حين ظهر كتابه تفادياً لأمر بالقبض عليه استصدره فى ثورة الغضب جيمس أرمر والد جين الجميلة التى رزق منها برنز بأربعة أطفال قبل أن يتزوجها ، وبطفلين آخرين من غيرها . وقد اعترف بأبوّته لهم جميعاً فى جرأة وصراحة ، وأحبهم حب عبادة ، فقد كانت غريزة الأبوة فى نفسه قوية كحبه ، وأكثر ثباتاً .

وكان برنز يعيش فى عصر لا تعد فيه هذه الأعمال شنيعة منكرة ولكنها جاءت فوق سخريته بالكنيسة ، فصارت حياته فى المنطقة لاتطاق ، ولج به الشعور بأنه كالمنبوذ فوقع اتفاقاً بأن يكون رئيس عمال فى حقل فى جامايكا . ولكن الشهرة حالت دون رحيله ، فقد بيع كل ماطبع من ديوانه فى ثلاثة شهور ، وكانت رحلته لجمع الاشتراكات كأنها رحلة فاتح فى موكب نصره .

فعدل برنز عن السفر إلى جامايكا ، وقصد بدلاً من ذلك إلى إدنبرة مجتازاً الجبال ليصدر طبعة قومية ، وما هو إلا أسبوع حتى صار العلم الفرد فى العاصمة ، واحتفى به الناشرون والعلماء والتجار والأشراف والشريفات ودلّلوه . وما يعرف التاريخ قروياً مرت به مثل هذه التجربة التى تدير الرأس ، وإنها لمن مفاخر الشاعر الخالدة أنها لم تَدُرْ برأسه .

وبيعت الطبعة الجديدة من الديوان سلفاً بالاشتراكات ، وقدمت النسخة إلى المطبعة بعد أربعة شهور ، وكان ذلك فى عام ١٧٨٦ ، وكان الأمريكيون قد انتصروا فى حروبهم الثورية ، ولم يكن قد بقى على قيام الثورة الفرنسية سوى ثلاثة أعوام ، وكانت ثم هوة تشطر العالم شطرين : النفوذ والجاه فى جانب ، وحقوق الإنسان فى جانب آخر .

وبدلاً من أن يخفف برنز من روحه الثورية فى طبعة إدنبرة ، ضم إلى الديوان أصرح قصائده فى حب أدنى طبقات الشعب ، وهذا يريك معدن كبريائه .

وكانت شهرته تسمو إلى الأوج وتطبق الخافقين ، فنشر الديوان فى لندن كما نشر فى إدنبرة . وفى خلال عام ظهرت طبعة مختلسة فى دبلين وبلفاست فى إرلندة ، وبعد عام آخر ظهرت طبعة فى فلادلفيا القصية ، ثم طبعة غيرها فى العام التالى بنيويورك .

وفى خلال ذلك قرر برنز أمراً فذاً فى تاريخ الأدب ، فقد أبى أن يقصر حياته على الأدب ، وأخذ الثروة الصغيرة التى جاءته ثمناً لديوانه وهى ٢٧٠٠ ريال ، ووهب نصفها لأخيه جلبرت لينفق منه على حقل الأسرة ، واستأجر بالباقى حقلاً خاصاً به ، وتزوج جين وبنى لها وللأولاد بيتاً . وكان قد قال فى مقدمة الطبعة التى صدرت بإدنبرة ، بلهجة المباهاة : « لقد نشأت إلى جانب المحراث ، وإنى لمستقل » فأراد أن يكون مطمئناً على استقلاله إذا أكدى الحقل ، فدرس وجاز امتحاناً لوظيفة جابى الضرائب . وأبى أن يخلط بواعث طلب المال ببواعث الفن . ولقد نظم الشعر فى بداية الأمر للتسلى ، فآلى أن يظل يقرضه للتسلى إلى النهاية مهما يكن الثمن .

ورفض وظيفة ذات مرتب ثابت فى جريدة بلندن . وقدم إلى الناشر بإدنبرة خمسين صفحة من قصائده ، فى جملتها آيته « تام أوشانتر » لضمها إلى طبعة ثانية ، وكل ماطلبــه فى مقابل ذلك هو عشرون نسخة لإهدائها « إلى بعض عظماء قليلين احترمهم وجماعة من العامّة أحبهم » . ولما اتفق مع الناشر على طبع كتابه الآخر العظيم الذى جمع فيه الأغانى الشعبية الأسكتلندية ورتبها وكتب طائفــة كبيرة منها ، أبى فى غضب ماعرضه عليه الناشر من الأجر .

وفى العامين الأولين اللذين قضاهما فى هذا المجهود الأدبى — وقد نظم فى خلالهما طائفة من أبدع قصــائده — كان يتعهد حقلاً مســاحته ١١٨ فداناً ، ويقطع مئتى ميل كل أسبوع على ظهر جواد ليقوم بعمل مفتش جمرك ، ثم انتقل إلى بلدة دمفريز ، وعاش خمس سنوات أخرى ، وارتقى فى الوظيفـــة ، ومازال عاكفاً على الأغانى الأسكتلندية فى سرور ، ومعنياً بتربية أولاده وتعهدهم . وليس فى التاريخ نظير لهــذا الكدح فى حياة شاعر غنائى .

ومع ذلك اتهم بعــد موته بأنه سكير كسول ، وظلت خمسة أجيال تتلقى هذه المفتريات الفاضحة عنه ، والسبب هو أنه فى زمن الثورة ناضل فى سبيل العقل والرحمة

فى الدين، وفى سبيل حقوق الإنسان . وكان سلاحه سهام السخرية ، فما كاد الموت يعقل لسانه حتى ظهر المتعصبون والمحافظون ليأخذوا بالثأر ، وأرادوا تخفيف العبء ، فمهدوا بأوراقه وترجمته إلى الدكتور كرى الذى كان عدواً عنيفاً للخمر ، وكان برنز يطيب له أن يستمتع بالشراب استمتاعاً خليقاً أن يهدم رجلا لا يكون عقله مسيطراً على بدنه، ولكنه كان فى حياته معتدلا رشيداً فى العادة، كما يقول صديق حميم له. وقد مات بمرض القلب الذى نغص عليه كل حياته ، غير أن كل ما نزل به من الكرب — ومن بينها مرض القلب — يعزوه الدكتور كرى الفاضل إلى شيطان الخمر . وإنك لتجد اليوم فى دمفريز رجالا يدلونك على المكان الذى وقع فيه برنز ثملاً على الثلج ، فضربه البرد حتى مات . وليس فى هذه القصة حرف واحد من الصدق ، فقد ظل طول عمره القصير — فقدمات فى السابعة والثلاثين — يكدح كدحاً عظيماً وكان نوره ساطعاً وهاجاً.

وكان « نوراً رحيماً » إذا كان ثم نور كهذا . وقد قامت فتاة رقيقة اسمها جسى ليوارز على خدمته فى مرضه الأخير ، وكانت تعزف له ألحاناً أسكتلندية قديمة على البيان ، فكان هذا يقع فى نفسه أعمق وقع ، فأعرب عن شعوره بمقطوعة نظمها على توقيع اللحن ، فصارت من أعظم الأغانى الشعبية التى أثرت عنه .

أسرار الجمال

يرى كاتب اسبانى أن أسرار جمال المرأة تتلخص فيما يلى :

بياض فى ثلاثة الجلد ، الأسنان ، اليدين .
سواد فى ثلاثة : العينين ، أهداب الجفون ، الحاجبين .
حمرة فى ثلاثة : الشفتين ، الخدين ، الأظافر .
طول فى ثلاثة : القامة ، الشعر ، اليدين .
قصر فى ثلاثة : الأذنين ، الأسنان ، الساقين .
سعة فى ثلاثة : الصدر ، الجبين ، ما بين العينين .
امتلاء فى ثلاثة : الشفتين ، الذراعين ، عضلتى الساقين .
صغر فى ثلاثة : الخصر ، اليدين ، القدمين .
رقة فى ثلاثة : الأصابع ، الشعر ، الكفل .

[مجلة « جولدن بوك »]

كيف يعيننا العلماء على إصلاح الأخطاء فى العادات
التى ألفناها ودرجنا عليها فى معيشتنا

صحة دائمة وعمر طويل

بروس بليفن

مختصرة من مجلة «ذى نيو ريببلك»

أهم أهداف العلم فى الوقت الحاضر — من حيث تأثيره المباشر فى حياة البشر، إصلاح أخطاء المعيشة التى يسوقهم إليها الجهل فيسيئون بها إلى أنفسهم أعظم إساءة. وقد تكشف للعلم من أسرار الجسم البشرى فى الأعوام الأخيرة، أكثر مما تكشف له فى كل تاريخ البشرية الطويل.

الجسم جهاز عجيب صنع ليحيى حياة طويلة مثمرة، ولكنها حياة يجب أن تقضى فى ظروف تخالف الظروف التى يعيش فيها ساكن المدن الآمن. فقد شاءت الطبيعة للبشر أن يقضوا معظم حياتهم فى الهواء الطلق، وأن يأكلوا أكثر طعامهم طريا، وأن يعرضوا أجسادهم لأشعة الشمس وقتاً طويلا، وأن يعيشوا ليومهم الحاضر بمنجاة من ضغط العجلة والقلق على المستقبل. وما خطر لها على بال أن تؤدى قيود المدنية وتقاليدها إلى خنق عواطفهم، وكتمان أقوى ما يهجس فى نفوسهم من مشاعر.

لكن أكثرنا بدلا من أن يحيى هذه الحياة التى أرادتها له الطبيعة، يقضى ٢٣ ساعة من ساعات كل يوم بين أربعة جدران، فإذا خرج منها أحاط ٨٠ فى المئة من أديم جسمه بثياب تحجب الأشعة فوق البنفسجية النافعة، ولم يقم بأكثر من ٥ أو ١٠ فى المئة من الرياضة التى كان ينبغى له أن يؤديها

نحن نأكل أطعمة تنقصها العناصر اللازمة للصحة والنشاط، فدقيق القمح الكامل الذى يحتوى على أجنّة الحبوب، لا يعيش طويلا (ولا تطيب رائحته فى الأنف كذلك) ومن أجل ذلك أهملناه، ولجأنا إلى الدقيق الأبيض الذى نزع منه بعض الفيتامينات والأملاح المعدنية الهامة. أما الأرز وأنفع مافيه غلافه الأسمر الشفاف الذى يحيط بالحبة، فقد فضلنا منه النوع المصقول الذى أزيل منه هذا الغلاف. وكثير من أطعمتنا الأخرى تعالج بأساليب تتلف خير ما فيها.

ونحن نكثر من بعض الأطعمة ونقلل من بعضها الآخر. وكثيراً مانسمع عن مقادير

الطعام المكدسة هنا أو هناك ، ومع ذلك فأحسن الأم غـذاء لن تبلغ من الصحة ما ينبغي أن تبلغه حتى تستهلك أكثر مما تستهلكه من جميع أنواع الطعام . فعلى الناس أن يزيدوا نصيبهم من الخضر والفاكهة ٦٠ فى المئة ، ومن الزبد واللبن والبيض ٥٠ فى المئة ، ومن اللحم ١٠ فى المئة ، وأن يكون ما يأخذونه منها فى صور تضمن بقاء الفيتامينات النافعة .

إن الأطعمة التي يعدّها أكثر الناس فى إنجلترا وفى الولايات المتحـدة كاملة ، ينقصها فى الواقع بعض عناصر التغـذية . ولكى تصلح الحكومة الإنجليزية هـذا العيب ، أمرت بإضافة الجير والفيتامين ب ا إلى كل أنواع الدقيق الأبيض. وعلى ما لهذا القرار من خطر تاريخى، فإنه لم يكد يحظى من الصحافة بذكر ، ولا بإشارة عابرة .

إن كلبك يقضم العظمة فيستخرج منها قليلا من الجير الذى يلزمه ، وكذلك يفعل الطفل بالسليقة . وقد كانت المـدية التى اعتاد الصينيون أن يهدوها إلى الأم النفساء منذ مئات السنين ، كُراع الخنازير المخللة . وما فى قارة معمل من معامل الأبحاث الحديثة أن يعد مثل هـذه الأم بأنفع من هذه المـدية ، لأن الخل الذى تعالج به الكراع يذيب بعض ما فى عظامهـا من الجير ، وكذلك تعوض الأم ما سلبها الجنين من الجير طول أيام الحمل .

والمتوحشون فى غابات إفريقية يأكلون أوراق الأعشاب والأشجار ، فإذا وجدوا هذه الأوراق غليظة غير سائغـة حرقوها أحيـانا وأكلوا الرماد ، وكأنهم يدركون بالفطرة أن العنصر الذى ينفعهم (الجير) يبقى فى الرماد بعد الحريق . ولقـد عرفنا حديثاً أن الحشائش غنية بالفيتامينات ، ولعلها أغنى كثيراً من الخضر الخضراء .

يقول أحد ثقات التغذية : « إن القاعدة البسيطة للطعام الوافى هى أن تنفق نصف ثمن طعامك على اللبن والفاكهة والخضر ، وان تستوثق من أن نصف ما تستهلكه من الخبز والحبوب كامل لم ينزع منه شىء» .

ويعتقد كثير من علماء التغذية أن الصحة كانت خليقة أن تعم ، وأن الحيـاة كانت خليقة أن تطول إلى حد كبير ، لو أكلنا مقادير ملائمة من الأشـياء التى شاءت لنا الطبيعة أن نأكلها ، ثم اتبعنا المنهاج الذى قدّرته لنا فى الحياة. إن عمر الحيوانات يبلغ تسعة أضعاف الزمن الذى تستغرقه الطفولة، وعلى هـذا المعدل كان يجب أن يعمّر الإنسان من ١٠٠ سنة إلى ١٢٥ سنة .

نحن نعلم اليوم أن ضوء الشمس الذى يقع رأساً على الجـلد يعين الجسم على صنع

فيتامين « د » الذى لا غنى عنه ، وأن هذا الضوء كذلك يبيد المكروبات . وعندما اتضح أن زجاج النوافذ المألوف يحجب الأشعة فوق البنفسجية ، وهى أهم العناصر الشافية فى ضوء الشمس ، عمدت مصانع الزجاج إلى صنع نوع منه لا يمنع هـذه الأشعة . وقد كان هذا النوع فى البداية باهظ الثمن ، ولكنها وفقت إلى عمل نوع رخيص منـه يستعمل اليوم فى كثير من الدور . وقد وفق العلمـاء كذلك إلى صنع مصابيح « شمسية » تمد بالأشعة فوق البنفسجية أولئك الذين لا يستطيعون الحصـول على الأشعة الأصيلة فى ضوء الشمس .

أترى البشر يرزحون تحت أعباء الحياة الحديثة فى المـدن فتضعف قوة أبدانهم ؟ يقول العلماء : « كلا » فإن عشرة أجيال من البشر قد يعيشون فى الظلام فى أكواخ محرومة من الهواء النقى غير مكفولى الحاجة من الطعام واللباس ، ومع ذلك ترى الطفل فى الجيل الحادى عشر يصبح مثـلا كاملا للرجولة السليمة ، إذا حظى بالرعاية الوافية منذ مولده .

إن أكثر العلماء يذهبون إلى أن حياة التوتر التى نحياها لم تؤذنا ، وإنما الذى آذانا هو الضرر الذى نلحقه بأنفسنا من سوء التغذية وسوء العادات . وهم يرون أن الجهاز العصبى قادر على أن يحمل من الأعباء أكثر مما نتصور ، ويذكروننا بما تنبأ به الأطباء منـذ قرن من فادح الأذى الذى يصيب أولئك الذين يسـافرون بالقطار البخارى إذا قطع أكثر من ٣٠ ميـلا فى السـاعة ! ولعل أولئك الذين يعيشون بعد خمسين عاما من اليوم ينظرون إلى ذلك الترف الذى نستمتع به فى هـذا الزمن ، نظرتنا نحن إلى الأيام التى لم يكن فيها تلفون ولا سيارة ولا مذياع ولا طائرة .

نعم إن عـدد المرضى فى مستشفيـات الأمراض العقلية اليوم أكبر مما كان ، ولكن لعل مرد ذلك إلى أننا أصبحنا اليوم أقدر على تشخيص الجنون ، وأن الناس أصبحوا أشد ميلا إلى انتجاع المستشفيات ، فإذا كان ثمة زيادة فى معدل الإصابة بالجنـون فإن وسائل العـلاج الحديث كفيلة بأن تجعل الحالة اليوم أحسن مما كانت فى زمن مضى .

وثمة فصل علمى رائع عن البحث الذى يتولاه الباحثون الآن لتحديد العلاقة بين أمراض العقل وأمراض البدن ، فقد أخذ العلم الطبى يعزف عن فصل أمراض العقل عن أمراض البـدن ، فإن العقل والجسم كلاهما يؤثر فى الآخر دون ريب بطرق أعقد وأختل مما كان يدور فى خلد الأطباء منـذ بضع عشرات من السنين . فبعض

المشاعر العاطفية مثلا ، كالخوف والغضب ، تحدث فى أجسامنا تغيرات ملحوظة ، فتزيد إفراز بعض الغدد وتمنح عضلاتنا مدداً جديداً من القوة يعيننا على الصراع أو الفرار، بيد أن الرجل فى العصر الحديث يعانى كثيراً من هذه المشاعر دون حاجة إلى الصراع أو الفرار . وقد أخذ العلم يدرك الآن أن هذا الإفراز الزائد الذى لا يستغل، يؤدى إلى إيذاء الجسم من عدة وجوه .

ويختلف العلماء فيما للحرب من أثر فى أبدان الناس، ولكنهم متفقون على أن الحروب (غير الذرّية) التى كانت خليقة أن تؤدى إلى انحلال الجنس البشرى ، لم تفعل شيئاً من ذلك على ما يلوح ، فإن الإنسان اليوم يكاد يكون مثله منذ عدة آلاف من السنين.

وقد استطاع العلم الطبى الحديث خلال القرن الماضى أن يعدل قانون « بقاء الأصلح» فيجعله قانوناً « لبقاء الكل » دون تمييز ، ولقد نكون بذلك قد خلقنا لأنفسنا مشكلة جديدة . والعلماء الذين حادثتهم لا يؤيدون الاتجاه إلى تعقيم الأنواع الدنيا من البشر . وهم يشيرون إلى صعوبة فرض مستوى معين من السمو على البشر بالقوة . وفوق ذلك، من يدرى أن الصفات التى كانت تمهد لبقاء البشر فى بداية عهدهم وهى القوة البدنية والشجاعة والخلق ، سوف تظل كذلك بعد مئة عام ؟ وما جدوى القوة البدنية فى حضارة يتألف معظمها من ضغط على الأزرار أو تحريك للروافع ؟ أو أن الأثرة والجرأة البالغتين وهما من خير الصفات المدنية التى نعيش فيها الآن ، قد تصبحان بلا جدوى فى المستقبل ؟

يؤمن العلماء الآن بإمكان دفع مساوىء الجهل التى آذى بها البشر أنفسهم ، وهم يعتقدون أننا قادرون على تعلم أنفسنا فى وقت قصير — قد لا يزيد على جيل واحد — كيف نأكل ونلبس ونتنزه فى الهواء الطلق ، ونحصل على نصيب كاف من أشعة الشمس . فقد فتح العلم اليوم آفاقاً جديدة للحياة لم يعرفها البشر من قبل.



حقيقة الظواهر

إذا كان الأفّاق غنيًّا سُمّى سائحاً . [پول ريشار]

إذا اجتمع الأغنياء للعناية بشئون الفقراء سمى ذلك إحساناً ، أما إذا اجتمع الفقراء للاهتمام بشئون الأغنياء فإنه يُسمى فوضوية . [پول ريشار]

حيلة المرأة

كانت جين أدمز من أشهر الأمريكيات اللواتى دأبن على فعل الخير والدعوة إلى السلام . وقد اتفق لها مرتين فى حياتها الطويلة أن استيقظت فى جوف الليل فرأت لصًّا فى حجرتها . أما فى المرة الأولى فكان ابن أخيها الطفل نائماً فى الحجرة المجاورة ، فكان كلّ همّها أن لاتزعجه من نومه ، فالتفتت إلى اللص وقالت : « حذار من أن تحدث ضجة » ، فدهش اللصُّ مما سمع وعدا ليثب من النافذة التى دخل منها فقالت له : « إنك خليق أن تؤذى نفسك إذا فعلت ، فانزل على السلم وأخرج من باب البيت » ، ففعل .

أما فى المرة الثانية فوجهت الخطاب إلى اللص حتى استراح إلى كلامها ، فتبينت أنه ليس باللصّ المحترف ، وأنه رجل معطل عن العمل ، فطلبت منه أن يرجع من حيث أتى ، وأن يعود إليها فى الساعة التاسعة صباحاً ، فتحاول أن تدبِّر له عملاً . فعاد ، وقد وجدت له عملاً شريفاً يعمله . [جيمس ديرين]

كتبت إلينور ولسن مكادو ، كريمة الرئيس ولسن وزوجة وزير ماليته مايلى: « سمعت مرة فى مأدبة عشاء رجلا يقول لآخر : أترى تلك المرأة ؟ إنها جميلة حقاً ، ولكنك لن تجد أحداً من الناس يدرك ذلك ، فإنها تدخل الحجرة هادئة وديعة كأنها حمَل ، فلايظن الناس فيها إلاماتظنه هى فى نفسها ».

وقد علقت هذه الكلمة بخاطرى حتى عزمت على أن أمتحن صدقها . وكنت أدرك أننى لست بالسيدة الجميلة ، ولكننى قدّرت أنه فى وسعى أن أدخل حجرة مزدحمة بالناس وأنا شامخة الرأس ، زاعمة لنفسى أن فتنتى لا تُقاوم ، فليس فى ذلك جناية على أحد ، ولكن هذا التظاهر خليق أن يجنبنى إدراك الناس للخوف الذى يكاد يشلُّنى . ففعلت ونجحت التجربة ، وسرعان مازال عنى الحياء الذى لم يزل يغلب علىّ ، وظللت على ذلك طوال حياتى . وانفق ذات مرة أن قال لى أحد الرجال : « إنك شديدة الإعجاب بنفسك ، ألست كذلك ؟ » فاغتبطت بما سمعت — فقد وفقتُ إلى ما أردتُ » . [كتاب « أسرة ودرو ولسن »]

ذخيرة الحيوان

إيفان ت. ساندرسن
عضو جمعية علم الحيوان، والجمعية الجغرافية البريطانية

ايفان ساندرسن عالم اسكتلندى شاب من علماء التاريخ الطبيعى، تخرج من جامعة كمبردج ورحل الى مستعمرة الكميرون البريطانية فى غرب افريقيـــة ، على رأس بعثة لدراسة الحيوان وجمع نماذجـه ، فاستعان فى دراسته بعين الفنان اللطيفة الاحساس ، وحماسة العالم المتبحر . والحياة فى الأدغال تفجأ الانسان المتحضر بمشاهدها الغريبة، فهناك ترى « ساندرسن » وصاحبيه « جورج » و « سيتون » (الدوق) عرضة للمفاجآت حيثما التفتوا وأينما ساروا. وكتابه روايةزاخرة بالمغامرات النادرة وبالرسوم البديعة التى رسمها بيديه ، وقد قالت فيه الكاتبة الناقدة دوروثى كانفيلد فيشر : «قلما تجد بساطا سحريا ينقلنا كما ينقلنا هذا الكتاب ، مبعدا بنا عن مألوف حياتنا الرتيبة . ومؤلفه الشاب خير صاحب تتخذه أيا كان صحبك الآخرون» .

زخيـــرة الحـــيوان

« مِنْك » باللحم ياسيدى » ، و « اللحم » في الرطانة الإنجليزية الشائعة في غرب إفريقية تعنى « الحيوان » .

وقد لازمتنى هـذه العبارة آناء الليل وأطراف النهار طوال إقامتى فى تلك البلاد، وقد كان أحد أبنائها يطلع علىَّ بها وأنا مُكِبٌّ على قياس رجل الجرذان ، أو بطون الضفادع،أو أى عمل من الأعمال الكثيرة التى لا بد منها لبعثة غرضها جمع نماذج من مختلف الحيوان ، ولكنها عبارة كانت دائماً باعثاً على ضرب من النشوة جديد فى خيمتنا .

فلما سمعتها اليوم قلت : « وأىُّ حيوان هو اليوم ؟ »

والتفتُّ فرأيت أمامى رجلاً مبتسماً من أهل البلاد يعبث بالإزار الذى يستر عورته، وإذا به يصيح ، ثم يرفع يده ويأخذ فى مصِّ إصبعه . ففى ثنايا الإزار كتلتان صغيرتان سوداوان من الفراء الأسود اللامع طول كل منهما بوصتان أو نحوهما . فلما وضعهما على شرفة الكوخ ، وثبا لساعتهما على قوائمهما الخلفيـة كأنهما مصارعان ، وجعلا يصيحان بأصوات رفيعة عالية لاتكاد تسمع لارتفاعها ، ثم جعلا يتصارعان .

وعلى أن زَباب* غرب إفريقية يُعَدُّ من أخس الحيوانات طباعاً وأشـدها تهيجاً وتمرُّداً ، فقد رحبنا بإضافة هاتين الزَّبابتين إلى مجموعتنا ، وقد اشترينا هذين المخلوقين الضئيلين اللذين لا يكفان عن الصياح،كل واحد بنصف قرش ، ووضعناهما فى قفص صغير ، وزودناهما بقطع من اللحم أوشك أن يدب الفساد فيها ، فظلا يتعاركان ويتصايحان بقية النهار وسواد الليل . فلما أصبح الصباح نظرنا فألفينا اللحم الذى وضعناه فى القفص قد اختفى مع أنه يزيد على حجم الحيوانين جميعاً ، ثم تبينا أن أحد الحيوانين وحسب لم يزل حيًّا . أما الآخر فكان مطروحاً فى زاوية من القفص ، وقد بقرت بطنه فقد أكل صاحبه أحشاءه، ومعظم رأسه أيضاً .

وهذه الحيوانات تهجم على كل حىٍّ ، ولا تستثنى الإنسان أو هِررة الغاب الضخمة. فلكل منها فكان صغيران مزودان بصفوف متراصّة من أسنان مشحوذة كالإبر ، وهى

* الزباب واحدته زبابة حيوان من آكلات الحشرات شبيه بالفأر فى الظاهر ولكنه ليس من رتبته ولا فصيلته .

رائحة كريهة توقّيها من هجوم الطيـــور والحيوانات اللبونة عليها. وأذكر أنى لمست مرة فى المتحف البريطانى ، زجاجة حفظت فيها طائفة من هذه الحيوانات فى كحول منذ ثلاث سنوات ، فلم أجد بدًّا من أن أغسل يدىّ مرتين حتى لا تغلبنى رائحتها الكريهة فأقىء . ومع ذلك ترى أهل هذه البلاد يسلقون هذه الحيوانات فى زيت النخيل وبعض الأوراق، فيصنعون رائحة من أطيب الروائح التى شممتها فى حياتى وأبقاها ، وهى تشبه رائحة خشب الصندل أو ليمون يوسف أفندى .

صعاليك الغـابة

وكان هناك طريق قديم على مقربة من أحد مخيماتنا الأولى فى الغابات ،وكان مغطى بالعشب حتى يكاد يشبه أى ثغرة أخرى بين الشجر ، ولكنه كان ينفعنا فى التجول فى الغابة الكثيفة ، وكنت أجوبها ذات مساء فاستوقفنى صوت مفاجىء خيل إلى أنه صادر عن ثورة فى معدتى على الخليط الذى حشوتها به فى الغـذاء ، فوقفت مرتبكا وبى حياء طبعتنا عليه آداب الحضارة . وتكرر الصوت عدة مرات . وقد تعشيت من قبل مع أسرة صينية نابهة، وتعشيت أيضاً مع رهبان صومعة فى جزيرة بالى فى الهند الشرقية ، وقد رأيت القوم يظهرون رضاهم عن الطعام والتـذاذهم العظيم به بالتجشؤ على هذا النحو ، ولكن الأصوات التى كانت تخرج الآن حولى فاقت أقصى ما يتناهى إليه الخيال فى الشرق الأقصى .

وشعرت برغبة قوية فى رؤية محدثى هذا الصوت العجيب ، ولكن كلما تحركت لأنظر تحت الأعشاب ، كان الصوت ينقطع فجأة .

وأردت أن أستدرج هذه الخلائق الخفية واستدنيها فلجأت إلى الحيلة ، وقعدت على جانب الطريق ، واشـــتركت فى إخراج الصوت ، بضعف فى البـداية ، ثم بقوة مطردة الزيادة . ففاقت النتيجة ما كنت أرجو ، وما كنت أخشى أيضاً ، فقد دنت الأصوات منى دنواً شديداً .

وإذا بى أرى حيواناً مخيفاً قد قعد أمامى وبدا لى كأن شملة غبراء قد لفت عليه ، وكان يفحصنى بعينين نظرتهما ثقيلة . فكففنا أنا وهو (أوهى) عما كنا نخرجه من الأصوات، وندت عنا كلينا فى وقت واحد صيحة «أوه» حتى لقد شعرت برغبة قوية فى الضحك ، ولم يكن يخطر لى فى بال أن القردة ، وإن كانت من فصيلة البابون تخرج فى جماعات كبيرة لتتبارى فى إخراج هـذه الأصوات من حلوقها .

وكنت قد رأيت قردة البابون من قبل، ومع أنى كنت أود لو عدت إلى المخيم ومعى

هذا النموذج الطريف القاعد أمامى، إلا أنى تذكرت أن الرأى أفضل من الشجاعة حيال هذا الحيوان ، لهـذا نهضت لأنصرف ، متّقيا العجلة كأنى فى حفلة شاى طبعها الوقار بطابعه ، فوقفت السيدة (أو السيد) مثلى، ولكنها وقفت على أرجلها الأربع بحيث بدت مؤخرتها لى ، وكانت وردية زاهية فى هذا الوقت من السنة .

وكان لهذا الحادث آثار عجيبة، فانفرجت الشجيرات فى كل ناحية ، وتبدى لى منظر مدهش من هذه الخلائق التى هى دون الإنسان مرتبة ، وكان بينها ذكر لا شك فى ذكورته مخيف الجرم ، ومعها صغار فطس الوجوه شاحبتها . وكان فى حركاتها تمهل كأنما تتخذ أمكنتها استعداداً لمباراة فى الملاكمة ، ومضى القرد الضخم الذى كان كأنه الرائد ، إلى الطريق ورائى وقطع علىّ خط الرجعة .

ولا أظن أنك رجلٌ أحدقت به قط طائفة من قردة البابون المتربصة ، ولكن إذا كان قد وقع لك ذلك ، فإنك ستوافقنى على الأرجح ، على أن من العسير جداً أن تهتدى إلى حيلة أو أن تفكر تفكيراً هادئاً ، ثم إن أى جماعة فى هذه الدائرة يكون ظهرى إليها ، تظن أن الفرصة قد لاحت لها لكى تتقدم قليلا، وقد بدأت الحلقة تضيق بسرعة، وأتذكر أنى حدثت نفسى حديث المتجلد المؤمّل ، أن هذه القردة تأكل النبات ، وأنى لست نباتاً ، وإن كنت أحسب أنى قد أبدو كذلك فى عيونها ، وتثاءب السيد الضخم فلحت أنيابه وطولها ثلاث بوصات .

وكنت أعرف أن كل حيـوان تقريباً — ولو كان نمراً — يتراجع إذا تظاهرت بأنك تقذف حجراً . فجربت ذلك ، ولكنى فى غمرة الموقف التقطت حجراً بالفعل على غير قصد ورميت به هذا الذكر الضخم المتثائب. وقد دهشنا جميعاً حين أصاب حجرى الهدف، وغضب الهدف وحنق ، وبينما كنت أنحنى لأجمع قذائف أخرى راح هو يرقص ويردّ التحية بقوة ، ويجرف الأرض برجليه ، ويلتقط صخرة صغيرة وهو يفعـل ذلك ، ويقذفها علىّ بإحكام شديد .

وكان هذا بداية هرج ومرج شديدين ، فرحت أقذف بالحجارة فى كل ناحية ، ومع أن القرود التى تواجهنى كانت تتقهقر فى كل مرة، إلا أن من كان منها على الجانب الآخر أخذ يزحف نحوى ، وكان السـيد الضخم أكثرهم تقدماً ، وقد أصبح الآن متلهب الغضب ، يرمينى بالحجارة والحصى الكبير ويبصق علىّ وهو يرقص ، ويعرض لى وجهه الدميم الذى يشبه وجه الكلب، ومؤخرته التى لا تشبه مؤخرة الكلب فى شىء. ولم أجترىء على إطلاق النار مخافة أن أثير الجمع كله .

وفى إحدى فترات الهدوء ، أخرج واحد من أصغر القردة صيحة ضجر ورمانى بحفنة صغيرة من الطين ، وكان هذا العمل سخيفاً ، حتى أنى — وأنا فى هذه الحالة النفسية المضطربة — انطلقت أقهقه . ولا أدرى لماذا بدا لى الأمر مضحكا ، ولكن ضحكى كان عملا موفقاً جداً .

ذلك أن أم الصغير تناولته وفرّت ، وتبعتها أمهات كثيرات ومعها صغارها ، أما البقية وكانت نحو اثنى عشر من الذكور فشرعت تعدو هنا وههنا وهى فى دهشة ، فواصلت الضحك والصياح كأنى فى حفلة مباراة الكرة ، وسرعان ما صار ضحكى وكلامى خليطاً غير منسق ، من جرّاء ما صارت إليه أعصابى ، فأقبلت على الذكر الضخم وأنا أصيح به : « لقد أصابوا الهدف . إجرِ . إجرِ . إجرِ يا سخيف ! » وكنت فى الوقت نفسه أرقص الرومبا التى تقصم الظهر . فوقف القرد جامداً فى مكانه وعلى وجهه آيات الاستهجان ، ثم خانته أعصابه فانطلق يعدو .

وبادرت فعدت أدراجى إلى المخيم .

النمورة

الغابُ كثير الأسرار ، فالنمورة مثلا كثيرة جداً ، وكنا نبغى أن نبتاع نماذج منها ، ولكنا إذا استثنينا أننا لمحنا النمورة الحية مرة أو مرتين فقد ظللنا شهوراً عديدة لا نرى سوى أجزاء من أجسامها . وكانت هــذه الأجزاء الكاذبة الوعد عبارة عن جلود وجماجم ينقصها الفك الأسفل ويدخرها شيوخ القرية ، فإن النمر يدخل فى كثير من الطقوس ، ولم نستطع أن نشترى جثة نمر إلا بعد أن دفعنا مبلغاً من المال إلى جمعية النمر وقمنا ببعض الطقوس التى لا بدّ منها للانضمام إلى هذه الجمعية .

وأدى اتفاقنا مع جمعية النمر إلى الحصول على نمر كبير ودمه لا يزال حاراً ، وتسلمه زميلى سيتون . ولما تلقاه سيتون (ونطلق عليه الدوق) كان النمر كاملا ، فسلخه بيديه ، وكان معه أوميزى سلاّخه ، وجمهور من المتفرجين . ولما تم السلخ كان شعر الوجه قد زال ، ولم يقص وإنما اقتلع من جذوره .

وبعد قليل وقع اضطراب بين خدامنا ، وقد اهتديت إلى السبب فيما بعد ، ذلك أن أوميزى اتهم بحيازة شاربى الفهد ، وظُنّ به أنه قد يسمّ زملاءه .

وبينما كنت أسوى هــذا النزاع بين الأتباع ، وقفت على شيء كثير عن هذا الموضوع المختلف عليه — موضوع السم بواسطة الشوارب المقصوصة من الفهد والببر

والنمر . وقد رويت قصص هـذا السم فى بلاد عديدة ولكن لايبدو أن أحداً استطاع أن يثبتها أو ينازع فيها .

وبهذه المعرفة الجديدة التى أفدتها أعددت بعض شعرات من شوارب النمورة أخذتها من جلد نمر آخر على حسب القواعـد الموصوفة ، وقدمت هذه الشعرات مدسوسة فى الموز إلى شمبانزى ، فشعر على الفور بوجود شىء غير طيب ، ومجّ وتفل ما ذاق ، وداس بأرجله ما بقى من الموز — بحدة ، وقدمت له شـيئاً آخر من الموز ليس فيه شعر مقصوص من الشوارب فالتهمه بنهم . وقد استطعت بعد ذلك أن أغرى قرداً بأكل شىء من الموز فيه الشعر ، فلما مات بعد بضعة أسابيع شرحته بعناية .

ولم أعثر فى أول الأمر على شىء ، وظننت أن الشعرات كلها مرت من الأمعاء ، على أنى قمت بفحص أدقّ فوجدت عدداً كبيراً من الالتهابات الشبيهة بالأكياس مدفونة دفناً عميقاً فى جدار المعدة ، ولما شققتها أذهلنى جداً أن أجد شعرة واحدة مقصوصة من شعرات الشارب (لااثنتين ولا أكثر) .

فهل شعر شاربى النمر سمٌّ إذا أُكل ؟ يظهر أن الأمر كذلك ، وقد مات القرد بالالتهاب الرئوى قبل أن يحدث الشعر أثره كله، ولكنى أعتقد أن الدرنات التى وجدتها فى جدار المعدة كان من شأنها أن تؤدى إلى التهاب وبيل فى الصِّفاق (البريتون) .

ويروى أن الذين قيل إنهم قتلوا بهذه الطريقة ، عانوا آلاماً مبرحة بعد قليل من التسمم ، ويقول الإفريقيون عن هؤلاء إن « الببر ينهش بطونهم » .

الغـابة الكبيرة

إن عالم الغابات الكبيرة مقسم إلى طبقات بعضها فوق بعض . فهناك أولا طبقة تحت الأرض تعيش فيها جماعة غريبة من الحيوان قل من يعرفها ، معظمها ضئيل الحجم ، وفيها تقضى حياتها كلها ، ويندر أن تخرج إلى النور أو حتى فى ظلام الليل . ثم تأتى بعد ذلك الطبقة التى نرى فيها الحيوانات المألوفة من كل حجم ونوع ، من الفيل إلى الفأر — وهذه هى أرض الغابة .

وفوق هـذه الطبقة ترتفع الحياة عن الأرض وتحلق فى الجو ، وتكون بين الأشجار الباسقة التى تغطى الرقعة كلها . وفى هذه « القارة الطائرة » قامت مدنية حيوانية ولم تزل باقية من قبل ظهور الإنسان فى العالم .

ويبدو هـذا البحر اللجى من النبات من فوق ، كأنه بساط لا آخر له من المخمل يتموج تموُّجاً رقيقاً فى كل اتجاه إلى آخر مدى البصر ، ولا يزال لونه يتغير مع دورة

الفصول ، فالمطر يكسبه لوناً أخضر باهتاً ، ويكسبه موسم الجفاف — وهو خريف المنطقة الاستوائية — حمرة مضطرمة ، وتسقط آلاف من الثمار الشهية الناضجة البهيجة الألوان — كباراً وصغاراً — فى الظلمة تحت الشجر . وأما المطرة الخفيفة ووقدة الشمس فتخرجان حفلا من الأزهار ، ما بين قرمزى وأزرق وأخضر وأصفر وبنفسجى وأسمر وأحمر . وقد بدا لى سطح الغابة أحياناً كأنه بساط موشى بألوان السنط الذهبى ، والحمرة القانية من شجر « لهب الغابة » . وهناك جمهور عظيم من الحيوانات الصغيرة يقضى حياته كلها مختبئاً فى هذه « القارة الطائرة » المستسرة ، ولا يهبط أبداً إلى الأرض ، وبعضه — بعض القرود والضفادع والجرذان — يهبط أحياناً طلباً للماء ، أما الوصول إلى الآخرين والوقوف على مظاهر حياتهم فيقتضيان الصعود إلى عالمهم الرفيع .

التسلق

وذات ليلة خرجت وحدى لأفحص شجرة قريبة ، ومعى مصباح كهربائى حرصت على أن أضيئه باستمرار ، فكان يستوقفنى هنا وههنا عينان ملتمعتان أو عين واحدة تومض ، وهذه العيون الصغيرة الجافية التى تبدو مفردة ، خداعة جداً ، فقد لا تكون إلا قطرات من الماء أو من عصارة نباتية تعكس الضوء ، أو عناكب أو حشرات . وهذه العيون الكبيرة المركبة فى هذه الخلائق الصغيرة ، تستطيع أن تعكس من الضوء ما تعكسه عين حيوان كبير ، وبعضها فوق ذلك نيّر وضّاء . ووقفت فى موضع وصّعدت نور المصباح ، فرأيت فوقى تقريباً حيواناً له أعجب منظر وألطفه ، وكان متدلياً من غصن ، وهو لا يختلف فى شىء عن دب صغير ، وكان مقلوباً فى تدليه ، ووجهه الصغير المستدير إلى الأرض ، وكان قريباً منى حتى لقد رأيته يلحس أنفه الوردىّ بلسانه الصغير الوردى أيضاً ، وكان سائر بدنه مكتنزاً وأسمر وذا فرو ، فجعل يطرف فى النور الساطع ، ثم شرع يصعد بجهد ، وحدثتنى نفسى أن أظفر بهذه الأعوبة الصغيرة ، الجميلة فاعتزمت لسخافتى أن أتسلق الشجرة .

وسهّل التسلق علىّ بعض الأغصان الدانية ، ولكن الصعود كان صعباً لأنى كنت مضطراً أن أسدد الضوء إلى الحيوان حتى لا يختفى عن ناظرى ، وصار الأمر سباقاً بينى وبين الهبّار (وهو قرد غزير الشعر) إلى الزواية بين الفرع والجذع ، وقد سبقته إليها ، فلما أدرك خطأه فى مداورته ، تقهقر إلى ما هو أرحب وأوسع بسرعة لم أكن أظن أنها فى وسعه .

ووضعت المصباح فى فمى وتعقبتـه ، فضعت فى تيه من الأغصان الضخمة ، وتبينت أنى أستطيع أن أنتقل من شجرة إلى أخرى كما يفعل الحيوان ، وكدت أفقد المصباح مراراً ، ثم وجدت أنى عاجز عن الهبوط لأن الشجرة التى بلغتها ليس لها أغصان قريبة من الأرض ، وكنت قد ارتفعت مئة قدم وزيادة ، أما الهبّار فكان قد نجا فى خلال ذلك .

وظللت فترة أحاول أن أصل إلى جماعة من النبات المتسلق قريبة منى،وإذا بى أسمع فجأة ضجة عظيمة من أصوات شتى حولى ، فلففت ذراعى حول بعض الأغصان ، وتناولت مصباحى ، فإذا بى وسط جماعة من القرود يغالبها النعاس . ولعل أبعث شىء على الدهشة هو أن تلتقى بجماعة من القردة الخفاف فى بيئتها . وكنا نرى كل يوم تقريباً هـذه الحيوانات تمر كالأشباح وتصعد فى طرقها المرتفعة وهى آمنة من كل اعتداء . وها هى ذى هنا ، تطرف وهى صامتة فى ضوء المصباح ، وهى أبعد عن اليقظة من رجل أسرف فى الشراب .

كانت هـذه الحيوانات عاجزة كلّ العجز فى ظلام الليل ، فكانت تترامى هنا وهناك ، وتعول عويل الأطفال ، وتعوى مستغيثاً بعضها ببعض ، وكانت الأمهات تحتضن صغارها ، والذكور الكبار تطأ الأرض وطئاً ثقيلا كأنها قد أدركت أنه ينبغى لجماعتها أن ترحل عن مكانها ، بيد أنها لم تستطع أن تحزم أمرها على أى مكان تقصد . وعلى شدّة اهتمامى بمراقبة عاداتها وطبائعها ، كانت الفترة التى أتيحت لى لأفعل ذلك فترة قصيرة ، ذلك بأن الأرض أخذت تمور من تحتى .

وتلت ذلك دقائق كانت من أفظع ما مرّ بى ، فقد هوى الغصن الذى كنت ممسكا به بكلتا يدىّ ، فهويتُ على رأسى ، وظلت ساقاى معلقتين بنبات معرّش متين رأيتهُ ملفوفاً على صدرى ، فأنقذنى هذا النبات المعرّش من الهلاك . وبعد قليل بدأت أتسلقه حتى بلغت حبالا أخرى من النبات منحدرة إلى الأرض فنزلت عليها .

فكان ما حدث خاتمة كئيبة لليلة رائعة ، ولكنه هدانا إلى أننا نستطيع أن نتسلق الأشجار حتى نقتحم حمى الحيوانات التى تسكن الأشجار — حمى «القارة الطائرة» .

وقد ظللنا بعد ذلك زمناً غير يسير دأبنا فيه على تسلّق الأشجار فى وضح النهار ، فأتاح لنا ذلك أن نصوّر الصور الضوئية الأولى لحيوان الليمور * النادر فى مسارحه

---

* الليمور : قرد صغير الذنب جميل الصورة

الطبيعية . وقد رأينا حيوانات الفراء الثمينة تجوس خلال الأشجار مبتهجة بما تفعل ، ورأينا السناجيب تلعب لعبة القفز والوثب كما يفعل الصغار فى المدارس، ورأينا مشاهد أخرى لا تحصى ولا تنسى .

وقد تبيّنا أن لهذه الحيوانات طرقاً مطروقة فى الأشجار ، تقطعها كلّ يوم سائرة فى اتجاه بعينه ولا تغير مواعيدها . وقد لمحت ذات مساء رَباحاً كبيراً ، وهو حيوان أرقط شبيه بهرّ الزباد ، فاختفى فى جحر كبير فى أواسط شجرة ضخمة ، وكان يعود إلى هذا الجحر كلّ مساء فيبقى فيه بضع دقائق ، ثم يبرحه باحثاً فى جوف الليل عن طعامه . وقد شقّ علىّ أن أتصوّر الباعث على هذه الزيارة الرتيبة، حتى تمكنت من تسلّق الشجرة ، فوجدت بركة صغيرة من الماء الصافى الساكن فى ثغرة بين فرعين من فروع الشجرة . فقد كان هذا الحيوان يؤمُّ البحيرة كلّ ليلة فى موعده المضروب ليشرب من مائها .

وقد نصبنا لهذه الحيوانات شراكاً وشباكاً وأحابيل وغيرها من حيل الصيادين ، ساعة عرفنا الطرق التى تطرقها ، فجمعنا منها النماذج التى نطلبها ، وكنا نحتفظ بها فى مخيمنا ، فنتخذ بعضها للتدليل كما تدلل الكلاب والقطط فى بيوتنا ، ونتخذ من بعضها الآخر نماذج حية للبحث العلمىّ حتى نستطيع أن ندرس عاداتها وطبائعها .

فهذه المجموعة الصغيرة من الحيوانات كانت كفيلة بأن تجعل كل عالم من علماء الحيوان يحسدنا عليها لو رآها . وقد كانت تضمُّ ثعابين وسحالى وضفادع الشجر وقردة وسناجيب وفئران الغيط الضخمة ، والرّباح ، وقطط الزباد والهبّار والليمور وطائفة أخرى من صغار الحيوان .

وذات يوم تسلقت أنا وأحد أعواننا شجرة باسقة كنا قد لمحنا فيها نوعاً جديداً من السناجيب بالمنظار المقرّب . وقد تسلقنا إلى أعلاها على ما يشبه السلالم المصنوعة من نبات معرّش متدلٍ من شجرة سنط ضخمة ، ثم انتقلنا إلى شجرة مجاورة لها ، واتخذنا لنا مكاناً نجلس فيه بين أغصانها العليا ، فإذا نحن على مرأى من رقعة واسعة من سطح شجر الغاب . فكان ذلك أول مرة تسلقت فيها إلى سطح الغاب من جوفه، فكانت تجربة لن أنساها ما عشت .

كان ضياء الشمس المنسكب على سطح الغاب قوياً يبهر البصر ، ويزيد من قوته انعكاسه عن الأوراق اللامعة . ورأينا جماعات لا تحصى من الفراش الملون غادية رائحة ، تزور عناقيد الأزهار الغريبة التى تبدو مصنوعة من الشمع ، وسمعنا طنين

آلاف من النحل تحوم حول الأشجار التى تؤثرها فتبـدو كأنها عاصفة من غبار ، وشاهدنا كبار الذباب وصغاره تحوم هنا وهناك وتمرق أحيـاناً كالسهام الخاطفة فلا يدركها البصر ، أو تسكن فى الفضـاء كأنها طائرات من طراز هليكوبتر، وتظل على ذلك بضع دقائق . وكانت الطيور على اختلاف ألوانها وأحجامها ترف فى الفضاء، وكانت العقبان والنسور تحلق وتدور فوق رؤوسنا ثم تنقضُّ فى الحين بعد الحين إلى البساط الأخضر المنتشر من تحتها كأنها رجوم أو صواريخ .

وبعد أن جلسنا نستمتع بهذه المشـاهد الخلابة ساعة أو أكثر ،لمح صاحبى سنجاباً صغيراً فى شجرة مجاورة ، فعزمت لساعتى على أنه ينبغى أن يصير هذا الحيوان الصغير السـعيد موضوعاً لبحث علمى جاف ، فثبتُّ ساقىَّ حول الأغصان ، وأسـندنى صاحبى بيديه حتى لا أقع ، ثم سدَّدت إليه نارى ورميته بها ، فوقع من فوره خلال الشجر إلى الأرض .

فبعثت بصاحبى ليعود به، وبقيت وحدى فى مجثمى وفى يدىّ المنظار المقـرِّب والـكيس الذى نضع فيه ما نصيبه من الحيوان ، والبندقية وأشياء أخرى . فلما كادت مفاصلى تتيبَّس حاولت أن أغيِّر قعدتى ، فأمسكت بغصن رفيع أجرد ، فإذا أصابعى تنطبق على شىء بارد لزج على الجانب الذى لم أره من الغصن . وفى الوقت نفسه رأيت لفة من شىء أخضر كالزمرد قد انسابت من أسفل الغصن وسرت على ساعدى . فأفلت الغصن الذى قبضت عليه فى مثل البرق الخاطف،فكدت أهوى. وإذا بى أرانى أنظر إلى رأس مشيق أصفر وأخضر، قد ركبت فيه عينان سوداوان لامعتان لم أرَ عينين أكبر منهما فى رأس ثعبان . فحاولت كاليائس أن أمدَّ يدى إلى شبكة صـيد الفراش ، وطرحتها على الرأس البراق . وبعد جهاد خيل إلىّ أنه دام ساعات كثيرة ، تمكنت من أن ألتقط رأس الثعبان والجزء المقدم من بدنه فى هذه الشبكة ، وألقيت بالشبكة وما فيها إلى الأرض ، فسقطت عند أقدام صاحبى .

ولم أدر إلا بعد سنة من عودتنا إلى إنجلترا أن هذا الثعبان الأخضر الأصفر الجميل هو مخلوق لا أذى منه . وعلى كلّ فمن العسير على المرء أن يستنجد بعلمه وهو فى رأس شجرة وحول ساعده ثعبان يلتف !

« الرجـل ـ الحيوان »

وذات يوم دخل علينا فى مخيم ضربناه على جبل، صياد مروَّع وروى لنا أن رجلا كالحيوان قد هجم عليه .

فسألت الترجمان: «وماذا صنع الصياد؟»
فقال: «إن الحيوان صاح صياحاً عالياً فأطلق الصياد النار عليه ففرّ، وجاء الصياد لينقل خبر ما كان».

فعقدنا اجتماعاً على عجل، وخيل إلينا أن «الرجل — الحيوان» لم يكن سوى غورلّى. فسألنا الصياد: أمات الحيوان؟ قال: إنه لم يتلبث بعد أن رأى ما رأى حتى يستوثق من حياته أو موته.

فخرجنا فى فجر اليوم التالى باحثين منقبين، وبعد ساعات من التوقل المضنى فى سفح الجبل، بلغنا جداراً قائماً من العشب الكثيف المتماسك، فجعلنا نشق طريقنا فيه، حتى صرنا إلى مكان قال الصياد إنه المكان الذى رأى الغورلّى فيه.

وفجأة سمعت بقرب مرفقى صوت تكسر وتهشم، وإذا العشب الكثيف ينشق فأرى أمامى جسماً ضخماً أشعث أغبر يمر كخطف البصر، فتفززت أعصابى دفعة واحدة، وتعثرت فسقطت، ولكننى لمحت ولما أكد جسماً ضخماً أبيض وأسود، ثم اختفى وراء بعض الورق وهو يخرج من حلقه أصواتاً كأنها حشرجة مخيفة.

فلما لممت أذيالى ونهضت، وجدتنى على حاشية مزرعة موز، أرضها غاصة بالحشائش والأعشاب، ورأيت رجال جماعتنا وقوفاً وفى وسطهم جثة ضخمة، جثة غورلّى ذكر.

فيلوح أن النار التى أطلقها الصياد عفواً فى الليل السابق أصابت مرماها، فمات الحيوان حيث كان يرعى العشب على رأس حرف من حروف الجبل. وأغلب الظن أننا لما تقدمنا قطع أحدنا حبال بعض النباتات المعرّشة التى أمسكت الحيوان حيث كان، فسقط كأنه جلمود صخر ضخم، فسطّح الحشائش والأعشاب، وأخرج أصوات تلك الحشرجة المخيفة ساعة خرج الهواء من رئتيه وفمه وهو يتدحرج.

ولن أنسى كوامن الشعور التى أثارها فى نفسى مشهد ذلك الحيوان الصريع، فقد تلقيت عن أساتذتى أن الغورلّى حيوان تتجسم فيه القوة الوحشية المخيفة، وها هو ذا الآن صريع بين يدى: حيوان وقور لا يأكل سوى النبات، وقد طوى ذراعيه على بطنه الضخم، وخبت فى وجهه المغضّن الأسود نار القوة التى كانت تسرى فيه، وهذه عيناه مفتوحتان تحت أهدابها الطويلة المستقيمة. فساورنى شعور قوىّ لا يحدّ بالرثاء لحاله، فلم يسعنى إلا أن أرى فى مصيره مأساة مصير جماعته من الحيوان وقد أخذ البشر يطاردونها مطاردة لا هوادة فيها من السهول إلى الجبال منذ قرون

كثيرة ، حتى ضاقت ذرعاً بطراد جماعات لاشعر لها من صغار الرجال، وفتك النمورة بصغارها ، وافتئات أهل الزراعة والصيد على مراعيها،فالعالم كله يتغير من حوله ،وقد تحدى هذا التغير بصيحاته القوية،حتى جاءه أجله وهو مندفع للقاء قطعة من الرصاص أطلقها عليه خصمه الضئيل فخر صريعاً .

وقد ربطنا هـذا الشيخ الحزين إلى شجرتين رطبتين ، ثم حمله ثلاثون من الحمّالين وراحوا ينشدون وهم يترنحون تحت عبء يكاد يؤودهم حمله ، فخرجوا به من أرض الضباب ، من معقله المعرّش المنيع .

فلما وصلنا إلى المخيّم قدّرنا وزنه فإذا هو يتفاوت بين ٦٥٠ رطلا و ٧٠٠ رطل، وكانت المسافة بين مدّ ذراعيه تسع أقدام وبوصتين . وقد تجد كثيرين من الخبراء ينعون علينا صحة هـذا القياس ، فردّى عليهم أن يتفضلوا بزيارة المتحف البريطانى وأن يفحصوا هيكله بأنفسهم .

وأهل منطقة أســومبو يعتقدون أن الغورلّى سلالة من سلالات البشر ، وليس حيواناً على الإطلاق . ولما كان الإفريقيون يرون من عادات الغورلّى وطبائعها أكثر مما تراه أية جماعــة أخرى من البشر على ســطح الأرض ، فأظن أنه ينبغى لنا أن نقدر آراءهم حق قدرها وأن لا نهملها إهمالا . وأما رأيى أنا ــ رأى عالم من علماء الحيوان والتاريخ الطبيعى ورأى إنسـان عاقل ، فمطابق لرأيهم كلّ المطابقة .

وقد قضينا وقتاً طويلا نحاول أن نصوّر الغورلّى بآلات التصوير الضوئى . أما وقد رأيت هذه المخلوقات حيّة فى مسارحها ، واستمعت إلى ندائها وحديثها ، وفحصتها حيــة وميتة وقارنت بينها وبين طوائف الشمبانزى والبشر ، فإنه لا يسعنى إلا أن أعدّها رتبة متخلفــة من البشر ، أو من الرتب التى تحت رتبة البشر . وأنت لاتجد أن لها أيدياً ووجوهاً وأرجلا كمثل أيدينا ووجوهنا وأرجلنا وحسب ، بل تجد أنها تستعملها أيضاً كما نستعملها . وهى متصفة بالقدرة على الإنشاء ، يدلُّ على ذلك ماتبنته من مصاطب تنام عليها ، واستعمالها العصىّ، وفرزها الأشياء بعضها عن بعض ، وهى تفعل ذلك على وجه يضارع ما يفعله بعض الكبار من الناس . وهى تعقد عُقَداً فى حبال النباتات المعرشة لتنتفع بها فيما تبنى ، وتشمل لغتها من الأصوات المختلفة ومن ضروب الأصوات ما تشتمل عليه أية لغة من لغات البشر . أضف إلى ذلك وجوه التشابه ووجوه الاختلاف البيِّنة بين أعضاء الأسرة الواحدة، فلكل أسرة كيانها الخاص،

وأهل هذه البلاد يعرفون هذه الأسر حين تقع عليها العين ، فيميزونها بما عرفوه من خصائص كل أسرة .

زبابة الماء الجبارة

وثمة حيوان أدنى ما يكون إلى حيوانات الأساطير ، بل هو فى الحقيقة حيوان يجمع فى بدنه غرائب الحيوانات البائدة مع أنه لا يزال يعيش على سطح هذه الأرض ، وموطنه جداول الجبال فى غرب إفريقية . وقد كشفه أولا منذ سنين كثيرة رجل اسمه دوشايو ، كان مشهوراً برحابة خياله ! وكرّت الأعوام دون أن يعنى أحد عناية تذكر بتبيان الحقيقة عن طبائع هذه الزّبابة المائية الجبّارة ، التى يطلقون عليها بلسان العلم اسم « بوتا موجال فيلوكس » . فهذا حيوان يشبه كلب الماء ، والعثور عليه من أشق الأمور ، فلذلك جُعل الظفر بنموذج منه من أهم المهامّ العلمية التى عهد بها إلينا .

فقلت لأحد رجالنا : « قل للشيخ إذا رضى ، أن يأمر جميع الصيادين أن يأتونا بأى حيوان يشبه هذا » . ورفعت بيدى صورة يقال إنها تمثل حيوان « بوتاموجال » وهو حىّ .

ولم أكن أتوقع أن يعنوا حقاً بالاستجابة إلى طلبى ، ولكن سرعان ما تبينت أثر هذا الطلب فى شيخ الناحية .

فقال : « آه ــ ها ، آه ــ ها » .

فسألت : « أيعرف الصيادون هذا « اللحم ؟ »

فأكد لنا ترجماننا « إثبى » أنهم يعرفونه حقّ المعرفة ، وقال : « إنه حيوان يعيش فى الماء الضحل » .

« ويظن الشيخ أنه هو خير صيّاد يذهب لصيده والعودة به » .

فصاحوا جميعا : « آه ــ ها » وانفضّ الجمع .

واستغرقتنا أعمالٌ كثيرة فى بضعة أيام ، وكان أملنا ضعيفاً فى العثور على هذا الحيوان النادر فى هذه المنطقة ، فنسينا أمره إلى حين .

وكنا ذات ليلة مكبين على عملنا فى أرض خلاء ، وكانت حلتنا قرب قرية ، وكان يحيط بنا من كل ناحية جماعة كبيرة من ذوى الأبدان السمر العارية ، تنظر إلىّ بعيون شاخصة ، كأن على رؤوسهم الطير ، وأنا أشرّح الجرذان ، وأدون البيانات عنها ، ولم تندّ عن القوم همسة ما حتى رأونى أملأ قلم الحبر ، فصاحوا مهللين . وكان صاحبى جورج منهمكا كثل انهما كى على مقربة منى ، وكانت جماعة من أهل القرية محدقة به أيضاً .

فلما خفّت وطأة العمل ، أخرجت

الفونغراف والأسطوانات ، وهيأت للجمع حفلة موسيقية . فعلت أمارات الحيرة وجوه القوم ، لأنهم لم يدركوا أسرار هـذه الآلة العجيبة ساعة ارتفع الرنين الموقع من جوفها .

وفى أمريكا فرقة موسيقية تعزف موسيقى الزنوج من ضرب « الجاز » ، وكنت أنا وصاحباى نهيم بأدوارها وأصواتها ، فلما وضعت إحدى أسطواناتها وأدرتها ، أحدث استهلالها هرجاً ومرجاً بين القوم . فاتضح لى لساعتى أن ذوق الجماعة فى الموسيقى يشبه ذوقنا شبهاً عجيباً . وسرعان ما ألفينا الجمهور يتثنى ويتمايل ، وإذا الطبول تبرز ، وهى شتات عجيب من طبول صغيرة يغطيها الجلد ، وأدوات ذات زوايا مصنوعة من الفخار ، وكتل ضخمة مفرغة من الخشب ، وإذا بها تقرع جميعاً على إيقاع واحد .

فكان أثر ذلك فى نفسى كأثر السحر ، لأن الإفريقى مفطور على حس مرهف ، فكل طبال يعرف بفطرته أين ينبغى له أن يكف عن القرع وأين ينبغى له أن يستأنف . وأتبعنا بالأسطوانة الأولى طائفة أخرى من الأسطوانات ، فعلا صياح القوم وازداد صخبهم على نحـو ما يؤثر عنهم فى مراقص الأدغال . وسرعان ما رأينا رجلاً ضخماً مترنحاً من أثر الإيقاع فى نفسه وملتفاً بجلد قرد ، يعدو إلى حاشية الجمع المزدحم وهو يطلق ناراً ، خيل إلينا أن ذلك شيء يخلق بنا أن نضيفه إلى أمثال هذه الحفلات الموسيقية فى الغرب ، فحشونا بنادقنا وصرنا نطلق فى الهواء على إيقاع اللحن ، وابتهج القوم بما فعلنا ، فإنفاق الذخيرة على هـذا النحو يعد من أعلى آيات الضيافة عندهم . وقد ظلت الحفلة قائمة يتخللها رقص بديع ، حتى بتنا لا نعرف فى أى هزيع من الليل نحن .

ويؤسفنى أن أعترف أننى أغفلت فى تلك الليلة الغرض الذى من أجله شدت بعثتنا رحالها إلى إفريقية ، فلذلك صدمت صدمة قوية ساعة بلغت الحفلة ذروتها عند الفجر . فقد كان بين الأسطوانات أسطوانة اسمها « شوتم » ، وفى أثناء عزفها شـوهدت عصابة من الناس ترتقى الأكمة وتتقدم نحونا ، وإذا المنادى ينادى فيقول إنهم جاءوا من قرية « تمالى » وأنهم يحملون « زبابة مائية » .

فصحت متوسـلاً : « دعونى أرى » ومددت ذراعى مدًّا كأننى أستجدى ، فأدرك الإفريقيون بما فطروا عليه من الإحساس الدقيق ، ما يضطرم فى نفسى من لهفة ، فانفجروا ضاحكين ، فمن الواضح أن التوسل على هذا النحو ليس أفضل طريقة لعقد صفقة مع أحد من الناس .

وانشقت صفوف القوم ، وإذا غـلام

يتقدم نحوى وهو يبتسم ، وبين يديه كيس كبير . فلما فتح الكيس أتلع الناس أعناقهم وجعلوا يثرثرون .

وإذا حيوان مَشيق يخرج من الكيس رويداً رويداً إلى ضوء الفجر الشاحب ، وإذا بى أرى بعد قليل عند قدمىّ حيواناً مقعياً هو حقًّا حيوان « بوتاموجال » ، وهو حىّ، وله ذيل كذيل السمك، وعينان صغيرتان كأنهما مغرز إبرتين — فهو يشبه صوره المرسومة فى الكتب كلّ الشبه . وإذا جماعتنا تصيح ابتهاجاً ورضىً ، فقد أدركوا جميعاً أننا قد ظفرنا بالحيوان الذى ننشده ، لا بحيوان آخر يخيّب ظننا كما حدث لنا من قبل غير مرة .

وكان ثمن هذا الحيوان خمسة وعشرين قرشاً ، فدسست ثلاثة أضعاف الثمن فى يد الغلام ، فندت عن القوم زفرة قوية ، فهم لا يستطيعون أن يعقلوا كيف يؤدى الرجل الأبيض — مهما كانت غفلته فى شئون المال — ثلاثة أضعاف مايطلب منه أن يؤديه .

« بودو جونا »

وكان ثمة حيوان مجهول ، أو كالمجهول، يشبه القُراد ويسمى « بودوجونا » ، وهو غريب الطباع ، وطالما تاق أهل العلم إلى استطلاع أمره ، لما له من شأن فى دراسة الحيوان . والحق أن الكشف عنه فى غرب إفريقية كان فى طليعة الأغراض التى من أجلها أعدت بعثتنا وزودت بالمال . وقد ذهبت جميع مساعينا فى البحث عنه أدراج الرياح ، فلما عثرنا عليه فى آخر الأمر كان ذلك اتفاقاً ساقنا الحظ اليه .

فقد جاءنى أحد الأولاد ذات يوم وقال : «جاء الشيخ يا سيدى ومعه شيوخ أخر» .

كنا يومئذ فى منطقة لم نجس خلالها من قبل . وكان خارج محلتنا عشرون من شيوخ القبائل أو نحو ذلك ، وكان لكل منهم جماعة من الأتباع خرجوا فى أحسن زينتهم وأزهاها .

وقد أخذنا على غرة بوصول هذه الوفود فى مواكب أبهتها . وكان صاحبى جورج، حسن البزة أنيقها كمألوف عادته، فسراويلاته من قماش رقيق ، وقميصه نظيف كأنه خرج لساعته من يد الغاسل والكاوى . وكان الدوق ، صاحبى الآخر ، فى بزته الكاملة وقميص من الكاكى . وأما أنا فيؤسفنى أننى لم أكن فى ثياب تضفى شيئاً من الاحترام على الرجل المتحضر .

فقد كنت لا أزال فى مَنامة مصنوعة من الحرير الوردى اللون ، غريبة التفصيل والتلوين ، وكان شعرى قد طال كثيراً فوضعت على رأسى قبعة جمعته من تحتها حتى لا تشعّثه الريح وينسدل على وجهى ورقبتى .

فلما فوجئنا بزيارة الوفود ، تعذَّر عليَّ أن أبدِّل ثيابى ، فجلست وسط الجمع كأنى زهرة مونقة متفتحــة فى شهر إبريل ، وجلست قبالتى جماعة من الشيوخ الإفريقيين بجللهم الوقار ، وجعلوا يحدجوننى بنظرات فاحصة ، فخشيت أسوأ ما يخشى .

وران السكون على الجماعة ، ثم تقدم لسان الشيوخ وجعل يتـكلم :

« إن كبير الشيــوخ قد جاء يحييكم ، ويتمنى سائر الشـيوخ أن تـكون بلادهم قد وقعت من نفوسكم أحسن موقع » .

فقلت : « قل لـكبير الشيوخ إننا نحب هذه البلاد أعظم حب » .

وإذا « الملك » — كبير الشيوخ — يطلب من كل شيخ جاء معــه أن يقول ما يعنُّ له . والتفت الترجمان إلى أولهم ، وهو شيخ هرم ملتف بملاءة طويلة فضفاضة من نسج الـكتان ثم نظر إلىَّ وقال :

« يقـــول الشيخ إن ثوبك جميل جداً » .

ثم التفت إلى الشيخ الآخر وحوَّل نظره إلىَّ وقال :

« يقول الشيخ إن الثياب التى وضعتها على رأسك جميلة جداً » .

وإذا كبير الشيــوخ يبتسم راضياً عن أعضاء مجلسه . ثم التفت الترجمان إلى ثالث الشيوخ ، فإذا به يلقى بلغته خطبة طويلة تبدَّت فيها حماسته . وإذا الترجمان يكاتم ضحكه بغير أن يخرج عن حــدود التوقير لشيخه ، ثم التفت إلىَّ وقال :

« يقول الشيخ ، لِمَ يعسر على المرء أن يشترى فى إفريقية قماشاً كالقماش الذى صنع السيِّد منه ثوبه ؟ »

وبعد لأىٍ تـكلم كبير الشيوخ فذكر الغرض الأول من هذا الاجتماع ، فهم يريدون أن يأخذوا رأينا فى شق ترعةٍ تيسر عليهم نقل زيت النخيل الذى يبيعونه للتجار الأجانب .

وبعد أن شرحت لهم أننا جئنا إفريقية فى طلب الحيوان ، ذكرت لهم أن من محاسن الاتفاق أن يكون بيننا رجل مهندس ، فوقف الدوق وانحنى ، ووعد بأن يزور المكان الذى ينوون أن يشقوا الترعة فيه ، وبعــد أن تحسس الشيوخ قماش مَنامتى بأصابعهم ، حيونا تحية الـكريم ، ثم برحوا محلتنا .

وفى اليــوم التالى ركب الدوق زورقاً فساروا به فى النهر ، فتبين أن شق الترعة يقتضى عملا كثيراً من نسف الصخور ، وبناء الأهوسة ، ثم عاد إلى المحلة بعــد أن جمع طائفة من نماذج الحيوان فى طريقه .

وكنت منصرفاً إلى عملى فى تلك الليلة ،

فإذا بى تحين منى التفاتة إلى أنابيب الزجاج الصغيرة التى عاد بها الدوق من رحلته ، وكان النور واقعاً عليها من مصباح قوىّ ، فرأيت الحيوانات الدقيقة تموج فيها ، وقد تطلعت أولا غير آبهٍ ، ثم رأيت ما رأيت فجحظت عيناى .

فناديت الدوق وأنا أغالب نفسى على رباطة جأشها وقلت : « ما هذه الحيوانات التى فى هذه الأنابيب ؟ »

فقال غير مكترث : « بعض العناكب الصغيرة » ، ودحرج الأنبوب حتى استقر أمامى .

وأحسّ جورج باللهفة فى نبرة كلامى فقال : « ماذا ترى ؟ »

وأتلع الرجلان عنقهما فرأيا مخلوقاً صغيراً طويل الأرجل دقيقها فى حجم الظفر ، يخرج من الأنبوب إلى الطبق .

فكان ذلك الحيوان ، هو حيوان « بودوجونا » .

وكذلك انتهى بنا المطاف إلى العثور على ضالتنا الأخيرة من الحيوان الذى طلبناه فى غرب إفريقية ، فقد قضينا شهوراً كثيرةً من البحث الدائب المضنى فى كلّ ضرب من ضروب التربة فى تلك البلاد وفى كتل نخِرة من الخشب ، وفى الشجر والوحل ، بل غصنا فى مياه الأنهر بحثاً عما ننشد ، حتى عثرنا أخيراً على حيوان لا يقدّر بثمن ، ولا تنى متاحف الحيوان فى العالم أجمع عن البحث عنه .

فقهقهت قهقهة عالية ، سمعها أعواننا فى المحلة فهرعوا إلينا .

فصحت بهم وقد رفعت الطبق فى يدى : « انظروا ، انظروا . فقد وجدت حيوان بودوجونا » .

وعلى الرغم من عسر الاسم الذى يعرف به هذا الحيوان ، فقد أدركوا جميعاً معنى ما أقول ، فقد طالما تحدثنا عن هذا الحيوان ودققنا النظر فيما عندنا من رسومه منذ وطئت أقدامنا أرض إفريقية .

ثم قلت لرجالى : « إليكم ما أريد . اذهبوا فى صباح الغد مع هذا السيّد ، ولا تعودوا إلا وقد جئتم بقدر كبير من هذا « اللحم » الصغير . فإذا عاد أحدكم خالى الوفاض فويلٌ له ، فإننى طارده لا محالة » .

والحقُّ أننا ظفرنا بمقدار كبير من حيوان « بودوجونا » — بخمسمئة منه . وقد وجدوها تتوالد تحت الورق المتعفن فى رقعة من مزرعة قديمة . وقد حفظناها جميعاً فى الكحول ، ما عدا عشرين أبقينا عليها حية فى علبة من الصفيح ، ومع أننا كنا نجهل ما ينبغى أن نقدمه لها لتأكله .

فقد وصلت سالمة إلى إنجلترا وعاشت فيها سنة كاملة ، دون أن يتبين أحد ما تأكل. وقد أخذناها إلى اجتماع عقدته الجمعية العلمية الملكية ، وعرضت على كبير أساقفة إنجلترا في اجتماع عقـدهُ أمناء متحف التاريخ الطبيعي . وقد عُـنِي بها علماء أمم مختلفة ، حدقوا فيها ووخزوها وقلبوها ، بيد أنني لاأعرف أنّ أحداً من هؤلاءالعلماء استطاع أن يقطع أحـــدها رقائق تصلح للبحث المجهري . فجلدها صلبٌ يفلُّ أية سكين ، فهي في الواقع حيوانات بالغة الصلابة .

ولـكنها ليست أشدَّ صلابة من رجال كرجال بعثتنا ، يرون أنهم أحسنوا الانتفاع بوقتهم إذا ظلوا يعملون جاهدين شهور كثيرة ، ثم عادوا بنماذج من مخلوقات صغيرة مجهولة ، يعـدُّها أهل العلم شيئاً نفيساً . وقد كان خير جزاء ظفرنا به ، أننا عدنا بكل حيوان خرجنا إلى إفريقية الغربية في طلبه ، وبحيوانات كثيرة أخرى لها قيمتها العلمية ، فما أغرب طباع الرجال الذين يخرجـون في طلب الحيوان ، وما أحفلها بالروائع والمسرّات !



رأى زوجي في المنطقة الجبلية في شرق ولاية بنسلفانيا مزرعة صغيرة تدل جميع الدلائل على أنها مزرعةموفقة ، فدخل يسأل أهي معروضة للبيع ، وبين لصاحبها الشيخ أن همه ليس منصرفاً إلى زراعتها واستغلالها ، بل إلى اتخاذها ملاذاً له في أيام الإجازة ، ومكاناً للصيد .

فقال الفلاح الشيخ : « حقاً إنني أنوى أن أبيعها في الربيع القادم ، فقد جاهدت أنا وزوجتي أربعين سنة لنجعلها مزرعة صالحة لأسرة تسكنها وتجنى منها رزقاً كريماً . وهـذا في رأيي هو خير ما أستطيع أن أصنعه لمستقبل وطني ، ولن أرضى أن أبيعك إياها » .

فقال زوجي : « ولم تأبى ذلك ؟ » .

فقال الشيخ : «قد يشق عليك أن تدرك عذري. بيد أنني أرى أنني لو بعتها لك وأنت لا تنوى أن تزرعها وتستغلها — مهما بلغ المال الذي تدفعه — لكنت كمن يبيع قطيعاً من صغار الماشية الكريمة المؤصلة للجزار» . [كاترين بنيون]

لمحات من حياة العظماء

برنارد شو

ذاع اسم برنارد شو أول ما ذاع ، يوم شنت عليه حملة شعواء فى صحف لندن فى مقالات لا تحمل إمضاء أحد . وكان المخبر الصحفى على ما جاء فى هذه المقالات . يقتحم شقه برنارد شو الوضيعة ، وليس له غرض سوى أن ينهال عليه بالقدح والسب .

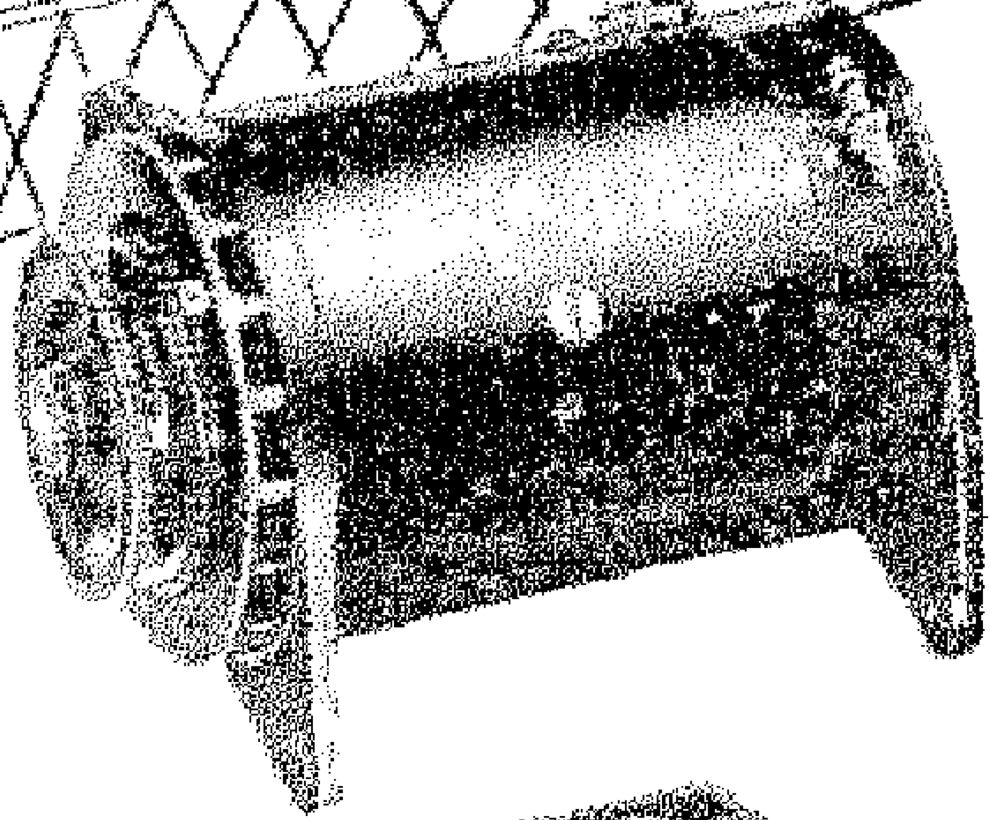
وقد ذهب الظن بكثيرين من الناس إلى أن شو هذا رجل متخيَّل ، فلو كان رجلا من لحم ودم لما صبر على هذا الهجاء ، ولركل بقدميه الذين يقتحمون عليه داره ، أو لعمد إلى الشرطة يستنجد بها . فقد شق على الناس يومئذ أن يصدقوا أن هناك رجلا كمثل شو المسكين ، يبلغ منه التسامح حتى يتجاوز عن الذين يسيئون إليه . والحقيقة أن كاتب هذه المقالات كان — برنارد شو نفسه !

مارك توين

قال : يزعم الذين يتوهمون أنهم يعرفون دخائل حياتى ، أن السيجار الذى أدخنه هو أسوأ أنواع السيجار فى العالم ، ولكن الوهم ختَّال . فقد دعوت ذات ليلة عشرة من أصدقائى إلى العشاء . وكان لى صديق مشهور بأنه لا يدخن سوى أفخر السيجار وأغلاه . فذهبت أزوره ، ولما وثقت أن العين غافلة عنى أخذت مجموعة من سيجاره ودسستها فى جيبى ، وكان على كل منها ورقة مذهبة تدل على نبل أصله . فأزلت هذه الورقات ووضعتها فى علبة سيجارى الرخيص .

فلما فرغنا من العشاء أدار الخادم السيجار على المدعوين ، فأخذ كل منهم سيجاراً وجعل يدخنه وهو كاره مشمئز ، وبعد قليل استأذنوا فى الانصراف معتذرين بأعذار شتى . فلما خرجت من بيتى فى الصباح وجدتهم قد طرحوا السيجار الذى قدمته لهم بين بابى والشارع — ما عدا رجل واحد ، وجدت سيجاره مطفأ فى منفضة على مائدة الطعام ، وكان هو الرجل الذى سرقت منه سيجاره الفاخر . وقد قال لى بعد أيام ، إننى خليق أن ألقى مصرعى ذات يوم ، على أيدى رجل أقدم له مثل هذا السيجار الفظيع .





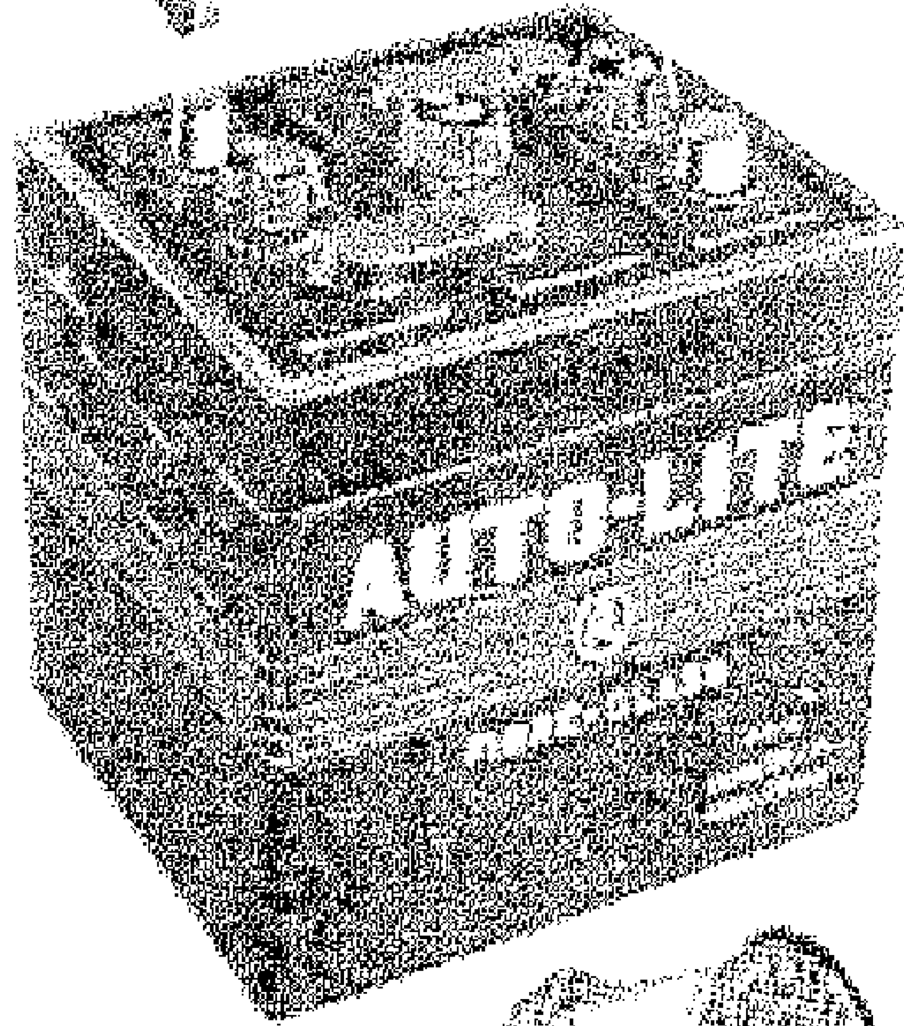
الاسم الذى يعده ٨ ملايين راكب رمزاً لأداء جديد فى السيارات

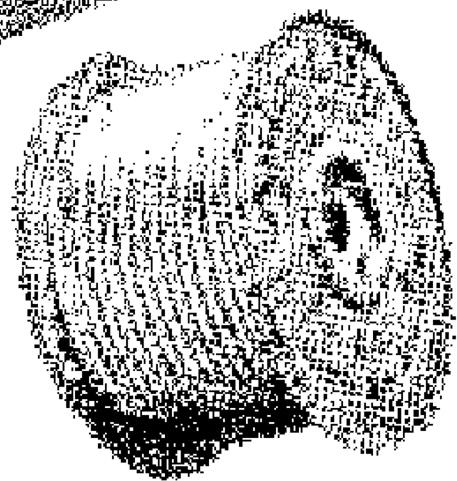
إن أصحاب السيارات المزودة بمعدات «أوتو ـ لايت» الكهربائية يجدون عوناً ميسراً لهم للمحافظة على هذه المعدات فى أتم حالة

إن قطع غيار «أوتو ـ لايت» متاحة فى جميع أنحاء العالم، وهذا معناه أنك تستطيع أن تزود سيارتك من جديد بمزايا «أوتو ـ لايت» الفائقة فى محطات «أوتو ـ لايت» لأن رجال «أوتو ـ لايت» لا يستخدمون إلا قطع «أوتو ـ لايت» الأصلية لإصلاح معدات السيارات وصيانتها.

فتوجه إذن إلى محطة «أوتو ـ لايت» كلما احتاجت سيارتك إلى إصلاحات كهربائية.

إبحث إذن عن اسم «أوتو ـ لايت» كلما احتاجت سيارتك إلى إصلاحات كهربائية.





THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY

Export Division

Chrysler Building, New York 17, N.Y., U.S.A.

AUTO-LITE أجهزة للقيام والإضاءة والإشعال

فرصة ...

اشترك اليوم فى المختار واربح ٥٠ فى المئة من قيمة الاشتراك .

ذلك بأن زيادة تكاليف الإنتاج قد حتمت على إدارة المختار أن تزيد ثمن النسخ وقيمة الاشتراك ابتداء من عدد يناير ١٩٤٨

فقيمة الاشتراك فى مصر والسودان ستزاد من ٣٠ قرشاً إلى ٥٠ قرشاً مصرياً
وفى البلاد العربية ... ... ستزاد من ٤٠ قرشاً إلى ٦٠ قرشاً مصرياً

فإذا اشتركت أو جددت اشتراكك اليوم ، فليكن ذلك بالقيمة القديمة بغير زيادة ، تربح ٥٠ فى المئة

أرسل اليوم طلب الاشتراك وقيمته :

فى القطر المصرى والسودان : إدارة المختار ١٤ شارع القاصد بالقاهرة

فى فلسطين : شركة فرج الله ، ص ب ١١٣٢ ، القدس — فلسطين

فى سوريا ولبنان : السيد سعيد نجار ، حماة — سوريا
شركة فرج الله ، ص ب ١٠١٢ ، بيروت — لبنان

فى العراق : السيد محمود حلمى ، المكتبة العصرية ، بغداد — العراق

فى المملكة العربية السعودية : السيد هاشم نحاس ، مكة المكرمة — الحجاز

« إذا كنت تملك قرشين ، فانفق قرشاً فى ما كلك ، »
« واشتر بالثانى زاداً لروحك » [حكمة فارسية قديمة]

ومجلة المختار تتيح لك هـذا الزاد الروحى على أنفع وجهٍ وأروعـه بنفقة قليـلة

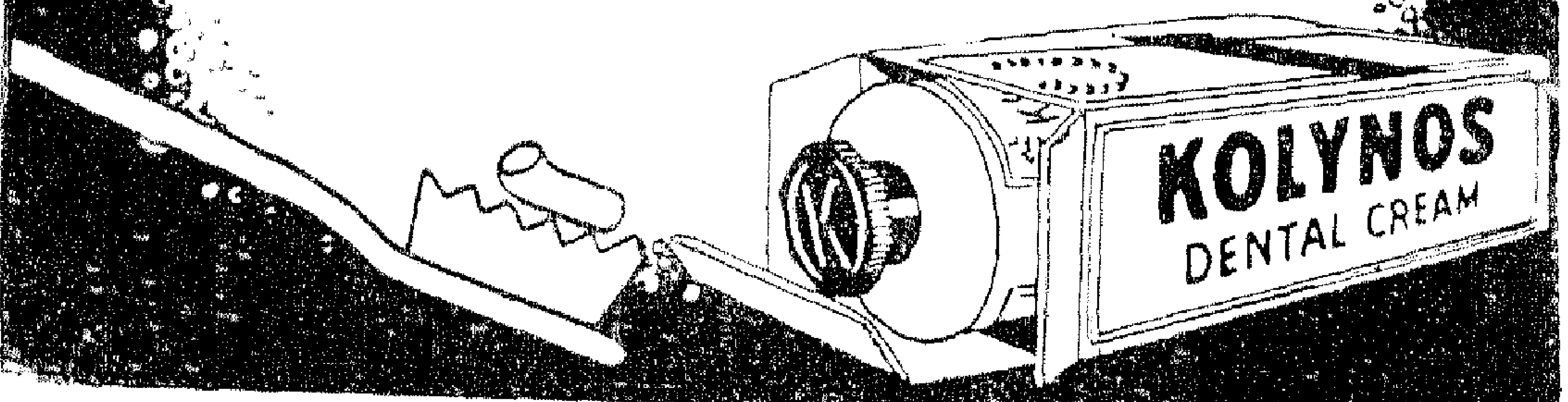


نظفي أسنانك
بمعجون
كولينوس ...

لأن له رغوة!

إن قليلا من « كولينوس » يصنع قدراً كبيراً زاخراً من الرغوة اللذيذة التي تحفظ أسنانك سليمة بيضاء قوية .

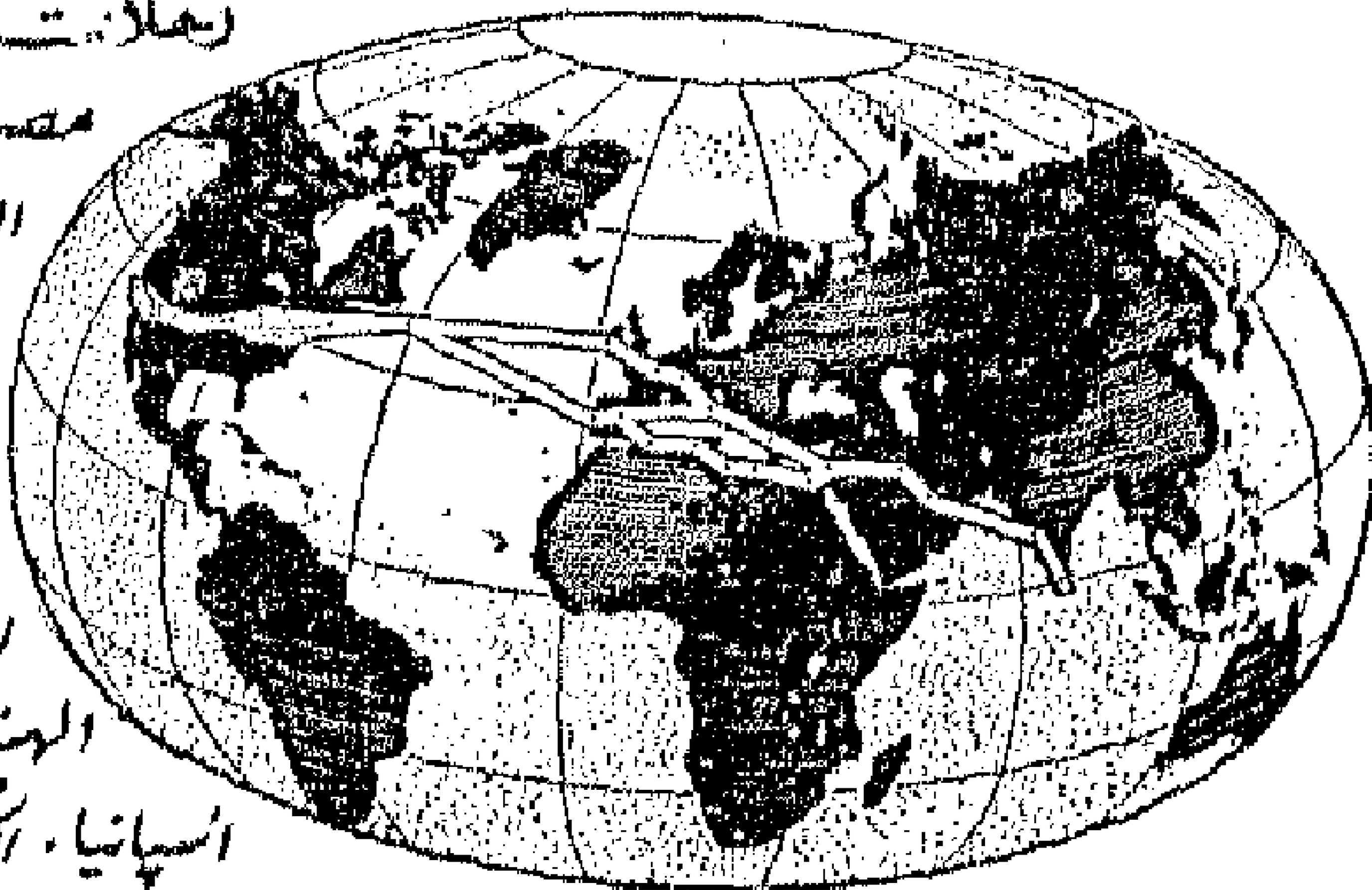
كولينوس



تسدُّ حاجةً عالميّة

إن وراء T W A ٤٤٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل من الرحلات
الدولية — قطعتها بنجاح باهر حطمت الأرقام القياسية واختصرت إلى النصف
المسافات حول الأرض — وبذلك تقدم
T W A الدليل الواضح على عظمة الفكرة التي كانت
أول من هيأها ونشرها على العالم . وهذه الفكرة هي : خط جوى
حول العالم يسد
حاجات النقل
لمختلف شعوب الأرض.

رحلات مباشرة
مصرح بها بين :
الولايات المتحدة . نيوفوندلاند
ايرلنده . فرنسا . سويسرا
ايطاليا . اليونان . مصر
فلسطين . شرق الاردن . العراق
الحجاز . اليمن . عمان
الهند . سيلان . البرتغال
اسبانيا . الجزائر . تونس . ليبيا



TWA — الخطوط الجوية العالمية —
الخطوط المتصلة بها ... "نورث وست إرلاينز"

TWA
TRANS WORLD AIRLINE

ضمان مزدوج لمورد مائك

إن اجتماع هاتين الآلتين لرفع الماء ، وكلتاهما من صنع « ورذنجتن » — هو ضمان مزدوج ، لأن مورد مائك يظل ثابتاً مستمراً دائماً :

محركات ديزل ورذنجتن

هي نتيجة التقدم في صنع المحركات خلال خمسين سنة . فتصميمها ذو الدورات الأربع ، وبناؤها المتين ، وطائفة كبيرة من وجوه التحسين التي أدخلت عليها ، جعلتها دائمة الشهرة في جميع أرجاء العالم بالخدمة الطويلة الاقتصادية الخالصة من المتاعب .

مضخات تربين ورذنجتن القائمة

هي مضخات متينة مندمجة بسيطة ، تحتاج إلى أقل مساحة ، وأقل قدر من العناية . وقد صممت أولا لرفع الماء من الآبار العميقة ، ولكنها تستعمل اليوم في نواح أخرى كثيرة ، من زراعية وصناعية لرفع سوائل متنوعة .

واضافة الى ذلك

تجد « ورذنجتن » يصنع مضخات من كل حجم ونوع ، وكل قدرة وسعة ، لكل غرض من الأغراض . ومهما تكن حاجتك ومطالبك في رفع الماء ، فإن مجموعة آلات « ورذنجتن » — وهي أكبر مجموعة في العالم — تمدك بالمضخة التي تلبي حاجتك تماماً ، وتوفر لك أقصى حدود الكفاية والاقتصاد أكتب إلينا نزودك بما تريد من المعلومات .

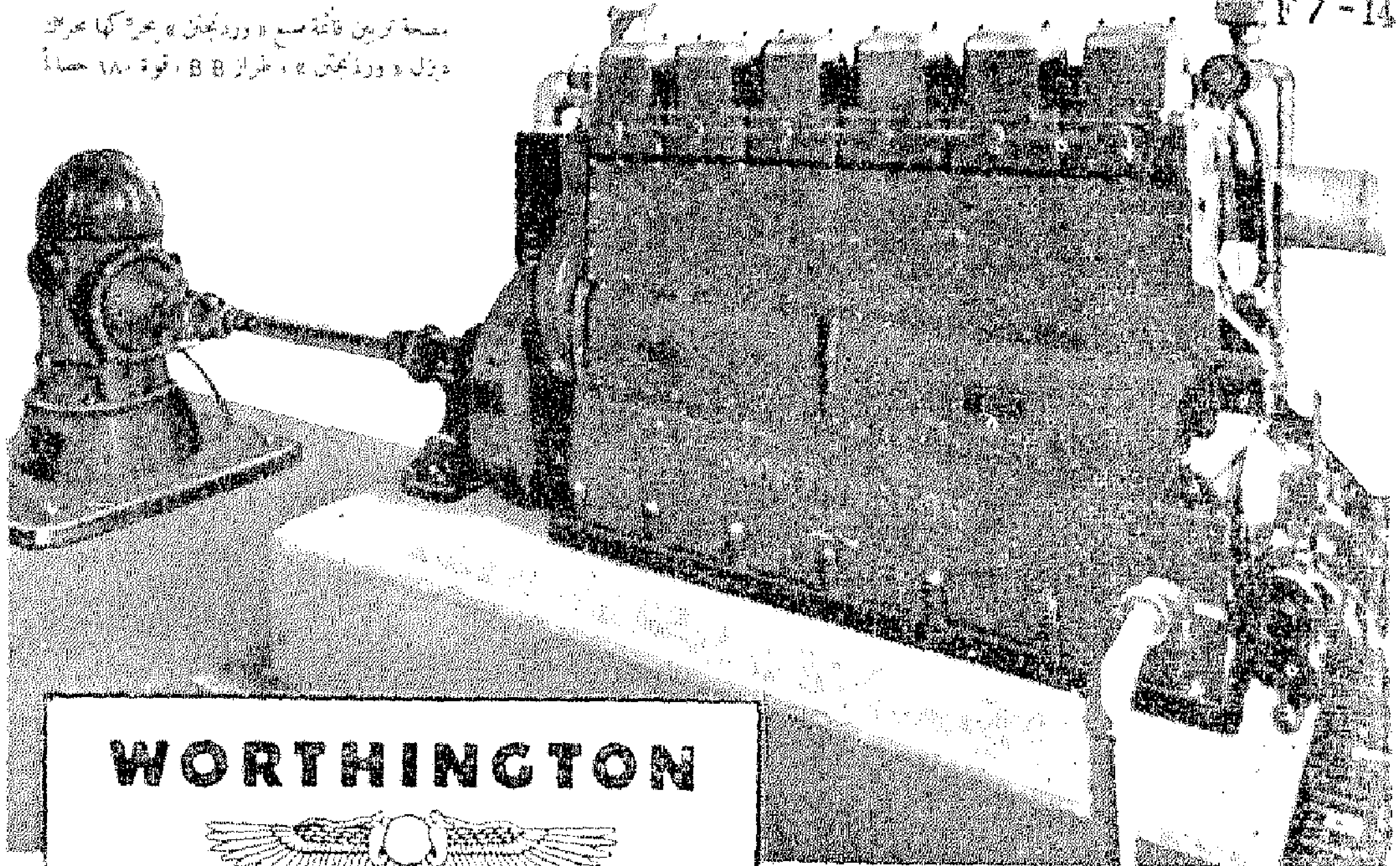
WORTHINGTON PUMP & MACHINERY CORP.

Export Division, Harrison, New Jersey, U.S.A.

لها مكاتب ووكلاء في جميع أنحاء العالم

F7-14

مضخة تربين قائمة صنع « ورذنجتن » يحركها محرك ديزل « ورذنجتن » طراز B B قوة ١٨٠ حصاناً

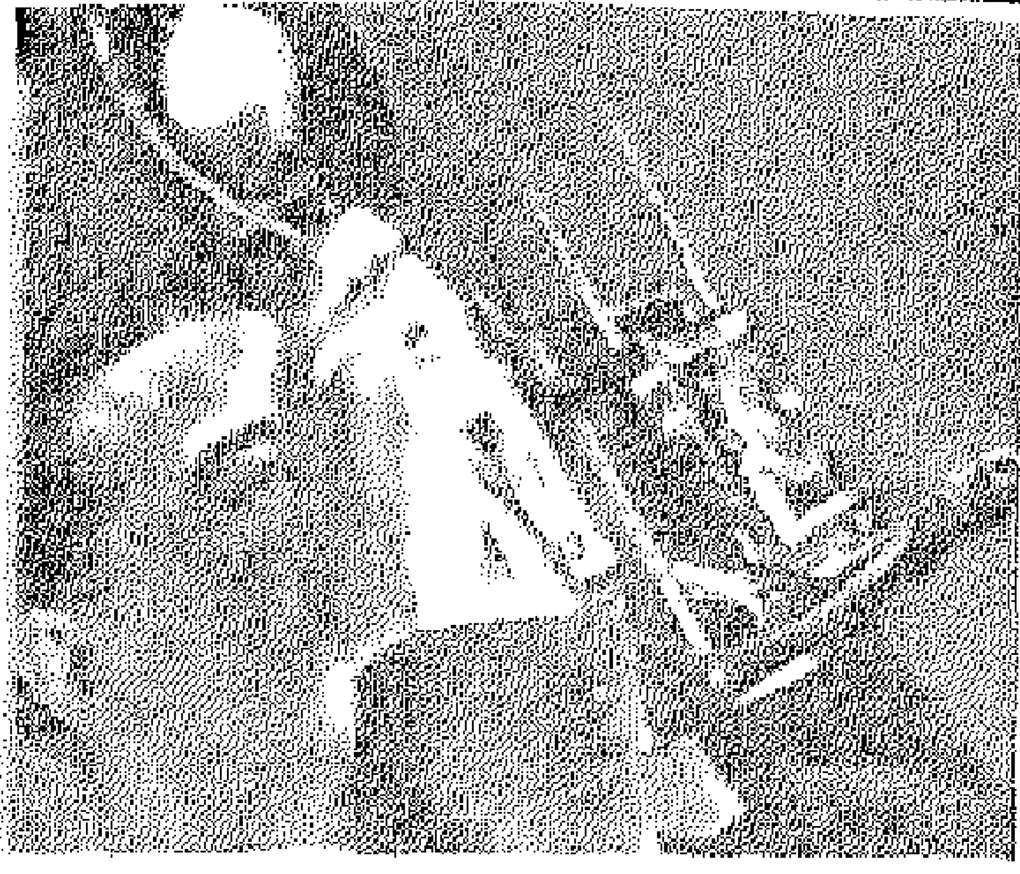




شعار الخبرة العالية في جميع أنحاء العالم

مضخات . ضاغطات . محركات

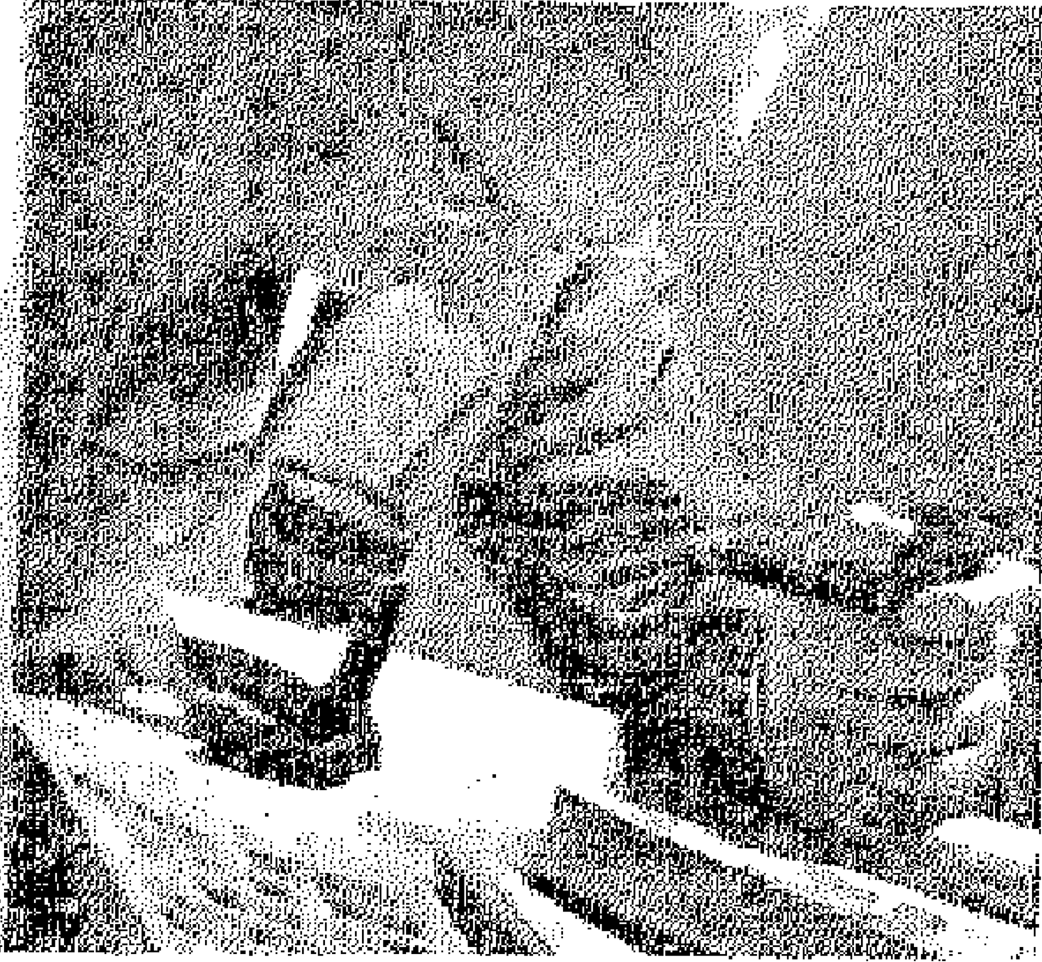
مولدات تربين . معدات بناء . تبريد













فى وسعك أن تزيد استمتاعك
بكل يوم من حياتك

يكاد يكون كل شيء تستمتع به ، فى حاجة إلى الاستعانة بعلم البصريات . وعدسات التصوير التى يصنعها « بوش ولومب » تزين بالصور الصحف التى تقرأها ، والكتب والمجلات ؟ وتقدم لك بالأفلام الناطقة ، وتيسر أسباب الرؤية عن بعد (التلفزة) .

والعناية الطبية بالعيون — وإذا لزم الأمر فلتستعمل نظارات « بوش ولومب » — تعينك فى عملك وفى لهوك .

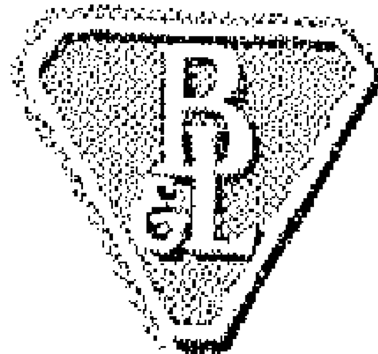
ونظارات « راى بان » للشمس تقى عينيك من ضياء الشمس الباهر .

ومنتجات « بوش ولومب » لها أثر فى كل ناحية من نواحى المعيشة فى العصر الحديث . فالمراقبة الدقيقة بواسطة الأدوات البصرية تتيح لك أن تنتفع بعقاقير جديدة ، وأطعمة أجود ، وثياب أحسن ، وسيارات وطائرات أسلم ، ومحاصيل زراعية أكبر .

بوش ولومب

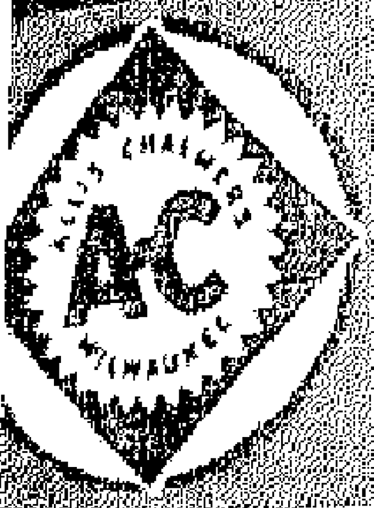
BAUSCH & LOMB

OPTICAL COMPANY



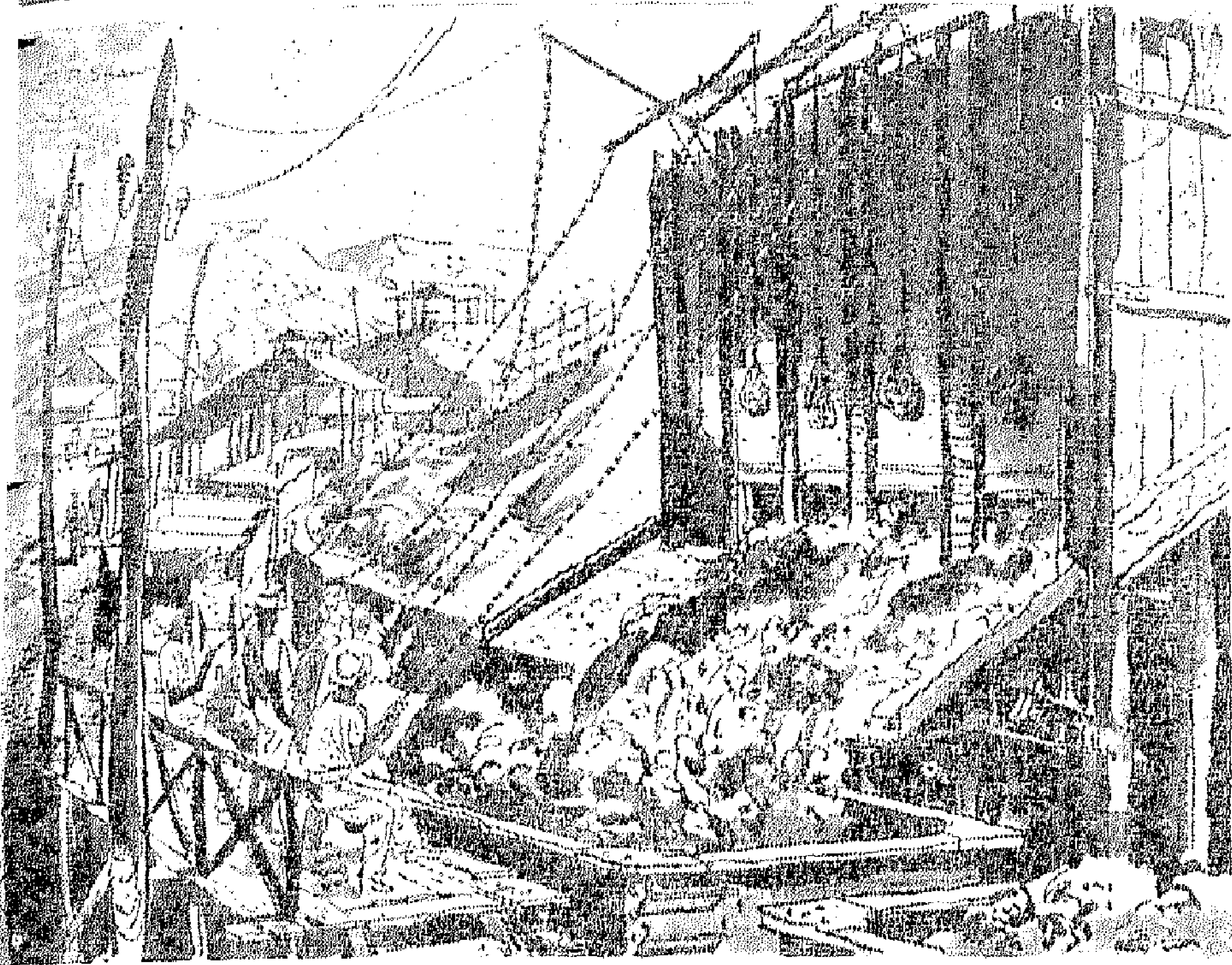
روشستر
الولايات المتحدة الأمريكية

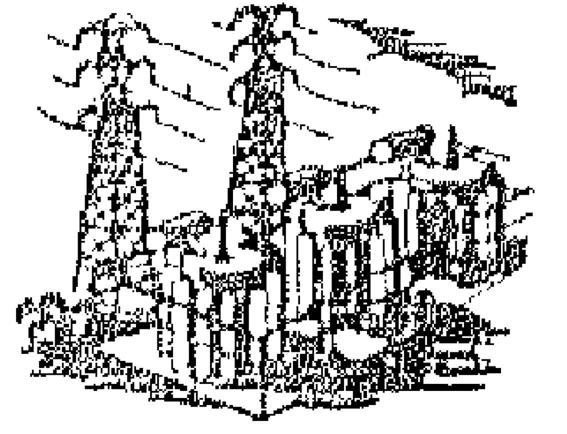
تأسست سنة
١٨٥٣



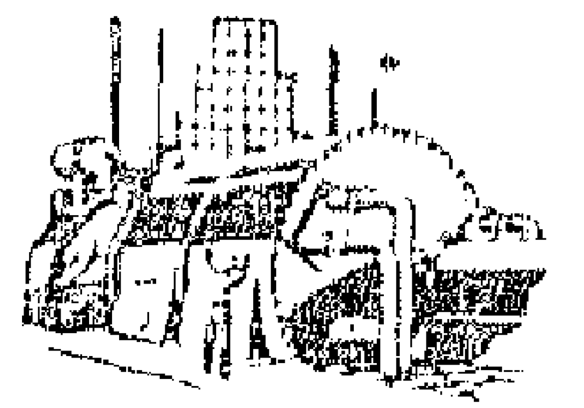
ALLIS-CHALMERS

أكبر مجموعة من معدات الصناعة الرئيسية

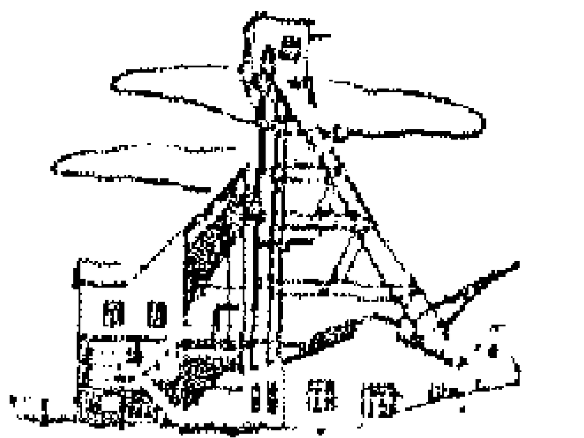




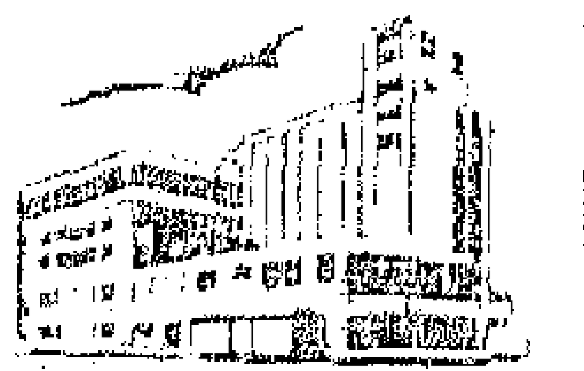
معدات كهربائية



توربينات بخارية ومائية ومكثفات ومضخات بالقوة الطاردة



آلات لطحن الاسمنت والتعدين



آلات للطحن ولنشر الخشب

باب مفتوح على الثروة المعدنية

فى كل سنة يستخرج الناس من جوف الأرض الحافل بضروب الكنوز ، ملايين من أطنان المعادن الثمينة ، وضروب الوقود وغيرها ، فينتفع بها الناس فى توفير رغد العيش

وفى تحقيق هذا البرنامج ، تجد الآلات القادرة على الطحن والسحق ، والمضخات ، وأجهزة القوى الكهربائية ــ التى تصنعها شركة « أليس شالمرز » .

وليس فى الدنيا كلها شركة تضارع شركة «أليس شالمرز» فى تعدد الآلات والمعدات الصناعية التى تصنعها . وفى جميع أنحاء العالمين الشرقى والغربى ، تجد آلاتنا معوانا الناس على إنتاج ثياب أحسن وطعام أجود ، وقوة محركة قليلة الثمن ــ ألوف من المنتجات اللازمة للعيش الرغيد .

و « أليس شالمرز » تستطيع أن تزودك بآلة واحدة وحسب ، أو بالمعدات اللازمة لمصنع كامل ، وهو الأعم الأكثر . راجع وكيلنا فى بلدك !

١٨٤٧ — ١٩٤٧ قرن كامل من الخدمة

القطر المصرى والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة ش . م . م . ، ١٦ ب ، شارع سيزوستريس بالإسكندرية ٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة — **العراق وشرق الأردن** : الشركة الأمريكية العراقية للملاحة ليمتد ٨/٢٨٢ شارع المستنصر ببغداد . شارع الملك فيصل بالبصرة — **الحبشة** : أمريكان إيسترن كوربوريشن ، أديس أبابا — **المملكة العربية السعودية** : أمريكان إيسترن كوربوريشن ، جدة — **إيران وأفغانستان** : أمريكان إيسترن كوربوريشن ، شارع شاه (نادرى) ٩٢٦ طهران .

فى طريقها إلى الشرق الأوسط



إن منتجات شركة « وليامز » المشهورة فى جميع أرجاء العالم ، مصنوعة بمهارة خاصة تكفلها خبرة مئة عام فى صناعة أرقى مستحضرات الزينة للرجال .

وسيكون فى وسعك أن تنعم بأفخر مستحضرات الحلاقة حالما تعود العلاقات التجارية إلى سابق عهدها . وحينئذ ستجد منتجات «وليامز» فى أشهر متاجر الشرق الأوسط .

ويمكنك أن تثق من حصولك على أفضل حلاقة وأكثرها راحة حين تستعمل :

كريم وليامز الفاخر للحلاقة : يحتوى على مادة « لانولين » الملطفة التى تتيح لك حلاقة ناعمة دون أن يتهيج الجلد .

أكوا ڤلڤا : أشهر لوسيون فى العالم للاستعمال بعد الحلاقة . مُبَرِّد ، منعش ، نقى ، ذكى الرائحة .

كريم جليدر وكريم إسكواير للحلاقة بدون فرشاة : خاليان من المواد الشحمية أو اللزجة ، مصنوعان خصيصاً بحيث يتيحان للذين يحلقون كل يوم ، حلاقة ناعمة دون أن يلتهب الجلد .

قلم صابون وليامز للحلاقة : مشهور برغوته السخية الندية ، اقتصادى للغاية ، يخدمك ستة أشهر يعطيك خلالها أنعم الحلاقات وأكثرها راحة .

The J. B. Williams Co., GLASTONBURY, CONN., U.S.A.

شركة ج . ب . وليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ اكثر من ١٠٠ سنة

ـية ... متينة ... مضمونة

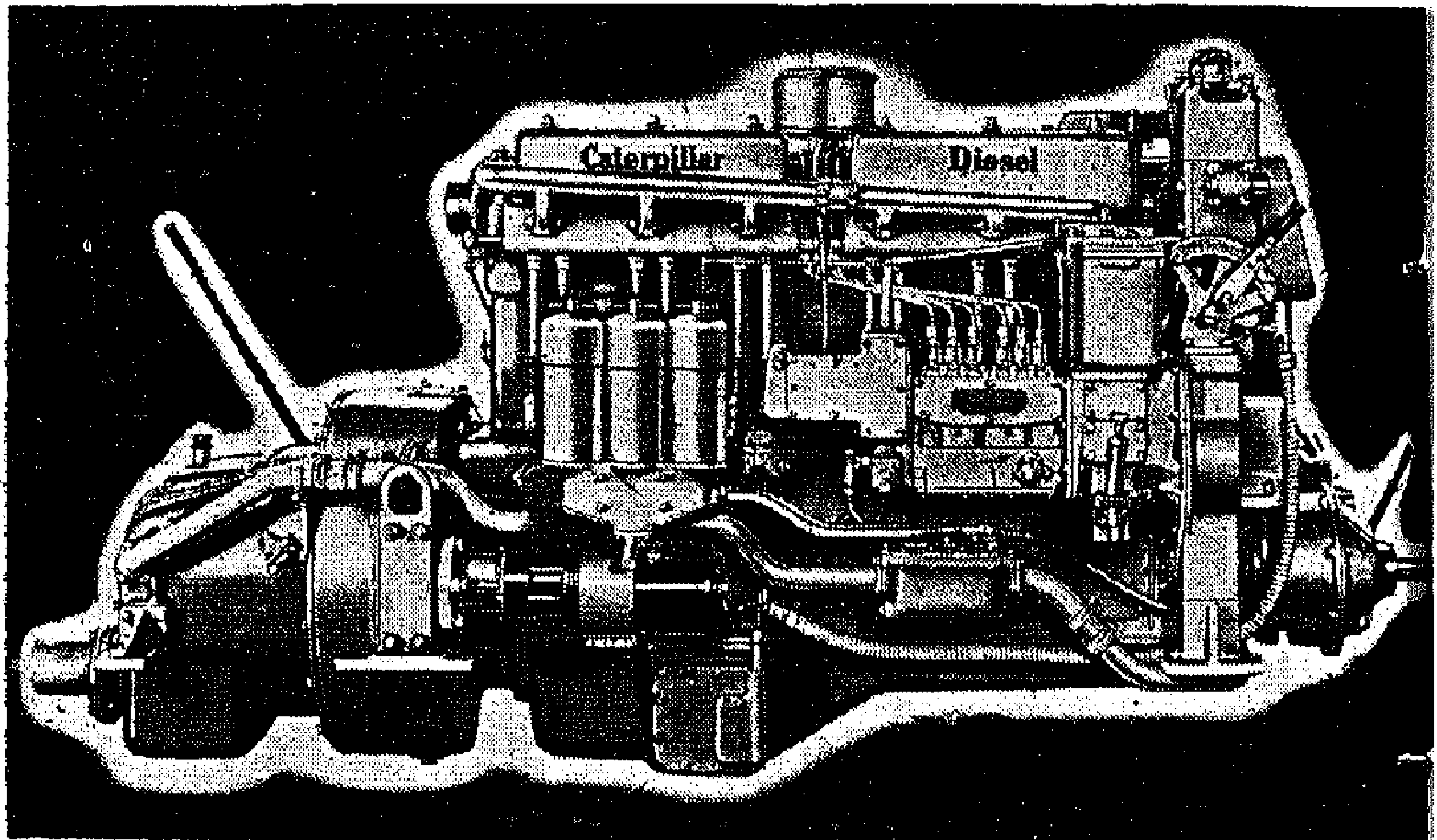
محركات « كاتربيلر ديزل » البحرية
بجميع الخواص التي جعلت محركات
يلر ديزل » مشهورة في كل قطر
ار الأرض .

وصنعت هذه المحركات بحيث تستطيع
. قوة محركة كاملة القدرة خلال
عشرين ساعة كل يوم . وهي متصفة
بساطة في البناء تجعلانها قادرة على
ى لطمات الجو العاصف وأن تستمر
م بعملها قياماً مضموناً في جميع

الأحوال . وإن اقتصادها في استعمال الوقود وقلة النفقة اللازمة لصيانتها ، ليزيدان ربح صاحبها . وترى جميع وكلاء ومتعهدي « كاتربيلر » في كل مكان أبداً مستعدين لإسداء العون الميكانيكي وتقديم قطع الغيار اللازمة .

ومحركات « كاتربيلر ديزل » البحرية تصنع في ستة أحجام مختلفة تتفاوت قوتها من ٢٦ حصاناً إلى ١٣٥ حصاناً .

CATERPILLAR TRACTOR Co.
Peoria, Illinois, U. S. A.



CATERPILLAR DIESEL

ماركة مسجلة

ـت . جرارات . ممهدات الطرق . معدات جرف التراب



في وسعك أن تظفر
بأسنان تفتر عن
بياض فتبتسم !

إذا كانت أسنانك خابية اللون مكمدة ، فما ذلك إلا لأن بياضها الطبيعي وجمالها مختفيان .

ومعجون أسنان «كولجيت» يزيل بسرعة كل البقع والغشاء الذي يغير لون الأسنان ، فتسترد لأسنانك ذلك البياض الطبيعي اللامع ، الذي هو بياضها ــ الآن ــ ولكنه ينتظر ما يكشفه للعيان .



COLGATE

معجون أسنان كولجيت

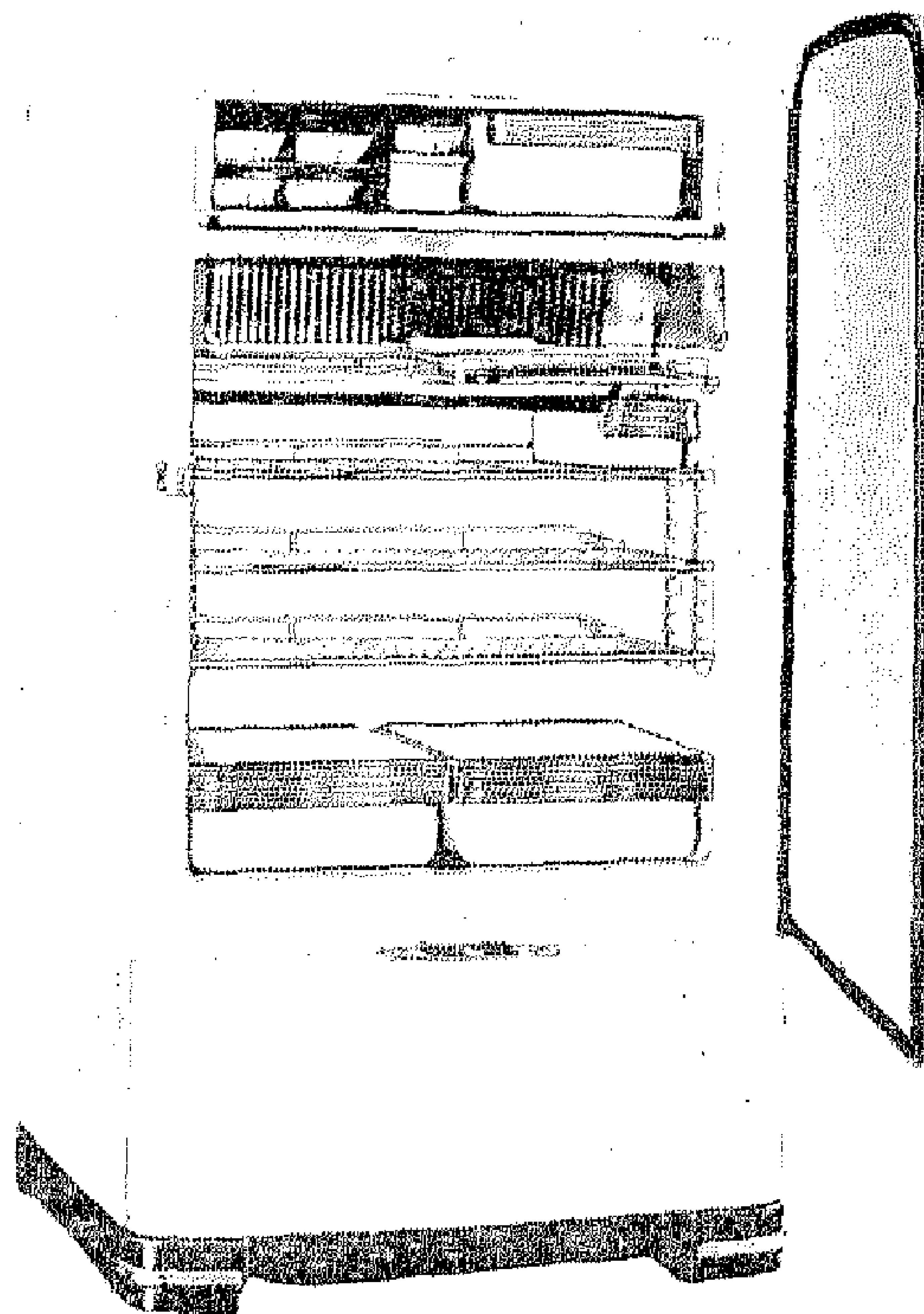
يضمن لك

ابتسامة بيضاء



سرڤيل تعمل...

بالكيروسين أو الغاز الطبيعى أو الغاز الصناعى أو الغاز المعبأ



هذا خبر خطير لكل من يسكن المدن أو المزارع ! إن ثلاجة « سرڤيل » — أينما أقمتها — تبدأ العمل من فورها ، فتولد لك برداً يحفظ الطعام ومقداراً كبيراً من مكعبات الثلج . وذلك لأن نظام التجميد فى ثلاجة « سرڤيل » يعمل بقليل من الكيروسين أو قدر صغير من الغاز . ولست ثمة حاجة إلى أسلاك تنقل القوة المحركة . وثلاجة « سرڤيل » أطول عمراً وانفع . وليس فيها محرك . . . ولن تجد جزءاً متحركاً فى نظام التجميد بها ، يكون عرضة للتعطل أو يحدث صوتاً وضجيجاً .

إن برد « سرڤيل » الدائم المستمر يحفظ نضارة الفواكه والخضر ورائحتها الطيبة أياماً كثيرة . . . حتى فى أشد الأقاليم حرارة . أما طلاء « سرڤيل » الصقيل الجميل الأبيض اللامع فيدوم سنين كثيرة .

فلذلك يسهل عليك أن تدرك لِمَ يستعمل الناس مليونى ثلاجة « سرڤيل » أو أكثر فى جميع أرجاء العالم .

ومتى حزت واحدة منها لا مفر لك أن تعجب كيف استطعت فيما مضى أن تستغنى عنها .

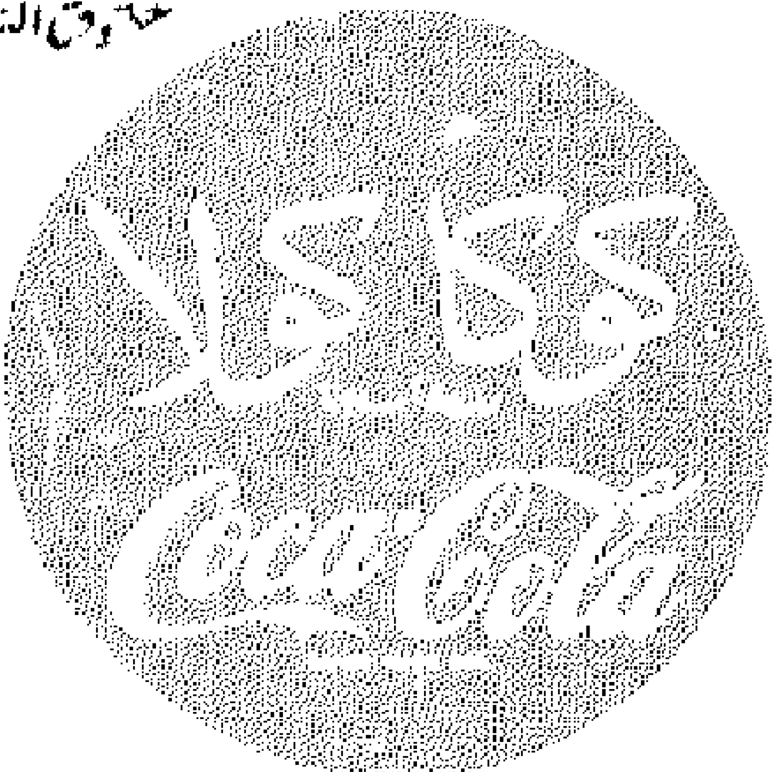
الثلاجة التى تختلف عما سواها



Servel سرڤيل

Servel. Inc., International Division. 20 Pine St., N.Y. 5, N.Y. U.S.A.

في جميع ارجاء العالم



تأتي بالشراب المرطب

[تتمة مقالة الغلاف]

ألقت نظرة تبرّم على الرجلين المنصرفين إلى القراءة ، ثم فتحت حقيبتها وأخرجت منها كتاباً صغيراً أزرق الغلاف ، فنظرت فإذا عنوانه «(دت بست)» طبعة ريدرز دايجست باللغة النرويجية . وصرت ألتفت إليها في الحين بعد الحين فأرى شفتيها تكادان تفترّان عن ابتسامة وهي تقرأ جملة هنا وقطعة هناك .

ونظرت إلى الرجل الثالث وقلت في نفسي : « وأنت يا صاحبي ، ألا تنوي أن تنضمّ إلى هذه الجماعة الدولية من القراء ؟ » . وكأن هذا الخاطر نفسه قد ألحّ عليه ، فسرعان ما ألفيته انصرف عن التأمل في أشجار الغابة ، فأخرج من جيبه كتاباً أخضر الغلاف — الطبعة الأمريكية من ريدرز دايجست .

ومضى القطار يخبُّ بنا في فنلندة ، أربعة من الناس من بلاد مختلفة ، يقرأون مجلة واحدة في أربع لغات . فأحسست ، وأنا الفنلندية على أرض فنلندية ، أني غريبة بينهم ، فلما جاء بائع الصحف ينادي على باب العربة في المحطة سألته : « أعندك ڤاليتوت پالات ؟ »

فقال : « طبعاً ، لم يبق عندي سوى نسخة واحدة ، هي لك يا سيدتي » فاشتريتها .

وصرتُ أسأل نفسي ، ترى متى يدرك الركبُ أنهم جميعاً يقرأون مجلة واحدة في خمس لغات ؟ واتصل الحديث بيني وبين السيدة النرويجية ، فجعلنا نقابل بين الكتابين اللذين بين أيدينا ونقارن بين محتوياتهما . وبعد قليل اشترك الدنمركيّ معنا في الحديث ، وتبعه الرجلان الآخران . فألفينا أنفسنا نتحدث تارة بلغة ، ثم بأخرى ، ونتمنى أن يمكننا ذلك من أن نحسن التعبير عما نرى في هذا التبادل الفكري .

وقد سرّنا وأدهشنا أن نكون جميعاً أعضاء في جماعة واحدة من القراء ، وعجبنا لكثرة هذا العالم ، وسعة انتشار هذه المجلة الدولية .

وقد تبيّن لنا ونحن نتحدث ، أن هناك على الرغم من اختلاف قومياتنا ، شيئاً كبيراً نشترك فيه جميعاً ، من حيث نحن بشر . فقد بلا معظمنا منذ عهد قريب شقاء الجوع والبرد والحرمان ، ورزئنا بمحنة الاستبداد أو استبدّ بنا الخوف منه ، بيد أننا لم نر أن هذه المحن الخاصة أو العامة هي أفجع ما نجده في حياة الناس . كلا ، بل اتفقنا جميعاً — الفرنسي والدنمركيّ والإنجليزي والنرويجي وأنا ، على أن أعدى أعداء البشر في عصرنا هو فقد الرجاء . وإذا بنا نتبيّن أن كلاً منا لا ينفكُّ يبحث عن كل وسيلة يستطيع أن يتوسل بها في صراع اليأس — هذا العدو المشترك . وأحسسنا أن هذه المجلة الصغيرة ، التي أمسك كلٌّ منا بنسخة منها ، تزخر بالرجاء في كلّ صفحة من صفحاتها ، بل تزخر بشيء أعظم من الرجاء وحسب ، فهي تسدي معونة عملية وروحية للناس في أعظم حرب على الفوضى والقنوط خاض الناس غمارها .

كنا ساعة دخلنا عربة القطار خمسة أغراب . وخرجنا منها خمسة أصدقاء ، بل كنا ستة أصدقاء . ففي جيب كلّ منا صديق الجميع وحليفهم .

خمسة قراء - مختار واحد

بقلم "سرب"
المؤلفة المسرحية والصحفية الفنلندية

مالت الشمس إلى المغيب ساعة خرج بنا القطار من ميناء توركو ميمماً شطر هلسنكي العاصمة الفنلندية ، ثم أخذ المطر ينهمر .

كان مقعدي في عربة القطار مجاوراً للنافذة ، وكان رفاقي في العربة ثلاثة رجال وسيدة ، وقد خيّل إليّ أن هؤلاء الأغراب قد وطأوا ثرى وطني أول مرة في حياتهم، فوددت لو يستطيعون أن يروا أرضنا الجميلة وهي صاحية يغمرها ضياء الشمس .

وقد دأب هؤلاء الرفاق، الذين لا أعرفهم ،على التطلع من النوافذ في أول الأمر. فلما جاوزنا القرى ، وصار القطار يشقّ طريقه في رحاب مترامية من الغابات ، وهي أكثر ما تراه من قطار في فنلندة ، رأيتهم قد كفوا عن الاهتمام بما يرون .

وأسندت السيدة رأسها إلى وسادة مقعدها وأغمضت عينيها، وألحّ السأم على مسافر ربعة فتثاءب قليلا حتى بدا ضرسه المغطى بالذهب . وهمّ مسافر آخر ، فمدّ يده إلى حقيبة من الجلد الأغبر ، وأنزلها عن رفّ عربة القطار ، وأخرج منها كتاباً صغيراً أصفر قرأت على غلافه اسم : ريدرز دايجست . ونظرت إليه ثانية فخيّل إليّ أن هذا الكهل الزاخر القوة ، هو رجل إنجليزي ، ثم فتح الكتاب وجعل يقرأه صفحة بعد صفحة دون أن يرفع رأسه عنها .

أما المسافر ذو الضرس الذهبيّ ، فقد ظلّ يراقب صاحبنا الأول كأنه رجل أضرّ به الجوع ، فوقعت عينه على رجل يأكل لحماً شهيًّا ، وإذا به قد هبّ إلى قدميه ، ودسّ يده في جيب معطفه المعلق ، حتى استخرج كتاباً صغيراً قرمزيّ الغلاف وكان عنوانه: سلكسيون دي ريدرز دايجست — الطبعة الفرنسية ، وجعل يقرأ .

وبعد قليل استيقظت صاحبتنا الجميلة من غفوتها ، ورأت رذاذ المطر المنهمر كأنه غشاء رقيق مسدل ، ضرب بينها وبين سائر العالم . فتنفست الصعداء ، وترفقت في مسح خديها بقليل من البودرة المعطرة ، وصبغت شفتيها بالأحمر بيدين لا تخطئان، فلما أنجزت هذه المهمة الخطيرة ، بدا عليها أن النشاط قد أخذ يفيض من أعطافها ،

[التتمة على الصفحة السابقة]

٣ قروش

المختار

من ريدرز دايجست



نوفمبر ١٩٤٧



بيان

« ينبوع الشباب الدائم » : لعل هذا المقال نال من رضى قراء المختار واستحسانهم مالم ينل مثله مقال آخر ، ولا غرو فهو يلخص فى أبلغ عبارة فلسفة المختار فى الحياة. وقد أعدنا نشره على غلاف هـذا العدد. حتى يستطيع من يريد أن يضعهُ فى إطار على مكتبه فيكون له كالدستور فى هـذه « الحياة الزاخرة بالمرح والنضال » .

كتاب « هل أنت حى ؟ » . منذ خمسة عشر شهراً أصدرت المختار كتاب « هل أنت حى ؟ » وخصت به المشتركين والمشترين الذين يطلبونه فى حدود معروفة ، وأعلنت أنه لن يعرض للبيع . وقد وزعت منه ٣٣ ألف نسخة فى أرجاء العالم العربى فحيته الصحافة أبلغ تحية ووجد فيه القراء فصولا ممتعة حافزة إلى الخير والقوة. أما وقد استنفد القراء ما طلبوه منه ، فقد قررنا أن نعرض ألفى نسخة — هى كل ماتبقى من طبعته الثانية — للبيع ابتداء من يوم ٧ نوفمبر ١٩٤٧ ، وثمن النسخة ٥ قروش .

مجموعات كاملة من المختار : فى إدارة مجلة المختار ١٠٠ مجموعة كاملة من أعداده جميعاً . من العدد (١) سبتمبر ١٩٤٣ ، إلى العدد (٥١) نوفمبر ١٩٤٧ . وقد جعل ثمن هذه المجموعة (٥١ عدداً) فى المملكة المصرية ١٠٠ قرش (بدلا من ١٥٣ قرشاً) لمن يطلبها قبل يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٤٧ ، و ترسل خالصة أجرة البريد .

AL-MUKHTAR min READER'S DIGEST-Vol. 9, No. 51, Nov. 1947.

مطبعة مصر ش.م.م

شموع المضمونة

CHAMPION

شامپيون : أحب شموع الاحتراق إلى الناس فى العالم أجمع



لا تزال المباريات العظيمة فى البر والبحر والهواء ، تؤكد يوماً بعد يوم ، صفة الضمان التى حملت شموع احتراق « شامبيون » هى الشموع المفضّلة فى جميع أرجاء العالم . ومن أبرز الحوادث التى ضرب فيها الرقم القياسى العالمى ، فوز الطائرة التابعة لأسطول الولايات المتحدة ، المزوّدة بشموع احتراق «شامبيون». فهذه الطائرة 1 — M X ظلت تطير أكثر من ١٧٠ ساعة متصلة . وأنت تجد هنا الضمان متأصلا فى كل شمعة من شموع احتراق « شامبيون » أيًّا كان المحرك الذى تركب فيه .

اتبع الخبراء

واطلب شموع "شامبيون" المضمونة لسيارتك

Champion Spark Plug Co. : Toledo, U.S.A. "Windsor. Canada" Feltham. Eng.





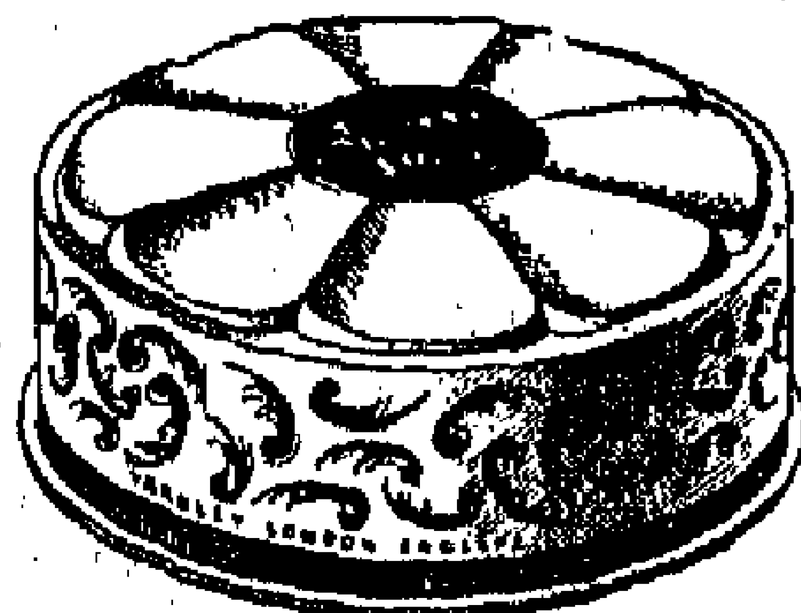
نقيّة

كل مادة من مواد التجميل التى تحضرها « ياردلى » ، قد بلغت من الكمال أسمى درجة تستطيع البراعة الإنسانية أن تدركها ، وكل منها يزيد من أثر الأخرى ونفعها ، فإذا استعنت بها ، واتبعت نظاماً بسيطاً فى العيش ، وجدت أنه إذا كان الجمال هبة من هبات الله ، فإن الرونق صفة تستطيعين أن تكتسبيها اكتساباً .

تجد هذا العطر
وكذلك جميع منتجات
"ياردلى" معروضة
فى جميع المحلات الكبرى
فى كل مكان

YARDLEY

محضرات
الجمال



33 Old Bond Street London

تعمل في كل وقت .. وفي كل مكان ..

سرفيل تستعمل
الكيروسين
الغاز الطبيعي
الغاز الصناعي
الغاز المعبأ

نسوق نبأ عظيماً لكل من يسكن في المدن أو في القرى – لأصحاب البيوت والفنادق والمقاهي والمزارع! إن ثلاجة «سرفيل» – أينما ركبتها – تشرع حالاً في العمل، في توليد البرد الذي يحفظ الطعام، وذلك لأن نظام التبريد في ثلاجة «سرفيل» يعمل بلهب صغير من الكيروسين أو الغاز. وليس فيها محرك... بل ولا تجد في نظام التبريد جزءاً متحركاً خليقاً أن يتعطل أو أن يحدث صوتاً أو ضجة. فلذلك تبقى ثلاجة «سرفيل» بسنين كثيرة صالحة للانتفاع بها.

والبرد الدائم الذي تولده ثلاجة «سرفيل» يحفظ غضارة اللحوم والثمار والخضر وروائحها الطيبة أياماً متوالية... حتى في أشد الأقاليم حرارة. وفي وسعك أن تخزن مقادير كبيرة من الأطعمة التي تشغل مكاناً واسعاً في جوفها الرحب. وفي حجرة التبريد تستطيع أن تضع مقداراً كبيراً من مكعبات الثلج لتبريد الشراب على أنواعه، بل تستطيع أن تصنع مكعبات ثلج ذات طعم أو نكهة توافق أذواق أصحابك أو زبائنك.

فلذلك يسهل عليك أن تدرك لماذا نجد أكثر من مليون ثلاجة «سرفيل» تستعمل في جميع أرجاء العالم، في البيوت والمتاجر ودور الأعمال. وإنك لتتعجب يوم تقتني واحدة: كيف استطعت من قبل أن تعيش بدونها.

الثلاجة التي تختلف عما سواها

Servel سرفيل

Servel, Inc. International Division, 20 Pine Street, New York 5, N. Y., U. S. A.

المختار من ريدرز دايجست
السنة الخامسة
المجلد ٩
العدد ٥١
كتاب فيه لكل يوم مقالة من محكمة الإيجاز باقية الأثر
نوفمبر ١٩٤٧

الشخصيات التي لا تنسى :

" ولكن ما الفائدة ؟ "

تشانينج بولوك : مؤلف " الأحمق " و " البيت الجميل "

أنا شديد الإيمان بصدق ما كان يؤمن به بعض القدماء من أن حظ المرء فى الحياة من صنع يديه ، وخير مثل لهذا رجل أعرفه، وقد لقيته فى شبه جزيرة الملايا.

دخلت غرفة الطعام فى قطار سنغافورة، فإذا أكيلى على المائدة رجل من أنحل من رأيت من الرجال وأطولهم قامة ، يكلل هامته شعر أبيض أربد من لفح الشمس ، وله وجنتان ناتئتان فى وجه شاحب اللون حليق اللحية فى جلده نمش . ففاجأنى من هذا الرجل الإنجليزى الحائل اللون شىء تشمئز له النفس ، مبعثه هذه العيون الخابية وخضرتها المشربة باللون الرمادى ، وهذا الفم الدقيق المستقيم الضنين بالابتسام . وكان مما يشق على نفسى أن أجالس أحداً وقتاً ، فأمسك لسانى عن الحديث معه . فلما جاء الغلام بالقاوون الذى يختم به الرجل طعامه ، لم أملك نفسى عن سؤاله عن مذاق هذا القاوون . فقلت له :

« لقد قدمت لتوى من بلاد سيام حيث ذقت ألذ قاوون أكلته، وكل قاوون أكلته منذ فارقت سيام كان فى فمى مسيخاً كريهاً لا طعم ولا خير فيه » .

فقال جليسى الغريب

> **نهج للحياة**
>
> اعلم أنك لن تعدم فى الناس من هو أغنى منك وأجل وأعقل، ولكن لا تنس أن الفضائل النادرة ، كالإحسان والتضحية والشرف ونبل النفس تتيح لك أن تكون من أحب الناس الى الناس ومن أشرفهم فيهم منزلة .
>
> [أرشيبولد رتلدج]

المنظر : « رباه ! إنى لأجد كل شىء فى هذه الحياة ثقيلا مسيخاً كريهاً لا طعم له ولاخير فيه » ثم انطلق يقول غير مبتسم : « إنه قاوون لذيذ . ولـكن حدثنى كيف رأيت بلاد سيام ؟ »

فأخبرته ، ثم شرع هو يتكلم ، فأى سيل متدفق فتحت على نفسى ! وإذا هذا الرجل الذى ظننته إنساناً صموتاً مؤثراً للعزلة ، يزيح طبقه ثم يسحُّ الكلام سحًّا، ويسألنى: أقرأت كتاب راشيل هامت « الرجـل النحيل » ؟ أقرأت كتاب كرافن « رجال الفن » ؟ كان ظامئاً إلى أخبار لندن — أخبار مسارحها ومطاعمها وأنديتها .

ومضت ساعة فإذا هو يقـول لى : « أسألك العفو عما لقيت من ثرثرتى ، ولـكنك كنت أول رجل أبيض حادثته منذ سبعة أشهر » .

ولعل الدهشة كانت بادية جداً على وجهى ، فانطلق يفسر لى حقيقة الأمر فقال :

« بعد ٣٥ دقيـــقة سوف يقف هذا القطار — لا لأنها محطة لا بد من وقوفه عندها ، بل لأنى أريد أن أنزل حيث يقف . وسأجد هناك سيارة تنتظرنى ، فأقطع بها عشرين ميلا فيما يسمى طريقاً على سبيل المجاز ، حتى أبلغ مستنقعاً فى جوف الغابات ، ولى هناك منجم قصدير ومزرعة مطاط ، ولى هناك أيضاً دار فيها ست عشرة حجرة ، وقد عشت فيها أربعين سنة — وحيداً إلا بعض الخدم ، وهم جميعاً من أهل الصين ، وكذلك سائر العمال » .

فقلت : « هذا فظيع فيما أظن » .

فقال : « لم يكن فظيعاً فى أول الأمر أيام كنت فى ميعة الشباب ، وكان كل شىء تقع عليه العين غريباً . وكنت أفرّ إلى سنغافورة كل شهر أو نحو من شهر . وعزمت مرة على العودة إلى الوطن ، ولـكن لم أكد أصل جبل طارق حتى انقض علىّ التهاب الرئة ، فأشار على طبيبان بأن لا أحاول ذلك مرة أخرى ، فإن دمى قد أصبح رقيقاً ، والملاريا قد أنشبت فىّ أظفارها .

« وأمرنى طبيب إنجليزى أن لا أتجاوز فى الرحلة شمالا مدينة هنج كنج ، فرحلت إليها مرتين ، ولـكنى لم أجد فيها من أهل لندن إلا سواحاً وشباناً كانوا يعـدوننى رجلا به لوثة أو مس من جنون . وربما كان بى مايظنون ، فأنا أعلم أنى أكلم نفسى ، ولـكن أى عجب فى هذا ؟ فأنا رجل أقضى الليلة بعد الليلة وحيداً فى تلك الدار الرحيبة حتى أخاف على نفسى أن أجن ، فأقوم إلى كتاب أقرؤه ، أو إلى شىء من سخافات الإذاعة أسمعه . فإذا ضقت ذرعاً دعوت رئيس خدمى ، وهو إنسان جاهل ، وأظل

أكلمه حتى يوشك أيضاً أن يجن » .

« ماذا أريد أن أقول ؟ » هكذا قاطع نفسه ، ثم عاد يقول : « كانت آخر رحلة رحلتها إلى بلدة كوالالمبر . ولكن ما جدوى الرحلة ؟ إنى إذا أقمت حيث أنا، فأنا واجدٌ على كل حال غلامى أحادثه ، وهو منى بمنزلة الصديق. وهناك مناجمى أتعهدها، ومزارعى أيضاً، وحساب أموالى فى لندن ونيويورك . وربما جاء يوم فأستطيع أن أغرى أحد زبائنى حتى يأتى فيقضى معى أسبوعاً . وقد بدا لى ذات يوم منذ عهد بعيد أن أجعل أحدهم شريكا لى إذا هو جاء فأقام معى ، ولكنه رفض شاكراً. وإنى لمحدثك بحديث، فإذا شئت فاضحك منه ، فقد بدا لى مرة أن أستدعى فرقة من الفتيات الراقصات الإنجليزيات ، لا لشىء إلا ليقضين الأيام فى محبتى ، ولكنى كنت أعلم أنهن سوف يرفضن ما أطلبه . وأيضاً فأنا أكره أن أدفع مالا لناس أشترى به حديثهم معى. وإنه لتخطر لى خاطرة أخرى سخيفة : ذلك إنى أكره أن أموت وحيداً لا أجد من يشيعنى إلى القبر سوى عصبة من العمال يشيعوننى على مضض . وأنا أكره أن أموت وحيداً مثل كراهتى أن أعيش وحيداً » .

وانقضت فترة قصيرة فى صمت وأنا أجتهد أن أجد شيئاً أقوله له ، ثم سمعت جلجلة القطار ونفخه للوقوف، وكانت الشمس تتوهج على زجاج النوافذ حتى ما تستطيع أن تلمسه . وإذا رفيقى الإنجليزى ينحنى فجأة ويبتسم ابتسامة بشعة كشفت عن أسنانه الصفر وهو يقول : « إنى لرجل محظوظ — محظوظ كل الحظ. وإذا سرك أن تعلم ، فاعلم أنه قد مضت عشر سنوات لم أبال قط كم زادت ثروتى على مليون جنيه، فأنا أملك أربع مزارع للمطاط ، ومنجمين للقصدير ، ويبلغ دخلى فى اليوم أكثر من ألف ريال — ولكن ما الفائدة ! »

وبعد سكتة عاد رفيقى يقول : « أنا آسف » فقلت : « وفيم الأسف ! لقد نفعك هذا الحديث . ولكن هل تأذن لى أن أسألك سؤالا واحداً ؟ »

فأومأ برأسه أنْ نعم .

قلت : « تستطيع أن تصنع خيراً كثيراً بهذا المال ، وعسى أن تنال ببذله سعادة وأصدقاء » .

فأجابنى بصوت مثقل بالملل : « لا أحب أن أشترى الأصدقاء . وربما سولت لى نفسى أحياناً أنى سوف أجد سعادة فى مدّ يد المعونة إلى الفقراء من ذوى الحاجات . وقد خطر ببالى مرة أن أبنى مستشفى حيث أقيم لدراسة أمراض المناطق الحارة، ولكنى أرجأت ذلك حتى أزداد سعة من المال

وسعة من الوقت . ولما عزمت على هذا الأمر قدرت فى نفسى أن أبر بوعدى يوم تجتمع لى عشرة آلاف جنيه . فلما وقع هذا المبلغ فى حوزتى ، عقـدت العزم على أن أجعله عشرين ألفاً ، ثم انطلقت أختزن هذا المال وأراكمه حتى فات الأوان ، وأصبحت دفيناً تحت أوزار هذا البلاء اللعين » .

قلت : « ما زلت فى سعة من الوقت حتى تستنقذ نفسك من تحت أطباقه . وما أكثر الأساليب التى تستطيع أن تبذر بها هذا المـال فى الأرض الصالحة ، وتجنى من ثمراته سعادة وسكينة » .

وقد كنت أعلم أن الأوان قد فات ، حتى قبل أن يومىء برأسه فى بطء وملالة ، فإن هذا الصديق لم يفقد قدرته على معاشرة الناس وحسب ، بل فقد أيضاً قدرته على التلذذ والاستمتاع . كان وحيداً ، وكتب عليه أن يظل وحيداً ما بقى .

ولما قمت من مكانى لأخرج ، برقت عيناه وقال : « لو رأيت المـكان الذى أقيم فيه لسرك ما ترى . لم لا تأتى فتقضى معى يوماً أو بعض يوم ؟ »

قلت : « إنى راحـل إلى سنغافورة غداً » ، فأومأ الشيخ برأسه إيماءة من كان ينتظر هذا الجواب .

وبعد دقائق عدت إلى غرفتى ، ثم وقف القطار ، ونظرت من خلل النافذة فرأيت سيارة فخمة يبرق لونها ، وفى المقعد الأول رجلان صينيان فى ثياب موشّاة . وقد وقف الشيخ عند رفرف السيارة كأنه ينتظر منى تحية الوداع . فأطللت من النافذة ولوحت له بيدى ، فرفع قبعته ورد على التحية ملوحاً بقبعته ، وظل يلوح بها حتى غاب القطار عن البصر .

وكانت إقامتى فى سنغافورة أقصر من أن تتيح لى أن أعرف شيئاً كثيراً من أنبائه ، بيد أنى عرفت أن صديقى هذا أوشك أن يكون خبره أسطورة تروى . فلم تقع عليه عين أحد منذ سنوات طوال ، وليس عندهم من خبره إلا طرف غامض عن شيخ واسع الثراء مخبول العقل ، يعيش فى مكان بعيد فى أعماق الغابة . ولما عدت إلى الوطن جعلت أسأل عنـه المسافرين وأصحاب المصارف عسى أن أجد عندهم شيئاً من خبر هذا الصديق العجيب ، ولـكن ذهب كل ذلك سدًى . وعسى أن يكون الساعة ثاوياً فى لحده تحت ظلال شجرة مورقة ، أو لعله الآن جالس وحده فى داره الرحيبة يقرأ إحدى قصصنا السخيفة ، أو يراجع حساب أمواله فى لندن ونيويورك وهى بلا ريب لا تزال تزداد ازدياداً حثيثاً ، « أكثر من ألف ريال فى اليوم — ولـكن ما الفائدة ؟ » .

لقد تعددت منافع التنويم المغنطيسي تعدداً يبعث على الدهشة :

[illegible]

أنيل ب. ماتيسن

مختصرة من مجلة «كولييرز»

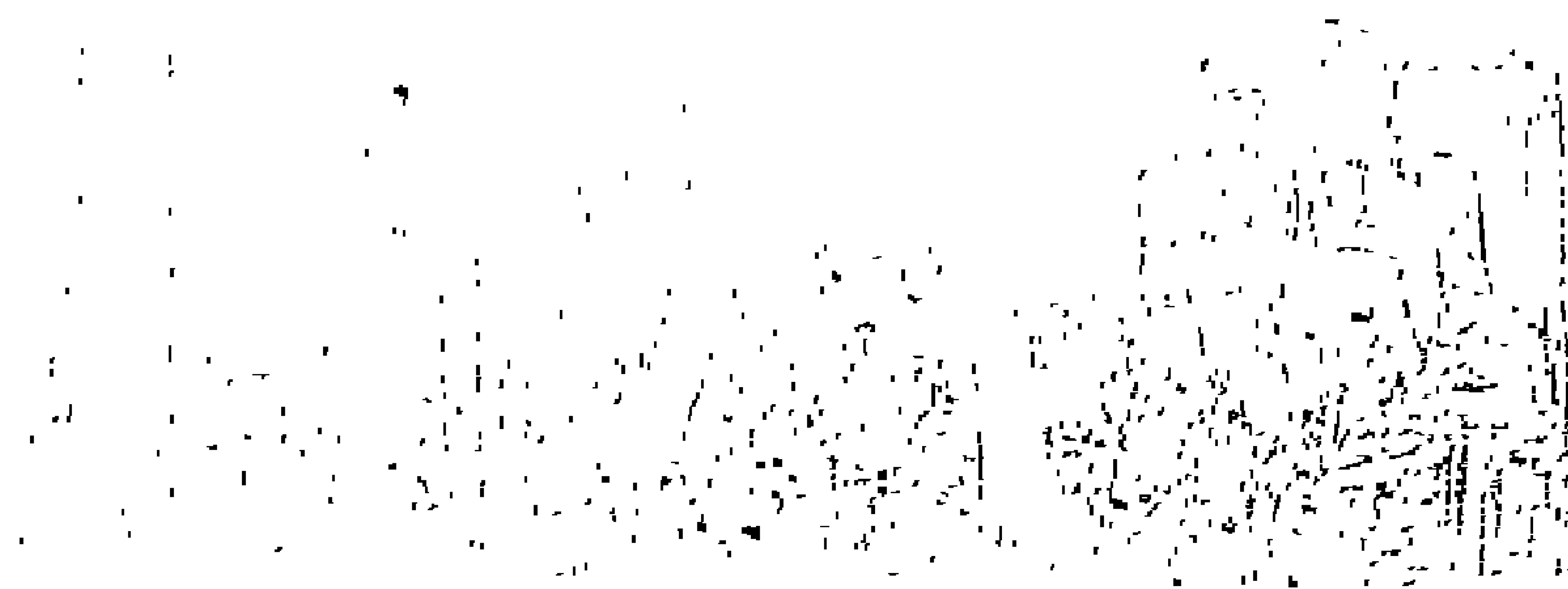
في ربيع سنة ١٩٤٣ أغرقت مدمرة أمريكية غواصة ألمانية بقرب الساحل الأمريكي الشرقي ، واستطاع رجالها أن ينقذوا ربان الغواصة بشق النفس ، فكبار البحرية الأمريكية في أمسّ الحاجة إلى معرفة أمور لا يستطيعون أن يظفروا بها إلا من قائد غوّاصة ، وثمة شعاع ضئيل من الأمل في حمل هذا القائد على أن يبوح بما عنده تحت تأثير التنويم المغنطيسي .

وقد كان هوارد كلاين هو المنوِّم الذي وقع عليه الاختيار للقيام بهذه المهمة ، وكان قبل انتظامه في القسم الطبي للجيش الأمريكي ، من محترفي التنويم الموفقين ، وقد عاون أطباء الأسنان والعيون والولادة في أعمالهم الطبية ، وكان علماء النفس يلجأون إليه ليعينهم في علاج علل الأعصاب أيضاً .

مضى كلاين إلى القاعدة البحرية في جماعة من رجال الشرطة السرية ، فوجد طائفة من كبار ضباط الأسطول ينتظرونه ، ولا يكتمون شكهم في قدرته على تنويم القائد الألماني برغم أنفه ، وساروا به إلى غرفة ألفى فيها القائد الألماني يفيق رويداً رويداً من أثر العقاقير التي أُعطيها .

فجلس كلاين بقربه ، والقائد بين اليقظة والغيبوبة ، وجعل يحدثه حديثاً رفيقاً هادئاً .

وقد قال كلاين بعد ذلك : « أردت أن لا يدرك الرجل أني أنوِّمه ، فقلت له مترفقاً إنك متعب ولا ريب ، فحاول أن تنام . تنفس نفساً عميقاً وسرعان ما يأخذك النعاس » . وما هي إلا ثلاث دقائق أو أقل حتى كان الألماني مستغرقاً في سنة النوم ، ثم بدأ استجوابه . فلما بدأ الألماني يتكلم ،



أسرع الضباط فى الخروج بكلاين من الغرفة ، ولكن سرعان ما أخذ الألمانى يفيق من سباته ، فأعيد كلاين إلى الغرفة على جناح السرعة . فلما انفض الاجتماع صاح أحد الضباط : «صار كتم الأسرار مستحيلاً بعد الاستعانة بهذا الضرب من التنويم » .

وفى السنوات الأخيرة تجددت العناية بالتنويم تجدداً عظيما . نعم إن الاستعانة بالتنويم فى الطب لا تزال شيئاً لا يقبله كبار الأطباء اليوم ، ولكنّ الطبيب الذى يعالج أسنانك خليق أن يقترح عليك فى المستقبل القريب ، بأن التنويم يجنّبك الألم وهو يعالج فجوة فى إحدى الأسنان . وإذا كنت رجلا تريد أن تترك الدخان أو الخمر ، فقد يعينك على ذلك الإيحاءُ بتركها وأنت منوَّم ، فيلازمك بعد اليقظة . وإذا أرادت زوجتك أن تخفف من بدانتها ، فقد يكون فى وسع المنوِّم أن يسلبها شهوتها للمواد النشوية . وقد عولج بالتنويم صغار كثر يعانون عللا مختلفة، مثل حول العينين ولجلجة اللسان . ويرى فريق كبير من الأطباء المولدين أن التنويم قد يعين على دفع آلام المخاض . أما المعرضون للأرق فقد أجدى عليهم التنويم حيث لم تجدِ العقاقير .

بيد أن كل طبيب نفسانى سألته عن التنويم بدأ جوابه محذراً فقال : « حذارِ من أن تصف التنويم بأنه علاج ناجع لجميع الأمراض . ويندر أن يستعمل وحده فى العلاج النفسانى . وقد ينجح غاية النجاح فى الحين بعد الحين، ولكن إخفاقه أغلب» .

والتنويم لم يزل بعد قوة خفية مخوفة . والذين يمارسون التنويم على المسارح لم يتحرجوا عن دفع الذين ينومونهم إلى القيام بأعمال تجعلهم سخرية فى أعين الناس . فلا يدهشك أن تجد الناس يستريبون بالمنوِّمين ولكن المنومين الذين من طراز هوارد كلاين ضرب جديد من محترفى التنويم . فقد توفر كلاين على دراسة موضوعه دراسة علمية ، وهو يرى صادقاً مخلصاً أن علماء النفس إذا ما أحسنوا الانتفاع بالتنويم ظفروا بوسيلة جديدة قوية تعينهم فى عملهم .

وقد عرض كلاين من أعماله ما يبهر الناس ، ففى ٤ أكتوبر ١٩٤١ تناقلت الناس بالدهشة والإعجاب خبر الدليل الذى أقامه على أنه فى الوسع تنويم الذين يستمعون إلى الراديو . وقد كان رأيه الذى لم يفتأ يردده أن الإعلانات التجارية التى تذاع فى أمريكا ، شىء ضعيف متهافت إذا أريد بها حمل الناس على شراء البضاعة المعلن عنها . وهو يرى أن المنوِّم البارع يستطيع أن يدفع المستمعين دفعاً إلى الانطلاق فى الشوارع طالبين هذه البضاعة أو تلك . وقد اتفق

مع إلمن أحد المخرجين ، على أن يسمح له أن يمتحن طريقته فى جماعة تجمع عفواً من المتفرجين ، ووضعت هذه الطائفة فى غرفة من زجاج ، وأخذ كلاين يذيع عليهم من غرفة أخرى ، وكان المذيع يرقبهم ، ثم يذيع على الناس من المحطة الرئيسية ما يراه من أثر إذاعة كلاين فيهم .

وقد قال إلمن بعد ذلك : « كان منظر تلك الجماعة من الرجال والنساء ، وقد أخذوا يستسلمون لسنة التنويم من أثر صوت كلاين شيئاً ، لم أرَ أغرب منه فى حياتى ولا أعجب . فقد كان فى وسعه أن يضحكهم أو يبكيهم ، وأن يخيل لهم ما يريدهم أن يتخيلوه ، وكانوا يصدقون كل شىء يقوله . ولو سمحنا لهذا الرجل أن يذيع على الأمة ما أذاعه على هذه الجماعة ، لكان قادراً أن ينوم فريقاً كبيراً من الأمة . وقد حدث بعد ذلك أن عرضت شركة الإذاعة البريطانية منوما إنجليزياً بأجهزة التلفزة ، فأسفرت التجربة عن نتائج عجيبة حملت الحكومة البريطانية على سن قانون يحرم الإذاعة على المنومين » .

يرى كلاين أن هناك ضربين من التنويم : التنويم «المألوف» ، والتنويم «الخاص» . أما الأول فالناس عرضة له كل يوم من أيامهم : الإعلانات التى تذاع بالراديو ، تردد على أسماعهم فكرة بعينها ترديداً رتيباً مملا ، والأم التى تعيد على طفلها أغنية واحدة ، تظل تعيدها حتى يدركه النعاس .

أما التنويم الخاص فسر تأثيره هو الهبوط بالمرء إلى سبات بين الوعى والغيبوبة يطلقون عليها وصف « النوم المغنطيسى » الذى يحدثه المنوم بالجمع بين كلال البصر والإيحاء . وقد كان المنومون فى الأزمنة القديمة يحدثون كلال البصر فى الرجل المنوم بأن يأمروه أن يحدق فى عينى المنوم . والحقيقة أن العينين ليست فيهما قوة منوِّمة . أما المنومون فى العصر الحديث ، فيغلب أن يأمروا المنوم أن يحدق فى قطعة لامعة من النقد ، أو إلى نقطة بعينها فى السقف . ثم يأمره أن يتنفس نفساً عميقاً منتظماً ، حتى ييسر على بدنه أن يسترخى .

ويظن بعض الأطباء أن التنويم المغنطيسى يبلد العقل الواعى ، فيتاح للعقل الباطن أن يتسلم الزمام . وقد ألف العقل الباطن أن يتلقى الأوامر من العقل الواعى ، حتى لتراه منقاداً من تلقاء نفسه لكل أمر يلقى عليه . ويبدو أن هذا التعليل لسر التنويم هو خير تعليل عرف .

والرجل الذى استغرق فى سبات التنويم يستطيع أن يفتح عينيه ، وأن يتكلم

ويضحك ويمشى . أما المنوَّم فلا يسيطر على أفكار المنوَّم وحسب، بل يهيمن على جهازه العصبي كله أيضاً . وقد يبلغ سمع الرجل المنوَّم من الحدة والإرهاف مبلغاً يمكنه أن يسمع وقع دبوس على الأرض على مسافة مئة قدم .

وإذا قال المنوِّم للمنوَّم إنه لا يحس ألماً ، كان فى وسعه أن يحتمل جراحة كبيرة دون أن يشعر بها . والرجل المنوَّم يستطيع أن يقبض أوردته وشرايينه . بحيث ، يحبس سيلان الدم من جرح فى بدنه . وترى كلاين أحياناً يعرض هذه القدرة الغريبة ، فيجرح يد المنوَّم جرحين صغيرين ، فيسيل الدم منهما ، ثم يأمره أن يمنع دم أحد الجرحين أن يسيل فيكفُّ الدم السائل من أحد الجرحين لساعته ، ثم يأمره أن يدع الدم يسيل من هذا الجرح ، وأن يحبسه من الجرح الآخر ، فيفعل .

وقد أخذ الأطباء يستعينون بالتنويم المغنطيسى ليعينوا المرضى على أن يخضعوا لإرادتهم تلك العضلات التى لا سلطان للإرادة عليها . وثمة طبيب عيون مشهور طلب أن يكتم اسمه ، لأن الجمهور لا يزال يستريب فى التنويم — استعان بكلاين فى علاج الأطفال. قال : « وقد استطعنا منذ عهد قريب أن نعالج فتى فى السابعة عشرة كان يعانى حولاً شديداً . فلا يستطيع أن يقرأ إلا أكبر الحروف فى لوحة امتحان البصر ، فنوَّمه كلاين ، ثم ألقى فى روعه أن اللوحة تدنو منه ، فاستطاع الفتى متأثراً بوهم دنوِّها ، أن يقرأ سطورها سطراً فسطراً حتى بلغ السطر الخامس . وأعجب ما فى الأمر ، أنه احتفظ بهذه القدرة بعد أن أفاق من سبات التنويم » .

ويظن الطبيب أن التنويم أعان الفتى فى أن يرخى عضلات مقلتيه ، وأن احتفاظه بمنافع التنويم يرجع إلى ظاهرة «الإيحاء اللازم»، أى الذى يلازم المنوَّم بعد أن يفيق من سباته.

وكثيراً ما يعمد كلاين إلى استعمال ضرب غير مؤذ من « الإيحاء اللازم » فى الحفلات العامة ، فيقول للمنوَّم : « ستلحُّ عليك إذا ما أفقت ، رغبة لا تقهر فى أن تبيع الصحف ، فعليك أن تتأبط رزمة منها وأن تفرض على كل من الحاضرين أن يشترى صحيفة منها . وستخمد هذه الرغبة عندما أصيح بكلمة : صفرْ » .

فإذا أفاق الرجل المنوَّم ألفى نفسه لا يتذكر شيئاً من هذا الإيحاء ، ولكن ما هى إلا دقائق حتى ينتابه قلق ، ثم يقول لأحد أصدقائه : « إن فى الصحف أخباراً خطيرة ، وينبغى لكل إنسان أن يطلع عليها» ، وإذا به يختطف رزمة صحف تركها

كلاين على المسرح ، ويعدو بين المتفرجين وهو ينادى : « ملحق ، ملحق » فإذا صدر الأمر من كلاين كفّ الرجل ، وبدا عليه الخضوع ، ثم يجلس .

وكل امرىء عرضة للتنويم ، ولكن بعض الناس يأبون دون وعى أن يسمحوا لأنفسهم أن ينساقوا فى تياره ، والتعرّض له يختلف بين ساعة وأخرى . وفى قدرة كلاين أن ينوّم ٧٠ فى المئة من الناس الذين يتقدمون إليه . وأكثر الناس استعداداً للتنويم هم أكثرهم همّاً . وهذا سرّ نجاح الزعماء الشعبيين الذين يفتنون الجماهير فى أيام الأزمات القومية .

والقاعدة أنه يستحيل تنويم المرء برغم أنفه ، ولكن لهذه القاعدة شذوذ . فالرجل النوّم يعصى أمر منوّمه إذا أراده أن يفعل شيئاً ينافى أخلاقه أو يعرّضه للخطر . فلا يمكن مثلا أن يعتدى على عرض فتاة منوّمة ، أو أن يرغم رجلا على الوثب من نافذة . وقد رأيت الدليل على صحة هذا ، فقد أمرت فتاة منومة أن ترتكب فاحشة ، فإذا بها تفيق من سباتها وهى تحسّ فى نفسها غضباً غامضاً . وأمر تاجر أن يوقع شيكا على بياض ، فكافح هذا الإيحاء ما استطاع ، ثم خط فى آخر الأمر حروفاً لاتقرأ .

أما مايقال عن عجز المنوّم فى بعض الأحيان عن أن يردّ المنوّم إلى اليقظة فلا صحة له . فالمنوّم يفيق من تلقاء نفسه بعد غفوة قصيرة ، ولو خرّ المنوّم صريعاً .

ويستعين الدكتور لوفين ، طبيب الأسنان ، بكلاين على تنويم المصابين الذين يكرهون الغاز المخدر أو يخافون الحقن . ويقول الدكتور لوفين : « ومن الناس من لا يتخثر دمهم تخثراً طبيعياً بعد حقنة مخدرة ، فيبطىء شفاؤهم ، فإذا كان المصاب عرضة للتنويم ، كان التنويم خير مخدر » .

وقد قال لى أحد الأطباء النفسانيين إنه يستعين بالتنويم ولكنه يأبى أن يذيع ذلك قال : « فلو فعلت لتوافد الناس علىّ يطلبون أن أوحى إليهم بالنوم بعد أن يفيقوا من التنويم ، كأن التنويم والإيحاء اللازم حبة أسبرين يأخذونها من أقرب صيدلية . وأنا أستطيع أن أوحى إليهم بالنوم ، ولكننى أفضل أن أعرف لمَ يعانون الأرق . فإن لم أفعل ، كان ذلك كمثل من يعالج ساقا مصدوعة بحقنة من الكلوروفورم » .

سر مع العالم



مقتطفات

من باب في مجلة «كوليرز» يكتبه فريلنغ فوستر

في السنوات الأولى من القرن العشرين بدأت السيارات تخترق الشوارع ، وبلغ من حوادث اصطدامها بجماهير المشاة وإزعاجها الجياد ، أن عمدت إحدى الولايات الأمريكية إلى سن قانون يقضي على كل سائق ينوي الخروج بسيارته أن يحذر الناس قبل موعد خروجه بأسبوع على الأقل ، وذلك بنشر إعلان في الصحف.

كشفت في مدينة باري الإيطالية طائفة من الوثائق السرية لجماعة « أوفرا » وهي الشرطة السرية التي أنشأها موسوليني في أثناء حكمه الذي دام إحدى وعشرين سنة ، شملت أربعاً وسبعين سيدة أنفق عليهن خمسة ملايين ريال أو أكثر .

تدل الإحصاءات الأمريكية على أن معدل الانتحار بين الزنوج الأمريكيين لم يزل منذ عشرات السنين ثلث معدله بين جماعات البيض أو أقل .

يدل لون النجوم على درجة حرارتها ، فالنجوم الحمر ، مثلاً ، أقل حرارة من النجوم الزرق والبيض التي تبلغ حرارتها مبلغاً عالياً جداً .

كاد الانتفاع بالقوة النفاثة في الصواريخ يقتصر على دفع الطائرات وغيرها إلى أمام ، ولكن ينتظر الانتفاع بها في الحد من سرعة الطائرات والقطرات — أي أن تكون بمنزلة الفرامل . ويقدر الخبراء أن القطار الذي يظل سائراً مسافة ١٥٠٠ قدم بعد استخدام الفرامل الهوائية، يمكن وقفه عن الحركة تماماً في مسافة لا تتجاوز ٣٧٥ قدماً — أي ربع المسافة الأولى — إذا أضافوا إلى الفرامل الهوائية صواريخ مركبة في القاطرة، فتنطلق إلى أمام، فتحد بانطلاقها من اندفاعه .

تمنح روسيا « وسام الأمومة » إلى النساء اللاتى ينجبن خمسة أطفال أو ستة ، وتمنح « وسام مجد الأمومة » إلى اللواتى ينجبن سبعة أطفال إلى تسعة ، « ووسام بطولة الأم » إلى اللواتى ينجبن عشرة أطفال أو أكثر .

تدلُّ دراسة مئات من الحوامل والوالدات على أن النساء الأمريكيات يزداد وزنهنّ على المعدّل ٢٢ رطلا فى أثناء الحمل ، وينقص وزنهنّ ١٣٫٥ رطل فى بحر ساعة بعد وضع طفل يبلغ ٧٫٥ رطل ، ثم ينقص وزنهنّ ٤٫٢٥ رطل فى الاثنى عشر يوماً التالية ، ثم تلى ذلك فترة لا يكاد ينقص فيها وزنهنّ شيئاً يذكر . فإذا انتهين إلى ستة أسابيع بعد الوضع كان وزنهنّ لا يزال أثقل مما كان يوم بدء الحمل بنحو أربعة أرطال .

أجريت تجربة على جماعة كبيرة من الناس كان غرضها أن يتبيّن الباحث دقتهم فى تقدير مسافة دقيقة من الزمن ، فظهر أن معدّل تقديرهم جعل الدقيقة ٣٥ ثانية وحسب .

منذ زمن قريب أثبت حادث شروع فى قتل ، أن التحليل المعملىّ يستطيع أن يهدى الشرطة إلى حقائق كثيرة عن طريق دليل تافه . فقد وجدوا قطعة خيط صغيرة فى مكان الحادث ، فوضعت فى جهاز من أجهزة القوة المركزية الطاردة ، فلما أنشأ يدور بسرعة ، تطاير من ألياف الخيط غبارٌ دقيق ؛ فثبت من فحصه أن الخيط جىءَ به من مزرعة فيها أشجار صنوبر وبعض النباتات النادرة ، وبقرة جرسى ، وجواد كَنيْت ، وأرانب بيض وسود ، ودجاج أحمر الريش . فلما ظفر رجال الشرطة السرّية بهذه الحقائق ، تيسّرت لهم معرفة مكان المزرعة ، فقبضوا على المجرم .

يؤثر دوار البحر فى الجياد أيّما تأثير ، حتى تجد كثيراً من أعرق الجياد السابقات أصلا قد ظلّت بعد رحلة صاخبة فى البحر ، لا تصلح لدخول مضمار السباق مدة ستة أشهر . فلكى يتجنبوا هذا الخطر ، استعملوا منذ عهد قريب طائرة لنقل ستة جياد من إرلندة إلى لوس أنجليس فى كاليفورنيا ، فكانت هذه الشحنة الجوّية أول شحنة من نوعها عَبَرت المحيط الأطلسى .



سجين ينطق بلسان سجين

ت . إ . مرفى *



كان عَلَم الولاية يخفق على رأس السارية القائمة فوق برج السجن الأغبر المشيّد بالصخر ، فدلّ على أن حاكم الولاية قد حضر. وقد جروا على رفع العَلَم على السجن مرة كل شهر حين يقبل أعضاء مجلس العفو لسماع أقوال المساجين الذين يلتمسون إطلاق سراحهم .

ففى مثل هذه الأيام يُخيِّم على السجن جوٌّ من الترقب يكاد المرء يلمسه بيديه ،ويشيع الابتسام على وجوه الحراس ، فيفسر سائر المساجين ذلك بأن بعضهم على الأقل سوف ينال نعمة الحرية .

ولكنّ المساجين الذين جلسوا فى القفص الحديدى خارج حجرة المجلس ، كانوا متجهمين لا يبتسمون . فقد ظلّ بعضهم ينتظر خمس سنين أو عشر سنين أو أكثر ، حتى تتاح لهم الفرصة ليقصُّوا قصتهم .

وما كان يدور بينهم سوى النزر من الحديث ، فكل رجل منهم أشبه ما يكون بجزيرة منعزلة،وهو يراجع فى ذهنه ماينوى أن يقوله بين يدى الحاكم .

وفتح أحد الحرّاس باب القفص ونادى: « شارلى جريجورى » .

فحدثت حركة خفيفة فى إحدى زوايا

* ت . إ . مرفى ، كاتب تنشر مقالاته فى أكبر المجلات ، وقد ظل خمس سنوات موظفا فى مجلس العفو فى ولاية رود أيلند ، وشهد الحادث الذى يصفه فى هذا المقال . أما اسم السجين فهو مختلق .

القفص ، وتقـدَّم رجل ضئيل الجسم ، أشيب الشـعر . كان أغبر الوجه ، وكان شاخص البصر كأنه رجل منوَّم . وهمس أحدهم فى أذنه : « وفـَّقك الله ياشارلى » ولكن الشيخ الضئيل الجسم لم يسمع الهمس.

وتعثر شـارلى بقرب الباب ، فأمسك الحارس بذراعه مترفقاً به ، وقال : « هوِّن عليك ياشارلى ، ولا تنس أنك قد انتظرت زمناً طويلا حتى تسنح لك هذه الفرصة ».

وقد كان زمناً طويلا حقـًّا : ٢٠ سنة، عشرون سـنة لم ينقطع خلالها ، لا ليلا ولا نهاراً ، عن ترديد ما اعتزم أن يقوله ، وقد سخر منه سائر المساجين فى أول الأمر، فكانوا يقولون هازئين : « وفيم العجلة ياشارلى ؟ » أو يقولون : « لا يزال أمامك خمس عشرة سنة تتمرن فيها على ماتقول».

إلا أنهم أمسكوا عن السخر به منـذ سنين ، فقد غلب عليهم الرثاء لحاله ، وكان الطارئون على السجن من المساجـين يحملقون فى هذا الرجل الضئيل وقد انتحى جانباً ، ووقف كأنه يلقى خطبة ، فيسألون: « أخالطت عقله لوثة من جنون ؟ » وإذا واحد من صحبه القدماء يقول : « لا، وإنما هذا هو شأن شارلى ، فهو يتدرَّب على ما ينوى أن يقوله حين يمثل أمام مجلس العفو » .

حفظ زملاؤه القدماء خطبته عن ظهر قلب ، وأما شارلى فصار يعدِّل فى الخطبة على مرِّ الزمن — يسهب هنا فى أحد معانيها، ويقتضب هناك ، ولكنَّ ، جوهر الخطبة ظلَّ هو هو لم يتغـيَّر .

— « ياصاحب السعادة ، سادتى : أنا أعلم أنكم قد ألفتم هـذا المشهد ، مشهد سجين يمثل بين أيديكم ، ليقيم الدليل على براءته. ولو كنت أنشد أن يطلق سراحى أنا، لما أشرت أية إشارة إلى براءتى من الجريمة التى أدنت بها منذ عشرين سنة خلت، ولكننى أيها السادة ، لا أنشـد حريتى وحسب ، بل أريد أيضاً أن أثبت أننى كنت ضحية ظروف اصطلحت علىَّ » .

كان ذلك مستهلَّ الخطبة ، وقد حاول بعض أصدقائه أن يقنعه بأن يستعمل كلمات هينة بدلا من الكلمات الصعبة التى جهد فى تصيُّدها من قاموس الجيب ، وكانوا يقولون له ، إن هذه الألفاظ لاتقع فى آذان أعضاء المجلس موقع الكلام المألوف .

ولكن شارلى كان عنيداً يحرص على استعمالها كل حرصه على أن يستردَّ حريته.

دخل شارلى غرفة المجلس وهو يتعثر ، وكان الحاكم جالساً وراء منضدة كبيرة ، وعن يمينه وشماله أعضاء المجلس الأربعة ، وكلُّهم كهلٌ وقور .

وقف شارلى وقفة الحائر ، والحارس يشير إلى كرسى يجلس عليه . وقرأ الحاكم من أوراق القضية المسجلة : « شارلز جريجورى ؛ حكم عليه بالسجن المؤبد لاقترافه جريمة القتل » ثم ابتسم للسجين وقال . « ولك الآن أن تعرض على المجلس لمَ تعتقد أنه ينبغى أن يعفو عنك » .

فبلل شارلى شفتيه الجافتين بلسانه وبدأ الكلام بصوت خافت مجهد : « ياصاحب السعادة ، سادتى : أنا أعلم أنكم ألفتم — » وأخذت الألفاظ تتهافت بين شفتيه وتزداد خفوتاً ، حتى انحبس صوته فصارت شفتاه تتحركان ولا كلام .

فانبرى الحارس يلاطفه ويخفف عنه وقال : « مهلا ياشارلى ، فهؤلاء السادة يريدون أن يبذلوا لك المعونة ، فابدأ حديثك مرة أخرى » .

فتحركت الشفتان ثانية ، ولكنهما لم تنطقا بأية كلمة .

فتطلع عضوان من أعضاء المجلس من خلال النافذة ليخفيا حيرتهما ورثاءهما لحاله . وتكلم الحاكم فقال : « حسبك ياشارلى أن تروى قصتك » .

فعاد شارلى يتكلم كالآلة ، وكان كلامه ضعيفاً خافتاً : « ياصاحب السعادة ، سادتى : أنا أعلم أنكم — » ثم جعل يتلعثم مرة أخرى ، وجلس كالأبكم لا يحير كلاما . فقد انتظر عشرين سنة طويلة حتى تتاح له فرصة ليلقى هذه الخطبة ، وها هو ذا الآن عاجز عن إلقائها .

فقلب الحاكم بعض الأوراق عسى أن يسترد السجين رباطة جأشه ، ثم قال للحارس : « خيرٌ لك أن تأتينا بمن يليه ، فسنحاكمه فيما بعد » .

فجلس شارلى كأنه قد نُوِّم تنويماً ، ودخل الحارس يصحبه السجين التالى ، وهو شاب طويل أشقر .

وقال الحاكم لجريجورى : « سوف أتيح لك فرصة واحدة أخرى للكلام ، فبين أيدينا رجال آخرون ينبغى أن نستمع إليهم » .

ونظر الشاب الأشقر إلى شارلى نظرة الدهش ، فتحركت شفتا شارلى ثانية ، ولكنه لم يُحِرْ قولاً .

فقال السجين الشاب : « أستأذنكم ياسيدى » .

فنظر إليه الحاكم نظرة جافية وقال : « مهلا يافتى ، فسوف نستمع إليك » .

فقال الشاب : « ليس هذا ما أريد ياسيدى ، ولكننى أكاد أعرف قصة شارلى ، كما يعرفها هو نفسه . وفى وسعى أن أنطق بلسانه » .

فأثار قوله فضول الحاكم فسأله: «وكيف عرفتها ؟ »

فقال : « لم يزل يتدرَّب على إلقائها منذ عشرين سنة ، ويرددها على أسماعنا » .

فأومأ الحاكم برأسه وقال : « هاتها » ثم التفت إلى أعضاء المجلس وقال : « لعلَّ هـذا يخالف السنَّة المرعية ، فإذا وافقتم سمعناها» ، فوافقوا جميعاً ، وشرع السجين الشاب يتحدَّث بطلاقة :

« ياصاحب السعادة ، سادتي : أنا أعلم أنكم قد ألفتم هذا المشهد ، مشهد سجين يمثل بين أيديكم ليقيم الدليل على براءته .. » ومضى في رواية القصة لم يتلعثم في كلمة واحدة منها إلا عنـدما قال كلمة « اصطلحت » ، فابتسم أعضاء المجلس وقال الحاكم : « لست ألومك إن تلعثمت» فمضى الشاب في حديثه.

فلما أوفى على النهاية ، أخـذت الحياة تدبُّ في أوصال شارلي، فجعل يومىء برأسه إيماء قويًّا بين العبارة والعبارة ، كأنه يؤكد ما يقوله صاحبه السجين الشاب . وما إن أوشك الشاب أن ينتهي من حديثه حتى قال شارلي: « هى مايقول،هى مايقول، هذه قصتي » ، ثم طفق يبكي .

وساروا بشارلي إلى قفص الساجين ، وسرى الخبر مسرى الكهرباء ، وما هى إلا دقائق حتى عرف كلُّ من في السجن أن شارلي قدضيَّع الفرصة العظيمة التي أتيحت له. ثم طرأ طارىء عجيب على جميع الرجال الذين ينتظرون فرصتهم ليرووا ما عندهم ، ذلك بأن هــذه النفوس الجافية الضالة المنحرفة عن جادَّة الخير ، قد هبط عليها فجأة وميض من نور الصلاح . فإذا هؤلاء الرجال الذين سرقوا وقتلوا ونالتهم يد القضاء ، يشعرون بطائف الخير يطوف بنفوسهم وهم ينظرون إلى شارلي الشيخ .

وقد مثلوا واحداً بعد واحد أمام مجلس العفو ، فقال أحدهم : « أستأذنك ياسيدي في أن أقول لكم شيئاً عن شارلي جريجوري قبل أن أروي قصتي . فقد جاءني يوم بلغني خبر وفاة والدتي وترفق في تعزيتي ، فأعانني في تلك المحنة على أن أحتمل المصاب » ... وقال آخر : « لقد كان خير صديق لي في السجن ، لا تفتر له رغبة في أن يبـذل معونته لي » ... وقال ثالث : « أعطاني باقه زهر من حديقة السجن حتى أرسلها هـــدية إلى زوجتي » ... وقال رابع : «كنت فتى يوم دخلت هذا السجن فأظلَّني شارلي برعايته » .

وقد تردَّدت هذه الأقوال وأمثالها على ألسنة الساجين ، وقد عانى بعضهم جهداً عظيماً في التماس الكلمات للتعبير عما في أنفسهم، ولكنهم جميعاً حرصوا أشدَّ الحرص

على أن يستهلوا مرافعتهم فى سبيل الحرية بكلمة خير عن شارلى . « أحبُّ ياسيدى أن يطلق سراحى، ولكن شارلى أحقُّ منى بذلك » .

كان هؤلاء الرجال مجرمين تجرَّح شهادتهم فى أية محكمة ولو حلفوا بأغلظ الإيمان ، ولكنهم نطقوا اليوم عن إخلاص فكان قولهم مقنعاً ، وقد دفعهم إلى ذلك دافع من الإيثار وإنكار الذات فأسعدهم ما صنعوا . كان هؤلاء الرجال الشهود العدول على حسن أخلاق شارلى جريجورى، يتقدمون بشهادة لم تطلب منهم ، فيثنون على هذا الرجل الشيخ الضئيل الذى جاهد مرَّ الجهاد لينال حريته .

فلما فرغ آخرهم مما عنده ، أقفل الحاكم حقيبته بسرعة والتفت إلى أعضاء المجلس وقال: « أما فى شأن هذا الرجل جريجورى فإننا أمام مشكلة غير مألوفة . وأما أنا — » ثم توقف قليلا وتنحنح وقال : « وأما أنا فأرضى أن أجازف بإطلاق سراحه » . فأومأ الأعضاء بالموافقة .

وما هى إلا دقائق حتى ذاع هذا الخبر فى حجر السجن الحديدية — لقد أدرك شارلى الشيخ منية حياته . وإذا هذا العالم المنعزل، عالم السدود والقيود، عالم العرق والمطهرات، عالم الحديد والأبرق والقنوط — يشهد لحظة عابرة من السعادة .



حيرة متسوِّل

لعلك سمعت قصة ذلك الشحاذ الذى استجدى مئتى ريال ليشرب فنجاناً من القهوة ، فلما سئل عن المبلغ الذى طلبه قال إنه يخجل أن يدخل المطعم فى بزته الرثة ، فلابد له من بزة كاملة أنيقة جديدة قبل أن يدخله . وإليك قصة أخرى.

دنا شحاذ من رجل عليه أمارات اليسر وطلب منه قرشين ليشترى بهما فنجان قهوة ، فرد عليه الرجل بلهجة العنف : « أهذا هو كل ما تصنع ؟ انظر إلى نفسك — تنام على المقاعد فى الحدائق ، وتلبس الرث المهلهل من الثياب ، وينال منك الجوع ، فلم لا تأخذ نفسك بالحزم وتعمل عملا يجدى عليك ؟ »

فرد الشحاذ مسخفاً قول صاحبه : « أعمل ؟ ولم العمل ؟ أأعمل لأعول إنساناً مثلى لا خير فيه ؟

[إرفنج هوفان]

لم يصدق الناس أنهما طارا

فريد س. كلى مختصرة من مجلة «هاربرز»

في الأيام التي كان الأخوان أورڤيل وويلبور رايت يطيران بطائرتهما فوق مروج ولاية أوهيو كان في بلدة على مسيرة عشرة أميال مراسل صحفي شاب، سمع بأنهما طارا حقاً ولكنه لم يعبأ هو ولا سواه بما سمع ولا عنى باستطلاع حقيقته. وكان اسم ذلك المراسل: فريد س. كلى، كاتب هذا المقال.

في اليوم السابع عشر من شهر ديسمبر ١٩٠٣ حدث حدث تاريخي في بلدة كيتي هوك بولاية نورث كارولينا الأمريكية، ذلك بأن الأخوين ويلبور وأورڤيل رايت طارا بطائرة أثقل من الهواء، فكانا أول من فعل ذلك في تاريخ البشر. ويوم عادا من نورث كارولينا إلى مسقط رأسهما في مدينة ديتون بولاية أوهيو لم يحتف بهما الناس، بل إن جيرانهما ظنوا أنه إذا كان الشابان قد طارا حقاً، فما هي إلا مصادفة اصطلحت عليها الرياح القوية، وأن ما تم لهما لن يتم مرة أخرى، وكان أصدقاؤهما إذا التقوا بهما في شارع المدينة يتجنبان الإشارة إلى ماروى عن طيرانهما، فلن تجد رجلا به مسكة من العقل يرضى أن يتحدث في رواية سخيفة كهذه الرواية.

وصدرت صحيفة « ديتون جورنال » في صباح اليوم التالي، وليس فيها كلمة ما عن الحادث الذي تم في ١٧ ديسمبر. ونشرت ست صحف أو سبع صحف أمريكية رواية غريبة عما تم، ولكن جميع القراء تقريباً أنكروا ماقرأوا عن الطيران بآلة أثقل من الهواء. ألم يقل كبار العلماء، وفي طليعتهم سيمون نيوكم العالم الفلكي الرياضي، إن ذلك مستحيل؟ ثم ألا تراهم قد أيدوا رأيهم بمنطق لا ينقض! فلم يكن غريباً أن تجد رؤساء تحرير الصحف يأبون، بعد أن قرأوا رأي العلماء، أن ينشروا أن الطيران قد تم، وأنه تم على يد رجلين مجهولين، كان شغلهما أن يصلحا الدراجات، وليس لهما من العلم ما يصيبه طالب في جامعة، لأنهما لم يطلبا العلم في جامعة!

وفي شهر إبريل من سنة ١٩٠٤ جعل

الأخوان يتدرّبان على الطيران فى مرعى للبقر قريب من بيتهما فى مدينة ديتون . وعلى أن خبر هذه التجارب كان أعظم أخبار العلم وأخطرها فى مستهلّ هـذا القرن ، فإنك لن تجد ذكراً له فى الصحف ، حتى ولا فى صحف المدينة التى أنجبت هذين الشابين. وما كان ذلك لأن الأخوين كانا يكتمان ما يصنعان . فكيف يستطيعان ، لو أرادا ، أن يكتما شيئاً يصنعانه فى مرج على مرأى من عيون النـاس ، فعلى أحد جانبي المرج طريق عام وخط التـرام الذى يصل المدينة بالضواحى، وعلى الجانب الآخر سكة حديدية.

وقد تحدّثت منذ عهد قريب مع دان كلار الصحفىّ البشوش الودود الذى كان محرّراً لقسم أخبار المدينة فى صحيفة « ديتون ديلى نيوز » فى تلك الأيام ، فتذكر كلار ما كان وقال : « كان الناس الذين يمرّون بذلك الحقـل فى مركبات الترام يجيئون إلى مكتب الصحيفة ويسألون : أفى الصحيفة ذكر لطيران الأخوين ، وقد تكاثر عدد الزوّار حتى صرنا نعدّهم بلية علينا » .

فسألته : « ولِمَ لم تنشروا شـيئاً فى الصحيفة ؟ »

فقال : « لم نصدّق ماقيل ، ليس إلا » .

ومن الأشياء التى جعلت طيران الأخوين شيئاً لايسترعى الأنظار ، أنهما كان يطيران المرّة بعـد المرّة على ارتفاع ١٠ أقدام أو ١٥ قدماً فوق سطح الأرض. وكانا يطيران فى أول الأمر مسافات قصيرة فى خط مستقيم ، كما فعلا فى كيتى هوك سنة ١٩٠٣ ، وأنفقا معظم أيام سنتى ١٩٠٤ و ١٩٠٥ يتدرّبان على إتقان توجيه الطائرة، والطيران فى دائرة ، وزيادة المسافة التى يقطعانها . فلما كان شهر أكتوبر من سـنة ١٩٠٥ طار أورفيل ٢٠ ميلا ، وبعد يومين طار أخوه ويلبور ٢٤ ميلا ونصف ميل .

ومع ذلك لم تظفر معجزة الطيران باهتمام يذكر . وذات يوم ذكر تلاميـذ مدرسـة ريفية لمحرّر صحيفة « ديتون جورنال » الشيخ أنهم رأوا بعيونهم الأخوين يطيران حول المرعى مدة خمس دقائق . واتفق للمحرّر أن لقى أورفيل رايت فى مركبة الترام فى أصيل ذلك اليوم فسأله : أحقٌّ ما قاله التلاميذ ، فقال أورفيل إنهما كثيراً ما يطيران .

فوقع فى روع المحرّر أن الرواية ليست بذات شـأن مادام أورفيل نفسه لا يعدّ مايفعله هو وأخوه شيئاً غير مألوف أو شيئاً ذا خطر . فطيرانهما حول المرج شىء يسلّى تلاميذ المدرسة ، ولكنه لا يكاد يكون شيئاً يستحق بضعة أسطر فى صحيفة . فختم المحرّر حديثه مع أورفيل فقال : « إذا صنعتما شيئاً

خارقاً فلا تتوان فى نقل خبره إلينا » .

وعلى أن مئات من الناس شاهدوا الأخوين يطيران ، فإن أكثر الناس فى طول البلاد وعرضها ، ومنهم العلماء والمحررون ، أبوا أن يصدقوا أن طائرة أثقل من الهواء استطاعت حقاً أن ترتفع بقوتها عن سطح الأرض .

وكانت هناك جماعة أخرى من الناس ، خليقة أن تعنى بالموضوع ، ولكن ما روى عنه أزعجها أكثر مما أثار فضولها ، وكانت تلك الجماعة جماعة وزارة الحربية .

فقد غلب الشعور الوطنىّ على الأخوين ، فأرادا أن يعرضا على حكومة أمتهما احتكاراً لمخترعهما ، وكانا يظنان أن الطائرة تصلح للاستكشاف زمن الحرب ، وقد تعزّز ظنهما هذا يوم أخذت حكومات الدول الأجنبية تخطب ودّهما ، ولاسيما الحكومة الفرنسية . فكتبا إلى وزير الحربية الأمريكية وعرضا عليه أن يكون للحكومة الحقّ الأول فى الهيمنة على مخترعهما .

وأغلب الرأى أن رجال وزارة الحربية عدّوا هذه الرسالة شيئاً ينبغى أن يحفظ فى « درج المخبولين » . وتلقى الأخوان رسالة عليها توقيع جنرال فى هيئة أركان الحرب ورد فيها : « إن مجلس المهمات يرى أن يرفض تخصيص مالٍ لتجربة أجهزة الطيران الميكانيكى » . والحق يقال إن الأخوين لم يطلبا ولا لمحّا إلى ضرورة تخصيص مال لتجاربهما . ثم تلقيا رسالة ثانية فى أواخر سنة ١٩٠٥ من مجلس المهمات جاء فيها : إن المجلس يأبى أن يصنع شيئاً « حتى تصنع آلة يثبت فعلاً أنها قادرة أن تطير طيراناً أفقيًّا وهى تحمل رجلا » . (كان الأخوان لا يزالان يطيران فى طائرة هذه صفتها منذ شهر ديسمبر ١٩٠٣).

وقرأ رجل من أسرة كابوت كلمة مؤداها أن الأخوين يفاوضان فرنسا فى استعمال « السفينة الهوائية » الغريبة التى صنعاها ، فكتب إليهما يسألهما لِمَ لا يعرضان مخترعهما على حكومة أمتهم ، فردّا بأنهما فعلا ذلك غير مرة . واطلع السناتور هنرى كابوت لودج على هذه الرسائل ، فأرسلها إلى وزير الحربية ، فأحالها على مجلس المهمات — فلم يفعل شيئاً .

وفى سنة ١٩٠٧ أرسل أحدهم إلى الرئيس ثيودور روزفلت مقالة عن الأخوين ، فكتب عليها الرئيس بخطه « يبحث » ، وأحالها على وزير الحربية المستر تافت ، فكتب تافت عليها « يبحث » وأحالها على مجلس المهمات . وكان بعض أعضاء المجلس قد تغيروا منذ سنة ١٩٠٥ ، ولكن المجلس ظلّ يساوره الريب فى هذا الأمر . وبعد بحث فاتر كتب المجلس إلى الأخوين يقول إن

الحكومة يقظة ولا تؤخذ بهذه الألاعيب .

وبعد أن انقضت أربع سنوات أو نحوها على الطيران الأول فى كيتى هوك ، أخذت وزارة الحربية تغير موقفها ، ولا سيما بعد أن توالت الأنباء من ملحقيها العسكريين بأن الحكومات الأوربية مهتمة بالطائرة ، فعقد اتفاق على أن تشترى الحكومة طائرة من طائرات رايت بمبلغ ٢٥ ألف ريال إذا ثبت أنها تستطيع أن تحمل رجلاً عدا قائدها وأن تطير بهما مدة ساعة ، وأن تكون سرعتها ٤٠ ميلا فى الساعة ، وأن تحمل من الوقود ما يكفى للطيران مسافة ١٢٥ ميلاً . وتم الاتفاق على إجراء التجربة فى سبتمبر سنة ١٩٠٨

كان الأخوان فى تجاربهما الأولى يركبان طائراتهما منبطحين على بطنهما . وكان الانبطاح على هـذا النحو ، ورفع الرأس حتى يستطيع المنبطح أن يرى ما أمامه ، والميـل بالجسم من جانب إلى جانب حتى تظلّ الطائرة محتفظة بتوازنها ، كفيلاً بأن يؤود أقوى الناس .

فأراد الأخوان أن يجرّبا جهازاً جديداً لتوجيه الطائرة ، فعادا إلى مسرح تجربتهما الأولى فى كيتى هوك . وذات يوم فى مايو ١٩٠٨ رؤيت طائرة رايت ماضية فى الجوّ ، وقد رآها مراسل صحفىٌّ اتفق وجوده هناك ، وكان اسمه سالى . فأبرق إلى طائفة من كبريات الصحف يسأل من منها يريد قصـة ما رأى ، فأرسل إليه محرّر الأنباء فى صحيفة « كليفلاند ليدر » برقية غريبة ، فإنه لم يكتف بقـوله إن الموضوع لا يهمه بل أضاف كلـة أعرب فيها عن غضبه أن يعرض عليه أحد من الناس عرضاً سخيفاً كهذا . وعدّ محرّر صحيفـة « نيويورك هيرالد » برقية المراسل شيئاً أدنى إلى الجنون ، ولـكن صاحب الصحيفة ، جيمس جوردن بنيت ، كان مهتماً بشئون الطيران ، فأمر باستقصاء هذه الرواية الغريبة . فبعثوا بأبرع مراسـلى الصحيفة ، بيرون نيوتن ، إلى كيتى هوك . فإذا كان الأخوان من المخادعين ، فليس ثمة قلمٌ ألذع من قلم نيوتن فى فضح خداعهما ، وغامرت الهيرالد فنشرت رسالة سالى الأولى ، فلم يكد محرّرو الصحف الأخرى يرون ما فعلته الهيرالد ، حتى قضوا بأن الأوان قد آن للوقوف على حقيقـة قصة الأخوين . وسرعان ما انضمّ إلى بيرون نيوتن فى كيتى هوك ، جماعةٌ من المراسلين والمصوّرين .

فلما رأى الصحفيون صحراء كيتى هوك القفرة ، ظنوا أن الأخوين يؤثران البعد عن عيون الناس . فعزموا أن يلوذوا هم أيضاً بالكتمان ، فكانوا يمضون بطعامهم

وشرابهم كلّ يوم، ويختبئون فى غابات الصنوبر على مقربة من قاعدة الأخوين، ثم يستطلعون بالمناظر المقرّبة ما يصنعان . فذهلوا عن أنفسهم ساعة رأوا رجلين من البشر يطيران، بل رأوا فى يوم ١٤ مايو ما لم تقع عليه عين بشر : طيران طائرة فيها رجلان .

وينبغى لنا أن نتذكر أن جمهور الناس كان لا يزال منكراً أن الطيران مستطاع ، مع أن الأخوين أقاما الدليل على إمكانه منذ أربع سنوات فى هذه البقعة نفسها — كيتى هوك . وأخيراً ظفر خبر الطيران بالعناوين الضخمة فى صدور الصحف معلنة ما صنعه الأخوان . وكتب بيرون نيوتن فى صحيفة الهيرالد : « ليس ثمة أدنى ريب فى ما صنعه هذان الرجلان فى آلتهما العجيبة » . ومع ذلك فلم تكن هذه المقالات كافية لإقناع كل إنسان ، وظلّت صحف كثيرة ممتنعة عن نشر الخبر . فلما أرسل نيوتن مقالا إلى إحدى المجلات يصف فيه ما رآه بعينيه فى كيتى هوك ، أعيد إليه المقال وقد كتب المحرّر عليه : « قرأنا مقالكم باهتمام ولكننا لا نستطيع أن نسلكه فى صف القصص المتخيّل ولا الحقيقة الواقعة » .

ولم يكفّ الناس عن الاسترابة فيما صنعه الأخوان حتى كانت التجربة العامة التى تمت فى سبتمبر ١٩٠٨ ، فيومئذ اتفق محرّرو الصحف ورجال العلم ، على أن الطيران بآلة أصبح حقيقة واقعة . ولكن الريب ظلّ يساور النفوس إلى اللحظة التى بدأ فيها الطيران . وقد قال أورفيل إنه أحسّ كأن الناس المحتشدين هناك ، وفيهم ضباط الجيش الذين تولوا الإشراف على التجربة ، لم يتوقعوا أن يروا الطائرة تطير .

وإذا ذكرت أن هذه التجربة كانت التجربة العامة الأولى لإحدى معجزات القرن العشرين، كان الذين احتشدوا ليروها جمهوراً صغيراً . ويقول ابن الرئيس ثيودور روزفلت إن أباه طلب منه أن يقدر عدد الناس فكان تقديره أنهم ألفٌ أو أقلّ .

ويقول الفتى روزفلت : « لما ارتفعت الطائرة عن الأرض ندّت عن القوم زفرة استغراب ، لم يكن مردّها إلى أن الطيران كان عجباً من العجب وحسب ، بل لأن الناس رأوا شيئاً لم يتوقعوه أيضاً . ولن أنسى ما كان لزفرة الجمهور من أثر فى نفسى ، فقد كانت زفرة دهشةٍ تامة » .

فلما حط أورفيل على الأرض بعد طيرانه، دُهش هو أيضاً . فقد عدا إليه ثلاثة من الصحفيين أو أربعة ، والدمع يترقرق فى عيونهم وينسكب على خدودهم ، فقد غلبتهم روعة رؤية شيء كان يعَدُّ مستحيلا .

حذار ! فقد تجد فى هـــذا المقال ما ينقض آراءك العزيزة عليك .

لماذا يستعصى عليك النوم ؟

لورنـــس لادر

مختصرة من « ذس ويك مجازين »

لعل الأستاذ ناثانيل أعرف بشئون النوم من كلّ إنسان سواه . وهو يرى أن أكثر الآراء الشائعة عن النوم ، باطل لاحقّ فيه . وقد دأب على دراسة أسرار النوم منذ خمسة وعشرين عاماً فى « معمل أبحاث النوم » بجامعـة شيكاغو ، فقاس التغير الذى يطرأ على النبض والتنفّس ، والخفقات الكهربائية فى المخ ، وحركات البدن ، فى ألوف من طلاب الجامعة قاموا مقام الأرانب الهندية فى هذه التجارب على النوّام . وإليك طائفة من أكثر هـذه الأوهام شيوعاً :

١ — ينبغى أن تنام ثمانى ساعات كل ليلة . باطل . فقد دلت التجارب المستفيضة على أنه لا يتساوى رجلان فى ما يحتاجان إليه من النوم ، فقـد يحتاج أحدهما إلى النوم تسع ساعات ، وقد يكون حسْبَ الآخر أن ينام خمس ساعات .

٢ — التقلب الكثير فى الفراش يعوق النوم العميق . وهمٌ . فقد دلت التجارب على أن الحركة تعين على النوم أكثر مما تعوقه . ويقول كلايتمان : « إذا أنت لم تتقلب بضع مرات فى أثناء الليـل ، فإنك تستيقظ فى الصباح متصلباً كأنك لوح من الخشب » .

٣ — إنك خليق أن تنام نوماً أحسن وأن يزداد مقدار ماتعمل ، إذا قسمت نوم ليلك قسمين . وثمة كثير من النـاس ، ولا سيما طلاب الجامعات ، ينامون من العاشرة مساء إلى الثانية صباحاً ، ثم يذاكرون ثلاث ساعات ، ويعودون إلى النـوم من الخامسة إلى الثامنة . بيد أن كلايتمان تبين أن الذين تعودوا النـوم فى الليل ، تهبط قدرتهم على العمل إلى أدنى حدٍّ بين منتصف الليل والفجر ، فإذا جعلوا نومهم على فترتين كان ما يعملونه أقل منه لو ناموا الليل كله واستيقظوا فى الصباح الباكر .

٤ — ينبغى أن تعوّض نفسك ماتضيعه

من ساعات النـوم . تلك خرافة أخرى . فقد دلت تجارب كلايتمان على أن المرء إذا ظلّ مستيقظاً أربعة أيام أو خمسة أيام ثم نام ، فإنه لاينام قط أكثر من عشر ساعات إلى إحدى عشرة ساعة ، فتكون حسبه لكى يستعيض بها عن ساعات النوم الثلاثين أو الأربعين التى فاتته .

٥ — لا تنم وأنت راقـد على جنبك الأيسر . فهذه نصيحة تسديها الأمهات إلى أبنائهنّ ، وفى ظنهنّ أن النوم على الجنب الأيسر يضرُّ بالقلب . هذا لغوٌ . وما دمت تغير وضـعك فى الفراش عشر مرات على الأقل فى أثناء الليل ، فسواء نومك على هذا الجنب أو ذاك ساعة يغلبك النعاس .

٦ — لا تأكل ولا تشرب قبل أن تأوى إلى فراشك . هـذا الوهم أعمق الأوهام رسوخاً ، ولكن التجارب التى أجريت فى « معمل أبحاث النوم » على ناسٍ أكلوا ألواناً من الطعام كالشطائر أو اللبن البارد أو الساخن ، أثبتت أنها لا تؤثر أثراً ما فى النوم . أما القهوة فكثيرون من الناس يشربونها وينامون بسلام ، ولكنها تنبـه غيرهم فتؤرّقهم . وثمة طائفة ثالثة يظنون القهوة منبهة لطول ما تردد هـذا القول على أسماعهم ، فيتأثر نومهم بهذا الظن .

وأكثر الناس يروض نفسه على دورة رتيبة منتظمة من النوم واليقظة ، وخـير مـيزان لها هو حرارة الجسم التى تكون منخفضة فى الصباح ساعة نستيقظ ، ثم ترتفع إذا مابدأنا نفكر ونسعى . فإذا بدأ التعب يدب فى عضلاتنا، تأخذ الحرارة فى الانخفاض، فإذا دنا موعد النـوم عادت إلى الدرجة المنخفضة التى بدأنا بها يومنا .

فكيف تؤثر هذه الدورة فى نومنا كل ليلة ؟ تأمل فى هاتين الحالتين المألوفتين :

تعتزم فى أيام إجازتك أن تنـام إلى العاشرة من صـباح كل يوم ، ومع ذلك تظل تفيق من نومك فى السابعة كل صباح كما كنت تفعل أيام العمل ، فقد رسخت جذور هذه الدورة فى حياتك حتى تستيقظ وأنت فى غير حاجة إلى اليقظة .

أو قد تشاهد فلماً يمثل جريمة قتل ، فتعود إلى بيتك مهتاجاً متوتر الأعصاب ، فـترتفع حرارتك بدلا من أن تنخفض كعادتها فى هذه الساعة من الليل ، فإذا بك تقضى ساعات وأنت تتقلب مؤرَّقاً فى فراشك

وقد تؤثر هذه الدورة فى الصلة بين الزوج وزوجته . وإليك قصة زوجين درس كلايتمان حالتهما . فقد كان حتما على الزوج أن ينهض من فراشه مبكراً كل صباح ، أما زوجته فكانت تؤثر أن تبقى فى فراشها ساعة أخرى أو ساعتين . فأفضى ذلك إلى

اختلاف دورة أحدهما عن دورة صاحبه، حتى إذا عاد الزوج متعباً فى المساء، ألفى زوجته زاخرة النشاط تريد أن تتنزه أو تسهر، فإذا أصبح الصبح وأفاق الزوج مبكراً وجدها متعبة يعييها أن تبادله الحديث. فمتى اختلفت الدورتان هذا الاختلاف، كانت العاقبة شجاراً ونقاراً ربما قوّضا أركان الزواج. وقد قال أحد الباحثين فى «معمل أبحاث النوم»: «قد يكون مرد الطلاق إلى اختلاف الحرارة أكثر منه إلى اختلاف المزاج».

والرسائل تنهال على كلايتمان من ضحايا الأرق يسألونه فيها عن علاج شافٍ مضمون لهم جميعاً، فيرد: «هذا محال، فلكل امرىء علاج قد يفيده ولا يفيد سواه.

«فإذا كانت الرياضة تعينك على دفع الأرق، فاعمد إلى الرياضة. وإذا كانت الموسيقى تعينك على ذلك، فاستعن بها. وإذا كان الحمّام الفاتر يساعدك على أن تسترخى، فاستحم. وإذا كان ترديد شىء واحد على لسانك أيّاً كان ذلك الشىء ينيلك ما تريد، فافعل، سواء كان ذلك الشىء أسماء العواصم الكبرى، أو تلاوة شىء من الشعر أو من الكتب المقدسة.

« ولكن، حذار من العقاقير المنومة، فإنها خطرها داهم، ولا تزيل أسباب الأرق» هكذا يقول كلايتمان.

وهو يقترح على ضوء ما انتهى إليه من تجاربه خلال ربع قرن ما يأتى:

١ — لاتغير ساعة نومك، فإن أكثر الناس ينالون نوماً أطيب إذا أووا إلى الفراش فى ساعة معيّنة كل ليلة.

٢ — حاول أن تسترخى قبل موعد الرقاد، فإن أكثر النوم المضطرب يعود إلى إجهاد العقل أو العاطفة.

٣ — نم وحدك. إن كلايتمان يدرك أن كبار الذين يستشارون فى شئون الزواج يشيرون بأن السرير الواحد الذى يضم الزوجين هو عماد الزواج الموفق، ولكن التجارب المستفيضة تدل على أن نومك وحدك خيرٌ وأولى.

٤ — إذا كنت تنام نوماً مضطرباً فحاول أن تأوى إلى فراشك قبل الموعد الذى ألفته بساعة، فقد دلت تجارب كلايتمان على أن التبكير إلى الفراش يطيل النوم ويجعله أنفع، وأن الذين يتأخرون عن موعد نومهم المألوف يسوء نومهم بوجه عام.

٥ — اختبر نفسك لترى أتحظى بقسط وافٍ من النوم؟ فإذا كنت تستيقظ قبل أن يدق منبّهك، فقد أصبت حصتك الوافية من النوم، ولكن إذا أحسست بتعب يلازمك ساعة يدق المنبّه، فقدم ميعاد نومك فى الليلة التالية.

فرنسا في أزمة

وليم س. بوليت
سفير الولايات المتحدة في فرنسا ١٩٣٦ - ١٩٤١

مختصرة من مجلة "لايف"

فرنسا التي شهدت انتصارات رائعة كثيرة، ومُنيت بهزائم فادحة، قد باتت اليوم مرة أخرى ميداناً لصراع مرير يرتبط بمصيره استقلالها وحرياتها وإيمانها القديم. نعم إن المدافع لم تشرع في قذف نيرانها بعد، ولكنَّ قوة ستالين الدولية، قد أخذت تحتشد كلها، خفية وبلا هوادة، لتسحق الديمقراطية في فرنسا، ولتقيم حكومة تكون صنيعة من صنائع الدكتاتور السوفيتي وتخضع لأمره.

وتدور معركة فرنسا هذه في أرض نهكتها الحرب. فالفرنسيون قد أدركهم ضنىً فظيع بعد سبع سنوات عانوا فيها الحرب والنهب والفاقة يوماً بعد يوم. ودم الحياة الذي كان يجري غزيراً في جسم باريس، أصبح بطيء الدوران. أما النساء فيقفن ساعات ينتظرن دورهن للظفر برغيف، واللحم لم يزل عزيز المنال منذ أشهر، إلا في السوق السوداء حيث يباع بأسعار لا يطيقها إلا أغنى الأغنياء، بيد أنك لا تجد شغباً في باريس، ويقول الناس: «إن دوام هذه الحال من المحال» ولكنها تدوم.

فكيف صارت فرنسا إلى هذا؟ أين الهمة التي شيدت المعابد وقصور اللوفر وفرساي، بل باريس نفسها؟ لقد استنفدت الحرب العالمية الأولى كثيراً منها، فقد خسرت فرنسا لكي تنال الظفر في تلك الحرب ١٦١٠٠٠ر٦ من شعب تعداده أربعون مليوناً، أما خسارة الإمبراطورية البريطانية كلها فقد بلغت ٠٠٠ر١٩٠ر٣، وأما خسارة أمريكا، فكانت ٠٠٠ر٣٥٠.

أما الحرب العالمية الثانية فقد استنفدت همم الفرنسيين استنفاداً أفظع. فقد عمد هتلر في سنة ١٩٤٠، بعد أن اكتسح الجيش الفرنسي، إلى خطة منظمة للهبوط بفرنسا إلى مستوى دولة فقيرة ضعيفة لا يرجى لها أبداً أن تقاوم إرادة ألمانيا. فقوض الألمان بقلة التغذية المنظمة صحة الفرنسيين وقوتهم، رجالا ونساء وأطفالا، وقد دام ذلك أربع سنوات. وأخذ الألمان كل شيء يريدونه مما يملكه الفرنسيون أو يستطيعون أن ينتجوه — الأثاث، والثياب، وأدوات المطابخ ومعدات الزراعة، والماشية، بل المواد

الطبية ولوازم طب الأسنان والصابون .

فلما نزلت جيوش الحلفاء فى فرنسا نزلت أرضاً أطفالها هزال ضـــعاف ، ورجالها ونساؤها مصابون بالسل ، وكلهم جائع رث الثياب يعسر عليه أن يستحم. وكان الجندى من جيوش الحلفاء لا يدرى حين يلقى فتاة فرنسية لم تستحم ، أن الصابون الذى تحتاج إليه قد نقل إلى ألمانيا، ولا كان يدرى حين يرى فتاة تستجدى الحلوى أنها إنما تفعل لأنها لم تزل جائعة منذ أربع سنوات . فيوم فرغ الألمان من فرنسا كانت بلداً لا يملأ العين .

دخل الجنرال ديجول فرنسا التى نهكتها الحرب ، فحياه الشعب تحية المنقذ — منقذ الماضى من الهلاك ، ومنقذ رجاء المستقبل . وأولاه الفرنسيون ثقتهم فى توحيد الأمة حتى تنهض بمهمة التعمير الجسيمة ، وكان هو أيضاً رجلا ملؤه الثقة واليقين . وكان يعلم أن الشيوعيين يشعرون بأنهم يستطيعون أن يقضوا عليه ، ولكنه كان يظن أنه أقوى منهم . وقد كان أقوى منهم فى مبدأ الأمر .

وقد فعل الحزب الشيوعى الفرنسى ، ما ألفت أن تفعله الأحزاب الشيوعية فى سائر الأمم . فتلقى الأوامر من موسكو ، وعدل خطته حتى تلائم مقتضيات السياسة السوفيتية الخارجية . فيوم سلمت الحكومة الفرنسية لهتلر، وكان يومئذ حليف ستالين، أهان الشيوعيون ديجول ونددوا بيريطانيا وأمريكا وكل من قاوم النازيين من رجال وأمم . ولكن هتلر هاجم روسيا فى يونيو ١٩٤١ ، فيومئذ جعل الشيوعيون يثنون على ديجول ، ويحيـــون « الديمقراطيات العظيمة النبيلة » ، أى بريطانيا وأمريكا اللتين وسموهما من قبل بوصف « الدول الاستعمارية التى تسيطر عليها شركات لا ترحم » .

بدأت حركة المقاومة الفرنسية فى ١٨ يونيو ١٩٤٠ يوم أذاع ديجول من لندن أن فرنسا قد خسرت معركة ولكنها لم تخسر الحرب ، وأهاب بجميع الوطنيين الفرنسيين أن يقاوموا النازيين . فبعد أن هجم هتلر على روسيا ، ضمت قوة الحزب الشيوعى الخفية بأسرها إلى حركة المقاومة الفرنسية ، فكان الشيوعيون يضحون بحياتهم شجعاناً ، ورضى ديجول بأن ينضم ممثلو الشيوعيين إلى جماعته فى لندن، ثم عينهم فى حكومته المؤقتة التى ألفت فى الجزائر .

وقد فتك النازيون فى فرنسا بجميع الذين وقعوا فى أيديهم من رجال المقاومة الفرنسية، ولكنهم خصوا الشيوعيين بمطاردة لا تفتر، وسرعان ما صار الشيوعيون من أبطال الوطنية فى فرنسا .

فلما بدأ الجيش الألمانى يتقهقر ، وجه الشيوعيون الفرنسيون عناية خاصة إلى

« تحرير » المصارف ، فاستطاعوا أن يستولوا على ملايين كثيرة من الفرنكات، فصار الحزب الشيوعى بعد ذلك الحزب الوحيد فى فرنسا الذى يملك مبالغ طائلة من المال . وفضلا عن ذلك فقد قبضوا على أعيان الصناعة الأغنياء الذين كانت مصانعهم تعمل فى ظل الاحتلال الألمانى ، وهددوهم بالموت إن لم يسخوا فى تبرعهم للحرب . وأقصوا غير الشيوعيين عن المجالس البلدية، وأحلوا الشيوعيين محلهم حيث استطاعوا أن يفعلوا. بل تمكنوا من أن يعينوا أحد مجاهديهم القادرين، مارسيل بول ، وزيراً للإنتاج الصناعى . وكانت وزارته هى التى تصدر التراخيص لشراء خامات الصناعة ، فسرعان ما تبين رجال الصناعة أنهم لا يستطيعون أن ينالوا الخامات اللازمة لمصانعهم إن لم يتبرعوا بالمال للحزب الشيوعى.

وأخطر من ذلك تسرب الشيوعيين إلى اتحاد العمل العام، وهو الاتحاد الكبير الذى يضم نقابات العمال الفرنسيين فى البلاد، وقد أحسن الشيوعيون مناورتهم فى داخل الاتحاد فانتزعوا من غير الشيوعيين أكثر مناصب القيادة . وترى اليوم بنوا فراشون، السكرتير العام الثانى للاتحاد هو الحاكم المطلق فى الاتحاد الكبير . فلذلك تجد الحزب الشيوعى قادراً متى شاء أن يدعو إلى الإضراب،فيشل حياة فرنسا الاقتصادية، ويستنفد آخر ما ادخرته البلاد من احتياطى مالى واقتصادى ، ويعجز كل حكومة غير شيوعية أن تتولى مهمتها .

وقد يكون فى الوسع أن تستأصل جذور السلطان الشيوعى من اتحاد العمل العام على كر الأيام . فخمس الأعضاء على الأقل من الاشتراكيين وهم متنكرون لسلطان الشيوعيين . وهناك خمس آخر أو نحو الخمس ، مؤلف من أعضاء النقابات القديمة، وهؤلاء يرون أن مهمة زعمائهم هى أن يحسنوا أحوال العمال ، لا أن يخدموا أغراض السياسة السوفيتية الخارجية .

وفى فرنسا اتحاد آخر للعمال منتشر فى أرجاء البلاد يسمونه الاتحاد الفرنسى للعمال المسيحيين،وهو مناهض للشيوعية ولا ريب. وتدل الانتخابات التى تمت منذ عهد قريب لمجالس الأمن الاجتماعى على أن عطف العمال أخذ يتحول عن اتحاد العمل العام إلى الاتحاد الفرنسى للعمال المسيحيين. وإذن فثمة وسائل لإرخاء قبضة الشيوعيين على العمال إرخاء متدرجاً . وليس ثمة مهمة أعظم من هذه ولا أجل شأناً لمستقبل فرنسا .

فلما تغلغل السلطان الشيوعى تغلغلا كافياً فى جسم فرنسا المنهوك، بدأ الزعماء الشيوعيون يعرقلون أعمال ديجول ويناهضونه حتى

نفد صبره فاستقال فى يناير ١٩٤٦ ، فربح الشيوعيون الجولة الأولى فى هذا الصراع . وقد خرجوا من انتخابات نوفمبر ١٩٤٦ وهم أقوى حزب فى فرنسا، فلهم ١٦٩ عضواً فى مجلس عدد أعضائه ٦١٨ ، وقد زاد عـدد نوابهم حتى صار ١٩٧ بتأييد ثلاثة من الأحزاب المنتمية إليهم . وترى فى صف المعارضة لهم حزب الحركة الجمهورية الشعبية، وعدد نوابه ١٦٧ . ويؤيد هـذا الحزب تأييداً قوياً جماعات النقابات المسيحية وغلاة المحافظين من الكاثوليك ، وأقدر زعمائه هو جورج بيدو وزير الخارجية ، وبيير هنرى تيتجن نائب رئيس الوزارة . أما الاشتراكيون فهم ثالث الأحزاب وعدد نوابهم ١٠٥ ، ويؤيدون رئيس الوزارة بول رامادييه الذى يؤيده أيضاً زعيم الحزب ليون بلوم تأييداً قوياً .

وأنت تجد اليوم أن ديجول وليون بلوم هما الفرنسيان الوحيدان اللذان يستمتعان باحترام جميع الفرنسيين تقريباً ، وقد تجد من يكرههما ، ولكنك لا تكاد تجد من لا يحترمهما. وقد بلغ بلوم الخامسة والسبعين، ولا يزال ذهنه متوقداً كما كان ، ولكنه صار بعد سنوات الأسر فى عهد الاحتلال الألمانى، أضعف من أن يقوم بأعباء رئاسة الوزارة مدة أطول من بضعة أسابيع متوالية .

أما راما دييه فذهنه من الطبقة الأولى صفاء ودربة ، ولكنه دون ذهن بلوم توقداً، وهو رجل كريم الخلق نقى الصفحة متين الأسر، يستطيع أن يعمل ١٦ ساعة كل يوم دون أن ينهكه العمل . وقد ظفر بقدر عظيم من التقدير ، ولعله الرجل الذى أعدته العناية ليعيد الاستقرار إلى مالية فرنسا وحياتها الاقتصادية — وهى المهمة التى اضطلع بها بوانكاريه فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

وللشيوعيين ممثل دائم واحد على الأقل فى كل مدينة وقرية كبيرة فى أرجاء فرنسا ، وكل ممثل مزود بمبالغ طائلة من المال ، ولا يكف عن السعى ليل نهار لمصلحة حزبه . ويدأب الشيوعيون على أن يطابقوا بين نهج دعايتهم وطبيعة الجماعة التى تذاع فيها . ففى « الضواحى الحمراء » حول باريس تراهم يدعون إلى العداء بين الطبقات، وفى الريف الكاثوليكى النزعة تراهم يحضون الناس على التصويت للشيوعيين بقولهم : « إذا كنت تؤمن بالدين والأسرة والملكية الخاصة ، وتقسيم الأملاك الكبيرة فصوت للشيوعيين »

ويصيب الشيوعيين نجاحاً فى هذا النفاق، لأنك لا تجد فى فرنسا اليوم صحافة تعرض على الفرنسيين الحقيقة عن بلادهم وعن سائر العالم . ومعظم الصحف صحف رأى فلا تنشر سوى الأنباء التى تؤيد آراءها السياسية .

وليس ثمة سوى طريق واحد يهدى الفرنسى إلى حقيقة مايتم ، وهو أن يقرأ طبعة باريس من صحيفة نيويورك هيرالد تريبون ، فلو أصدرت هـذه الصحيفة طبعة فرنسية ، لصارت أوسع الصحف انتشاراً فى زمن قصير ، ذلك بأن الفرنسيين يتلهفون على معرفة الحقائق تلهفهم على اللحم والخبز ، أما الرواج العجيب الذى ظفرت به الصحيفة الشيوعية الأسبوعية التى تنشر للفلاحين بعنوان « الأرض » فمردُّه إلى أنها تنشر حقائق دقيقة نافعة للفلاح ، لا إلى ما ينشر فى ثناياها من الدعاية . وقد كسبت صحيفة « الأرض » أصواتاً كثيرة للشيوعيين ، بلغت فى بعض الدوائر ٢٥ فى المئة .

وإذا استثنيت طبقة الفلاحين التى ارتفع مستوى معيشتها بعد تحرير فرنسا بفضل ماتبيعه فى السوق السوداء ، فإنك تجد أن سائر الجماعات قد غدت أسوأ حالا مما كانت قبل الحرب . فالعمال قلقون سراعٌ إلى الغضب ويميلون إلى الإضراب ليظفروا برفع أجورهم . فلما رفعت الأجور ٢٥ فى المئة فى يوليو ١٩٤٦ ، أفضى ذلك إلى ارتفاع مستوى الأسعار خمسين فى المئة ، فكانوا بعد رفع أجورهم أسوأ حالا .

والشيوعيون دون غيرهم ينافقون حين يعدون الفلاحين برفع الأسعار ، والعمال برفع الأجور وخفض نفقات المعيشة بوجه عام . أما رامادييه رئيس الوزارة ، وهو اشتراكى معتدل، فقد وقف موقف الشجاع فصرح أن الأجور لايمكن أن ترتفع ، وأن مستوى الأسعار ينبغى أن يخفض . فإذا وفق فى خفض الأسعار والاحتفاظ بسعر الفرنك فى مستواه الراهن ، فلفرنسا أن تأمل الظفر بانتعاش صحيح بعد سنتين أو ثلاث تعانى فيها محناً أليمة . أما إذا أطلق الشيوعيون سلسلة من أعمال الإضراب لإبطاء العمل،أو إذا دعوا إلى إضراب عام، فانتعاش فرنسا سوف يتأخر زمناً طويلا . وقد تكون نتيجة ذلك مأساة محزنة .

فإذا وقع النزاع وصار الاعتماد فى حسمه على القوة ، فالشيوعيون يستطيعون أن يعتمدوا على مالهم من هيمنة على اتحاد العمل العام ، ثم على جيشهم السرى الذى يكاد يبلغ ١٥٠٫٠٠٠ رجل أحسن تنظيمهم وتسليحهم . وهم متأهبون للاستيلاء على دور الصنعة ومخازن الذخيرة والمطارات . وربما كان ٤٠ ألفاً من الجيش الشيوعى السرى مرابطين فى منطقة باريس . فإذا ساروا على طليعة قوة تزحف من الضواحى على باريس ، فمنذا الذى يستطيع أن يقف فى وجههم؟ فقد كانت قوة الشرطة فى باريس قبل الحرب هيئة ذات كفاية

وقدرة ،وكانت أيضاً بمنجاة من السياسة ، أما اليوم فيكاد يكون ربعهامن الشيوعيين، وربما كان ربع آخر من الذين يعطفون على الشيوعيين . ويبلغ عدد أعداء الشيوعيين فيها ١٥ فى المئة ، وأما البقية فليس لوجالها عقيدة سياسة خاصة . وإذن فليس فى الوسع أن تعتمد على شرطة باريس فى حفظ النظام.

وقد حاول الشيوعيون أن يتسربوا إلى الجيش فلم يوفقوا ، بيد أن الجيش لا يزيد الآن على ٣٥٠ ألفاً منهم نحو ١١٥ ألفاً يقاتلون فى الهند الصينية ، وبعضه مرابط فى مدغشقر وتونس والجزائر ومراكش ومنطقة الاحتلال الفرنسية فى ألمانيا ، فلا تجد من الجيش فى فرنسا نفسها سوى ٧٠ ألفاً .

وقد لا ينشب نزاع صريح بين الحكومة والشيوعيين، فإذا نشب، فإن قرار نشوبه يوضع فى موسكو لا فى باريس ، ذلك بأن الفرنسيين لا يحبون أن يعودوا إلى القتال ، بل ينشدون السكينة والسلام ليعمروا بلادهم ويبنوا حياتهم بناء جديداً . وكل فريق يبادر إلى بدء النزاع ، يلقى نفسه عرضة لسخط الأمة ، فيكون ذلك حاسماً . والشيوعيون يدركون هذه الحقيقة ، فهم لا يجرؤون اليوم على بدء النزاع ، ولكنهم يخضعون لأوامر موسكو إذا جاءتهم .

وقد تأتيهم هذه الأوامر إذا تفاقم نقص الخبز فى فرنسا واستفحل ، فإذا أعوز فرنسا الخبز ، جاشت نفسها بالثورة ، ويومئذ قد يضرب الشيوعيون ضربتهم حتى يقبضوا على زمام السلطان . وعلى كل حال سوف يحاولون أن يحولوا دون توفيق حكومة راماديية فى تنفيذ خطة المحافظة على الأجور وخفض الأسعار وموازنة الميزانية وتثبيت الفرنك. فإذا أصاب الصقيع محصول القمح الشتوى وقضى على فرنسا أن تنفق ٢٠٠ مليون ريال لتشترى قمحاً من أمريكا، وإذا استمر نقص الفحم الذى يمنع المصانع من العمل كل الوقت ، ويستلزم مبالغ طائلة من المال لشراء الفحم من أمريكا إلى أن تزداد حصة فرنسا من فحم الرور ، أو تعطى كل إنتاج الفحم فى منطقة السار، إذا حدث ذلك كانت موازنة الميزانية وتثبيت الفرنك مستحيلة على أية حكومة فرنسية إن لم تنل عوناً من الخارج . ولا يمكن أن يجيئها هذا العون إلا من أمريكا .

فما مبلغ ما تحتاج إليه فرنسا من الريالات؟ يقول المتفائلون إنه ٥٠٠ مليون ريال كل سنة مدة ثلاث سنوات . ويقول المتشائمون ألفى مليون ريال كل سنة مدة ثلاث سنوات، فإذا لم تنل هذا العون ساءت الأحوال الاقتصادية والمالية فى فرنسا سوءاً مطرداً .

وفى فوضى التضخم النقدى والانهيار الاقتصادى يصير الشيوعيون أدنى إلى الظفر بالسلطان على البلاد وتحويلها إلى مثل مقام بولندة فى دول الأتباع التى أقامها ستالين من حوله . وقيام حكومة شيوعية فى فرنسا مؤداه سيطرة ستالين على الإمبراطورية الفرنسية كلها : شمال إفريقيه بأسره ، والسنغال بمينائه العظيم ، دكار القائمة قبالة البرازيل ؛ ومدغشقر ، والهند الصينية ، وجزائر مارتينيك وجوادالوب ومستعمرة غينية الفرنسية بقرب قناة بنما . ويضاف إلى ذلك أنه لاتكاد تنقضى بضعة أسابيع على قيام حكومة شيوعية فى باريس حتى تقع بلجيكا وإيطاليا فى أيدى الشيوعيين ، ويتبعها سائر أوربة الغربية على الأثر ، حتى تصير منطقة الاحتلال الأمريكية فى ألمانيا كالجزيرة الصغيرة فى إمبراطورية شيوعية تمتدُّ من المحيط الأطلسى إلى المحيط الهادى .

فوزارة راماديه ، أو أى تعديل لها يجعل على رأسها رجلا آخر إلى حين — مثل بلوم — هى خط الدفاع الأول ضد السيطرة الشيوعية على فرنسا . أما خط الدفاع الثانى والأخير ، فهو ديجول .

القوت ، والفحم والآلات ، والصداقة ، والمناورة السياسية — جميعها ليست كافية فى معركة فرنسا الدائرة الآن . فالإنسان يعيش فى أعمق أعماق كيانه على الأمل والرجاء ، والإيمان والرجاء ضعيفان فى فرنسا اليوم . فثمة عشرات الألوف من الشباب الفرنسى الديمقراطى يرغبون فى الهجرة إلى أمريكا الشمالية والجنوبية . فلِمَ يرغبون فى ذلك ؟ لأنهم فقدوا إيمانهم فى إمكان قيام الحضارة الأوربية من عثرتها ، ولأنهم يرون فى الأفق البعيد ، المارد السوفيتى بعجلاته الساحقة .

فأوروبة بين اثنتين : فإذا عجزت شعوبها الحرة عن الانضواء فى اتحاد ديمقراطى ، فأوربة كلها سوف تتحد على الزمن تحت الطغيان السوفيتى. فينبغى لجميع الحكومات الديمقراطية فى هذه اللحظة أن تسعى مع الحكومة الفرنسية لتدبير الوسائل لإنشاء الولايات المتحدة الأوربية ، وأن يكون باب الاتحاد مفتوحاً لتنضم إليه جميع الدول التى لها دساتير ديمقراطية ، وتراعى فى أممها حقوق الإنسان ، ولاتستثنى الولايات الألمانية من ذلك . فتحت هذه الراية يستطيع الفرنسى الديمقراطى أن يعاود السير يحدوه الإيمان والأمل ، وأن يكسب المعركة المريرة الدائرة فى فرنسا اليوم .



اختبار إجبارى للزهرى قبل الزواج

هذه صفوة ما كتبه باحث مدقق فى موضوع اجتماعى خطير ، بعد أن استعان بآراء السلطات الصحية فى ولايات مختلفة .

يقول أنصار الفحص الإجبارىّ للزهرىّ قبل الزواج :

« ليس بين مآسى البشرية مأساة أشدُّ ظلماً أو تدميراً للعواطف من مأساة زوجين يتبينان بعد فوات الأوان ، أن الزهرىّ قد بسط على حياتهما ظلّهُ البشع .

« وقد يكون « الأوان قد فات » يوم يتبيّن الزوج الشاب أنه قد نقل عدوى المرض إلى زوجته وهو يجهل علته ، فيسلبها ذلك نعمة الحياة الزوجية الطيبة مدة سنة أو أكثر يستغرقها العلاج . أو لعلّ الزهرىّ ، وهو داء لئيم ختّال ، يكمن فى الجسم فلا يعلن عن نفسه إلا بعد أعوام . وقد لا يدرك الزوجان شيئاً عن مرضهما حتى يرزقا بطفل فيولد ميتاً أو مشوّهاً ، بل ربما امتدّ جهلهما بالمرض زمناً أطول حتى يجىء يوم يفجأ فيه هذا الولد بالعمى أو بالجنون .

« ولن تجد ما يسوّغ هذه الفظائع بمجرّد إلقاء التبعة على آثام الآباء ، فمثل هذا الاتهام تجنٍّ آثم ظالم ، لأن الزهرىّ لا يصيب المرء عن طريق الإثم وحده ، ولكنه قد يصيبه ولم يرتكب إثماً ولا موبقة .

« فلذلك تهدف قوانين فحص الأزواج قبل الزواج ، إلى محو كلمة « بعد فوات الأوان » من قاموس الحياة الزوجية . فإذا ماحتم على طلاب الزواج أن يثبتوا أنهم خلوٌ من الزهرى ، فقد خطا المجتمع البشرىُّ خطوة كبيرة نحو حمايتهم وحماية نفسه من هذه الكوارث .

« وقد زرت الولايات التى سُنّ فيها هذا القانون ونفّذ ، فتبينت أن أكثر المقبلين على الزواج من الجنسين يرضون عن هذا الإجراء ، متى أدركوا الغرض منه . أما القلة الضئيلة التى لا ترضى عنه ، فهى فى الأغلب من طائفة الجهلة أو طائفة المجرمين ، وكلتا الطائفتين أعسر الطوائف مقادةً ، ولن تجد غير القانون رادعاً لها عن غيّها .

« وولاية وسكنسن راضية أعظم الرضى عن تجربة هذه القوانين ، فلذلك سَنّت قانوناً يفسخ بمقتضاه الزواج الذى عقد خارج الولاية ، مالم يقم الزوجان بجميع الشروط التى ينصُّ عليها قانون مكافحة الأمراض السرّية فيها .

« ولما نفذ قانون ولاية إلينوى فى شهر يوليه سنة ١٩٣٧ حذّرت صحف شيكاغو جميع القبلين على الزواج من تخطى حدود الولاية لعقد زواجهم فى إحدى الولايات المتاخمة لها . ومن الجلى أن هذه الصحف كانت تعبِّر فى هذا التحذير عن ارتياح سواد أهل الولاية إلى هذا القانون .

« يعقد فى الولايات المتحدة نحو مليون زواج كل عام ، فلو حتمت كلُّ ولاية منها الفحص الإجبارى للزهرى قبل الزواج ، لأفضى ذلك إلى فحص مليونى رجل وامرأة كل سنة ، وأكثر هؤلاء ممن لم يتح لهم هذا الفحص من قبل ، وهم يفحصون فى وقت أشد ما يكونون فيه رغبة فى مداومة العلاج حتى يبرأوا .

« ثم إن معظم هؤلاء ذكور وإناث فى سن الشباب ، وهم آباء الجيل المقبل . ولا مراء فى أن فحص مليونين كل عام ، وعلاج من يحتاج منهم إلى علاج ، يؤديان إلى خفض معدل الزهرى خفضاً بيِّنا . ويوم يقرر الرجل أن يربط مصيره بغيره من الناس — زوجته وأولاده من بعد — يحسن بالقانون أن يقول له : « مكانك أيها الرجل فلست وحدك فى زواجك ، فهلم نرى إن كنت رجلا يصلح للزواج » .

« ولا يعقل أن يقاوم هذا الإجراء رجل من أهل الرأى السليم . بل هيهات أن يعارضه سوى المتزمِّت أو المريض .

« ولو لم يكن لهذا التشريع من أثر سوى إطلاع الناس على الحقيقة، لكان ذلك حسبه . ومصالح الصحة لا تفتأ تكافح فى سبيل الجهر بحقيقة الزهرى ، وتجريدها من أستار الحياء التى تختفى وراءها . فهنا مليونان من الناس ، كل اثنين منهم خليقان أن يكونا أبا وأما ، ولعل معظمهم لا يعرف عن الزهرى شيئا صحيحا وافيا ، فتراهم يتلقون الحقائق التالية إذا نفذ القانون :

« أن الإصابة بالزهرى ليست بالضرورة جريمة خلقية ، وأن كل امرىء كائنا من كان يمكن أن يُشتبه فى إصابته بالزهرى ، حتى يثبت أنه خلو منه .

« وأن الاختبارات التى أتاحها العلم لاستكشاف هذا المرض سهلة وفاصلة .

« وأن الزهرى مرض قابل للعلاج ويمكن البرء منه ، بل إن استئصاله ممكن

إلى حد كبير ، إذا أتيح للميونين من الناس كلَّ سنة أن يتلقوا المعارف الطبية الصحيحة فى مثل هذه الأحوال الملائمة .

« نعم إن الفحص الإجبارى قبل الزواج قد يفضى إلى فسخ الخطبة أحيانا ، لأنه يحتم تأجيل الزواج ، ولكن أيعد هـذا الاعتراض اعتراضاً وجيهاً ؟

« وقد وجدت ولاية إلينوى أن عدد الذين يعترضون على الفحص قبل الزواج هم قلة نادرة ، فأكثر الناس هم إلى العقل والحكمة أدنى ، وفى وسعك أن تقنع من تشاء فى دقيقتين، أن مثل هذه القوانين لا تحُد من حرية الفرد ، أكثر مما يفعل عزل مصاب بالجدرى » .

ويقول خصوم هذا القانون :

« نحن أعداء للزهرى كل الأعداء . ومن ذا الذى ليس عدواً له ؟ ونحن جميعاً نوافق كل الموافقـة على الدعوة إلى تعليم الناس كيف يحارب الزهرىُّ علناً ، ولكن إعلان هذه الحرب يفضى دائماً إلى الخطأ فى القيام بعمل يستوقف الأنظار ، مهما كان ذلك العمل بعيداً عن الصواب والنفع . ومهما يكن من حسن نية الذين يدعون إلى سن هذه القوانين ، فإنها ولا محالة من القوانين التى يصدق عليها هذا الحكم العام .

« والإجبار ضرر لاريب فيه إذا أريد به أن يكون بديلا من التعليم الواقى ، وهو فى كفاح الزهرى شىء لاجدوى منه .

« إن السل وهو مرض أعصى من الزهرى ، من الناحية الطبية المحض ، صائر إلى الزوال ، بالتعليم والعلاج الاختيارى ، دون اللجوء إلى العسف والإجبار .

« والسويد التى كادت تقضى على الزهرى وسبقت فى ذلك كل بلد آخر ، لم يعن أهلها أقل عناية بسن قوانين للفحص قبل الزواج، فمن الواضح أن مثل هـذا القانون ليس بالوسيلة التى لا غنى عنها للنجاح فى الجهاد الموفق لاستئصال الزهرى .

« إن السـويد تعمل ما ينبغى عمله وما يمكن عمله فى كل بلد ، فقـد وضعت نظاماً يتسع شيئاً فشيئاً حتى يبسط ظله على السكان جميعاً — أزواجاً وخطاباً وعزاباً . وركناه هما التعليم الشامل وتيسير العلاج لكل إنسان .

« إن فحص الدم لا يكشف الزهرىَّ فى بواكيره ، حين تكون عدوى المرض أشد ما يكون .

« وقوانين الفحص الإجبـارى قبل الزواج ، هى كجميع القوانين ، خليقة أن تكون قائمة على شىء كثير من التعسُّف والجمـود . فهى تفرض ، وتلقى فى روع

الناس ، أن اختبارات الزهرى (فاسرمان وكان وكلاين) تخرج من الفحص بحكم يصحُّ الاعتماد عليه فى أمر الرجل (أو المرأة) وهل هو صالحٌ أو غير صالح للزواج . ولما كانت هذه الاختبارات لا تصنع شيئاً من هذا ، فإن القانون القائم عليها ينجلى عن ظلم شديد . فكثير من الناس يدلُّ اختبارهم على أنهم مصابون حقًّا بالزهرى ، ومع ذلك فنحن نجد إذا قصرنا النظر على قدرتهم على نقل عدوى المرض إلى زوجاتهم ، أن لهم الحق كل الحق أن يتزوجوا . فقد يعالج المصاب وتزول قدرته على أن يعدى غيره ، ومع ذلك يظل الاختبار يدل على أنه مريض . ولذلك يقول الخبراء إن نصف الذين يدل الاختبار على أنهم مصابون ، ليس بهم ما يحول دون زواجهم ، لأنهم لا يعدون غيرهم .

« وأيًّا كان الأمر ، فإن الحكم فى هذه المسألة لا ينبغى أن يصدره إلا طبيب واسع التجربة متخصص فى الزهرى . والقانون الذى يتخذ من هذه الاختبارات العملية دليلا حاسماً فى حالة المرض ، ليس فيه متسع لرأى الخبراء .

« وقد تركت ولاية كونتيكت للطبيب الخاص أن يحكم هل يستطيع المريض أن يتزوج أو لا ، بعد أن يدرس نتيجة الفحص ويحقق دلالتها . ولكن متى منح القانون مثل هذه السلطة الواسعة للأطباء تحاشياً للظلم الذى قد يقع على الناس ، كثرت المغريات التى تغرى الأطباء بإصدار ما يشهد لزبائنهم بالسلامة من المرض .

« وبعض أطباء الصحة من أهل التجربة يعد هذه القوانين إتلافاً للمال ، ويقولون إن الجمهور خليق أن ينال بالمال نفسه نفعاً أكبر فى توقى الزهرى ، لو أنفق المال بأسلوب أجدى وأنفع .

« وعماد الحجة التى يسوقها الدعاة إلى سن هذا القانون ، هو أنه يحول دون تكرُّر تلك المآسى الفظيعة — مآسى ولادة أطفال وهم مصابون بالزهرى . فإذا كانت حماية الأطفال قبل ولادتهم هى هدف القانون ، فما أبعده عن إصابة المرمى . إن الزوجة التى تكون خلواً من الزهرى قبل زواجها . قد تصاب به من زوجها بعد الزواج ، أو من تقبيل قريب لها مصاب بالزهرى فى دور من أدواره المعدية . فالفحص قبل الزواج لا يضمن لها أن تبقى خلواً من المرض ، ولكنه يلقى فى روعها أنها خلو منه . وهذا ضرر لا ريب فيه .

« فلكى نحمى الواليد من الزهرى يقتضينا المنطق أن نجعل الفحص بعد بدء الحمل ، لأنه إذا عولجت المصابة علاجاً وافياً

قبل الشهر الخامس من الحمل استطاعت أن تلد وليداً غير مصاب بالزهرى فى تسع حالات من عشر حالات .

« ومراكز رعاية الأمومة التى تساير تقدم علوم الطب تفحص دم جميع الحوامل، فلو فعل الأطباء والقوابل ما تفعل ، ولو فرض على المكاتب التى تصدر رخص الزواج أن تبين لكل عروس بكلام بسيط واضح أنه ينبغى لها أن تعرض نفسها على الطبيب للفحص قبل الشهر الخامس من حملها ، لما تبقى من مشكلة الوليد المصاب بالزهرى سوى شىء لا يذكر .

« فإذا قدَّرنا أن المرأة المصابة بالزهرى فى دوره الذى لا يعدى ، تستطيع أن تنجب مولوداً سليماً فى أكثر الأحوال ، فهل ثمة مسوِّغ يسوِّغ للمجتمع أن يحرم عليها الأمومة لأن الفحص العمليّ يدلُّ على وجود المرض فى بدنها ؟



موعد مع القدر

ظل الزوجان عشرين سنة بغير عقب ، فلما علم الزوج أن زوجته حامل ، كادا يطيران فرحاً . فلما تمت الولادة حزن الطبيب حزناً شديداً ساعة تبين أن ذراع الطفلة الوليد ليست ذراعاً سوية بل هى ذاوية لا يرجى منها خير . فتشدد وأنبأ الأب بالحقيقة ، وعرض أن يترفق فى إبلاغه للأم ، فقال الزوج : « لا ، دعنى أخبرها بنفسى » .

ودخل الزوج والطبيب على الأم ووضعا الطفلة إلى جانبها، فجعلت تعجب بلين بشرتها الناعمة البضة كورق الورد ، ومرت بأصابعها على شعرها الناعم كزغب الطير ، والتفتت إلى زوجها وقالت : « إنها طفلة تامة التكوين ، أليست كذلك ؟ »

ورأت فى نظرة زوجها شيئاً يريبها ، فرفعت القُمُط ورأت الذراع الذاوية ، وساد الغرفة سكون عجيب وإذا المرأة تلتفت إلى زوجها مرة أخرى وتقول كأنها تهمس همساً : «لقد تدارك الله برحمته هذه الطفلة فأرسلها إلينا لعله يبلغ حاجتنا إليها ، ويبلغ حاجتها إلينا » .

[إيفا فورنيه]

هذه أرض ترى ظلامها أبيض، وعواصفها ساكنة، ويرى فيها المرء دليلا بعد دليل على ضعفه وضآلته .

أرض العجائب

فى المنطقة المتجمّدة الجنوبيّة

توماس ر . هنري

مختصرة من مجلة "سترداي ايفننج بوست"



إذا بلغ الرّحالة بحر روس ، ذلك البحر الوحش فى أدنى كرة الأرض ، وجد العواصف ساكنة كأنها مواتٌ، والثلج متحركاً كأنه حىٌّ ، ووجد الجبال تسير، ورأى ألواناً غريبة موشّاة تتدلّى من السماء كأنها ستائر من وَشْى مرقوم ، ويخامر قلبه أنه قد نزل فى مدينة مهجورة فى كوكب غير هذا الكوكب . وحيثما سار لم يجد سوى الصمت المطبق ، صمتِ ملايين من السنين قد تجمّع فى مكانٍ واحدٍ .

وتبلغ مساحة بحر روس ربع مليون ميل مربع من جمد يمتدّ موغلا فى المنطقة المتجمدة الجنوبية حتى يصير على بعد نحو من ۸۰۰ ميل من القطب الجنوبى . وقد قامت سفن الأسطول الأمريكى برحلة إلى المنطقة المتجمدة الجنوبية ، فلما بلغنا بحر روس وأخذت السفن تمايل وتضرب بحيازيمها فى أمواجه المتجمدة، كان ذلك أول دخولنا إلى بيداء موحشة مترامية كأنها من مساكن الجن.

وإذا رميت ببصرك إلى الأفق البعيد رأيت طرقاً مظلمة محفوفةً بجبال من الثلج ، هى أكثر مما تستطيع أن ترى فى أىّ مكان آخر من الأرض ، وأصغر هذه الجبال يبلغ ارتفاعه ۲۰۰ قدم، ومساحة قاعدته ميل مربع.

وقد مررنا بجبل منها تقدر مساحة قاعدته على أقل تقـدير بنحو ٢٠٠ ميل مربع . وقد تولت يد الرياح والشمس والماء هذه الكتل من الجمد فصورتها على هيئة قصور وكنائس ومساجد ومعابد وسفن وحيوان وإنسان . وقد يكون شيء من هذا الشبه راجعاً إلى خيال المتخيل ، ولكن حدث ذات يوم أن ذهب عشرة من ضباط الأسطول فرأوا جبلي ثلج يسيران وبينهما نحو خمسة أميـــال ، فجاء كل منهم يصف ما رأى ، فكاد وصفهم يتقـارب كل التقـارب : كان أحدها كأنه صورة طبق الأصل من بناء مجلس النواب في وشنطن ، مشيّداً بأشد أنواع المرمر بياضاً مرصّعاً بالزمرد البرّاق، وعليه قبة يتلألأ نورها. أما الآخر، وهو ضعف الأول حجماً ، فكان كالبيت الأبيض في هيئته وتقاسيمه .

أما كنائس الجمد وقصوره فهي مزيج عجيب من الأبيض والأخضر والازرق . وترى اللون الأزرق غالباً ، وهو أشـد زرقة من أديم السماء الصافية — حيثما وجد في منطقة الجليد شق أو صدع ، وفي قبة السقوف المعقودة في الكهوف التي نحتتها الأمواج في قلب جبال الثلج ، وتبلغ سعة هذه الكهوف مبلغاً هائلا حتى إنه ليتيسر للبارجة أن تسير في جوف كثير منها .

ولما سارت بنا سفننا تتقدمها السـفينة محطمة الجمد ، وشقّت طريقها جنوباً تحت شمس دافئة مشرقة، تراءى لنا فجأة عند الأفق شاطىء مخضر كخضرة المروج في تباشير الربيع . وكانت حشائش هذه المروج كأنها حُشّت حتى تساوت بالأرض ، وبدت جدران الحجر والأسوار كأنها مربعات على رقعة شطرنج ، والبقعة كلها ترتفع ارتفاعاً هيناً حتى يختلط أعلاها بأهداب غيوم كأنما نسجت من زغب الطير ، وبدت لأعيننا مزارع تحيط بها الأسـوار ودور مبنية بالحجر الأغبر ، فكأنما هي لوحة رسمتها يد فنان ، طولها خمسون ميلا وارتفاعها عشرة أميال ، وقد علّقت في الفضاء عند حواشي الأفق .

وهذه السماء المزركشة ، كما علمنا، ليست سراباً خدّاعاً كالذي يصفه من ركب البادية، بل هو مثل عجيب لانعكاس أضواء الثلج. وهذه ظاهرة خاصة لا ترى إلا في المنطقة المتجمدة الجنوبية. وكانت الجدران والأسوار والبيوت كأنها ، في بعض ماترى العين ، من صُنع السُّحب الدانية من الأرض ، ومن ورائها سماء مختلطة الألوان ، وكانت أيضاً كأنها صور من فانوس سحري صنعها انعكاس أضواء الثلج على حاشية الأفق . ويقول بعض الذين كانوا مع الأميرال بيرد

فى رحلته الأخيرة ، إنهم اهتدوا إلى طريق عودتهم بهذه الخرائط التى كانوا يرونها مصورة على صفحة الأفق .

ولما أصبح اليوم الثانى انتهت بنا سفننا إلى بياض مُصْمَت شاملٍ . فعلى مدّ البصر لا ترى سوى بياض أديم الجمد ، وكانت السماء فى مثل بياض الثلج ، وكان الهواء فى مثل بياض اللبن ، فكنا من ذلك كله فى ظُلْمةٍ بيضاء . وكنا نرى أشياء بيضاً كالثلج ترفرف غادية رائحة على السفينة ، هى طيور الجمد التى تكثر فى تلك المنطقة، وهى لا تزيد عن الحمام فى حجمها .

وبحر روس مغطى بالجمد الذى يبلغ سمكه ما بين ثلاث أقدام إلى خمس ، ويتصدّع هذا الغشاء المتجمد بعض التصدع فى أوان كل صيف . فإذا كان شهر يناير صار هذا الجمد هشًّا متهافتاً كالجمد فى شهر مارس فى بحيرة من بحيرات المنطقة المعتدلة ، غير أنك ترى قطعاً من الجمد الصُّلب تتخلّل قلبه ، ويبلغ سمكها ما بين ١٥ قدماً إلى عشرين قدماً — هى كتل غليظة قد انفصلت من غشاء الجمد الدائم الذى يحيط بالقارة المتجمدة فى القطب الجنوبى .

والسفن المألوفة عاجزة ولا قبل لها بالتغلب على مثل هذه العقبة، فكانت سفينتنا الضخمة محطمة الثلوج تتحرّى أضعف نواحى هذا الجمد وتشق لنا فيه طريقاً ، وعلى أثرها تسير السفن المشوقة التى تحمل المؤن سَيْراً وئيداً محاذراً . وقد قضينا أربعة أيام كاملة قطع فيها أسطولنا الصغير خمسة أميالٍ وحسب ، على حين قطعت محطمة الثلوج وهى تستكشف لنا الطرق نحو ٥٠٠ ميل .

وفى أول يوم قضيناه فى الأصقاع المتجمدة، فوجىء أسطولنا بظاهرة أخرى من ظواهر الملاحة فى المنطقة المتجمدة الجنوبية — هى العاصفة الساكنة — فقد أحاط الجمد بسفن المؤونة ، فأخذت محطمة الثلوج تعمل حتى كشفت لها بحيرة ماء مساحتها نحو نصف ميل مربع ، تستطيع هذه السفن الضعيفة البناء أن تجد فيها مرفأ آمناً تأوى إليه . ثم خرجت المحطمة تبحث جنوباً عن طريق فى تَجَمَدٍ ألين من هذا وأخف . وكانت هذه البحيرة التى لا تكاد تَرى فيها موجاً يضطرب ، كأنها صفحة مرآة خضراء عليها شقوق بيض ترى حيث تطفو قطع من الجمد . والمحيط المتجمد الجنوبى هو أهدأ المحيطات فى البقعة التى تجتاحها أشدعواصف الدنيا وأعتاها .

ولم تمض ثلاث ساعات حتى عادت محطمة الثلج، فإذا بها ترى أن بحيرة الماء التى شقتها قد اختفت. وأن سفن المؤونة قد أشرفت على

الهلاك ، فقد أحاطت بها من جانبيها جدران من الجمد ومن جبال الثلج المخيفة يبلغ ارتفاعها ١٥٠ قدماً . فكان على محطمة الثلوج أن تشقّ الجمد حتى تهيء منطقة أخرى من الماء الخالص ، وأن تجرّ سفن المؤونة التى أحاط بها الجمد إلى مكان آمن ، ولكنها لاتكاد تخلّص سفينة حتى ترى الجمد العالى قد أحاط بأختها التى أطلقت من أسره منذ هنيهة.

فقضى البحارة ٢٤ ساعة يجذبون بأكف دامية تلك الأسلاك الحديدية المغطاة بالثلج، وكانوا قد استعملوها بدلاً من حبال الجرّ، وكانت هذه الأسلاك تتقصف فى الحين بعد الحين . وكثيراً ما كانت تدنو منهم جبال الثلج دنواً شديداً مهدّدة بالتصادم ، وكانت هذه الثلوج شديدة الشبه بالبوارج الحربية، وقد قدّر وزن أحدها بنحو مئة ألف طن.

والعاصفة الساكنة فى هــذا المحيط الفسيح من الثلج تضارع فى عتوّها عواصف الشتاء فى المنطقة المتجمدة الشمالية ، وقد ساقت هــذه العاصفة منطقة الثلج فى تيار الرياح الشمالية الغربية ، وكانت من القوة بحيث لم يكن من الممكن أن يقف فى طريقها شىء قط . وقد سدّت كلّ الطرق التى كان المــاء يجرى فيها ، وأطبقت على كل عقبة وغطّتها . وإذا جبال الثلج المخوفة التى كانت تبدو طافية منذ ساعات فى ناحية من الأفق ، قد انطلقت تجتاح كل شىء فى كل ناحية ، فهى أحياناً تسير مع منطقة الجمد ، وأحياناً تسير فى ضد اتجاهها ، وذلك لأن التيارات الخفية القوية التى تجرى فى أعماق المحيط هى التى تحرك هذه الجبال الضخمة التى اختفى أكثرها فى الماء وطفا أقلها .

وفى هذه العاصفة الساكنة لم نكد نحسّ بنسمة ريح ونحن على السفينة ، وإذا شققنا طريقاً فى الماء رأينا وجه الماء ساكناً لاموج فيه ، فكان هذا الصراع الهائل الجبار يتمّ فى صمْت تامّ . ومضت أربعــة أيام حتى استطعنا أن نجد لأنفسنا منفذاً إلى الجنوب.

وربما وصفت المنطقة المتجمدة الجنوبية أحياناً بأنها أشبه شىء بما سيصير إليه كوكب الأرض يوم تنعــدم الحياة ، أى يوم تبرد الشمس ، ويطغى الثلج فيهلك كل حىّ ، وتصبح كرة الأرض قبراً مجلّلاً بالبياض يتقاذف سابحاً فى الفضاء السرمدىّ . بيد أن هــذه الثلوج لا تخلو من حياة لا شك فيها . فبعد أن يجتاح الهلاك كلّ حيوان ونبات بزمن طويل ، فربما بقيت بعدئذ ذُبالة خابية من الحياة — هى ضرب من النبات لايكاد يرى بالعين المجرّدة ولايضرّه الثلج ضرراً يذكر (وهذا النبات له نسب بعيد إلى الطحالب الخضر التى تغشى وجه الماء الراكد). ويطلقون عليه اسم « كوريترون».

وقد ذكر بعض علماء الأحياء أن هذا النبات ربما قدّر له أن يكون نواة لخلق جديد يظهر بعد ملايين من السنين من حدوث هـذا التغير ، ويحلُّ فيه الرمل التباور محل الكربون ، ويومئذ تنشأ على الأرض فيلة من الزجاج وناس من الزجاج.

أما أغرب الظواهر التى وقع بصرنا عليها فكانت عندما ألقت سفننا مراسيها على شاطىء بحيرة خضراء رحيبة مترامية الأطراف ، وكان يحف بالبحيرة صخور من الجمد ارتفاعها ٥ قدماً ، وقد دل الاستكشاف الجوّى على أنها البحيرة الوحيدة فى منطقة نصف قطرها ١٠٠ ميل . وقد لبثنا ثلاثة أيام ثم رأينا هذه البحيرة قد بدأت تصغر وتتقلص ، إذ أخذت الجدران القائمة من الثلوج تضيق وتتقارب دقيقة بعد دقيقة . ولم نلبث أن سمعنا محركات محطمة الثلوج وهى تزمجر محاولة أن تشقّ لنا مخرجاً ننفذ منه ، وتمَّ لها أن تشق هذا المخرج إلى ناحية الجنوب ولما تكَدْ .

ولم نعرف إلا عندئذ حقيقة المأزق الذى صرنا إليه . فقد اتضح لنا أن البحيرة والسفن جميعاً قد قطعت فى هـذه الأيام الثلاثة نحو ١٨ ميلا إلى جهة الشمال دون أن تكون هناك حركة محسوسة على الإطلاق. وقد شقت محطمة الثلوج والسفن التابعة لها ، طريقها جنوباً ، فقطعت خمسة أميال فى ثلج هش كأنه وَحَل مركوم ، ثم نفذت إلى ماء مكشوف عظيم لم يكن له وجود قطُّ منذ ساعتين وحسب . وكانت سعتها كسعة البحيرة التى غادرناها منذ قليل ، فلما وقع علينا نظرنا خيّل إلينا أنها مكان مألوف، فكان ذلك غريباً كل الغرابة ، فهى هى البحيرة التى فارقناها بشواطئها وجزر الجمد الطافية عليها ، وهى قائمة فى نفس المواقع التى عهدناها من قبل . أفترى البحيرة قد طارت فسبحت فى الجو ، أو غطست فسبحت فى جوف البحر حتى قطعت مسافة خمسة أميال ونحن لا ندرى ؟

ويفسر علماء الطبيعة هـذه الظاهرة تفسيراً معقَّداً يعجزنى تصوّره ، حتى إنى لأوثر أن أعزو هـذه الظاهرة الخارقة إلى عمل الجن والشياطين التى تعمر أرجاء ذلك البحر المخوف الموحش .



يكون التفاؤل أشيع ما يكون فى مستشفى المجانين . [هفكلوك إلبس]

أوربّة في براثن الجوع

الدكتورة ادلهيد واولبيركا

مختصرة من مجلة "نيويورك تايمز"

مرت سنوات والجانب الأكبر من أوربة يتضور جوعا ، وملايين الأوربيين يعانون ما يعرف « بالجوع العلمى » إذ يعيش الفرد منهم فى يومه على غذاء يحتوى على ١٥٠٠ سُعرْ (وحدة الحرارة) أو أقل ، وهو وإن كان لا يكفى للحياة فى صحة وعافية ، إلا أنه كاف لإمساك الرمق ودفع الموت .

إن المرء لا يشعر بالجوع المزمن فى معدته وحدها ، فهو إذا قضى بضعة أشهر على غذاء لا تزيد أسعاره على ١٥٠٠ سُعرْ استولى عليه صداعٌ وضعفٌ وَوَهنٌ يتخلل الجسم كله . ومن شأن الجوع أن يزيل من عقله كل فكرة إلا فكرة البحث عن الوجبة التالية ، فإذا هو لا يهجس فى صدره إلا هاجس واحد ــ الطعام .

وما أقوى سلطان هذا الهاجس ! كنت مرة فى فينا فانقطع التيار الكهربائى فأخذت أبحث عن الشموع ، فلم أجد لها أثراً ، وعلمت أن عاملا كبير السن كان يتردد على منزلى قطعها إرباً إرباً وازدردها ليرد بها شدّة الجوع .

والمرء إذا اقتصر غذاؤه على ١٥٠٠ سعر لا يشعر بسوء حالته وحسب ، بل إن مرآه أيضاً يدل على ذلك ، فيأخذ جسمه فى النحول ويتجعد جلده ويربدّ لونه ، ويبدو أكبر مما هو بعشر سنوات . وفوق ذلك تبدو الكآبة على وجهه ، وتفارقه ابتسامته ، ويضمر خدّاه ، وتغور عيناه .

أما خصائص أخلاقه فتتغير أيضاً ، فأهالى فينا مثلا قد فارقهم المرح وأصبحوا حديدى الطباع سريعى الغضب ، والحوادث التى كانت تمر فى أيام الرخاء بابتسامة ، تؤدّى اليوم إلى انفجار سورة الغضب .

ويدعونا أصحابنا الغربيون أحياناً إلى تناول « وجبة جيدة » ، فإذا جلسنا معهم دهشوا لقلة ما نتناوله من الطعام ، ولكن أجسامنا لا تحتمل أكثر من ذلك من جراء نقص العصير الذى يساعد على الهضم . والمرء إذا تعلم كيف يتضور من الجوع ، فيجب أيضاً أن يتعلم كيف يستأنف الأكل .

وقلة التغذية تورثه المرض الذى يجعله يغشى وهو نائم ، فترى الأوربيين أحياناً

يسيرون فى الطريق حتى يصبحوا بجانب إحدى السيارات ولاينتبهون من غفلتهم إلا فى اللحظة الأخيرة ، فيتراجعون فى وجل . وقد يقع العمال فى سُبات وهم فى مركبات الترام أو يغمى عليهم فى أماكن عملهم . وقد زادت حوادث إصابات العمال زيادة تدعو إلى القلق .

وسيموت مئات الألوف فى أوربة بداء السل لأن أجسامهم التى لا تصيب غذاء كافياً لا تملك قوة المقاومة . وقد ازداد عدد الإصابات بالزهرى وعلل المعدة والمصارين ، وباضطراب تمثيل الطعام، وبأمراض العيون والتهابات الأغشية المخاطية، زيادة ملحوظة .

والأطفال الصغار فرائس سهلة لمرض السل ، وقد مات كثير منهم ، وسيصبح الباقون مرضى مدى العمر . على أن الذين يعانون شرور نقص التغذية هم الفتيان الذين تختلف أعمارهم من ١٤ سنة إلى ٢٠ سنة ، فهؤلاء تضعف قوى أجسادهم وعقولهم ونفوسهم . والشاب الذى يشعر بالجوع وبالحاجة إلى كسرة من الخبز وقليل من المرح ، ينتهز أول فرصة تسنح له للحصول عليهما معاً . وليست ثمة أعمال يربح منها الشبان أكثر مما يربح الذين يجوبون الحقول ويبيعون محصولاتهم فى السوق السوداء . وكثيراً ما ترى الفتيات يبعن أنفسهن . وأمثال هؤلاء الشبان والفتيات يقبلون صروف الحياة كما هى . وقد جاء فى الترجمة الألمانية لرواية « أوبرا التسول » : « يجب أن تأكل أولاً ، وبعد ذلك تستطيع أن تكون رجلا صالحاً للحياة » . وتدل إحصاءات جنايات القتل والسرقة على ازدياد هائل فى أوربة الجائعة .

ومن نتائج الجوع الاقتصادية . نقص مقدار العمل وانحطاط نوعه . وقد ترددت الشكوى فى جميع أنحاء أوربة من رداءة نوع البضائع المتبادلة ، وقد ازدادت نسبة السلع الرديئة الصنع . فإنه لما فتر اهتمام المرء بعمله ، فتر أيضاً اهتمامه بالشئون العامة ، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية ، ذلك لأن الجوع يحوّل الإنسان مخلوقاً لا يعنى إلا بأمر نفسه ولا يهمه شىء سوى السعى لحفظ حياته .

والجائع تموت فيه قوة التمييز ، ويبيع نفسه بالوعود . ويقول الاشتراكيون اليوم فى فينا : « إن الخبز هو الحرية والحرية هى الخبز » . وأوربة إذا جاعت ، فقد أصبحت خطراً مستطيراً .



ما قيمة الدرجات المدرسية ؟

برتون فاولر
رئيس جمعية التربية

مختصرة من مجلة « الآباء »

ذكر أحد مراقبي التعليم فى تقريره السنويّ العبارة التالية : « إن الدرجة التي ينالها الولد فى المدرسة هى أجرهُ على عمله » . وهذا وصف جامع مانع ، فالدرجة المدرسية هى ما يقول — باعث الكسب فى التربية . وما أسوأه من وصف! أنستطيع أن نتصوَّر شيئاً أسوأ من أن تأجر الولد على شيء ينبغى أن يكون فى نظره أعظم فرصة تتاح له وأسمى مزية ينالها — أن يطلب العلم عن هذا العالم الذى نعيش فيه . والولد مفطور على حبّ الاستطلاع ، ويحبُّ أن يعرف سبب كل شيء والباعث عليه . وهذا الفضول الذى فطر عليه هو القاعدة فى تربيته ، ومع ذلك ترى مدارسنا تدأب على قتل هذا الحافز إلى المعرفة بما توزّعه على الطلاب من درجات ومكافآت وجوائز وعقوبات ، وبكل حافز غير طبيعى ينتهى إليه الابتكار .

وقد عبَّر برنارد شو عن ذلك فى قوله : « ليس ثمة حاجة إلى حافز طارىء يحفز العمال الممتازين إلى تأدية عملهم على أفضل وجه مستطاع » . فلنرفع عن التربية وصمة هذه الحوافز الطارئة ، أو هذه الرشى التى نرشى بها الطلاب ليحسنوا طلب المعرفة ، ولنلق على عواتق المعلمين مهمة خطيرة — أن يجعلوا ما يلقونه من دروس حافلا بالمتعة والفائدة ، حتى يصير الالتجاء إلى حفز الطلبة بالحوافز الطارئة أمراً لا ضرورة له ولا حاجة إليه .

والدرجة المدرسية تنطوى على أذى للطالب لأنها تبدو شيئاً يقتضيه المنطق ، ثم هى شىء يسهل الظفر به ، فدرجة ٧٥ على ١٠٠ فى المطالعة شىء يتيسَّر تقريره على المعلم ويسهل فهمه على الأبوين . فإذا كتبت كتابة أنيقة على بطاقة أحسن طبعها وأرسلت إلى الأب ، كان فى وسعه يومئذ أن يطير فرحاً بها فيبتسم لابنه ، أو أن يغضب غضباً شديداً فيعنفه . ثم هى تتيح للأب أن يظهر أمام ابنه فى مظهر المعنىّ بأمره المسدِّد لخطوه ، فينظر فى البطاقة ويقول : « ينبغى لك أن ترفع هذه الدرجة قبل آخر الشهر التالى ، فإن لم تفعل حظرت عليك أن تشهد مباراة الكرة » . أو قد يقول : « إذا ظفرت فى

الشهر القادم بدرجة ٩٠ على ١٠٠ أعطيتك ريالا » . فيتمّ للأب ما يريد .

ولكن ما أثر ذلك فى نفس الفتى ؟ إذا كان الفتى ذكيًّا ابتسم كالساخر وقال فى ذات نفسه : « أهـذا ما يطلبون ؟ إذن فسوف ينالونه . سوف أجامل المـدرّس وأتودّد إليه ، سوف أصنع مايريدونه منى، ولن أزيد . سوف أغشّ ، سـوف أنقل عن جارى ، سوف أظفر بالدرجات العالية، ما دامت الدرجات هى قوام هـذا الشىء الذى يسمونه تربية » . ويومئذ يصنع هذا الفتى مايصنعه ألوف من الفتيان والفتيات — يجعل الدرجات العالية قبلته ومنتهى غايته .

ثمّ ماذا يفهم الأب حين يرى فى البطاقة درجة ٧٥ على ١٠٠ ؟ وهل تدله على شىء عن تقدم ابنه فى دروس القراءة والمطالعة؟ أيستطيع أن يتبين منها شيئاً عن ابنه وهل هو يحبّ المطالعة ، أو يجيـــدها سرعة وإدراكا ؟ أو هل تقدّم فيها عمّـا كان عليه فى الشهر السابق ؟ هل تدله على أنه يحسن اختيار ما يقرأ أو استيعابه ؟ أو هل يتقن الانتفاع بالمعجم لفهم الـكلمات التى تغمض عليه ؟ وهل يحســن التعبير عن المعانى فى نبرات صوته ولهجته إذا قرأ ؟ وهل تفصح هذه الدرجة عن قدرة الفتى على قراءة الشعر أوالسير أوالتاريخ أوالقصص أوالمسرحيات؟ كلا ، فهى تبين للأب أن درجة ابنه فى القراءة هى ٧٥ على ١٠٠ ، ولا تزيد على ذلك شيئاً .

وقد يخطر لك أن المدرّس قادر على أن يدلّ برقم أو حرف على مبلغ تقـدم الفتى أو الفتاة فى الهجاء والحساب وقواعد اللغة ، ولـكنّ هذا رأى خطأ ، فكل موضوع من هذه الموضوعات معقّد كالقراءة ، وتقدير التقدم فيه ليس شيئاً يسيراً . ولو كانت هذه الموضـوعات غير معقّدة كالقراءة ، لظلّ كشف الدرجات مع ذلك لايخبر ولايبدى لنا شيئاً عن عادات الطالب فى تفكيره ومعاشرته ،أى عن أخلاقه الخاصة والعامة . وهذه العادات والأخلاق هى فى آخر الأمر أهم غرض تتجه التربية إليه . وليس فى وسع أحد أن يعرف نصيب الطالب من التقدم فى طلب التربية إلا إذا عرف كيف يقبل على عمله،وكيف ينجزه، وهل هو صادق العزم، دقيق متقن ، شديد الرغبة بالغ الحماسة ؟

ثم إنّ الدرجات المدرسية تحثّ الطلاب على المنافسة وتسوقهم إلى إتقان فنها — أى تعلم الصغار أن الوصول إلى الغاية المرموقة، وهى أعلى الدرجات ، يحلّ له أن يتوسل بكل وسيلة تتيح له السبق وإن كانت خسيسة. والدرجات أيضاً تميت قلوب الطلبة بأساً وخيبة . فالتنافس فى جوهره عمل قائم على الأثرة وحب الذات ، وأما التعاون فقائم على

إنكار الذات . وطريقة التلاوة فى الفصل ، أو الإجابة عن الأسئلة التى يوجهها المدرس إلى الطالب ، ليست من قبيل التعاون . فالمدرّس يحذّرك من أن تعاون زملاءك ، ويشجعك على أن تتباهى بما تعرف . ومما يغرى بالتخيُّل أن يتصوّر المرء ما يكون مصير العالم لو ربّى جيل واحد من الصغار على التعاون فى طلب المعرفة بدلاً من التنافس . وقد أعرب الفيلسوف والمربّى جون ديوى عن هذا الرأى بقوله: « تعلم أن تعمل مع الجماعة ومن أجلها ، فى الوقت الذى تتدرب فيه على أن تستقلّ فى الفكر والرأى » .

وقد أذاعت إحدى الصحف النتيجة النهائية لطلبة السنة الرابعة فى مدرسة ثانوية فقالت : « الأول ، جون براون ، معدل درجاته فى السنوات الأربع ، ١٧ر٨٨ من مئة ؛ الثانى ، آرثر سميث ، ١٥ر٨٨ من مئة ؛ الثالث ، روبرت جونز ١٢ر٨٨ من مئة » . ولا أحسب أن أحداً من الناس ، سوى ناظر مدرسة ثانوية كهذا الناظر ، يستطيع أن يعتقد أن لهذه الفروق الضئيلة فى معدّل أربع سنوات قيمة ما . أو ليس للفروق الحقيقية بين الطلبة الثلاثة فى أخلاقهم ومجهودهم وحسن معاشرتهم لزملائهم ومدرّسيهم وذكائهم الفطرى ، شأن يذكر ؟ وما أثر هذا الرياء فى الاهتمام العظيم بهذه الرموز المصطنعة فى حياة الطلاب والطالبات ؟

إن بعض التلاميذ كتبت عليه الخيبة فى المدرسة منذ دخولها ، لأن درجة النجاح تستبدُّ بهم وتخيفهم . وما دامت المدارس تحتفظ بدرجة نجاح واحدة لجميع الطلبة ، صارفة النظر عما فطروا عليه من ذكاء ، وما دامت تحول دون ظفر بعضهم بدرجة النجاح ، فإنها بعملها هذا تصمهم بوصمة الضعف والنقص ، وتمهّد لهم السير على طريق الإخفاق والاعوجاج — اللهمّ إلا إذا أتيح لهؤلاء الطلبة من يعينهم فى البيت على تقويم الاعوجاج الذى تورثهم إيّاه المدرسة . ولن تجد سوى مقياس واحدٍ سديد لكل طفل فى المدرسة هو : « أيبذل هذا الطالب غاية قدرته » . وليس يسع أحداً به مُسْكة عقل أن يطالب مخلوقاً من البشر بأكثر من هذا .

أما المعلم الحكيم فينبغى أن لا يصرف همه فى المستقبل إلى الدرجة التى ينوى أن يعطيها لطالب من طلابه ، بل ينبغى له أن يسعى جاهداً إلى فهم كل طالب على حدة من جميع نواحى حياته البدنية والعقلية والعاطفية ، وأن يسدّد خطاه ويشجعه حتى يصير قادراً على أن يدرك ما يحتاج إليه ، وأن يحمل على عاتقه تبعة تقدمه وتحسين حاله . والمعلم الذى يرى أن تقدم الشخصية الإنسانية يمكن أن يقاس بالأرقام ، ليس بالرجل

الذى يدرك سرّ التربية الصحيحة وغرضها.

ولست أريد أن أنفى أنك لا تجد قدراً محدوداً من الحذق فى بعض الأمور يمكن أن تقيسه قياساً علميًّا، ولكن الاختبارات التى من هذا القبيل إنما تطلب لكى يتبين منها المعلمون ما يحتاج إليه الطالب، وينبغى أن تحفظ نتائجها فى أضابير المدرسة للاطلاع عليها، لا أن تسجّل فى تقارير الأبناء التى ترسل إلى آبائهم. فالمجلات التى تحتوى على نتائج الاختبارات المنتظمة والامتحانات، ينبغى أن لا تكون كالسوط المصلت على رؤوس الطلاب، ولا كالجائزة البراقة التى تبعثه على الرضى عن نفسه، بل ينبغى أن تكون معواناً للمعلّم يساعده على أن يتبين ما فى طريقته من أخطاء وعيوب.

أما التقارير التى ترسل إلى الآباء، فينبغى أن تشتمل على وصف الطالب بعد أن يعنى المدرّس بدراسة نواحى حياته جميعاً، دون الاقتصار على إحدى نواحيها وحسب، كناحية قدرته فى دراسة الحساب. وإليك مثلا يبين ما ينبغى أن يكون التقرير الذى يرسل إلى آباء التلاميذ: « إن جورج فى حاجة دائمة إلى المساعدة، ولا سيّما فى دراسة جدول الضرب الذى لم يتمكن منه بعد. وهو يقبل على كل درس بشجاعة وشوق، وينتهى إلى نتائج ترضى ». ومن الأمور التى يجب أن يتضمنها هذا الضرب الجديد من التقارير المدرسية بيان عن حسن عشرة الفتى، وعاداته، واهتمامه بما يوكل إليه، وما يبذله من مجهود فى إنجازه. فإذا دأب المدرّسون على كتابة تقارير عن شخصية الطالب منذ مرحلة الروضة إلى الجامعة، ظفر الآباء والأساتذة على السواء بترجمة لحياة الطالب أجدى فى توضيح سيره فى المدرسة من الأرقام والحروف وغيرها من الرموز التى تعيّن بها الدرجات المدرسية المألوفة.

فالدرجات المدرسية ينبغى أن تُلغى لأنها تجعل التلاميذ يشعرون بالضعة أو بالتعاظم، وتشجع على الغش، وتبث فى نفوسهم شعور القلق وعدم الاستقرار، وتقتل فيهم ملكة حب الاستطلاع، وتصرف همّتهم إلى الحصول على الدرجات الناجحة لا إلى التحصيل والتعلّم، وتحفزهم إلى الاجتهاد بحوافز غير مجدية عليهم فى طلب الثقافة الصحيحة.

ولنحلّ محلّ الدرجات المدرسية تقارير تصف الطلاب من حيث هم ناس، وتكشف عن قدرتهم المنطوية فى نفوسهم، وتشجعهم على التعاون بدلا من التنافس، وتعزّز المودّة بين الطلاب وبين الآباء، بدلا من أن تحرك الغيرة وتوغر الصدور وتحفز إلى السعى الأنانى العقيم فى سبيل الوصول إلى غايات لا تنال.

أوحت فلسفة هذا الرجل إلى عمال شركته بروح من التعاطف والمودة كانت فريدة فى هذا العالم .



عيد سعيد

كارل وتسر
مختصرة من مجلة "ذى روتيريان"

عصر يوم من الأيام جمع مستر هيوز، مدير مكتب «أميريكان رولنج ملز» فى كلكتة بالهند، رجال مكتبه وقال لهم : « إنكم تعلمون أن يوم ٢٢ إبريل القادم يوافق عيد ميلاد الرجل الذى أسس شركتنا، مستر ڤريتى، وأحسبكم تنوون أن تحتفلوا به على عادتكم » .

فردّ أحد الكتبة موافقاً على قول رئيسه وقال : « هو ما تقول، فقد كنا نتجاذب أطراف الحديث فى هذا الموضوع، فخطر لنا رأى جديد » ، ثم شرح لرئيسه خطة انتهى إليها رأيهم .

فقال المدير : « يلوح لى أنها خطة طيبة وقد يكون تطبيقها شاقاً، ولكننى سوف أشترك فيها بنفسى، وسأصطحب زوجتى أيضاً » ، ثم قال : « وأظنكم تقدرون أنها ستكلفنا مالاً كثيراً » .

فأجابوا جميعاً بصوت واحد : « سنساهم فيه بنصيبنا » .

وكذلك كان، فبعد أيام قلائل خرج هيوز وزوجته وممرّضة مدربة فى كلكتة على قطار الليل وكان معهم ستة من الحمّالين الهنود يحملون سلالاً مثقلة بما حوت، وبعد أن قضوا الليل كله فى اجتياز ولاية البنغال، نقلوا سلالهم من القطار إلى سفينة ثم غادروا السفينة وركبوا سيارة عامة ظلت بضع ساعات تخبّ بهم على طريق وعر، ثم ركبوا زورقاً عبروا به نهراً يجرى فى الأدغال، وأخيراً كدّسوا سلالهم فوق عربة تجرّها الثيران، وراحوا يجوبون تلال أسام .

وأخيراً انتهى بهم المطاف إلى قرية فقيرة كانوا قد خرجوا يقصدونها، فأنزل الحمّالون السلال وأخرجوا ما فيها من أدوية وصابون وضمادات وأطعمة مركّزة، وظل المدير

وزوجته طوال النهار .يساعدان المرضة في تضميد القروح المتقيحة ، وتعليم الأمهات كيف يعالجنَ عيون أبنائهنّ الملتهبة ، وتقديم أقراص الفيتامين وزيت الخروع واليود والخمائر ، ثم برحوا القرية بعد أن خلّفوا فيها عند شيخها ما يكفي أهلها سنة كاملة من المعدات الطبية .

وفي ذلك اليوم نفسه،كان رجال الشركة المنتشرون في القارّات الستّ يحتفلون بهذا العيد ، وقد احتفلوا به في ملاجىء الأيتام والمستشفيات والحدائق العامة في باريس ولنـدن وقرى الجبال في أمريكا الجنوبية ، وجزائر البحر في أقاصي المحيط الهادئ .

ومع ذلك فقد مضت ثلاث سنوات على وفاة الرجل الذي احتفلوا بعيد ميلاده ، ذلك هو جورج. م ڤريتي الذي أسس في سنة ١٩٠٠ شركة « أميريكان رولنج ملز » في مصنع صغير بمدينة مدلتاون في ولاية أوهيو ، ثم قضى نحبه في سـنة ١٩٤٣ . وأنت تجد اليوم رجال شركته الذين يبلغ عددهم ٢٨ ألفاً يحتفلون بما يطلقون عليه وصف « الذكرى الحيّة » .

وأغلب الظن أن عُشْر الرجال الذين يشتغلون في هذه الشركة العالمية ، يعرف مؤسسها معرفة شخصية ، بيد أن الذين أتيح لهم أن يروه مرة واحدة لن ينسوه أبداً ، فقد ألف عمال مصانع الصلب في مدلتاون أن يروا هذا الشيخ في الصباح الباكر من أيام الصيف ، يمرُّ بهم زاخر القوة والنشاط، فيصل إلى مكتبه قبل سائر رجاله ، وقد كان مديد القامة معتدل الهامة كأنه قائد حربيّ،وكان شعر رأسه وشاربيه أبيض كالثلج ، وكان ذا عينين شهلاوين صافيتين تطلاّن من وراء منظارين لا إطار لهما ، كأنهما تحاولان أن تستشفّا الغيب .

وكان يسير في المصانع متلمساً طريقه بين السبائك المتوهجة ، أو يمشي متمهّلاً بقرب صفائح الصلب المحمرّة وهي تمر سراعاً تباعاً بين الآلات الثقيلة التي تضغطها وتسطّحها . وكثيراً ما كان يقف فينادي رجلا باسمه ويسأله عن حال أسرته.ولم يكن ڤريتي من رجال الأعمال الذين يتوسلون إلى رفع الكلفة بينهم وبين عمالهم بالتربيت على ظهورهم ، ولكن مودّته الصادقة لهم كانت تتبدّى من خلال وقاره . وقد كان يؤمن بما في المودة من خير ، ويعنى عناية خاصة بكل رجل من رجاله .

حتى الرجال الذين لم تقع عينهم عليه كانوا يحسّون أنهم يعرفونه . فكل عامل جديد في الشركة يعطى نسخة من كتيّب أضحى منذ سنة ١٩١٩ دستور الشركة، وقد كتبه

ڤريتى بيده ، فأوضح فيه — فى كلام بسيط موجز — فلسفته فى العمل، وأن كلّ صناعة ينبغى أن تقدم حساباً عن نفسها لأربع فئات من الناس : الزبائن والعمال، وأصحاب الأسهم ، وأفراد المجتمع . وينبغي أن تثبت لهم جميعاً أنها جديرة بأن تمضى فى عملها .

وكان من فلسفة ڤريتى أنه ينبغى للعمال من جميع الطبقات أن لا يقتصر اهتمامهم على الرضى بعملهم وحسب ، بل يجب أن تمتلىء صدورهم حماسة صادقة على شركتهم وحسن سمعتها ، وكان يعتقد أن المحافظة على روح الفخر والاعتزاز فى نفوس الموظفين والعمال، أمر لا غنى عنه فى نجاح كل شركة.

وقد حدثت عشرات من رجال الشركة فرأيتهم جميعاً يؤمنون أصدق الإيمان برسالة هذا الكتيّب، فلا عجب فى أن تنبت فكرة الاحتفال بعيد ميلاده بين العمال .

ففى عام ١٩٤٣ شرع أهل مدلتاون عقب وفاته فى إعداد العـدة لإقامة تمثال له . فلما كان يوم ٤ نوفمبر من تلك السـنة ، اجتمع نحو عشرين من العمال حول مائدة الغـداء ، وكتبوا رسالة إلى تشالز هوك صهر ڤريتى ورئيس الشركة .

وقد طووا رسالتهم على سؤال : «لِمَ لا يخصص يوم ميلاد مؤسس الشركة للخدمة والخير ، بدلاً من إقامة تمثال له ؟ » فعلّق هوك الرسالة على لوحة نشرات الشركة ، وإذا خبر الاقتراح يذيع من مدلتاون حتى يبلغ جميع مصانع الشركة فى أمريكا وسائر أرجاء العالم .

وجميع الحفلات التى تقام احتفاء بعيد ميلاد هـذا الرجل مطبوعة بطابع الخير الذى تبيّناه فى رحلة هيوز وزوجتـه والمرضـة إلى أسام . ففى إبريل الماضى خرج عمال الشركة فى مدينة زانزڤيل إلى الحديقة العامة وغرسوا شجرة سنديان ، كما فعلوا فى السنتين الماضيتين . وسمـعوا خبر أسرة فقدت بيتها وكل ماتملكه فى نار شبّت ، فجمع العمال مالاً وندبوا ثلاثة منهم ليحملوه إليها . ثم اكتتبوا بمالٍ اشتروا به سلال الفاكهة وحملوها إلى الزنوج الذين أقعدهم مرضٌ أو عاهة .

وفى ذلك اليوم نفسه بحث عمال الشركة فى مدلتاون فى أقبية بيوتهم ، فوجـدوا ثلاثين سريراً قديماً من الحديد، فأخرجوها وأحسنوا طلاءها ثم قدّموها هدية لمخيم أقيم للأطفال فى الهواء الطلق ، وتبرّعوا له أيضاً بنقد يبلغ ٢٨٥ ريالاً ونصف ريال. وتبرّع عمّال الشركة في مدينة أخرى بقدر من دمهم لينتفع بها ذوو الضعف والسقم .

وانتهى إلى أسماع عمال الشركة فى وشنطن

أن الصغار المصابين بشلل الأطفال فى أحد المستشفيات قد شغفوا بأخبار مباريات الكرة ، فاستأجر العمال جهازاً للتلفزة وأقاموه فى المستشفى ، فأتاحوا للأطفال العجزة رؤية اللعب .

ومنذ سنتين تبنّت العاملات فى مصنع آخر طفلة بلجيكية فى التاسعة من عمرها ، قتل أبواها فى الحرب ، وهنّ يرسلن إليها ملابس من الصوف ، وأقراص الفيتامين والطعام ، وهبة من المال تبلغ ١٨٠ ريالا فى السنة . وقد أبى مديرو الشركة أن يبزّهم العمال فى عمل الخير ، فتراهم يعقدون كلّ سنة مسابقة بين أبناء العمال والموظفين ، ثم يرسلون الاثنين المتفوقين إلى جامعة يتعلمان فيها الهندسة أربع سنوات .

وفى بلدة برانكلا بجمهورية كولومبيا ، تعاقد موظفو مكتب الشركة مع أستاذ ليتولى تعليم اللغة الإنجليزية لسبعة من المستخدمين الكولومبيين ، وتكفلوا بنفقات دراسة الهندسة بالمراسلة لاثنين من العمال ، ثم أضافوا إلى ذلك الإنفاق على سرير فى المستشفى .

أما فى باريس فقد خرج موظفو الشركة فى يوم الذكرى بعشرة من أيتام الحرب إلى النزهة ، ثم تبنّوا أحدهم . وأما فى جنوب إفريقية فقد قدّم رجال مكتبين من مكاتب الشركة ثياباً جديدة للأطفال فى مستشفى للصمّ ، ثم خرجوا بالأطفال فى نزهة . وعلم موظفو الشركة فى بناما أن ليس فى أحد ملاجىء الأيتام حذاء واحداً ينتعله الصغار ، فاشتروا أحذية جيدة قدموها للأطفال بأنفسهم .

وكذلك تجد رجال شركة « أميريكان رولنج ملز » فى أنحاء الولايات المتحدة ، بل فى أرجاء العالم ، سواء كانوا فى مصانع الصلب أو معامل البحث أو المخازن أو المكاتب ، يؤمنون كما كان فريتى يؤمن من قبل ، بأن الخير كلّ الخير فى أن يعيش الناس جيراناً توثق بين قلوبهم أواصر المودّة وحسن الجوار أينما كانوا .

الرد المفحم

جلس شاب خليع فى بهو فندق كبير ، وجعل يصوب نظره ويصعده فى كل سيدة تمرّ ، فلما مرت به غانية حسناء ، ردد على مسمع منها كلمته المأثورة فى هذه الأحوال : « كيف الحال؟ » فلم يظفر برد ، بل حدجته بنظرة باردة قاسية ، فقال ساخراً : « عفواً يا سيدتى فقد ظننتك أمى » .

فقالت كالسيف القاطع : « شىء مستحيل ، فأنا متزوجة » .

هذا فتى كان خادماً فى قلب إفريقية فصار غازياً قهر الأمراض التى تنهك قوى قومه .

طبيب الأدغال

الدكتور
كليمنت س . تشسترمان

مختصرة من مجلة "باجنت"



إذا غرزت إبرة فى قلب خريطة إفريقية، فقد دللت على المكان الذى لقيت فيه الفتى سندى أول ما لقيته. وقد كان ذلك فى سنة ١٩٢٠ يوم ذهبت مع زوجتى إلى منطقة أعالى الكونغو للقيام بعمل طبيب لجماعة أوربية تقيم هناك .

كانت المنطقة برية وعرة، تشقها دروب ضيقة ملتوية تصل بين قرى متباعدة يفصل بعضها عن بعض غابات مترامية ذوات أشجار عاتية باسقة ، ويقطنها ناس لا يزيد عددهم على عشرة فى الميل المربع ، ولا ينفكون يتنافسون فى صيد الحيوان البرى وحرث الأرض من أجل زراعة الموز الإفريقى والكاساڤا . وكان كثيرون من سكان هذه الغابات لم يقع بصرهم على النهر العظيم الذى يجرى فيها ، والطريق العام الوحيد الذى يربط بين أطرافها ، فكانوا منقسمين جماعات صغيرة ، لكل منها لغتها وعاداتها .

قضيت أنا وزوجتى ثلاثة أسابيع على سفينة نهرية مسطحة القعر تجرى بنا فى النهر ، فإذا بنا نسمع ذات يوم أربع نفخات متتابعة قصيرة تخرج من صفارة السفينة ، ثم طلع علينا من شاطىء باكوسو زورق صغير أقبل ليلاقينا ، وخرج بحارته يعنون بأمتعتنا وهم ينشدون نشيد الزورق ، ثم أومأوا إلينا أن نجلس على الحقائب التى كوموها ، وجدفوا بنا حتى بلغنا الشاطىء .

وقد وجدنا على شرفة الدار التى تقيم فيها الجماعة ستة أولاد من أهل البلاد قبلوا أن يدبروا أمور منزلنا لقاء ما تعلموه فى مدرسة الجماعة ، وقد كلف أحدهم

أن يكون طبّاخاً ، وعهد إلى آخر أن يعاونه ، وإلى ثالث بشئون الغسل ، وإلى رابع وخامس بالعناية بالحديقة .

وكان الفتى سندى فى العاشرة من عمره ، وقد عهد إليه أن يكون خادماً لى . وقد نظرت إليه فرأيته يمشى متعثراً فى ثيابه الجديدة التى لم يألفها ، وبدا لى أنه قلق بعض الشىء لما ألقى على كاهله من تبعة خدمة هذا الطبيب الأبيض الطويل كالمارد ، فلما حدقت إلى عينيه السوداوين عرفت أنه شديد الرغبة فى أن ينال رضاى .

وقد دلنى الوشم الممتدّ فى وسط جبهته من أعلاها إلى أرنبة الأنف، على أنه من قبيلة « لوكيلى » ، وهى قبيلة من صيادى السمك، وكان أبواه يعيشان فى قرية مجاورة ، أما أجداده فكانوا من أكلة لحوم البشر ، ثم صارت القبيلة تأكل السمك والموز .

نعم كان سندى شديد الرغبة فى أن ينال رضاى ، ولكن لم يكن له بد من أن يتعلم شيئاً كثيراً . وقد حدث مرة أن قدمت لنا مرقة النعناع الحلوة لتؤكل مع اللحم ، فوجدناها مرة كالصاب ، ففحصنا فتبينا أنه قد قدمها لنا فى وعاء كنا نضع فيه محلول السلمانى السام لنمنع النمل من أن يتسلق على قوائم المائدة. فبادرنا إلى أخذ المقيئات حتى ننجو من شر ما أكلنا، ولست أرتاب فى أن ما شاهده من أثر ما أخذنا ، ملأه احتراماً وإجلالا لطب الرجل الأبيض !

وذات يوم رأى على الموقد إناء فيه يدان سوداوان ، فأعاد غطاء الإناء إلى مكانه ، ودعا الطباخ ليقص عليه ما رأى ، ثم اشتركا فى تحقيق الرواية ، فثبت لهما أن ما تبدى لعيونهما الجاحظة من خلال البخار الكثيف، إنما هو يدان سوداوان !

وكانا يعرفان أن الطبيب الأبيض قد اشتهر بتقطيع الأحياء ، ولكنهما حزما أمرهما على الرحيل إذا هما رأياه يأكل هاتين اليدين .

فاتخذا مكانا يختبئان فيه حتى رأيانى أحمل الإناء والبخار يتصاعد منه إلى دار المستشفى الصغير ، وراقبانى من النافذة وأنا أسكب محتويات الإناء فى طست أبيض كبير — مباضع لامعة ، ومقص ، وأداة التوليد ، واليدين السوداوين اللتين لم ألبث حتى لبستهما فوق يدى .

تلقى الدكتور تشسترمان العلم فى جامعتى بريستول ولندن واشترك فى الحرب العالمية الأولى فى البلقان وفلسطين ومنح وساماً للخدمة الممتازة. ثم درس طب البلاد الحارة فى لندن بعد الحرب وشد رحاله إلى الكونغو . وذاع اسمه فى دوائر الطب العالمية ببحثه فى مرض النوم الإفريقى ، مع الدكتورة لويز بيرس من أطباء معهد ركفلر، وله كتاب مختصر فى أمراض البلاد الحارة شائع فى أفريقية الاستوائية .

وظلا يراقبانى وأنا أجرى جراحة وفّقت فيها وبرىء المريض ، فتلقى سندى وزميله أول درس فى سحر الرجل الأبيض — سحر الطب الحديث .

وبعد أيام أصيب سندى بالتهاب فظيع ، وامتد الالتهاب إلى رئتيه ، فركبته حمى شديدة وصار يبصق دماً ، فأعطيناه حقناً أفاد منها شيئاً . ولكن شفاءه كان بطيئاً مؤلماً . وألحّ عليه أهلهُ بأن يجيئوه بطبيب من السحرة ، وتوسلوا إليه أن ينفض يده من هذا الساحر الأبيض الذى أتاه بهذه اللعنة — وماذا يستطيع الرجل الأبيض الغريب أن يعرف عن أمراض السود ؟ !

وظلت نفس سندى موزعة بين الولاء لقومه والولاء لصديقه الجديد ، حتى حزم أمره على أن يلوذ بى ويكل إلى تعهد أمره ، وأقنعه برؤه التام بأن خلاص قومه إنما يكون بالأخذ بحكمة الرجل الأبيض .

وقد ازداد اقتناعاً بما رأى فى بحر السنتين التاليتين ، ثم لاحظت ذات يوم أن قلقاً شديداً يستبد به .

فقلت : « ماذا يقلقك يا سندى ؟ »

فهمس : « ألم تسمع قرع الطبول ؟ إنهم يدعوننى لأعود إليهم ، وأنا لا أريد أن أعود » .

كانت الطبول تقرع منادية صبيان القبيلة إلى حفلات الختان ، التى تدل على أن الفتى صار رجلا . وكان أهل القبيلة يعتقدون أن أرواح الأسلاف تدخل أبدان الفتيان فى الغابات المقدّسة حين تتم حفلات الختان .

وقد كان سندى يرغب رغبة صادقة فى أن يكون واحداً من جماعته — ابناً بارًّا بأبيه ، ورجلا نافعاً لأهله ، ولكنه أخذ يدرك أن هذه الحفلة صارت شيئاً من « مخلفات الطقوس » التى عفّى عليها الزمن .

وذات يوم جاءَ أبوهُ ليعود به إلى القبيلة فقد سبقه جميع الفتيان الذين فى محلتنا ، فعادوا خفية إلى قبيلتهم ، وسندى نفسه ليس واثقاً من أن الخروج على عادات قومه العريقة لن ينجلى ، كما يعتقدون ، عن تشويه وجههِ تشويهاً كريهاً — من جراء إصابته بمرض التوت كما نعلم الآن . ومع ذلك فقد واجه أباهُ بكل توقير وشجاعة ، وقد كان بدنهُ ينتفض من شدة العاطفة التى ألحت عليه ، واغرورقت عيناه بالدموع وقال : « لا يسعنى أن أذهب معك » .

كان الفتى فى حاجة إلى أسمى ضروب الشجاعة ليفعل ما فعل . فلم تخنه شجاعته ، وأقبل على النهج الجديد فى حياته هادئاً مطمئناً ، فوثق ذلك من الآصرة التى بيننا . وأذكر أنه استلّ ذات يوم دودة طفيلية من قدمى بسرعة ودون أن يؤلمنى ، فقلت

له إنه خليق أن يصير طبيباً موفقاً . فحمله قولى على التفكر ، وجعل اهتمامه بالطب يتبدّى . يوم بدأنا نكشف رقعة من أرض الغابة لنقيم عليها مستشفى جديدا ، فكان يراقب بعينين ملؤهما العجب قيام البناء الذى أطلق عليه وصف « مدينة الطبيب » .

وكان عملى يشمل أرضاً بريّة واسعة مساحتها كمثل مساحة فلسطين ؛ ولم يكن بين يدىّ وسيلة للانتقال سوى زورق صغير محفور فى جذع شجرة ، ودرّاجة . وكثيراً ما صحبنى سندى فى أسفارى ، ورأى بعينيه ما ينبغى لنا أن نكافحه من المرض والوهم .

كانت النساء تعانى آلاماً مبرحة زمن الوضع ، لأن أهل المنطقة كانوا لا يعرفون شيئاً عن عمل القوابل ، وقلما يعيش من الأطفال الذين يولدون أحياء سوى نصفهم أو نحو ذلك ، ولا يكاد الوليد يبلغ بضعة أشهر من العمر حتى يصاب بالملاريا . فإذا كبر وصار قادراً أن يطوّف فى الغابة على شاطىء النهر أو خلجانه الصغيرة ، نفذت يرقات ديدان الأنكلستوما من الجلد الرقيق بين أصابع قدميه، وسرعان مايصاب بفقر الدم . فإذا أضفت إلى هـذه المخاطر الخاتلة أوبئة الالتهاب السحائى ، والجدرى ، والتهاب الرئة ، لم يشقّ عليك أن تدرك لِمَ كان الناس هناك يعتقدون أن الأرواح الشريرة المعادية لهم ، تحدق بهم من كل جهة .

وأما مرض النوم فكان أخطعها جميعاً ، وقد بلغ عدد الذين أعداهم ذباب تسى تسى ثلث السكان فى بعض القرى . وقد يتأخر أجلهم سنة أو سنتين ، يقعون فى بحرها فريسة للحمى والجنون والذهول والهزال .

كنت قد درست طب أمراض المناطق الاستوائية فى لندن ، وتعلمت أن معظم هذه الأمراض مما يمكن توقيه ، وأن المصابين بها يمكن برؤهم . ولكن مرضاى كانوا مئة ألفٍ منتشرين فى بقعة من أرض الغابات مساحتها ١٠ آلاف ميل ، فخيّل إلىّ أن هناك وسيلة واحدة ولا وسيلة غيرها لحل المشكلة ، ألا وهى أن نبنى المستشفى ونمضى قدماً فى تدريب جماعة من شباب القبائل على بذل المعونة لنا .

فصنعنا مئات الألوف من الطوب من تراب مدينة للنمل ، ثم صنعنا قطعاً من البلاط من الصلصال الأزرق ، ثم جففناها فى أفران أشعلنا فيها خشباً تحمله إلينا النساء المتطوعات على ظهورهنّ . وقطعنا كتلا ضخمة من خشب الأشجار البواسق فى الغاب وعوّمناهـا على ماء النهر ، ثم دحرجها رجال القبائل وهم يصيحون . واستوردنا من بلاد الغرب ما يلزمنا من الإسمنت والزجاج وسائر لوازم البناء وأثاثه ، وصار

البناء يتكون رويداً رويداً بين أيدينا .

كان سـندى فى طليعة الذين دخلوا المدرسة التى فتحت لإعداد الممرضين . وكانت شروط الامتحان تشتمل على اللغة الفرنسية ، لغة التدريس . ولـكن أخلاق الطلاب كانت فى المقام الأول، فبغير الأخلاق الفاضلة يصيرون بعد تعليمهم كالشياطين .

وقد بدأ سندى دراسته بالقيام بأعمال يدوية تافهة . ثم تعلم أن يضمد الجراح ، وأن يعد الأدوية المألوفة ، وأن يتولى أعمال الفحص المعملى البسيط . وبعد قليل صار قادراً على أن يساعدنى فى الجراحة . ولما رأيته أول مرة يحاول جاهداً أن يلبس قفازى المطاط ، تذكرنا ما كان من خوفه يوم رآهما فى الماء المغلى فضحكنا ، وسرعان ما برع فى أعمال الممرض الذى يعاون فى الجراحات على خير ما يتمناه الجراح ويتوقعه.

وكان سندى جم الأدب فى معاملة المرضى، شديد العطف والمودة ، دون أن يعـوزه الحزم عند الحاجة . وكثيراً ما كان يقول لمن يتردد فى الموافقة على الجراحة : « أليس فى وسعك أن تدفع ممكة ثمناً لاستعمال السكين . فإذا كان بدنك لا يعـدل عندك ممكة ، فخير لك أن تلقيه فى النار » .

أو قد تجيئه أم طفـل مصاب بحرق فظيع ، وتذكر له أن روحاً شريرة قد قذفت بابنها إلى النار ، فيقول لها : « إن كتلة ضخمة من الخشب بين ابنك والنار هى خير وسيلة تمنع الأرواح من الدنو » .

ثم جاء اليوم العظيم الذى خرج فيه سندى إلى العمل فى مستوصف قرية تبعد عنا ستين ميلا ، وكانت إحدى قرى قبيلة متوحشة لا تزال على فطرتها الأولى. فيومئذ أبعد عن أهله وأصدقائه ، وسوف يواجه هناك أحوالا لا عهد له بمثلها ، وعليه أن يعاشر موظفى الدولة والزراع والجنود ورجال الشرطة . وسوف يكون الرائد الوحيد للطب الحـديث فى منطقة واسعة نصف قطرها ٥٠ ميلا — ولن يجد عوناً له فى عمله ، سوى نسخة من كتابى الصغير عن طب البلاد الحارة .

وقد كاد رأى سـندى فى الأوهام والخرافات الشائعة أن يكون أعظم شأناً من علمه الطبى وحذقه فيه ، فلم يكد يستقر به المقام فى عمله الجديد حتى ألفى نفسه مضطراً أن يواجه الأوهـام والخرافات فى أفظع مظاهرها وأشـدها قسوةً . فقد يصاب الرجل أو المرأة بالتهاب الرئة أو أى مرض حادّ ، فإذا صارت حياته عرضة للخطر ، بدأ الأقارب ما جرت به تقاليدهم من البحث عن ساحر تلقى عليه تهمة هذه

الإصابة ، فتقع الشبهة على أرمل شيخ أو على غريب ، فيجرُّ هذا المتهم إلى كوخ المصاب وهو مستغرق فى الهذيان أو غيبوبة الموت ، ويهدد بالقتل إذا هو أبى أن يحاول رفع رقية سحره عن المريض .

والطريقة المتبعة أن يسكب الماء البارد على المريض ، فإذا شفى أثبت شفاؤه إثم الرجل المتهم ، لأنه استطاع أن يرفع عنه رقية السحر التى أوقعها عليه ، فتحقُّ عليه اللعنة فيطارد من القرية مطاردة الكلاب ، وإذا مات المريض حقَّ للمتهم أن يدافع عن براءته ـ فيكون دفاعاً لا جدوى منه فى أغلب الأحيان .

وقد أدرك سندى أن استئصال آفة هذه الأوهام يقتضى منهُ أن يظفر بشهرة طبيب عظيم . والطبيب من السحرة تذيع شهرته بقتل المتهمين الذين تسند إليهم تهمة الأمراض التى يصاب بها أفراد القبيلة ، وهو يقتلهم بالسم على الأغلب . أما سندى فلا بد له من أن يظفر بالشهرة عن طريق شفاء المرضى ، ذلك بأن « دار الشفاء » ، وهو الاسم الذى أطلق على مستشفانا ، كانت قد أذاعت صيته بأنه رجل يشفى من المرض ، فمستقبل تجربتنا كلها معلق فى ميزان القدر بين يديه .

كان بين الحالات الأولى التى عرضت عليه حالة شاب مصاب بخراج فى ساقه ، فاتجه رأى سندى حين رآه إلى الإشارة عليه بأن يرحل إلى القرية التى أقيم فيها المستشفى ، وهى رحلة تستغرق ستة أيام . ولكن المصاب أبى أن يفعل ، وأصرَّ على أن يزيل سندى الخراج ، فاصطلح الزهو والرثاء لحال المريض على سندى ، فأقدم على بضعها تحت تأثير مخدِّر موضعى . ولكن الصدمة والنزف أفضيا إلى انهيار المريض ، فكاد سندى يفقد صوابه . ولكن الجراحة كانت موفقة ، وسرعان ما استردَّ المريض وعيه وصحته ، فكتب إلىَّ يقول : « وماذا يجديك إن ظفرت بالحكمة ولم تنتفع بها » ، فقد أخذ الفتى يزداد ثقة بنفسه ، وقدرة على الاستقلال ، فاطمأنَّ قلبى إلى أن مستقبله صار مضموناً .

وقد برحت الكونغو منذ عشر سنوات ثم عدت إليه فى زيارة قصيرة منذ عهد قريب، فلما حطت الطائرة على أرض المطار، لقيت جماعة كبيرة من قبيلة سندى قد شدَّت رحالها فى النهر لكى تستقبلنى ، فلما وصلنا فى زوارقنا إلى ساحل المستشفى رأيت سبعين فتىً فى قمصان بيض وسراويلات قصيرة ، وجماعة من الفتيات الممرضات ، وإذا المدرسة الطبية قد نمت واتسعت .

وقد عرفت أنه يشق على القائمين بالأمر

أن يجدوا مصابين بمرض النوم لكي يتخذوا منها مثالا للدراسة، ووجدت أنهم قد عالجوا خمسين ألف حالة من حالات مرض التوت فى خمس وعشرين سنة ، وأن هذا المرض صائر إلى الانقراض ، وأن أوبئة الجدرى صارت كأنها ذكرى مفزعة من زمن مضى.

وقد علمت أيضاً أن بعض الشباب الذين دربناهم فى المستشفى قد امتازوا امتيازاً عظيما فى الجيش البلجيكى فى الحبشة وفلسطين وبرما . وألفيت الشركات التى تعنى بصحة عمالها تطلب من الشباب المدرب على الطب والصحة العامة عدداً لا نقوى على تخريجه .

لم أجد سندى بين الوفود التى جاءت لتحيتى ، فأرسلت إليه رسالة مستعجلة فى زورق، فركب دراجته وقطع المسافة البعيدة بين المزرعة التى يشرف على مستوصفها ومقر المستشفى .

فتصافحنا وابتسم أحدنا للآخر ابتساماً يطوى معانى كثيرة وذكريات عزيزة ، وقد نظرت إليه فرأيت أنه لم يتغير فلا تزال عيناه هما عيناه الشهلاوان الثابتتان اللتان لا تخافان شيئاً ، وبسمته لا تزال بسمته حين يتذكر شيئاً ، كاد ينساه .

فسألته : « ألا تستطيع أن تأخذ إجازة بضعة أيام، حتى يتاح لحديثنا وقت أطول؟»

فأشرق وجهه حين قلت ما قلت ، ثم هز رأسه هزاً خفيفاً وقال : « عندى عشرة من الفتيان أتولى تدريبهم ، والعمل كثير ، والبيض الذين فى المزرعة يعتمدون على » .

فكان رده حاسما ، فقد تعلمت منذ ماعرفته أنه رجل تستطيع أن تعتمد عليه، وفى فجر اليوم التالى عاد إلى عمله .

وهو عمل عظيم يحتاج إلى رجل كمثل صاحبى سندى . ولن تجد الأطباء الذين تخرجوا فى الجامعات يواجهون فى ممارستهم الطب تلك المشكلات الصحية التى تعانيها قبائل متفرقة فى أرياف إفريقية الاستوائية. إن أجورهم أغلى من أن ينالوها فى تلك الجماعات، وعاداتهم المطبوعة بطابع التحضر وسكنى المدن تنأى بهم عن الائتلاف معها. فالمشكلة الصحية فى تلك الأصقاع لن تحل إلا من طريق فتيان كمثل سندى ، تحسن تدريبهم مهما كان علمهم قليلا . وسندى اليوم ، واحد من كثيرين يتولون هذا العمل فى غابات الكونغو . وقد تم على يديه وأيدى إخوانه من التقدم فى جيل واحد ، ما لم يتم مثله فى قرون فى بلاد كثيرة متحضرة ، وقد وضعوا قواعد نظام للخدمة الصحية فى الريف يوافق عادات أهل البلاد وأخلاقهم ، ويكفل الحدّ من أذى الأمراض التى تجتاحهم .

ميادين جديدة فى وسع الشباب أن يفتحوها .

ابتكر لنفسك عملاً

جون إرسكين
أستاذ الأدب الإنجليزى سابقاً فى جامعة كولومبيا

أتذكر يوم كنتَ طالباً أنْ جاءكم رجل حسن الطوية فقال لكم إن أبواب العمل مفتحة أمامكم ؟ أما أنا فقد وقع لى مثل هذا منذ أربعين سنة ، فقد قيل لنا يومئذ إنه فى وسع الواحد منا أن يصير واعظاً أو تاجراً أو طبيباً أو محامياً أو معلماً أو كاتباً أو سياسياً ، ولكنهم حذرونا أيضاً من أن ميادين هذه الأعمال قد غصَّت بالذين أقبلوا عليها حتى صارت ضيقة الجوانب .

ولا يزال هذا النصحُ نفسه يُسدى إلى شباب اليوم . نعم إن المخترعات الجديدة قد فتحت ميادين جديدة للعمل ، ولكنهم لا يزالون يخيِّرون الشباب بالطريقة القديمة البالية .

فمن الخير أن نسخر من هذا النصح ، فالحياة لم تتجمد وإن تجمدت عقول النصحاء . ففى الدنيا طرائق لخدمة الجماعة تزيد على العشر التى يحصونها . والجماعة لا تزال تتقدم ، فتنشأ لها فى تقدمها حاجات جديدة ، وفى وسعنا أن نتبين هذه الحاجات إذا اهتدينا إليها بالخيال — أى بالنظر إلى ما بين أيدينا .

وأنت تسمع فى هذه الأيام عن فحص المواهب ، ومطابقة كل ذى موهبة للعمل الذى يلائمه ، فلِمَ لا يعنى كل امرىء بأن يكشف بنفسه العمل الذى يلائمه ؟ فلو ذهب إديسون إلى خبراء المواهب ، وهو لم يزل عاملا من عمال التلغراف ، أتُراهم كانوا أشاروا عليه بأن يخترع مصباحاً كهربائيا ؟ أو لو ذهب إليهم فورد وهو لم يزل ميكانيكيا مجهولا ، أتراهم كانوا نصحوا له أن يصنع سيارة قليلة الثمن ؟ فإديسون وفورد التمسا هذه النصيحة فى ذات نفسهما وأخذا بها .

وقد قضيت فترة من حياتى فى بلدة فيها كلية صغيرة ، والطلبة فى هذه البلدة غير خليقين بالبحث عن عمل يتخذونه ، ولكنهم مع ذلك كانوا يدأبون على العمل فى ورشة صغيرة يديرها رجل خياله أرْحبُ كثيراً من خيال زبائنه . فقد اشتغل قبل ذلك

بإصلاح الساعات ، ولكنه لم يجد من الساعات المعروضة للإصـــلاح عدداً كافياً يكفل له رزقه ، بيد أنه رأى أشياء كثيرة عدا الساعات تحتاج إلى إصلاح. فلما عرفته كان قد صار مشهوراً فى جيرته كلها بإصــلاح كل شىء ، إذا استثنيت أبدان الناس ، فقد ترك ذلك للجراحين ، وصار الناس يعدّونه حسنة من حسنات الله عليهم . وما كان يُعرِض عن عمـــل مهما شقّ أو هان ، فكان الغلمان يذهبون إليـه بدراجاتهم وأدوات لعبهم ولهوهم ، وكانت ربات البيوت يأخذن إليه الأطباق الصينية الفاخرة ، بل كان أستاذ الفلك فى المدرسة يطلبه ليستعين برأيه فى إصلاح مِرْقبـه ، ويذهب إليه العالم الرياضىُّ فى ترميم الآلة الحاسبة . وقد أراهُ فى الصباح يصلح مصفاة القهوة لى، وأراهُ فى الليل فى النادى العلمى فى الكلية يشارك فى بحوثه برأى يستمع إليه الأساتذة ويجلون قدره .

أيبدو لك هذا شيئاً عجباً ؟ فكل رجل يسدى خدمة إلى الجماعة يشبه هذا الرجل بعض الشبه ، ولا سيا فى فطنتـه وحسن الانتفاع بخياله . أما هو فلم يجد عجباً فيا صنع ، وسواء أعلم أم لم يعلم ، فقد كان صاحبى هذا مقتفياً لأثر فتى يدعى بودتش بدأ حياتهُ منذ مئة سـنة أو نحوها ، فكان بحّاراً ، ثم علّم نفسهُ بنفسه اللغة اللاتينية والرياضيات حتى يستطيع أن يقرأ مؤلفات الفيلسوف الرياضى نيوتن ، ثم أحـدث تنقيحا فى علم الملاحة ، ونشر كتاباً من أخطر كتب الملاحة لا يزال يعدُّ إلى اليوم مرجعاً عظيما لكل من سلك البحار. فهذا الرجل لم يكن سوى بحّار ـــ بحّار ذى خيال .

ومنذ سنوات اضطر أحد الفلاحين أن يظفر ببعض المال لينفق على مريض فى أسرته، فلم يجد فى مزرعته ما يباع سوى حجـر رحى قديم ، وبضع نباتات من نبات الزينة الذى يتخذ لأسوار الحدائق ، فنقل ما عنده على مركبة إلى المدينة ، وما كان يعرف أن المهندسين يتخذون من هذا النبات وسيلة لتزيين الأرض التى يبنون فيهـا البيوت ، ثم يضيفون حجارة الرحى لكى يضفوا على الحدائق سمة من الجمال القديم . فلما تبيّن مايفعلون عاد إلى مزرعتهِ وصار ينتج مقادير كبيرة من ذلك النبات ، ويجمع من الريف حجارة الرحى أينما وجدها ، وصار يذهب إلى مكاتب المهندسين لمشـاورتهم ، وصار المهندسون يعدُّونه متخصصاً فذاً ويجزونه عما يقدم أحسن جزاء .

وقد هوت الأزمة المالية على أحد رجال المـال فى « وول ستريت » فلم يبق عنـده سوى رقعة أرض فى إحـدى الضواحى .

وأراد أن يصنع شيئاً لا ينافسه فيه أحد فجعل يربى الماعز ، فصارت مزرعته اليوم نموذجاً يحتذى ، وعلى كثرة اللبن الذى يجلب من ماعزه ، فهو لا يكاد يكفى بعض ما يطلب منه

ولن تجد ميداناً من ميادين العمل يشق النجاح فيه كما تجده فى ميدان الفنون ، ومع ذلك أذكر رجلين ، أحدهما موسيقى والآخر مصور ، استطاعا أن يدركا النجاح ، حيث قدر لهما إخوانهما الإخفاق كل الإخفاق. وقد اضطر الموسيقى أن يهجر مدينته ليدرس العزف على الكمان ، لأنه لم يجد فيها معلماً من الطبقة الأولى .

فلما حذق فنه عاد إلى مدينته ، فدهش الناس يوم رأوه يفتح مدرسة لتعليم الموسيقى ، وقد فعل ذلك لأن المدينة التى يقل فيها عدد الموسيقيين هى مدينة يقل فيها عدد الذين ينافسونه فى تعليم الموسيقى ، فرأى أنه إذا نزل فيها أستاذ بارع للموسيقى ، سر الذين يميلون إلى دراستها أن يتلقوا عليه ، بدلا من أن يطلبوا أستاذاً آخر فى بلد بعيد .

فصاح به أصحابه : « ألا تنوى أن تقيم حفلات موسيقية ؟ » فقال : « ليس أهل هذه البلدة من الناس الذين يميلون إلى حضور هذه الحفلات » ، وقالوا : « ألا تنوى أن تصير قائداً لأوركسترا ؟ » فقال : « ليس فى هذه المدينة أوركسترا » .

كان هذا جوابه فى أول الأمر ، ولكن لم يكد تلاميذه يجيدون العزف بعض الإجادة حتى نظم فرقة من عازفى الآلات الوترية ، وجعلت تقيم حفلات يحضرها آباؤهم المعجبون بهم . فلما صاروا يتقنون الموسيقى والعزف ، هيأ لكل منهم عملا ، ذلك بأنه عهد إليهم أن يدربوا صغار الطلاب على قواعد الموسيقى وأصول العزف ، وصار إذا تقدم تلاميذ تلاميذه فى فنهم ، يضمهم إلى جماعة الفرقة الموسيقية التى نظمها .

وتراه اليوم وله أوركسترا كاملة ، تقيم حفلات موسيقية كثيرة كل سنة . ولما حضرت إحدى هذه الحفلات كان جمهور المستمعين نحو ألفين من الناس . وبعد خصم نفقات الحفلة ، وزع صافى الإيراد على أعضاء الفرقة . وأما الأستاذ نفسه فلا ينال شيئاً من مال الحفلات ، وحسبه جزاء أن الذين يطلبون تلقى الموسيقى عليه قد زادوا زيادة كبيرة ، وأن أهل المدينة قد صاروا يهوون الموسيقى ويستطيبونها .

أما المصور فكان شاباً فى غرب أمريكا . وقد قرع كل باب من أبواب تجار الصور والأغنياء الذين اشتهروا باقتنائها وجمعها ، حتى كلّ من الطرْق ، وأخيراً حمل صوره

على سيارة نقل وذهب بها إلى البادية . وكان إذا ما وصل إلى مزرعة ، أخرج صوره وعرضها مسندة إلى حاجز هناك حتى يراها كل فلاح . فإذا أعرب أحدهم عن فرحته بإحداها باعه إياها بأى ثمن يستطيع أن يناله . وبعد أسابيع عاد بسيارة فارغة وجيوب ممتلئة بالمال، وراجت تجارته رواجاً مطرداً ، وكان إذا اشترى أحد الفلاحين صورة من صوره وعلقها على جدار بيته ، يكثر الذين يقدرون الفنّ من سائر الفلاحين ، فلا يقبل عليهم فى زيارته التالية حتى يجد طائفة منهم منتظرة لتشترى منه .

وقد رأيت فى إحدى الحدائق العامة الكبيرة مهندساً معمارياً شاباً ، وقد ابتكر سوقاً رائجة لمواهبه. فقد كان يحسن الرسم، وكانت الحديقة غاصة بالشبان والشابات على متون الجياد ، فكان يرسم الجواد ويتقاضى على الرسم ٢٥ ريالا . فكثر الطلب عليه ، ولكنه قصر عمله على صنع صورة واحدة فى اليوم حتى يتقن ما يعمل ، ومع ذلك فقد كان دخله كل شهر شيئاً لا يستهان به.

ولن تجد أحداً من الناس يستطيع أن يكشف لك الفرص المتاحة لك حيثما تكون، ولكن لعلى أستطيع أن أبذل لك بعض العون بذكر بعض مايحتاج إليه الناس. ذلك بأن إنشاء السيارات القليلة الثمن ورواجها يقتضيان قيام فنادق صغيرة قليلة النفقة تتيح للذين يتجولون فى سياراتهم أن ينزلوها ، ومطاعم يجيد فيها الطهاة طبخ الطعام الذى يقدم للناس، ونفقة الطبخ الجيد ليست أعظم من نفقة الطبخ الردىء . وقد تقول إن المثقفين من الرجال يستنكرون أن يتخذوا من الطبخ عملا لهم فى الحياة ، ولكن أهل فرنسا عرفوا بالتجربة أن صناعة الطاهى صناعة كريمة مجدية .

والناس يستنكرون عادة الأعمال التى تقتضى عمل اليد، وهذا حمق لا حمق بعده. ونحن حين نتخير عملا نعمله يستبد بنا شىء من الاحتقار لأعمال اليد ، فنحن نطلب العلم والثقافة ، ونتوق إلى الظفر بدرجة من جامعة ، فإذا تم لنا ذلك أبينا أن نختار عملاً يدويًّا يكون عملنا فى الحياة . بيد أننى لا أرى المانع الذى يمنع النجار والسباك والطباخ أن يكون لهم من الثقافة ما للطبيب وصاحب المصرف . فإذا نظرنا إلى العمل هذه النظرة ، رأينا الشبان المثقفين يصيبون السعادة فى أعمال نشأوا على أن يعدوها أعمالا حقيرة .

وقد عرفت فى الجامعة فتياناً لا يتمنون سوى أن يصيروا نجّارة ، فلو كانوا يعيشون فى عالم لم تستبد به فكرة خاطئة عن العمل الشريف أو غير الشريف ، لفعل هؤلاء

ما فعله بودتش منذ مئة سنة . وقد عزفت في فرقة موسيقية كان فيها عازف الكمان الثاني رجلا يصنع الكمان ، وهو الذي زوّد جميع العازفين على الآلات الوترية في الفرقة بآلات موسيقية من صنع يديه . فلذلك يؤسفني أن يقال لي إن المشتغلين بإصلاح الساعات مثلا قد صاروا قلة نادرة ، ولعله مما يشجع بعض الشباب أن يعلموا أن الساعاتي ينال على إصلاح الساعات أجوراً حسنة .

ولن تعدم من يقول لك إن الصناعة الحديثة قد قضت على الصانع الحاذق المستقل، ولكنني أشك في صحة هذا الرأي . والذي يقضي على هذا الصانع هو خطأ التفكير ، لأن الحكمة الأولى والأخيرة في اختيار العمل الذي تعمله ، هي أن تبحث عن شيء مطلوب فتصنعه أو حاجة ماثلة فتسدّها. وأغلب الرأي أن الحاجة التي تتبينها بخيالك وفطنتك هي الحاجة التي هيئت أنت لسدّها .



عين بعين

انتظر صاحب الصيدلية في بلدتنا زمناً طويلا قبل أن جاءه النبأ بأن سيارته الجديدة قد وصلت . فلما عرضها عليه البائع رآها سيارة حسنة مزودة بجميع الأجهزة الجديدة : من مصباح يخترق نوره الضباب ، وجهاز راديو ، ومدفأة تحت المقعد ، وجميع الأشياء التي يحاول باعة السيارات أن يضمّوها إلى السيارة لكي يغنموا ما يستطيعون غنمه من الربح . فاعترض صاحبنا الصيدلي ولكن اعتراضه لم يجد ، فقد قال له البائع : «خذها كما هي أو دعها» فأخذها على مضض .

وبعد أيام ذهب بائع السيارات إلى الصيدلية لإعداد وصفة كتبها له الطبيب، فلما فرغ الصيدلي من إعدادها لف مع الزجاجة التي تحتوي الدواء أنبوباً فيه أقراص الأسبرين وزجاجة للماء الساخن ، وعلبة من أقراص الفيتامين ، ومحلولا يخفف السعال ، ورذاذا للأنف يقي من الزكام ، وكل ما تحتاج إليه الأسرة في صيدلية البيت الصغيرة . فغضب البائع ورفع صوته محتجًا ، ولكن الصيدلي قال له غير آبه لاعتراضه : « خذها أو دعها » . فأخذها !

[كارل دريك]

قصة حقيقية لا تكاد تصدق ، وقعت حوادثها فى ألاسكا أيام البحث عن الذهب

الذهب فى مناجمه

ركس بيتش

مختصرة من كتابه «أيام حياتى»

فى شتاء عام ١٩٠٠ كانت بلدة « نوم » بألاسكا قبلة المصابين بحمى البحث عن الذهب . وكان ممن نزل هذه المدينة فتاة حسناء من أجمل الفتيات اللواتى رأتهن عينى ، وفتحت فيها فندقاً صغيراً . وقد أغراها ما كانت تسمعه عن الذهب والثراء فى بلاد الشمال ، أن تشد إليها الرحال هى وجماعة من أصدقائها ، ولكن سرعان ما كرهوا مقامهم فعادوا أدراجهم ، إلا هذه الفتاة فإنها شغفت بهذه الأرض حباً ، فصممت على أن تقيم بها وتجمع ثروة .

كانت فتاة شقراء نحيلة ، وعلى ذقنها نونة لطيفة ، وترى لها ثغراً يميل ميلاً خفيفاً يشف عن السخرية والازدراء ، وكانت حديدة الطبع كأنهـا بارود يتفجر . أما شجاعتها فكانت من جهلها وغرارتها ، إذ لم يمسسها أحد بضرر قط ، فمن أجل ذلك كانت تثق بكل إنسان ولا تخشى أحداً .

ولما عثر الناس على الذهب نمت بلدة « نوم » فجأة ، فزاد عدد سكانها فى بحر الأيام العشرة الأولى من ثلاثة آلاف نفس إلى عشرين ألفاً . وكان مرأى المدينة مثيراً لنفس الرائى ، فالأفاريز مزدحمة بالطارئين من جميع أنحاء العالم ، وكان شارع البلدة الوحيد شارعاً غير معبد يعلوه الوحل وهو غاص بمركبات تنقل المشحونات من الشاطىء ، أما الأندية ومنازل القمار فكانت مزدحمة بالزوار ، وأصوات الموسيقى والقهقهات العالية تنبعث من أندية الرقص .

وكان الإقبال على الغرف النظيفة عظيماً جداً . وقد استفادت فتاتنا من فندقها مالاً كثيراً منذ أول الأمر ، إذ كانت تديره بنفسها ، وتسكن فى كوخ مجاور ومعها زنجية مشاكسة ضخمة الجسم تقوم بتدبير منزلها وبطبخ ما تحتاج إليه .

وفى شتاء ذلك العام نكبت بلدة «نوم» بعصابة مؤلفة من ثمانية أشخاص من شر من بليت بهم الأصقاع الشمالية ، وكانوا

أكثر عدداً من حَفَظة الأمن ، ولعل هذا هو سبب تساهل رجال القانون ومسالمتهم لتلك العصابة .

وذات ليلة سمعت الفتاة أصوات استغاثة عند باب كوخها ، فأسرعت إلى الصوت ، فرأت رجلاً خائر القوى يقول : « أيتها الحسناء ، لقد أُصبت » .

كان الرجل جاثياً على ركبتيه ، فأعانته وحملته إلى كوخها . وبينما هى تهم بالخروج لتستدعى الطبيب صاح قائلاً : « لا أريد طبيباً » .

قالت : « ولكنك مصاب برصاصة ! »

قال : « فلنكتم الأمر . ما قولك ؟ »

وكان الرجل مصاباً بجرح فى كتفه ، فأشار عليها بأن تأخذ قطعة من النسيج وتبلها بالويسكى وتغسل جرحه ، وتحشوه بقطع من منديل نظيف .

ولما استطاع أن يقف على قدميه أخذ يعتذر إليها ويقول : « لشد ما آسف على ما كان من إزعاجك ، ولكنى لم أكن أستطيع أن أخطو خطوة واحدة » .

فقالت : « هل تأذن لى أن أرافقك إلى منزلك » .

فهزّ رأسه وقال : « ليس من الحكمة أن يراك أحد مع أى فرد منا ، وسأعود إليك لتغيرى لى الضمادة إذا لم يكن لديك مانع » .

فقالت : « إنكم عصابة شر لاخير فيها » .

قال : « إذن سأغير الضمادة بنفسى » .

قالت : « ان يدىّ على الأقل أنظف من يديك ، فتعال إذا كان لابد لك من المجىء » .

وإذ ذاك بدأت الهدايا تصل إليها بطريقة غامضة ، كانت هدايا من أطايب الطعام مما لايمكن شراؤه من أى مكان . ولما عاد إليها الجريح احتجت .

فقال لها : « لننس كل شىء ، فقد شملناك بحمايتنا »

قالت : « لا أريد أن أكون تحت حماية عصابة من اللصوص . إن جميع هذه الأشياء مسروقة ، وقد ينالنى شر من جرائها » .

قال : « أصغى إلىّ . إن البرتقالة لايهمها من الذى يأكلها ، ومادمنا نحرسك فمن المستحيل أن ينالك مكروه » .

ومنذ ذلك اليوم أصبحت الفتاة فى حماية عصابة من اللصوص ، وأثبتوا بعد ذلك أنهم كانوا جادين فما عزموا عليه من حمايتها .

وذات ليلة أعطاها أحد المترددين على فندقها كيس ذهب كبير لتحفظه عندها ، فترددت فى قبول تبعة حراسته ، وقالت إن خزانتها غير مأمونة ، وأنها تضطر إلى فتحها كل يوم مراراً . على أن الوقت كان قد مرّ ولم يكن ثمة مكان أوفر أمناً لحفظ

ذلك الكيس ، ولذلك ألح الرجل فى تركه لديها .

وبعد هنيهة دخل اثنان من أفراد العصابة كانت تعرفهما من مرآهما ، فجلسا وأخذا يجيلان أنظارهما فيما حوالهما . فساورتها الشكوك وطلبت منهما أن يخرجا ، فأبيا ، وقالا إنهما ينتظران رجلين من أصحابهما . فمالت قليلاً إلى الوراء واستندت إلى الخزانة وأغلقت بابها ثم أحكمت إيصاده، وبعد هنيهة انفتح الباب بعنف ودخل رجلان ملثمان ، فهجم عليهما رجلا العصابة المنتظران ودفعا بهما إلى الخارج وأوسعاهما ضرباً ، فتنفست فتاتنا الصعداء وقال لها أحدهما : « الآن يمكنك أن تطمئنى ياسيدتى ، فقد انتهى كل شىء » .

« وهل كنتما تعرفان أنهما ..؟ »

« بلا شك . هما الشخصان اللذان كنا ننتظر حضورهما » .

« ومع ذلك فقد ظننت فى أول الأمر أنكما تريدان سرقة الكيس » .

فتجهم وجه الرجلين ثم انطلقا خارجين . ومنذ ذلك اليوم لم يجرؤ أحد على أن يعتدى عليها .

على أن أروع الأعمال التى قامت بها العصابة وقعت عند عودتى إلى « نوم » بعد رحلة قمت بها للبحث عن منجم للذهب ، وكان وباء حمى التيفود قد تفشى هناك ، وأصيبت بها الفتاة . وكانت طاهيتها الزنجية عاجزة عن تمريضها ، ولم يكن ثمة مستشفى ولا ممرضات تتعهدها ، فأخذت «العصابة» على عاتقها تمريضها والعناية بها . وقسموا أنفسهم ثلاث فئات تتألف كل فئة من اثنين منهم ، وتعمل ثمانى ساعات . وكانوا يعنون بها عناية تامة بإشراف « هلدا » صديقة زعيمهم والتى كانت تقوم بتدبير شئونهم وما من أحد كان خليقاً أن يبدى لتلك المريضة من صبره ورقته واهتمامه أكثر مما أبدته تلك العصابة من أعداء العدالة ، وقد شغلهم من أمرها ما شغلهم ، حتى إن وطأة الجرائم خفت فى البلدة وحل محلها هدوء شامل

ولعل هذه العصابة أعجبت بما رأته فى تلك الفتاة من الفضائل التى تعلموا أن يحترموها . ثم إن رجال العصابات كثيراً ما يجدون لذة فى مغامراتهم فى ميادين الفضيلة، كاللذة التى يجدها المحافظون على الشرف فى ميادين النخوة والدفاع عن العرض . ومهما يكن الباعث الذى استهوى رجال العصابة ، فإنهم أفلحوا فى إنقاذ حياة الفتاة التى شملوها بحمايتهم .

على أن الحمى أورثتها نحولاً شديداً فاستولى عليها ضعف عظيم وكادت تصاب بالعمى . بيد أن الطبيب أكد لهم أن

ستسترد قوة بصرها يوم تسترد قواها . كان لابد لها حتى تسترد قواها من أن تشرب أقداراً كبيرة من اللبن الطازج ، ولكن لم يكن فى بلدة « نوم » كلها سوى بقرة واحدة ، وكان صاحبها يأبى أن يبيعها أو يبيع لبنها .

فلم يبق لهم سوى وسيلة واحدة ينتهجونها ، فسرقوا البقرة ، ولم تكن سرقتها بالأمر العسير ، ولكنهم حاروا أين يخفونها فى بلدة صغيرة يكسوها الثلج ، فعزموا على أن يستبقوها موقتاً فى بيتهم .

وكانت المشكلة الثانية هى اللبن نفسه ، إذ لم يكن أحدهم يعرف كيف يحلب البقرة ، فلما حاول أحدهم أن يدنو منها رفسته برجلها وقذفت به إلى المطبخ . وحاول آخر أن يدنو منها من أمام ، وما هى إلا هنيهة حتى علم أن البقرة تستطيع أن ترفس بيديها كما ترفس برجلها . وعادت « هلدا » عند منتصف الليل من حفلة راقصة ، ورأت ضجة عظيمة ، فسألت عن سبب وجود بقرة فى البيت ، فلما بينوا لها حاجة الفتاة إلى اللبن ، شمرت عن ساعديها وتقدمت من ميمنة البقرة وملأت لهم الإناء لبناً .

ومن الغريب أن العصابة استطاعت أن تخفى البقرة فى البيت طول مدة الهرج والمرج اللذين سادا على أثر اختفائها . ولكى يكتموا خوارها بقى بعضهم بجانبها ، ومعهم الخُف لكتم أنفاسها ، وكانوا يعلفونها تبناً مسروقاً وحبوباً وبقولاً مما يخزن فى العلب . ولما رأوا أنها تحب الذرة المذخورة فى العلب صاروا يسرقونها صناديق صناديق ليعلفوها .

وظلوا يقدمون لبناً طازجاً إلى الفتاة كل يوم . أما كيف استطاعوا أن يكتموا أمرهم فسرٌ لا يزال غامضاً غموض السبب الذى جعلهم يخلصون للفتاة . لم تكن تمتّ إلى أحدهم بأية صلة ، ولم يبد لها أحد منهم أية عاطفة ، ولا كلمها بكلمة فيها تلميح بحب . وكانوا يعلمون أنها كانت تكره سيرتهم ، وأنها كانت تشمئز من أفعالهم ، ولكنهم أدركوا مبلغ إخلاصها فاعتمدوا عليه . ولما برئت من مرضها أخبروها بسرقة البقرة وسرّهم ما بدا عليها من الحيرة والارتباك .

وتفرق أفراد العصابة عندما بدأ الثلج يذوب فى فصل الربيع ونزحوا عن « نوم » واحداً بعد واحد . ومن يومئذ لم أسمع أنا ولا سمعت الفتاة بما انتهى إليه أمرهم ، فلعلّ بعضهم قد ساءت عاقبته ، أو لعلهم اهتدوا وحسنت سيرتهم . وإنه ليسرنى أن يكون الله قد هداهم إلى الخير ، فإن عطفهم على فتاة بائسة فى أثناء مرضها كان ينطوى على مروءة عظيمة . ولشد ما أتمنى أن أقدم لهم الشكر على ما فعلوا .

وهذا الذى أتمناه هو نفس ما تتمناه زوجتى ، فقد شاء الله أن أتزوج تلك الفتاة نفسها .

نقطة التحول في حياتي

وجهي في المرآة

كيت كولستين

تأخرت ذات يوم عن موعد كنت قد ضربته مع صديق لى . فهرعتُ إلى قطار النفق السريع وتوقفت هنيهة أمام مكتب تغيير النقد ، وأخرجت من جيبي قطعة فضية وضربتها على المكتب وطلبت فكها بنقود صغيرة . ولبثت أنتظر عشر ثوانٍ خيِّل إليَّ أنها دهر طويل ، ثم رفعت نظرى لأرى ماسبب التأخير ، فإذا بى أرى رجلا كالح الوجه لم أر فى حياتى رجلا أكلح منه وجهاً ، وما كنت افتريت على الرجل حتى ينظر إليَّ هذه النظرة فقلت برماً ساخطاً : « هيَّا بنا يا صاح ، هات الفكة ولا تحملق فيَّ هذه الحملقة » . ولم أكد أقول ما قلت حتى تبيَّنتُ أن هذا الوجه الكالح الذى يحملق فيَّ إنما هو وجهى ، فأنا واقف أمام المرآة فى ذلك المكتب الصغير الخالى .

فلما ارتدَّ إليَّ بعض روعى ، أدركت وأنا جفلٌ أنه قد أتيح لى اليوم أن أرى نفسى كما يرانى الناس ، فكان ذلك نقطة تحول فى حياتى . وكثيراً ماردّدتُ نفسى بعد ذلك عن الانسياق مع حافز يحفزنى إلى السخط أو الغضب ، بتذكر ذلك الوجه الذى رأيته فى المرآة .

من قال: إنهم صغار ضعاف العقول؟!

بليك كلارك

في الأمة الأمريكية مئتان وخمسون أسرة تعدُّ برناردين شميت نعمة من نعم الله. فقد كان أبناء هذه الأسر صغاراً يعانون كثيراً من علل اضطراب العقل والعاطفة، بل وصف بعضهم بالبلاهة وضعف العقل. وكانت المدارس التى ألحقوا بها قد حكمت بأنه لا يسعها أن تعلمهم شيئاً. وإذا مس شميت، وهى مدرسة شابة مثالية النزعة، تعلمهم ثلاث سنوات وفقاً لخطتها الخاصة فى تربية ضعاف العقول، ثم ترعاهم وترشدهم خلال خمس سنوات بعد ذلك، فإذا هم فى خاتمة هذه المدة قد صاروا فتياناً وفتيات قد صلح أمرهم وغدوا مواطنين يعتمدون على أنفسهم، لا عالة على ذويهم أو على الجماعة.

كانت برناردين شميت طفلة نابغة، فقد تخرجت من كلية المعلمين فى شيكاغو سنة ١٩٣١ وهى لم تزل فى التاسعة عشرة من عمرها، فلما ألفت اسمها فى ذيل كشف طويل من طلاب الالتحاق بمناصب التعليم، عزمت على أن تنشىء مدرسة خاصة بها تتولى أمرها بنفسها.

فأستأجرت عليّة فوق دكان حانوتى، ورحبت بالأطفال الذين أبت المدارس أن تقبلهم فى عداد تلاميذها. وهى تقول: «إننى فى حاجة إليهم، وهم فى حاجة إلىّ».



كانت هذه الجماعة المتنافرة من الصغار، التى واجهتها الفتاة البالغة من العمر تسعة عشر ربيعاً، كفيلة بأن تبعث اليأس فى نفوس أشدّ المعلمين حنكة

وتجربة، فقد كانت مؤلفة من سبعين فتى وفتاة، تتفاوت أعمارهم بين السابعة والسادسة عشرة، وتختلف مراتبهم في المدرسة اختلافاً كبيراً، وكان منهم من قيس مستوى ذكائه فإذا هو أربعون في المئة من المعدّل الطبيعي. فهذا فتى اسمه آرتشى في الثانية عشرة من عمره، لم ينطق قط في حياته سوى كلمتين: «فنجان» و«صحفة». وهذا فتى آخر في الحادية عشرة من عمره، قسمات وجهه أشبه بقسمات الغول، قد زجّ بنفسه في صندوق كبير للعدد والآلات، وسكب على نفسه لتراً من الغراء، ثم التفت كالأبله وقال: «مادة لصّاقة»! وتلك هيلين التي يستبدُّ بها الحياء، في الثانية عشرة من عمرها، ولكنها قبعت على الأرض تحت المائدة كالنافرة المذعورة. أما الصغار الأخر فلم تبدُ على وجوههم دلائل الضعف العقلي، ولكنهم كانوا عاجزين عن أن يلبسوا جواربهم وأحذيتهم، أو أن يأخذوا إلى حانوت البقال كشفاً يسلمونه إياه، أو أن يذهبوا وحدهم إلى المدرسة.

كانت المشكلة الأولى التي تعيّن على المدرّسة الشابة أن تواجهها، هي أن تعلم تلاميذها مبادىء الاستقلال في حياتهم. فقالت للآباء والأمهات: «تبدأون بعد غد في إرسال أبنائكم وحدهم إلى المدرسة».

فاعترضت أم فتاة في العاشرة وقالت: «ولكن ابنتي لم تذهب قط وحدها إلى دكان البقال الذي لا يبعد مئة متر عن بيتنا».

فردت مس شميت بلهجة حازمة: «إذن لقد حان الحين أن تفعل ذلك».

ومن ثم جعلت تأخذ الصغار جماعات جماعات، من المدرسة إلى منعطف الشارع الذي يفضي بهم إلى بيوتهم. فلما اجتمعوا في المدرسة في اليوم التالي، أخذوا يتحدثون عن المعالم التي كشفوها واهتدوا بها — هذا صندوق بريد، وهذا مخبز طيب الرائحة. ثم عكفوا على رسم خرائط بسيطة يبين كل منهم عليها طريقه إلى بيته، ثم راجعوها مراراً مع مس شميت.

وفي صبيحة اليوم الثالث كانت المدرسة تموج بفتيان وفتيات قد أخذتهم نشوة الظفر، فلم يكن بينهم طفل أعجزه أن يصل إلى المدرسة وحده في الموعد المقرر.

ثم عمدت مس شميت إلى مشروع آخر أطلقت عليه: «كيف نتجول في مدينتنا». فسارت معهم مرتين إلى دار السنما في الحي، ودكان البقال، والملعب العام. وبعد ذلك عمد التلاميذ الذين يميلون إلى المغامرة، إلى القيام بهذه الرحلة فرادى، وأما البقية فقاموا بها جماعات جماعات.

ثم تعلم التلاميذ أن يذهبوا وحدهم بالترام إلى دار الجمعية التاريخية ، ومعهد الأحياء المائية ، وحديقة الحيوان ، فتعلموا أن يعبروا المدينة من حىّ إلى حىّ ، كأنهم يسيرون من بيتهم القريب إلى المدرسة . وكانت مس شميث تزود كلا منهم ببطاقة تكتب فيها العنوان الذى يقصد إليه ، فيعرضها على الشرطى أو مفتش الترام إذا ضل سبيله . ففرضت هذه الوسيلة على ذوى الحياء من الفتيان والفتيات أن يطرحوا الخجل ويسألوا عن الطريق عند الحاجة ، وعززت رغبتهم فى أن يجاروا لداتهم فى الاستقلال بأمورهم . وقد تعلموا بسائط القراءة والكتابة والحساب ، كقراءة التعليمات التى تزودهم بها معلمتهم ، وتقدير المسافات بين مكان وآخر ــ المسافة من المدرسة إلى ناصية الشارع ثلاث عمارات تضاف إليها ثلاث عمارات أخرى من ناصية الشارع إلى البيت ، فالمجموع ست عمارات .

ثم تلا ذلك مشروع « الأسلاك والأجراس » ، وهو مشروع قائم على حركة التلفون يقصد به تحسين النطق والإفصاح ، وتعزيز الثقة بالنفس . فعهد إلى ممثل شركة التلفون أن يعلم الأولاد كيف يديرون قرص التلفون وكيف يتكلمون كلاماً واضحاً فيه . وفى دار الشركة أتيح لهم أن يراقبوا العاملات وهن يتلقين إشارات التلفون ، ففتنهم ما رأوه من وميض الأنوار على لوحة التحويل .

فلما عادوا إلى المدرسة صنعوا لوحة تمثل لوحة التحويل فى دار التلفون ، مستعينين بلوح من الورق القوىّ مطلى بدهان أسود من الميناء ، واتخذوا الأسلاك من أنابيب المطاط المنبوذة . وجاء جو ــ وهو صبىّ فى العاشرة من عمره وذكاؤه لا يكاد يبلغ نصف المستوى العادى ــ ببطارية جافة كان أبوه قد علمه كيف يصلها باللوحة ، فأضاءت المصباح الفرد الذى ركب عليها . وأخذ فتى آخر بكرة كبيرة وقطعتين من الصفيح وصنع منها سماعة تشبه سماعة التلفون .

وذات يوم أشار أحد الصغار إلى كتاب مفتوح عند صفحة فيها صورة وقال : « هذا تلفون » .

فأجابتهُ دون أن تنتبه إلى ما كان ، وقالت : « نعم ، هو تلفون » .

ولم تلبث أن أدركت أن الفتى الذى كلمها كان آرتشى ، ذلك الفتى الذى كان لا يعرف من الألفاظ سوى لفظين هما : « فنجان » و « صحفة » .

فقالت وهى تغالب نفسها حتى لا تشى بدهشتها وفرحتها : « ألا تقرأ لنا شيئاً يا آرتشى » .

فقرأ صفحة كاملة دون أن يخطىء أو يتعثر.

وكذلك ظلت مس شميت ثلاث سنوات وهى ترشد هؤلاء الصغار فى القيام بمشروع فى إثر مشروع . وقد أحال التلاميذ حجرة المدرسة إلى شىء جعلوه بالتخيل مخزن البقال حيث تجرى المعاملة بالأطعمة المحفوظة والملابس المستعملة ، والحلىّ المزيفة . وقد تعلموا بهذه الطريقة أساليب الانتفاع بمكتب البريد ، وإدارة مطعم . ومكتب لتخديم العمال المعطلين . وقد استطاعت مس شميت بما فطرت عليه من الصبر والحنان وحسن الثناء والتشجيع ، أن تستبقى شعلة الإقدام والمبادرة متقدة فى نفوسهم .

فما وافى ربيع سنة ١٩٣٤ حتى كان الفتى ذو القسمات المغولية ، الذى خبأ نفسه فى صندوق العدد والآلات ، قد أدرك من التعليم ما هيأه للسنة الخامسة الابتدائية . أما هيلين الشديدة الحياء المنزوية عن لداتها، فكانت قد حصّلت ما أهّلها للتخرج من المدرسة الابتدائية . وأصبح كل واحد من هؤلاء الصبية والفتيات أهلا للدراسة فى أية مدرسة عادية ، بعد أن كانوا مصابين بعلل فى العقل والعواطف ، تجعل المطابقة بينهم وبين بيئتهم شيئاً مستحيلا .

وبعد سنة من الدراسة العالية عيّنت مس شميت مدرّسة فى معهدٍ لأطفال ضعاف العقول يئس المعلمون من إصلاح أمرهم . فاختارت ٢٥٤ فتى وفتاة تتفاوت أعمارهم بين الثانية عشرة والرابعة عشرة ، ولم يكن بينهم من يزيد مقياس ذكائه على ٦٩ فى المئة، وكان متوسط ذكائهم جميعاً ٥١٫٧ فى المئة . وكل صغير يكون متوسط ذكائه أقلّ من سبعين فى المئة يُعَدُّ ضعيف العقل .

وكان رأى مس شميت أن تعلم هذه الجماعة من الصغار على طريقتها الأولى ، ولكن بدا لها أن تستعين هذه المرة بإحدى عشرة معلمة أخرى . وكان مذهبها أن الأطفال العاديين إنما يتعلمون أن يمشوا ويتكلموا بدافع من ذوات نفوسهم . أما ضعاف العقول فيعوزهم هذا الدافع ، فعزمت على أن تزوّدهم به .

فهذه إفلين الشديدة الحياء ، تستطيع أن تتكلم ولكنها لا تفعل ، فكانت تقيم يوماً بعد يوم فى حجرة تغيير الملابس تراقب لِداتها مراقبة المنزوى العابس ، فلم تحثها مس شميت على أن تنضم إليهم وتشترك معهم، بل تركتها عسى أن يحدث شىء يوقظ الاهتمام فى نفسها .

وذات يوم سمعت فتاة وهى تنادى أنها فى حاجة إلى بعض الدبابيس ، فما كان من إفلين إلا أن خرجت من الحجرة ووجدت الدبابيس وقدمتها إلى الفتاة الصغيرة .

فدهش الجميع مما رأوا ، وكان ذلك بدء فترة جديدة فى حياة إفلين . وقد ظلت تسدى إلى زميلاتها ما تيسر لها من الأعمال الصغيرة التافهة ، ولكنها دأبت على الامتناع عن القراءة . وذات يوم طلبت منها مس شميث أن تعاون إحدى المعلمات فى عمل فهرس للكتب ، وما عليها سوى أن تقرأ السطر الأول من كل كتاب حتى تستطيع المعلمة أن تسجله على بطاقة . فوافقت إفلين على ذلك لأنه لم يكن « قراءة » ، وما هو إلا زمن قصير حتى صارت تقرأ بصوت عال مع سائر الصغار ، وتستمتع بما تفعل .

وقد ابتكرت مس شميث طريقة بارعة لتعين الصغار على زيادة ما يعرفونه من مفردات اللغة ، فأنشأت لهم حقيبة، يضع فيها التلاميذ قصاصات من الورق كتبوا عليها كل لفظ جديد . فإذا صار عدد القصاصات فى الحقيبة مئة ، قسمت التلاميذ فريقين ، وأقامت بينهم مباراة لتتبين أى الفريقين أقدر على تعريف أكبر عدد من الكلمات الجديدة تعريفاً صحيحاً ، وعلى استعمالها فى جمل استعمالا سليما .

وفى ربيع السنة الثالثة ، دأب التلاميذ على مشروع عنوانه: « كيف ننتج طعامنا »، فصاروا يترددون على مستنبت قريب فيشترون البذور والفسائل ويزرعونها فى أصُص أعدت لذلك . وكان جون فتى فى الخامسة عشرة، وقد فتنه ما رآه فى المشتل، وذات صباح دخل على الفصل وصاح وهو يلهث : « لقد ظفرت بعمل فى مشتل مستر هورتن بعد ساعات الدراسة — والأجر ٢٢٠ قرشاً فى الأسبوع » .

فاستغرق ما تم لجون تفكير التلاميذ وحديثهم — عمل ينيلك مالا تشترى به ما تتمناهُ نفسك ! فما مضى أسبوع حتى كانت الفتاة هيزل تبيع فولا مملحاً فى دار للسينما ، وصار أنتونى صبياً يتعلم تنضيد الحروف بالآلة ، وما وافت نهاية السنة حتى كان ثلاثة أرباع الفتيان والفتيات يعملون بعض الوقت أعمالا شتى فى المخازن، أو مكتب التلفون ، أو دار للحفر — وكانت جميعها أعمالا ظفروا بها بأنفسهم دون وساطة أحد .

فلما انتهت فترة السنوات الثلاث ، دلَّ الاختبار على أن هؤلاء الصغار قد تعلموا ما يتعلمهُ غيرهم من الأطفال العاديين فى أربع سنوات . وكانت « الكتب » المفضَّلة عندهم يوم دخلوا مدرسة مس شميث تلك الصفحات الهزلية السخيفة التى تنشرها بعض الصحف ، فلما قاربوا النهاية صاروا يفضلون بملء اختيارهم الكتب التى يفضلها لذاتهم من أصحاب العقول السليمة .

وقد ظلت مس شميت ترعى هـذه الجماعة وترشدها خلال خمس سنوات أخر ، وكانت تختبر ذكاءهم مرة كل سنة ونصف سنة . فلما تمت فترة السنوات الثمان ، تبين أن ٨٠٫٧ فى المئة منهم قد زاد معدل ذكائه ٣٠ فى المئة ، وأن ٧٫٢ فى المئة منهم وحسب ظل معدوداً ضعيف العقل. وقد أتم ربعهم الدراسة الثانوية ، وأقبل عـدد منهم على الدراسة الليلية ، وظفر ٨٠ فى المئة منهم بأعمال تشغل وقتهم كله وتنيلهم ٣٢ ريالا فى الأسبوع على المعدّل ، وكان معظم أعمالهم كتابيًّا أو فنيًّا

ومس شميت على صغر سنها تستطيع أن ترتد بالذاكرة إلى أيام حافلة بالذكريات العجيبة ، ومن أحبها إليها ذكرى الفتاة كارولين يوم تخرجت ، فقد كانت كارولين يوم جاءوا بها إلى مس شميت فتاة شديدة الحياء شدة غير مألوفة ، فلما حاولوا أن يستدرجوها إلى القراءة أغمى عليها . فلما كانت حفلة توزيع الشهادات كانت كارولين هى رئيسة الحفلة التى أقامتها الطلبة ، وقدمت مدير المصارف إلى حفل يضم ألفاً ومئتين من الناس.

ثم إن مس شميت تذكر يوم جاءها الفتى بيتر ليودعها . فهذا أحد الفتيان الذين تولتهم بعنايتها وهو يكسب ٨٤ ريالا فى الأسبوع فى مصنع للسيارات ، وقد اشترى سيارة جديدة وعزم على أن يأخذ فيها أمه وشقيقته فى إجازة إلى فلوريدا . وقد كانت مس شميت تخشى فى سـنة ١٩٣٥ أن يعجز بيتر عن أن يتعلم الهجاء الصحيح، وها هو ذا اليوم شاب فى الرابعة والعشرين يقول لها : « أتذكرين ؟ كانوا يظنون أننى أبله ، فأحتاج إلى من يطعمنى بالملعقة، ولـكننى اليوم رأس الأسرة وعائلها » .



كيف تقدم العالم ؟!

أبى محرر صحيفة فى مدينة سبرنجفيلد أن يركب سيّارة من التى صنعت فى أول عهد السيارات لانها تحط من كرامة المحرر ــ واعترض المالى الكبير تشونسى ديبو اعتراضاً شديداً على ابن أخيه يوم أراد أن يشترى طائفة من أسهم فورد لأن « الناس لم يصنعوا شيئاً يتفوق على الحصان » ــ وأمر محافظ مدينة سنسناتى فى سنة ١٩٠٨ بمنع السيدات من قيادة السيارات لأنهن لاينصفن بمايؤهلهن لذلك .

الضحك : خير علاج

يعد مارك كونلى من كتاب المسرحيات المجيدين ، ولكنه كسول بطيء في التأليف ، وهو يتوخى الإتقان ويحاسب نفسه محاسبة دقيقة . وكان قد وعد أحد المخرجين أن يؤلف له مسرحية جديدة ، ثم انقضت سنة كاملة دون أن يسمع المخرج كلمة عن هذه المسرحية ، فنفد صبره وطلب كونلى بالتلفون وقال : « أين المسرحية ؟ فلا بدَّ من أن أختار لها الفرقة التي تكفل نجاحها » . فقال كونلى : « أنا ماضٍ فيها » . فسأله المخرج : « قل لى على وجه التدقيق ماذا أنجزت منها ؟ »

فقال كونلى : « أنت تعلم أنها مؤلفة من ثلاثة فصول وفترتى استراحة ، وقد فرغت لساعتى من إنجاز الفترتين » .

كان الخادم الفرنسيّ شديد النقمة على الرأسمالية ، وكان ينفق معظم فراغه يشهد اجتماعات الشيوعيين . وكان سيِّدهُ لا يحبُّ ذلك منهُ ، بيد أنه كان رجلا متسامحاً فلم يعترض عليه ، لأن الخادم كان يحسن خدمته . وذات يوم تبيَّن السيد أن خادمه قد كفَّ عن الذهاب إلى الاجتماعات الشيوعية فسأله عن السبب فقال : « فى الاجتماع الأخير الذى شهدته ، أقام الخطباء الدليل على أنه لو وزعت ثروة الأمة بالتساوى على جميع أفرادها لأصاب كلٌّ منهم ألف فرنك » .

فقال السيِّد : « ولِمَ كففتَ ؟ »

فقال الخادم : « لأننى أملك خمسة آلاف » .

عرض فلم جديد فى حفل خاصّ ، فكان فلماً ضعيفاً مملاً ، فحاول أحد صغار الموظفين أن يقول للمخرج العظيم كلمة يعبر فيها عن رأيه دون أن يثير غضب رئيسه ، فقال : « أيها الرئيس ، لو قطعت من هذا الفلم مقدار ألفى قدم ، لصار أقصر مما هو ولا ريب ! »

جمع أحد العصاميين ثروة كبيرة ، فقصده أحد الصحفيين ليستطلع سيرة حياتهِ وسر نجاحهِ فقال الغنىُّ : « لا أتردد مطلقاً فى إسناد الفضل إلى زوجتى لما أسدته إلىَّ من معونة » .

فقال الصحفىُّ : « وكيف أسدت إليك معونتها ؟ »

فقال الغنىُّ : « كنت دائماً والحق يقال ،

أسأل نفسى: أتراني أستطيع أن أظفر بدخل لا تستطيع هى أن تنفق أكثر منه ؟ »

النفى صديقان بعـــد فراق طويل ، فسأل أحدهما الآخر : « ألا تزال زوجتك جميلة على العهد بها ؟ »

فقال صاحبه : « لا تزال كعهدها ، ولكن زاد ماتنفقه على زينتها نصف ساعة ».

وخل الموظف مترفقاً وجلاً على رئيسه وقال له إنه مضى على زواجه خمس وعشرون ســنة ، أفيسمح له بيوم إجازة ليحتفل مع زوجته بهذا العيد ؟

فالتفت إليه الرئيس وقال : « ربّاه ، أينبغى لنا أن نعطيك إجازة يوم كل ربع قرن ؟ ! » .

سأل الأستاذ فى كلية الطب ، طالباً فى السنة الثانية : «مامقدار الجرعة من عقار معيّن ، لشفاء حالة بعينها » .

فقال الطالب : « ستّ قمحات » . ومضت دقيقة ، وإذا الطالب يقف ويسأل الأستاذ ، هل يأذن له أن ينقح ردّه . فنظر الأستاذ إلى الساعة وقال : « لك أن تنقح ردّك ما شئت ، ولكن يؤسفنى أن أنبئك أن أن المريض الذى أخذ الحبّات الست قد توفى إلى رحمـة الله منذ ٤٥ ثانيـة » .

جلس ثلاثة من الشيوخ يتباحثون فى خير طريقة يخرج بها المرء من هذه الحياة الدنيا إلى الآخرة . فقال الأول وعمره ٧٥ سنة ، إنه يؤثر أن يكون ذلك على عجل فيفضل أن يقتل فى حادثة سيارة مسرعة . ووافقه الثانى ، وعمره ٨٥ سنة ، على ضرورة العجلة ، ولكنه آثر أن يقتل فى حادثة طائرة من ذوات المحرّك النفاث .

وتمهل الثالث وعمره ٩٥ سنة ، وقال : « لعلّ رأيى خير من رأيكما . فأنا أفضل أن يرمينى بالرصاص زوجٌ غيور ! »

ظل أحد المقاولين شهوراً كثيرة يسعى إلى استيفاء دين له طال زمن استحقاقه ، ولكن كل ما توسـل به من مناشدة صاحبه وتهديده ذهب عبثاً لا طائل تحته ، فلجأ أخيراً إلى كتابة رسالة رقيقة تستدر الدمع ووضع فى الظرف مع الرسالة صورة لطفلته وكتب تحت الصـورة : « سبب حاجتى إلى المـال » .

وسرعان ما جاءته رسالة من صاحبه وقد طواها على صورة غانية فاتنة فى ثياب الاستحمام على شاطىء البحر وقد كتب تحتها : « سبب عجزى عن الدفع » .

إن القول بأن الطبيعة وهبت بعضنا ذاكرة جيدة ، وبعضنا ذاكرة ضعيفة لهو من لغو الكلام ، فالفرق بين الحالين إنما هو طريقة الانتفاع بتلك الهبة .

فى وسعك أن تتذكر

برونو فيرست

مختصرة من «ذى أميريكان مجازين»

أعرف رجلاً من رجال الأعمال لا يأتمن ذاكرته على رقم تلفون يطلبه مراراً كل يوم، فهو فى كل مرة يبحث عنه، وترى جيوبه منتفخة بما تحويه من المذكرات وسجلات المواعيد، يراجعها كل خمس دقائق. وإنه ليؤثر أن يُرى عارياً فى الشارع ، على أن يفاجأ وليس فى يده إضمامة وقلم لتدوين كل شىء يرغب أن يذكره .

وأستطيع أن أسرد آلاف الأمثلة على هذا الضرب من الناس. إن لهؤلاء جميعهم ذاكرات هى فى أساسها مثل ذاكرتى وذاكرتك على سواء، ولكنهم أبوا أن يثقوا بها ويعتمدوا عليها . فالذاكرة كمثل العضلة تقويها المرانة ، ويضعفها التعطيل والإهمال .

ويتوهم بعض الناس أنه على قدر ماتحويه عقولهم من المعلومات ، يشق عليها أن تتسع للمزيد . ويستندون إلى ذلك لكى يسوغوا لأنفسهم « عدم إرهاق عقولهم بحقائق غير ضرورية » ، ولكن علم النفس قد بيّن أنه كلما زاد ما تعرفه سهل عليك أن تستزيد من المعرفة. فالتعلم والتذكر يحصلان بالاقتران والتداعى . وإذا كثر ماتحويه ذاكرتك من المعرفة ، كثرت الأفكار التى تستطيع أن تقرن بها الأشياء الجديدة التى تودُّ أن تتذكرها . مثال ذلك أن من يعرفون عدداً من اللغات الأجنبية يؤكدون لك أن دراسة اللغة الثانية أسهل عليهم من الأولى . وأن دراسة السادسة أقل مشقة من الرابعة .

وهناك وهْمٌ آخر هو أن تذكّر شىء ما يقتضيك أن تنسى شيئاً قديماً بعد أن تبلغ مخزونات الذاكرة حداً بعينه، أى أن الذاكرة لها سعة محدودة. وهذا الرأى سخيف كالذى سبقه. والعلم فيما استطاع أن يصل إليه يقول إن سعة العقل البشرى ليس لها حدود .

والظاهر أنه إذا وقعت لك تجربة ، أو إذا تعلمت شيئاً ، فإن ذلك يثبت فى عقلك الباطن ثبوتاً لا يمحى . فقد مات فى أحد مستشفيات نيويورك رجل فى الثامنة والسبعين كان قد نزح إلى هذه البلاد من فنلندة وهو فى الخامسة ، فلما أصبح رجلاً

لم يتذكر كلمة واحدة من لغة أمه . وعلى رغم ذلك ظل يهذى باللسان الفنلندى ساعات فى مرضه الأخير . فهو لم ينس طوال تلك السنين الكلمات التى تعلمها فى طفولته ، ولكنه قطع صلته بها وحسب ، فقد ظلت ذاكرته واعية لها ، ولكنه لم يحسن أن يتذكر .

ودخل على طبيب يعد كريات الدم زميل له يسأله رأيه فى حالة مستعصية ، فاستبد به الاهتمام بها فنسى ما كان بيده من عمل . فلما خرج زميله الطبيب ، عاد هو إلى عدّ الكريات ، فوجد بجانب المجهر ورقة عليها العد تاماً محققاً ، وجمع الأرقام صحيحاً . فقد تولى عقله الباطن العمل حين كان عقله الواعى منصرفاً إلى موضوع آخر .

ويختلف الناس اختلافاً بيناً فى مقدرتهم على تذكر الأنماط المختلفة من المعرفة . دع شرطياً وسياسياً ومهندساً صحياً يزورون جميعاً مدينة غريبة عنهم ، تجد أن كلا منهم سيلاحظ ويتذكر أشياء مختلفة . ويفسر هذا الاختلاف بعض التفسير باختلاف الأشياء التى يهتم بها كلٌّ منهم .

ولكن الاختلاف يرجع أيضاً إلى اختلاف الوسائل التى تسهل عليهم إحراز المعرفة . فإذا كان أقوى ما فيك أذن واعية كنت حرياً أن تذكر رقم التلفون بالكيفية التى ينطق بها . أما إذا كنت ذا عين واعية فمن المحتمل أنك تذكره بالكيفية التى تراه عليها .

وليس من المصادفات أن يكون السياسى « جيم فارلى » ذا قدرة على أن ينادى آلافاً من الناس بأسمائهم ، أو أن يحمل المذيع « جون كيران » فى رأسه دائرة معارف كاملة من المعلومات المفيدة والمسلية . أو أن يكون « رسكو باوند » العميد السابق لمدرسة الحقوق بجامعة هارفرد ، قادراً على أن يخطب ساعات دون الرجوع إلى مذكرات ، ثم يذكر بعد ذلك خطبته كلمة كلمة .

وأنت أيضاً تستطيع أن تكون كمثل « فارلى » أو « كيران » أو « باوند » على شرط أن تكون مريداً أن تتجشم نفس الصعاب . وإذا أردت أن تكون ذا ذاكرة متوقدة مستجيبة حسنة التنسيق فينبغى لك أن تدربها على ذلك .

ومن أراد أن يكون ذا ذاكرة يعتمد عليها ، يجب أن يقف ربع ساعة إلى نصف ساعة كل يوم على رياضة ذهنه . ولك أن تجعل هـذه الرياضة أبسط ما تكون أو أعقد ما تكون ما دامت تدفعك إلى التفكير .

وإليك ثلاثة تمرينات عقلية بسيطة :

١ — أطلق لعقلك العنان بضع دقائق ، ثم حاول أن تعود بسلسلة أفكارك القهقرى إلى مبدئها . مثال ذلك أنك إذا جلست على

الشاطىء ، ورأيت زورقاً ذكّرك ذلك بالزورق الصغير الذى أهدته إلى ابنك عمته « كيتى » ، فتتذكر أنه يجب أن ترسل بطاقة شكر إلى « كيتى » ، فتتذكر أنك رأيت بطاقات مصورة جميلة فى أحد حوانيت القرية ، وأنه كان معروضاً مع البطاقات خريطة للطرق تبيّن المواضع الهامة التى يقصدها الناس فى رحلاتهم بالجهات القريبة من ذلك المكان ، ويهجس ببالك الأسف على أنك تركت سيارتك فى منزلك .

حاول الآن أن تقتفى أفكارك مبتدئاً بالرحلة فى السيارة ، ثم الرجوع إلى خرائط الطرق والبطاقات المصورة و « كيتى » والهدية والزورق . وقد تجد رجوعك القهقرى مع أفكارك إلى بدايتها صعباً فى أول الأمر ، إلا أنك لن تجد وسيلة أصلح من تلك الوسيلة لرياضة عقلك .

٢ — فكر فى حجرة تعرفها جيداً . صوّر لنفسك موضع كل باب ونافذة وقطعة من الأثاث فيها . أين الموقد وزر النور ؟ أعلى نوافذها ستائر مسدلة ؟

حاول أن تجعل صورة تلك الحجرة فى ذهنك أتمّ ما تستطيع . فإذا عدت إلى تلك الغرفة بعد ذلك حاول أن تتبين ماذا نسيت من محتوياتها .

٣ — تذكر بكل ما فى وسعك من الدقة ماحدث فى الساعة الأخيرة . أين كنت منذ ساعة مضت ؟ ماذا كنت تفعل ؟ فيمَ كنت تفكر ، وبماذا كنت تشعر ؟ ثم ماذا حدث؟ وعلى قدر ماتتوخى الدقة فى التفصيل فيما تتذكر ، كان خيراً وأفضل . حاول أن تدرس وجه الشخص الجالس بالقرب منك حينما تستقل قطاراً أو تراماً ، ثم أغمض عينيك وتخيّل أنك تصف هذا الوجه لصديق لك ، أو دوّن مساء فى عقلك قائمة بأسماء جميع الذين تحدثت معهم فى يومك واستعد كل ماقيل .

فإذا أخذت بهذه المقترحات أخذاً دقيقاً مدى أسابيع قليلة ، وجدت مقدرتك على تذكر الأسماء والوجوه تحسنت تحسناً بيناً . وقد تدهش حين تلقى نفسك قادراً أن تذكر العناوين وأرقام التلفونات قبل أن تبحث عنها .

وقد تجد أنك تستطيع أن تشترى كل ماتريده فى يومك دون الرجوع إلى كشف أعددته ودسسته فى جيبك ، وأنك تستطيع المحافظة على مواعيد طبيب أسنانك دون أن تحتال على التذكر بحيلة ما .

وإذا زادت ثقتك بذاكرتك ، ازددت ميلاً إلى الإقلال من الاعتماد على تلك الوسائل الخارجية ، وسرعان ماتصبح مستعداً أن تنبذ « العكازات » التى كان عقلك يعتمد عليها ، وأن تنهض على قدميك .

المصرف الذى أنشأه الشباب



رتشارد دمبولف
مختصرة من مجلة "بيك"

إذا اقتحم الشباب عالم المال انهارت سدود العرف والتقاليد ، وزادت الأرباح ، وانتهوا إلى إنشاء أكبر مصرف خاص فى العالم .

لما أنشأ أماديو بيتر جانينى مصرفه فى سنة ١٩٠٤ فى إحدى حانات سان فرنسيسكو، أشاعت أساليبه المستحدثة هلعاً فى نفوس أصحاب المصارف المحافظين . ففى ذلك الزمن كانت أعمال المصارف قاصرة على تقديم قروض كبيرة إلى فريق قليل من الناس ، فجاء مصرف جانينى الحديث فملأ قلوب التجار هلعاً بمشروع يقضى بمنح قروض زهيدة لعامة الناس ، تتيح لهم شراء ثلاجات وسيارات ومواقد وما يحتاجون إليه من أدوات المنازل . فقد وضع مشروعاً سماه مشروع «شيكات القروش» التى لم يكن مبلغ كل منها يزيد على قرشين ونصف قرش، فأتاح ذلك لمن لا مال له أن يستمتع بأبهة التعامل بالشيكات ، وأعان تلاميذ المدارس بمنحهم قروضاً بلا فوائد . وقد قال جانينى: « إننا لا نريد أن نكسب شيئاً من التلاميذ، لأننا نكسب ممن هم أغنى منهم ، غير أن التلاميذ يتعلمون بذلك درساً فى الاقتصاد لا ينسونه » .

وفى الوقت الذى لم تكن فيه المصارف الكبرى تجرؤ على معاملة شركات هوليوود، أقدم جانينى على إنقاذ المخرجين من أيدى المرابين الذين كانوا يضطرون إلى الاستدانة منهم رباً يبلغ عشرين فى المئة . وكان أول مبلغ غامر به ١٥٠,٠٠٠ ريال أقرضه لشارلى شابلن لإخراج رواية « الولد » . ومنذ ذلك اليوم بلغ مجموع ما أقرضه لمخرجى السينما أكثر من ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال .

وأغرب من ذلك ان المصرف قد سعى دائماً لترويج أعماله بالإعلان .

ويدل التقرير السنوى على أن خطة المصرف قد نجحت . ففى مارس سنة ١٩٤٦ بذّ مصرف « تشيس الأهلى » ، وأصبح

أكبر مصرف خاص فى العالم . وله اليوم ٥٠٠ فرع فى ٣٠٠ مركز بكاليفورنيا، ويبلغ مجموع موارده ٥٫٧٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال.

وقد بلغ أماديو جانينى السابعة والسبعين من عمره ، وقد وخط الشيب شعره ، ومع ذلك لا يزال يعنى بشئون المصرف ، مع أن ابنه هو الرئيس الذى لا يكلّ ولا يفتر . وقد يقضى هذا الشيخ بعض وقته فى فلوريدا أو جنوب كاليفورنيا يتمتع بالجو الدافىء ، أما فى سائر الأوقات فتراه جالساً إلى منضدته فى مكان لا يكاد يراه أحد ، فى الدور الحادى عشر من بناء المصرف بمدينة سان فرنسيسكو .

ولما أدخل أول مرة إلى المكتب المخصص لوكلاء رؤساء الفروع ، وهو مكتب مفروش بالطنافس مزين بالنقوش قال : « هذا إسراف » . ثم أدخلوه مكتبه الفخم وفيه مدفأة وحمام ورياش فقال : « هذا قفص » . ثم أمر بأن ينقل وكيله إلى ذلك المكتب ، وانتقل هو إلى غرفة واسعة مع سائر الموظفين .

وفى هذه الغرفة حيث يحيط به مرؤوسوه فيناديهم بصوته الجهورى ، يدير أعماله بلا جرس ولا حاجب . وهو يردّ على التلفون بنفسه ، ويستقبل كل من يدخل عليه ، ويتكلم بصوت عالٍ يسمعه الجميع ، ويقول إنه ليس لديه أسرار يريد كتمانها . وهو فضلا عن ذلك ، لا يقفل أدراج مكتبه .

أما ثروته ، وهى خليقة أن تكون عظيمة جداً ، فتقدر بثلثمئة ألف ريال فقط . وقد رفض مرتين أن يقبل مكافأة قدرها مليون ريال . ومُنِح مرة مبلغ مليون ونصف مليون من الريالات ، فوهبه من فوره لجامعة كاليفورنيا لإنشاء مدرسة للاقتصاد الزراعى . وهو يقول : « لماذا يجمع المرء الأموال الكثيرة لينفقها الورثة من بعده ؟ » . وهو لا يزال يقيم بمنزل بسان ماتيو اشتراه بخمسة آلاف ريال قبل الزلزال الذى أصاب تلك المدينة .

ولد جانينى من أبوين مهاجرين من أهالى جنوة فى غرفة قذرة بأحد فنادق سان جوزيه . ولما بلغ الخامسة عشرة أخذ يطوف بأودية كاليفورنيا يسوق مركبة يجرّها جوادٌ ، ويشترى بقولا لحساب زوج أمه .

ومنذ عهد قريب عيّن شاب فى الثانية والعشرين من عمره فى منصب رئيسى فى أحد مصارفه الفرعية ، فعقّب على تعيينه بقوله إنه حديث السن . ثم استدرك قائلا : « إن تعيينه يوجب على أن أعتزل العمل . وقد نسيت لحظة أنى كنت مديراً ناجحاً وأنا فى الثانية والعشرين »

إن مصرف جانيني يعنى كل العناية بالآراء المبتكرة ، والوقوف على هذه الآراء يقتضى الاتصال بالشبان الذين قد تجرّدت عقولهم من قيود العرف المتوارث ، فهو يعدّ لذلك مصرفَ الشبان . وقد تسير مسافة طويلة فى دهاليزه المفروشة بالرخام ، فلا تكاد تقع عينك على موظف قد وخط الشيب شعره . ويبلغ عـــدد موظفيه ١٣٫٧٥٠ بينهم ١٠٫٦٠٠ موظف لا يزيد عمر أحدهم على ٣٩ سنة . ونصف رؤساء الفروع (ويبلغ عددهم ٢٤٥٠) تختلف أعمارهم من ٢٤ سنة إلى ٣٩ سنة .

ولما أنشأ جانيني مصرفه كان فى الرابعة والثلاثين من عمره، وكان قد خلف حماه فى مجلس إدارة أحد المصارف بسان فرنسيسكو. فقد بَرِم ذات يوم بسياسة ذلك المصرف العقيمة ، فاقترح تعديلها ، فلم يوافق أصحاب المصرف على ذلك فقال لهم: « إذن فسأنشىء لنفسى مصرفاً خاصاً » .

فاقترض من أصدقائه ، من فلاحين وزراع وتجار ، مبالغ صغيرة بلغ مجموعها ١٥٠٫٠٠٠ ريال ، وشرع فى العمل فى حانوت صغير ، واتخذ أحد عمال الأرصفة مساعداً له ، وأطلق على محل عمله اسم « مصرف إيطاليا » وأخذ يعلن عنه بالبريد. ثم أغرق الشـــوارع والطرق والأودية بالإعلانات ، وأقام على الباب جماعة ينادون المارة ليغروهم بإيداع أموالهم فى المصرف .

ولم تمر سنتان حتى أصبح مصرف إيطاليا يتعامل بما قيمته مليون ريال .

ولما قوّضت الزلزلة مدينة سان فرنسيسكو جمع جانيني مليونى ريال من أموال المصرف وودائعه ، ووضعها على مركبة من مركبات نقل البقول ، وخرج من المدينة متحدياً النيران واللصـــوص . وبينا كانت النيران لا تزال تتقد ، عاد إليها وفتح حانوتا وأخذ يقرض المال لكل من يتوسم فى وجهه الأمانة والاستقامة ممن كانوا يريدون إصلاح حالهم. وكان عمله هذا من العوامل التى ساعدت على تجديد بناء سان فرنسيسكو .

وبعد سنة كان بعد نظره وحسن تصرفه أكبر عامل ساعد مصرف إيطاليا على اجتياز أزمة سنة ١٩٠٧ التى تقوضت فيها أركان عدة مصارف . وكان قد طاف بالولايات الشرقية فأبصر نُذُر تلك الأزمة ، فجمع ذهباً كثيراً وتمكن من دفع ودائع جميع زبائنه المذعورين كاملة .

ومن يومئـــذ ذاع صيته ، فما وافت سنة ١٩١٥ حتى أنشـــأ فروعاً لمصرفه فى المدن الصغيرة ، ليتمتع أهلها بمزايا وجود مصرف بينهم . ثم غير اسم مصرفه وسماه « مصرف أمريكا » فنما واتسع .

ولم تجر الأمور كما كان يتمنى . ففى سنة ١٩٣٠ ارتكب غلطة كبيرة ، فقد اعتزل العمل وترك المصرف فى يد رجل يسمى إليشع ووكر . فبينما هو فى أوربة إذ بلغه أن ووكر قد أعلن أن « شركة ترانساميركا » التى تشرف على المصرف قد وسّعت أعمالها أكثر مما يجب ، وأنه أخذ يحاول أن يتخلص من أسهم كثيرة ومنها أسهم المصرف نفسه . فما كان من جانينى إلا أن عاد أدراجه مسرعاً عن طريق كندا. وقبل أن يسمع أحد بوصوله ، طاف بكاليفورنيا من أولها إلى آخرها يجمع توكيلات من أصحاب الأسهم، وعقد هؤلاء اجتماعاً عاماً كانت نتيجته عودة جانينى إلى رئاسة المصرف بأكثرية مطلقة . وكان عليه أن يشرع من جديد فى اكتساب ثقة زبائنه ، وقد نجح فى ذلك .

وفى نحو ذلك الوقت اقترح عليه ماتيسون، وهو رجل فى الثلاثين من عمره ،أن يقدم قروضاً للذين يرومون شراء سيارات أو ثلاجات أو طيارات أو آلات راديو أو ما إلى ذلك بأقساط معينة ، وبنفس الفائدة التى تؤخذ عن القروض التجارية . فأعجبت هذه الفكرة جانينى . وفى أمريكا اليوم مصارف كثيرة تسير على هذه الخطة .

وقلما تجد مؤسسات مالية تشجع الشبان وتحفزهم إلى العمل كمصرف جانينى . وسجلات هذا المصرف طافحة بالروايات الدالة على نجاحه .

على أن طريق النجاح ليس دائماً سهلا ، فالحياة جهاد والطريق شاق . فعلى صاحب المصرف الذى يريد النجاح أن يتلقى دروساً فى نظم المصارف ، ثم ينفق أوقات فراغه فى الاتصال بالناس .

إن سرّ نجاح كل موظف هو سجله المدوّن فيه كل عمل يقوم به فى داخل المصرف وخارجه . ومخترع هذه الطريقة رجل يدعى ماير ، وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره ، وقد دخل خدمة المصرف فى سنة ١٩٣٦ ، ومنذ عهد قريب عُيّن سكرتيراً للمصرف . وقد أسفرت الطريقة التى استنبطها عن الكشف عن كثير من الناجحين ، ومنهم فرانك دانا الذى دخل المصرف ساعياً وهو فى الخامسة عشرة من عمره ، واتضح أنه كان فى أوقات فراغه يدرس قانون المصارف ، فلما سنحت الفرصة عُيّن فى وظيفة عالية . وقد أكب ذات يوم على دراسة بعض مستندات المصرف القضائية ، فاتضح له على ضوء بعض المبادىء القانونية الجديدة ، أن المصرف ينفق جانباً كثيراً من الأموال هو فى مندوحة عن إنفاقها . وعرض دانا هذا الرأى على كبار

الرؤساء ، فأدى ذلك إلى مناقشـــات ومجادلات كثيرة أثبتت صحة رأيه ، فجنب المصرف تبذير نحو مليون ريال سنوياً ، فلم يلبث أن رُقى إلى وظيفة عالية . ولما كان فى التاسعة والثلاثين من عمره عين نائباً لرئاسة جميع الفروع .

ويقول جانينى لكل موظف : « لاتدع سمو مركزك ينسيك من هم أصغر منك » . فتراهم جميعاً يتبعون هذه النصيحة .

ويعرف مصرف جانينى بمصرف «الرجل الفقير » ، فهو يمد يد المعونة لستين فى المئة من مخازن كاليفورنيا ومستودعاتها ومعاملها ، وهو يقدم أكثر من ثلاثة آلاف قرض صغير كل يوم . والأعمال الصغيرة التى تتم فيه تســـد الجانب الأكبر من النفقات .

وفى الشتاء الماضى اجتمعت جماعة من الشبان ذوى الهمة والنشاط ممن لا يزيد عمر أحدهم على الأربعين ، فأقلعوا على ظهر مركب إلى مانيلا حيث ينوون أن ينشئوا فرعاً للمصرف . وقد أعد للموظفين مكان خاص ، وقدمت لهم جميع التسهيلات المالية ، فإذا نجح هـــذا المشروع فستنشأ فروع للمصرف فى جهات أخرى . وهنالك طائفة من الشبان يستطلعون الأحوال ليروا أمن الحكمة إنشاء فروع فى إنجلترا وشمال غرب أوربة وفى أمريكا الجنوبية ؟ وهم جميعاً كجانينى نفسه ، يتقدون غيرة وحماسة وكدحاً فى سبيل عملهم .



كلمات يهتدى بها

● إذا سادت التقوى على القلب ، ساد الجمال فى الطباع والأخلاق . وإذا ساد الجمال فى الطباع والأخلاق ، سادت الألفة فى البيت . وإذا سادت الألفة فى البيت ساد النظام فى الشعب . فإذا ساد النظام فى الشعب ساد السلام فى الأرض .

[مثل صينى]

● الحسد هو الشىء الذى يغرينا بقالة السوء فى الصالحين قبل قالة السوء فى الأشرار .

● الحسود هو الذى يزرى بكرامة نفسه ببذل جهد خسيس لا جدوى معه فى سبيل انتقاص الناس والنيل منهم .

[أرشيبولد رتلدج]

نهر اللمف - نهر الحياة !

هنرى مورتن روبنصن

مختصرة من مجلة "هايجيا"

منذ في ثنايا الجسم البشرى كله شبكة عجيبة من الأوعية الدقيقة الشفافة تشبه في مظهرها الوشى المحبوك ، وهى تتخلل الجلد وما تحته من الأنسجة . فهذه الشبكة هى الجهاز اللمفى الذى قل ما يعرفه الناس عنه . وفى مجاريه الدقيقة يسرى سائل عجيب فى لون القش ، هو اللمف ، فيقوم فى مسراه الهادىء الرفيق ، بكثير من الأعاجيب الكيميائية الحيوية التى تصون صحتك وتدفع الأذى عنها .

ولعلك رأيت بنفسك أعجوبة صغيرة من هذه الأعاجيب وأنت لا تدرى . فقد أصيبت إصبع بجرح ، وأهمل الجرح يوماً ، وإذا قطرة من سائل أصفر شاحب تنز من الجرح . فهذه قطرة من اللمف ،وهى مثقلة بخلايا تؤدى عملا خاصًا ، تعين الكريات البيض على قتل مكروبات الأمراض.

فإذا تغلغلت العدوى فى الإصبع ،وصارت أعمق من الجرح نفسه ، قبض الجهاز اللمفى على المكروبات الغازية ، وحملها إلى أقرب عقدة لمفية فى البدن ، فتبذل هناك محاولة أخرى للقضاء عليها . وهذه العقد اللمفية تتفاوت حجماً من مثل حبة بذور الكتان إلى مثل حبة الفول ، وهى تولد الكريات اللمفية ، وهذه الكريات ضرب من الكريات البيض التى تعد جزءا من أهم أجزاء كفاح المرض فى الدم ، وتكثر العقد اللمفية فى أرجاء الجسم ،وهى أغزر ماتكون فى العنق،وأصل الفخذ والإبطين،والأمعاء.

وقد خلقت هذه المرشحات الآلية ، لالتحجز المكروبات وحدها، بل لتحجز حطام الخلايا الهالكة أو كل مادة غريبة أخرى تدخل الجسم. وقد وصفها أحد علماء الفسيولوجيا بأنها « صناديق زبالة الجسم » فأصاب .

بيد أن وظيفة الوقاية الخطيرة التى لا غنى للجسم عنها ، ليست سوى جزء صغير من المهمة التى يؤديها اللمف . إن الحياة نفسها رهن بهذا السائل الذى يشبه الدم فى تركيبه الكيميائى شبهاً كبيراً ، ولكنه ليس دماً بلا ريب ، فهو يأخذ من الدم ويردُّ إليه فى الحين بعد الحين . ولكنه فى الفترة بين الأخذ والرد ، يؤدى عملا فسيولوجيًّا عجيباً بوساطة شبكته الخاصة . وهذا العمل هوأنه يستنقذ من الضياع المواد الزلالية الجوهرية، فهذه المواد هى اللبنات التى يبنى منها الجسم.

ولولا الجهاز اللمفى وحرصه على جمعها ، لكانت خليقة أن تضيع . وإليك مايحدث بأسلوب مبسط :

تحت ضغط الدم الناشىء فى القلب ، تتحلب السوائل من جدران الأوعية الشعرية — وهى أدق أوعية الدم — فتحمل الغذاء إلى الأنسجة ، وتمتص منها فضولها. وهذه السوائل مؤلفة من جزيئات المواد الزلالية والأملاح والماء . وسرعان ما تعود الأملاح والماء إلى الأوردة فتردها إلى القلب . ولكن المواد الزلالية لا تستطيع أن تعود مباشرة إلى الأوردة ، فينشأ عن ذلك حالة تنطوى على شىء من الحرج . فإذا تراكمت هذه المواد الزلالية فى الأنسجة، أفضى تراكمها إلى أذى الأنسجة التى تحيط بها ، فينبغى أن توزَّع على سائر أنسجة الجسم حيث تمسُّ الحاجة إليها .

وإذا مجارى اللمف تمتصُّ ، كأنها الورق النشاف ، ذلك السائل المحمَّل بالفائض من هذه المواد عن حاجة الأنسجة . فيجرى اللمف بعد ذلك نحو مركز الجسم خلال أوعيته الخاصة المنفصلة كل الانفصال عن أوعية الدم من أوردة وشرايين . ففى الأمعاء تحمل أوعية اللمف مستحلباً دهنيًّا من الأطعمة التى غيرت كنهها العصائر الهاضمة.

أما وقد حمل اللمف بالمواد الزلالية والدهنية ، فهو على أهبة ليعود إلى تيار الدم . وقد زوِّدت قنوات اللمف بصمامات دقيقة فى جوفها تحول دون ارتداد السائل نحو الأنسجة التى خرج منها . فاللمف لا يجرى إلا فى اتجاه واحد — نحو القلب.

بيد أن اللمف يختلف عن تيار الدم الذى يعتمد فى جريانه على قوة القلب الدافعة، فليس ثمة قوة تدفع اللمف، فمسراه يتوقف على عضلات الجسم وحركات التنفس ليس إلا . فقنوات اللمف مثلا تلتفُّ حول عضلات الذراعين والساقين ، فإذا انقبضت هذه العضلات ثم انبسطت، أحدث انقباضها وانبساطها ضغطاً على أوعية اللمف . أما فى الأمعاء فالأمر يحتاج إلى قوة عظيمة لدفع المستحلب الدهنى الثقيل إلى فوق ، فتحدث

أعجوبة تعدّ من أغرب أعاجيب الفسيولوجيا، ذلك بأن أوعية اللمف تلتفّ حول أعظم شريان فى الجسم — الشريان الأبهر ، الأورطى — وتنتفع فى دفع اللمف بالنبض القوى المنبعث فى ذلك الشريان الضخم .

وتيار اللمف يجرى عادة فى قنواته جرياناً بطيئاً ، ولكن فى الإمكان حثه على السير بالرياضة والتنفس العميق والتدليك ، فيفيد الجسم والصحة من ذلك مزايا لاريب فيها .

وقبل أن يصل اللمف إلى الباب الذى يفضى إلى القلب ، ينسكب تيار اللمف الرئيسى فى وريد كبير ، فبذلك تتجمع صفوة الأطعمة المهضومة وتفرغ سائلة فى تيار الدم ، بأسلوب بيولوجىّ باهر وإن كان غير مباشر .

على أن هذا السائل الأصفر الشاحب لا يفتأ يمرّ فى أثناء سيره بعشرات الألوف من محطات الترشيح القائمة على الطريق ، هى عقد اللمف . وهذه الغدد عرضة لمحن شديدة ، فالالتهاب فى اليد يؤدى إلى ورم مؤلم فى غدد اللمف التى فى الإبط ، وقد يؤدى التهاب يصيب القدم إلى تورم غدد اللمف فى أصل الفخذ . فهذه هى الطبيعة فى نضالها حتى تهلك المكروبات التى تغزو الجسم . فإذا لم يكتب لها النصر فى هذا النضال ، اقتحمت المكروبات طريقها إلى تيار الدم ، فتحدث تسمّم الدم .

وقد يحدث أحياناً أن تنتقل العدوى من المكروبات المحجوزة إلى عقد اللمف ، فتلتهب التهاباً حادًّا ، ينتهى إلى خرّاج ، فيتحتم يومئذ أن تستأصل الغدة الملتهبة . وتحجز عقد اللمف أيضاً خلايا السرطان ، ولكنها قد تصبح هى موضعاً يتكون فيه ورم سرطانىّ جديد . ومن أجل ذلك ينبغى أن توجه العناية فى علاج السرطان إلى غدد اللمف التى ترشح اللمف الوارد من المكان الذى نبت فيه السرطان أولا .

وجهاز اللمف له أمراضه الخاصة به ، ففى داء الفيل مثلاً يندسّ طفيلىّ دقيق كالخيط فى قناة من قنوات اللمف، فتعوق جريانه فيها بعد خروجها من الأنسجة ، فتتورّم الساقان وتمتلىء ماء ويسمك جلدها ويخشوشن .

ولكن معجزة اللمف فى الجسم السوىّ توحى بسؤال : « ترى ماذا يحدث لو عاق عائق ما هذا السائل الحيوىّ عن العودة إلى الدم ؟ » . وقد وجد العلماء جواباً شافياً عن هذا السؤال فى حالة امرأة شابة طُعنت فى عنقها . فقد مزّق الجرح مجرى اللمف الرئيسى فى طريقه إلى القلب ، فأصيبت المرأة بنقص خطير فى وزنها ، وتضعضعت قواها بسرعة حتى صار الموت أقرب إليها

من حبل الوريد . ثم أصلح مجرى اللمف المقطـوع بجراحة ، فعاد اللمف يسرى فيه ويصبُّ فى تيار الدم ، فما هى إلا بضـعة أسابيع حتى استردت وزنها الطبيعى،وصار فى وسعها أن تبرح المستشفى فى صحة تامة.

يجرى نهر اللمف ـــ حيث لاتراه عين ولا تســـمعه أذن ـــ بين خلايا أبداننا وأعضائها ، فيغمرها بسائل قلوىٍّ لا غنى عنه لحياتها.وهو جهازٌ من أعجب الأجهزة التى تمكن الجسم من المطابقة لما يحتاج إليه حتى يحتفظ باطنه بتعادُله ونشاطه . وهو أداة تعين على البقاءِ ، متعـددة النافع ، توحى بالجـلال كالدم نفســه الذى ينبع اللمف منه ، ثم يعود إليه فيغذيه ويصونه ، بأســلوب من أغرب ما تكشف عنه علم وظائف الأعضاء .



أيها الصديق !

كان الـكلب من كلاب البوليس الـكبيرة ، وكان يقود سيدة على عينيها نظارتان سوداوان ، فاجتاز بها ردهة فنـدق كبير حتى وقفت أمام مكتب التسجيل ، ونادت الـكاتب بصوت يشى بالوجل ، فقال الـكاتب : « هذا مكتب التسجيل يا سيدتى ، أفى وسعى أن أسدى إليك خدمة ؟ »

فبدا على وجهها كأنما سرى عنها ، وتقدمت قليلا حتى صار أنف الـكلب ملاصقاً أو يكاد لخشب المكتب ،وقالت بصوت لطيف أغن: « أريد حجرة »

فقال الـكاتب متأثراً مما رأى : « يؤسفنى يا سيدتى أننا لا نرضى بنزول الحيوانات على رواد الفندق ; ولعلك تستطيعين أن تتركيه مع صديقة لك ».

فقالت: «لست أعرف أحداً فى هذه المدينة.ثم إننى فى حاجة إلى ملازمته لى».

فتردد الـكاتب وقال « إذا حفظته فى حجرتك ... »

فقالت غير مترددة : « احفظه فيها» .

وبعد ساعات أدهشنى أن أراها فى بهو الفندق ، ولم يكن الـكلب معها ، ولا كانت تلبس نظارة سوداء ، والتفتت إلى وقالت وهى تضحك : « لعلك تظنين أنى فتاة دأبها الـكذب والخداع ، ولـكننى لم أجد بدا من أن أبقى الـكلب معى ، ولم يسعنى أن أبقيه مع غريب ، فهذا الـكلب من المحاربين القدماء ، والكلب ، لا أنا ، هو الأعمى » .

[فرجينيا كوبر]

هذه مقالة تكشف لأهل الشرق العربي عن مواطن النقص في التعليم الأمريكي ، وتفتح لهم سبيل الإصلاح في تعليمهم .

ما نفع هذه المدارس ؟

فيليب وايلي

مختصرة من مجلة "نيوزويك"

مناهج التعليم في الولايات المتحدة إنه قد ملأت قلوب العالم يأساً من صلاحها . فما أنت بمحتاج إلى أن تتعمق الأشياء حتى تتبين ما لحق الحياة العقلية في أمريكا من العَجْز ، وما أصاب الحياة الأخلاقية من خَوَر وضعف . فإن ثلث عقود الزواج مثلا في هذه البلاد ينتهي أمره إلى الطلاق . والبيت الأمريكي يسير بخطى حثيثة ، لا إلى أن يصير سكناً وملاذاً لأسرة أفضل وأقوم ، بل إلى أن يصير فُنْدُقاً أو محطّة ليس إلا . وشباب أمريكا شباب لا يبالون بنظام يتبعونه ولا بواجب يؤدونه، والفسق هو الأصل لا الشذوذ في حياة البالغين المتبرمين الساخطين . وقد امتلأت ملاجيء البله وضعاف العقول ، ونكاد المجانين في البيمارستانات . حتى لقد انتهى العجز بأهل أمريكا إلى أنهم أخفقوا في تدبير مساكن كافية للناس يسكنونها .

ويفخر الأمريكيون بأنهم ليسوا لصوصاً يبغون على الناس ، بيد أنهم يرتكبون أشنع البغي على أبنائهم وأحفادهم . فقد عمد هذا الجيل إلى الأرض التي ستكون وطناً لهؤلاء الأحفاد ، فاستنفدوا كل ما فيها من منابع الثروة — من شجر وتربة ونفط وحديد ورصاص ونحاس وقصدير ، لا لشيء إلا ليشنوا حروباً كان يمكن تجنُّبها بالحكمة والشجاعة ، وليصنعوا أيضاً سيارات تبتلي مليون نفس بالتشويه في العام الواحد .

وهذا الفساد الذي يعيث في أمريكا يضاعف شرّه جنون الناس بالرغبة في

---

* فيليب وايلي ناقد لكتبه رواج عظيم ، وقد ذاع صيته بأنه يستثير سخط قرائه ولكنه يحملهم على التفكير . وهو ينقد التعلم في أمريكا نقداً مفصلا ، ويكشف عجزه عن تنشئة رجال ونساء تم نضجهم ، وحسن تفكيرهم، واستوت أخلاقهم، واتسعت معارفهم ، وصاروا أهلا لحمل التبعات .

« تجديد الطراز » ، إذ يحملهم ذلك على نبذ الشيء قبل أن يستهلك أو يلحقه البلى . وقد أفرطوا في صيد الأسماك من مساحات رحيبة في البحار حتى خلت من أسماكها ، ولوّثوا الأنهار بما تقذفه فيها المرافق والمصانع ، وتطغى الفيضانات في كل سنة على مساحات واسعة من الأرض ، وتهب الرياح على الأرض العارية فتنسف ترابها نسفاً .

فليت شعري كيف اتفق أن يصاب ١٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة من البشر بهذا القدر من قصر النظر ؟ وكيف عمى هذا الخلق كله عن حقيقة أنفسهم بأنهم أنصار الحرية وأبطالها ، فصاروا قوماً لا همّ لهم إلا طلب السلامة والأمن ؟

إن السر كامن في الناس أنفسهم ولا ريب ، ولكنك إذا تتبّعت أصل هذا الفساد وهذا الانحلال ، فربما انتهيت إلى مكامنه في المدارس . واعلم أنك يوم يخطر ببالك أن تسأل نفسك : ما سر العيب في مدارسنا ؟ فكأنك سألت : ما سر العيب في أنفسنا نحن ؟

كان للمدارس الأمريكية في القرن التاسع عشر هدف جوهري واضح ، هو أن تعلم الحرية — أي معناها وتبعاتها ، وأن تعلم أهل البلاد لغة آبائهم وأمهاتهم حتى يتيسر لهم أن يفكروا تفكيراً قويماً ، وأن يتفاهموا تفاهما بينا سليما ، وأن تزود الناس بأصول المعرفة القائمة على الحقائق العلمية ، وأن تهيء للصغار قدراً من النظام لا غنى عنه في توطيد قواعد النظام في أخلاق الشباب البالغين .

وكانت مدارس هذا القرن مدارس يقوم بناؤها على تقدير المعرفة والحكمة حق قدرها ، وعلى أن التعلم هو نفسه أعظم مكافأة ينالها الإنسان . وكان أساتذة هذه المدارس أعظم أهل جماعتهم قيمة وقدراً واحتراما ، وكانت الكتب تعدّ شيئا نفيسا غالياً . إنها كانت مدارس جدّ تخرج رجالا ونساء في أخلاقهم جدٌّ يتيح لهم أن يحملوا على عاتقهم كل عمل يتولونه بإتقان وشجاعة . وكان المتعلم في تلك الأيام يعرف علوم عصره وتاريخه وسياسته وحوادثه .

وفضلا عن ذلك ، فإن رجالا كأمثال جفرسن ولنكان ، ممن فهموا فلسفة الحرية ، كان في وسعهم أن يفصحوا عنها بألفاظ تنفذ في سدود الزمن العاتية ، وتكون ثروة للتاريخ نفسه .

فمن البين إذن أن أول فساد لحق المدارس الأمريكية هو ما أخذ يتفشى في ألسنة طلبتها من العيّ واللكنة ، فالمتخرج من المدارس الأمريكية قد بلغ من ثقل لسانه ، ولحنه في الكلام ، وضعفه في البيان ، مبلغاً جعله لا يملك الأداة التي يفكر بها تفكيراً سليما معقولا ، أو يعبر بها تعبيراً

صحيحاً بيناً . وأصبح عقله عاجزاً ، لأن المدرسة لم تمكنه من الأداة التى يفكر بها، وهى اللغة . ولقد بلغ من عجزه أنه صار لا يعرف كيف ينعم التفكير فى شئون عشيرته ومشاكلها . ويكاد يكون كل أمريكى هو هذا الرجل الذى وصفت لك.

فلما أخفقت هذه المدارس فى بلوغ هدفها الجوهرى ، وهو تعليم البيان والإفصاح ، أخفقت فى كل شىء جملة واحدة . نعم إن فى أمريكا أحسن ما فى العالم كله من أسباب التفاهم والتواصل ، ولكنها لم تستطع أن تنتفع بها كبير انتفاع ، فقد انقضت على شمول التعليم الحر الإجبارى ١٥٠ سنة ، فإذا بنا نرى أن أسباب هذا التفاهم والتواصل بين الأمريكيين لا تزيد على الإذاعات الرخيصة وروايات السنما التافهة . فأنت خليق أن تتوقع أن كل جهد يبذل فى تعليم الحقائق والأفكار لشعب أبكم معقود اللسان فارغ العقل ، إنما هو جهد يذهب فى غير طائل .

وهناك مصيبة أخرى : هى أن المدارس الأمريكية نفسها قد فقدت هيبتها . ومن الممكن أن تعزو ضياع هذه الهيبة إلى أن المثل الأعلى الذى كان يجعل للتعلم مقاماً سامياً فى القرن التاسع عشر ، قد طرح جانباً وأحِلّ محله مثل أعلى آخر هو التقدم فى التوسع المادى . فقد صارت المدارس الأمريكية تعد تعليم التجارة وأساليبها أول عمل خلقت له. بيد أن معرفة المرء بالتجارة لا تغنيه شيئاً ولا تؤهله أن يكون إنساناً مثقفاً بين عشيرته وفى بلاده . فلما أوغلت المدارس الأمريكية فى هذا الهدف حتى صارت مدارس للمهن والحرف ، تضاءل ما كان لها من سلطان وهيبة .

وإذا نظرت إلى عامة المتخرجين من هذه المدارس رأيت أنهم لم يزالوا يسمعون فيها ويتعلمون أن أمريكا أرض مباركة طيبة كادت تبلغ أقصى الكمال ، وأن هذه الولاية التى يعيش فيها الطالب هى أنبل الولايات وأكرمها ، وأن عشيرته التى تؤويه هى خير عشيرة فى هذه الولاية . وهذا بلا جدال إفساد للتعليم، ولا يمكن إلا أن يكون دعاية صرفاً .

ومن أجل ذلك لم يقتصر أمر الأمريكيين على أن يكونوا قوماً كأهل القرى فى ضيق الفكر ، يعيشون فى عالم يجهلونه كل الجهل، بل صاروا أيضاً كأهل القرى فى معاملة بعضهم لبعض . فالأمريكى فرد يدين لعشيرته أولا بالولاء ، ثم لا يحس إلا فى الحين بعد الحين أنه أحد سكان هذه البلاد الواسعة المترامية الأطراف . وهذه العصبية الحمقاء الضيقة ، قد جعلت سواد الأمريكيين أهل غرور

وتفاؤل يعميانهم عن رؤية النقص البالغ والأخطار الماحقة فى خاصة أمور ولايتهم أو عامة أمور دولتهم .

وعلى قدر انحطاط مستوى التعليم انحط مستوى مرتبات المعلمين ، ففراش المدرسة يكسب من المال أكثر مما يكسبه بعض المعلمين . وأنت ترى اليوم أن هيبة المدرسة وأجور المعلمين قد بلغت من الانحطاط مبلغاً ردّ كثيراً من الناس عن صناعة التعليم ، حتى أصبحنا لا نجد منهم قدراً كافياً لحاجة المدارس ، فما ظنك إذا عزمنا على أن نجدد هذه المدارس ونرفع من شأنها ؟

والغرض من التعليم ، فيما أرى ، هى أن نرقى بالأطفال إلى سن البلوغ حتى يصيروا رجالا ونساء لهم قدرة على البيان والإفصاح ، ويكون لهم فى أنفسهم نظام لا يتعدونه ولهم قدرة على حسن التفكير ، وعندهم معارف وافية ، ولا يتملصون من حمل التبعات . وسعادة المرء تقوم على أساسين من أخلاقه : ثقته بنفسه وثقته بالناس . وقد كانت مدارس أمريكا فى القرن التاسع عشر تحاول أن تغرس هاتين الصفتين فى نفوس طلبتها ، يوم كانت لهما قيمة لا ريب فيها ، ويوم كان الظفر بهما شيئاً محبباً مطلوباً .

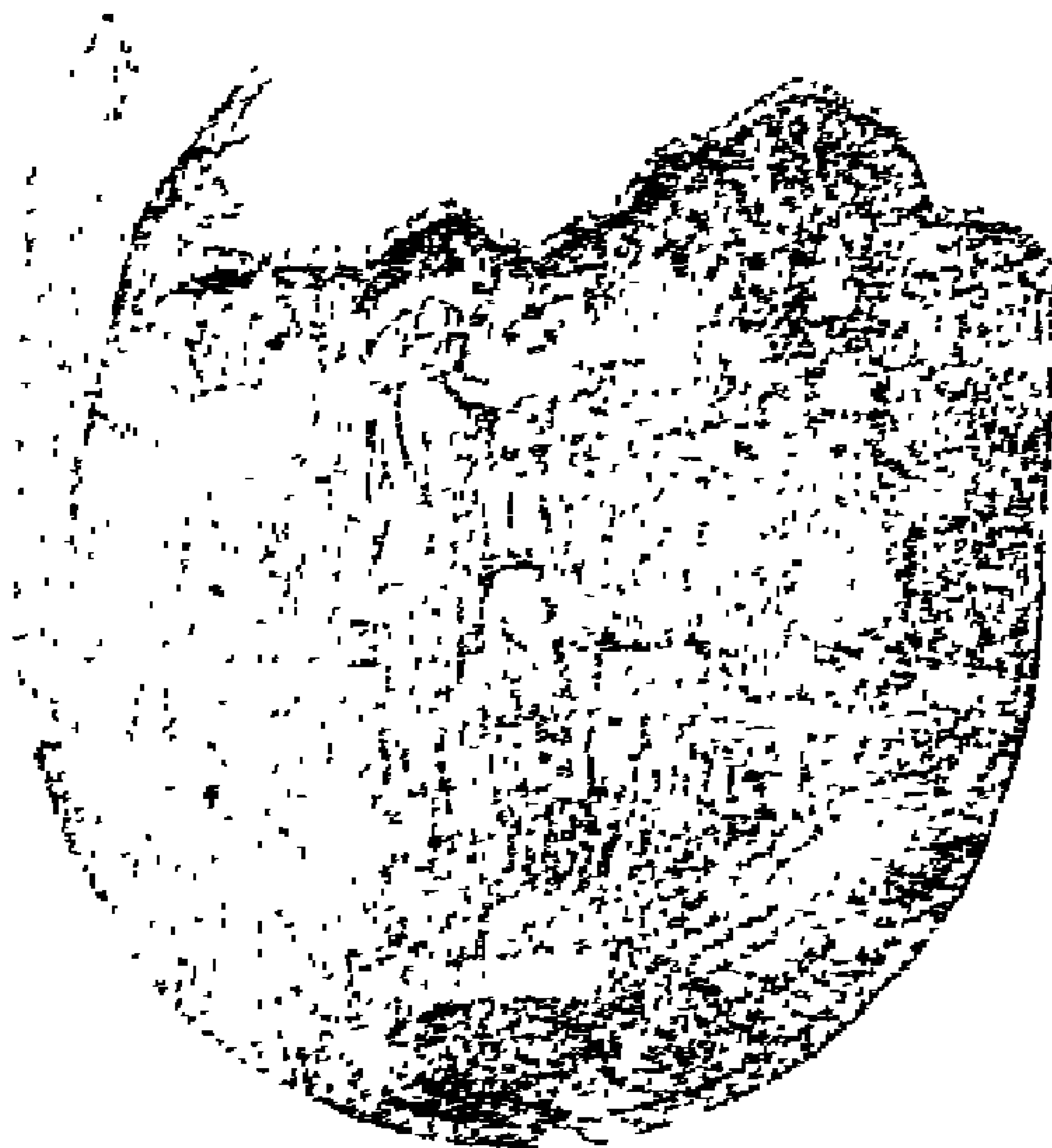
أما اليوم فلو نظرت لوجدت أنه لم يبق لنا من هذا المثل الأعلى إلا طلب التقدم المادى . فالأمة الأمريكية اليوم هى أمة من الأطفال يأبون أن يشبُّوا عن الطوق والأشياء التى تملأ قلوب الصغار مسرة وحبوراً لا تزال هى أهم مايدخل السرور على الكبار من الأمريكيين ، كضروب الرياضة والحفلات والأساطير الملفقة التى تخرجها السينما ،والروايات الغنائية السخيفة،والمجلات القصصية والهزلية. بل إنك تراهم يستعملون سياراتهم كما يستعمل الأطفال عربات اللعب .

إن الرجل المثقف هو الرجل الذى تم نضجه ، وقوام نضجه هو قدرته على البيان والإفصاح ، وعلى فهمه للمبادىء العامة لا على معرفته بالآلات التى يتلهى باستعمالها ، وعلى الحق لا على النفخة والأبهــــة . والرجل المثقف لا يكف عن الاستكثار من الحق ومن العلم ما عاش ، وحبه لبنى جلدته من البشر حبٌّ صادق لا نزوةٌ من النزوات ، ثم هو يعبر عن حبه بالفعل لا باللسان . إنه رجل أهل لأن يوثق به ، وهو رجل ينصر نفسه بحرصه على نصرة الحرية التى هى أصل الأصول كلها .

فمن حق أمريكا على نفسها وعلى سائر الدنيا أن تضع نهجاً جديداً للتربيــة ، وأن تنشىء جيلا جديداً على هذا النهج .

مغامرات امرأة

مختصر كتاب « مسز مايك »



تأليف
بنديكت و نانسي فريدمان

قصة رائعة فيها سيرة فتاة في السادسة عشرة من عمرها ، تزوجت شرطياً كندياً وخرجت معه إلى المناطق الشمالية القاسية ، وهي قصة حافلة بروائع المغامرة والحب .

وقد كتب ناقد صحيفة بوسطن جارب يقول : « إن كتاب « مسز مايك » حافل بكل ما يهز النفس — من روعة وأسى ورشحات إنسانية ، وفيه شيء من وداعة النفس والرحمة . وقلما تجد في الكتب شخصية كشخصية « مسز مايك » فهي على حقيقتها تفوق خيال القليل . وقد روى المؤلفان قصة « مسز مايك » على لسانها كما روتها لهما . وبعد أن نشرت هذه القصة مسلسلة في مجلة « أتلانتك منثلي » طبعت في كتاب صار من أروج الكتب التي نشرت في هذه السنة .

مغامرات امرأة



قال لى رفيق فى السفر – وهو شيخ من أسكتلندة – إنه لم يشهد مثل هذا الشتاء القارس منذ خمسين سنة ، وأنا لم أبلغ من العمر إلا ستة عشر عاماً ، ولكنى لم أجد ضيراً فى تصديق شهادته عن السنين التى مضت قبل أن أولد . وتراكم الثلج على نوافذ القطار وتسابقت فى السماء كسف من السحاب الثلجى تسوقها عاصفة هوجاء تبلغ سرعتها ٦٠ ميلا، ونزلت الحرارة إلى ما دون الصفر ، وتوالى هبوطها .

وكنت قد غادرت مونتريال منذ ١٨ يوماً انقضت فى سفر مضن ، ومقصدى الذهاب إلى خالى جون فى مدينة كالجارى ، ذلك لأن الأطباء فى مدينة بوسطن – حيث أقيم مع أمى – قرروا أن الجو البارد الجاف يفيد صدرى .

وأخيراً وقف القطار بمحطة كالجارى ، ورأيت على الرصيف رجلا طويلا أسمر ، عيناه تشبهان عينى أمى ، فأقبل على يبتسم ويقول : « أنت كاترين مارى ؟ » فحضنته وقبلته وقلت : « أرجو أن تكون أنت خالى جون » .

فأجاب : « نعم . أنا خالك جون » . ثم أخذ يتأملنى ملياً وقال : « ما أشبهك بأمك ! »

وجاءنى خالى بمعطف من الفرو ثقيل فارتديته فوق معطفى ، وأخذت مكانى فى عربته ، فألقى على ركبتى غطاء من الصوف وتناول الزمام وسرنا ، فخيل إلى أننا نطير ، وأخذ الثلج ينهمر بغزارة ، والرياح تلهب وجوهنا كالسياط .

ولم نصل إلى مزرعة خالى إلا بعد يومين ، ولم أكد أبلغها حتى لاحظت فرقاً محسوساً فى الجو فقلت له : « إن وجهى قد أحس الدفء يا خال » .

فقال : « بعد قليل سيتحول مهب الريح وسترين بنفسك تقلبات الجو هنا » .

ونمت تلك الليلة وفوقى غطاء ثقيل ، فلما طلع الصباح طرحته عنى إذ هبت طوال اليوم رياح دافئة ، واصطبغت السماء بلون أحمر قان .

فقلت له : « ماذا حدث يا خال ؟ أيقبل الربيع عندكم هكذا فجأة ؟ »

فأجاب : « هذه رياح قادمة من الغرب

تدفعها التيارات اليابانية ، فإذا وصلت إلى السهول بدأ الثلج فى الذوبان » .

وبعد يوم واحد اختفت الثلوج ، فإذا الأرض مخضرة بالعشب ، ولم ينفك ذوب الثلج يتساقط أينما أدرت عينى ، من على الأغصان والفروع وسطوح الأكواخ .

وعلا ماء النهر وطغا على الحقول فى بعض الأماكن ، وهدد بالغرق قطعان الماشية التى ترعى على شاطئيه ، فخرج خالى وعمال المزرعة وساقوها إلى مكان أمين ، وعادوا وهم صامتون والإعياء بادٍ على وجوههم ، وأخذت أعد لهم القهوة فشربوها ساخنة واستراحوا .

وسأل سائل : « كم رأساً خسرنا ؟ »

فأجابه آخر : « مئة رأس تقريباً » .

فقال خالى : « خسارة ما كدونالد أبلغ من ذلك » .

فقلت : « ماذا حدث ؟ »

فشرب خالى جرعة من القهوة وقال : « لقد غرقت الماشية ، فإن قطع الثلج سدت النهر فطغت مياهه على الحقول ، وقد اضطررنا من أجل إنقاذ الماشية إلى النزول فى ماء يبلغ صدورنا ويتوالى ارتفاعه » .

فانقبضت نفسى وأغمضت عينى لكيلا أرى صورة آلاف من الماشية المضيّعة وقد دهمها الفيضان ، وكنت قد رأيتها فى هذا الصباح عينه ترعى العشب آمنة مطمئنة .

وقال أحد الرجال : « يحدث هذا كل عام ، والغالب أننا ننجح فى إنقاذها . وفى بعض الأحيان لا ندركها فتموت ، فإن الرياح الدافئة تدهمنا فجأة » .

تلك إذن هى طبيعة هذه المنطقة الشمالية .

كنت فى المطبخ ذات يوم أعد كعكة ، فإذا بطرق خفيف على الباب ، ودخل شاب طويل يرتدى بذلة حمراء ، ويحمل رجلا على ظهره فصرخت : « رباه ! أهو ميت ؟ »

فضحك الشاب وألقى حمله على المقعد وقال : « ستدلك أنفك على حاله » .

فأدركت أنه مخمور ، وسألت الشاب : « من يكون الرجل ؟ »

فأجاب : « هو جونى فلاهرتى طباخ خالك ، والقهوة الساخنة تنفعه فأعديها له وأسرعى » .

فاستدرت نحو الشاب ، فرأيتنى برغم طول قامتى أرفع إليه وجهى لأكلمه وقلت له : « أشكرك على مجيئك به إلينا ، ولكنى أرجوك أن تنصرف ، فلا أحب أن أتلقى أمراً من شرطىٍّ بريطانى » .

فقال : « هل أنا شرطى بريطانى ؟ وما الذى جعلك تظنين هذا الظن ! »

وبدا الغضب على وجهه ، وإنه لوجه وسيم ،

ثم قال : « أنا الجاويش مايك فلانجان من قوة شمال كندا » .

وجاء خالى وصافح الشرطى بود وقال له: « إذن هكذا يؤوب جون إلى الدار » .

فأومأ مايك برأسه وذهب خالى إلى الحجرة المجاورة حيث كان مايك قد أرقد جونى فى فراشه ، وارتفع صوت خالى وهو يعنف طباخه بكلام شديد ، فشعرت بشىء من الحرج لسماع مايك تلك الألفاظ النابية التى كانت تنطلق من فم خالى ، ولكن مايك أخذ يعلق على كلمات خالى بضحكات عالية ، فتملكنى الغضب ووضعت على المائدة ملعقتين اثنتين فحسب ، فأدرك ما أقصده وضحك مقهقهاً ، فوقفت أمامه أتحداه وقلت: « ما الذى يضحكك أيها الجاويش ؟ »

فقال : « أنْ أجد فتاة مثلك فى مقاطعة ألبرتا » .

وعاد خالى وجلس ثلاثتنا لتناول العشاء ، وكان طبق الحلو هو الكعكة التى أعددتها ، فقضم منها خالى قضمة وبدت فى عينيه نظرة غريبة ، ووضع الشوكة ودفع مقعده إلى الوراء ، وكذلك فعل مايك ، وقال وهو يبتسم إلىّ :

« يا جون إنك حينما تبدأ فى تدريب كاتى على إطلاق الرصاص ، لن تجدها فى حاجة إلى ذخيرة . . »

فقلت له : « ولماذا ؟ »

فأجاب : « يكفيك فتات هذه الكعكة فإنها أصلب من الرصاص ! »

فقضمت منها قضمة كبيرة فأحسست كأنما أمضغ حجراً صلداً ، وتصنعت أنى أبلع ما مضغته دون أن يدل فمى على أنى لم أفعل .

وقام مايك يحيينا لينصرف ، فلم أرد على تحيته ، لأننى لم أستطع النطق بها ، فتناول يدى ومال علىّ حتى مس شعرى خده وقال : « أبصقى ما فى فمك — وأجيدى خبزها فى المرة القادمة » .

وجاء مايك ذات يوم إلى المزرعة ووقف بالباب وهو يبتسم وفى يده هدية ملفوفة ، فلما فتحت الربطة رأيت فيها سروالا ثقيلا مما يرتديه الصيادون ، فقلت له محتجة : « ولكن هذا سروال رجال ! »

فأجاب : « ارتديه ، فلن آخذك للصيد فى مثل ثوبك هـذا . . » وأشار بازدراء إلى الثوب الملوّن الذى أرتديه .

وسرنا على شاطىء غدير ، ودرنا حول التلال ، وصعدنا فى الجبال ، وقال مايك : « إنك تمشين كالرجال ! » وفهم كل منا أنه أراد إطرائى .

وبلغنا قرار نهير فى الغابة تحفُّ به أشجار عالية ، ورأيت بقايا جذوع بعض الأشجار

بعد أن قطعت بطريقة عجيبة ، ذلك أن جذع الشجرة يحزّ حتى يصبح على شكل مخروط مدبب الرأس، وهمس مايك يقول : « اقتربنا من موطن القنادس ! وسترين سدودها عما قليل » .

وسرنا بضع خطوات ، وجذبني مايك إلى جانبه وقد وقف على حافة صخرة ، وأخذت أتأمل سدوداً من الأخشاب والحصى وفروع الأشجار والطين قد حبست ماء النهير حتى أصبح بركة واسعة .

ووقفنا صامتين برهة طويلة نتأمل ونترقب، وأخيراً طفا قندس على سطح البركة وأخذ يعوم وذيله يقوم عنده مقام السكان للسفينة ، ثم تسلق الشاطىء وأخذ يسير على رجليه ، إذ كان على يديه حمل من الحصى والحجارة .

فقلت هامسة : « ما أشبهه برجل قزم ! »

فأجابني : « هذا هو الوصف الذي يطلقه اليابانيون على هذه الحيوانات فيسمونها : قبيلة الأقزام » .

وفجأة قفز مايك من مكانه وكان يتطلع إلى رأس النهير ، وبدا الغضب على وجهه ، فرأيت على مقربة منا شيئاً يشبه عصا صيد الأسماك راقدة على سطح الماء وفي آخرها مصيدة ، واقترب منها قندس فأطبقت عليه ، وارتفعت العصا فجأة عن الماء وقد تدلى منها ذلك الحيوان المسكين وهو يصرخ ويداه عالقتان بالمصيدة .

وفي تلك اللحظة انقضّ عليه صقر كبير فصرخت ، وولى مايك ظهره وقال :

« لنعد من حيث أتينا » ، ولكني أبصرت ما تحاشى هو رؤيته ، إذ اقتلع الصقر عينيّ القندس من محجريهما . وحطم مايك العصا وأرقد الحيوان على الأرض ، وحملني إلى حافة الغابة حتى لا أرى شيئاً . وبعد لحظة سمعت صوت طلق ناري ، وعاد مايك ولمس شعري برفق ، فأخذت أبكي وأقول : « سالت عينا هذا الحيوان المسكين وهو حيّ ! » .

فقال مايك: « لاتلق بالك إلى ما رأيت ، فإن هذا لا يحدث كثيراً ، لأن أغلب المصايد توضع تحت سطح الماء ، فإما أطبقت على القندس ، وإما أفلت منها وهو سليم . أما هذه العصا التي تعلو وتنتصب حين تنطبق المصيدة فاختراع شرير قلما يستعمله أحد هنا » .

وتناول مايك يدي بين يديه وحاولت الابتسام وانهمرت الدموع على وجنتيّ فانحنى مايك وقبّلهما .

لبثت أسبوعا أحاول استرضاء خالي ليأذن

لى بالذهاب مع مايك إلى حفلة الرقص التى ستقام فى مزرعة أومالى ، وكان يجيبنى كل مرة بقوله : « دعينى أفـكر » .

ولما جاء مايك ليصحبنى إلى الحفـلة كان خالى لا يزال يفكر ، وأخيراً قال إنه سيعلن رأيه بعد عودتنا من حفـلة الرقص ، فضحكنا لمزاحه، وامتطينا جوادين وانطلقنا .

وعدنا بعد منتصف الليل ، ولم يحاول مايك تلك الليلة أن يقبلنى ولو مرة واحدة، ووجدنا خالى جون ينتظرنا وقال : « لقد جاوزت الحدود يا مايك » .

فأجابه: « أعلم ذلك، وأريد أن أحدثك فى الأمر فوراً » ، ثم نظر إلىّ وقال : « لا تغادرينا » ، فوقفت وأنا أتوقع أن ينطلق خالى فى تعنيف مايك ، ولـكن مايك هو الذى تـكلم أولا وسأل خالى أن يأذن بزواجنا ، فلم ألبث أن طوقت عنقه بذراعى وأنا أقول : « أحقاً ما تقول يا مايك ؟ » فرفع يدى عن عنقه وقال : « نعم ، أريد » .

ثم التفت إلى خالى وسأله: « والآن ماذا تقول يا جون ؟ »

فأجابه خالى: «لن أوافق يامايك، فأنت لن تلبث أن تعود إلى المنطقة الشمالية القاسية، ولا يرضيك أن تصحبك فتاة رقيقة مثل كاترين مارى إلى تلك المنطقـة » .

وساد الصمت برهة ، ثم استطرد خالى يقول: « أنت تعلم كل العلم يا مايك أنك خير من أرضاه زوجا لها ، ولـكن أمها هى التى عهدت بها إلىّ ، ولا أظنها توافق على زواجها بك فإنها صغيرة السن معتلة الصحة ، وأعتقد أنه ينبغى لها أن تعود إلى بوسطن » .

فوجهت كلامى إلى الاثنين قائلة: « أوَليس لى أن أقول شيئاً فى هـــذا الأمر ؟ » ، ثم قلت لمايك : « إذا كنت تحبنى فأخبرنى بذلك فوراً ، وإذا أردت أن تتزوجنى فاسألنى أنا أولا، فقد أرضى وقد لا أرضى » .

فأقبل علىّ مايك ، وأخذ يهمس فى أذنى بحيث لا يسمعه خالى: «إننى أحبك يا كاتى، ولم أكف عن حبك منذ رأيتك. وأظنك تعلمين هذا، وسأعمل على إسعادك ولو ضحيت بحياتى فى سبيلك . إننى أريد أن تصبحى زوجتى » فالتفت إلى خالى قائلة: «سأتزوجه» ولـكنه كان قد انصرف .

وكتبت إلى أمى أخبرها أننى سأتزوج مايك فى المزرعة يوم الأحد التالى ، وكنت أعلم أنها لا تملك نفقة السفر لحضور ليلة عرسنا، وكان مايك قد تلقى أمراً بالعودة إلى مقر وظيفته بجهة هدسن هوب وهى تبعد عن نهاية الخط الحـديدى الواصل إلى مدينة

أدمونتون بمسافة ٧٠٠ ميل تقطع بالزحافات التي تجرها الكلاب ، وهي رحلة تستغرق ما بين شهرين إلى ثلاثة أشهر .

وكنت أرهب هذه الرحلة ، ولكنى كتمت خوفى ، وكتبت لأمى أقول إننى جد سعيدة . نعم فقد كنت سعيدة حقاً ، ومولهة بحب مايك .

وبدأنا الرحلة من أدمونتون فى رفقة قافلة من زحافات الكلاب تحمل بعض التجار والصيادين وموظفى شركة خليج هدسن . واشتد البرد منذ أول يوم ، وهبطت الحرارة إلى الخمسين تحت الصفر بحساب فارنهايت ، وهيهات للأغطية مهما ثقلت أن تبعث الدفء فى جسمى وأنا جالسة فى الزحافة ، وكم كنت أودّ أن أنزل منها ثم أجرى حتى يدب الدفء فى جسمى . ولما اقتربنا من أتاباسكا تبدل الجوّ ، فقد سكن الهواء وتراكمت السحب فى الشرق ، ولما مالت الشمس أحاطت بها فجأة حلقة من ضوء فضىّ ، ولم تلبث أن ظهرت فى وسط هذه الحلقة الهائلة أربع حلقات أخر مضيئة يسطع من كل واحدة منها نور وهاج كأنها شموس أخرى .

وقال مايك : « نحن نسميها كلاب الشمس ، وقد رأيت منها مرة ست عشرة حلقة حول الشمس كأنها جراء حول أمها ، وهى نذير بهبوب عاصفة ثلجية » .

وانهمر الثلج وحبسنا فى أتاباسكا يومين كاملين قبل أن نتمكن من مواصلة السفر .

وكانت محطتنا التالية قرية (تايلورز فلات) حيث تقيم أسرة هوارد ، وهى من أصدقاء مايك ، وقدمت لنا صاحبة الدار فى العشاء فولا وبيضاً مجففاً وبرقوقاً مجففاً . وراعنى أثناء العشاء عواء كأنه نحيب يرتفع شيئاً فشيئاً حتى يتحول إلى صرخة مدوية ، ولم يلق أحد من أصحابنا بالاً إليها ولا انتبه لها . ثم عاد العواء من جديد وعلا شيئاً فشيئاً حتى أحسست بالصرخة الأخيرة تكاد تمزق قلبى . وردّدت أصوات أخرى هذا العواء ، واشتد واختلط حتى صار عواء واحداً ، إنه قطيع من الذئاب يصرخ من الجوع .

وارتعش بدنى وانهارت أعصابى ، وأخذت أتتبع ارتفاع العواء حتى إذا بلغ قمته اندفعت أصرخ أنا أيضاً . ونظر إلىّ الرجال وقد أخذتهم الدهشة ، ولكنى أخذت أصرخ وأصرخ ، وقفز مايك من مكانه ووضع يده على كتفى وقال : « كفى يا كاترين » ، فوجدت فى كلامه صرامة لم أعهدها فيه من قبل ، فأقلعت عن

الصراخ ولـكنى أخذت أضحك ثم أبكى فى ثورة عصبية .

وفجأة أدركت سبب ما حلّ بى . لم يكن الخوف من الذئاب هو الذى حركنى ، بل ما وجدته فى العويل من شكاية الوحدة ومن مرارتها ، ولهذا صرخت أنا أيضاً وبكيت معهم ، إذ كنت أشعر أنا أيضاً بالوحدة ، إذ افتقدت أمى وأسرتى وإخوتى وحننت إليهم ، ولم تفارقنى ذكراهم بعد أن انقضى علىّ شهران دون أن تمس قدمى إلا أرضاً مترامية الأطراف لا يتبين فيها طريق ، تغطيها الثلوج ، ويخيم عليها شبح الفناء والوحدة القاتلة .

ولما انفردت بمايك طوقت عنقه بذراعىّ وهمست : « إننى سعيدة يا مايك . إننى أحبك حبًّا صادقاً وأنا سعيدة بذلك ، ولا أدرى كيف حدث منى ما حدث » .

بيد أنى رأيت فى وجهه الكآبة والحزن كأنما اعتزم أمراً لا يحبه وقال : « سأعود بك يا كاتى صباح الغد » .

ولم يغمض لنا جفن تلك الليلة لما كان يساورنا من الأفكار ، ثم صحبنى عند مطلع النهار ولـكن لا ليعود بى من حيث أتينا ، بل لأواصل السفر معه . وحينئذ شعرت أننى أصبحت زوجته حقاً ، وأدركت أن هذه الأرض المتراحبة البيضاء ووحشتها جزء لا يتجزأ من حياة مايك ، وقلت لنفسى : « إذا كنت تحبين مايك فستحبين أيضاً كل ما حوله » .

ولما اقتربنا من هدسن هوب وجدت الأرض تزداد جمالا ، وكنا نسير فى باطن النهيرات المتجمدة ، تمر بنا على الجانبين سلسلة من تلال بين صغيرة وكبيرة . وأخيراً وقع نظرنا على هدسن هوب حيث نلقى عصا الترحال .

ورأيت فوق رَبْوةٍ مخزناً لشركة ثلج هدسن ومن حوله أكواخ الصيادين قد خفيت بين أشجار مثقلة بالثلوج، وعلى مقربة منها سفوح الجبال قد غطتها أزهار الثلوج وأشجار الصنوبر ، وفى ناحية الشمال يجرى نهر « السلام » .

وبعد أن تناولنا عشاء ساخناً فى دار حارس المخزن، أخذنى مايك إلى دارنا بين أشجار الصنوبر وراء المخزن . ورأيت الدار تشتمل على حجرة كبيرة وحجرتين للنوم ، وفيه موقد للتدفئة وللطبخ معاً ، وهو نوع من المواقد شائع فى تلك المنطقة. ووجدت فوق الفراش غطاء من جلد البقر، وفى الجدران بعض الشقوق مسدودة بالأعشاب . وأبصرت من النافذة ذلك الـكوخ الذى أعد ليكون مكتباً لمايك ، وهو فى الوقت ذاته محكمة المحلة ومستشفاها.

فسألته : « أيقصـدك الناس هنا إذا ما مرضوا ؟ »

فأجابني بهدوء : « إننا على بعد ٧٠٠ ميل من أطراف العالم المتمدين ومن أقرب طبيب » .

« ولكن ألك خبرة بالطب ؟ »

« علمي به قليل، وقد اشتريت بعض كتب طبية من كالجاري » .

فنظرت إلى الرجل الذي أصبح زوجي وأدركت أنه ليس بالجاويش فحسب ، بل إنه رجل ينهض بأعمال خطيرة في تلك المنطقة .

ويبلغ سكان تلك المحله ، سوى الهنود ١٣٥ نفساً كان أغلبهم قد خرجوا للصيد حينما وصلنا . وقدمت إلينا من التل ذات يوم قافلة من الزحافات ، فصرخت بمايك : « انظر يا مايك ؟ » وأخذنا نرقب هذه القافلة من الرجال والكلاب تقطع السهل مسرعة ، وانتشرت الزحافات فوق سفح التل ، حتى رأيت فيها خمسين رجلا يسابق بعضهم بعضاً ، وقد تكدست أكوام من الفراء في الزحافات .

وأقبلت النساء من الناحيـة الأخرى مسرعات لتحية القادمين ، فإنهن لم يرين رجالهن منذ سبعة أشهر . ولما اقترب الجمعان تريثت النساء ، ثم أخذت كل واحدة منهن تسير بجوار رجلها وهو لا ينفك يرمى إليها من الزحافة ، دون أن ينبس بكلمة ، قطعاً من الفراء . وثارت نفسي حينما رأيت أحد الهنود يفك عن الزحافة أحد كلابه ويربط زوجته مكانه بين بقية الكلاب ، وما لبثت المرأة أن شاركت الكلاب في الجر ، وسارت الزحافة ببطء وسط القافلة .

فقال لي مايك : « إن نساء الهنـود شديدات القوى ، فقد ألفن هـذا الجهد سلالة بعد سلالة منذ ألف سنة » .

ولما انقضى الشتاء اشتاقت نفسي إلى أن أخلع ما ألبسه من ملابس الرجال الثقيلة ، فأرتدي بدلها ملابس النساء ، ولكن هذه الأمنية لم تتحقق ، وظللت في تلك المنطقة أرتدي ملابس الرجال طـوال الربيـع والصيف وموسم البعوض، لأنها خير وقاية من أسرابه اللعينة . ووضع مايك شباكا على النوافذ ، ولكن عيون هذه الشباك ، برغم دقتها ، لم تمنع تسرب هذا البعوض إلينا وهو يطن طنينه .

واستجاب مايك لرجائي ، فطفق يدرب الهنود على استعمال هذه الشباك ، ويفهمهم أنها تنجيهم من الأمراض لو علقوها على نوافذهم وأبوابهم . وقد سـألته : « أتعتقد أن هـذه الشباك ستغير من أحوالهم كثيراً ؟ »

فأجاب : « نعم ولا ريب » .

وخيل إلى أن جوابه فاتر يدل على أنه لا يؤمن كثيراً بما يقول .

وذهبت فى الأسبوع التالى أزور أوميمى زوجة زعيم الهنود ، فوجدت طفلها فى ركن الحجرة راقداً على خرق بالية يهز رجليه الصغيرتين ليطرد عنهما أسراب البعوض والذباب، ورأيت فى إحدى رجليه جرحاً عميقاً دامياً ، فإذا انقطع عن هز رجليه حط البعوض والذباب على الجرح ليلغ فى دمه ، فأشرت إلى النافذة وقلت : «أين الشباك التى وضعها الجاويش مايك؟»

فابتسمت وتركت الحجرة ثم عادت ومعها عدد من ملابسها ، فرأيت أنها قد اتخذت هذه الشباك زينة لأذيالها .

وقال لى مايك ذات يوم : « لا تعرف هذه المحلة لافتات الشوارع أو جنود المرور . والناس يهتدون بالشمس فى النهار وبالنجوم فى الليـل ، ويعرفون منها مرور الوقت والاتجاه كما يعرفون منها أيضا تغيرات الجو » .

وكنت راقدة بجوار زوجى ذات مساء نرقب النجوم ، فأدركت فجأة أنى قد نلت من القوة والعافية ما يجعلنى أنسى صدرى وسعالى أسابيع طوالاً ثم قلت لزوجى : « ستصير أباً عما قريب ! »

فضحك وقال لى : « ما أخبثك ! كيف كتمت الأمر عنى ! »

وفى أحد الأيام قضيت ساعات أعمل فى الحديقة وقد سكن الهواء وانتشر الضباب فحجب الشمس إلا قليلا ، واصطبغت أشعتها بلون برتقالى ، وأخـذت أستنشق ملء رئتى من الهواء ، فشممت رائحة دخان ، وأدركت أن هناك حريقاً من جهة ما ، فأسرعت إلى مايك .

وسمعت وأنا أجرى إلى مكتبه عدو كلب ورائى ، ولـكنه لم يكن كلباً ، بل كان قطة كبيرة منتفشة الشعر . فعزمت على مواجهتها ، ورأيتها قد تدلى لسانها ولمعت نظراتها ، ثم استدارت واندفعت تعـدو مسرعة فسقطت عند جذع شجرة . وقد تملـكتنى الدهشة إذ رأيت نمساً مخططاً يطارد هذه القطة الوحشية ، فمثل هـــذه الأخطار هى وحدها التى تدفع تلك الحيوانات الضارية إلى الخروج إلى المسالك التى يطرقها البشر .

وكان الدخان حينئذ قد اشتد وتساقط الرماد فوق الطريق وأقبل مايك يجرى إلىّ ، وجذبنى نحوه وقال : « اذهبى إلى النهر يا كاتى » ، ورأيت سترته الحمراء تختفى عن ناظرى وهو يسير فى اتجاه قرية الهنود ، فدعوت الله أن لا يصيبه مكروه .

وازدحمت ضفة النهر بنساء ليس فيهن إلا من تجرّ طفلا أو تجذب طفلا أو تحمل طفلا . ونزل بعضهن إلى النهر حتى بلغ الماء خصورهن ، وتعالى صراخ الأطفال وبكاؤهم.وسرت مع الضفة ونزلت أنا أيضاً فى النهر فغمرنى ماؤه البارد ، وأخذت أسير بجانب الضفة جيئة وذهاباً حتى ألف جسدى برودة الماء . وسمعت صوتا ينادينى فإذا هى ليولا الهندية زوجة أحد الصيادين ، وكانت تحمل على كل ذراع طفلا ، وتشبث بأذيالها طفل ثالث وهو يصرخ ، فحملته على ذراعى .

واشتدت لفحة النيران فغطست فى النهر وتبعتنى ليولا ، وبدت لنا من خلال سحب الدخان أشباح الرجال وهم يعملون فى إطفاء الحريق فى طرف الغابة وراء مبنى الشركة ، ولكن النار ما لبثت أن اتصلت ببابه الخلفى ودب فيه الحريق، وأصبح النهر هو الحاجز الوحيد بيننا وبين النار .

ولم يطل تردد الحيوانات الساكنة فى الغابة ، فقد لجأت هى أيضاً إلى ضفة النهر، فقفز ثعلب أحمر من صخرة إلى الماء، وحمل إلينا الريح رائحة فروه وقد حرقته النار ، واندفع الثعلب فى النهر حتى كاد الماء يبلغ فمه ، فوقف لا يبدو منه إلا أنفه ، وكان إلى جانبه جماعة من الكلاب ولكنها لم تلق بالا إليه. وظهرت فى الماء أنواع أخرى من الحيوانات الضارية منها الذئاب والدببة.

وتعالت ألسنة النيران على الضفة ، فأغمضت عينى . وبرغم ذلك ظل وهج النيران ينفذ إليهما . وأخذ الطفل يبكى بكاء شديداً ، فغمرته فى الماء حتى بلغ ذقنه ، وأخذ الرماد الساخن يتساقط على ويحرقنى، ولكن جسدى كان قد خدرته برودة الماء.

وجعلت أسأل نفسى وأنا لا أدرى كم لبثت فى الماء ؟ أنحن فى نهار أم فى ليل ؟ فقد احتجبت السماء ولم يبق إلا وهج النار والدخان .

وغطيت فم الطفل وأنفه وغطست به تحت سطح الماء ، فتململ الطفل ولكنى أبقيته معى حتى كدنا نختنق ، ثم طفونا ونحن نلهث ، فإذا بالهواء الساخن يلهب وجوهنا، فغطسنا مرة أخرى . ولا أدرى كم مرة فعلنا ذلك، وأدركت من اضطراب الطفل بين يدى أنه لا يزال حياً .

وانتشلنا مايك ومزق ثيابى، ثم أدركتنى غيبوبة،فلما انتبهت وجدتنى فى ثياب أخرى، قميص رجال وثوب هندى ، وقد رقدت على الأرض وعلى مقربة من رأسى حطب متقد . وقال لى مايك إننا فى صباح اليوم التالى ليوم الحريق ، وإننى نجوت أنا والطفل من الأذى . ورأيت وجهه مسوداً

من الدخان ، وعلى جبينه خطوط تدل على مكان تصبب العرق ، واختفت سترته الحمراء وقميصه ، وأخذ يضع مكمدات على وجهى ورقبتى وقال لى : « وجدتك متعبة مقروورة ، وقد أصيب وجهك الجميل ببعض الحروق البسيطة » . فقمت واقفة وحضنته ، وهممت أن أسأله عن عدد المصابين ، ففهمت من وجهه الشاحب أن الخسارة كبيرة .

ولم تخمد النار إلا بعد مقاومة دامت ١٥ ساعة، ولم يكن مع زوجى إلا ٤٧ رجلا، وكان لا بد له من مئة رجل ليستطيع صدّ النار عند النهر . وكان طريق النجاة قد سُدّ فى وجه النساء والأطفال من سكان الضفة الشرقية ، وأطبقت عليهم النيران قبل أن يتمكنوا من الوصول إلى النهر . وكان مايك قد أوفد إلى النسوة رسولا يحذرهن، ولكن هذا الرسول لم يصل إليهن فهلك أربعون منهن . وهذا هو ثلث عدد سكان القرية .

فقلت له : « ليس الذنب ذنبك » .

فأجابنى بهدوء : « لست أدرى ، كان ينبغى أن أوفد رسولين فلعل أحدهما كان يستطيع أن يصل إليهن » .

« ألم يكن فى وسعك أن تستغنى عن رجلين فى وقت واحد ؟ »

فكان جوابه : « كلا ! »

فشددتُ يدى الصغيرة على يده الكبيرة لأهدىء من روعه .

وخلفت النار المدمرة أرضاً سوداء كأنها مساكن الجن ، واختفت معالم القرية ومن بينها دارنا .

وانقضى النهار كله فى حفر القبور ، وأقمنا عليها ٣٧ شاهداً غطيناها بدهان أبيض ، ودعانا مستاجان زعيم الهنود إلى كوخه ، وصافح مايك كما يفعل الرجال البيض ، وقال برطانته الهندية : « الجاويش أنقذ قومى » . ولم يزد على ذلك شيئاً ، ولكن كان فى قوله كل الكفاية .

ولم يمض على هذا الحريق وقت طويل حتى وصلنا كتاب بنقل زوجى من هدسن هوب إلى جروار ، فخرجنا من فورنا للسفر ، إذ كان الحريق لم يبق لدينا شيئاً نحمله معنا ، وأقبل أهل القرية كلهم إلى النهر يودعوننا ، ولم يبق فيهم أحد من البيض أو الهنود إلا قدم لنا هدية من طعام ، بالرغم من أن الشتاء القارس كان على الأبواب ، والطعام فيه قليل مطلوب .

وبعد أن دامت الرحلة بضعة أسابيع أنزلنى مايك ذات يوم من الزورق ،

فشعرت بالأرض تميد تحت قدمى وقل : « ها قد وصلنا » . وولجنا مدخل دار يئن خشب أرضها تحت أقدامنا ، وطرق مايك الباب فانفرج قليلا كأنما تفتحه يد لا ترحب بنا .

وكان رجاؤنا أن نصل جروار وقد حانت ولادة الطفل ، ولكن آلام المخاض بدأت بعد أن استسلمنا للرقاد فى الليلة الماضية . وكان مايك قد سمع أن هناك ممرضة مدربة تقيم فى تلك الجهة ، وهى امرأة أسكتلندية اسمها مسز ماثرز ، فسرنا إليها طول الليل .

وانفرج الباب فشعرت من أول نظرة أننى لا أحب تلك المرأة ، إذ كانت شمطاء متهدلة اللحم ، ورأيت دارها تشبهها ، فهى دار فسيحة ينقصها النظام والنظافة ، وتسطع منها رائحة الطعام الفاسد . ثم أخذتنى إلى حجرة نوم وأعطتنى قميصاً من الصوف أدركت من حجمه أنه قميصها ، وجعلت تراقبنى وأنا أرتديه وقالت : « إنك نحيفة الجسم » .

فشعرت بالرهبــة وقلت لها : « ماذا تعنين ؟ »

أجابت : « هو ما قلته ، وأشك أن أفلح فى استنقاذ طفلك حيًّا » .

وكان مايك واقفاً فى باب الحجرة فصرخ فيها وهو يكتم غيظه : « اعزبى عن وجهى » فوقفت مسز ماثرز برهة تحدق فيه كأنها لم تسمعه ، ثم اتجهت إلى الباب وهى تتمتم : « أتطردنى من دارى » وأغلق مايك الباب وراءها .

وتناول يدى وقبلها وقال : « أنصتى يا كاتى ، لم أكن أعلم أنها على هذه الصورة ، وسأذهب إلى المحلة لأحضر لك مسز كاربنتر لتتعهدك » ثم ابتسم وقال : « إنها قابلة ماهرة ، وستحبينها يا كاتى ، فهى التى تولد نساء المنطقة كلها » .

واشتدت آلام المخاض بعد ليلتين ، وجلس مايك إلى جوارى ، وكنت أشد على يديه كلما ضربنى الألم ، ثم أرقد ألهث وأستجمع قواى لنوبة الألم القادمة .

وفى أثناء إحدى النوبات كنت راقدة وقد انقطعت أنفاسى وانهدّت قواى ، فجاءتنا القابلة ، ولم ألاحظ أن الباب قد فتح ، بل رأيتها واقفة إلى جوارى تنظر إلىّ ، وكلمتنى بصوت هادىء مطمئن كأنه خرير الماء ، فتنهدت وأغمضت عينى . ثم شممت رائحة شديدة الشذا كأنها رائحة حطب محترق ، ففتحت عينى فإذا بالقابلة تقدم لى قدحاً لأشربه وقالت : « هذا شراب تعرفه نساء الهنود هنا . وسيعينك بإذن الله » ، ثم لم أعد أسمع صوتها ، فقد غبت عن وعى .

ولما ثابت إلىّ نفسى وجدت زوجى يقبلنى ويقول : « قد انتهى كل شىء يا عزيزتى » فابتسمت له، وكنت أسمع صوت أقدام القابلة وهى تسير فى الحجرة . وبعد وقت طويل استطعت أن أدير رأسى لأرقبها وهى تدلك المولود بالزيت . ورأيت القابلة ضخمة الجسم قوية البنيان كأنها رجل ، وتتجلى فيها مع ذلك الرشاقة والمهابة والطيبة والثقة بالنفس .

فابتسمت لها وقلت : « لا شك أن أطفالا كثيرين قد جاءوا إلى هذه الدنيا على يديك » .

فأجابت : « لقد ولدت أنا سبعة عشر مرة ، كما أشرفت على ولادة أكثر من مئة طفل كتبت السلامة لأمهاتهم كافة ، ولم يمت على يدى إلا طفل واحد هنا فى هذه الدار حينما جئت لتوليد مسز ما ترز » .

وشد مايك على يدى ليطمئننى ،وغادرتنا القابلة بعد يومين من مولد ابنتى مارى ، وقد أحبها قلبى حباً جماً . ولما استجمعت قواى جاء مايك بعربة وفرش فيها غطاء ورقدت فيها .

ولما وصلنا تلك القرية قصدنا كوخاً فى منحدر من الأرض ، فوجدنا نفراً من سكان القرية فى انتظارنا أمام هذا الكوخ الذى تنحنى فوقه فروع الأشجار الباسقة ، وأمامه حديقة قد نبتت فيها زهور جميلة عجيبة لم أرها من قبل، وكان هذا الكوخ هو دارنا . وكانت القابلة هى أول من جاء لتحيتنا ، وساعدتنى على النزول من العربة ، وحملت الطفل وأدخلتنى الكوخ، ثم عرفتنى بزوجها وأخويها وباقى أفراد أسرتها وجيرانها وأسرة بكلير ، وأخذوا جميعاً يلاعبون الطفل .

ولما خرج الجميع بقيت زوجة بكلير معى ، وجلست على مقعد إلى جوارى وتناولت يدى وقد غمر الضوء وجهها ، فرأيته ينم عن العزم وقوة الإرادة ، تلك الخصال التى كنت أفتقدها فى نفسى ، فرأيت لها فما دقيقاً ينطق بالكبرياء ، وأنفاً صغيراً مستقيما قلما رأيت مثله فى منطقة الشمال ، وعينين جميلتين زرقاوين حتى ما يخطر ببالك أنها زوجة صياد .

وأخذت تكرر اسمى بلهجتها الفرنسية الرشيقة وقالت :

« ليتنى عرفتك منذ عشر سنين أو عشرين سنة ، فأنت لا تدرين كيف تشعر المرأة إذا لم تجد واحدة قط من بنات جنسها تعاشرها فى تلك المنطقة » ، ثم ابتسمت وقالت : « بالله حدثينى عن مدن كندا ، فإنى مشتاقة إلى مثل هذا الحديث وإن كنت لا أعرفها » .

ولما خلوت إلى نفسى قمت إلى النافذة وأخذت أنظر إلى الحديقة الجميلة التى لم أر مثلها من قبل ، وقلت لمايك وأنا أشير إليها : « ما أجملها : لقد نسيت أن أسألك من زرعها ؟ »

فبدا على وجهه شىء من الضجر وقال : « يقولون هنا أن مسز مارلن هى التى زرعتها ، ولم تكن هنا فى الليلة الماضية لأنها مريضة » ثم قال فجأة : « لا تركبك الأوهام يا كاتى من هذه الأزهار » وبدأ يشرح لى شيئاً لم أسمعه ، إذ كنت قد استغرقت فى النوم بين ذراعيه .

وفى صباح الغد رأيت كل زهرة قد ذبلت وسقطت على الأرض فأخذت أبكى وأقول لزوجى : « انظر ماذا حدث ! » فقال : « كنت أعلم ذلك » ، وقطفت زهرة فإذا بى أتبين أنها كانت زهوراً يانعة قد قطفت من منبتها ثم نسقت فى حديقتنا ، وقال مايك بأسف: « إن مسز مارلن مختلة العقل ، فإنها أرادت برشق هذه الأزهار أن تحييك ، وهى أزهار برية تنمو فى الغابات والمستنقعات. ولاشك أن المسز مارلن قد صرفت يوما كاملا فى جمعها » . فشددت على يدى زوجى وأنا متأثرة بالترحاب الذى لقيته حتى من مسز مارلن المجنونة التى خرجت إلى المستنقعات وقضت يومها كله فى قطف الأزهار حتى تهيئ لى حديقة جميلة تبقى ساعة واحدة .

وجاءتنا جارتنا كونستانس وانحنت على مهد ابنتى ثم تناولتها ورفعتها ، فضحكت الطفلة وضحكت لها كونستانس . ولم أرها من قبل فى مثل هذا الانشراح وقالت : « ما أشبهها بسوزان طفلتى وأول أطفالى. فقد ولدت تسعة أطفال جميعهم ما عدا أربعة راقدون هناك » . فأدركت أنها تعنى تلك القبور الصغيرة التى مررنا بها ونحن قادمون. فسألتها عن السبب فقالت : « هى أمراض الحصبة والحمى القرمزية والتيفود ، فإن الشتاء هنا قارس ، وليس بيننا أطباء ، ولكنى أنقذت أربعة من أولادى » ثم أدارت وجهها عن النافذة وقالت : « أحمد الله على ذلك ، ولكنى أفكر فيما أصاب غيرى » .

ودعتنا كونستانس تلك الليلة للذهاب معها إلى الدير لحضور صلاة منتصف الليل، وهذا الدير أكبر بناء فى تلك المنطقة ، وله حديقة كبيرة وقال مايك . « يقيم هنا ثمانون طفلا يعتمدون فى طعامهم على ما تنبته حديقته » .

ودخلنا بهدوء فوجدنا الصلاة قد بدأت، وألفينا المقاعد بين جذوع الأشجار ،

وأخذت الظلال التي تلقيها الشموع تتراقص على جدران الحجر . ووقف القسيس كأنه جذع شجرة عتيقة ، وفي قدميه حذاء ثقيل مما يرتديه الصيادون . وحينما بدأ يتلو صلاته سمعت له صوتاً رقيقاً .

وأرادني مايك على أن آخذ فتاة من أولاد الدير لتساعدني في العناية بالدار وبالطفلة ، وصحبتني الأخت تريزة إلى حجرة اللعب فوجدت فيها جمعاً من الأولاد ، ثم فتحت بابا في نهاية الحجرة فانبعث من ورائه بكاء ونحيب وقالت : « هؤلاء هم المحرومون من اللعب عقاباً لهم » . ورأيت ثلاثة أطفال جلوساً على مقعد وهم يبكون ، وقد احمرت عيونهم ، وإلى جانبهم فتاة هندية تبلغ من العمر خمس عشرة سنة ، وهي مطرقة غارقة في التفكير .

رفعت تلك الفتاة وجهها إليّ وابتسمت فأحببتها لأول نظرة وقلت من فوري : « أود أن آخذها » ، ثم استدرت إلى الفتاة وقلت لها : « أتحبين أن تعيشي معي ؟ »

فنظرت إليّ الفتاة باهتمام وقالت : « نعم . أسألك بالله أن تأخذيني » .

فقالت الأخت تريزة : « يحسن أن نبحث هـذا الأمر مع الرئيسة » . فلما ذهبنا إليها حيتني بوقار وقالت : « إن هذه الفتاة اسمها « آن » وهي ذكية لطيفة ماهرة ، ولكنها تتوهم أنها تحبّ » .

فسألت : « وهل تعرفين هـذا الفتى الذي تحبّـه ؟ »

فأجابت الرئيسة : « نعم ، إنه جوناثان فوركيـه ، وأبوه خِلاسيٌّ ثار في وجه الحكومة ، فشب الفتى ثائراً في قبضة الفقر لا تعني به سوى أمه الهندية . ولما طلبت إليه أن يترك هذه الفتاة وشأنها ، أجاب : « إنهـا ستصبح رفيقتي » . ثم تريثت الرئيسة قليلا وقالت : « إنك لا تدرين معنى تلك الكلمة كما يفهمها جوناثان ، فإن فيها القضاء على مستقبل التلميذات هنا ، فإننا نعلمهن القراءة والكتابة ، فهل من الخير أن ندفع إحداهن إلى حياة تعيش فيها كالحيوان ، وتشقى طول يومها في خدمة زوج يركلها ويضربها ؟ فأنت ترين من ذلك لماذا ينبغي أن لا تتزوج آن هذا الفتى .

فقلت لها : « قد فهمت ما تعنين » .

فلما أعدت على مايك قول الرئيسة ضحك وقال : « لا أظن أنها تسبِّـب لنا شيئاً من المتاعب » ، ولكنه كان مخطئاً في رأيه . لقد أحبها جميع من عرفها لبشاشتها ، وأطلقنا عليها اسم « فرحانة » وهذا هو معنى اسمها بلغة قومها .

خرجت ذات يوم أنظف السجاد ، فما

كان أشد دهشتي حين وجدت على درج البيت كوماً من الفراء الجميلة ، وجاءت فرحانة فشهقت بابتهاج وجمعت الفراء بين ذراعيها ودست رأسها فى شعرها الناعم وهى تتمتم بكلام من لغتها وقلت لها : « أتعلمين من أين جاءت هـذه الفراء يا فرحانة » فنظرت إلىّ وعلى وجهها غبطة لا تخفى . وقالت : « جاء بها جوناثان » .

وبدا لى أن هذا الاسم كما نطقت به ، أجمل اسم سمعته أذناى ، ولكن قلت لها غاضبة : « ألست سعيدة هنا ؟ »

فقالت : « إننى أحبك » .

فقلت لها : « إذن تعديننى بأن لا تقابلى جوناثان ما دمت معنا ، وإلا أعدتك إلى الدير . وأما الآن فاحملى هـذه الفراء إلى مخازن الشركة لتعاد إلى جوناثان حين يأتى فى المرة القادمة » ، ولكنها رفضت وأخذت تبكى ، فجريت إليها واحتضنتها وقلت لها : « أتحبينه كل هذا الحب ؟ »

فقالت : « نعم » .

فتملكتنى الحيرة ، وأدركت أنها تجد سعادتها فى الحياة مع هذا الفتى رغم ما قد تلقاه فيها من مشقة .

ثم أعددت طعام الغداء وحملته إلى مكتب زوجى ، فرأيت من خلال النافذة فتى اسمه كردينال من سلالة الهنود ، وقد عقد منديلا أصفر قذراً على رأسه وهو يقول : « إن هذا الشرير جوناثان فوركيه يأتى كل ليلة إلى دارى ويقذفنى بأسهم من قوسه ، وقد أصابنى فى الليلة الماضية بجرح فى يدى ، واتهمنى بأننى أسرق فراء من المصايد . وهذا كذب ، ولكنه سيقتلنى لا محالة » .

فأجابه مايك : « سأستدعيه للتحقيق معه » .

وعندئذ انفتح الباب فجأة حتى كاد يوقعنى على الأرض ونظر إلىّ مايك بغضب وقال : « ما الذى حملك على الوقوف هنا والتعرض للبرد ؟ »

فقلت له : « أريد أن أحدثك عن جوناثان، أتظن أنه لا يستنكف من القتل؟»

فضحك زوجى .

فقلت له : « ليس فى الأمر ما يضحك، فقد وضع جوناثان اليوم كوماً من الفراء على باب دارنا » .

فأجاب وهو يفكر : « إذن هو يريد أن تهرب معه فتاته » .

فقلت : « أجل،وعليك أن تحدثه ليتقى ربّه ويعدل عن غرضه » .

فقال : « ليس جوناثان بالفتى الذى يسهل إرهابه » .

فقلت : « هـذه حماقة منه ، فإنك ستضطر إلى إلقائه فى السجن » .

فأجاب مايك : « لك الله يا كاتى ، أتطلبين أن ألقى برجل فى السجن لا لجريرة إلا أنه عاشق ؟ »

فقلت: «ولكنه رجل خطر ، فماذا تفعل لو أنه قتل كردينال ؟ »

فقال : « لا أعتقد أنه مجرم بطبعه، وأظن أن كردينال هو الذى يسرق فراءه فإنه رجل سيء السمعة ، وقد أراد جوناثان إرهابه ليتقى شره، وسرقة الفراء هنا أخطر الجرائم لأنها المصدر الوحيد للرزق » .

فقلت : « ولماذا لا يرفع جوناثان شكواه إليك ؟ »

قال : « لأنه من سلالة الهنود ، وهم قوم ذوو كبرياء » .

ورحل مايك فى صباح الغد يبحث عن جوناثان ويأتى به ، وعاد بعد العشاء بوقت طويل ، ولم أتبين فى مبدأ الأمر أن وراءه شخصاً صامتاً مختفياً فى الظلام ، وقال مايك: « هذا هو جوناثان فوكيه » وأحنى الفتى رأســه تحية لى دون أن يبتسم ، وجال بنظرة من عينيه الواسعتين فى أرجاء الحجرة، ثم استقرت على فرحانة وهى واقفة فى ركنها البعيد وقد حبست أنفاسها ، ولــكنه لم يكن باش الوجه ، ولم يوح إليها ، وإن ظل برهة طويلة يرمقها ببصره .

وأخذت زوجى إلى المطبخ وأغلقت البـاب وقلت له بغضب : « لماذا أتيت بهذا الفتى ؟ ألم تر نظرته إلى الفتاة ؟ إنك مجنون ولا ريب، لأن أهل الدير إذا سمعوا بخبر مجيئه طلبوا إعادة الفتاة إليهم ، وظنوا أنك سعيت إلى ذلك. وهذا ما يبدو لى أيضاً » .

فوضع يديه القويتين على كتفى وقال : « اسمعى أيتها الحمقاء . لقد أتيت بجوناثان لتطعميه ، فهو يكاد يهلك جوعاً . وقد رأيته حين وجدته ينزع قشر شجرة ليلتمس تحته ما يبل به ظمأه » .

ولـكنى لم أصدق ذلك وقلت: « إذا كان جوناثان ماهراً فى رمى السهام كما فعل مع كردينال ، فلماذا لا يصطاد شيئاً يأكله ؟ »

فقال مايك: « قد وجدته مصاباً بجرح، وهذا سبب تأخرنا فى العودة ، فقد سار إلى جانبى بهدوء ثم سقط على الثلج ، فلما فتحت قميصه وجـدت جسده كله مثخناً بالجروح . ولا شك أنه أصيب بخمسين ضربة على الأقل » .

فقلت : « هل تظن أن كردينال هو الذى ضربه ؟ »

فأجاب : « أجل . فقد مررت على مصايد جوناثان فوجدت عندها آثار عراك، وعلمت أن جوناثان كمن له حينما رأى مصايده قد عبث بها ، فلما قدم أمسك به ،

ولعله سأله عن الفراء المسروقة ، وأعتقد أنه انهال عليه بالضرب ، ولكن لا دليل عندى على ذلك ، لأن جوناثان رفض أن يتكلم فهو شديد الكبرياء ويريد الانتقام لنفسه ، ولا يود أن أفسد عليه غرضه بإلقاء غريمه فى السجن » .

وأخذ جوناثان يأكل بهدوء وهو صامت ولم يأكل إلا قليلا ، ولما فرغ نظر إلينا أنا وزوجى وقال بجد : « قد أكلت فى دار صديق » .

فقال مايك : « نعم فنحن أصدقاء » .

وكانت فرحانة تخفى ابتساماتها وهى تدور فى الحجرة ، ولاحظت أن جوناثان يرقبها بسرور زائد. وسمعنا طرقاً على الباب، فلما فتحه مايك دخل كاردينال ، فلما وقع نظره على جوناثان بدت على وجهه ابتسامة محنقة ، وربت على كتف مايك وقال : « أحسنت صنيعاً بالقبض عليه »

فأجاب : « إنه طليق لم يقبض عليه ، وقد أخبرتك أن الابتعاد خير لك ، فليس فى حضورك هنا إلا الضرر » ، ثم التفت إلى جوناثان وقال: « إننى أعلم أنك رميت سهامك على كردينال ، وقد جئت بك إلى هنا لا لأقبض عليك بل لأسمع أقوالك . وها أنا ذا أحذرك من العودة إلى فعلتك ، وأريدك أن تعدنى بذلك » . وشخص جوناثان ببصره فى الفضاء ولم ينطق .

فقال له مايك : « استمع يا جوناثان إذا اعتديت على كردينال مرة أخرى فإننى سأقبض عليك » .

واستقرت نظرة جوناثان على كردينال وقال : « إذن فالسهم القادم سيكون هو السهم الأخير » .

وهذا تهديد واضح بأنه سيقتله، واصفر وجه كردينال ، وسمعنا فى الصباح الثانى أنه غادر المحلة .

ومضى الشتاء ببطء وهدوء وكان الرجال غائبين عن المحلة فقد خرجوا للصيد ، وبقى النساء وحدهن فى الدور ، وانصرفت أنا إلى التمتع بصحبة ابنتى مارى . وكان من المرتقب أن أرزق بطفل آخر فى شهر يوليو ، وسرنى ذلك ولم آبه بتشاؤم نساء المحلة اللاتى يرضين بأن يفقدن ستة من الأولاد لتبقى لهن ثلاثة ، فقد عقدت العزم على أن يشب أولادى فى صحة وعافية .

وطلبت إلى القابلة أن أزورها مراراً لتشرف على علاجى ، فقد أعدت فى كوخ صغير بجانب مسكنها أنواعاً مختلفة من الأدوية وكلها من الأعشاب الجافة ، تعالج بها التهاب الحلق والروماتزم وسم الثعبان والصداع وكسور العظام .

وفى إحدى زياراتى لها لقيت مسز مازلن ، وكنت لم ألقها من قبل فأشكرها على زهورها .

فلما شكرتها رفعت يدها الصغيرة إلى وجهها وأخذت تنظر إلىّ بتعجب ، ورأيتها ذات جمال غريب لا تلقاه إلا فى هذه السلالة المنحدرة من أجناس متباينة . وتريثت برهة ثم قالت : « هل تتحدثين عن زهور . نعم أذكر أنى رتبت لك الحديقة يا مسز مايك . أكانت جميلة ؟ »

وجعلت أنظر إليها وأنا أتدبر كيف أكلمها ، ثم قالت وهى تهز رأسها :

« ولكن الأزهار ماتت وكل شىء تلمسه يدى يموت » . ونطقت بهذه الألفاظ بهدوء ، فأحسست أن هناك لعنة قد كتبت عليها .

وردت الأنباء فى نهاية الخريف بأن كردينال يعيث فساداً فى شمال المنطقة ، وعاد إلى خلته القديمة فى سرقة الفراء ، ولكن بطريقة جديدة ، وهى وضع فراء رخيصة محل الفراء الثمينة التى يسرقها . فعزم مايك على أن يقبض عليه .

وشاهدت زوجى وهو يشد عدته إلى جواده ليرحل إلى مجاز النهر ، ثم يصحب زميلا له ويستقلان قارباً للوصول إلى مقر السرقات فسألته :

« متى تعود ؟ »

فقال : « بعد شهرين يا كاتى » .

فمددت يدى لأستند على سور مدخل الدار ، ذلك لأنى سألد طفلى أثناء غياب زوجى . وعدت إلى الدار وأغلقت الباب ورائى وانطلقت أبكى .

فلحقنى مايك وضمنى إليه وقلت له : « عدنى بأنك ستعود سليما » ، فأخذ يحدثنى برفق وشفتاه تلمسان شعرى وقال : « لا يساورك القلق ، سأكون معك ، وسأعود إليك . ولولا وثوقى بهذا لما سافرت » ، وابتسمت لى عيناه الزرقاوان ، وداعب شعرى بيديه الكبيرتين ، ثم خرج وبقيت وحدى .

ووفى مايك بوعده إذ عاد بعد الأسابيع الستة ومعه كردينال بمنديله الأصفر القذر المعهود وقد عقد على رأسه ، وكان مآله إلى السجن .

وفى تلك الليلة جلس زوجى بعد العشاء فى مقعد كبير ووضع مارى على حجره ، وجلست أنا عند ركبتيه ، وإذا بالباب يفتح فجأة ويقبل أحد زملاء زوجى يقول : « مات كردينال مقتولا . فقد رأيته جالساً فى السجن وقد مالت رأسه إلى الوراء حتى لمست القضبان . وحسبته نائماً ، فلما اقتربت منه تبينت أنه قد طعن فى حلقه ، ولا تزال المدية مغروزة فيه » .

فأسرع مايك يرتدي ثيابه وقال : « هل رأيت تلك المدية من قبل ؟ أو هل تعرف صاحبها ؟ »

« إنها مدية جوناثان فوكيه ، فعلى مقبضها نقش لمناظر صيد ، وهـذا النقش لا يجيده إلا هو » ، فقاطعه مايك وهو يلقي نظرة خاطفة على فرحانة وقال: « لا أحب التسرع في الاستنتاج ، فتعال معي نحقق الأمر » .

وظلت فرحانة شاردة البصر وقتاً طويلا.

وعاد زوجي وزميله وبينهما جوناثان ، ودخل ثلاثتهم الحجرة صامتين ، ومدّ مايك يده إلى جيبه وأخرج ربطة وأمسك بطرف الغلاف وتركها فهوت مدية على المائدة . ثم التفت إلى جوناثان وقال : « أهي لك ؟» فأجاب بلا تردد : « نعم » .

وتريث زوجي قليلا ثم قال : « كنت تصنع من قبل مدى كهذه المدية وتبيعها ، فهل هذه واحدة منها ؟ »

فالتفت إلينا جوناثان وعلى شفتيه ابتسامة محببة وقال : « كلا . بل هي مديتي ، وأنت تظن أنني قتلت كردينال » .

فأجابه زوجي : « لا أدري ، وهناك ما يحملني على الظن بأنك لا تقتله على هذه الصورة . وإذا أنكرت التهمة فسأبحث عن شخص آخر غيرك » .

فظل جوناثان صامتاً ، فتابع زوجي كلامه قائلا: « فإذا أبيت الإنكار فسأضطرّ إلى القبض عليك بتهمة القتل . ومعنى هذا أنك ستقضي الصيف كله في السجن » .

ولم يظفر زوجي بجواب فقال أخيراً : « لك ماتشاء،ها أناذا ألقي القبض عليك» .

فقفزت فرحانة وحالت بينهما وصرخت: « ليس هو الفاعل » فوجه إليها جوناثان نظرة رقيقة وقال : « يا رفيقتي الطيبة أنت لا تريدين أن أقضي الصيف كله في السجن أقاسي لسع البعوض والذباب » .

فصرخت فيه : « قل لهم إنك لم تفعل » .

فنظر إليها طويلا وقد بدت عليه دلائل التفكير وقال : « أولم أقتله ! » فطأطأت فرحانة رأسها وانهمرت دموعها .

وحل الصيف واقترب موعد مولد حملي، وأخذت سارة القابلة وفرحانة تحومان حولي ، ولا تنفك سارة توصيني بالهدوء والطمأنينة ثم جاءت لي بشرابها المعهود ، فشممت مرة أخرى رائحة الحطب المحترق وغبت عن وعيي . ولما فتحت عيني وجدتني أحمل ابني بين ذراعي ، وقد وقف زوجي بجانبي ومد إصبعه الكبيرة إلى المولود . فسرعان ما انطبقت يده عليه ، فكأنما احتوت يده الصغيرة قلبي أيضاً . وفجأة

سمعت صرخة نحيب عالية ، فتعلقت بزوجى فقال يطمئننى : « لا تخافى يا كاتى . إنها مسز مارلن المسكينة تود أن ترى مولودك » .

فقلت : « دعوها تدخل » وطلبت أن يأذنوا لها بالدخول ، وحملت فرحانة الطفل لها لتراه ، واقتربت مسز مارلن بحياء ثم مدت يدها فجأة وأخذت الطفل من فرحانة وأسرعت إلى الباب والطفل بين ذراعيها . فقفز زوجى ولحق بها ، ولكنى استوقفته فأطاع . ووجهت إلى فرحانة نظرة مستفسرة ، فأومأت إليها برأسى ، فاقتربت من مسز مارلن حتى لم يبق بينهما إلا مسافة صغيرة ثم ابتسمت لهـا ومدت يديها وقالت : « ناولينى الطفل » ، فهزت المرأة رأسها وأخذت تولول وتقول : « هو طفلى ، هو طفلى » وحملت الطفـل برفق على ذراعيها وأخـذت تغنى له : « مات ابنى وما أنت إلا ابنى » .

اقترب منها زوجى بهدوء فإذا بها تعود إلى النحيب مرة أخرى وتقول همساً : « ماتوا . كلهم ماتوا . مات طفلى . مات أبى ، وكل شىء ألمسه يموت » . وجعلت تقول هذه الـكلمات كأنها أغنية فرنسية معروفة مما يهدهد به الأطفال .

ثم استدارت نحونا فجأة وصرخت : « قلت له أن يرحـل عنى ويتركنى ، فأنا أرملة رجل أمريكى لا رفيقة رجل هندى ، ولـكنه حين تلعب الخمر برأســه يأتى إلى الدار وهو يهدر . ثم خرج للصيد ولم يعد ، وأنا حامل أنتظر ولادة طفل هو أبوه ، وأعتقد أنه حينما يعود سيتزوجنى فى الـكنيسة . فلما قبض عليه الجاويش مايك وألقى به فى السجن ، ذهبت إليه لأخبره بحالى ، فرمى برأسه إلى الوراء وقهقه ضاحكا ، وكانت مديتى مربوطة إلى حزامى فأخذتها وطعنته بها كما تطعن رقبة الخنزير ، ثم عدت إلى الدار وافترستنى الأوجاع ، فقد مات ابنى ، نعم مات » وأخذت تهدهد ابنى بتلك الـكلمات وهى تتلوها كأنها أغنية .

فقال زوجى : « أيكون كردينال هو هذا الرجل . إنه هزأ بك فطعنته بالمدية . فمن أين جئت بها ؟ فكرى قليلا . هل احتطب لك جوناثان فوكيه وقوداً لهـذا الشتاء » فاندفعت المرأة تبكى وقالت : « لقد أعطانيها » .

فقال مايك : « سنعيـدها إليك إذا أعطيتنا الطفل » .

فسألته . « أهو وعد لا رجعة فيه ؟ »

فقال لها : « نعم هو ذلك » .

فما كان منها إلا أن ناولته الطفل . وحدث بعد أيام أن فارقتنا فرحانة ، ذلك أن الهنود أقاموا مأدبة كبيرة للاحتفال بموسم الحصاد ،

وأعرت فرحانة فرواً أبيض كان زعيم الهنود قدمه هدية لى حينما غادرنا هدسن هوب ، ووقفت أنا وزوجى نرقب الرقصة فى مساء العيد،فوقفت الفتيات صفاً ومشين وهن يرقصن نحو صف الفتيان ثم يعدن مكانهن مسرعات ، فيقبل عليهن الفتيان وهم يرقصون أيضاً . وتألق جمال فرحانة وسرورها وهى تختال بفروها الأبيض ، وكان جوناثان بين الراقصين وأخذ يقفز بنشوة وابتهاج . ثم انفض الجمع واختلطت الفتيات بالفتيان ، وتقدم نفر منهم يدعون فرحانة إليهم ، ولكنها وقفت أمام جوناثان ورفعت منديل رأسها وألقته على كتفيه ، وظل كل منهما واقفاً مكانه إلى أن انتهى قرع الطبول . ولا أدرى ماذا قال لها ولا ما قالت له ، ولكنى رأيتهما حينما انفض الجمع يبتعدان ويسيران إلى الغابة ، وكانت هذه آخر مرة رأيت فيها فرحانة .

وذات مساء رقد الطفلان فى فراشهما ، وأخذ مايك يتسلى وحده بلعب الورق ، وكان الشتاء قد حل مرة أخرى ، ولم يكن لى ما أفعله سوى القراءة والرياضة مع طفلى . وفجأة أقبلت امرأة هندية وقالت : « أيها الجاويش مايك . إن طفلى مريض. إنه يختنق » .

وخرج زوجى معها ، وكنت قد أويت إلى فراشى والنعاس يغالبنى ، فسمعت طرقاً على الباب ، وليست هذه عادة مايك ، فقمت من الفراش ، فلمحت وراء النافذة رجلا فإذا به زوجى يقول : « لا تفتحى الباب يا كاتى ، فلا أريد الدخول ، فقد مات ولد هذه المرأة بالدفتريا ، وسأنام فى مكتبى ، فإذا لم ينتشر الوباء أعود إليك بعد خمسة أيام أو ستة » .

فقلت له : « أواثق أنت أنها الدفتريا؟ »

فقال : « أجل . ولكن لا تقلقى . وخير وقاية أن تدهنى حلقك وحلق الطفلين بصبغة اليود . وإذا احتجت إلىَّ فعلقى منديلا أبيض على النافذة » .

واستيقظت فى الصباح على أصوات البكاء والنحيب المنبعثة من المحلة ، وفزعت ابنتى مارى وبدأت تبكى ، فأغلقت النوافذ كلها والباب وقلت لها إنه صفير الرياح .

وأخذت أسليها برسم صور تلونها بقلمها، وغسلت أطباق الفطور ويدى ترتجف ، وأنا أحاول التجلد ، ولكن أصوات النحيب والبكاء لم تنقطع ، ووجدتنى أصيخ إليها بسمعى وأتساءل قائلة لعله صفير الرياح.

وجاء مايك إلى النافذة ونادانى وقال : « قد انتشر الوباء ويرقد المرضى كل أربعة فى فراش واحد. وبعض المرضى لديهم الطعام،

ولكن لا يقوون على النهوض من فرشهم ، فأعدى أكبر وعاء لديك واطبخى شيئاً من اللحم والأرز ، فإذا فرغت منه فعلقى المنديل لآتى وآخذه . ولكن ضعى الوعاء عند مدخل الدار » .

وفتحت الباب قليلا و ناولته طعام الفطور وسألته كيف يعنى بهؤلاء المرضى جميعاً ؟

فأجاب . « كل ما فعلته هو أنى صرفت لهم حبوب الكينين حتى نفـدت ، فأنا أعطيهم الآن جرعات من الكحول ليتنعشوا بها . وهذا هو ما هم فى حاجة إليه ولكن الطعام أجدى عليهم » .

ثم غادرنى وعاد بعد ساعة ، وأخذ ما أعددته من الحساء بعد أن وضعت الأوعية عند مدخل الدار فسألنى : « هل دهنت حاق الأولاد بصبغة اليود ؟ »

فلما أجبته بأنى فعلت قال : « افعلى ذلك مرة أخرى » ، ثم حمل الأوعية واتجه نحو المحلة .

ومرت الأيام دون أن يقترب أحد من الدار ، وانصرف رالف ومارى إلى فراشهما بعد أن لعبا كثيراً ولحقهما التعب . وأخذت أسلى نفسى بشىء من شغـل الإبرة وأنا أحاول أن لا أنصت للأصوات ، ولكنى لم أستطع الخلاص من أسر هذا النواح على الموتى . وخيم الظلام على الحجرة ، فرفعت وجهى فرأيت وراء النافذة امرأة واقفة تحدق فىّ ، وقد أدارت ظهرها للشمس ، وكانت شعثاء الشعر يتناثر شعرها فى مهب الريح حول رأسها وجيدها ، ورفعت إلى النافذة شيئا تحمله فى يدها ، فإذا هو طفل ميت قد يبست أعضاؤه ، فصرخت فيها : « عودى إلى دارك » ، فلم تتحرك من مكانها وهى ترينى طفلها ، كأن هذا كل ما لديها من جواب .

فقلت لها : « ماذا تبغين ؟ »

فجعلت تحاول الكلام ولكن صوتها اختنق فى حلقها ورمت من فمها على الثلج بصاقاً أغبر ، ومدت يدها نحوى بالطفل وهى تكرر كلمة واحدة هى : « الدواء » .

فقلت لها : « عليك بالذهاب إلى الجاويش مايك » .

فنطقت عيناها بخيبـة الأمل وهزت رأسها ببطء ، فلا أشك أنها ذهبت إلى مايك ووجدت أن الكحول قد نفد أيضاً .

وظلت المرأة تحدق فىّ ، فأنا المرأة البيضاء الوحيدة فى هذه المحلة ، والمفروض فىّ أن أقدر على فعل شىء ما ، فلم أطق صبراً وصرخت فيها : « لا أستطيع مساعدتك ، اذهبى . اذهبى من هنا » ، فأطاعت صاغرة وأدارت ظهرها وابتعدت وسارت تترنح ، فلما عاودها الاختناق سقطت على الثلج فوق

طفلتها ونثرت الرياح شعرها وأخذ يتموج حولها ، وأشحت بوجهي عن الجثتين المطرحتين في فناء الدار .

واستيقظ رالف وهو يبكي وقد ورمت الغدد تحت فكه واحمر حلقه ، فعلقت منديلا أبيض ، ولما أتى مايك كان قد ظهرت على حلق الطفل بقع بيض .

وقلت لزوجي : « افعل شيئاً » .

فوضع مايك مكمدات حول عنق الطفل وطلب مني أن أغلي في الحجرة ماء حتى يتشبع جوها بالرطوبة وقال : « دعيه يأكل ما استطاع » .

فقلت : « كلا . إنني أريد دواء » ، ثم ارتجفت من هذه الكلمة ، لأن تلك المرأة التي جاءتني كانت تلح في طلب الدواء أيضاً .

قال مايك : « إن الدواء الذي يحقن به الأطفال المرضى موجود ولكن لا سبيل إليه إلا بعد رحلة تستغرق شهرين أو ثلاثة ، وفوق ذلك ينبغي أن يظل طازجاً » .

وفي تلك الليلة بدأت ماري تضع يدها على حلقها وتبكي ، وحاولت أن أخفف عنها بالألعاب والصور ، ثم قدمت لها الطعام .

وأخذ جسم رالف يتلوى وهو يجاهد في التنفس ، وكأنما يصرخ كل عضو منه في طلب الهواء ، وانقلب شخيره إلى حشرجة ، وظل يجاهد ثم سكن جسده . فانحنى مايك فوقه ، ولما رفع رأسه أدركت أن أجله قد انتهى . فأقبل زوجي عليّ يواسيني ، ولكني انفجرت باكية ، وبعد سبع ساعات ماتت ماري وهي التي لم تمرض في حياتها يوماً واحداً .

وحاول زوجي أن يرفعني عن فراشها ولكني ظللت متشبثة بابنتي أكلمها عن صورها ودميتها ، فقال زوجي : « لا فائدة في كل ما تفعلين ، فيحسن بك أن تذهبي إلى كونستانس لأن ابنتها بريتا مريضة منذ أيام » . فأعددت سلة ملأتها بالطعام وأنا أشعر بالغيظ يمزق قلبي لأننا نعيش في منطقة بعيدة عن العمران . وقلت لزوجي وأنا أتحاشى النظر إليه : « لو كنا نعيش في مدينة » ، فأسكتني وأخذني إلى بيت كونستانس

وجدت النار قد خبت في المدفأة، وأخذت أرتعش من البرد . أما بريتا فكانت راقدة في فراش في طرف الحجرة وقد ركعت أمها إلى جوارها، فلما رأتني نهضت وعلى شفتيها ابتسامة متعبة وقالت : « جئت لنا بطعام ، ولكن سنعطيه لأهل المحلة ، فلم يعد لنا حاجة إليه فقد ماتت بريتا » ، فأسندت رأسي إلى الباب ، ولم يعد يروعني شيء .

وعاد مايك بعد قليل وفي يده عصوان وقال: « خذيهما معك إذا كنت ذاهبة إلى

المحلة ، فإن الكلاب قد ضريت لأنها لم تأكل منذ يومين » . فأطعته وخرجت أنا وكونستانس ، ووجدنا أول بيت دخلناه خالياً قد مات سكانه جميعاً إلا عجوز جالسة على الأرض قد غطت رأسها وهى تولول ، فوضعت بجانبها نصف رغيف وانصرفت .

وهجم عليّ كلب فضربته بالعصا على أنفه فتقهقر وهو يزمجر ، ثم أقبل كلب آخر ناتىء العظام وهو يزحف على بطنه ، ولبث الكلبان واللعاب يسيل من أشداقهما ينظران إلى فتى يجر فتاة صغيرة من نافذة ثم يرفعها على سطح الدار .

فرفعت بصرى إلى سطوح الدور الأخرى ، فرأيت صفوفاً من الأقدام العارية ، كما رأيت أناساً آخرين مربوطين إلى الأشجار . وهذا هو ما يفعله الهنود لتبريد حرارة الحمى .

ونزل الشاب إلى السطح ودخل البيت المهجور ، فوضعت النصف الباقى من الرغيف عندالباب، ولكنه أبى أن يأخذه وهز رأسه قائلا: « إذا ماتت فسألحق بها » .

ثم رأيته يترنح ويسقط على فراش من الجلود ، فهممت بإيقاد النار فى المدفأة ، وذهبت إليه ولكنه أشار إلى أن أبتعد عنه وقال : « حذار من الكلاب فقد تدخل الدار » .

فقلت : « سأغلق الباب » .

فقال : « حسناً تفعلين ، فإننى سأظل بضعة أيام راقداً » . وهؤلاء الهنود يخشون أن تشوه أجسامهم بعد الممات ، فلا جرم أن خاف هذا الفتى أن يقف بين يدى خالقه يوم الحشر وقد مزقت الكلاب جسده .

وظللت أطوف على المرضى أحمل الماء مرة وأغليه مرة ، وأسعفهم بالمكمدات أحياناً وأصب الحساء أحياناً فى حلوق متورمة ، وكنت إذا رأيت وجوه الأطفال وهى زرق ممتقعة شعرت كأننى أجاهد لإنقاذ طفلتى .

ورأيت أمامى طفلا يتلوى جسده ثم يموت ، وغطت أمه رأسها وولولت . وطلع الصباح وحملقت إلينا من الأشجار عيون الموتى ، ولم يعد قلبي يهتز لما رآه من الألم والإعياء . وقد مد إليّ طفل مرة ذراعيه النحيلتين فاعتصر قلبي الألم وأنا أقول : « ليتهما ذراعا من أحب ! » ، وتملكنى الخنق أيضاً حينما رأيت طفلين تماثلا للشفاء . ومرّ بى رجل شيخ يحمل جثة امرأة عجوز . ثم انبعثت صرخة،فقد أنشب كلب أنيابه فى تلك الجثة الصغيرة الضامرة ، فأخذ الشيخ يشدها منه ، فإذا بها تتمزق بين يديه ، وسرعت الكلاب تمزق لحمها إرباً إرباً ولكن الشيخ رمى نفسه فوق الكلاب يضربها بيديه الضعيفتين فسارعت إليه

فوجدت الكلاب قد مزقت لحمه أيضاً .
وعثرت سارة القابلة علىّ بعد ذلك ، وصحبتني إلى زوجي وقد حملتني بعض الطريق.
لم أجد المهدين في الدار ولا أقلام ماري ولم أسأل زوجي قط ماذا فعل بها ، وصبرت حتى خرج وقمت أفتش الدار كلها ، ويخيل لى أننى سررت حين لم أجدها .
وكان مايك يغيب عنى كل يوم ، إذ شغل هو وزملاؤه بدفن الموتى طوال الأسبوع ، وكان معظم الموتى من الأطفال والشيوخ .
وفى الليلة التالية حملنى زوجى إلى الجبل، فمررنا وسط صفوف من الشواهد البيض ، فأخذت أقرأ الأسماء المنقوشة على الخشب ، فرأيت اسم ابنتى مارى ، وبجانبها قبر عليه اسم ابنى . وهكذا ثوى طفلاى فى سفح هذا الجبل العارى الذى تصفر فيه الرياح ، وركعت بجانب القبرين ولمست الثلج بيدى. وبعد قليل لمس زوجى كتفى فقمت وتبعته إلى الدار ، وكنت أود أن أرتمى بين ذراعيه ، ولكن نفسى لم تطاوعنى . ولم أتبين السبب فى مبدأ الأمر، ثم أدركت أننى ألحى عليه بالملامة ، فهل أدرك شعورى ؟ لقد غمرنى بطيبته ورقته وصبره ، وإن كان يتحاشى أن تتلاقى أعيننا ، فكان لا ينظر إلىّ إلا حين يجدنى مشغولة عنه . ولم أستطع التغلب على الكآبة الكامنة فى قلبى ، ولا شك أنه عالم بها ، فهو قد عاش فى هذه المنطقة وشاهد فى كل شتاء أطفالا صرعهم الوباء دون أن يجهل أن تلك المنطقة خالية من وسائل الإسعاف ، فلم يكن خليقاً به أن يأتى بزوجته إليها ويدعها تلد أولاداً يحيط بهم مثل هذا الخطر .
ومر شهران ونحن نجلس معاً فى حجرة واحدة دون أن نتبادل إلا أقل الكلام ، فإذا طلع النهار تعمد زوجى أن يغيب عن الدار وقلبى يناديه شوقاً إليه ، لأن الوحدة ترهقنى . وكم من مرة عددت فيها الساعات بصوت مرتفع انتظاراً لعودته ، فإذا عاد سارعت بتحيته قائلة : « مرحباً يا مايك »
فيجيبنى : « مرحباً بك يا كاتى » .
ثم أعمد ، وأنا أعد مائدة العشاء ، إلى ترديد ما أود أن أقوله له ، فإذا جلست شعرت بقلبى يخفق فى صدرى ، فاضطربت حركاتى . فماذا عساى أقوله له ؟ إن كل خواطرى تعود بى إلى تيه من الألم المرير .
وبعد العشاء أجلس وأنصت له وهو يعزف على آلة موسيقى قديمة كان قد عثر عليها فى المخزن ، ويستغرق زوجى فى عزفه وهو غائب عنى ، فكأنما فقدته أنا أيضاً كما فقدت ولدىّ . وظللت ليلة بعد ليلة أنصت لهذه الموسيقى حتى كرهتها ، وحتى كادت هذه الآلة تدفعنى إلى الجنون .

وحينما رأيته ذات ليلة يهم بتناول الآلة أدركت أنني سأهبّ واقفة وأصرخ ، ولكني لم أفعل، إذ جيء لنا في هذه اللحظة برجل جريح ، فغسلت الدم عن وجهه . وحينئذ تبينت أن عينه قد خرجت عن محجرها ، وعكف زوجي على تضميد جروح وجهه . ولا أدري كيف جاءت سارة القابلة أيضاً وأخذت تساعد في إسعاف الرجل بأدويتها . أما الجريح فهو راندى فولان ، وقد سكن المحلة منذ عهد قريب . ولما أعدت النظر إليه وجدت عينه قد استقرت في محجرها ، ورأيت زوجي يلف حولها الضماد. وكانت إحدى ضلوعه مكسورة بارزة من جنبه ، وعلى صدره جروح عديدة ، وكانت تتدلى من كتفه ذراعه المخلوعة . وهذه هي أول مرة نشاهد فيها مبلغ ما يصاب به الرجل من الجروح إذا افترسه دب أسود .

وظل الرجل طوال الأسبوع الأول وهو غائب عن وعيه معظم الوقت ، وانقضى الأسبوع الثاني وهو طريح الفراش لا ينقطع أنينه ، ثم عادت إليه القدرة على الكلام ، فكان يحدثني إذا دخلت حجرته ويشكرني على عنايتي به ، وهو لا يدري مبلغ غبطتي لأنني وجدت في هذه العناية تسلية لهمومي . وقال لي إن له أختاً تقيم في بوسطن ، وكان يهون عليّ أن أشقى في تمريضه بالليل والنهار لا لشيء إلا لأستمع إليه وهو يحدثني عن الحفلات الموسيقية التي حضرها ، وعن آخر مستحدثات أزياء النساء ، وعن السيارات التي أصبحت مبذولة لأغلب الناس وكيف صارت سرعتها تبلغ ٢٥ ميلا في الساعة .

وجاء زوجي ذات يوم ومعه برقية من أخت الرجل تطلب فيها إليه أن يعود إلى بوسطن يوم يقوى على السفر . وحينئذ طرأت لي فكرة راقتني وأخافتني في وقت واحد ، وقلت لزوجي ذلك المساء ونحن جالسان أمام المدفأة : « ليس أفضل له من أن يقوم بهذه الرحلة ، ولأنه في حاجة إلى العلاج على يد طبيب » .

فجعل مايك ينظر إليّ طويلا ثم قال : « ولكنه لا يستطيع السفر وحده » . فأجبته وأنا أسرع في كلامي وأتجنب النظر إليه : « أعلم ذلك ، ولهذا فكرت أن أسافر معه ، لأنني لم أر موطني منذ أربع سنوات ولهذا أسافر معه إلى بوسطن ثم . . . »

فهبّ واقفاً وقال : « إن كان هذا هو عزمك يا كاتي ، فامضي فيه ، فلعله من الخير » .

وسرعان ما أعددت حقيبتي وصندوق الإسعافات الطبية ، وأعد زوجي نقالة ليحمل عليها المريض . ثم جاء ذات يوم من مكتبه ووقف عند النافذة وأخذ

يقول لى وهو لا يدير وجهه عنها : « إننى لا أحب أن تتركينى » .

فقلت : « ولـكنى ... »

فقال : « أنصتى إلىّ . إن هذه فـكرة طرأت ولم نبحثها، فأنت لم تخبرينى كم تغيبين عنى . وأنا أشعر . . . »

ثم هزّ كتفيه وقال: «ولـكن ما الفائدة؟ لقد عزمت على السفر ، أليس كذلك ؟ »

وفى الصباح اجتمع جيراننا وأصدقاؤنا عند المرفأ ، وأقبلت سارة نحوى تقول : « عودى إلينا يا مسز مايك » .

وحملنى زوجى إلى القارب ، والتفت نحوهم أحييهم ولـكن الدموع المترقرقة فى عينى حجبت عنى وجوههم ، وتعالى الهتاف والتحيات ، ولم أستطع من الضجة أن أتبين منها كلمة واحدة » .

ومكثنا يومين فى سفر شاق ، بعضه فى القارب ، وبعضه فى عربة تجرها الجياد ، حتى بلغنا السكة الحديدية ووجدنا قاطرة صغيرة قد ألحقت بها عربة واحدة للمسافرين.

وحمل زوجى أمتعتى ووضعها على المقعد، ثم دسّ فى يدى بعض النقـود ، وحينئذ أدركت أن لحظة الوداع قد حانت وطوقنى بذراعيه القويتين وهو متردد وقال لى : « إنى أحبك يا كاتى » .

وغادرنى وتحرك القطار وكانت آخر صورة له انطبعت فى ذهنى وهو واقف بمفرده، ومن ورائه تيه تلك المنطقة الشمالية .

وأخذت أرقب الأرض المبتلة بالمطر وقلبى يخفق بذكرى ما دار وما لم يدر بيننا من حديث .

وجدت أختى آن فرنسيس تنتظرنى بمحطة بوسطن فقلت لها: « أريد أن أمكث هنا وقتاً طويلا » .

أقامت أمى وأختى حفلة للترحيب بى ، وازدحم منزلنا بفتيان وفتيات وجوههم غير غريبة عنى ، وإن كنت لم أعرفهم إلا بعد جهد ، وعزفت الموسيقى ورقصنا ولهونا وأكلنا وشربنا .

ثم جاءت أمى خلسة إلى غرفتى وعانقتنى وقالت : « أراك تشكين الوحدة يا بنيتى » .

فاندفعت أقول لها : « إننى أحبه يا أماه ، وسأظل أحبه » .

فأخذت أمى تمسح شعرى بيدها وتقول: « لعله يأتى هو أيضاً إلى بوسطن » . فقلت لها : « كلا ، إنه لن يكون فى بوسطن سوى شرطى صغير » .

فأجابتنى أمى بحزم : « إننى أحرص على الابتعاد عن التدخل فى شئون بناتى ، لقد عقد زواجك فى مكان ما فى تلك المنطقة الموحشة برجل لم أره من قبل ، ثم استقبلت معه حياة لا ترضاها امرأة معه . فأنت

حبيسة فى كوخ من الخشب ، وليس عندك إلا أقل الثياب ، وليس هناك طبيب ، وإلا لكان أسعف طفليك حينما أشرفا على الهلاك . وليست هذه حياة جديرة بك يا كاتى ، وليس من العدل إرغامك عليها . إننى أعتقد أنه من واجب الزوجة أن تلازم زوجها ، ولكن حالتك مختلفة تمام الاختلاف . ولن أدعك ترحلين إلى الشمال مرة أخرى ، فتقاسين الألم من الوحدة ومن رؤية قبرى طفليك ».

فأجبتها وأنا أتمتم: «لست أريد العودة».

ثم أخذنا نتردد كل ليلة على المسارح والحفلات الموسيقية ، ولكنها كانت متعة لا تمس قلبى ، فقد شعرت أن هذه الحياة قد أصبحت غريبة عنى ، بل أحسست أن هناك فارقا أو حاجزاً قد فصلنى عن أمى وأختى . وظللت أصور لنفسى مايك كما رأيته آخر مرة واقفاً وحده ومن ورائه تيه المنطقة الشمالية ، هذا هو الوطن الذى أحن إليه ، وإن لزوجى فى هذا الوطن مقامه الملحوظ . إننى لم أكن عادلة ، بل كنت مخطئة ، واليوم أدرك كل هذا ، ولا بد لى من أن أبوح له بما يتردد فى نفسى وأكشف له عن قلبى . وجعلت أصرخ كأنه بجانبى يسمعنى ، وأقول : « خذنى إليك يا مايك ، فلن أفارقك مرة أخرى » .

وجاء زوجى يستقبلنى وأنا أنزل من القطار ، وأخذ يحدثنى بصوت خافت مختلج . كان يهم بالكلام ثم يصمت ، وينظر إلىّ فأنسى ما كنت أريد أن أقوله له ، وأنظر أنا إليه أيضاً . وقد هممت أن أقرّ له بخطئى ، ولكنه ظل يقبلنى فيمنعنى من الكلام .

وقلت له : « سنبدأ حياتنا من جديد . أليس كذلك يا مايك ؟ »

فأجاب : « لا شك فى ذلك » .

وركبنا الزحافة وظل مايك يرقبنى ثم قال : « ألا تحسين بفرحة العودة إلى الوطن والمأوى ؟ » . نعم ، لقد كان قلبى يرقص سروراً بالعودة إلى دارى المحبوبة .

ووصلنا إلى الدار فى اليوم التالى ، فوجدت أغصان الشجر المثقلة بالثلوج قد انعقدت فوق الدار كأنها قباب من البلور ، فقفزت من الزحافة وجريت إلى مدخل الدار ، ولكن مايك سبقنى إلى الباب وقال : « أخشى أن يكون البيت مختل النظام » .

فأجبته : « لا تكن أحمق وسأرتب كل شىء » .

فوجه إلىّ نظرة جعلتنى أفهم أن اختلال النظام أشد مما أتصوّره ، فهيأت نفسى لأسوأ الفروض ودفعت بالباب ، فإذا بالدار نظيفة مجلوّة مرتبة خير ترتيب ، فالتفت إلى مايك لأرى ما إذا كان قد مكر بى ، ولكن

نظرة واحدة مني إلى وجهه جعلتنى أعتقد أنه لم يكن يقصد ذلك . ووجدت كل شيء فى مكانه ، وعلى المائدة عشاء ساخن .

وفى تلك اللحظة سمعت الباب الخلفى وهو يغلق ، فجرينا إلى المطبخ فرأينا سارة وهى تنفلت منه خارجةً ، فناديناها فأخذت تلوّح لنا بذراعيها دلالة على أنها سمعت نداءنا ، ولكنها أبت أن تعود أو أن تدير وجهها إلينا ، فهى تريد أن تترك الزوجين فى خلوتهما .

وحلّ شهر أغسطس الذى أعلنت فيه الحرب ، وجاءنا تيمى بوكلير ليودعنا ويطلب إلى زوجى أن يعنى بجواده ، وأخبرنا أن أخاه بول قد التحق بالجيش هو أيضاً .

ولم ينته الشتاء حتى كنت قد حملت خمس برقيات إلى أسر من جيراننا تنبئهم بوفاة رجلهم أو فقدانه فى الحرب .

وجاءت سارة يوماً إلى مكتب زوجى وقالت : « أعدّى لى كوبة من الشاى » .

وليس طلب قدح شاى بأمر غير مألوف ولكنه أزعجنى منها ، لأننى لم أعهد فى سارة منذ عرفتها أنها تطلب شيئاً من إنسان .

وشربت قدحاً ثم قالت فجأة : « ولدت مادلين بنت كونستانس طفلين ، وهى الآن تحتضر » .

فصرخت فيها : « أحق ماتت مادلين ؟ » .

فأجابت : « وضعت على يدى طفلين ولداً وبنتاً ، ثم بدأ النزف ، فحبسته حتى لا يخرج ، ولكنه استمر داخل جوفها ، وهى الآن تموت » .

ورمى زوجى قلمه وقال : « أولدت توأمين ، ولداً وبنتاً ؟ »

أجابت : « نعم . ولداً وبنتاً » . ولم ينطق أحدنا بكلمة وجلسنا نتناول الشاى صامتين .

وبعد ثلاث ساعات بدأت آلة التلغراف تدق ، ورفعت سارة رأسها ترقب زوجى وهو يسطر الرسالة ، فإذا بها تقول : « ٢٧ مارس — إلى جورج بوكلير وزوجه — نخبركم بمزيد الأسف والحزن أن . . . قد قتل فى ميدان القتال » .

فالتفت إلى سارة وسألتها أكانت كونستانس تعلم بخبر مادلين .

فأجابت : « نعم ، إنها كانت معها ولكنها الآن عادت إلى دارها » .

فقلت : « رباه ، لماذا كتبتَ كل هذا البلاء على تلك الأسرة ؟ »

وذهبت إلى الدار وقرعت الباب فخرجت إلى كونستانس ، فأردت أن أمهد للخبر السيء بكلام لطيف وديع ، ولكن كل ما استطعت أن أنقله هو أن أقدم لها البرقية .

فقالت وقد زمّت شفتيها : « أيهما ؟ »

فأجبتها : « إنه بول » .

وجاء نعي ابنها الثاني في الربيع التالي ، وكانت كونستانس تعد الابن للتوأمين ، فالتفتت إليّ مبتسمة وقالت : « مرحباً بك ياكاتي » وكنت واقفة إلى جانب المائدة كما وقفت في الشتاء الماضي ، وتحت يدي البرقية الأولى لم تفض وقد علاها التراب فإنها لم تلمسها ، فوضعت البرقية الثانية فوق الأولى وخرجت .

ولما عدت إلى الدار وجدت زوجي ينظر من النافذة ، ورأيت جواد تيمي واقفاً يرعى في الحقل ، وقال لي زوجي : « كانت سارة هنا ، ولا أدري كيف أحست بالنبأ ، فإنها جعلت تسألني عن تيمي » .

فسألته : « وهل أخبرتها ؟ »

فقال: « نعم ، وكل ما قالته هو : يموتون وهم صغار من المرض ، ويموتون وهم كبار في الحرب » .

وكأنما لم يكف هـذا العالم المصطخب المتقاتل أن يرسل إلينا برقياته تحمل إلينا نبأ الموت ، بل بعث إلينا أيضاً بموت جديد ، فقد تولد من قذارة الخنادق في أوربة في خريف سنة ١٩١٨ مرض الأنفلونزا ، وانتشر حتى بلغ شمال كندا ، فمات من سكانها أيضاً خلق كثير دون أن يسعفهم طبيب .

وتبعت سارة إلى حجرة النوم في منزل بوكلير ، فوجدت جورج العجوز جاثياً على الفراش . ومرت ساعات طويلة قبل أن تتحرك كونستانس أو تتكلم ، ثم فتحت عينيها وقالت: « إنني في سياق الموت ياكاتي، ولـكنني متعبة جداً ، ولهذا فإني لا أبالي أن أسلم الروح » .

وسهرنا الليل بجانبها ، ولـكنها ظلت ساكنة لا تتحرك وقد انفرجت شفتاها ، وأخذت أنفاسها تتردد بهدوء .

ولما اقترب الصباح جاء مايك ليحل محلي،ففتحت كونستانس عينيها مرة أخرى ونظرت إلينا وعرفتنا وقالت : « خذا التوأمين »،ثم قضت نحبها . فارتمى جورج على الفراش وهو يبكي ، وألقيت رأسي على كتف زوجي وأخذت أبكي حسرة على أعز صديقة لي

وأخذنا التـوأمين إلى دارنا ، وجعل زوجي يلاعبهما . ولما رآني أبكي من السرور أخذ يغمرني بقبلاته ورزقنا الله بطفل ثالث، إذ جاءنا جوناثان فوكيـه ذات يوم وهو يحمل طفلا وأخبرنا أن فرحانة ماتت وخلفت له هـذا الطفل فسرني أن أتبنى أيضاً ابن فرحانة التي كانت تحب ولديّ وتعنى بهما .

وهكذا كملت أسرتنا وجعلت تتوالى ونحن في سعادة وهناءة .

هذه طبائع البشر

النعاس على عينيّ ذات ليلة ، وإذا رانه بجرس التلفون يدقّ ، فأخذت السماعة بيدي فإذا بصوت غريب عني يقول: «إن زوجي يثير غضبي !» فقلت : «آسف ياسيدتي فقد أخطأت في طلب النمرة» ، ولكن صاحبة الصوت لم يزعجها أنني قاطعتها وأنني بيّنت لها خطأها فمضت تقول : «أيظن أن العناية بثلاثة من الصغار شيء هين ! وأنا أيضاً أريد أن أتنزه مرة بعد مرة ، ولكن أيهمه شيء من هذا ؟ يهزّ كتفه ويقضي السهرة كلّ ليلة مع أصحابه على مايقول، ثم يريدني أن أصدق مايقول».

فاعترضتها مرة ثانية بلهجة حازمة وقلت: «يؤسفني ياسيدتي ، فقد أخطأت في طلب النمرة فأنا لا أعرف من أنت» .

فقالت : «طبعاً . أنت لاتعرف من أنا . أو تظن أنني أستطيع أن أفضي بكل هذا إلى من يعرفني ؟ إذن لذاع أمره وشاع ، فالناس يحبون القيل والقال . غير أنني وجدت أنه لا بدّ من زحزحة هذا الحجر الجاثم على صدري . فأنا أحسن حالا الآن ، فشكراً» ، ثم قطعت الحادثة .

ويل لنا من ألكسندر جراهم بل ومن مخترعاته !

[پول كلاين]

كانت فتاة زنجية من صويحباتي تندب سوء حظها أنها لا تزال بغير زواج ، فقلت لها : «يلوح لي أن صاحبك يحبّك حبّاً صادقاً ولا يريد سوى مرضاتك ، فلم لا تتزوجينه يا لوسندا ؟»

فقالت : «أنا في مشكلة من هذا الشاب ، فهو يسرني يوماً ، ويغضبني يوماً ، ولا أزال في حيرة من أمري فلا أستطيع أن أقرّر أيسرني أكثر مما يغضبني أم يغضبني أكثر مما يسرني . وإلى أن أصل إلى قرار ، سأبقيه معلقاً بين الشك واليقين حتى ينفطر قلبي لوعة وأسى ، ويومئذ أتزوجه مهما يكن قراري !»

[نلدا ستورمز]

كنت أتجوّل في أحد المتاحف منذ سنوات ، فوقعت عيني على شيء غريب استوقف نظري : حية من ذوات الأجراس يبلغ طول ذيلها قدماً وفيه ثلاث وعشرون عقدة . فشقّ علي أن أصدق أن ذيل هذه الحية يبلغ هذا المبلغ من الطول ، وإن كان ماثلا أمامي . فالتفت إلى أمين المتحف ، العالم الحكيم هومر وليمز ، وفي عينيّ سؤال عن سرّ ما رأيت .

فقال وفي عينيه بريق : «أرسل إلينا

بل جونز هذه الحية من ولاية تكساس ، فكانت أكبر حيــة من ذوات الأجراس رأيتها فى حياتى،وكان فى ذيلها تسع عقد . بيـد أنه لم يكد ينقضى شهر على عرضها فى التحف حتى جاءنى رجلٌ وقال إنه قتـل مرة حية أكبر منها، وكان فى ذيلها عشرة عقد . ثم جاءنى آخر وأقسم بأغلظ الأيمان أنه رأى حية فى ذيلها اثنتا عشرة عقدة .

« فظللت زمناً أفكر فى أقوال الرجلين، وعزمت فى آخر الأمر أن أرى إلى أين ينتهى أمر الكذابين من الناس . ففككت ذيل الحية وأضفت إلى عقدها الأصلية أربع عقد جديدة أخذتها من مجموعة التحف... ولا يزال الناس يتمادون فى الكذب ، ولاأزال أضيف إلى الذيل عقدة بعد عقدة، حتى بلغت كما ترى ٢٣عقدة ، وصارت الحية غريبة ، ولم ننته بعد ، فليس لكذب الناس حدٌّ يقف عنده » . [فكتور شمت]

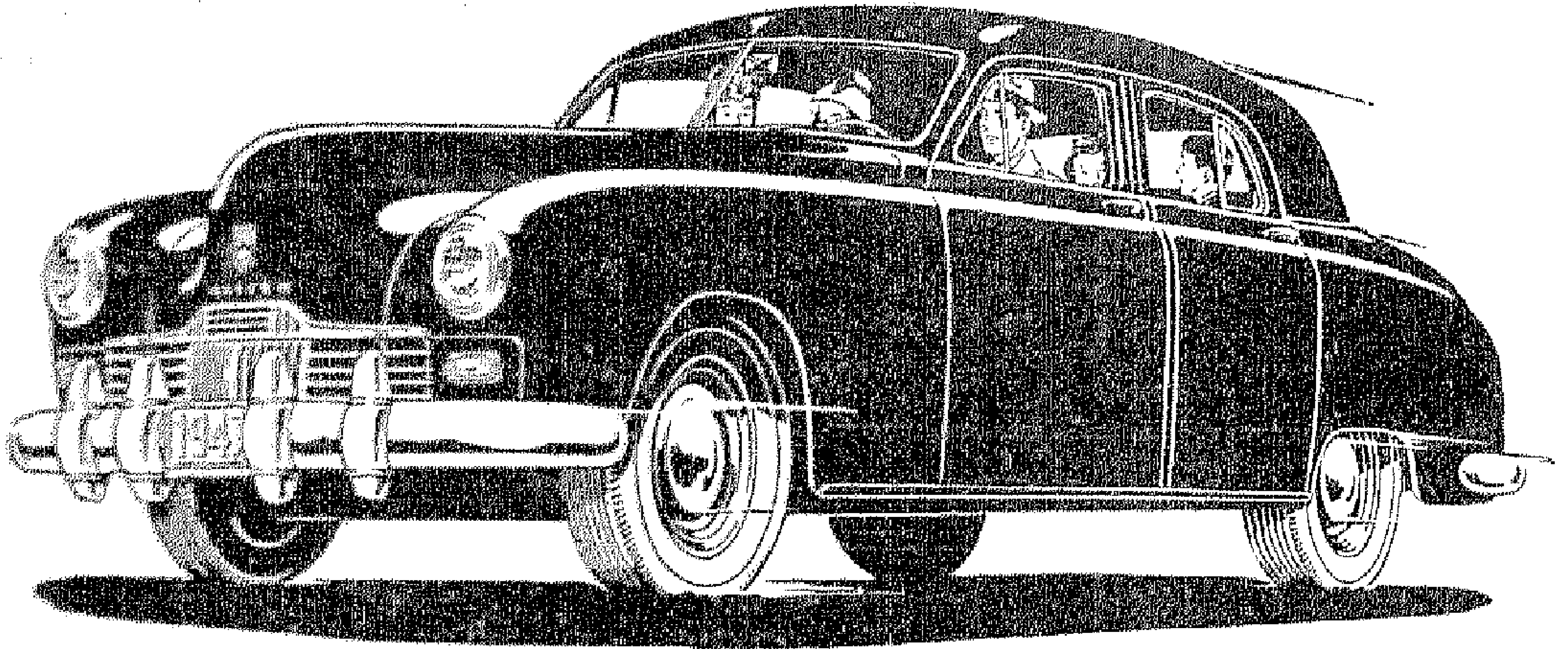
يبكر ابنى فى الخروج إلى عمله كلَّ يوم، قبل أن يســتيقظ أحد من أسرتنا . وقد كان عيد ميلاده الرابع والعشرين منذأيام. فلما جلست إلى مائدة الفطور وجدت على صحنى بطاقة منه هذا نصُّـها :

« أمى العزيزة ، منذ أربع وعشرين سنة تغــدَّيت على حسابك ، أفلا تقابليننى ظهر اليوم فأرد لك التحية ؟ جاك » .

[ح . ى . لركنبراك]

قضيت بضعة أسابيع مع صديق لى فى مزرعة أبيه بولاية أوريجون ، فلاحظت أن أباه ينفق ساعة أو نحو ساعة كل يوم فى تنظيف سيارة فورد عتيقة وفى صقلها ، حتى لتراها كالعروس المجلوة حيال سيارة جديدة فخمة ، وأخرى من طراز «ستيشن واجون » كان يهمل تنظيفهما . فسألته عن سر ذلك .

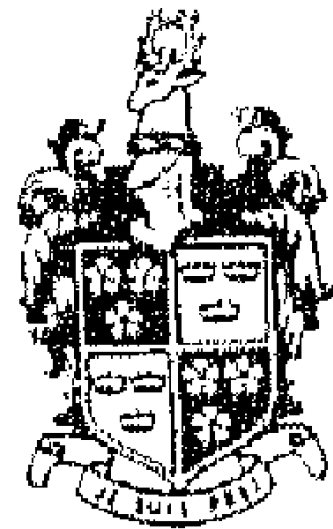
فنظر إلى وكأنه ينظر إلى الأفق البعيد، وقال: « اسمع يا بنى، منذ ٢٥ سنة لم أكن أملك سوى هذه السيارة ، فهجرت عليها الولاية البعيدة التى ولدت فيها وجئت إلى هذا المـكان ، فأعانتنى على أن أجد عملا ، فوفرت منهمالا قليلا فاشتريت قطعة أرض، ثم أعانتنى على مقابلة فتاة عرفتها ، ثم حملتها إلى هذه الدار من الـكنيسة يوم تزوجتها، ثم نقلتها مرتين إلى المستشفى وعادت بها وفى أحضانها ولدان جميلان . وقد نقلت نتاج أرضى إلى السوق وساعدتنى على أن أجعل هذه المزرعة كما تراها اليوم . فهذه السيارة ليست سيارة عتيقة وحسب، يابنى، بل هى صديق قديم ، ولست بالرجل الذى ينسى صديقاً قديماً » . [أنتونى بيروج]



كايزر



Darrin مصمم الهيكل



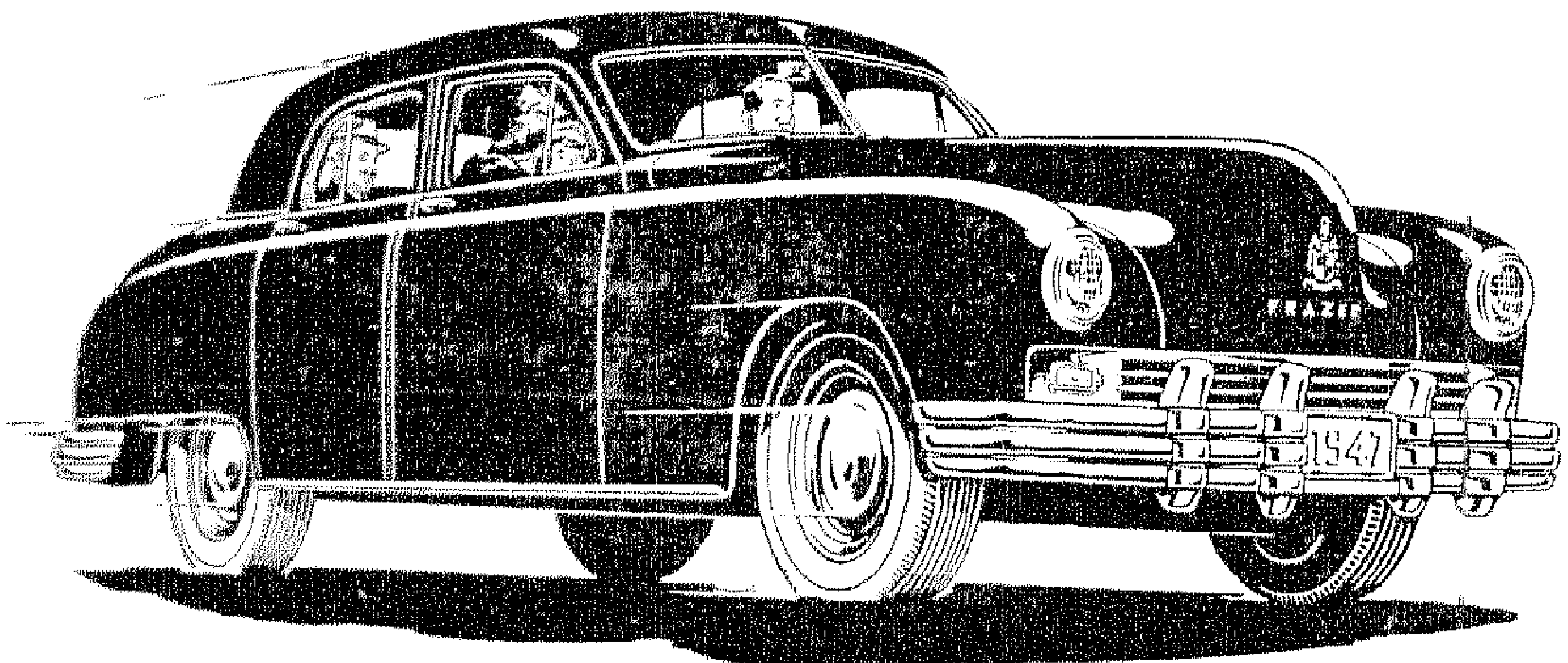
فرازر

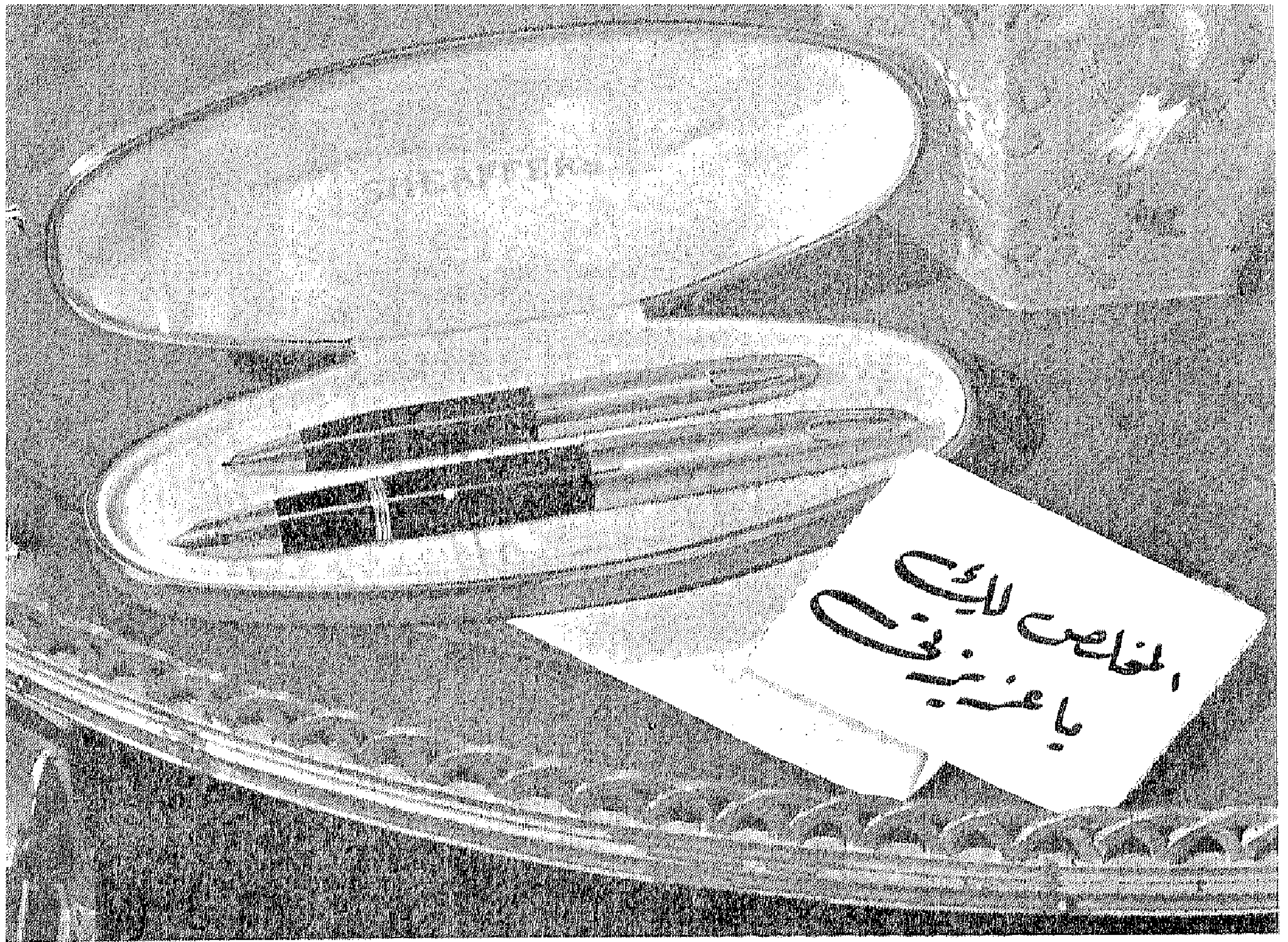
سيارتان ينبغى أن تعرفهما !

هما السيّارتان اللتان ما فتىء العالم يترقبهما وينتظرهما أعلى ما بلغه التصميم الرشيق الحديث ، والراحة والترف فى السيّارات ، والكمال الميكانيكى ، فستراهما قد حلقا إلى مراتب عالية جديدة فى ميدان السيارات الممتازة حقاً . فهما سيارتان ينبغى لك أن تعرفهما — حتى تعرف المتعة العظيمة فى قيادتهما — والروعة المحبّبة فى امتلاكهما .

KAISER - FRAZER EXPORT CORPORATION

Willow Run Michigan, U. S. A. Cable Adress : "KAFREX"





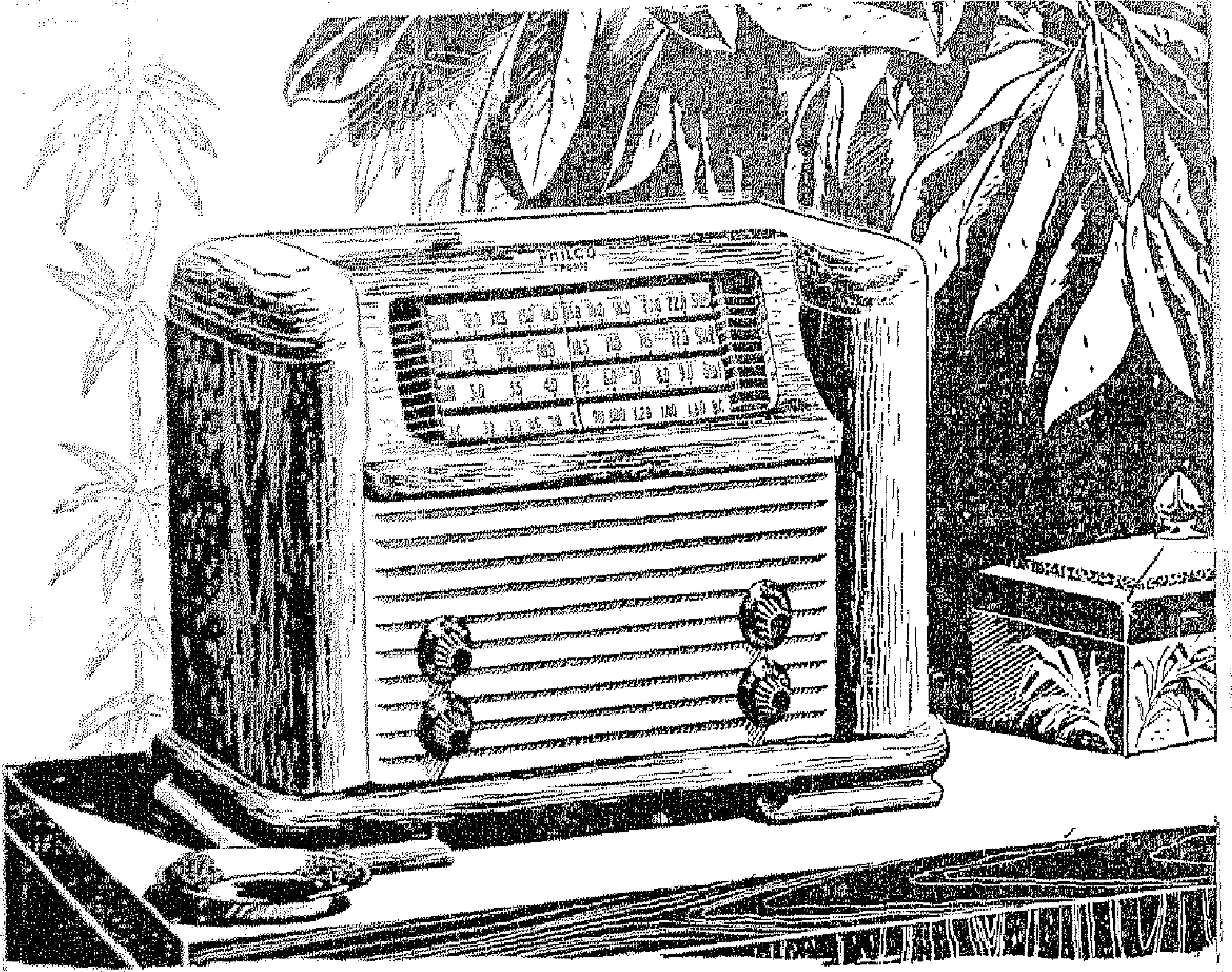
"تريومف" تاك أواى

ذو السن التى صنعت خاصة "لها"

إن قلم شيفرز « تاك أواى » قد صمّم خاصة للنساء ، فهو «قلمها» حقاً ! وهى تفضله لأنه يوافق طريقتها فى الكتابة — فيصوّر شخصيتها على الورق — وذلك لحجمه الكبير ، وسنه الأسطوانية المصنوعة من ذهب عيار ١٤ قيراطاً ، المتاحة لها على الشكل الذى يلائم يدها ولمستها أدقّ ملاءمة وأعمّها . تأمل قلم « تريومف » تاك أواى ، وقدرته على الكتابة السهلة الميسّرة — وقوامه الرشيق ، وأناقته النسائية (وقيمته النفيسة أيضاً) فتقتنع بأن « تاك أواى » — هو خير هدية تختارها « لها » .

W. A. SHEAFFER PEN CO., Fort Madison. Iowa, U.S.A.

SHEAFFER'S شيفرز



يضبط أى محطة بدقة حد السلاح

بفضل الضبط الكهربائى الجديد للموجات المستعرضة
مزية لن تجدها إلا فى راديو فيلكو!

يلتقط أبعد محطات الموجة القصيرة بالسهولة التى يستقبل بها المحطات المحلية

« فيلكو ترو بيك » ٨٢٨ تقدم باهر للاستقبال الممتاز لأى محطة فى العالم، مهما كانت بعيدة !. أربعة موجات مستعرضة للضبط تتيح إذاعة كاملة على الموجة القصيرة . نغم جميل منقطع النظير صندوق أنيق من خشب الجوز المحبب . شاهده لدى متعهد « فيلكو ».

فيلكو

المشهور بالجودة ـــ فى جميع أرجاء العالم

PHILCO INTERNATIONAL CORP. 50 Broadway, New-York 4, U.S.A.



سعادة! - سوف تشعرين بالسعادة حقا حين تبتسم أسنانك ابتسامة بيضاء

إن العالم ليبدو لك عالماً سعيداً إذا أمكنك أن تبتسم دون خجل من الأسنان الكدرة القذرة ، ومهما كانت أسنانك كدرة وحائلة اللون ، فإن معجون « كولجيت » يعيد إليها بسرعة بياضها الطبيعي الناصع . إن هناك ابتسامتها الحقيقية البيضاء تنتظر إظهارها الآن .

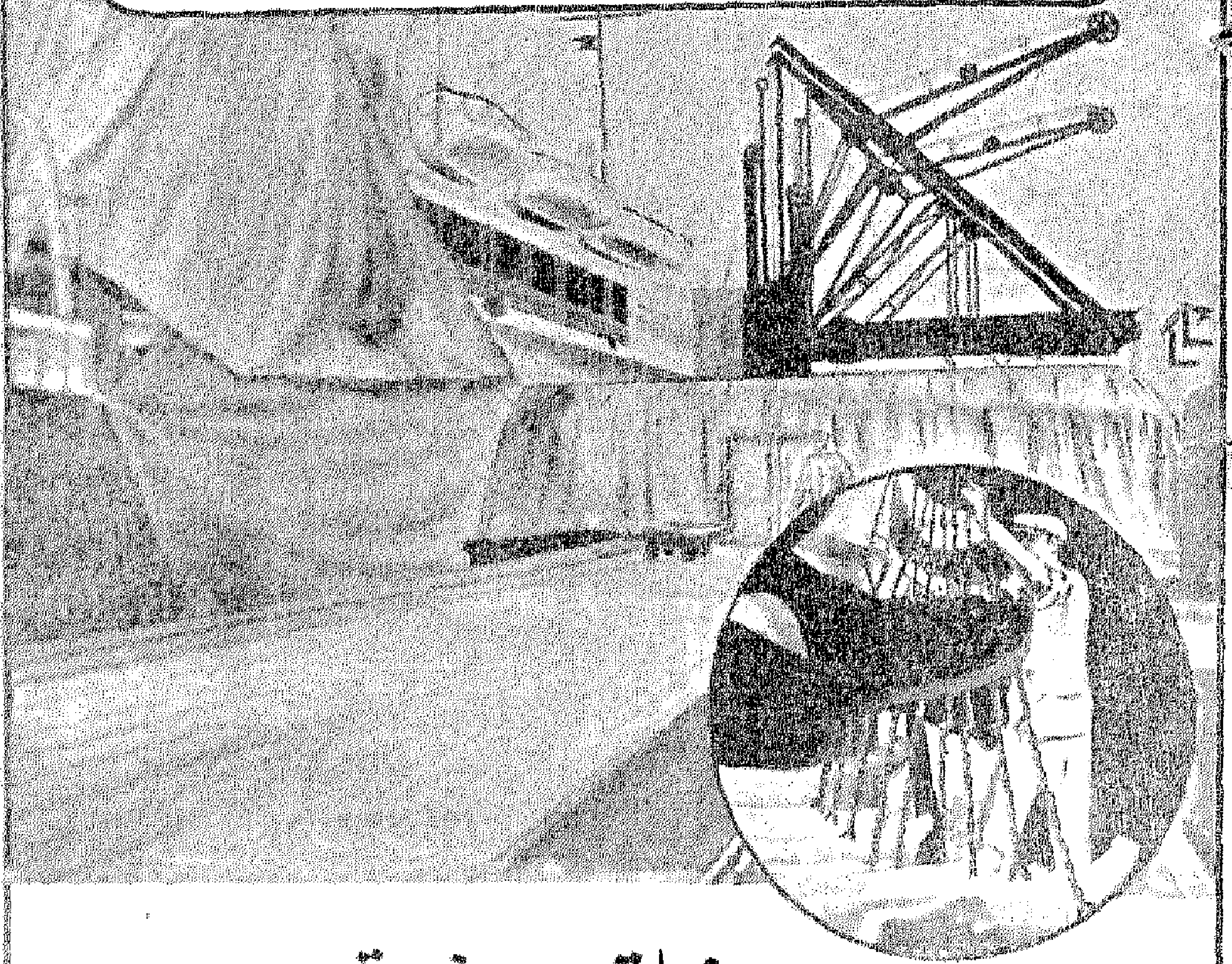


COLGATE

معجون أسنان كولجيت

يضمن لك

ابتسامة بيضاء



رحلة سعيدة

حتى تصل أجود أنواع اللحم إلى أسواق المستهلك فى حالة جيدة ، قامت شركة « سويفت » الدولية بدراسة مشاكل كثيرة وحلها . ابتداء من القماش الذى يغلف اللحوم – والذى تنسجه شركة « سويفت » الدولية فى مناسجها الخاصة – إلى أساليب التخزين الخاصة على ظهر سفن الثلاجات ترى مراقبى شركة « سويفت » الدولية الإخصائيين فى الشحن يهتمون بكل صغيرة وكبيرة . ومن الاحتياطات الدقيقة التى يتخذونها أنهم يركبون مظلة خاصة أثناء أعمال الشحن لحماية اللحوم من التلوث .

إن جودة منتجات شركة « سويفت » الدولية ، التى تنال رضاء الكثير من الناس فى أنحاء العالم ، تستحق عرشها بجدارة .

COMPAÑIA **Swift** INTERNACIONAL

Av. Corrientes 389 · Buenos Aires · Rep. Argentina

شركة " سويفت " الدولية

مصانع فى الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأوروجواى توزع

منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

لست فى حاجة إلى طريق

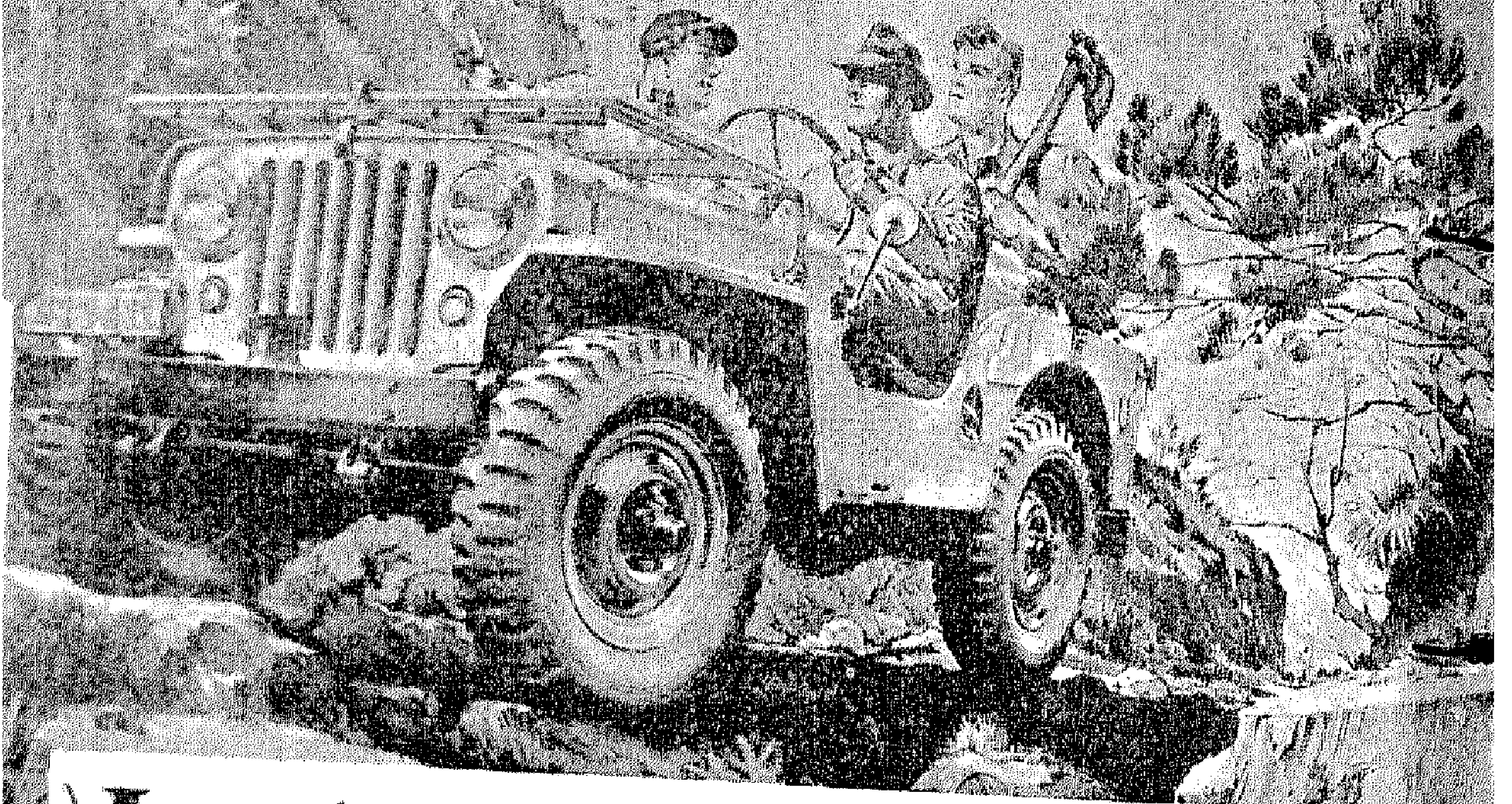
إن سيارة « يونيفرسال جيب » تخترق الغابات التى لم تطأها قدم مستكشف . . . تحمل الرجال ، والأدوات ، والمؤونة إلى أقصى مواقع التحطيب .

فهى تهيئ قوة متحركة فى جوف الغاب .

وهى تنقل المعدات الثقيلة ، وتسل كتل الخشب وتجر الجذوع ، بما قد يركب عليها من ونش طراز كابستن .

فهى تصل إلى مكان العمل — وتنجز العمل — برغم الوحل والطين ، والأرض الوعرة ، وانحدار مواقع السير .

WILLYS - OVERLAND EXPORT CORPORATION
Toledo, Ohio, U. S. A.



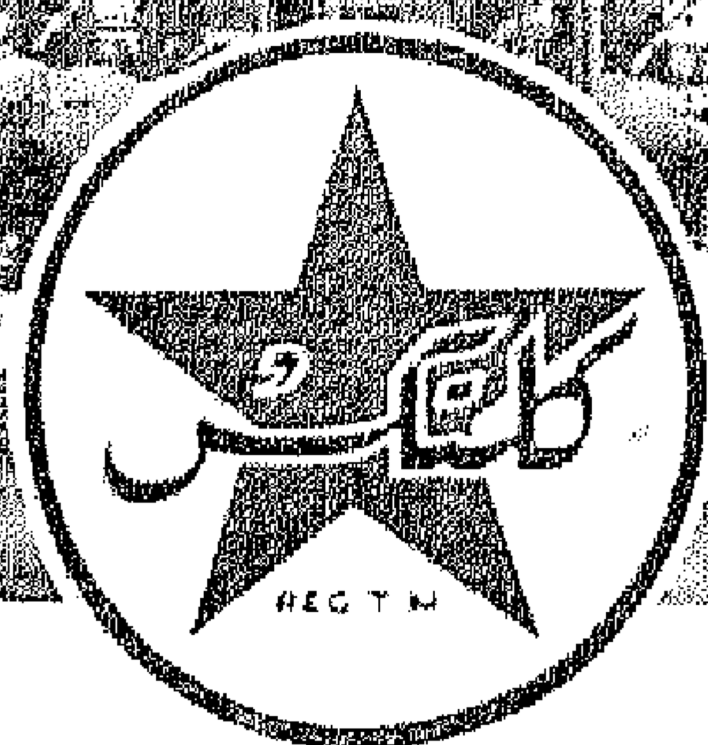
"جيب" ستيشن واجون 'Jeep'

WILLYS-OVERLAND

سيارة جديدة كل الجدة ، صنع "ويليز اوفرلاند"




ICI



مواد التشحيم والوقود
للاقتصاد والكفاءة في العمل

إن « كالتكس » اسم مشهور في أرجاء العالم، يحتل مصدراً يمكن الاعتماد عليه للحصول على أجود المنتجات البترولية . ويمكن أن يعني إنتاجاً أوفر ، ونفقات أقل ، واقتصاداً أكثر في تشغيل مصانعك وأجهزتك التي تحتاج إلى أنقى الوقود والمشحمات . فلكل حاجاتك الأولية ، والصناعية ، وأعمال النقل – أطلب « كالتكس » على التخصيص .

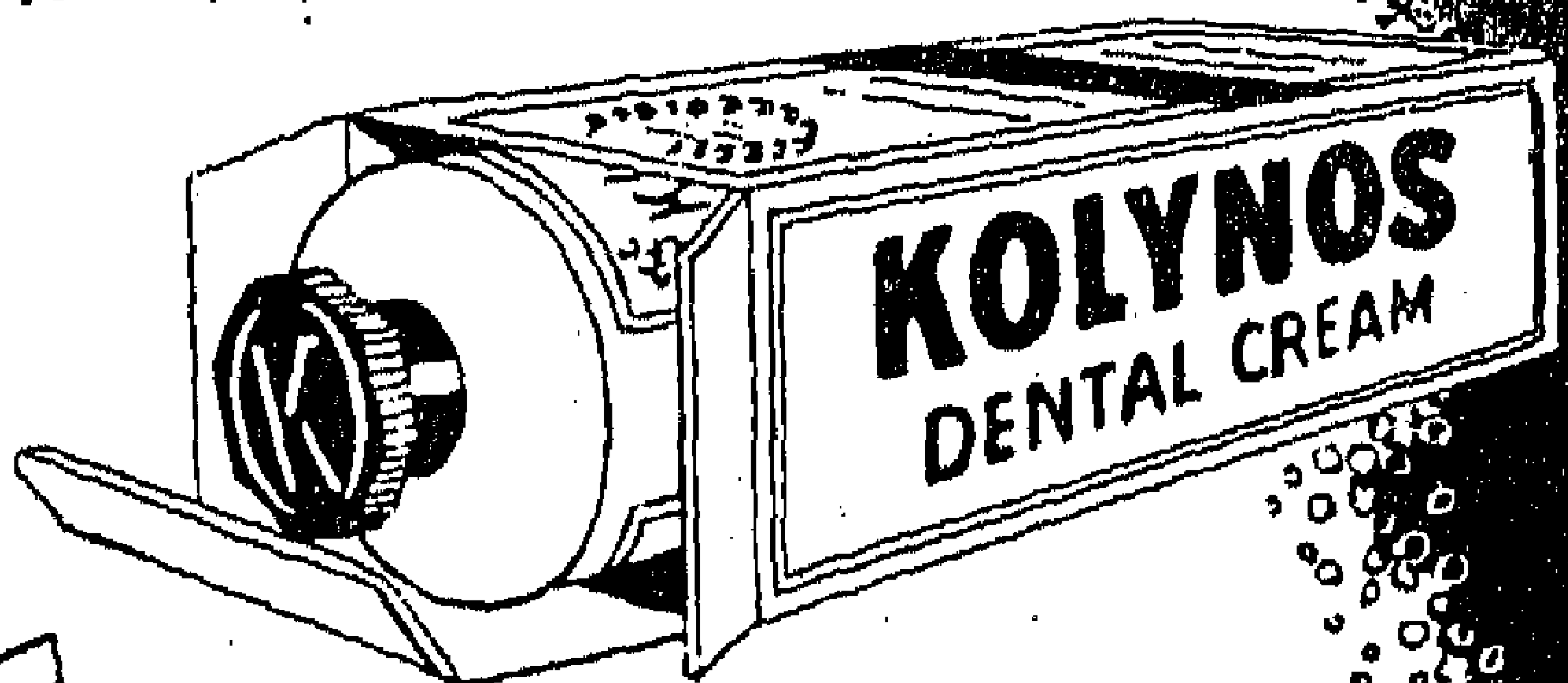
SOCIETE CALIFORNIA TEXAS
DE PETROLES S.A.E.
9, Rue Fouad I. Cairo - Egypt.

جانب من مصنع كلتكس الحديث للتكرير - بالبحرين بالخليج الفارسي

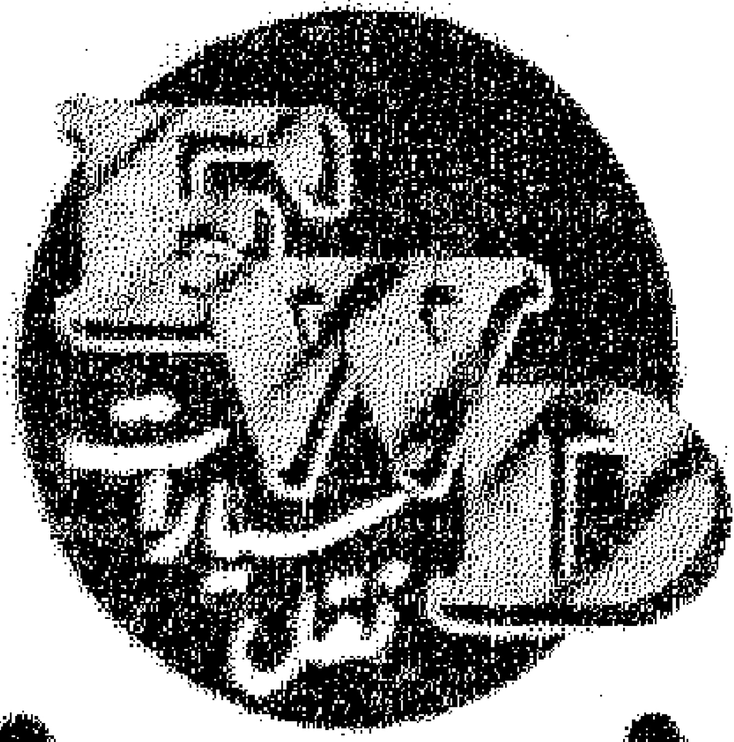
نظف أسنانك
بمعجون
كولينوس

..لأن لـه رغوة!

إن قدراً قليلا من « كولينوس » أجدى عليك فى تنظيف أسنانك ، لأن رغوته تتغلغل فى جميع جوانب الفم ، وطعمه أطيب وأشدُّ إنعاشاً . إن معجون الأسنان الأمريكى المشهور يتاح لك ثانية بجودته التى اشتهر بها قبل الحرب .



كولينوس



إن شركة «فور هويل درايف أوتو كومباني» المشهورة في جميع أرجاء العالم ، أنشئت في سنة ١٩١٠ ، فهي أقدم وأكبر شركة قصرت اهتمامها على صنع سيارات نقل تشمل قوة الدفع فيها ، العجلات الأربع ، أو العجلات الست ، وهي سيارات اشتهرت في كل مكان بأدائها الذي يُعتمد عليه . وشركة « فور هويل درايف أوتو كومباني » هي إحدى الشركات العالمية الكبرى التي تصنع سيارات للنقل الثقيل .

رسالة خطيرة الشأن

إلى أصحاب سيارات النقل FWD اليوم أو في المستقبل ، في جميع أرجاء العالم

إن كثيراً من سيارات نقل FWD القوية المتينة التي صنعت للخدمة في الحرب ، قد صارت اليوم عمادَ الأهلين في أعمالهم المدنية . فإلى أصحاب سيارات نقل FWD اليوم ، وإلى الذين سيشترونها في سائر بلاد الله توجّهُ شركة « فور هويل درايف أوتو كمباني » هذه الرسالة الخطيرة الشأن .

إن المعاونات الفنية ، وقطع الغيار الأصلية FWD اللازمة لهذه السيارات حتى تعمل ، عملاً نافعاً ولصيانتها ، تجدها متاحة لك عند شركة « فور هويل درايف أوتو كومباني » أو عند موزّعيها في جميع أرجاء الأرض . . . فتساعد كل صاحب سيارة منها على أن يظفر من هذه السيارات بأقصى درجات الانتفاع والخدمة الطويلة الأمد والاقتصاد .

وسيارات FWD التي لها قوة دافعة تحرك العجلات الأربع والعجلات الست ، تتيح لك مزايا لا يسبقها سابق : أقصى قوة وقدرة على نقل الأحمال في أوعر الطرق وأشد أحوال الجو إرهاقاً : سرعة أعظم على مسافة أطول يصحبها أمن أتمّ : أقلُّ نفقة لوحدة النقل (طن وميل واحد) توزيع متعادل للقوة المحركة — ولوطأة الحمل المنقول على العجلات الأربع أو العجلات الست تخفيض الإجهاد على المحاور ، وتقليل تآكل الإطارات : خدمة طويلة الأمد .

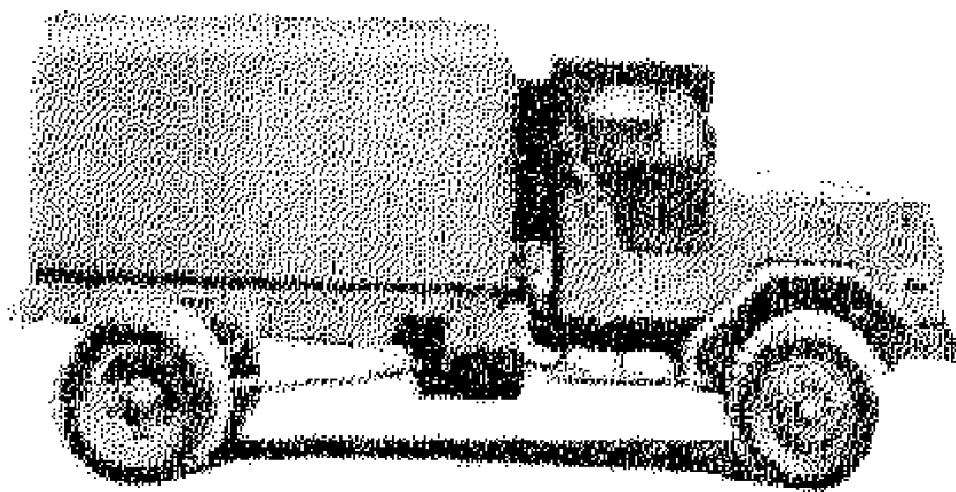
تطلب البيانات الكاملة ، بالبريد أو بالبرق من :

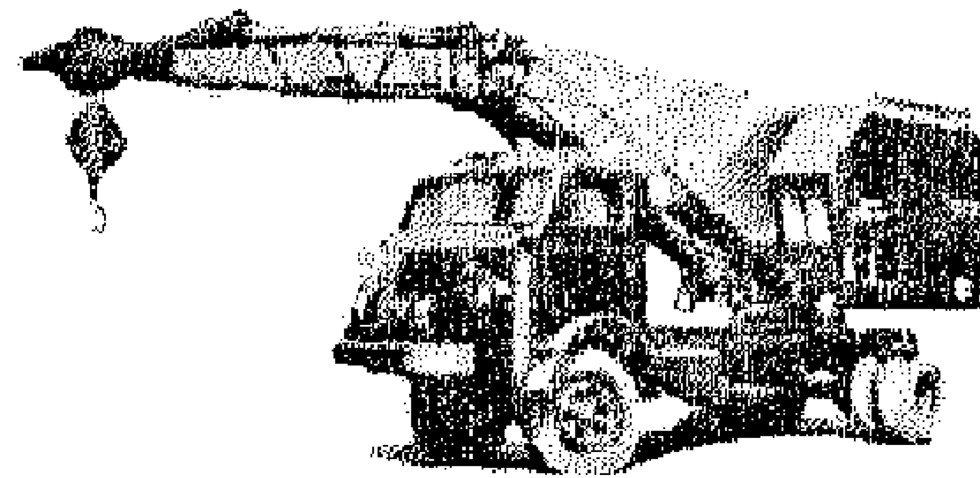
THE FOUR WHEEL DRIVE AUTO COMPANY

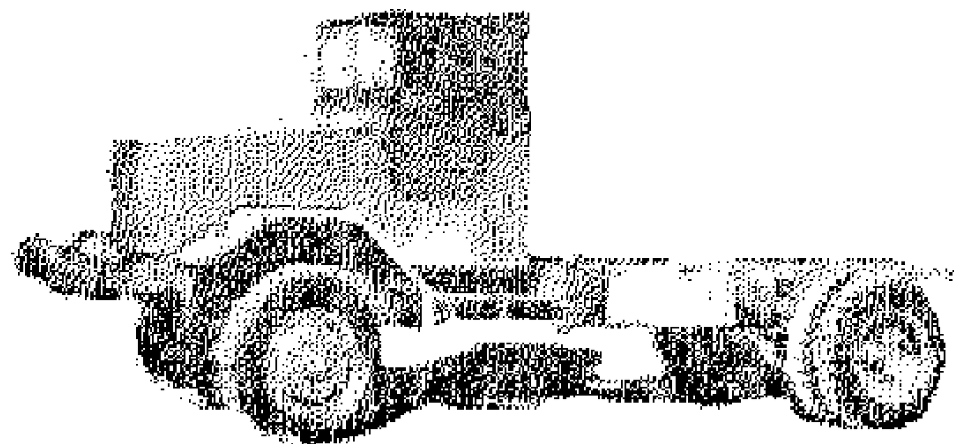
CLINTONVILLE, WISCONSIN, U. S. A.

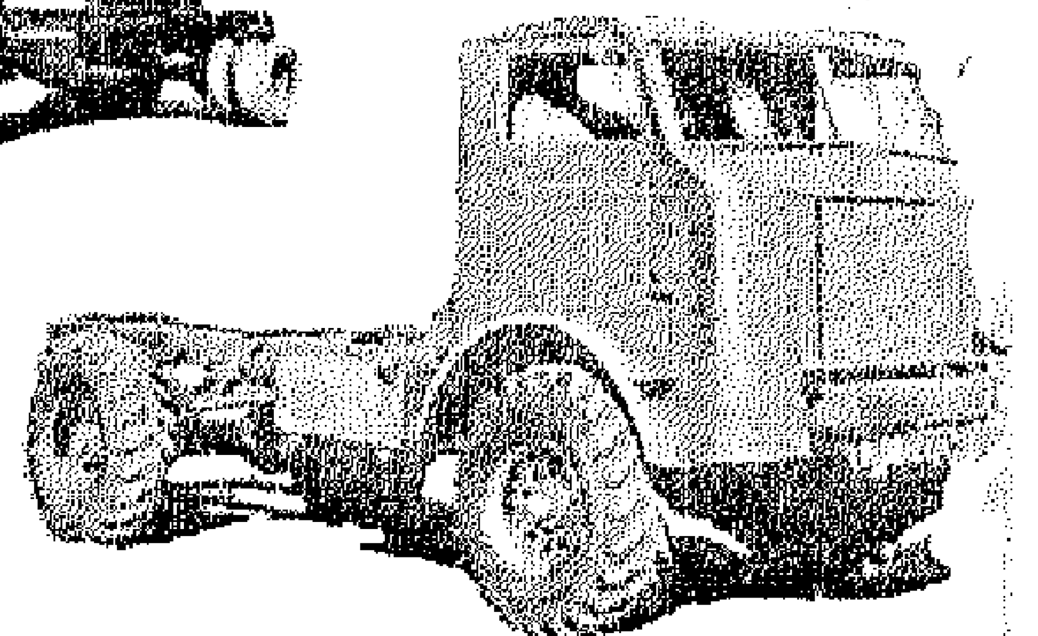
العنوان التلغرافي : FWD CLINTONVILLE (Code: "Bentley's")

إن سيارات FWD الحربية ، يسهل تحويلها إلى المهام المدنية بنفقة قليلة ، ويسهل تزويدها بهيئا كل شتى وبالمعدات التابعة لها .



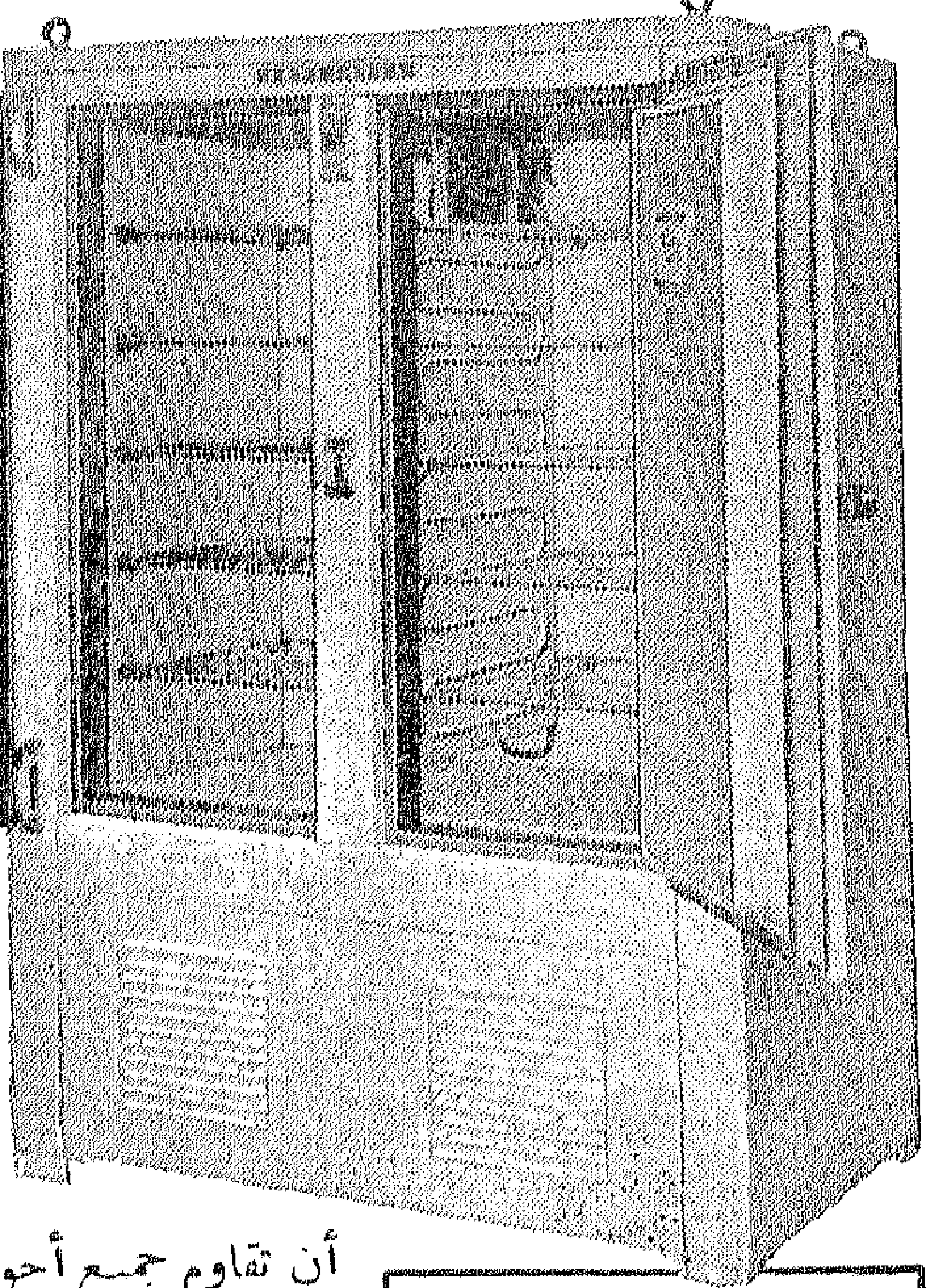






صممت خصيصاً
واختبرت خصيصاً ...

للانتفاع بها
في
الأقاليم الحارة



ثلاجات « برست كولد » "Tropic-Tested" مصنوعة في إنجلترا ، ومختبرة في جميع مراحل صناعتها اختباراً دقيقاً . وقد روعي في تصميمها أن تقاوم جميع أحوال الإقليم ودرجات الحرارة . وهي تضم جميع التحسينات الحديثة وتؤدي خدمة كاملة بأقل مصروف وأعظم يسر في صيانتها . أما تركيبها فهو البساطة بعينها .

طراز S.C. 151 المرسوم أعلاه حجرة سعة ١٥ قدماً مكعباً . طراز فريد . مكون بعناية من ألواح مضغوطة من الفولاذ الملحوم بالكهرباء ومطلية بطلاء أبيض ناصع تبقى على الزمن وهذه الميزات تجعل الثلاجة منيعة ضد الحرارة والرطوبة في المناطق الاستوائية .

PRESTCOLD
للتبريد



شركة E.A.S.T. ٣ شارع عمر بالقاهرة ، القطر المصري . شركة إنجنيرنج آند مانيوفكتشرنج ليمتد ص ب ١١٩ تل أبيب ، فلسطين . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ليمتد ص ب ١٧٦ حلب ، سوريا . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ص ب ١٧ بغداد ، العراق . كولاتلي هانكي وشركاه (السودان) ليمتد ص ب ٢١٥ الخرطوم .

شركة برسد ستيل ليمتد

كلّ جزء صغير ، وكلّ تفصيل دقيق في قلم باركر «٥١» يدل على أنه لم يصنع على عجل ، وأن صناعته بلغت أعلى مراتب الدقة والإحكام . وحتى رأسه الأنبوبة الممتدة ، قد صممت لكي توقى من الهواء والقذر والأذى . وهو يبدأ الكتابة لتوه — وحسبه لمسة دقيقة حتى يكتب كتابة ناعمة . فهذا هو القلم الوحيد الذي صنع ليستعمل أحسن الحبر وأنفعه على الإطلاق حبر باركر «٥١» ، الذي يجف وأنت تكتب .

THE PARKER PEN Co.
Janesville, Wisconsin, U.S.A.

أكثر الأقلام طلباً في العالم كله

باركر «٥١»

يكتب كتابة جافة بمداد سائل

الوكلاء العموميون : الشركة المصرية لعموم التوريدات
١٣ شارع قصر النيل بالقاهرة بمصر

Coca-Cola
TRADE MARK



في قمة الصفاء...

ى قراء المختار الكرام

بيان مهم

نعلن مع الأسف الشديد أن مجلة المختار من ريدرز دايجست ستكف عن صدور إلى زمن وحسب بعد ظهور عدد نوفمبر هذا . وقد اتخذنا هذا القرار على مض وتردد ، ولكنه قرار اضطررنا إليه اضطراراً لأسباب مختلفة — ازدياد نفقات الإنتاج ، وتعقد قيود التبادل النقدى ، ومشاق التموّن بالورق.

وقد ظلت مجلة المختار تصدر صدوراً متصلا خلال واحد وخمسين شهراً ، فبيع منها ما يزيد على أربعة ملايين نسخة فى أرجاء العالم العربى . وقد تلقينا من قرائها لوفاً من الرسائل تفيض بما وجدوه فى صفحاتها من فصول حافلة بالمتعة والمعرفة الحوافز التى تلهم الناس إلى حياة أزخر وأفضل

فنحن مدينون بالشكر الصادق لما لقيناه من تأييد ومودة عند قرائنا وأصدقائنا كثيرين فى البلاد العربية جميعاً — من حلب فى شمال سورية إلى عدن فى جنوب لجزيرة ، ومن القاهرة فى الغرب إلى بغداد فى الشرق . ونحن أيضاً مدينون بالشكر خدمة الصادقة التى أسداها إلى المختار موظفو إدارته فى القاهرة وجميع الذين ونوهم فى تحريره وطبعه وتوزيعه ، فى بحر أربع سنوات أو أكثر .

ونحن على ثقة بأنه إذا آن الأوان لاستئناف صدور المختار ، فإن أواصر الصداقة تى وثقها المختار سوف تتجدد وتتوثق على الزمن ، ونحن نتطلع بعين ملؤها الأمل الاغتباط إلى ذلك اليوم ، وفى فترة التعطيل سوف يظل اهتمامنا بمسائل العالم العربى تقدمه كاملا صادقاً لا يحول .

ناشرو مجلة المختار
من ريدرز دايجست

يان الى حضرات المشتركين

جميع المشتركين الذين يمتد اشتراكهم إلى ما بعد هذا العدد من المختار ، سوف فون من إدارة المختار حقهم كاملا عن الأعداد المتبقية من اشتراكهم .

ينبوع الشباب الدائم

صموئيل أولمان

ليس الشباب زمناً من أزمنة الحياة ، بل هو شعور فى النفس ، وإرهاف فى العزيمة ، وتوقد فى الخيال ، ونشاط فى العواطف ، وإرباء الشجاعة على التهيّب ، وغلبة شهوة المغامرة على حب الراحة .

وما من أحد يهرم لأنه عاش عدداً من السنين ، وإنما يهرم الناس حين يهجرون مثلهم العليا جانباً . وكرّ السنين يترك الجلد مغضّناً ، ولكن ترك الحماسة يغضّن الروح . والقلق ، والشك وعجز المرء عن الإيمان بقدرته والخوف والقنوط ، هذه هى السنوات الطويلات المدد التى تحنى الرأس ، وترد الروح تراباً فى تراب .

وسواء أكان الحى فى السبعين أم فى السادسة عشرة من عمره ، فلن يخلوَ قلبه من حب للعجيب الرائع ، ومن دهشة حلوة تساور النفس حين يرى النجوم وما يشبهها من الأشياء والأفكار ، ومن جرأة ماضية تتحدى خطوب الدهر ، ومن شوق كالذى يملأ قلوب الصغار رغبة فى معرفة الغيوب ، ومن بشاشة للحياة الزاخرة بالمرح والنضال .

وأنت شاب بقدر ما أوتيت من إيمان ، وهرمٌ بقدر ما منيت به من شك ، وصغير بمقدار ثقتك بنفسك ، وكهل بمقدار وَجَلك ، وفتى بحسب أملك ، وشيخ بحسب يأسك .

وما دام قلبك يتلقى رسالات الجمال ، والبشر ، والشجاعة ، والجلال ، والقوة، من الأرض ، ومن الآباد ، فأنت شاب .

ومتى وهنت الأسباب التى بينك وبين الحياة ، وطمرت حبة قلبك ثلوج التشاؤم والشك وقلة المبالاة ، فقد شِيّخت حقاً ، وعليك رحمة الله .